



مجلة التربية للعلوم الانسانية

مجلة التربية للعلوم الانسانية

ISSN:2710-124X

١٤٤٤هـ / ٢٠٢٣م

١٠

العدد

٣

المجلد

شهر آذار

القسم الأول

جامعة الموصل
مجلة التربية للعلوم الانسانية
العدد ١٠ / المجلد ٣ / شهر آذار / ٢٠٢٣م / ١٤٤٤هـ



E-mail: library.eh@uomosul.edu.iq



جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الموصل
كلية التربية للعلوم الإنسانية

مجلة التربية للعلوم الإنسانية

مجلة علمية فصلية محكمة
تصدر عن كلية التربية للعلوم الإنسانية
في جامعة الموصل

المجلد (٣) العدد (١٠)
آذار ٢٠٢٣ م

القسم الأول

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد

٢٤٢٥ لسنة ٢٠٢٠ م

رئيس التحرير

الأستاذ الدكتور ابراهيم محمد محمود الحمداني

مدير التحرير

الأستاذ الدكتور عبدالمالك سالم عثمان الجبوري

أعضاء التحرير

الأستاذ الدكتور كمال حازم حسين

الأستاذ الدكتور ياسر عبدالجواد حامد

الأستاذ الدكتور صدام محمد حميد

الأستاذ المساعد الدكتور أحمد حامد علي عبدالله

الأستاذ المساعد الدكتور عاصم أحمد خليل

الأستاذ المساعد الدكتور جاسم محمد حسين

المقومون اللغويون

الأستاذ المساعد الدكتور صالح علي الشيخ

الأستاذ المساعد الدكتور إسماعيل فتحي حسين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الورى محمد النبي الأمين وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين...
تتابع مجلة التربية للعلوم الإنسانية اصدار أعدادها في مواعيدها المحددة في كل ثلاثة أشهر وبترايب زمني دقيق ومحدد في اصدار الأعداد أو في نشر بحوثها بتسلسل زمني منضبط، ويصدر العدد العاشر من المجلد الثالث بقسمين تسريعاً لنشر بحوث الأساتذة وطلاب العلم، لتفتح مجالاً لهم في الإفادة منها في نشر نتائجهم العلمي أو لغرض الترقيات العلمية، معتمدة التنوع الجغرافي للباحثين من عراقيين وعرب، وإذ نقدم شكرنا لكل الخبراء الذين قوموا بحوث المجلة من كل الجامعات العراقية والعربية فإننا نسعى إلى اختيار الخبراء بكل دقة وشفافية من أجل خدمة الباحثين في الإفادة من ملاحظات الخبراء لتقويم بحوثهم والإرتقاء بالمجلة إلى مستوى عالٍ من الرصانة العلمية .

ومن الله التوفيق

رئيس التحرير

أ.د. ابراهيم الحمداني

شروط النشر في مجلة التربية للعلوم الإنسانية

- ❖ مجلة التربية للعلوم الإنسانية - مجلة علمية محكمة تصدر عن كلية التربية للعلوم الإنسانية- وتنتشر البحوث باللغتين العربية والإنكليزية في العلوم الإنسانية، على وفق الشروط الآتية:-
- ❖ يقدم الباحث طلباً خطياً بنشر بحثه مع التعهد بعدم إرساله أو نشره في مجلة أخرى.
- ❖ يخضع البحث إلى برنامج الاستلال.
- ❖ لا يتجاوز عدد صفحات البحث (٢٥) صفحة، ويتم تقاضي أجور إضافية لكل صفحة زائدة.
- ❖ يكون البحث مطبوعاً على قرص CD بنظام Word مع ثلاث نسخ ورقية.
- ❖ يشترط في طباعة البحث بما يأتي:-
- ❖ حجم الورقة A4 وتكون الحاشية من أعلى وأسفل الصفحة (٢,٥٤)سم، ومن يمين ويسار الصفحة (٣,١٧)سم سواءً كان البحث باللغة العربية أو باللغة الإنكليزية.
- ❖ التباعد بين الأسطر (١) سم باللغة العربية و(١,٥) سم باللغة الإنكليزية.
- ❖ نوع الخط العربي (Simplified Arabic) والإنكليزي (Time New Roman).
- ❖ يطبع عنوان البحث بخط غامق وحجم (١٦) بينما المتن يكون بحجم (١٤) والحاشية بخط عادي وحجم (١٢) باللغة العربية والإنكليزية. ويكون كالاتي : يسجل عنوان البحث في الوسط بالعربي وتحتة بالإنكليزي .
- ❖ يسجل عنوان البحث في الوسط بالعربي وتحتة بالإنكليزي .
- ❖ يسجل بالجهة اليمنى اسم الباحث واللقب العلمي وتحتة مكان العمل باللغة العربية ويسجل بالجهة اليسرى اسم الباحث واللقب العلمي وتحتة مكان العمل باللغة الإنكليزية.
- ❖ يسجل بالوسط الايميل ورقم الموبايل.
- ❖ يسجل الكلمات المفتاحية (خمس كلمات باللغة العربية واللغة الإنكليزية).
- ❖ الملخص باللغة العربية والإنكليزية ويحدود ٢٠٠ كلمة لا اكثر .
- ❖ توضع عنوانات الجداول بأعلى الجدول وتوضع عنوانات الأشكال والمخططات والصور والخرائط بالأسفل.
- ❖ الأبيات الشعرية في المتن تكتب بخط غامق.
- ❖ تكتب الهوامش السفلية بالصفحة نفسها مع مراعاة الآتي:
- ❖ المصدر نفسه يكون كتابة وليس رمزاً (م.ن).
- ❖ توضع نقطتان رئيستان بعد كلمة ينظر، مثل: (ينظر :).
- ❖ توضع نقطتان رئيستان قبل رقم الصفحة (: ٧٥)

- ❖ توضع (٤) بين اسم الكتاب واسم المؤلف
- ❖ عندما تتوالى أسماء السور القرآنية تعاد كتابة اسم السورة بالكامل وتوضع نقطتان رئيسيتان (: قبل رقم الآية .
- ❖ توضع (-) بين أرقام الصفحات بالهامش، مثل: (٢٥-٢٠).
- ❖ يوضع (/) بين الجزء ورقم الصفحة، مثل: (٣٠ / ٣).
- ❖ يطالب الباحث بنسخة نهائية ورقية بعد إقرار الخبراء بصلاحيته نشر البحث مع قرص CD بنظام Word يطابق النسخة الورقية.
- ❖ لا تعاد البحوث إلى أصحابها سواء قبلت أم لم تقبل.
- ❖ المجلة غير ملزمة بسحب البحث بعد قبوله للنشر لأي سبب كان.
- ❖ لا يحق للباحث المطالبة بمتطلبات البحث كافة بعد مرور سنة من تاريخ النشر.
- ❖ تلتزم المجلة بالحفاظ على حقوق الملكية الفكرية للمؤلفين ، وفي حالة وجود تجاوز عليها تتولى رئاسة التحرير اتخاذ الوسائل الادارية والقانونية بما يضمن حقوق المؤلفين الناشرين في المجلة.
- ❖ ترفق قائمة بالمصادر والمراجع في نهاية البحث وبمعلومات كاملة وتكون على الشكل الآتي :
- اسم الكتاب، اسم المؤلف، دار الطبع، مكان الطبع، رقم الطبعة، سنة الطبع.

المحتويات

١. الطلل باعث لقلق وجودي وافصح عن بعد مأساوي معاش في الشعر الجاهلي
شهران علي حسن و أم.د. ايمان خليفة..... ٢٤-١
٢. الزمان في السرد الرسائلي - رسائل محمود درويش وسميح القاسم أنموذجاً-
سجى ابراهيم يونس و أ.د. هشام محمد عبدالله..... ٥٢-٢٥
٣. نقوش اختام الخلفاء الامويين ودلالاتها
علي مهدي سعيد و أ.د. عمر أمجد صالح..... ١٠٠-٥٣
٤. المعتقدات الشعبية المتعلقة بالطفل في التراث الشعبي الموصلية -دراسة وصفية تحليلية-
أم.د. نجلاء عادل حامد و أ.د. خليل محمد الخالدي..... ١٤٠-١٠١
٥. تصميم تعليمي - تعلمي وفقاً لاستراتيجية جيكسو (Jigsaw) وأثره في البراعة الرياضية ومهارات الاثبات الجبري في حقل الاعداد المركبة
م.د. أحمد محمد عبد الزبيدي..... ١٧٢-١٤١
٦. الزيادة مظهراً تأويلياً دراسة في كتاب الإفصاح في شرح أبيات مشكلة الإعراب للفارقي
دعاء صبحي فتحي الحياي و أ.د. أمين لقمان الحبار..... ١٩٨-١٧٣
٧. تجليات الأنا والآخر في شعر عبد الحميد بطاوة
د. أحمد محمد الميداني..... ٢٣٦-١٩٩
٨. شعر سميح القاسم في النقد السياقي -المنهج التاريخي أنموذجاً-
زينب محمد حازم و د. غانم صالح سلطان..... ٢٦٢-٢٣٧
٩. التقديم والتأخير عند ابن الأثير في كتابه الجامع الكبير مع مقارنة آرائه بأهم الآراء البلاغية
محمد نبيل محمود و أم.د. صالح علي شيخ علي..... ٢٩٨-٢٦٣
١٠. حُسن التعليل في المثل النبوي بمظاهر المخلوقات (العجماءات) أنموذجاً
هبة هاني داود و أم.د. آزاد حسّان حيدر شيخو..... ٣٣٤-٢٩٩

١١. الغضب لدى طلبة جامعة الموصل
نشوى معيوف مردان و أ.م.د. تنهيد عادل البيرقدار..... ٣٥٦-٣٣٥
١٢. بيعة النساء أهدافها وطبيعتها في عهد النبوة
حنان محمد رشيد و أ.م.د. ظفر عبدالرزاق ذنون جاسم..... ٣٨٤-٣٥٧
١٣. العلوم التي اشتهرت بها أسرة عمرو بن حزم بن زيد الخزرجي
شيماء نافع صديق و أ.د. نهال خليل الشرايبي..... ٤٠٨-٣٨٥
١٤. أثر استراتيجية DRTA في تحليل النصوص الأدبية لدى طالبات الصف الرابع الاعدادي
نورا علي حمزة و أ.م.د. أبي إبراهيم حسين
العوامل البشرية وأثرها على حركة السلع والبضائع واسعارها في العصر العباسي الاول (١٣٢-١٣٢٧هـ / ٧٥٠-٨٦٢م)
رياض أحمد عبد محمد المولى
أ.م.د. سعد رمضان محمد الجبوري..... ٤٥٤-٤٣٣
١٦. معايير مقترحة لانتقاء خريجي كلية التربية في ضوء التغيرات المستقبلية العالمية لمهنة التدريس من وجهة نظر التدريسيين والمشرفين الاختصاص
علي ياسين طه و أ.د. صدام محمد حميد..... ٥٠٤-٤٥٥
١٧. التحليل الجغرافي للمتغيرات الاجتماعية والاقتصادية المتعلقة بظاهرة الطلاق في محافظة صلاح الدين لعام ٢٠٢٠
م.د. أحمد ظاهر خسارة حسين الدوري..... ٥٤٢-٥٠٥
١٨. مدينة لوثة Loja الأندلسية ٩٢ - ٨٩١ هـ / ٧١٠-٤٨٦م
أ.د. جاسم ياسين الدرويش و أ.د. حسين جبار العلياوي..... ٥٨٦-٥٤٣
١٩. اعتراض ابن الوردي (ت:٧٤٩هـ) ابن مالك واستدراكه عليه
عبير أحمد إبراهيم و أ.م.د. عبدالسلام مرعي جاسم..... ٦١٠-٥٨٧
٢٠. قمة هلسنكي ٣٠ تموز - ٢ آب ١٩٧٥ وأثرها على العلاقات الامريكية - السوفيتية
أ.م.د. منتهى صبري مولى المنصوري..... ٦٤٦-٦١١
٢١. آراء ابن مسعود الفقهية من خلال كتاب مختصر ابن خالويه في القراءات الشاذة جمعاً ودراسة
أ.م.د. خالد محمد صوفي..... ٦٧٢-٦٤٧

٢٢. طلبة أبي بكر بن العربي (ت: ٥٤٣/هـ ١٤٨م) اثناء تنقله بين مدن
الاندلس (٤٩٥/هـ ١١٠٢م - ٥٢١/هـ ١١٢٧م)
رقية جاسم محمد الحياني
- ٧٠٠-٦٧٣ أ.م.د. علياء هاشم ذنون المشهداني
٢٣. كريلاء في الشعر العربي الحديث
- ٧٣٨-٧٠١ أ.د. خالد سنداوي
٢٤. An Acoustic Study of Iraqi EFL Learners' Utilization
of English Aspiration
Ahabab Lazim Mahran Al- Badawi
Assistant professor Ziyad Rakan Kasim
- 766-739
٢٥. Investigating Iraqi EFL Learners' Command of
Homonymy
Assistant Lecturer Rafat Dhiyaa Rashaad
- 790-767

الطلل في الشعر الجاهلي باعث لقلق وجودي وافصح عن بُعد مأساوي معاش

**Desolation in pre-Islamic poetry is a source of existential anxiety
and an expression of a lived tragic dimension**

Sharhan Ali Hassan

شرهان علي حسن

Dr. Eman Khalifa

د. إيمان خليفة

Assistant professor

أستاذ مساعد

University of Mosul - College
of Education for Human
Sciences

جامعة الموصل - كلية التربية للعلوم
الانسانية

alhineeman@uomosul.edu.iq

تاريخ القبول

تاريخ الاستلام

٢٠٢١/١٠/٢٤

٢٠٢١/٨/٨

الكلمات المفتاحية: الطلل - الشيخوخة - الشعر الجاهلي - الموت

Keywords: Anxiety - old age - pre-Islamic poetry - death

المخلص

إنَّ تحول القبائل العربية طلباً للماء والكلأ وترك بقايا الديار تعبث بها الرياح وعوامل التعرية شكل عند شعراء الجاهلية مشهداً اطالوا الوقوف عنده والبكاء عليه فكان بمثابة منطلق إبداعى ثر المعاني صدروا به اشعار هم حتى غدا عرفا ادبياً قلما نجد شاعراً يغفل عنه ، وقد شغل النقاد قديماً وحديثاً في البحث عن الأسباب الحقيقية التي تفسر هذه الظاهرة المهمة في الأدب العربي إذ جاءت آراء بعضهم متفقة احياناً ومتباينة في أحيان كثيرة وهذا البحث إنما يعرض لأبرز تلك الآراء النقدية محاولين محاكمتها إلى للمنطق المجرد تارة وإلى النصوص الشعرية تارة أخرى لنصل إلى أن قلقاً وجودياً ينتاب الشعراء وهم يتأملون مشاهد الإعدام التي يمارسها الزمن على الأمكنة دون ما تحمله تلك الأمكنة من معان تمثل مصدر إلهام الشعراء وتمنحهم فسحة من التأمل في محراب الحياة معززين ما توصلنا إليه بنصوص شعرية متنوعة.

Abstract

The transformation of the Arab tribes in search of water and pasture and leaving the remnants of the homes tampered with by the winds and the factors of erosion formed a scene for the poets of the pre-Islamic period, and they prolonged standing at it and weeping over it. In the search for the real reasons that explain this important phenomenon in Arabic literature, as the opinions of some of them came in agreement at times and divergent at times, and this research presents the most prominent of those critical opinions, trying to judge them to abstract logic at times and to poetic texts at other times, so that we can reach an existential concern that haunts poets while they are They contemplate the scenes of execution practiced by time on places without the meanings that these places carry, representing the source of inspiration for poets and giving them space to contemplate the sanctuary of life, reinforcing what we have reached with various poetic texts.

توطئة

• الطلل عند الشعراء:

حظيت المقدمة الطللية بمكانة مرموقة عند شعراء الجاهلية، فجعلوها مستهل أشعارهم، ومفتتح قصائدهم، فعكست لنا عمق انتمائهم لأماكن السكنى، وعظيم إحساسهم بهشاشة الوجود الإنساني، وسطوة الزمن المدمر الذي يحيل العمران إلى خراب، والربيع العامر إلى طلل دارس.

والبرهة الزمنية التي يقف فيها الشاعر عند رسم الديار تمثل عنده منجماً لانبثاق الأفكار، وقاموساً ملهماً للإبداع الشعري، واستدعاءً للماضي الجميل الحافل بالوصال، والنشوة، والامتلاء، وفي اللحظة الطللية تتصارع الثنائيات الضدية من بكاء وفرح، وحياة وموت، ووصال وانقطاع، وديار تنبض بالحياة، وبقايا مساكن تعبت بها الرياح.

في لوحة الطلل نرى حرص الشاعر على تأطير المكان، ورسم حدوده بالشكل الذي يرفع التباسه بسائر الأمكنة الأخرى، على أنّ هذا التأطير يكتفي فيه الشاعر بأقل ما يعرف به المكان، فأى موضع لا بد أن يحاط بأربع جهات (شرق، وغرب، وشمال، وجنوب)، ولم نر شاعراً يقف على طلل يوطره من جميع جهاته، وإنما يكتفي بجهتين اثنتين، ولعلّ الإيجاز غير المخل هو ما يدفعهم لذلك، فالغرض من ذكر المواضع هو معرفتها، فإذا كانت تعرف بجهتين، فإنّ ذكر المواضع الأخرى التي تحيط بها يعدّ حشواً وإسهاباً تمجّه الذائقة العربية التي تميل إلى التلميح دون التصريح، وإلى الإشارة بدل العبارة.

ولا نجد أدل على أهمية الطلل عند الشعراء، من أن المطولات والمعلقات جاءت معظمها تبدأ بالوقوف على الطلل.

• الطلل في النقد القديم:

لم تبقَ المقدمة الطللية ملازمة للشعراء عبر العصور، ولكن حضورها الطاغي في الشعر الجاهلي جعلها تنتقل من مركزيتها عند الشعراء في الوعي الشعري إلى مركزيتها عند النقاد في الوعي النقدي.

فشيوع ظاهرة الطلل في الشعر الجاهلي لا يدل على استحسانها من الشعراء فحسب، وإنما من المتلقين أيضاً؛ هذا الاجماع المجتمعي، ومقبولية تداولها يستدعي من النقاد تاملًا واهتماماً.

والنقد العربي القديم لم يطل الوقوف عند المقدمات الطللية، كما وقف عند موضوعات وقضايا لم تصل في أهميتها إلى مستوى المقدمة الطللية كقضية اللفظ والمعنى، والسرققات الشعرية، وعمود الشعر، والموازنة بين شاعرين أو أكثر، إلى غير ذلك من الموضوعات^(١). فلم يتحدثوا عنها إلا لاماماً، فجاء حديثهم من قبيل ما ينبغي أن يبتدئ به الشعراء، وما لا ينبغي، كما هو الحال عند ابن طباطبا العلوي، وابن المعتز، وابن رشيق القيرواني، وابن الأثير^(٢).

ولم نر من المتقدمين من حاول تفسير الظاهرة إلا ابن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦هـ)، حيث قال: " سمعت بعض أهل الأدب يذكر أنّ مقصد القصيد إنما ابتدأ فيها بذكر الديار، والمدن والآثار، فبكى وشكا، وخاطب الربيع، واستوقف الرفيق، يجعل ذلك سبباً لذكر أهلها الطاعنين عنها، إذ كان نازلة العمدة في الحلول والظعن، على خلاف ما هي عليه نازلة المدر؛ لانتقالهم من ماء إلى ماء، وانتجاعهم الكلاً، وتتبعهم مساقط الغيث حيث كان، ثم وصل ذلك بالنسيب، فشكا الوجد وألم الفراق، وفرط الصبابة والشوق، ليميل نحوه القلوب، ويصرف إليه الوجوه، وليستدعي اصغاء الأسماع إليه"^(٣).

وقول ابن قتيبة (سمعت بعض أهل الأدب) هل يعني أنّ هذا الرأي كان متداولاً بين المهتمين، بالأدب؟ أم أنّ ابن قتيبة ذكر ذلك على سبيل التواضع؟ وهذا يدور العلماء، ينسب المسألة إلى غيره، ولا تُعرّف إلا عنده، فالعبرة عندهم الالتفات إلى المقول، لا إلى القائل، ونحن لا نجد - فيما بين أيدينا من مصادر - أنّ أحد النقاد سبق ابن قتيبة في رأيه هذا، ولا حتى قريباً منه، وهذا ما يجعلنا أكثر جنوحاً إلى الرأي الثاني أكثر من الأول.

وتجلى أهمية هذا الرأي أنّه أحال السبب الرئيس لابتداء الشعراء بذكر الديار والآثار إلى دوافع نفسية اجتماعية (ليميل نحوه القلوب) وهذا التعليل - على إيجازه - يعتبر ملمحاً كبيراً بالقياس إلى اللحظة الزمنية التي قيل فيها، فهو - وإن كان - رأيً انطباعي يظهر لقارئ الشعر العربي بادي الرأي، يعتوره القصور من جهتين، أولاهما: أنّه جعل اللحظة الطللية وسيلة لا غاية. وثانيهما: أنّه بعيد عن الأسباب الحقيقية للطللية^(٤)، على أنّ الذي يشفع

(١) تاريخ النقد الأدبي عند العرب (نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري)، إحسان عباس: ٣٠.

(٢) عيار الشعر: ١٢١، كتاب البديع: ١٣٣، العمدة في محاسن الشعر وآدابه: ٢١٩، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ٩٧.

(٣) الشعر والشعراء: ٧٤، ٧٥.

(٤) مقالات في الشعر الجاهلي، يوسف اليوسف: ١٢٣.

لصاحبه أنّ النقد يوم ذاك لم يكن مبنياً على أسس إبستمولوجية، ولم تعرف النظريات النقدية والمقولات التي تحفل بها ميادين المعرفة اليوم، وبحسب ابن قتيبة أنه حاز قصب السبق في الإشارة إلى الظاهرة ورصدها، ومحاولة تفسيرها، وإشارته هذه تجعل منه إماماً لكل متأخر في ميدان النقد، يعتمد العامل النفسي في تفسير الطلل.

أمّا ابن رشيق القيرواني فيرى أنّ ذكر الديار في مطالع القصائد، لا يخرج عن مألوف حياتهم، فقد كانوا " أصحاب خيام ينتقلون من موضع إلى آخر؛ فلذلك أول ما تبدأ أشعارهم بذكر الديار" (١).

• الطلل في النقد الحديث:

وأما في النقد الحديث، فإنّ المستشرق الألماني فالتر براونه يعدّ من أوائل النقاد الذين وقفوا عند المقدمة الطللية^(٢)، إذ حاول أن يقدّم لنا تفسيراً انطولوجياً يتلخص في أنّ الشاعر الجاهلي مجدد، وطامح لحياة مفعمة بالحيوية والامتلاء، لكن محدودية وجوده أمام شرط الفناء والتناهي، الذي يعصف بالأفراد كما يعصف بشواخص الأمكنة، هي التي بلورت ثنائية الحياة والموت، تلك الحقيقة الوجودية التي لا ينفك الإنسان الجاهلي يفكر فيها، هي التي أنتجت لنا المقدمة الطللية، أو بعبارة أكثر دقة، هي التي أنتجت رؤية الجاهلي للحياة^(٣)، والذي يؤخذ على هذا الرأي أنّه أغفل الجانب الاجتماعي الذي يشكّل ركيزة أساسية في المقدمة الطللية، فضلاً عن أنّه اعتبر تعامل الشاعر الجاهلي مع الوجود تعاملاً ما ورائياً، في حين أنّ " النزعة الوجودية هنا قد أملت شروط واقعية لا ميتافيزيقية" (٤).

وفي الجملة، فإنّ الطلل لا يخلو من موقف وجودي، لكنّه في الوقت ذاته لا يصلح أن يكون السبب الوحيد لتفسير الظاهرة، على أنّ المستشرق الألماني لم يقدّم لنا استقراءً لمقدمات الجاهليين، وإنّما اكتفى بمقدمة عبيد الأبرص، بل ولم يقصد أن يقدّم تفسيراً للظاهرة الطللية، وإنّما هي رؤية عامة للشعر الجاهلي، ولعل العنوان الرئيس لمحاضرته التي أفرغت بحثاً في

(١) العمدة في محاسن الشعر وأدابه: ٢٢٦ / ١.

(٢) تجدر الإشارة إلى أنّ سهير القلماوي قد نشرت في مجلة الكتاب المصري، في العدد الثاني، سنة ١٩٦١م، مقالاً بعنوان (تراثنا القديم في أضواء حديثه) فسّرت فيه المقدمة الطللية على أساس وجودي، وتبيّن أن بكاء الأطلال ليس مجرد فقد لحبيب، أو بكاء المساكين، وإنّما هو صرخة يائسة أمام حقيقة الموت والفناء المحتوم، لكنّها لم تعمق هذه الفكرة وتطيل النفس في بيانها، ومع ذلك فإنّ إشارتها هذه تكون سابقة لما أشار إليه براونه بعامين اثنين.

(٣) الوجودية في الجاهلية، فالتر براونه، مجلة المعرفة السورية، السنة الثانية، العدد الرابع، سنة ١٩٦٣م: ١٦٠.

(٤) مقالات في الشعر الجاهلي: ١٢٨.

مجلة المعرفة تشي بذلك، لكنَّ عَيَّةَ عبيد بن الأبرص هي ما جعلت النقاد من بعده يحسبونه تفسيراً مقتصرأ على المقدمة الطللية.

أمَّا الدكتور عز الدين إسماعيل، فقد نشر سنة ١٩٦٤م مقالاً بعنوان (النسيب في مقدمة القصيدة الجاهلية في ضوء التفسير النفسي) إلا أنَّه لم يبتعد كثيراً عن رأي فالتر براونه، بل عدَّ بعض النقاد النتائج التي توصل إليها لا تعدو أن تكون محاكاة لرأيه ونتائجه^(١)، فهو يرى " أنَّ قطعة النسيب كانت تقوم على شطرين أساسيين، هما: الوقوف على الأطلال، وذكر المحبوب"^(٢)، ويرى أنَّ المقدمات في القصائد العربية تمثل الجانب الذاتي في القصيدة، فهي تعبير عن ارتداد الشاعر إلى ذاته، و" صورة الحياة بالنسبة للشاعر الجاهلي كانت تنطوي في نفسه على عناصر خفية أحسَّها الشاعر إحساساً مبهماً، وقدر موقفه منها، وربما كان من أبرز هذه العناصر الخفية التي اصطدم بها مع ذلك حسه (التناقض) و(اللاتناهي) و(الفناء)"^(٣).

ومما يؤخذ على هذا التفسير - إلى جانب كونه متأثراً برأي براونه- إنَّه تفسير أحادي أغفل الجانب الأنثروبولوجي، الذي يشكل ركيزة مهمة في فهم الظاهرة الطللية^(٤)، فحديث الشعراء عن معطيات بيئية، وعن القوة التدميرية الهائلة التي يحدثها الزمن في سحق الأمكنة ونفتيت المجتمعات لا يمكن اختزاله في ثنائية الحياة والموت، وإنَّ كانت هي - ولا ريب- أحد أسباب الظاهرة.

وفي سنة ١٩٦٥م قدّم الدكتور يوسف خليف تفسيراً لمقدمات القصائد الجاهلية، طللية كانت أم خمرية، أم غزلية، أم وصفاً للحبيبية، أم حديثاً عن الشباب والشيخوخة والفروسية، فكل هذه المقدمات - في نظره- لا تعدو أن تكون حلاً لمشكلة الفراغ التي تهيمن على حياة الشعراء الجاهليين، كما يقسم القصائد إلى ذاتي، وهي المقدمات، واجتماعي، وهي الموضوعات الشعرية التي تلي تلك المقدمات، فيقول عن القسم الأول " فهذا القسم الذاتي من القصيدة الجاهلية مقدماته باتجاهاتها المتعددة، وما يتصل بها من حديث الصحراء، إنَّما هو

(١) مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي، حسين عطوان، ٢١٩، مقالات في الشعر الجاهلي: ١٢٩.

(٢) روح العصر دراسات نقدية في الشعر والمسرح والقصة، عز الدين إسماعيل: ١٨.

(٣) م. ن: ١٧.

(٤) مقالات في الشعر الجاهلي: ١٣١.

- في حقيقة أمره - محاولة لإثبات وجود الشاعر الجاهلي أمام مشكلة الفراغ في حياته، وهي مشكلة لم يجد لها حلاً إلا عن طريق هذه المتع" (١).

وأول ما يمكن أن يؤخذ على هذا الرأي أنه تعامل مع مقدمات القصائد على اختلافها، وتتنوع موضوعاتها بمنطق واحد، ونظر إليها من زاوية واحدة، فلم يراعِ خصوصية كل مقدمة عن نظيراتها^(٢)، وتعليل سبب المقدمات بملء الفراغ، وردم الهوة النفسية التي يعيشها الشعراء، يطرح على الأذهان أسئلة متعددة، فهل أن " الحبّ والفروسية، والشيب، والشباب نوع من الترف الفكري" (٣)، وهل ذكر الأماكن وتأطيرها والبكاء عندها، واستدعاء الأفعال الماضية، كل ذلك يمكن اختزاله في التسلية وردم الفراغ؟! على أننا حين نتأمل الشعراء ساعة وقوفهم أمام الطلل، كأنهم في محراب عبادة، يرتلون ترانيمهم في لحظة تتصارع فيها مشاعر النشوة والألم، يؤنس فيها المكان، ويحدث نوع من التفاعل الإيجابي بين الشعراء وبين شواخص المكان، فالشاعر يجد نفسه في فسحة من التأمل التي تعينه على البوح بما يؤرقه، فعملية " وقوف الشاعر الجاهلي على الرسوم الدوارس، لا يمكن أن تصلح للتلهي وتزجية الوقت، بل هي للتأمل والتفلسف" (٤).

وفي سنة ١٩٧٠م قدّم الدكتور حسين عطوان دراسته في مقدمات القصائد الشعرية، وحاول - بعد أن قدّم آراء من سبقه في رصد الظاهرة - أن يقدم تفسيراً لمقدمات القصائد، وهو كأستاذه يوسف خليف، يصهر المقدمات بكل أشكالها في بوتقة واحدة، فيقول: " ومن ينعم النظر في المقدمات جميعاً يراها تدور في معاني الشوق والحنين إلى الماضي، وأي شيء في حياة الإنسان في كل زمان ومكان غير الذكريات" (٥)، وقال أيضاً في معرض نقده لرأي براونه الآنف الذكر: " فلا يصح أبداً أن نسحب صفة الوجودية وما يتبعها من تفكير دقيق وعميق في البقاء، والفناء، والكون، والفساد على الشعراء الجاهليين جميعاً، ومن أين لهم تلك الأفكار الراقية التي لا يتوصل إلى أمثالها، إلا من ضرب بسهم وافر في العلم وتاريخ الأديان، وكيف يستقيم ذلك القول مع ما نعرفه عن العرب من أنهم كانوا لا يزالون يعيشون في طور السذاجة البدوية" (٦)، ولا ندري ما مصدر معرفة الدكتور حسين عطوان عن السذاجة البدوية، فهي

(١) دراسات في الشعر الجاهلي، يوسف خليف: ١١٩.

(٢) آليات الخطاب النقدي العربي الحديث في مقارنة الشعر الجاهلي، محمد بلوحي: ٧٨.

(٣) الطلل في النص العربي دراسة في الظاهرة الطللية مظهراً للرؤية العربية، سعد حسن كموني: ١٣٣.

(٤) مقالات في الشعر الجاهلي: ١٣٣.

(٥) مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي: ٢٢٨.

(٦) م. ن: ٢١٨ - ٢١٩.

الروايات الموثقة في كتب المتقدمين من الأدباء؟ فقد يكون قد تعلق بما هو أوهى من بيت العنكبوت، أم هو التراث الشعري العريض؟، ولا أحسب أنّ ناقداً، أو متذوقاً للشعر يقرأ أشعار امرئ القيس، أو النابغة، أو الشنفرى وأضرابهم، إلا ويجد نفسه أمام عقول لها حظّ كبير من التأمل والتفعل، وخصوبة في الفكر والخيال. ومن قال: إنّ بحث الإنسان عن سرّ الوجود، وطرح أسئلة الماوراء تحتاج من المرء أن يكون ملماً بالمعتقدات، وضروب العلم، وتاريخ الأديان؟ فهل يستطيع أساطين العلم اليوم أن ينتجوا لنا أدباً وشعراً كشعر المعلقات أو قريباً منها؟ إنّ طرح الأسئلة الكبرى المتعلقة بالوجود والمصير لا يلزم أن يكون المرء عارفاً بمذاهب الفلسفة ودهاليز العلوم، وإلا لما رأينا الطفل الصغير يسأل ببراعته بعضاً من تلك الأسئلة التي يبني الفلاسفة على أمثالها آراءً ومواقف فلسفية.

ثم هو يفسّر سائر المطالع والمقدمات على أنّها حنين إلى الماضي الجميل، ولنا أن نتساءل: ما الذي يدفعهم إلى ذلك الحنين؟ أهو بؤس الواقع المعاش، وانسداد منافذ السعادة حتى يبحث عنها في ركام الماضي المتفتت؟ أم هو عبثية الرجوع إلى الماضي الذي يخلو من المعنى؟ ربما يكون هذا التعليل يحظى بالقبول لو كان منصّباً على مقدمة أحد الشعراء، أما ونحن نتعامل مع كمّ هائل من الشعراء على اختلاف مقدماتهم، وتتوّع اهتماماتهم، وتباين مواطن سكتاهم، فدون إثبات ذلك خرق القناد، وهذا ما دفع يوسف اليوسف إلى أن يصف هذا الرأي بأنّه يعتمد على نظرة سطحية بعيدة عن الغور في أعماق النصوص^(١).

والجدير بالملاحظة أن الباحث حسين عطوان يُقرّ بمبدأ فردانية التجربة الشعرية، أعني أنّ لكل شاعر معاناته وخصوصيته، وهذا ما يتصادم مع طرحه المتقدّم الذي يتعامل مع سائر الشعراء في مقدماتهم، كما لو كانوا فرداً واحداً، فنراه يقول: " على الرغم من تشابه الصور العامة للمقدمة الواحدة عند أغلب الشعراء، فإنّ كل مقدمة منها تصوير وتعبير عن تجربة فريدة متميزة"^(٢).

إنّ إنعام النظر في الآراء النقدية المتقدمة، والتي حاولت أن تقدّم تفسيراً للمقدمة الطللية، يتضح أنّها تشترك في أمرين اثنين، أولهما: أنّها تعتمد في نظرتها على المقدمات من زاوية واحدة، إمّا وجودية، أو نفسية، أو اجتماعية، وثانيهما: أنّها تطرح سبباً واحداً لتعليل الظاهرة الطللية، لكننا نجد أنّ يوسف اليوسف يتخطى تلك العقبات، فيحاول تعليل الظاهرة متسلحاً بالمناهج النفسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والدراسات الأنثروبولوجية، فيستبعد أن يكون هناك سببٌ واحد هو المسؤول عن نشوء الظاهرة الطللية، وإثما يرى أنّها " توليف اندغامي للحظات

(١) مقالات في الشعر الجاهلي، ١٣٤.

(٢) مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي: ١١٥.

ثلاث، هي: التهّم الحضاري، والقمع الجنسي، وقحل الطبيعة^(١)، فالتهدم الحضاري إنّما يعني به أنّ الجاهلي لا يرى حركة في الأطلال إلا حركة الهدم، والإعدام، والتدمير التي تمارسها الطبيعة على سائر الموجودات، فالطلل يمثل " برهة التحول من الماضي إلى المستقبل، إذ هي تختزن الماضي كنفيس مباشر للحاضر، وكمطابق حميمي للمستقبل المأمول"^(٢)، كما أنّ شطراً من المجتمعات العربية كانت تعرف بـ (العرب البائدة)، كقوم عاد وثمود تعرضت لعقوبات إلهية، فأصبحت حضاراتهم أثراً بعد عين، وشواخص بنيانهم يطوف بها الجاهلي^(٣)، وتُروى له بعضاً من أخبار أهلها، فهو كما يبكي واقعاً حضارياً مستلباً، يتطلع لواقع حضاري ينتشله من حياة البداوة التي تطوق حياته.

وأما القمع الجنسي، فهو يرى أنّ الشاعر الجاهلي يعاني جراء ما تفرضه عليه المؤسسة الاجتماعية، من أعراف ومواضعات قمعاً جنسياً، وكبحاً للرغبة الجنسية (اللبيدو) التي يجد الشاعر لها متنفساً إشارياً في البرهة الطللية؛ لأنّ ذلك القمع والحرمان يتضارع مع ما تمارسه الطبيعة من تدمير على الأماكن، والأشياء، فالإنسان والمكان يقع تحت سطوة مؤثر خارجي^(٤).

وأما قحل الطبيعة، فيراه أحد الأسباب التي تشكل ظاهرة الطلل، فما تُركت المنازل، ولا هجرها أهلها إلا بحثاً عن مساقط الغيث، وانتجاع الكأ، ومعاني القحط، واليباس، والجذب التي لا ينسق معها عيش الإنسان واستيطانه هي التي تخيم على الديار التي هجرها أهلها، فأصبحت عرضة لعوامل التعرية، التي تعيد تشكيل المكان على غير ما كان عليه^(٥).

إنّ مناقشة رأي يوسف اليوسف تقتضي منا أن نقف أمام كل عامل من العوامل الثلاث التي رآها سبباً في تشكّل اللحظة الطللية، ولا نرى بأننا نبتعد عن الحقيقة إذا قلنا: إنّ الباحث كان مغالياً حين عدّ القمع الجنسي سبباً رئيساً في تشكّل البرهة الطللية، معتمداً في ذلك على التحليل الفرويدي، الذي يجعل من الكبت عاملاً من عوامل تولد الإبداع، والمسؤول عن كثير من الأنشطة الإنسانية، ولدراسة أي ظاهرة، لا بد - ابتداءً - أن نضعها في سياقها التاريخي،

(١) مقالات في الشعر الجاهلي: ١٩.

(٢) مقالات في الشعر الجاهلي: ١٤١.

(٣) جاء في سورة الأحقاف نبأ إهلاك قوم عاد، قال تعالى: ﴿فَمَا زَاوَةٌ عَارِضًا مُّسْتَقِيلًا وَاُودِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرٌ أَبْلٌ هُوَ مَا اسْتَعْطَمْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ تَدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَكُكُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [الآيات: ٢٤، ٢٥].

(٤) مقالات في الشعر الجاهلي: ١٤٢.

(٥) م. ن: ١٤٣ - ١٤٤.

ففي عصر صدر الإسلام - وهو أقرب العصور إلى العصر الجاهلي زمنياً- أحاط الإسلام المرأة بأسيجة منيعة، فحرم الاتصال غير المشروع بين الرجل والمرأة، وحرم اتخاذ الأخدان، وأنواعاً من الزيجات التي كانت شائعة في العصر الجاهلي^(١)، ولم يترك منفذاً للغريزة إلا عن طريق الزواج الشرعي، والتسري، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأُزْوَاجِهِمْ حَفْظُونَ﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَرْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنْ أبتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ [المؤمنون: ٥-٧]، فسلوك غير هذين السبيلين يعدّ تعدياً على حدود الله ﷻ، كما أنّ المحافظة على الأعراض مطلب شرعي، تُبذل في سبيله المهج والأرواح^(٢)، ومع كل تلك الحواجز التي وضعها الإسلام، أمام حرية الوصول إلى المرأة، لا نجد للمقدمة الطللية حضوراً كالذي نجده عند الشعراء الجاهليين، وهذا ما يجعلنا نستبعد أن يكون القمع الجنسي أحد أسباب نشوء الظاهرة الطللية، والباحث من أجل تدعيم رأيه أكثر من الاستدلال بامرئ القيس، وهذا من الغرابة بمكان، فلا يخفى على يوسف اليوسف أنّ امرأ القيس منقرّد عن سائر الشعراء في علاقته بالمرأة، فجّلّ الشعراء له محبوبة يروم وصالها، لكن الملك الضليل له مغامرات مع نساءٍ عدّة، وقد علل الباحث أنّ كثرة النساء في أشعار امرئ القيس إنّما تعكس "

(١) قالت عائشة رضي الله عنها: " إنّ النكاح في الجاهلية كان على أربعة أنحاء، فنكاح منها نكاح النَّاس اليوم، يخطب الرجل إلى الرجل ولّيته أو ابنته، فيصدقها، ثم ينكحها. ونكاح آخر، كان الرجل يقول لامرأته إذا طهرت من طمثها: أرسلني إلى فلان فاستبضعي منه، فيعتزلها زوجها، ولا يمسه أبداً حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه، فإذا تبين حملها أصابها زوجها إذا أحب، وإنما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد، فكان هذا النكاح نكاح الاستبضاع. ونكاح آخر: يجتمع الرهط ما دون العشرة، فيدخلون على المرأة، كلهم يصيبها، فإذا حملت ووضعت، ومر عليها ليال بعد أن تضع حملها، أرسلت إليهم، فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع، حتى يجتمعوا عندها، تقول لهم: قد عرفتم الذي كان من أمركم وقد ولدت، فهو ابنك يا فلان، تسمي من أحببت باسمه فيلحق به ولدها، لا يستطيع أن يمتنع به الرجل، ونكاح رابع: يجتمع الناس الكثير، فيدخلون على المرأة، لا تمتنع ممن جاءها، وهن البغايا، كن ينصبن على أبوابهن رايات تكون علما، فمن أرادهن دخل عليهن، فإذا حملت إحداهن ووضعت حملها جمعوا لها، ودعوا لهم القافة، ثم ألحقوا ولدها بالذي يرون، فالتاط به، ودعي ابنه، لا يمتنع من ذلك «فلما بعث محمد ﷺ بالحق، هدم نكاح الجاهلية كله إلا نكاح الناس اليوم". صحیح البخاري، الإمام البخاري، رقم (٥١٢٧).

(٢) " ... ومن قُتل دون أهله فهو شهيد". سنن أبي داود، حديث رقم (٤٧٧٢).

أزمة جنسية عميقة" (١)، ولو كان الأمر كما قال، فما الذي أوصل امرأ القيس إلى هذا العدد من النسوة؟ إن ذلك إن دلّ على شيء إنّما يدل على امتلاكه حرية في الوصول إليهنّ، لا سيما أنّه ابن ملك تزوم النساء وصاله، هذا فضلاً عن أنّ نساء قومه - بناءً على المصادر التاريخية- كُنّ يتمتعن بشيء من الحرية لم تعهد عن النساء في ذلك العصر (٢)، وأما استدعاء التأريخ بحضارته المستلبة، ربما يكون هما لدى بعض الشعراء، أمّا أن يكون ظاهرة بين الشعراء على تباعد أصقاعهم، واختلاف مساكنهم بين حضري وبدوي، فأمر يصعب قبوله، فلا ريب أننا سنجد من الشعراء من ينعي تلك الحضارات بصريح العبارة، لا على سبيل التلميح والرمزية، وأمّا قحل الطبيعة، فواقع تجسّده مشاهد الحياة، ولعلنا نبسط فيه القول عند رؤيتنا لمفهوم الطلل.

ويرى الدكتور نوري حمودي القيسي، في مقال نشره سنة ١٩٧٣م، أنّ اللحظة الطللية إنّما هي عتبة لخلق الجو الشعري لما يرتبط بها من معاناة فيها بكاء على الحياة، وتجسّد حرمان الشاعر من الأوطان، وحالة النزوح والترحال، وينتهي إلى أنّ " العواطف المنفعلة التي ألهبته مشاعر الحنين لم تكن اعتباطية عند الشاعر الجاهلي على الرغم من الحالة الشعورية التي يعانها وهو في مثل هذه اللحظات الفلقة، وإنّما هي مشاعر منسّقة، وعواطف مرتّبة، يُحسن الشاعر ترتيبها، ويحافظ على اتصال خيوطها المحكمة الربط، ويحاول أن يجعلها خاضعة لقوة عقله الواعي المنسّق، الذي اقتفى في بناء القصيدة منهجاً متعارفاً، ومتفقاً عليه بين الشعراء" (٣).

وينحى الدكتور نصرت عبد الرحمن منحاً أسطورياً دينياً في تفسير ظاهرة الطلل، فيرى أنّ المرأة هي بؤرة الطلل، وقطب رحاها، فعند رحيلها تصيح الديار قفراً، فهي ربّة الجاهليين، والمرأة هي الشمس، والشعراء عندما يبكون الطلل إنّما يبكون الشمس التي رحلت، وهي معبودة الجاهليين (٤).

(١) مقالات في الشعر الجاهلي: ١٧٦.

(٢) روى ابن هشام، نقلاً عن ابن اسحاق أنّ عبد المطلب لما فادى ولده عبد الله بمائة من الإبل، سار بولده، فمرّ بامرأة من بني أسد وهي عند الكعبة، فقالت له حين نظرت في وجهه عبد الله: أين تريد؟ قال: مع أبي، = فقالت: لك مثل الإبل التي تُحرثُ عنك وَقَعُ عليّ الآن. قال: أنا مع أبي، ولا أستطيع خلفه ولا فراقه. السيرة النبوية لابن هشام: ١/ ١٥٦.

(٣) لوحة الطلل في القصيدة الجاهلية، مجلة أقلام، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، العدد (١١) السنة الثامنة، سنة ١٩٧٣م: ٣٨ - ٣٩.

(٤) الصورة الفنية في الشعر الجاهلي، نصرت عبد الرحمن: ١٢٧ - ١٣١.

ويطرح أنور أبو سويلم رأيه، فيرى أنّ " الوقفة الطللية أنموذج فني جماعي، يبرز فيها التراث والتقاليد، والأساليب المتوارثة، وتعبّر عن طقوس وشعائر تصدر عن عقل الأمة وضميرها، لا عن حالة فردية خاصة" (١)، ويتصل المشهد الطللي عنده بفكرة المطر الذي يشكّل -في رأيه- محوراً رئيساً في مشهد الطلل، فرحيل المطر هو رحيل الخصب، وما يعقبه من خراب وقحل للطبيعة (٢).

وفي سياق تحليلي عميق لنصوص جاهلية متنوعة، يرى كمال أبو ديب أنّ وقوف الشعراء على الأمكنة ليس لذاتها، وإنّما باعتبار " التجسيد الرمزي الأعمق دلالة لفاعلية الزمن: لزمنية الوجود، ولعملية التغير التي تكشف عن هشاشة الكائن ومأساوية الشرط الإنساني" (٣)، كما تتجلى في الوقت ذاته روح المقاومة الكامنة في جوهر الموقف الإنساني، فالطلل يجسّد تجربة الإنسان الجاهلي من حيث وعيه بهشاشة الوجود، وخضوعه لفاعلية الزمن المدمر، وبالرغم من ذلك كله يقف الشاعر محيياً للرسوم البالية، وفي ذلك لغة ضدية باهرة (٤).

وقبل أن ندلي برأي في فهم الظاهرة الطللية، لا بد من تسليط الضوء على بعض القضايا التي نراها من الأهمية بمكان، تكون بمثابة مقدمات تعين على فهم الظاهرة، والإحاطة ببعض أبعادها التي أضرب النقاد عنها صفحاً، إمّا لانشغال بعضهم بتأويلات بعيدة كما مرّ بنا، وإمّا لأنّ النصوص الجاهلية لم تحظّ بالعناية الكافية من التأمل والنظر، فالنصّ الجاهلي بنية لغوية ملغزة تشتمل على تراكيب ثرة المعاني، تسمح بقراءات متعددة من زوايا مختلفة.

فنقول ابتداءً: إنّ وقوف الشعراء في أماكن الطلل وتشخيصها، والبكاء عندها، واستيقاف الصبح، وذكر الطعائن، وارتحال الحبيبة، قد يوهم كل ذلك بادي الرأي أنّ المشهد الطللي مشهد واقعي، وكأنّ الشاعر يقف حقيقة عند تلك الرسوم، ويزرف الدموع وينتحب، لكن الحقيقة أنّ الرحلة لم تكن رحلة فيزيائية تنتقل فيها القبيلة من مكان إلى آخر، وإنّما هي رحلة أفرزتها مخيلة الشعراء، لا وجود لها في واقع الحياة، وفي دنيا الناس، ودور الخيال أنّ لا يكتفي بتصوير الأشياء الغائبة عن الحسّ، وإنّما يجري عليها عمليات معقدة من تركيب وتعديل واستحداث، لينجب من الواقع المحسوس واقعاً محايداً، لا يشترك مع الواقع المشاهد، إلا في الأسماء المجردة، بل لا يعدو أن يكون الواقع المحسوس إلا مجرد نقطة انطلاق لخلق واقع

(١) المطر في الشعر الجاهلي، أنور أبو سويلم: ١٣٣.

(٢) الصورة الفنية في الشعر الجاهلي، نصرت عبد الرحمن: ١٣٣.

(٣) الرؤى المقنعة - نحو منهج نبوي في دراسة الشعر الجاهلي، كمال أبو ديب: ٣٢١.

(٤) المصدر نفسه: ٣٢١.

جديد مفعم بالمشاعر والأحاسيس، وذلك من إبراز ما يعطي النصّ الشعري تفرداً عن سائر فنون القول، وما ذكر الأماكن وتشخيصها إلا محاولة لإسباغ شيء من الواقعية على واقع متخيل، أولسنا نرى الشعراء يخاطبون الطلل مخاطبة العقلاء؟ ذلك هو منطق الشعر، وتلك هي لغته التي لا تشترك فيها مع اللغة المعيارية.

وثمة إشارات متعددة في المقدمات الطللية، تدفعنا إلى هذا القول، فزهير بن أبي سلمى يقول في معلقته^(١):

أَمِنْ أُمِّ أَوْفَى دِمْنَةً لَمْ تَكَلِّمْ بِحَوْمَانَةٍ الدَّرَاجِ فَالْمُتَتَّمِ
دِيَارَ لَهَا بِالرَّقْمَتَيْنِ كَأَنَّهَا مَرَجِيْعُ وِشْمٍ فِي نَوَاشِرِ مِعْصَمِ

ويتفق معظم الشراح على أنّ (الرقمتين) هما حرتان، أحدهما قريبة من البصرة، والأخرى قريبة من المدينة^(٢)، فهل أنّ الشاعر استطاع الوقوف في الموضعين معاً مع ما بينهما من بُعد الشقة وطول المسير. فأين البصرة من المدينة؟ ويعضد ذلك أنّ التبريزي وثعلب أوردا كلمة الدار بصيغة الجمع "ديار لها...؛ مما يدل على أنهما موضعان منفصلان، فلا يستقيم والحالة هذه إلا أنّ يكون الوقوف متخيلاً. وعنترة حين يخاطب عبلة في معلقته يقول^(٣):

يَا دَارَ عِبْلَةَ بِالْجَوَاءِ تَكَلِّمِي وَعِمِي صَبَاحًا دَارَ عِبْلَةَ وَاسْلَمِي

والجواء " جمع جَوّ، وهو المطمئن من الأرض المتسع"^(٤)، فهو لا يسمّى مكاناً مشخصاً بعينه، وإنما يريد الأرض المنبسطة التي تضم في ثناياها ديار عبلة، فما يؤرق الشاعر هنا أثر السحق الذي تمارسه الطبيعة على المكان المطلق عبر دلالة ضدية، تجمع بين النقيضين، فأبي سلام يرفل به الطلل الذي يشكّل رمزاً للهدم والاندثار.

(١) شرح شعر زهير بن أبي سلمى، صنعة أبي العباس ثعلب، تحقيق: فخر الدين قباوة: ٦١.

(٢) شرح المعلقات السبع، أبو عبد الله بن الحسين الزوزني: ٧١؛ شرح المعلقات العشر،

التبريزي: ٢٠٣؛ شرح شعر زهير بن أبي سلمى، صنعة ثعلب: ٦١. على أنّ بعضهم ذكر في

الرقمتين أقوالاً أخرى، لكن الذي اعتمده جاء برواية الأصمعي، وذلك حسبناً.

(٣) شرح ديوان عنترة، الخطيب التبريزي: ١٤٨.

(٤) المصدر نفسه: ١٤٩.

ومثل هذا المعنى نلاحظه عند النابغة في قوله^(١):

أَمْسَتْ خَلَاءَ وَأَمْسَى أَهْلُهَا احْتَمَلُوا
أَخْنَى عَلَيْهَا الَّذِي أَخْنَى عَلَيَّ لَبِ

فسطوة الزمن المدمر الذي لا يحيل المكان العامر إلى آثار وبقايا فحسب، وإنما يعمد أيضاً إلى اندراس العلاقات الحميمة التي تمثل اللحظة اللذية عند الشاعر، والنابغة هنا يحاول إسباغ المنطقية على الزمن/ القانون، أو إلى قَدَمِ قانون الصيرورة التي يمارسها الزمن على الموجودات من خلال استحضار موقف ماضوي سحيق (لبد)، وهو نسر للقمان بن عاد، عمّر طويلاً، لكنّه وقع في نهاية المطاف ضحية للدهر.

وثمة أمرٌ آخر جدير بالملاحظة، وهو تعدد الأمكنة في البرهة الطللية، يعنون عن شمولية لسطوة الدهر المدمر، وما يمارسه على الأمكنة من تغيير وإعدام، فليس مكان الحبيبة وحده من يتعرّض للتغيير من بين الأمكنة الكونية التي تحيط به، فالحارث بن حلزة اليشكري يقول^(٢):

أَدْنَتْنَا	بَيْنَهَا	أَسْمَاءُ	رُبَّ	ثَاوٍ	يُمَلُّ	مِنْهُ	الثَّوَاءُ
بَعْدَ	عَهْدِ	لَهَا	بِبرْقَةٍ	شَمَا	ءَ	فَأَدْنَى	دِيَارِهَا
فَالْمُحْيَاةُ	فَالصَّفَاحُ	فَأَعْنَا	ق	فِتَاقٍ	فَعَاذِبُ	فَالْوَفَاءُ	
فَرِيَاضُ	الْقَطَا	فَأُودِيَةُ	الشُّرُ	بُبُ	فَالشُّعْبَتَانِ	فَالْإِبْلَاءُ	
لَا	أَرَى	مَنْ	عَهَدْتُ	فِيهَا	فَأَبْكِي	الدَّ	

فالشاعر هنا يبكي أمكنة متعددة (برقة شماء، الخلاء، المحياة، الصفاح، أعناق فتاق، عاذب، الوفاء، رياض القطا، أودية الشريب، الشعبتان، الإبلاء) أليس من الغريب أن يبكي الشاعر كل تلك الأمكنة؟ أو يُعقل أن تكون كلها أماكن لِقيا ووصال بين الحارث وأسماء؟ إن كانت كذلك، فهل يعقل أن يقف الشاعر أمام تلك الأمكنة مجتمعة في لحظة واحدة لبيكيها وينظم الأشعار؟ كل ذلك يدعونا إلى القول بأن الوقوف متخيّل لا حقيقي، فضلاً عن أن تعدد الأمكنة شاهد الشعراء على سطوة الزمن المدمر، الذي لا يستثني من الأماكن سهلاً، ولا جبلاً، ولا شعباً، ثم إن كثيراً من الشعراء لا ينفكون يؤكدون في ثنايا قصائدهم، والتي تصدر بمقدمات طللية، أن لا جدوى من البكاء على الرسوم وبقايا الديار، ولا طائل وراء هذا النحيب، فهو لا يعدو أن يكون وقوفاً عبثياً لا يحقق وصلاً، ولا يؤنس وحشة، لكنّه نوع من التنفيس

(١) ديوان النابغة الذبياتي: ١٠.

(٢) ديوان الحارث بن حلزة اليشكري: ٣٧.

عما يختلج في صدورهم، فامرؤ القيس - وهو من أوائل من بكى وشكى، واستوقف الصحب- يقول في معلقته^(١):

وَإِنَّ شِفَائِي عَبْرَةٌ إِنْ سَفَحْتَهَا فَهَلْ عِنْدَ رَسْمِ دَارِسٍ مِنْ مُعَوَّلٍ

ولبيد يقول^(٢):

فَوَقَفْتُ أَسْأَلُهَا وَكَيْفَ سَأَلْنَا صُمٌّ خَوَالِدٍ مَا يَبِينُ كَلَامُهَا

وسلامة بن جندل يقول^(٣):

وَقَفْتُ بِهَا مَا أَنْ تَبِينُ لَسَانِي وَهَلْ تَفْقَهُ الصَّمَّ الْخَوَالِدِ مَنْطِقِي

والحارث بن حلزة يقول^(٤):

لَا أَرَى مَنْ عَهَدْتُ فِيهَا فَأَبْكِي أَلْ حَيَوْمَ دَلَّهَا وَمَا يُحِيرُ الْبُعَاءُ

وبعيداً عن الإشارات هنا وهناك، إذا أردنا أن نتساءل بمنطق عقلي مجرد، هل أن القبيلة كلها ترحل - بما فيها الحبيبة- دون الشاعر ل يبقى منفرداً يبكي الديار، ويخاطب الرسوم؟ ومن المقرر أن الديار التي يرتحل عنها أهلها لا تصبح أطلاقاً إلا إذا مرت عليها مدد زمنية متعاقبة، قد تكون أياماً أو شهوراً، وقد تطول لتصل إلى عشرين حجة، كما هو حال الطلل عند زهير بن أبي سلمى^(٥). وجُلُّ هؤلاء الشعراء محبوباتهم من نساء قبائلهم، فهل يترك الشاعر من يحب مرتحلاً دون اللحاق به والتواصل معه؛ ل يبقى باكياً على آثار ديار كانت تسكنها؟ لا يستقيم ذلك إلا إذا كان وقوف الشاعر متخيلاً.

ومن الجدير بالملاحظة أيضاً أن ترى شعراء الجاهلية مع اختلاف أماكنهم، وتتوَع قبائلهم، وتباين اهتماماتهم، يلتزمون في مطالع قصائدهم نمطاً واحداً، كأنه بمثابة ميثاق اجتماعي، وعُرف جمعي، يتجاوز فيه الشعراء حدود الفردية، والنزوات الشخصية؛ ليعلموا أنهم

(١) ديوان امرؤ القيس: ١٦٦.

(٢) ديوان لبيد بن ربيعة العامري: ١٦٥.

(٣) ديوان سلامة بن جندل: ٣٥.

(٤) ديوان الحارث بن حلزة اليشكري: ٣٧.

(٥) شرح شعر زهير بن أبي سلمى: ١٨؛ والبيت هو:

وقفت بها من بعد عشرين حجة فلأياً عرفت الدار بعد توهم

كالأعضاء في رابطة مجتمعية، يتواضعون على ما يصدّرون به قصائدهم، ويلتزمون به من غير إلزام^(١).

وإذا ما عدنا إلى أقوال النقاد وما قدموه من تفسير للظاهرة الطليعية، فلا نجد قولاً أحرى بالقبول من تفسير كمال أبو ديب، من أنّها تعبير عن هشاشة الوجود، وسطوة الزمن المدمر؛ وذلك لأنّ الزمن هو العنصر الأساس في تشكيل الظاهرة، " ولأنّ المكان والإنسان بعدان من أبعاد الزمن فقط، فإننا لا نراهما إلا بوصفهما موضوعاً للتغير، فهما لا يتجليان إلا في لحظة التغير، أو في عملية التغير، هكذا يبرز المكان حيث يكون طلاً، أو لحظة رحيل الجماعة عنه، ويبرز الإنسان حين يسجل التغير سماته عليه"^(٢).

فاستجابة الشعراء لهذا التغير المستمر هي التي تجعلهم لا يتشبثون باللحظة الحاضرة وإن كانت مفعمة بالفاعلية واللذة؛ لأنّها لا تلبث أن تسحقها عجلة الزمن المدمرة، فنراهم يفرون إلى اللحظات الماضية، محاولين ابتعاثها كرموز للديمومية والثبات في ظل هشاشة الحياة، ووقوعها تحت سطوة الزمن، فمحاولة التموضع في الماضي هروباً من الواقع المههد ينم عن تأزم وقلق وجودي، يُشعر أحدهم أنّ هذا التغير يهدد وجوده؛ لذا فهو يحاول أن يحتمي بكل ما يراه منيعاً من المكان، كالجبال، والحجارة، والصخور، أو بالرموز التي توحى بالديمومية والبقاء، كالوشم والكتابة.

والقصائد التي تصدّر بمشهد ظلي تشتمل على موضوعات تجسّد الواقع الذي يعيشه الشاعر في مجتمعه وبيئته، كلوحة الصيد والطرْد، وكالمغامرات مع النساء، وكالفخر بالذات والقبيلة، إلى غير ذلك من الموضوعات التي تنبض بالحياة، فنحن إزاء ثنائية ضدية بين الماضي المقفر، والحاضر الممتلئ، فالقلق وجودياً يستحضر اللحظة الماضية التي تتطوي على أفعال ومغامرات أنجزت، وأمکن تكرارها في اللحظة الراهنة أو المستقبلية، فكأنّ الشاعر حين يرجع في الذاكرة إلى الماضي يستقي منه شحنة الانطلاق إلى معترك الحياة، فهو يدرك أنّ وجوده متناهٍ ومحدود، وعجلة الزمن تسرق منه اللحظات اللذية، ودائرة الإمكانيات رحبة واسعة أمام ناظره، فيبقى في تسارع مع الزمن، محملاً في وجه الموت، تارة يتأمل المصير المحتوم، وهو ما يمثل لحظة الطلل، ومندفعاً تارةً أخرى إلى الحياة بعزم مستمتعاً بما تهب له الحياة من متع وרגائب إذ: " إنّ العزم على الحياة والعمل ليس ممكناً إلا إن أدرك الإنسان أنّ وجوده محدد متناهٍ"^(٣).

(١) قراءة ثانية لشعرنا القديم، مصطفى ناصف: ٥٥.

(٢) الرؤى المقنعة: ٣٢٤.

(٣) الوجودية في الجاهلية: ١٦١.

إنّ العلاقات التي تربط اللحظة الطلالية بالموضوعات النابضة بالحياة والتدفق، هي ذات العلاقة التي تربط الحياة بالموت، فالموت ليس نقيضاً للحياة فحسب، وإنما هو البُعد الذي تستقي منه الحياة ديمومتها و " ليس صدفة أن تنزع اللغة العربية نحو تأنيث الحياة، وتذكير الموت، فمن فعل الموت في الحياة يتم التوالد المجدد للحياة" (١).

ولذا، لا نرى المقدمة الطلالية حاضرة بشكل كبير في قضية الرثاء، فموضوع الرثاء في منتصف دائرة الموت، والظلل ما هو إلا شواخص الفناء التي عصفت بها رياح الموت، فليس ثمة ما يدعو لمقدمة طلالية رمزية عن الموت والفناء إذا كان أثر الموت بارزاً للعيان في لحظة الفقد ورثاء الفقيد.

ومن هنا نرى تبايناً عند شعراء الجاهلية في استجابتهم للموقف الطللي، فيقينية الفناء لا تسري على المكان بالقدر الذي تجعل منه مؤشراً من مؤشرات الفناء التي تطال الإنسان، وما انتقال الإنسان بين الأمكنة إلا هروباً مما يسلب منه مقومات الحياة.

يقول النابغة الذبياني (٢):

عوجوا فحيوا لنعم دمنة الدار	ماذا تحيون من نوي وأحجار ؟
أقوى وأقفر من نعم وغيره	هوج الرياح بهابي الترب موار
وقفت فيها سراة اليوم أسألها	عن آل نعم أموناً عبر أسفار
فاستعجمت دار نعم ما تكلمنا	والدار لو كلمتنا ذات أخبار
فما وجدت بها شيئاً ألود به	إلا التمام وإلا مؤقد النار

تبدأ القصيدة بفعل أمر مسند إلى ضمير الجمع (عوجوا) فليس الشاعر من يقف على الظلل، وإنما يأمر الجماعة أن تمرّ بأثار الديار الدارسة، فكأنّ القوم غير مدركين لما يستشعره النابغة من فعل الزمن المدمر؛ لذا أرادهم أن يروا ذلك رأي العين، فهي عملية نقل التجربة من حيز الشعور الفردي إلى حيز الشعور الجمعي على أن هذا التخارج برهنة على عبثية اللقاء، فالدلالة الضدية تهيمن على البيت الأول، ما بين صدره وعجزه، بين إلقاء التحية على الرسوم واللاجدوى من ذلك، بين أنسنة المكان وعجزه عن الإجابة، وتصدير الشعور إلى الجماعة لا يخفف من وطأة الإحساس عند الشاعر؛ لذا نراه في البيت الثالث يخبر أنه قد وقف على تلك الأثار قبلاً، وبدقة شعوره أمكنه أن يرى ما لا يراه غيره من قوة السحق التي تمارسها الطبيعة على المكان وبقايا الإنسان بطريقة من التدمير هائلة، تتبدى عبر الفعلين (أقوى، أقفر) ووصف الرياح بأنها (هوج) فهي شديدة الهبوب كأنّ بها هوجاً تدمر كل ما أمكن تدميره، فلم

(١) بحوث في المعلقة: ٢٢.

(٢) ديوان النابغة الذبياني: ١٨ - ٢٠.

تذر خلفها إلا النوى والأحجار والتمايم، وموقد النار، على أنّ آلة التدمير هذه لم تطل ما تحمله الأمكنة من ذكريات جمّة لا حصر لها (والدار لو كلمت ذات أخبار) لكن الشاعر لا يكتفي بهذه الإشارة - وإن كانت إشارة مترعة بالمعاني - ليجعل أخبار الديار طي الكتمان، وإنّما يسبقها بالفعل المزيد (فاستعجمت) الذي يحمل بمفهوم المخالفة أنّها كانت قبلاً تحدث بما يقع من جنباتها من أنشطة نابضة بالحياة، فلمّا تركها أهلها أصابتها العجمة، فما عادت تقوى على الكلام ورد السلام.

إنّ استجابة الشاعر للبرهة الطللية استجابة فردية، يتكئ الشاعر فيها على ذاكرته، يتعزى بلحظات الأُنس التي كانت مترعة بالتواصل؛ إنّه نوع من الهروب إلى الماضي، وتتجلى المقابلة بين الطلل واستجابة الشاعر، بين قوة الدهور المدمرة للمكان، وبين محاولة الإنسان التشبث بالحياة ونعيمها، ولا غرابة أن يذكر اسم (نعم) هكذا مكرراً تسع مرات في القصيدة، فضلاً عن الضمائر التي تحيل إليها، و(نعم) هنا تمثّل النعيم المستلب، وفردوس الشاعر المفقود، فحين يتحدث عن لحظات ماضوية تعكس وصاله بنعم، وما كان يدور في خده، إنّ تلك اللحظات ستنتهي " والدهر والعيش لم يهيم بإمرار" لكن هذه الحقيقة المسلّمة عنده ما لبثت أن تصدعت وتلاشت أمام خطية الزمن وتبدل أطوار الحياة، فنراه في عجز البيت التاسع يقول: " والمرء يخلق طوراً بعد أطوار"، وبعد الإذعان لهذه الحقيقة نرى خطاب الشاعر هو الآخر قد أخذ بالتحوّل تبعاً لقناعته الجديدة، لينتقل موقف الوصال إلى الهجران، والعتاب، ففي البيت الذي يلي ما توصل إليه من قناعة يقول:

نبئتُ نعماً على الهجرانِ عاتبةً سَقِيّاً ورَعِيّاً لَذاكِ العاتِبِ الرّازي

لقد كان المتوقع من الشاعر أن يقابل عتاب الهجر بالوصال، أو الاعتذار، لكنّه هنا يكتفي بدعاء السقيا والاعشاب، ومن المعلوم في الشعر العربي أنّ طلب السقيا لا يكون إلاّ للأموات، وهذا إقرار من الشاعر بخطية الزمن التي تمنع عودة اللحظات اللذية التي غادرها في أزمنة غابرة، فكما أنّ الأمل منقطع بعودة الموتى إلى الحياة، فإنّ الأمل في الوصال لا سبيل إليه.

وإذا كانت استجابة النابغة للمشهد الطللي هروباً نحو الذكريات، فإننا نرى شاعراً آخر ينزع نحو أفعال فيزيائية ينترس بها لمواجهة سطوة الفناء، يقول عمير بن جعل التغلبي^(١):

أَلَا يَا دِيَارَ الْحَيِّ بِالْبَرْدَانِ خَلْتُ حَجَجَ بَعْدِي لَهْنٌ ثَمَانِ
فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا عَيْرٌ نُؤْيٍ مُهْدَمٌ وَغَيْرُ أَوَارٍ كَالرَّكِيِّ بِفَانِ
وَغَيْرُ حَطُوبَاتِ الْوَلَائِدِ دَعْدَعَتْ بِهَا الرِّيْحُ وَالْأَمْطَارُ كُلَّ مَكَانِ
فَقَارَ مَرْوَرَةً يَحَارُ بِهَا الْفَطَا يَظَلُّ بِهَا السَّبْعَانِ يَعْتَرِكَانِ

يخاطب الشاعر ديار الحيّ مخاطبة العقلاء ببياء النداء، لكن تقادم العهد على تلك الديار، حتى بلغ ثمانى حجج، أحدث نوعاً من النفور بين الشاعر وبين تلك الرسوم، لقد عاش قبلاً في سكرة وغفلة عن ذكر الديار لسنوات متعاقبة، وهذا ما استدعى انشطاراً للذات الشاعرة، فهو يعمد إلى التجريد، وخلق ذات أخرى، تذكر الأولى عبر أداة التنبيه (ألا) فالأولى ذاتٌ فيزيائية واقعية، تبحث عما يقيم لها أود الحياة، فتهجّر دياراً وتقتن أخرى، والثانية ذاتٌ تتكئ على الذاكرة، وتنتخب من الحياة لحظاتها اللذية التي تحفل بالتواصل وطيب اللقاء، وتبكي دياراً مقفراً طالما كانت مراتع الصبا، ونشوة الامتلاء، لكن قانون الصيرورة بفعل الرياح والأمطار، وعوامل التعرية الأخرى أحالت ذلك المكان إلى خواء كبير، ومكان فسيح مقفر لا يجد الواقف فيه دليلاً أو معلماً يهتدي به، يجسد ذلك قوله: (يحار بها القطا)، و" هذا إمعان في وصف اليباب الهائل وإسقاط من ذات الشاعر على الموضوع"^(٢)، فخواء المكان يعكس خواء الذات الشاعرة ورعبها من المصير الذي يستهدف وجودها عبر المكان، تلك الحقيقة التي وإن تشاغل عنها الشاعر لثمان حجج، إلا أنّ عمق الإحساس بالفناء يجذبه إلى ميدان الصراع؛ ليقطع عنه غفلته، ولعلّ صور السّبُعِين اللذين يعتركان تصور عمق المأساة التي تخيم على الشاعر، فهما ينسجان ويخيطان على جسديهما فُمصاً يكتسيان بها، لكنّها لا تعدو أن تكون أسماطاً بالية، لا تكسو جسداً، ولا تكسبه رونقاً وجمالاً، فالحياة لا تهب الإنسان حياةً مترعة بالنشوة، وإنما تعطيه فضول ما تملك (أسماطاً)؛ لذا كان لزاماً على الشاعر أن يخوض معركة الحياة بنفسه، وما افتخار الشاعر بنفسه إلا تأكيد للفردانية في مواجهة الفناء، فعجز الشاعر عن مواجهة قوى السحق التي أحالت المكان العامر إلى يباب تدفعه إلى ميدان آخر، وهو ميدان الصراع بين الإنسان وأبناء جنسه، فإذا كان في الميدان الأول لا يجد سلاحاً إلا عبر فعل التذكر للحظات النابضة بالحياة، فإنّه في الميدان الآخر يعدّ العدة، ويستجمع ما

(١) المفضليات، اختيار أبو العباس المفضل الضبي: ٢٥٨ - ٢٦٠.

(٢) مقالات في الشعر الجاهلي: ١٨١.

أمكن من سلاح، لا في اللحظة الراهنة فحسب، وإنما تحسباً لما يخفيه المستقبل (رهبة الحدثان) فهو يحاول أن يجعل من نفسه شديد البأس، قوي الشكيمة في مقابل مشهد الاندثار والفناء الذي يحيط بالمكان.

وقد لا نجد كثيراً من الشعراء يقف شاخصاً في مواجهة قوى الطبيعة، وإنما يعتمد إلى الخارج أو خرجة التجربة الفردية من محيطها الإنساني، إلى عوالم أخرى يشكّل عالم الحيوان الشاخص الأبرز بين تلك العوالم، لا لأنها مجرد معطيات بيئية يتعامل معها في واقعة المعاش، وإنما لعمق الارتباط بين العربي، وبين تلك الكائنات، فهذا المرقش الأكبر يقول في ميميته^(١):

هَلْ تَعْرِفُ الدَّارَ عَفَا رَسْمُهَا إِلَّا الأَثَافِيَّ وَمَبْنَى الخِيَمِ
أَعْرِفُهَا دَاراً لَأَسْمَاءَ فَالِدِ دَمْعٌ عَلَى الخَدَّيْنِ سَحٌّ سَجْمِ
أَمْسَتْ خَلَاءَ بَعْدَ سَكَانِهَا مُفْفَرَةً مَا إِنْ بِهَا مِنْ إِرْمِ
إِلَّا مِنْ العَيْنِ تَزَعَى بِهَا كَالفَارَسِيِّنَ مَشَوَا فِي الكُمِّ
بَعْدَ جَمِيعِ قَدِ أَرَاهُمْ بِهَا لَهُمْ قِبَابٌ وَعَلَيْهِمْ نَعْمِ
فَهَلْ تُسَلِّي حُبَّهَا بَازِلٌ مَا إِنْ تُسَلِّي حُبَّهَا مِنْ أَمِّ

إنّ ابتداء القصيدة باستفهام إنكاري يشعر المتلقي أنّ هناك طرفي خطاب بينهما تباين في الرؤى أو المواقف، لكن المفارقة أنّ الشاعر هو السائل، وهو المجيب، مجرد من نفسه ذاتاً أخرى، يبثها أحزانه وأشجانه، فالأولى تنظر بالعين الجارحة، فلا ترى من الخلاء المقفر إلا الأثافيّ وبقايا الديار، والثانية ذاتاً إنسانية مترعة بالإحساس لا تغنيها شواخص المكان بشي إذا ما جرد عن ساكنيه، والملاحظ أنّ هناك هلعاً يهيمن على الشاعر عند رزء المكان، يتجلى ذلك في المفارقات الضدية التي تهيم على فضاء النصّ، مما يعكس حدة التوتر والقلق المتصاعد، فالأرض الخلاء التي يقف الشاعر عندها متفاعلاً عبر استجابة البكاء المرير، تخلو من معالم الحياة الإنسانية، لكنّها تحفل بحياة من نوع آخر، وهي حياة الحيوان الذي يرعى في ربوعها، وقوى السحق التي مورست على ديار أسماء لم تستطع أنّ تتغلب على مبنى الخيم، ولفظة (مبنى) تقف بالصد من الاندثار والعفاء، والصدية الزمنية بين الماضي والحاضر تعكس هي الأخرى الشرخ العميق الذي يعاينه الشاعر، فالحاضر مترع بالسكونية النسبية من أثر التدمير، والماضي متفجّر بالحركة حين اجتماع القوم في قبابهم، بكل ما تحمله كلمة (قباب) من سمو، ورفعة، ومنعة، في وجه قوى التغيير التي يمارسها

(١) ديوان المرقشين: ٧٣ - ٧٤.

الزمن على الموجودات، فضلاً عن التملك والنعيم (وعليهم نعم) الذي يشكّل جزءاً رئيساً من أسباب الوجود الإنساني، وضدية الإحساس التي تختلج في نفس الشاعر، بين البكاء والخوف الناتج عن الفقد والتسلي، ومحاولة القفز على الألم المأساوي، الذي لا يستطيع الزمن محوه، وإنّ تقادم عليه العهد، وتناولت عليه الأيام والسنون، لكن الشاعر لا يبقى في مواجهة الفناء حبيس ذاكرته، وإنّما يعمد إلى التخارج وتصدير المعاناة إلى عالم الحيوان، والناقة هنا تشكّل محوراً رئيساً من محاور النصّ، بل هي الشاعر نفسه، وما اتصافها بكل معاني القوة والمنعة إلا لمواجهة قوى التدمير التي تمارس على الطبيعة، فهي عرفاء مشرفة كالفحل؛ لعظم خلقها، وسمينة تقوى على مواجهة قحل الطبيعة واليباب، فتارةً يشبهها بالجمل الهباب الذي يعدو مسرعاً كالريح، وأخرى يشبه سنامها بالجبل الشاخص (كالإرم)، والجبل والحجارة يكثر ذكرها عند شعراء الجاهلية يحتمون بها من سطوة الدهر المدمر.

الخاتمة

- إنّ وقوف الشعراء في أماكن الطلل وتشخيصها، والبكاء عندها، واستيقاف الصحب، وذكر الطعائن، وارتحال الحبيبة، قد يوهم كل ذلك بادي الرأي أنّ المشهد الطللي مشهد واقعي، وكأنّ الشاعر يقف حقيقة عند تلك الرسوم، ويذرف الدموع وينتحب، لكن الحقيقة أنّ الرحلة لم تكن رحلة فيزيائية تنتقل فيها القبيلة من مكان إلى آخر، وإنّما هي رحلة أفرزتها مخيلة الشعراء، لا وجود لها في واقع الحياة، وفي دنيا الناس.
- إنّ القصائد التي تصدّر بمشهد طللي تشتمل على موضوعات تجسّد الواقع الذي يعيشه الشاعر في مجتمعه وبيئته، كلوحة الصيد والطرْد، وكالمغامرات مع النساء، وكالفخر بالذات والقبيلة.

ثبت المصادر

- ❖ آليات الخطاب النقدي العربي الحديث في مقارنة الشعر الجاهلي، محمد بلوحي، منشورات اتحاد الكُتّاب العرب، دمشق، ٢٠٠٤م.
- ❖ بحوث في المعلقات، يوسف اليوسف، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٨٧م.
- ❖ تاريخ النقد الأدبي عند العرب، نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري، إحسان عباس، ط٤، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ١٩٨٣م.
- ❖ دراسات في الشعر الجاهلي، يوسف خليف، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د.ت.
- ❖ ديوان الحارث بن حلزة البشكري، جمعه وحققه وشرحه: إميل بديع يعقوب، ط١، دار الكتاب العربي بيروت، ١٩٩١م.
- ❖ ديوان المرقشين، تحقيق: كارين صادر، ط١، دار صادر، بيروت، ١٩٩٨م.
- ❖ ديوان النابغة الذبياني، شرح وتقديم: عباس عبد الستار، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ت.
- ❖ ديوان امرئ القيس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٥، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٠م.
- ❖ ديوان سلامة بن جندل، صنعة محمد بن الحسن الأحول، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٤م.
- ❖ ديوان ليبد بن ربيعة العامري، ط١، دار صادر، بيروت، د.ت.
- ❖ روح العصر (دراسات نقدية في الشعر والمسرح والقصة) عز الدين إسماعيل، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ١٩٧٨م.
- ❖ الرؤى المقنعة نحو منهج بنيوي في دراسة الشعر الجاهلي، كمال أبو ديب، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م.
- ❖ سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، د.ت.
- ❖ السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، ط٢، دار الوفاق، لبنان، ١٩٥٥م.
- ❖ شرح المعلقات العشر، التبريزي، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، ١٩٨٣م.
- ❖ شرح ديوان عنتر، الخطيب التبريزي، قدّم له ووضع هوامشه وفهارسه: مجيد طرّاد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ٢٠٠٤م.
- ❖ شرح شعر زهير بن أبي سلمى، صنعة أبي العباس ثعلب، تحقيق: فخر الدين قباوة، ط١، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٢م.

- ❖ الشعر والشعراء، ابن قتيبة، تحقيق وشرح: أحمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، مصر، د.ت.
- ❖ صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، ط٢، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ١٩٩٩م.
- ❖ الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث، نصرت عبد الرحمن، مكتبة الأقصى، عمّان، الأردن، ١٩٧٦م.
- ❖ الطلل في النصّ العربي (دراسة في الظاهرة الطللية مظهراً للرؤية العربية)، سعد حسن كموني، ط١، دار المنتخب العربي، بيروت، لبنان، ١٩٩٩م.
- ❖ العمدة في محاسن الشعر وأدابه، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، ط٥، دار الجيل للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨١م.
- ❖ عيار الشعر، محمد بن طباطبا العلوي، تحقيق وتعليق: طه الحاجري ومحمد زغول سلام، د.ت.
- ❖ قراءة ثانية لشعرنا القديم، مصطفى ناصف، ط٢، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨١م.
- ❖ لوحة الطلل في القصيدة الجاهلية، نوري حمودي القيسي، مجلة الأقاليم، وزارة الإعلام، بغداد، العدد ١١، السنة الثامنة، ١٩٧٣م.
- ❖ المطر في الشعر الجاهلي، أنور أبو سويلم، ط١، دار عمار للنشر والتوزيع، عمّان الأردن، ١٩٨٧م.
- ❖ المفضليات نخبة من قصائد الشعراء المقلين في الجاهلية وأوائل الإسلام، اختارها أبو العباس المفضل بن محمد الضبي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠١٨م.
- ❖ مقالات في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام، عدنان أحمد، ط١، دار المركز الثقافي للطباعة، دمشق، ٢٠٠٧م.
- ❖ مقالات في الشعر الجاهلي، يوسف اليوسف، ط٤، دار الحقائق، بيروت، لبنان، ١٩٨٥م.
- ❖ مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي، حسين عطوان، دار المعارف، مصر، ١٩٧٠م.
- ❖ الوجودية في الجاهلية، فالتر بروانه، مجلة المعرفة السورية، السنة الثانية، العدد الرابع.
- ❖ الوجودية، جون ماكوري، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨٢م.

الزمان في السرد الرسائل - رسائل محمود درويش وسميح القاسم أنموذجاً -

Time in the epistolary narrative

"The letters of Mahmoud Darwish and Sameh Al Qasim as pattern"

Sajja Ibrahim Younis

سجى ابراهيم يونس

Dr. Hisham Mohammed

د. هشام محمد عبدالله

Abdullah

أستاذ

professor

University of Mosul - College

جامعة الموصل - كلية التربية للعلوم

of Education for Human

الإنسانية - قسم اللغة العربية

Sciences - Department of

Arabic Language

Hisham-phdart@uomosul.edu.iq

تاريخ القبول

تاريخ الاستلام

٢٠٢١/١١/٢

٢٠٢١/٩/٥

الكلمات المفتاحية: الزمان - السرد - محمود درويش - سميح القاسم - الرسائل

Keywords: Time - narration - Mahmoud Darwish - Samih al-Qasim - letters

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى البحث في ماهية الزمان وتقنياته بوصفه أحد أهم عناصر الأسلوب القصصي، وتم اختيار كتاب الرسائل الذي يضم مجموعة من الرسائل المتبادلة بين محمود درويش وسميح القاسم ميداناً للبحث، لما تمثله هذه الرسائل من دور هام في بناء الخطاب السردي، ومن المعروف أن الفنون السردية هي من أكثر الفنون إلتصاقاً بالزمان، وبدوره يُعد الزمان محوراً هاماً في بناء النص السردي، وكذلك فهو يُسهم في اثراء النص بتقنيات فنية وجمالية تزيد من متعة قراءة النص والتي تنتج بفعل التلاعب بالزمان، وكانت هذه الرسائل ميداناً سردياً جديداً نستطيع من خلاله تطبيق هذه التقنيات عليه، حيث كانت الرسائل مفعمةً بها .

Abstract

The aim of this study is to investigate what is time and its techniques as one of the most important elements of narrative style. The letter book was chosen, which includes a set of letters exchanged between Mahmoud Darwish and Samih al-Qasim as a field for research, because these letters represent an important role in the construction of narrative discourse. It is known that narrative arts are among the most stuck in time . In turn, time is an important focus in the construction of narrative text, So it is contribute to enriching the text with artistic and aesthetic techniques that increase the enjoyment of reading text, Which actually produces the manipulation of time. Those Messages were A new narrative field In Which we Can by Applying Those Technologies to it, Where the messages are full of it.

أولاً : مفهوم الزمان

لطالما شغل الزمان فكر الإنسان منذ بدء الخليقة ليومنا هذا، لأنه متعلق بوجوده داخل هذا الكون، فكل ما نراه حولنا من أحياء تتحرك وأحداث تحدث لا بد ولها من زمن تُوثق فيه، زمن محدد لتلك الحركة ولذلك الحدث، هو ذلك الزمن الذي عشناه في الماضي والذي نعيشه في الحاضر والذي يأخذنا نحو المستقبل بحركة وتجدد، لذلك كان ولا يزال موضع اهتمام الإنسان " فلا شيء البتة يهيمن على وعي الانسان وأحاسيسه وعلى مشاعره معاً مثل الزمان " (١). فحياة الإنسان ووجوده واستمراره إلى حين موته كلها ترتبط بالزمان، لذلك سيطر على وعيه وأفكاره وسعى الإنسان إلى البحث والاستقصاء عن ماهيته وعن الكيفية التي يسير بها .

١ - الزمان في اللغة :

جاء معنى الزمن في اللغة على أنه " أ زمن الشيء: طال عليه الزمان " (٢)، وجاء معناه في معجم آخر الزمن هو " العصر، واسمان لقليل الوقت وكثيره ج : أزمان وأزمنة وأزمن " (٣)، أما في لسان العرب فالزمنة المشتقة من الزمان تعني : البرهة أي مدة من الزمن، وأقام زمنة أي زمناً، ولقيته ذات زمين أي في ساعة لها اعداد وهذا معناه ترخي الوقت، وكذلك الزمان يقع على جميع الدهر وبعضه (٤).

٢ - الزمان في الفلسفة

يشكل الزمان قضية اشكالية شغلت الفلاسفة والمفكرين وحاولوا معالجتها على مدى عصورٍ طويلةٍ، فالفلاسفة اليونانيين أول من بحث في مقولة الزمان وماهيته، فلقد " زعم أرسطو أنّ الزمان مقدار حركة الفلك الأعظم، وذلك لأنّ الزمان متفاوت زيادةً ونقصاناً " (٥)، أما من ناحية أزلية الزمان فيرى أفلاطون " أنّ الزمان ليس أزلياً لأنه مخلوق وقد صنعه الصانع مع السموات " (٦)، فنرى أنّ أفلاطون قد " جعل للزمان بدءاً، لأنه يقول أنّه جاء إلى الوجود مع

(١) الزمان والفلسفة والعلم، يمنى طريف الخولي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، ١٩٩٩ : ٥.

(٢) كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ترتيب وتحقيق : عبد الحميد هندواي، الجزء الثاني، دار الكتب العلمية، ط١ بيروت، ٢٠٠٣ : ١٩٥.

(٣) القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، اشراف : محمد نعيم العرقسوسي، الرسالة للطباعة والنشر، ط٨، بيروت، ٢٠٠٥ : ١٢٠٣.

(٤) ينظر : لسان العرب، ابن منظور، المجلد الثالث عشر، د . ط، بيروت، د.ت : ١٩٩.

(٥) المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانكليزية واللاتينية، جميل صليبا، الجزء الأول ، دار الكتاب اللبناني، د. ط، بيروت، ١٩٨٢ : ٦٣٦.

(٦) الزمان الوجودي، عبد الرحمن بدوي، دار الثقافة، ط٣، بيروت، ١٩٧٣ : ٥٣ - ٥٤ .

السماء^(١)، لكن أرسطو له رأي مخالف لرأي أفلاطون فهو يقول: " أنَّ الزمان لم يكن له بدء في الوجود بل كان ولا يزال باستمرار .."^(٢).

أما الفلسفة الحديثة فترى أنَّ الزمان هو " وسط لا نهائي غير محدود، شبيه بالمكان، تجري فيه جميع الحوادث، فيكون لكل منها تاريخ، ويكون هو نفسه مدركاً بالعقل إدراكاً غير منقسم سواء كان موجوداً بنفسه كما ذهب إلى ذلك (نيوتن) و(كلارك)، أو كان موجوداً في الذهن فقط كما ذهب إلى ذلك (لينييز) و(كانت) "^(٣)، فكانت يربط الزمان بالإحساس فيقول أنه " شكل من شكول الحساسية الإنسانية، أي لا يرجع إلا إليها؛ فلا يمكن أن تظهر الأشياء لنا في التجربة الحسية إلا على هيئة الزمان "^(٤)، أما الفيلسوف الفرنسي هنري برجسون فإنه " حاول أن يدرك الزمان في سيلانه الدائم، وأن يبعد عنه كل ما يشعر بالثبات، خصوصاً ما في فكرة الزمان من آثار لفكرة المكان "^(٥)، وبذلك نكون قد أوردنا أبرز الآراء الفلسفية القديمة والحديثة التي قيلت في الزمان .

٣ - الزمان في الأدب

للزمن علاقة وطيدة بالأدب ولأهميته "يذهب بويون إلى حد أن جعل فهم أي عمل أدبي متوقفاً على فهم وجوده في الزمن "^(٦). فمن خلال كل نص أدبي نستطيع التعرف على العصر الذي كُتِب فيه وأحواله والعكس صحيح فعندما نقول أنَّ ذلك العصر كان مظلماً سنعرف أنَّ هذا الكلام سيكون منعكساً على آداب هذا العصر. لأن " النص يشكّل في جوهره، وياعتراف الجميع، بؤرة زمنية متعددة المحاور والاتجاهات " ^(٧).

والزمن أصبح بنية مستقلة قائمة بذاتها وأهميته تكمن في كونه متعدد الوظائف فلم يعد مجرد خيط وهمي يربط الأحداث مع بعضها، ويشكل علاقة الشخصيات، لذلك ما كان من الروائيين

(١) الزمان الوجودي، عبد الرحمن بدوي، دار الثقافة، ط٣، بيروت، ١٩٧٣: ٥٤.

(٢) المصدر نفسه: ٥٤.

(٣) المعجم الفلسفي، جميل صليبا: ٦٣٧.

(٤) الزمان الوجودي، عبد الرحمن بدوي، دار الثقافة، ط٣، بيروت، ١٩٧٣: ١١٢.

(٥) المصدر نفسه: ٩٢.

(٦) بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية)، حسن بحراوي، المركز الثقافي العربي،

ط١، بيروت، ١٩٩٠: ١١٠.

(٧) المصدر نفسه: ١١٣.

إلا أن يوجهوا انظارهم إليه، فحاول الكثير منهم اللعب بالزمن وإيقاعه. (١)
والزمن السردى هو "مجموعة العلاقات الزمنية: السرعة، الترتيب الزمني، المساحة، القائمة بين
المواقف والأحداث المروية وسردها بين القصة والخطاب، المروي والسرد" (٢)
وإذا ما أردنا معرفة ماهية الزمن السردى عن كثب فإننا سنبدأ بقول تودوروف حيث يقول : "
في القصة يمكن لأحداث كثيرة أن تجري في آن واحد ولكن الخطاب ملزم بأن يرتبها ترتيباً
متتالياً يأتي الواحد منها بعد الآخر، فزمن الخطاب زمن خطي، في حين أن زمن القصة هو
زمن متعدد الابعاد" (٣).

ثانياً : أنواع الزمن السردى

يصنف النقاد الزمان في الروايات والقصص إلى نوعين :

الأول : زمن الحكاية (القصة) :

"هو الزمن الحقيقي أو المتخيل الذي تدور فيه أحداث القصة المروية، فالحقيقي موجود في
السيرة الذاتية والمذكرات والرحلات فالأحداث تكون حقيقية أو مقدمة على أنها حقيقية أما
أجناس السرد التخيلي تكون أحداثها متخيلة غير واقعية" (٤)، وأنه "من الضروري أن يكون
هذا الزمن خاضعاً للتتابع المنطقي للأحداث" (٥). وكذلك الحال بالنسبة للسرد السير ذاتي ذي
الشكل الرسائلي، حيث وجدنا أنّ النص الذي ندرسه قد التزم بهذا المنطق يتطابق فيه زمن
الحدث واقعيًا وزمن حكاية هذا الحدث، فقد كان زمن كتابة الرسائل بين محمود درويش
وسميح القاسم محددًا خلال سنتين فالرسالة الأولى ١٩٨٦/٥/١٩ والأخيرة ١٩٨٨/٧/٢٦
زمنًا واضحاً ومحددًا وقد التزم الكاتبان بتتابع إرسال رسائلهما فكل رسالة كانت تليها رسالة
بعد عدة أيام بتتابع زمني وصولاً إلى الرسالة الأخيرة .

(١) ينظر : في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، عبد الملك مرتاض،، عالم المعرفة،
د. ط، الكويت، ١٩٩٨ : ١٩٣.

(٢) قاموس السرديات، جيرالد برنس، ترجمة: السيد إمام، ميريت للنشر والمعلومات، ط١،
القاهرة، ٢٠٠٣ : ١٩٨.

(٣) طرائق تحليل السرد الأدبي، دراسات، مجموعة مؤلفين، منشورات اتحاد كتاب المغرب،
ط١، الرباط، ١٩٩٢ : ٥٥ .

(٤) معجم السرديات، محمد القاضي وآخرون ، دار الفارابي، ط١، لبنان ٢٠١٠ : ٢٣٠.

(٥) بنية النص السردى، من منظور النقد الأدبي، حميد لحمداني، المركز الثقافي العربي،
ط١، بيروت، ١٩٩١ : ٧٣.

الثاني : زمن السرد القصصي :

هو زمن غير مفيد بشكل واحد ولا يخضع للتتابع المنطقي الذي يخضع له زمن القصة (الحكاية) ذلك لأنّ الأحداث في القصة قد تحدث في آن واحد ولا يستطيع السارد أن يسردها كلها في الوقت ذاته ^(١)، فيعمد إلى بناء زمني خاص لسردها يختلف عن زمن الاطار الخارجي للقصة ؛ فنحن أمام ازدواجية زمنية في العمل القصصي . والسيرة الذاتية الرسائية شأنها شأن الخطاب القصصي تقوم على الخلط بين زمن القصة وزمن الخطاب (السرد)، وهي في الوقت ذاته قصة استعادية لحياة واقعية حقيقية، غير أنها قصة يكون المحرك الأساسي فيها هو الذاكرة فقد تُنسى وتتوهم وتتشوه بفعل خيانة هذه الذاكرة لصاحبها ؛ ولهذا فليس من السهل أن تحترم التعاقب الزمني للأحداث المتوالية ^(٢)، ولأنّ " التتابع الطبيعي في عرض الأحداث حالة افتراضية أكثر مما هي واقعية، لأنّ تلك المتواليات قد تبتعد كثيراً أو قليلاً عن المجرى الخطي للسرد، مما يدفع إلى معاينة الزمن السرد في السيرة الذاتية بعيداً عن منطق التتالي الواقعي للأحداث، مع عدم تجاوزه كلياً ؛ لأنّ فن السيرة يخضع على نحو ما لنوع من التكافؤ بين المرجع الواقعي والبنية المتخيلة " ^(٣). أذن الكاتب السير ذاتي حاله كحال الروائي يستطيع اللعب بالزمن فيضفي بذلك على السيرة جمالية خاصة ويمنح قارئ سيرته نوعاً من المتعة والتشويق .

ثالثاً : أشكال زمن السرد الرسائي:

عند دراسة الزمن السرد القصصي نجد فيه شكلين من الزمن، أولهما خارجي (طبيعي) وثانيهما داخلي (نفسى)، فالأول يمثل الأبعاد والخطوط التي ينسج ويرسم النص لحمته من خلالها، أما الثاني فيمثل الأبعاد والخطوط العريضة التي تُبنى عليها النصوص السردية القصصية ^(٤).

(١) ينظر : بنية النص السرد، من منظور النقد الأدبي، حميد لحمداني، المركز الثقافي العربي، ط١، بيروت، ١٩٩١ : ٧٣.

(٢) ينظر : سيرة الغائب سيرة الآتي، السيرة الذاتية في كتاب الأيام لظه حسين، شكري ميخوت، دار الجنوب للنشر، د. ط، تونس، ١٩٩٢ : ٦٤.

(٣) المغامرة الجمالية للنص الأدبي، دراسة موسوعة، محمد صابر عبيد، الشركة المصرية العالمية للنشر، ط١، مصر، ٢٠١٢ : ٧٠٩.

(٤) بناء الرواية، دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، سيزا قاسم، مهرجان الأسرة للجميع، مكتبة الأسرة، مصر، ٢٠٠٤ : ٦٧.

أ - الزمن الطبيعي

وهو الزمن الذي " يتجسد بشكل أساسي في النصوص الأدبية، عبر المجال التاريخي الذي يسند اختيار الروائي فيعمده بفضاء زمني ينسجم مع الأبعاد الفكرية العميقة للنص الروائي " (١) اذن فالزمن التاريخي هو الذي يستطيع الروائي الاعتراف منه كلما احتاجه في عمله الفني، وذلك لكي يضيف الكاتب على نصه التخيلي شيئاً من الواقع، وهذه العملية أسماها "رولان بارت" بالإيهام بما هو حقيقي (٢). وهذا الاستخدام يكثر في الروايات الواقعية ؛ ولهذا كانت السيرة الذاتية - التي تسرد وقائع حقيقية - تحتفي بالزمن الطبيعي أكثر من احتفاء الرواية به، لأن أحداثها وقعت في زمن معين معروف و يستطيع صاحب السيرة أن يدرج بعض الأحداث التاريخية في سيرته على أن يصوغها صياغة أدبية، ويجعلها جزءاً من البناء الفني في سيرته (٣). فذكر الحوادث التاريخية في النص السيري ما هو إلا تأكيد على واقعيتها ومصداقيتها، وهناك الكثير من السير الذاتية التي أُعْتُبرت وثائق تاريخية يُستشهد بها لمصلحة التاريخ حاضراً ومستقبلاً، نظراً لما تحتويه بعض السير من حقائق تاريخية مهمة . كان سميح ودرويش يهتمان كثيراً بالأحداث السياسية الجارية آنذاك، فقد تكلموا في رسائلهما عن الانتفاضة الفلسطينية(انتفاضة الحجارة) - التي بدأت عام ١٩٨٧ - بتفاصيل عديدة بل وعُتِنَ سميح اثنين من رسائله لدرويش بشأنها (قبلتي الحجر!) و(على هذا الحجر ابني دولتي!)، وهذا سميح القاسم يذكر في رسالته "احمل قصيدتك واتبعني" حادثة تاريخية مهمة حدثت في القرن العشرين وهي أطول حدثت في هذا القرن هي الحرب بين العراق وإيران والتي كانت لاتزال قائمة حين ارسل رسالته الى درويش سنة ١٩٨٧/١/٢١ " سأظل قادراً على احتواء الشقاء القادم مما يسمى بحرب الخليج، تلك المذبحة المجنونة التي تمنح اسحق شامير متعة القول : إن انتصار أي من العراق أو ايران في حرب الخليج يعتبر تهديداً لسلامة اسرائيل .. أو تلك المتعة الشعبية التي يبثها الاعلام الاسرائيلي بسخرية واضحة : تقتضي مصلحة اسرائيل أن ينتصر الجانبان، أو تقتضي مصلحة اسرائيل ان يهزم الطرفان " (٤) . فنرى سميح كان يحس بمدى خطورة تلك الحرب، لذلك اسماها بالمذبحة المجنونة فهو يعرف تماماً ما سينتج عنها لأن كل حرب فيها خسارة للطرفين مهما كانت نهايتها، وابدى رأيه فيها

(١) الإيدولوجيا وبنية الخطاب الروائي، دراسة سوسيو بنائية في روايات عبد الحميد بن هدوقة، منشورات جامعة منتوري، د. ط، قسنطينة، ٢٠٠١: ٢٨١.

(٢) ينظر: بناء الرواية، دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، سيزا قاسم: ٧٢.

(٣) السيرة الذاتية في الأدب العربي، فدوى طوقان وجبرا ابراهيم جبرا واحسان عباس أنموذجاً، تهاني عبد الفتاح شاكر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، بيروت ٢٠٠٢: ١٣١.

(٤) الرسائل، محمود درويش وسميح القاسم ، دار العودة، بيروت، ١٩٩٠: ١٣٦.

وكشف عما كان يتمناه العدو الإسرائيلي من نتائج لهذه الحرب . فضلاً عن كون هذه الرسائل السير ذاتية تحمل قيمة فنية فهي في الوقت ذاته تتضمن بين طياتها قيمة تاريخية حتى للمؤرخ المختص وإن لم يكن التاريخ الذي غطته كاملاً فالذات السادرة هي مرآة تعكس ما يدور في عصرها وتكون شاهداً عليه (١) .

وفي حدث تاريخي هام هو الآخر حصل في تلك الحقبة وهو حدث (انتفاضة الحجارة) التي قامت عام ١٩٨٧ ، فيذكرها سميح في رسالة (قبلتي الحجر) " أرى انتفاضة فتیان الحجارة او "الشبان الاحرار" كما احب أن اسميهم، هي الحدث الأكبر أهمية وتأثيراً في التاريخ العربي المعاصر منذ ثورة "الضباط الاحرار" في مصر الشقيقة... (٢)، يشبه سميح انتفاضة الحجارة بحدث تاريخي وهو ثورة الضباط الأحرار في مصر ويرى أنها لا تقل أهمية وتأثيراً عنها . وهكذا نرى أن أحداث الحاضر لا تتفك أبداً عن أحداث التاريخ السابقة، التي عادةً ما يربطها الكاتب - لغاية في نفسه - بحدثه الواقعي الذي سيكون في المستقبل حدث تاريخي هو الآخر .

ب - الزمن النفسي

لكل إنسان إحساس خاص بالزمن يطول أو يقصر حسب يومه الذي يعيشه من فرح وحزن وخوف و قلق، إحساس متعلق بنفسيته وخاص بخلجاته وهذا ما يسمى بالزمن النفسي وهو "زمن نسبي داخلي يقدر بقيم متغيرة، بعكس باستمرار الزمن الخارجي الذي يقاس بمعايير ثابتة" (٣). فكل إنسان يعيش تبعاً لنفسيته في زمنه الخاص بعيداً عن الزمن الخارجي ومنفصلاً عنه، فليس من الضروري أن تمثل ساعة واحدة قدراً مساوياً من النشاط الواعي كساعة أخرى، فأدوات التوقيت الداخلية الممنوحة لبني البشر لم تضبط جميعها على ساعة واحدة بعينها، إذ نراه زمناً ممتزجاً مع الحياة النفسية للإنسان لأنه زمن ذاتي، شخصي، تراه لا يخضع لأي معايير خارجية أو مقاييس موضوعية (٤)، فالزمن هنا " لا يسير على وتيرة واحدة بل تدور عجلته وفقاً لإيقاع حياتنا الداخلية " (٥)، حيث يصف محمود درويش في رسالته (سفر بلا

(١) ينظر: الكتابة عن الذات سردياً، عادل الفريجات، المعرفة، ع ٥٩٤، ١٠١، مارس ٢٠١٣، ٣٧.

(٢) الرسائل، محمود درويش وسميح القاسم: ١٧٠.

(٣) الزمن والرواية، مندلاو، ترجمة : بكر عباس، دار صادر، ط١، بيروت، ١٩٩٧: ١٣٧ - ١٣٨.

(٤) بناء الرواية، دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، سيزا قاسم: ٦٧ - ٧٦ - ٧٧.

(٥) لحظة الأبدية، دراسة الزمان في أدب القرن العشرين، سمير الحاج شاهين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، بيروت، ١٩٨٠: ٥.

سفر) زمانه الذي احس به " وسافرتُ من الحياة الى الموت في فيينا وعدتُ من الموت الى الحياة قَبْلَ لي أنني ودعتُ الحياة بلفظة واحدة "يما" أمن اللائق أن أصف موتي ؟ " (١) ويعود في النص التالي يصف كيف رجع إلى الحياة بعد موته فيقول : " اخترقت غابة من المسامير صدري وانتشرت في كل الجسد . ذابت طاقتي وسقطت على أرض الغرفة . ولكن سيرة حياتي حضرت كلها لأعرف أن الموت يحيي ما مات من الذاكرة كان الشريط كلمات بيضاء مكتوبة على لوح أسود، رأيت كل ما قد رأيت وتوقف الأئين عن الأئين ولم يعد بوسع الناي أن يئن" (٢) فهذا النص عبّر عن الزمن الذي طال عليه اثناء تعذيبه فيرى خلال دقيقتين فقط حياته كلها وأكد ذلك التوقيت بقوله : " لقد أعادوني من الموت الذي استمر دقيقتين الى الحياة أعادوني من النشوة الى الوجد " (٣)، فكما نلاحظ أنّ هذا الزمن متعلق بمنظور الشخصية للزمن وإحساسها به فهي التي تحدد مدته وقيمتها، فهو متعلق بأبعادها السيكولوجية، فما مرّ به درويش من ألم جعله يحس بالزمن بصورة مختلفة عما لو كان في أي وقت آخر. ويناجي درويش ذاته بقوله : " هل كبرتُ كثيراً، أم ارتطمتُ بجدار الأفق المسدود، لأعيش في هذه الفترة من حياتي ماضيّ كله لدرجة أصغي معها بكل خلاياي إلى ما نسيت، أو اوهمني ايقاع الحاضر السابق - إذا جاز القول - بأنني قد نسيت، لم اكف البارحة عن محاولة شاقة لتذكر أسماء النباتات والأعشاب والزهور التي زوّجت لغتي بالطبيعة، وحين نُبش اسم ما، كامن فيّ، تدفقت نافورة التفاصيل مني لأدرك أنني ثرثار حتى مطلع الفجر، ما سرّ انبثاق هذا الماضي ؟ أهو البحث عن طفولة المكان، أم هو الشبق لملاقة مكان الطفولة، أم هو الاقتراب من سؤال سابق : ما البداية .. ما النهاية ؟ "٤، يجسد هذا المقطع الحالة التي يمر بها درويش من احساس مبعثرة مختلطة، تجعله يفكر في ماضيه، طفولته، ويتساءل عن بدايته ونهايته، فيعاني من تأزم نفسي حيث تداخلت الأزمنة عنده، فلم يعد يعرف بما يفكر بالماضي أم الحاضر، فزمنه هذا ذاتي لا يتعلق بالزمان المنطقي ولا يخضع له، وإنما هو يتعلق بالشخصية الإنسانية فقط، هي التي تحدد كيف يكون شكل زمنها .

رابعاً : الترتيب الزمني (المفارقة الزمنية)

يكون الترتيب الطبيعي للزمان في السرد القصصي وفق الأزمنة الثلاثة (الماضي و الحاضر والمستقبل)، ولكن يلجأ الكاتب أحياناً إلى كسر هذا التتالي عن طريق التحريف الزماني

(١) الرسائل، محمود درويش وسميح القاسم: ١٢٧.

(٢) المصدر نفسه: ١٢٧ .

(٣) المصدر نفسه: ١٢٧.

(٤) المصدر نفسه: ١٠١.

لاغراض جمالية^(١)، فزمن الحكاية لا يتطابق مع زمن الخطاب كما ذكرنا سابقاً، فالكاتب اثناء سرده للقصة يعود إلى الماضي أو يقفز نحو المستقبل مشكلاً مفارقة زمنية فيحدث بذلك " انحراف عن التتابع الميقاتي الصارم للقصة " ^(٢)، حيث يكون ترتيب الأحداث متنازلاً فيها ^(٣)، وهناك نمطان أساسيان للمفارقة :

أ - الاسترجاع (الاستنكار، الارتداد)

هو " سرد لاحق لحدث سابق للحظة التي أدركتها القصة " ^(٤). ويقول جيرار جينيت: "يشكل كل استرجاع بالقياس الى الحكاية التي يندرج فيها حكاية ثانية زمنياً تابعة للقصة الأولى" ^(٥) . والسؤال الذي يطرح هو هل أن مستوى الاسترجاعات كان متساوياً أم متفاوتاً في النص القصصي ؟ لذا فقد صنّف جينيت ثلاثة أنواع من الاسترجاعات: (خارجي، داخلي، مزجي) .

١ - الاسترجاع الخارجي: هو الاسترجاع الذي تظل سعته كلها خارج سعة الحكاية الأولى ^(٦). ولهذا الاسترجاع عدة وظائف منها ما يأتي لملء الفراغ الزمني فيعطي توضيحاً عن الكيفية التي تسير بها الأحداث أو يأتي عندما يقدم السارد شخصية جديدة في سرده، وكذلك في الافتتاحيات، وربما تكون العودة الى الماضي لجلب أحداث من أجل اعطاءها تفسير مغاير للتفسير السابق لها أو توضيحاً لها، ولمعرفة هل تغيرت نظرتنا لذكرياتنا القديمة مع ما استجد من أحداث وكذلك للمقارنة بين الزمنين الماضي والحاضر ^(٧).

يوظف سميح القاسم الاسترجاع الخارجي في رسالته (نرسم بحبر الروح سهماً واضحاً) فيقدم شخصية جديدة في سرده وهي شخصية (صليبا خميس) "واذكر، كما قد تذكر، أن صليبا خميس بعد طردني من سلك التعليم، كتب في "الجديد" واحدة من أجمل افتتاحياتها على الإطلاق ودعاني للعمل في صحافة الحزب، وعملت هناك الى اليوم الذي أعلن فيه رفيقنا المرحوم يوسف صباغ مدير "الاتحاد" .. (كنا نسماه وزير المالية !) إنه لم يبقَ في صندوق

(١) طرائق تحليل السرد الأدبي، مجموعة مؤلفين: ٥٥ .

(٢) علم السرد، مدخل الى نظرية السرد، يان مانفريد، ترجمة: أماني أبو رحمة دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١١: ١١٦ .

(٣) ينظر : معجم السرديات، محمد القاضي وآخرون: ٣٩٩ .

(٤) المصدر نفسه: ١٧ .

(٥) خطاب الحكاية، جيرار جينيت، ترجمة: محمد معتصم وآخرون، الهيئة العامة للطباعة الأميرية، ط٢، مصر، ١٩٩٧: ٦٠ .

(٦) المصدر نفسه: ٦٠ .

(٧) ينظر : بناء الرواية، سيزا قاسم ٥٨-٥٩ .

الصحافة كلها سوى ما يمكننا من شراء علبه شاي"^(١)، فسميح هنا اخبرنا عن علاقته بصليبا الذي ساعده حين بقي بلا عمل ويعمل معه بالصحافة وكان قد ذكره قبل أربعة اسطر عندما كان يعدد اصدقاءه ولكن من غير ذكر أي تفصيل عنه. فقد كانت رسالته هذه عبارة عن كتلة من الذكريات التي اختزنها الكاتب وكانت اغلب هذه الذكريات عن العمل والأصدقاء، وفي استرجاع خارجي آخر يستذكر سميح " قبل ثلاثين عاماً كنت طالباً في مدرسة الناصرة الثانوية، وإلى جانب ممارسات سرية شتى كنت أمارس كتابة القصائد البيئية الصاخبة هجاء لمعلم أو تجريحاً لزميل أو غزلاً في طالبة، وكان الطلاب يتناولون هاتيك القصائد مع ساندوتشات العطلة الصباحية، متلذذين بعدها بما طاب لهم مدحاً أو قدحاً"^(٢)، يرجع سميح إلى ثلاثين عاماً قبل تبادل الرسائل إلى مرحلة المراهقة وأيام الدراسة ليسرد لنا ما كان يفعله في المدرسة آنذاك.

إنّ هذا النوع من السرد (الاسترجاع الخارجي) يحتاجه كاتب السيرة كثيراً لأنه لا بد له من ربط واقعه الذي يعيشه مع ما عاشه في الماضي وخاصةً كاتب السيرة الذاتية الرسائية ففي رسائل محمود درويش وسميح القاسم خصوصية تختلف عن تلك الأنواع الأخرى من السيرة لأنها سيرة ثنائية لأثنين من الأصدقاء، فهناك ذكريات كثيرة مشتركة في هذه الرسائل، حيث يُذكر كل واحد منهما الآخر بما مضى في الذكريات ذاتها فيقول درويش: "هل تذكر تلك الفرية الدموية التي روجها خصوم فكرنا وشعرنا قبل عشرين عام يوم سافرنا الى صوفيا لملاقاة الأخوة الذين انتظرناهم ثلاث حروب فازدادوا بعداً؟ هل تذكر كيف كتبوا انهم شاهدونا - أنا وأنت - نرفع العلم الإسرائيلي في شوارع صوفيا؟"^(٣). وهنا يسترجع درويش موضعاً موقف الشائعة التي تعرض لها هو وصديقه سميح متسائلاً أسئلة عدة وهو على دراية بإجابتها ولكنه يريد من صديقه الحميم أن يفتح معه صندوق ذكرياتهما سوياً، وبالفعل نجح بذلك فقد نبش الذكريات التي غطاها غبار الزمان أو بالأحرى كان سميح يريدنا أن تبقى مغطاة ومع ذلك فهو يرد على صاحبه فيقول: "تذكرني في رسالتك الأخيرة بما كنت أوثر أن انساه، بتلك الحملة القذرة التي شنتها علينا عناصر مشبوهة في العام ١٩٦٨ يوم خرجنا الى صوفيا مفعمين بشهوة العناق فعندنا وفي ظهرنا سكين الشائعة الدامية، وما دمنا نذكر فسنذكر دائماً وابدأ تلك الوقفة النبيلة التي امتشقها آنذاك رفيقنا وحبيب شعبنا وشهيد قضيتنا غسان كنفاني الذي لم ينتظر التفاصيل بل ادركها بحسه الوطني السليم فهبّ مدافعاً عن "جناحي الشعر

(١) الرسائل، محمود درويش وسميح القاسم: ٥٩.

(٢) المصدر نفسه: ٤١.

(٣) المصدر نفسه: ١٠٠.

المقاوم " كما لقبنا مشكوراً الى دهر الداهرين " (١) . فيشغل سميح ذكراته ليعود إلى الوراء إلى اكثر من عشرين عاماً مضى على تلك الشائعة التي اثرت فيهما كثيراً، ليقدم لنا تفاصيل أكثر عنها، منها ما اسماهم بالعناصر المشبوهة الذين اشاعوا تلك الشائعة ؛ لذلك استوجب هنا استخدام تقنية الاسترجاع الخارجي، وانتهاز سميح الفرصة لكي يشيد بموقف رفيقهما الكاتب والروائي (غسان كنفاني)، حينما وقف إلى جانبهما في تلك المحنة، وبذلك يكون الغرض من الاسترجاع الخارجي قد تحقق، حيث وضّح سميح بعض التفاصيل التي كانت مجهولة لدى الكثير .

٢- الاسترجاع الداخلي : هو " الاسترجاع الذي يكون حقله الزمني ضمن الحقل الزمني للحكاية الأولى " (٢) وتعرفه "سيزا قاسم" على أنه "يعود الى ماضي لاحق لبداية الرواية وقد تأخر تقديمه" (٣) أي بمعنى يكون حيز هذا الاسترجاع ضمن بداية السرد وليس قبله، أي بين (١٩٨٦/٥/١٩-١٩٨٨/٧/٢٦) مما كتبه درويش وسميح ؛ ولذلك يجب ان يكون أي استرجاع داخلي لا يتعدى هذين التاريخين، بل يكون بينهما، وفي إحدى الرسائل يستقطع درويش سرده ليشكي لأخيه سميح عن موقف حصل له قبل أيام " فضحتني دمعتي منذ أيام عندما أنقضّ عليّ أحد المحاورين، وهو كاتب فنلندي شهير، بهذا السؤال المدهش :

هل تعرف كيبوتس "يسعور"؟

أجبت : نعم اعرف مكانه لأنني أعرف أنقاضي " (٤) في هذا النص الحوارية الذي دار بين درويش والكاتب الفنلندي يفتح رسالته ليسخر من مفهوم "الحق" الذي بات مختلفاً عما كان في الماضي فجاء استرجاعه هذا ليفرغ ما بمكونه من سخرية الزمن .ويكمل :

" قال :أنا من هناك .أعني عشت هناك عشر سنين، ومن حقي أن أعود متى أشاء ...

قلت : في أي وقت تشاء، لماذا ؟

قال :لأنني يهودي ...

قلت له، وقد تحول إلى مرآة : يا سيد دانيال كاتس، يبدو لي أنك تعرف انني ولدت هناك، تحت غرفة نومك، وتعرف أن لاحق لي في العودة " (٥).

(١) الرسائل، محمود درويش وسميح القاسم : ١٠٣-١٠٤.

(٢) خطاب الحكاية، جبرار جينيت، ترجمة : محمد معتصم وآخرون: ٦١ .

(٣) بناء الرواية، دراسة في ثلاثية نجيب محفوظ: ٥٨.

(٤) الرسائل: ١٠٣.

(٥) المصدر نفسه: ٤٣.

استرجع درويش الحوار الذي دار بينه وبين والكاتب الفنلندي الذي كان قبل عدة ايام من كتابته للرسالة، وفي استرجاع داخلي آخر يرد سميح على احدى رسائل درويش فيقول: " قبل الرد على رسالتك أود تنبيهك إلى أننا لسنا وحيدين في حديقة الأسي والتراشق بالياسمين هذه التي امتشقناها من اضلعنا مثل آدم في طفرتة الابداعية الرائعة، إن حشداً كبيراً من الناس يزيح الستائر ويطل من النوافذ المحيطة بنا منتظراً ساعي بريدنا الخاص " ^(١)، هذا ما قاله سميح في رسالته، ولكنه يقطع سرده مستذكراً وموضحاً ما قصده في النص السابق من الرسالة حيث قال : " يوم الأثنين الماضي كنت جالساً بمنتهى الوقار على كرسي الاعدام الكهربائي في عيادة طبيب الأسنان، وبينما أنا اغلي وأنضح في ألم الأسنان كان الطبيب ومساعدته ومرضاه ذكوراً وإناثاً، طوالاً وقصاراً، شقراً، وسمراً، مدنيين، وقرابين، كانوا جميعاً أشبه بجوقة إنشاد مدرسية أو بكورس كنسي يحدثونني باهتمام أكيد ولهفة منقطعة النظير عن انطباعاتهم الخاصة بشأن هذه الرسالة أو تلك ويسألون ويعقبون ويحтарون، وأنا أوصل الجلوس بوقار على كرسي الاعدام علاجاً حتى الموت، محدقاً في وجهك الهيتشوكي لاعناً أجداد أجدادك على هذه الورطة" ^(٢)، فهنا سميح يوقف سرده ليحكي لصديقه ما حصل معه في عيادة طبيب الاسنان قبل عدة أيام من كتابة هذه الرسالة، وبذلك يكون الاسترجاع داخلياً لا تتعدى سعته بداية كتابة الرسالة الأولى، فالماضي هنا كان قبل عدة أيام فقط . لا يخلُ السرد الرسائلي من هذا النوع من الاسترجاع كما رأينا ولكنه أقل من النوع الأول نظراً لأن الفترة الزمنية التي غطاها السرد كانت سنتين فقط .

٣ - الاسترجاع المزجي : هو أن " تكون نقطة مداه سابقة لبداية الحكاية الأولى، ونقطة سعتها لاحقة لها " ^(٣). أي أن يقوم الكاتب بسرد أحداث ماضية لربطها بواقعه الحالي، ووظيفته تتمثل في عقد مقارنة بين الأحداث الماضية وبين الأحداث الآتية، حيث يستذكر سميح " آنذاك فقد والدنا هدوءه الذي تعرفه فأطعمنا علة لا تُنسى وكان يهتف بين شدة أنن وأختها : "سيهطل المطر وتبت الحقيقة ! " "سيهطل المطر وتبت الحقيقة!" وأنذاك فقط، أدركنا أن والدنا تفحص مزروعاتنا فعثر على غابة حقيقية مكان كل حفرة ! " ^(٤)، وبعد ذلك يصل السارد الى نقطة الحاضر " ومع أمطار هذا العام الغزيرة ظهرت حقائق جديدة بشأن مجزرة كفر قاسم، فقد نشرت صحيفة "هعير" الصادرة في تل ابيب، في العاشر من تشرين

(١) الرسائل: ٩٥.

(٢) المصدر نفسه: ٩٥.

(٣) خطاب الحكاية، حيرار جينيت، ترجمة : محمد معتصم وآخرون: ٦٠.

(٤) الرسائل: ١٢٢- ١٢٣.

الأول أكتوبر [أكتوبر] اعترافات عدد من "أبطال" المجزرة" (١)، لقد كان الرجوع الى الماضي حاجة ملحة فيذكر سميح موقفاً قديماً له أيام الولادة ليبرطه مع ظهور حقيقة مجزرة" كفر قاسم" واعترافات الجنود الإسرائيلييين عما فعلوه في ذلك اليوم فظهرت الحقيقة التي حاول الاعلام الغربي والاسرائيلي اسدال الستار عنها كل تلك السنين .

وفي استرجاع مزجي آخر يقول سميح : " منذ عشرين عاماً على وجه التقريب، قرأت كتاباً عن الأرمن، ومن المفارقات التي تميز حياتنا كان الكتاب باللغة العبرية وقد ترجمت منه بعض القطع الشعرية الأرمنية الى اللغة العربية ونشرتها آنذاك في إحدى الصحف المحلية، وأمس مساءً فرغتُ من قراءة كتاب جديد عن المأساة الأرمنية لكاتب عربي اسمه ألياس زنانيري" (٢)، يرجع سميح إلى قبل عشرين عام ليصل إلى اللحظة الآتية ليقارن ما قرأه في الماضي وما يقرأ أيام كتابته للرسائل ليثبت أنّ تلك المأساة لا تزال آثارها موجودة واثرت في الكتاب حتى يؤلفوا عنها الكثير من الكتب .

وفي سرد استرجاعي مزجي آخر له يقول : " كم تلوعني خيبتني يوم هرعت الى الشارع خلف أبي الذي أخذ بندقيته وذهب للدفاع عن الليات بعد ورود النبأ عن سقوط البروة واقتراب الفاتحين الجدد كان ابي معتمراً كوفية بيضاء وعقالاً مقصباً من مخلفات خدمته العسكرية في قوة حدود شرق الأردن، ركضت وراءه بالخوذة الحديدية التي احتفظ بها بعد تسريحه من الجيش لأيام الشدة القادمة " (٣) ، ويكمل سميح سرد القصة إلى أن يصل إلى نقطة الحاضر فيقول : " وتجد اليوم من يتهمون شعبنا بأنه تخلى عن وطنه وهرب طوعاً، أية فرية يطلقها هؤلاء الخنازير! لقد صمد شعبنا وقاتل بكل شجاعة وصدق وحمية إلا إنّ ما نسميه اليوم بتوازن القوى لم يكن بصالحنا على الإطلاق " (٤)، يبدو أنّ سميحاً حاول بكل ما يستطيع توضيح بعض المسائل العالقة، ومن ضمنها السؤال الذي يتردد على ألسنة الكثيرين وهو لماذا لم يدافع الفلسطينيون عن أرضه يوم النكبة ؛ لذا كان رجوعه إلى الماضي مهماً للغاية ف جاء الاسترجاع المزجي ليوضح بعض الحقائق عن أرض فلسطين وشعبها . من خلال النصوص السابقة ونصوص أخرى لم نسردها نرى أنّ الكاتبين احتاجا القفز الى الماضي ومزجه بسرد الحاضر ليمنحانا نصاً متكامل البناء لا غموض فيه، حتى إنّ درويش خصص

(١) الرسائل: ١٢٣ .

(٢) المصدر نفسه: ٩٦-٩٧ .

(٣) المصدر نفسه: ٥٠ .

(٤) المصدر نفسه .

عنوان لأحدى رسائله بهذا الخصوص هي (حاضر سابق...)، التي يتحدث من خلالها عن الماضي والحاضر الآتي بغية كسر الخطية المتوالية في الزمن .

ب - الاستباق

يُعرف الاستباق على أنه "مفارقة زمنية تتجه نحو المستقبل بالنسبة الى اللحظة الراهنة تفارق الحاضر إلى المستقبل " (١)، فالكاتب يحاول في هذه المفارقة اثاره أحداث سابقة لسياقها الزمني أو يمكن توقع حدوثها(٢)، وهو التنبؤ والتمهيد لبعض الاحداث داخل النص مما يثير لدى المتلقي عنصر التشويق فيفاعل مع النص لان الكاتب سيخلق عنده حالة من الانتظار والترقب عما سيكون عليه التالي، وتشكل هذه المفارقة جمالية في النص بكسرها للتراتبية الحاصلة جراء التتابع الخطي الزمني للسرد (٣). فيحلق الكاتب في أفق الخيال للتنبؤ بالمستقبل، والاستباق عملية سردية تتمثل في ايراد حدث آتٍ أو الإشارة إليه مسبقاً(٤). والميدان المفضل لدراسة الاستباق هو السرد السير ذاتي حسب رأي جينيت (٥)، وتوافقه في هذا الرأي سيزا قاسم " فالترجمة الذاتية والسرد بضمير المتكلم هو الذي يشير إلى احداث لاحقة"(٦). بعد هذين الرأيين بالتأكيد ستكون رسائل درويش وسميح حافلة بأنواع هذه المفارقة الزمنية، لأن طبيعة السرد الرسائلي - على وجه الخصوص - قائمة على عملية الانتظار، أي انتظار الرسالة التي هي إجابة على الرسالة التي بعثها المرسل الأول، وهذا السرد يحكي للآخر ويطلب منه ويسأله ويخاطبه، مما يجعل السرد الأول الجزء الذي يحتاج إلى جزء آخر - وهو الرد على رسائل المرسل الأول - كي تكتمل عملية التواصل، وهذه الأسئلة هي بداية الاستباق الذي قد يكتمل عند حدوث الرد وقد يكون ناقصاً، إذا أهمل المستقبل هذه الأسئلة .

١ - الاستباق التمهيدي

في كثيرٍ من الأحيان يكون الاستشراف مجرد استباق زمني، الغرض منه التطلع الى ما هو متوقع الحدوث أو محتمل الحدوث في الحكاية، وهذه هي الوظيفة الاساسية للاستباق

(١) المصطلح السردى، جيرالد برنس، ترجمة: عابد خزندار، المجلس الأعلى للثقافة، ط١، ٢٠٠٣: ١٨٦.

(٢) السيرة الذاتية في الأدب العربي، تهاني عبد الفتاح: ١٣٥.

(٣) السيرة الذاتية في التراث العربي، اسامة محمد البحيري، المجلة العربية، د. ط، الرياض، ٢٠١٨ : ٩٥.

(٤) مدخل الى نظرية القصة، تحليلاً وتطبيقاً، سمير المرزوقي وجميل شاكر، ١٩٨٦: ٧٦ .

(٥) خطاب الحكاية، جيران جينيت: ٧٧.

(٦) بناء الرواية، سيزا قاسم: ٦٥.

بأنواعه^(١)، وهذا التطلع خفي لا تُعرف قيمته إلا في وقت لاحق من النص وبكيفية استعادية^(٢). وهذا النوع من الاستباق غالباً ما يكون مجرد تنبؤ يحصل عندما يشغل الكاتب خياله مثلما يشغل الكاتب ذاكرته في الاسترجاع أو حتى في بعض الأحيان عبارة عن أمنيات قد تتحقق أو لا تتحقق .

يمهد درويش عما سيحصل عندما يبدأ هو وسميح بكتابة سيرتهما الرسائلية فيسبق الأحداث منذ الرسالة الأولى "ولكني سأبدأ ولأورطك في انضباط صارم، سيكون التردد أو التراجع قاسياً بعدما أشهدنا القراء علينا"^(٣)، فهنا ينبه درويش سميحاً من التردد مستقبلاً أو التراجع عن الكتابة، ويواصل بقوله: "لن نخدع أحداً وسنقلب التقاليد، فمن عادة الناشرين أو الكُتّاب، أو الورثة أن يجمعوا الرسائل المكتوبة في كتاب، ولكننا هنا نصمم الكتاب ونضع له الرسائل لعبتنا مكشوفة. سنعلق سيرتنا على السطوح، او نواري الخجل من كتاب المذكرات بكتابتها في رسائل"^(٤)، في نص الرسالة هذه يسبق درويش في سرده فيضع سميحاً في ورطة، كما يقول وانضباط وأن رسائلهم هذه ستوضع في المستقبل في كتاب وفعلاً قد جمعها صديقهما إميل حبيبي في كتاب بعد عام من الانتهاء من تبادلها . ويتساءل درويش "هل تعبر عن هشاشة قلوبنا تلك الاغنية الرائجة : يا بحيرة طبريا، يا بحيرة طبريا، لقد هبت الريح ؟ وهل نستعيد جمال القدس كما استعادوه في اغنيتهم التي حطمتنا : يا أورشليم. من ذهب، ومن نحاس وضياء ؟"^(٥)، يتطلع درويش أكثر مما يتساءل الى تحقيق هذا الهدف الذي بات حلاً كل ما راوده احدث جرحاً في قلبه وكيانه يكاد لا يشفى منه لأنه يقارن حلمه بالحلم الذي حققه اعداءه عندما احتلوا أرضه .

ونورد نصاً رسائلياً آخر: " في البدء لم أقلق، وليس هذا فحسب، بل فرحت قليلاً ورحتُ اتخيل مدى سعادتي لو أن بحيرة طبرية جفت الى قعرها... ولا تسقط الثلوج على جبل الشيخ في العام القادم وتغور منابع نهر الأردن فتظهر طحالب مائية خضراء..... وترتفع درجة الحرارة لأجدني من جديد بدوياً سعيداً في صحرائه السعيدة"^(٦)، هذا النص من رسالة (سأحفر أسمينا على الريح) يتكلم عن انخفاض منسوب المياه في بحيرة طبرية، يتأمل سميح

(١) بنية الشكل الروائي، حسن بحراوي: ١٣٣.

(٢) ينظر: خطاب الحكاية ، جيرار جينيت: ٨٤.

(٣) الرسائل: ٣٥.

(٤) المصدر نفسه: ٣٥ .

(٥) المصدر نفسه: ٤٤ .

(٦) المصدر نفسه: ٤٩ .

في هذا النص وينطلق محلقاً في الأفق سامحاً لخياله بأن يحصل على ما يتمنى لأنه اضطر من الواقع المرير ويريد العودة الى ما قبل التحضر والتمدن الى صحرائه السعيدة وفي تنمة الرسالة يعرب سميح عن قلقه لدرويش " لم اقلق في البدء بيد أن القلق يقضم اعصابي مثل فأر نهم، فقد خيل إليّ في ما بعد أن حل أزمة المياه قد يتم على الطريقة الإسرائيلية التقليدية يذهبون الى الأمم المتحدة مطالبين بأرض اسرائيل الكبرى وفق نصوص التوراة ليضمنوا النيل والفرات، ولاريب في انهم سيجدون هناك أذاناً صاغية وقلوباً لينة" (١) يتنبأ سميح باستباق تمهيدي خفي عما سيحصل في المستقبل حيال مشكلة قلة المياه وكيف ستحلها " إسرائيل " حلاً متصلاً بفكرة تأسيس دولتها الممتدة من النيل الى الفرات، فخاف من تحقيق هذه الفكرة فتراجع عن كل أحلامه زاجراً خياله صارخاً فيه توقف هذا ليس وقت تحقيق الأماني، فلا يحق للفلسطيني أن يتخيل أو يحلم .

هناك الكثير من لحظات القفز وجلب المستقبل الى لحظة الحاضر التي جاء بها الكاتبان على شكل تمهيد وتطلعات وتنبؤات كان الحديث عنها يتناسب مع سرد الحاضر .

٢- الاستباق الإعلاني

يقوم الاستباق بوظيفة الاعلان عندما يصرح عن سلسلة من الأحداث التي سيشهدها السرد في وقت لاحق متأخر منه على أن لا يخبر عن ذلك بطريقة ضمنية لأنه سيتحول إلى استباق تمهيدي (٢)، وهذه الإعلانات لها دور واضح بسبب التوقع الذي ستحدثه في ذهن القارئ وهناك إعلانات ذات مدى بعيد وإعلانات ذات مدى قصير يتوقع أن تتحقق على الفور مثل تلك التي تصلح في نهاية كل فصل مثلاً للكشف عن ما سيدور حوله الفصل الذي يليه وهي تشرع فيه (٣). كقول سميح في نهاية رسالته "و حين نلتقي في موسكو بعد أيام يكون الربيع قد اقترب قليلاً على جناح سنونوة ما، ويكون طائر ك الغريب قد عثر على نافذة أخرى وقلب آخر يفعمه أسى ويطرح به إلى نافذة عرافة اشورية أو عربية عاربة" (٤) واللقاء بالفعل تحقق في الرسالة التي تلي هذه الرسالة بدليل قول درويش (لقد رأيتك في موسكو حزينا منذ أيام " (٥)، وفي استباق آخر ذهب إليه سميح حين كان زمن سرده للرسالة ١٢/٦/١٩٨٨ " في تموز يوليو القادم، الثالث عشر منه كما أظن، تكون أربعون عاماً قد تكسدت على دم

(١) الرسائل: ٤٩ .

(٢) بنية الشكل الروائي، حسن بحراري: ١٣٧ .

(٣) ينظر: خطاب الحكاية، جيرار جينيت: ٨٢ .

(٤) الرسائل، محمود درويش وسميح القاسم: ١٤٨ .

(٥) المصدر نفسه: ١٤٩ .

شاعرنا وشهيدنا الحبيب عبد الرحيم محمود^(١) ويواصل سرده بعد عدة أسطر "ونفكر في هذا المقام المشرق، أن نقيم مهرجاناً لذكرى عبد الرحيم موعداً اندغام الحرف بالوريد، ونرجو أن تكون هناك، بشكل أو بآخر ولا يهم سنكون معاً"^(٢)، وهكذا يخبرنا سميح بأنه وزملاءه سيقومون بمهرجاناً في ذكرى رحيل عبد الرحيم محمود ولكن رغم أن تبادل الرسائل بينهما قد انتهى بعد ١٣/ تموز إلا إن أياً من سميح ودرويش لم يتطرق إلى موضوع المهرجان هل أقيم بالفعل أم لا ؟ لاحظنا من خلال المقاطع السردية لهذا السرد الرسائلي أن الاستباق التمهيدي التنبؤي التطلعي كان فيها أكثر حضوراً مقارنةً بذلك الإعلاني ربما لأن أغلب نظراتها نحو المستقبل كانت عبارة عن أمنيات وتطلعات تخص القضية الفلسطينية التي كانت ولا تزال مشكلة عالقة ليومنا هذا وكان قد احتدم الصراع عليها آنذاك (وقت كتابة الرسائل)، أما فنياً فنؤيد ما قاله جينيت أن الاستباق ميدانه السرد السير ذاتي فهناك الكثير والكثير من القفزات إلى المستقبل التي توزعت بين الرسائل، ولكن هذا لا يمنع من وجود الكثير من الاسترجاعات في هذه الرسائل، فلطالما كان درويش يطلب من سميح أن يأخذه إلى الماضي، وكذلك نرى أن السرد الرسائلي لم يختلف عن النصوص السردية الأخرى في اشتماله على المفارقات السردية .

خامساً : الديمومة والإيقاع الزمني

أو كما تسمى المدة وهي الوقت المستغرق في سرد الحكاية . و "يمثل تحليل ديمومة النص القصصي في ضبط العلاقة التي تربط بين زمن الحكاية الذي يقاس بالثواني والدقائق والساعات والأيام والشهور والسنوات وطول النص القصصي "^(٣)، أي هي أشبه بمقارنة بين الزمن الحقيقي وطول سرده في النص، وهذه المدة الزمنية قياسها غير ممكن ولكن يمكنك ملاحظة الإيقاع الزمني الناتج من التسارع الزمني وتباطؤه^(٤)، ذلك الإيقاع اعطاه "جينيت" أهمية فاقت أهمية المفارقات في النص حيث قال : " يمكن أن تعمل حكاية دون مفارقات زمنية لكنها لا تستطيع أن تعمل دون لا توافقات أو دون آثار الإيقاع "^(٥)، فالإيقاع هو التسارع أو التباطؤ في الزمن السردية والذي سنتحدث عنه بشيء من التفصيل فيما يلي :

(١) الرسائل، محمود درويش وسميح القاسم، ٢٠٠٠.

(٢) المصدر نفسه، ٢٠٠٠.

(٣) مدخل إلى نظرية القصة، تحليلاً وتطبيقاً، سمير المرزوقي وجميل شاكور: ٨٥.

(٤) ينظر: بنية النص السردية، حميد لحداني: ٧٦.

(٥) خطاب الحكاية، جيرار جينيت: ١٠٢.

أ - تسريع السرد

"يتم تسريع السرد من خلال تقنيتي الخلاصة والحذف حيث يتقلص زمن السرد الى حده الأدنى فيختزل لنا في عبارة وجيزة اطواراً من القصة"^(١)، وسنحاول الوقوف عند هاتين التقنيتين :

١- الخلاصة أو المجل : " يطلق هذا المصطلح على مواضع في القصة يرد فيها السرد مختصراً "^(٢). وتعرف الخلاصة أيضاً على أنها "تقديم مدة غير محددة من الحكاية ملخصة بشكل توجي معه بالسرعة"^(٣)، كأن تسرد أحداث جرت في فترة زمنية طويلة سنوات أو شهور في جملة واحدة او سطر واحد أو كلمات قليلة فهي حكي موجز وسريع لا يتعرض لتفاصيل الأحداث بل يلخصها"^(٤)، ولا يمكن تلخيص الأحداث إلا بعد مرور فترة طويلة عليها فتكون قد اصبحت جزءاً من الماضي ولكن يمكن تلخيص حدث حصل في الحاضر او سيحصل في مستقبل القصة"^(٥)، فالعلاقة بين الخلاصة وزمن الماضي وطيدة فوجودها مرتبط به، ولكنها تمر مروراً سريعاً عليه دون أن تدخل في غوره ويمكن عدّ هذه الوظيفة من أهم وظائف السرد التلخيصي، بل واكثرها تواتراً"^(٦)، وهناك وظائف أخرى للتلخيص منها " تقديم عام للمشاهد والربط بينها وتقديم عام لشخصية جديدة وعرض الشخصيات الثانوية التي لا يسع النص لمعالجتها معالجة تفصيلية والإشارة السريعة لثغرات زمنية وما وقع فيها من أحداث وتقديم الاسترجاع"^(٧). بما أن السيرة الرسائية التي بين يدينا هي سيرة ثنائية فمن المؤكد أنّ هناك أحداث قد مر بها الكاتبان والتي سوف تُختزل وسيكتفي الساردان بتقديم موجز بسيط عنها يقول سميح : " لقد رحلت خالتك "أم قاسم" التي أحببتنا على علاقتنا، وأطعمتنا الكبة واسترضت الله علينا قبل سفرك القديم وبعده إنها ترقد الآن في مقبرة العائلة حيث يرقد جدي القديم وأبي الأخير، رحلت مع الراحلين، لتعيدني دفعة واحدة الى طفولة راحلة وفتوة موعلة في

(١) بنية الشكل الروائي، حسن بحراوي: ١٦٥.

(٢) معجم السرديات، محمد القاضي وآخرون: ٣٧٣.

(٣) نظرية السرد، من وجهة النظر الى التنبير، مجموعة مؤلفين، ترجمة: ناجي مصطفى، منشورات دار الحوار الأكاديمي والجامعي، ط١، ١٩٨٩: ١٢٦.

(٤) ينظر: تحليل النص السردى، تقنيات ومفاهيم، محمد بوعزة، الدار العربية للعلوم والنشر، ط١، الرباط، ٢٠١٠: ٩٣.

(٥) بنية الشكل الروائي، حسن بحراوي: ١٤٥.

(٦) ينظر : المصدر نفسه: ١٤٦.

(٧) بناء الرواية، سيزا قاسم: ٨٢.

الرحيل"^(١). يذكر سميح اثناء كتابته لهذا النص من رسالة (الموت واللقاء هنا وهناك) مرحلتين من مراحل حياته وهي الطفولة والفتوة دون الخوض في تفاصيل تلك المرحلتين، بل لخصها ببعض الكلمات فقط. وفي رسالة أخرى (حاضر سابق) يقول درويش: " كما انقذتني راهبة لبنانية في زغرنا من عبثية الكتابة حين روت لي وفي عينيها دموع، إنها شهدت سقوط القدس في حزيران الشهير، وانها عالجت مقاتلاً جريحاً كانت وصيته الأخيرة، قبل استشهاده، أن يحصل على مجموعة من قصائداً!!"^(٢)، فعلى الرغم من مكوث درويش في لبنان ما يقارب التسع سنين إلا أنه لم يتكلم عن تلك الإقامة بالتفصيل وأوجزها لنا في عددٍ من الأسطر فقط، ويقول سميح: " واذكر كما قد تذكر، أن صليبا خميس، بعد طردي من سلك التعليم.." ^(٣) نستنتج من نص الرسالة السابق أن سميحاً كان قد عمل في سلك التعليم وبالتأكيد كانت مدة لا بأس بها غير أنه لم يذكر أية تفاصيل عن هذه الوظيفة سوى أنه طرد منها .

٢ - الحذف : ويسمى كذلك الاضمار أو الاسقاط فكلها مترادفات لتقنية زمنية من شأنها أن تسهم في تغيير سرعة سير السرد، فيشكل هذا الحذف " أسرع حركة سردية على الإطلاق اذ هو يتمثل في قفز السرد على فترة زمنية من الحكاية بحيث لا يكون لها وجود في الخطاب"^(٤).

فينجاز الكثير من كُتّاب القصص والروايات بعض المراحل التي تعيشها الشخصيات داخل القصة دون الإشارة إليها ولا نعرف حتى كيف قضت الشخصية هذه المدة، فيكتفي الروائي بقول مرت سنتان أو مضت عدة سنوات ^(٥).

وينقسم الحذف الى قسمين الأول حذف مميز مذكور (الصريح) والثاني الحذف الضمني ^(٦) . الأول (الحذف الصريح) هو " الذي يعلن فيه الراوي الفترة الزمنية المحذوفة، سواء حددها بدقة أو لم يحددها"^(٧)، مثل ومررت شهور او سنوات، ونذكر من المحدد ما قاله سميح : " بعد وفاة أبي بسنة كاملة جرؤت على الاقتراب من أوراقه، وبين تلك الأوراق عثرتُ على رسالة من المقدم عامر قائد جيش الانتقاذ في الرامة والمنطقة يوصي فيها بتجنيد أبي وبإعطائه

(١) الرسائل : ١٩٧.

(٢) الرسائل: ١٠٠.

(٣) المصدر نفسه: ٥٩.

(٤) معجم السرديات، محمد القاضي وآخرون: ٣٠.

(٥) ينظر : بنية النص السردية، حميد لحداني: ٧٧.

(٦) ينظر: بناء الرواية، سيزا قاسم: ٩٣.

(٧) السيرة الذاتية في التراث العربي، أسامة محمد البحيري: ٦٥.

رتبته الرسمية، رتبة الرئيس من أجل رفع معنويات المقاتلين ... " (١) نرى أنّ سميحاً قد حذف سنة كاملة من حياته ولم يخبرنا شيئاً عنها، ربما لأنه لا يريد أن يذكر تفاصيلها بسبب ألم فقدان والده فيها، أو قد يكون غير ملجٍ بها ويتذكرها .

وفي حذف آخر لدرويش في إحدى رسائله " لقد ازعجوني في نومي الأبيض الجميل ايقظوني في ساعة لا أريد أن استيقظ فيها من السفر الى ... الرحيل! بعد يومين، جئت لتجلس على سريري ... " (٢)، فكيف قضى درويش هذين اليومين بالطبع لا نعلم لأنه حذف محتواها من سرده .

أما بالنسبة للحذف غير المحدد فيقول سميح : " ومرت الأيام والليالي وأبرقت فأرعدت فأمطرت واستدعانا الوالد من جديد ليسأل مرة أخرى :كم بذرة وضعتما في كل حفرة ؟ ودون أن نلفظ الى عوامل الطبيعة وتقلباتها عدنا وكررنا :حبتين لا اكثر " (٣)، نسأل هنا أين تلك الأيام والليالي التي مرت على سميح، فنرى أنّها غير موجودة، فقد حذفها سميح دون أن يحدد مدتها بالضبط ربما لأن فيها تفاصيل جزئية لا يريد الخوض فيها، أو لأنه يريد أن يصل إلى الحكمة التي عنون رسائله من أجلها وهي (يهطل المطر وتثبت الحقيقة) .

وفي رسالة (قبلتي الحجر) يذكر سميح نصاً كان مفاده : " كان أن انقطع بريدنا شهوراً ثقيلة، وضجر سعاة البريد الذين اعتادوا فض رسائلنا وقراءتها قبلنا " (٤)، لم يذكر سميح شيئاً عن تلك الشهور التي انقطع فيها تبادل الرسائل بينهما و لم يحددها بالضبط ربما لأن هذه الرسالة كانت الأولى في الحزمة الجديدة من رسائلهما فكان متشوقاً لتبادل الرسائل من جديد، فأراد إعادة الترتيب الزمني لهذه الرسائل ولهذا قطع تفاصيل كل تلك الشهور ولم يتطرق إليها .

وفي حذف آخر لدرويش يقول : "هبطنا الوادي الحاد المؤدي الى الجنوب الشرقي المفتوح على بئر يشرق من سهل يقودنا الى قرية "شعب" حيث يقيم اقارب أمي وأهلها القادمون من قرية "الدامون" التي سقطت تحت الاحتلال ...وهنا -بعد أيام قليلة- تتادى فلاحو القرى المجاورة، الذين باعوا ذهب زوجاتهم، ليشتروا بنادق فرنسية الصنع لتحرير "البروة" " (٥) لم يدخل درويش في تفاصيل الأيام التي قضاها مع أهله في قرية (شعب) ولم يحدد كم بقوا فيها قبل ذهاب الفلاحين لتحرير قريته (البروة)، لأنه أراد الوصول إلى الحدث الأهم وهو الوحدة والتعاون الذي كان يسود بين أهالي القرى آنذاك وكذلك الاندفاع نحو الذود عن حياض الوطن، فعلى

(١) الرسائل: ٥٠.

(٢) المصدر نفسه: ١٢٧.

(٣) المصدر نفسه: ١٢٢.

(٤) المصدر نفسه: ١٦٩.

(٥) المصدر نفسه: ٤٥.

الرغم من قلة العدة إلا إنّ فلاحى القرى أرادوا بيع ذهب زوجاتهم لشراء الأسلحة للذهاب لتحرير هذه قرية .

الثاني (الحذف الضمني): هو حذف خفي غير معلى ولا توجد أى دلالة زمنية عليه على الرغم من حدوثه، وعلى القارئ أن يستدل على موقعه من خلال تركيزه على بعض الثغرات والانقطاعات الحاصلة فى التتابع الزمني المنطقي للقصة^(١)، كما أن القارئ يستطيع استنتاجه من خلال الربط بين المواقف السابقة واللاحقة للقصة^(٢)، والسيرة الذاتية الرسائلية التي بين يدينا خصوصية فى الحذف الزمني لأنها كما قلنا سابقاً هي عبارة عن مراسلة بين شخصين فكل رسالة ترسل لا يُرد عليها باللمحة أو فى اليوم ذاته فقد يأخذ المرسل إليه أياماً عدة كي يرد عليها، إذن هناك فاصل زمني بين هذه الرسائل لا يَنوّه عليه الكاتبان ولكن الاستدلال عليه ممكن من خلال ما يدونه المرسل فى نهاية كل رسالة بتاريخ كتابتها باليوم والشهر والسنة وحتى المكان، كما كتب درويش فى إحدى رسائله "سأودعك الآن لأكتب إحدى خطب الدكتاتور، فقد أطلقتُ عليه قافيتي، كما أطلق هو على نباح كلابه... وكتّابه.

اخوك محمود درويش

باريس ١٩٨٦/٩/٩ "٣).

فيرد عليه سميح بعد عدة أيام "ماذا أصابنا ؟ اضحك يا ولدي اضحك ... ابك يا بني ابك !

اخوك سميح القاسم

حيفا ١٩٨٦/٩/١٦ "٤).

ب - تعطيل السرد

وهو عملية تهدئة لحركة السرد إلى الحد الذي يوهم القارئ بتوقف حركة السرد عن النمو أو يتساوى زمن السرد وزمن الحكاية^(٥). وهذا التباطؤ يحدث عبر تقنيّتي المشهد والوصف التي سنتناولها بشيء من التفصيل :

(١) ينظر : بنية الشكل الروائي، حسن بحراوي: ١٦٢.

(٢) ينظر : تقنيات السرد الروائي فى النظرية والتطبيق، أمّنة يوسف ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط٢، بيروت، ٢٠١٥ : ١٢٨.

(٣) الرسائل: ٩٣.

(٤) المصدر نفسه: ٩٨.

(٥) ينظر : تقنيات السرد الروائي فى النظرية والتطبيق، أمّنة يوسف: ١٢٣.

١- المشهد : "سميت هذه التقانة بالمشهد لأنها تخص الحوار، حيث يغيب الراوي ويتقدم الكلام كحوار بين صوتين" (١)، فالمشهد هو "المقطع الحوارى الذى يأتي فى كثير من الروايات فى تضاعيف السرد، إنَّ المشاهد تمثل بشكل عام اللحظة التى يكاد يتطابق فيها زمن السرد مع زمن القصة من حيث مدة الاستغراق" (٢)، فالمشهد الحوارى يُعبر عنه لغوياً ويتوزع الى ردود متناوبة كالتى نراها فى النصوص الدرامية (٣). ونظراً لأهميته فى السرد كان لابد من معرفة وظائفه، فمن هذه الوظائف تكوين صورة عن الشخصيات المتحاورة، وافتتاح واختتام السرد، كما أنَّ من خلاله يفهم القارئ التطورات الحاصلة فى الأحداث ومصائر الشخصيات (٤). والسرد الرسائلي كبقية أجناس السرد يدخل المشهد ضمن تكوينه الزمنى، فنجد فى رسائل درويش وسميح القاسم مشاهد حوارية بينهما وبين شخصيات أخرى خارجة عنهما .

"وهكذا حاورني صحافي اسرائيلي :

هل قلت لنا : اخرجوا من جرحنا ؟

- قلت ذلك .

لماذا ؟

- لأن جرحي هو ملكيتي الشخصية، هو جزء من هويتي فهل لك حقّ فيه ؟

- لا ولكن هل قلت لنا : اخرجوا من قمحنا ؟

- نعم قلت ذلك، لان قمحي هو رغيفي النظيف، فهل لك حقّ فيه ؟ " (٥) . ويواصل درويش سرد هذا الحوار بينه وبين الصحافي الاسرائيلي عبر حوار طويلة من هذه الرسالة وعلى الرغم من أن الصحافي شخصية عابرة غريبة عن السرد إلا إنَّ المشهد كشف عن بعض أبعاد هذه الشخصية وما تؤمن به، فسمح هذا المشهد بتباطؤ السرد بل تساوى فيه زمن السرد و زمن القصة . ولسمح أيضاً مشهد حوارى يسرد فيه قصة اعتقاله من قِبَل شرطة لندن فيقول : "حيثُ ينتظرنا جمهورنا الحار والطيب، أدنو من المصعد، وكما الأفلام الأمريكية الرخيصة، يندفع نحوي ثلاثة رجال باللباس المدني، يشهرون فى وجهي بطاقات ما ويعلنون : أنت رهن الاعتقال !

(١) تقنيات السرد الروائي فى ضوء المنهج البنوي، يمنى العيد، دار الفارابي، ط٣، بيروت،

٢٠١٠: ١٢٧.

(٢) بنية النص السردى، حميد لحمداني: ٧٨.

(٣) بنية الشكل الروائي، حسن بحرأوي: ١٦٦.

(٤) المصدر نفسه: ١٦٦-١٦٧.

(٥) الرسائل : ١٨٣.

- بأي تهمة ؟

- ستعرف التفاصيل في مركز الشرطة .

- لكن جمهوراً كبيراً ينتظرنى الآن ليسمع قصائدي ولا بد من إعلامه بما يجري .

- نحن نعلم منظمي المهرجان .

- في الخارج تنتظرنى سيارة، يجب أن اخبر المنظمين بالأمر .

- نحنُ نفضل ذلك تفضل " (١) .

ويواصل سميح سرده عبر مشهد حوارى بينه وبين الشرطة وتتخلل الحوار بعضُ التوضيحات و التنبؤات التي يقاطع فيها مشهده الحوارى، ثم يعود بعد ذلك إليه ؛ وقد تحققت وظيفة المشهد بافتتاح واختتام سرد القصة عن طريق الحوار الذي كشف عن الحدث وملابساته وقدم لنا إضاءات مفيدة لاحقاً في عملية السرد .

٢ - الوقفة الوصفية : وتسمى أيضاً بالاستراحة وهي إحدى تقنيات تعطيل السرد التي يتخلى السارد بموجبها عن مجرى القصة ويهتم بوصف منظر لا ينظر إليه أحد، وصفاً يتولاه باسمه الخاص لمجرد اخبار قارئه .^(١) فالوصف عادةً يؤدي الى انقطاع السيرورة الزمنية، ويعطل حركتها فيلجأ السارد في كثير من الأحيان الى وصف أشياء أو شخصيات أو مواقف معلقاً السرد الى حين الانتهاء من الوصف والرجوع إليه مرة أخرى .والوقفة" تمثل أقصى درجات الإبطاء في السرد إذ إنّ الحيز الذي تحتله في الخطاب لا توافقه مدة زمنية من الحكاية "^(٣).

نقرأ في هذا النص "وينفتح الشرق أمامي لغابات الزيتون التي تصعد وتصعد بلا تعب وملل الى تعرجات جبال كثيرة، متناثرة، لتصل قريتي بقريتك العالية، عبر عشرات من القرى المتناثرة، كالمجاز السهل، في نشيد شديد الصعوبة ؛ يدخلنا في منته شهداء أو شهداء، وهكذا تتحول شجرة الخروب إلى مرتكز جهات، وإلى علامة الفارق بين الأرض والسماء . ومن على غصونها أطف، حتى الآن، حبات الهواء الطازجة "^(٤) يتوقف درويش قليلاً ليصف الغابة الممتلئ بأشجار الزيتون والجبال التي تربط قريته بقريه سميح وصولاً إلى وصفه لشجرة الخروب التي يكاد الحنين إليه يقصم ظهره كلما تذكرها.

و لسميح وقفة وصفية يقول فيها : " ووصلت رسالتك، اذن كيف وصلت ؟ عبر كوتنا إياها الكوة المضاءة بسراج الدم في هذه القلعة المائلة المهجورة المعتمة، الكوة التي كأنها (وكأنما)

(١) الرسائل، محمود درويش وسميح القاسم: ٢٠٨ .

(٢) خطاب الحكاية، جبرار جينيت: ١١٣ .

(٣) معجم السرديات، محمد القاضي وآخرون: ٤٧٨ .

(٤) الرسائل: ٤٥ .

استغفلت الزمان فطلت مفتوحة أو كأنما هي ثغرة طارئة بفعل العوامل الطبيعية والفيضانات والعواطف، الهزات الأرضية ربما، إلا إن الحارس الشيخ الذي دافع ببسالة عن هواء هذه الكوة ونورها لم يزل حياً يرزق ومن حوله سيط لن يضيع !^(١)، ولصعوبة وصول الرسائل لهما يتخيل سميح أنّ هناك كوة (نافذة) مضاءة تصل الرسائل عبرها، وقصد بهذه الكوة ونورها الأمل الذي يتجدد بداخله عبر هذه الرسائل .

وفي نص آخر يتوقف الزمن السردى عند سميح خلال سرده لقصة اعتقاله فيصف قائلاً : " ليست زلزلة تلك التي نألّفها إنها أوسع قليلاً . نظيفة . وفي ركنها مرحاض من النيروستا . وهناك أريكة بغطاء بلاستيكي وطاقة ضوء في منتصف السقف "^(٢)، فرغم شعوره بالقلق وخوفه من المجهول الذي أحاط به نراه يوقف السرد ليصف المكان الذي أُعتقل فيه . وفي رسالة (الدكتور) لدرويش يقول : " عزيزي سميح، ساعات ما بعد الظهر، ضوء، سماء، زرقاء، ضوء يتلألأ على أوراق الشجر، ضوء يتسرب إلى النفس، ضوء من ضوء لا من موسيقى موزارت ولا من رواية فوكنر، ضوء ضوء... "^(٣)، يوقف درويش الزمن واصفاً وقت ما بعد الظهره بسمائه وضوئه، وهذا من القلة القليلة التي يبدأ كاتب سرده بوصف، وهناك وصف لأحدى الشخصيات يقول سميح : "اليوم في غمرة رسالتك الأخيرة، صعقتني نوبة ضميرية جديدة : فجأة بنهض بيني وبينك راشد حسين بقامته الفارعة المنحنية قليلاً عند ملتقى العنق بالكتفين وبغترته المتلفتة أبداً كأنها راغبة في الرحيل إلى مكان ما "^(٤)، يعلق سميح سرده ليصف شخصية راشد حسين، فهي الشخصية الوحيدة التي وصفت شكلاً في هذه الرسائل، وذلك لشدة تعلق وتأثر الكاتبين بها .

نلاحظ أنّ الوقفات الوصفية قليلة جداً في هذه الرسائل وإن وجدت تكاد لا تتجاوز عدة من الأسطر، ربما لأنّ الوصف عبارة عن توقف للسرد، حيث يأخذ الراوي (كاتب الرسائل) وصف شيء معين، فيشغل بذلك عدة صفحات من السرد وهذا لا يتوافق مع الرسائل فكما لاحظنا أنّ اطول رسالة لا تتجاوز الخمس صفحات وبالتالي سوف تؤثر على محتوى الرسالة وما يريد المرسل إيصاله للمرسل إليه .

(١) الرسائل: ٦٧.

(٢) المصدر نفسه: ٢٠٩.

(٣) المصدر نفسه: ٨٩.

(٤) المصدر نفسه: ٧٥.

الخاتمة

من كل ما سبق رأينا كيف أنّ السرد الرسائلي كان مجالاً فسيحاً لتقنيات السرد فقد دخلت بين ثناياه الكثير منها التي بدورها أسهمت في زيادة المتعة والتشويق لدى قارئ الرسائل، وهذه الدراسة تمخضت عن نتائج كان أبرزها :

١. اهتمام الفلاسفة كثيراً في البحث في مقولة الزمن .
٢. يعتبر الزمن عنصراً هاماً لا يمكن الاستغناء عنه في النص السري .
٣. اشتملت الرسائل على جميع التقنيات السردية التي تطبق على الروايات والقصص .
٤. كانت الاسترجاع في الرسائل بمثابة أضاءة وتوضيح لما كان غامضاً أو غير مفسر في الماضي .
٥. فسح الاستيق المجال للكاتب لإطلاق عنان خياله وقدرته في التنبؤ .
٦. كانت تقنيات تسريع الزمن حاضرة بأنواعها وبكثافة عدا الخلاصة التي كانت أقل هذه التقنيات حضوراً .
٧. أمّا تقنيات تعطيل السرد، فكانت أقل حضوراً وتركيزاً في الرسائل وخاصةً الوقفات الوصفية .

ثبت المصادر

- ❖ الإيدولوجيا وبنية الخطاب الروائي، دراسة سوسيو بنائية في روايات عبد الحميد بن هذوقة، منشورات جامعة منتوري، د. ط، قسنطينة، ٢٠٠١.
- ❖ بناء الرواية، دراسة مقارنة في ثلاثية نحيب محفوظ، سيزا قاسم، مهرجان الأسرة للجميع، مكتبة الأسرة، مصر، ٢٠٠٤.
- ❖ بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية)، حسن بحراوي، المركز الثقافي العربي، ط١، بيروت، ١٩٩٠.
- ❖ بنية النص السردى، من منظور النقد الأدبي، حميد لحمداني، المركز الثقافي العربي، ط١، بيروت، ١٩٩١.
- ❖ تحليل النص السردى، تقنيات ومفاهيم، محمد بوعزة، الدار العربية للعلوم والنشر، ط١، الرباط، ٢٠١٠.
- ❖ تقنيات السرد الروائي في النظرية والتطبيق، أمنا يوسف، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط٢، بيروت، ٢٠١٥.
- ❖ تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنوي، يمنى العيد، دار الفارابي، ط٣، بيروت، ٢٠١٠.
- ❖ خطاب الحكاية، جيرار جينيت، ترجمة: محمد معتصم وآخرون، الهيئة العامة للمطابع الأميرية، ط٢، مصر، ١٩٩٧.
- ❖ الرسائل، محمود درويش وسميح القاسم، دار العودة، بيروت، ١٩٩٠.
- ❖ الزمان الوجودي، عبد الرحمن بدوي، دار الثقافة، ط٣، بيروت، ١٩٧٣.
- ❖ الزمان والفلسفة والعلم، يمنى طريف الخولي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، ١٩٩٩.
- ❖ الزمن والرواية، مندلاو، ترجمة: بكر عباس، دار صادر، ط١، بيروت، ١٩٩٧.
- ❖ السيرة الذاتية في الأدب العربي، فدوى طوقان وجبرا ابراهيم جبرا واحسان عباس أنموذجاً، تهاني عبد الفتاح شاكر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، بيروت ٢٠٠٢.
- ❖ السيرة الذاتية في التراث العربي، اسامة محمد البحيري، المجلة العربية، د. ط، الرياض، ٢٠١٨.
- ❖ سيرة الغائب سيرة الآتي، السيرة الذاتية في كتاب الأيام لطفه حسين، شكري مبخوت، دار الجنوب للنشر، د. ط، تونس، ١٩٩٢.
- ❖ طرائق تحليل السرد الأدبي، دراسات، مجموعة مؤلفين، منشورات اتحاد كتاب المغرب، ط١، الرباط، ١٩٩٢.

- ❖ علم السرد، مدخل الى نظرية السرد، يان مانفريد، ترجمة: أماني أبو رحمة دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١١.
- ❖ في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، عبد الملك مرتاض، عالم المعرفة، د. ط، الكويت، ١٩٩٨.
- ❖ قاموس السرديات، جيرالد برنس، ترجمة: السيد إمام، ميريت للنشر والمعلومات، ط١، القاهرة، ٢٠٠٣.
- ❖ القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، اشراف: محمد نعيم العرقسوسي، الرسالة للطباعة والنشر، ط٨، بيروت، ٢٠٠٥.
- ❖ كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ترتيب وتحقيق: عبد الحميد هندواي، الجزء الثاني، دار الكتب العلمية، ط١ بيروت، ٢٠٠٣.
- ❖ الكتابة عن الذات سردياً، عادل الفريجات، المعرفة، ع١، ٥٩٤، مارس ٢٠١٣.
- ❖ لحظة الأبدية، دراسة الزمان في أدب القرن العشرين، سمير الحاج شاهين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، بيروت، ١٩٨٠.
- ❖ لسان العرب، ابن منظور، المجلد الثالث عشر، د. ط، بيروت، د. ت.
- ❖ مدخل الى نظرية القصة، تحليلاً وتطبيقاً، سمير المرزوقي وجميل شاکر، ١٩٨٦.
- ❖ المصطلح السردى، جيرالد برنس، ترجمة: عابد خزندار، المجلس الأعلى للثقافة، ط١، ٢٠٠٣.
- ❖ معجم السرديات، محمد القاضي وآخرون، دار الفارابي، ط١، لبنان ٢٠١٠.
- ❖ المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانكليزية واللاتينية، جميل صليبا، الجزء الأول، دار الكتاب اللبناني، د. ط، بيروت، ١٩٨٢.
- ❖ المغامرة الجمالية للنص الأدبي، دراسة موسوعة، محمد صابر عبيد، الشركة المصرية العالمية للنشر، ط١، مصر، ٢٠١٢.
- ❖ نظرية السرد، من وجهة النظر الى التبئير، مجموعة مؤلفين، ترجمة: ناجي مصطفى، منشورات دار الحوار الأكاديمي والجامعي، ط١، ١٩٨٩.

نقوش اختتام الخلفاء الامويين ودلالاتها

Umayyad Caliphs Seals' Inscriptions and Their Sings

Ali Mehedi Saeed

Dr. Omar Amjad Saleh

Professor

University of Mosul - College

of Education For Human

Sciences- Department of

History

علي مهدي سعيد

د. عمر أمجد صالح

أستاذ

جامعة الموصل - كلية التربية للعلوم

الانسانية - قسم التاريخ

gwgwghwwghwhwh@gmail.com

تاريخ القبول

٢٠٢١/١٢/٢١

تاريخ الاستلام

٢٠٢١/١٢/١٥

الكلمات المفتاحية: النقش - الخاتم - المضمون - الخلفاء - الأمويين

Keywords: Engraving- Seal- Content- Caliphs- Umayyad

الملخص

تتناول هذه الدراسة الخاتم ونقشه كونه رمزاً من رموز السلطة وقد اتخذته أرباب السياسة والملك منذ القدم ومساواة آخر المسلمين من الخلفاء على هذا الأمر اقتداء بالرسول (ﷺ) الذي اتخذ خاتماً ونقش عليه اسمه وصفته (محمد رسول الله) والتزم بذلك الخلفاء الأمويون واتخذوا خواتم لهم رسمية وشخصية ونقشوا عليها ما أرادوه من نقوش وعبارات بليغة وتجسد معاني الايمان والنقة بالله والانقياد له والتوكل عليه، وقد اهتمت هذه الدراسة بعناية الأمويين بالخواتم ونقوشها ومضامين هذه النقوش ودلالاتها السياسية والدينية والأدبية، وسماتها وطوابعها الاسلوبية، وتعدادها لكل خليفة ولتعرض هذه النقوش صفوة أفكارهم وخلاصة تجاربهم في الحياة.

Abstract

This study deals with the ring and its engraving as a symbol of power. It was taken by the political bosses since ancient times and the path of the last rulers of the Muslims from the caliphs on this matter, following the example of the Messenger (PBUH), who took a ring and engraved on it his name and description (Muhammad is the Messenger of God). Official and personal, and they engraved on them what they wanted of inscriptions and eloquent expressions that embody the meanings of faith, trust in God, submission to Him, and reliance on Him in life.

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد. تناولت هذه الدراسة موضوعاً مهماً جداً وغير تقليدي في الدراسات التاريخية كونه يبحث في جزئية صغيرة ذات دلالات كبيرة وهو نقوش أختام وخواتم الخلفاء الأمويين ومضامينها ودلالاتها، حيث أصبح الخاتم أحد أهم شارات الحكم ورموز السلطة الدنيوية، فاتخذه أرباب السياسة والملك منذ أقدم العصور وجرى ذلك في الاسلام، منذ اتخاذ النبي (ﷺ) الخاتم والنقش عليه، فافتدى به كل المسلمين وتسنن بسننه عامة المسلمين وخاصتهم من رجال العلم والسياسة والأمراء والقادة وبرزهم ولادة الامر من الخلفاء في العصر الراشدي واتبعهم وسار على نهجهم الخلفاء في العصر الاموي ليصبح من السنن السلطانية عند تولي الحكم فاتخذوا الخواتم الرسمية والشخصية ونقشوا عليها ما حلا لهم من عبارات بليغة وموجزة عامرة بمعاني الايمان وبالله والثقة به والانتقاد له والتوكل عليه. وستمثل ملامح قوية من شخصياتهم بوصفهم خلفاء الاسلام والحامين عن الرعية، والمعبرة عن صفوة أفكارهم وخلاصة رؤاهم في الكون والحياة.

فانتظم هذا البحث في مقدمة ومبشرين وأهم النتائج لهذه الدراسة تناول المبحث الأول منها استعراض نقوش خواتم الخلفاء الأمويين من الفرع السفيني أي أبناء الخليفة المؤسس للدولة الاموية معاوية بن ابي سفيان وابنه يزيد وحفيده معاوية الثاني واستعراض اسمائهم وأنسابهم ونشأتهم وتوليهم منصب الخلافة حتى وفاتهم بشكل مركز ثم الوقوف على خواتمهم التي تختموا فيها والنقوش التي نقشوا عليها واعادها واهم الدلالات والمقاصد والغايات التي دفعتهم لانتقاشها بمثل هذه النقوش، اما المبحث الثاني فقد ناقش فكرة ومنحى المبحث الاول لكن مع باقي خلفاء بني امية من الفرع المرواني من مروان بن الحكم حتى أخيرهم وآخر خلفاء بني أمية مروان بن محمد (الحمار) واستعرض ايضاً أسماءهم وأنسابهم ونشأتهم وتوليهم الخلافة حتى وفاتهم وبشكل مركز جداً ثم الوقوف عند غاية البحث الرئيسية في استعراض خواتمهم ونقوشها واعادها واهم الدلالات والمقاصد والغايات التي دفعتهم لانتقاشها بهذه العبارات والنقوش والتي تنهي هذا البحث بجملة من النتائج والاستنتاجات التي خرجت بها هذه الدراسة.

وقد اعتمد البحث على جملة من المصادر المتنوعة بين مصادر التاريخ ومصادر السنة النبوية من كتب الحديث بمجملها وكتب التاريخ ليأتي في مقدمتها كتب الطبقات والتراجم ككتاب الطبقات الكبرى لابن سعد (٢٣٠هـ) وكتاب معرفة الصحابة لأبي نعيم الاصبهاني (٤٣٠هـ) وكتاب الاستيعاب لابن عبد البر (٤٦٣هـ) وكتاب أسد الغابة لأبن الأثير (٦٣٠هـ) وكتاب الاصابة لأبن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) وغيرها كثير لتكون العماد الذي اعتمدت عليه الدراسة، وكذلك كتب اللغة والأدب والتاريخ الخاص بالخلفاء ككتاب تاريخ الخلفاء للسيوطي (٩١١هـ) وكتاب نهاية الارب للنويري (٧٣٣هـ)، وكتب التاريخ العام والبلدان وغيرها لتعني البحث بما قدمته من روايات وآخرها كتب الأنساب ككتاب أنساب الأشراف للبلاذري (٢٧٩هـ).

واخيراً نسأل الله تعالى ان نكون قد وفقنا في تقديم عمل علمي رصين فيه تسليط الضوء على جزئية من تاريخ الأمة الاسلامية، ليكون بخدمة المكتبة العربية الاسلامية ومن الله التوفيق.

أولاً: **نقش خاتم الخليفة معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنه)** (٤١-٦٦١هـ/٦٧٩م)

قبل الحديث عن خاتم معاوية (رضي الله عنه) وما حواه من شعار و نقش لا بد و أن نذكر بعضاً من سيرته لما لذلك من انعكاس متبادل على مضمون نقش خاتمه من حيث التأثير والتأثر المتبادل ما بين مضمون النقش وشخص الخليفة نفسه. هو معاوية بن أبي سفيان بن صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي الأموي، يكنى أبا عبد الرحمن ويلقب بالناصر لدين الله^(١)، اختلف المؤرخون في سنة ولادته ويمكن القول أنه ولد قبل مبعث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بخمس سنين وهذا ما رجحه ابن حجر العسقلاني من بين عدة أقوال^(٢).

ذكرت بعض المصادر التاريخية أنه منذ صباه ظهرت عليه علامات القيادة والسيادة، فقليل إن أمه هند بنت عتبة كانت تجره بقوة فانتبه ابو سفيان أبوه على ذلك فقال لها على رسلك إن هذا الصبي سيسود قومه في يوم من الأيام فقالت هند(أمه): "تَكَلَّمَتْهُ امَةٌ أَنْ لَمْ يَسُدِ الدُّنْيَا"، ولم توفر المصادر المعلومات الوافية عن سيرته قبل الاسلام سوى أنه كان من سادة

(١) ابو القاسم عبد الله بن محمد السبتي، معجم الصحابة، تحقيق، محمد الامين الجكني، دار البيان، (الكويت، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م)، ج٥، ص٣٦٣؛ محمد بن حبان بن احمد البستي، الثقات، دائرة المعارف العثمانية، (الهند، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م)، ج٣، ص٣٧٣؛ احمد بن عبد الله بن احمد ابو نعيم الاصبهاني، معرفة الصحابة، تحقيق، عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن، (الرياض، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م)، ج٥، ص٢٤٩٦؛ يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الاصحاب، تحقيق، علي محمد البجاري، دار الجيل، (بيروت، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م)، ج٣، ص١٤١٦؛ احمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، تحقيق، بشار عواد معروف، دار الغرب الاسلامي، (بيروت، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م)، ج١، ص٥٧٤؛ علي بن ابي الكرم عز الدين ابن الأثير، اسد الغابة في معرفة الصحابة، دار الفكر، (بيروت، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م)، ج٤، ص٤٣٣؛ ابو زكريا محي الدين يحيى بن شرف النووي، تهذيب الاسماء واللغات، دار الكتب العلمية، (بيروت، د.ت)، ج٢، ص١٠١؛ احمد بن علي بن حجر العسقلاني، الاصابة في تميز الصحابة، تحقيق، احمد عبد الموجود وعلي محمد عوض، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٤١٥ هـ)، ج٦، ص١٢٠؛ محمود بن أحمد بدر الدين العيني: معاني الاخبار في شرح أسامي رجال معاني الآثار، تحقيق: محمد حسن محمد، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٤٢٧ هـ-٢٠٠٦ م)، ج٣، ص٥٥٥.

(٢) الاصابة: ج٦، ص١٢٠.

وأشرف مكة هو وأبوه، الى جانب كونه من كبار تجار مكة، أسلم معاوية (رضي الله عنه) خفية عام صلح الحديبية وقيل في الفتح الاسلامي لمكة وهو ابن ثماني عشرة سنة^(١). حينما أسلم حسن اسلامه وكان من الصحابة المقربين للرسول (صلى الله عليه وسلم) ولصدقته وأمانته فأنتدبه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لوظيفة مهمة، ألا وهي كاتباً للوحي وكانت الاخيرة منزلة لا ينالها الا الصادق والأمين^(٢)، وفي زمن الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ولآه الشام وبقي عليها حتى خلافة عثمان بن عفان بن عفان (رضي الله عنه) ويذكر انه بقي في الولاية لمدة عشرين سنة^(٣). تولى خلافة المسلمين بعد استشهاد الخليفة علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) وتنازل الحسن بن علي (رضي الله عنه) عن الخلافة لصالحه في عام (٦٤١هـ/٦٦١م) وقد سمي هذا العام بعام الجماعة^(٤)، واستمر معاوية خليفة على المسلمين حتى وفاته عام (٦٧٩هـ/٦٧٩م) في دمشق وهو ابن ثمان وسبعين سنة وقيل اثنين وثمانين سنة، وقيل ستة وثمانين سنة^(١).

(١) محمد بن سعد بن منيع الزهري، الطبقات الكبرى، تحقيق، احسان عباس، دار صادر، (بيروت، ١٩٦٩م)، ج ٧، ص ٤٠٦؛ الاصبهاني: معرفة الصحابة، ج ٥، ص ٢٤٩٦؛ ابن عبد البر: الاستيعاب، ج ٣، ص ١٤١٦؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١، ص ٦٧٤؛ ابو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر، تاريخ دمشق، تحقيق، عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (دمشق، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م)، ج ٥٩، ص ٦٥؛ النووي: تهذيب الاسماء واللغات، ج ٢، ص ١٠١.

(٢) احمد بن يحيى بن جابر البلاذري، انساب الاشراف، تحقيق، سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر، (بيروت، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م)، ج ٢، ص ١١٥؛ شهاب الدين احمد بن عبد الله الاندلسي، العقد الفريد، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٤٠٤هـ)، ج ٤، ص ٢٤١؛ ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج ٣٤، ص ٣٠٥؛ شمس الدين احمد بن محمد الذهبي، سير اعلام النبلاء، دار الحديث، (القاهرة، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م)، ج ١٤، ص ١٩١؛ ابو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير دمشقي، السيرة النبوية، تحقيق، مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة، (بيروت، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٦م)، ج ٤، ص ٦٦٩-٦٧٤؛ علي بن ابي بكر الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الفكر، (بيروت، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م)، ج ١، ص ١٥٣؛ ابو محمد محمود بن احمد بدر الدين العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار احياء التراث العربي، (بيروت، د.ت)، ج ٣، ص ١٧٧.

(٣) ابن سعد: الطبقات، ج ٧، ص ٤٠٦؛ ابن حبان: الثقات، ج ٢، ص ٣٠٥؛ ابن عبد البر: الاستيعاب، ج ٣، ص ١٤١٦؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١، ص ٥٧٤؛ النووي: تهذيب الاسماء واللغات، ج ٢، ص ١٠١؛ ابن حجر: الاصابة، ج ٦، ص ١٢٠.

(٤) خليفة بن خليفة ابن خياط الشيباني، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق، اكرم ضياء العربي، دار القلم، دمشق، مؤسسة الرسالة، (بيروت، ١٣٩٧هـ)، ج ١، ص ٢٠٣؛ يعقوب بن سفيان بن جowan الفارسي، المعرفة والتاريخ، تحقيق، اكرم العمري، مؤسسة الرسالة، (بيروت، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م)، ج ١، ص ٣؛ محمد بن جرير بن يزيد الطبري، تاريخ

وفي الحديث عن نقش خاتمه فقد سار (ﷺ) على نهج رسول الله (ﷺ) والخلفاء الراشدين من بعده في اتخاذ الخاتم فقد أصبحت سنة متبعة للخلفاء، ولكونه إحدى ضرورات الحكم وإدارة الدولة الإسلامية، فقد ذكرت المصادر التاريخية أنه (ﷺ) اتخذ خاتماً منقوشاً عليه عبارة "لكل عمل ثواب"^(١). فضلاً عن ذلك فإن مصادر أخرى ذكرت أن نقش خاتمه كان "لا قوة إلا بالله"^(٢)، فيما أضاف ابن حبان بقوله أن نقش خاتمه كان "لا قوة إلا بالله العلي العظيم"^(٤)، فاذا ما

الرسول والملوك، دار الكتب العلمية (بيروت، ١٤٠٧هـ)، ج٣، ص٢٦١؛ ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٤، ص٣٣٧؛ ابن عبد البر: الاستيعاب، ج٣، ص١٤١٨؛ ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج٢٨، ص٣٥؛ ابن الأثير: اسد الغابة، ج٥، ص٢٢٢؛ ابو الغداء اسماعيل بن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، تحقيق، علي شيري، دار احياء التراث العربي، (بيروت، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م)، ج١٠، ص٤٩.

(١) ابن حبان: الثقات، ج٢، ص٣٠٥؛ احمد بن محمد بن الحسين الكلاباذي، الهداية والارشاد في معرفة اهل الثقة والسداد، تحقيق، عبد الله الليثي، دار المعرفة، (بيروت، ١٤٠٧هـ)، ج٢، ص٧٠٤؛ الاصبهاني: معرفة الصحابة، ج٥، ص٢٤٩٦؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١، ص٥٧٤؛ ابن عبد البر: الاستيعاب، ج٣، ص١٤١٨؛ النووي: تهذيب الاسماء واللغات، ج٢، ص١٠٣؛ ابن حجر: الاصابة، ج٦، ص١٢٠.

(٢) ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج٥٩، ص١٤٧؛ محمد بن مكرم بن علي جمال الدين ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، ابن عساکر، تحقيق، روحية النحاس وآخرون، دار الفكر، (دمشق، ١٤٠٢هـ)، ج٢٥، ص٤٣؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج٨، ص١٤٠؛ عبد الرحمن بن احمد ابن رجب الحنبلي، مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي، تحقيق، ابو مصعب طلعت الحلواني، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، (القاهرة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م)، ج٢، ص٦٨٠؛ أحمد بن علي أحمد القلقشندي: مآثر الانافة في معالم الخلافة، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، (الكويت، ١٩٨٥م)، ط٢، ج١، ص١١٠؛ المقرئزي: امتاع الاسماع، ج٧، ص٤٢؛ حسين بن محمد بن الحسن الديار بكري، تاريخ الخميس في احوال انفس النفيس، دار صادر، (بيروت، د.ت)، ج٢، ص٢٩٧؛ علي محمد الصلابي: معاوية بن أبي سفيان - شخصيته وعصره -، دار الاندلس، (مصر ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م)، ط١، ج١، ص٢٦٢.

(٣) اسحاق بن ابراهيم بن سنين الختلي، الديباج، تحقيق، ابراهيم صالح، دار البشائر، (د.م، ١٩٩٤م)، ج١، ص٧٣؛ علي بن الحسين بن علي المسعودي، التنبيه والاشراف، دار الصاوي، (القاهرة، د.ت)، ج١، ص٢٦٢؛ ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج٥٩، ص١٤٧؛ ابن منظور: مختصر تاريخ، ج٢٥، ص٤٣؛ ابن رجب: مجموع رسائل، ج٢، ص٦٨٠؛ القلقشندي: مآثر الانافة، ج١، ص١١٠؛ المقرئزي: امتاع الاسماع، ج٧، ص٤٢.

(٤) الثقات: ج٢، ص٣٠٦.

تأملنا نقوش خواتم الخليفة معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنه) نرى أنه لم يكتفي بخاتم واحد إذا ما صحت الروايات التاريخية، ففي كل نقش من تلك النقوش جانب من جوانب شخصية الخليفة معاوية وانعكاس شخصيته على نقشه وما يحمله هذا النقش من مضامين دلالية كبيرة عن حياة وممات هذه الشخصية.

وعند التمعن في مضمون هذه النقوش نرى أن النقش الأول "لكل عمل ثواب" يدل على أن الثواب والجزاء لا يكون إلا بعد العمل من قبل الشخص قال تعالى: ﴿فَأَنَّهُمْ اللَّهُ تَوَابٌ أَلَدُنْيَا وَحَسَنَ تَوَابٍ الْآخِرَةِ﴾^(١)، فلقد سار (رضي الله عنه) بعد اسلامه غازياً مجاهداً مع جيش المسلمين وقد شهد فتوح الشام ومعارك اليمامة واليرموك والقادسية ونهاوند وهمدان ابتغاء ثواب الآخرة كيف لا وهو الذي شجع المسلمين ركوب بحر الروم للغزو والفتح ففتح الله على يده عدة جزر لليونان والدرديبل وحصار القسطنطينية^(٢).

أما نقش "لا قوة إلا بالله" فقد دل ايضاً على أن معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنه) على الرغم من ما وصل إليه من ملك وقوة وتمكن وغزو في سبيل الله وما عرف عنه من دهاء وحلم حتى لقب بكسرى العرب^(٣)، كل هذه الامكانيات كأنه اختصرها في عدة أحرف والتي تعني أنه لا حول ولا قوة ولا حيلة ولا قدرة ولا حركة ولا انتصار في دفع شر أو تحصيل خير لا يكون إلا بمشيئة الله عز وجل فمنه تستمد العزيمة والقوة واعتراف بالضعف والهوان أمام قوة الله تبارك وتعالى والتي يقف أمامها الانسان عاجزاً.

وحتى ندرك مدى اهتمام الأمويين بالخاتم وعلو شأنه عندهم بوصفه أحد علائم الملك والسلطان فقد انشأ مؤسسة إدارية مختصة بشؤون هذا الخاتم، وأخذ له ولي هو عبيد الله ابن اوس الغساني ودفع إليه خاتم الخلافة ليحفظه ويستعمله بأمر الخليفة عند الحاجة إليه^(٤)، وقد

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤٨.

(٢) ابن عبد البر: الاستيعاب؛ ج٣؛ ص١٤١٨؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ج٤، ص٤٧٢؛ شمس الدين احمد بن محمد الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والاعلام، تحقيق، عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، (بيروت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م)، ج٢، ص١٦٦؛ ابن حجر: الاصابة، ج٦، ص١٢٠؛ خير الدين بن محمود الزركلي الدمشقي، الاعلام، دار العلم للملايين، (دم، ٢٠٠٢م)، ج٧، ص٢٦٢.

(٣) ابن عبد البر: الاستيعاب، ج٣، ص١٤٢٠؛ ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج٥٩، ص١١٥؛ ابن الاثير: اسد الغابة، ج٥، ص٢٢٢؛ النووي: تهذيب الاسماء واللغات، ج٢، ص٤٠٧؛ شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب النويري، نهاية الارب في فنون الادب، دار الكتب والوثائق القومية، (القاهرة، ١٤٢٣هـ)، ج١٩، ص٢٢٩؛ الذهبي: سير الاعلام النبلاء، ج٣، ص١٣٤؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج٨، ص١٢٥؛ ابن حجر: الاصابة، ج٦ ص١٥٣.

(٤) عبد الرحمن بن ابي بكر جلال الدين السيوطي، تاريخ الخلفاء، تحقيق، حمدي الدمردشي، (دم، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م)، ص٢٠٠-٢٠١ ابو عبد الله محمد بن عبدوس

عد تأسيس هذا الديوان من جلة أعمال معاوية على النطاق الاداري وأضيف إلى أولياته^(١)، وذكر ابن الطقطقي أن "هذا الديوان من أكابر الدواوين المعتمدة لم تزل السنة جارية به الى اواسط دولة بني العباس فأسقط"^(٢) اما الغاية التي دفعت الخليفة معاوية بن ابي سفيان الى انشائه واستحداثه يتختم به كل الكتب الصادرة من الخليفة هو أنه كان قد أمر لعمر بن الزبير بمائة ألف درهم وبعثها الى والي العراق زياد بن أبيه فقام عمرو بفتح الكتاب وجعلها مائتي ألف درهم وعندما رفع زياد هذا الحساب الى الخليفة نفى الخليفة ذلك، فأصدر أوامره فحبس حتى دفعها عنه أخوه عبدالله بن الزبير، عندئذ أمر الخليفة معاوية بشد الكتب وكانت لا تُشد^(٣)، وذكر الطبري أنه كان على ديوان خاتمه عبدالله بن محض الحميدي^(٤).

ثانياً: نقش خاتم الخليفة يزيد بن معاوية (٦٠-٦٦٤هـ/٦٧٩-٦٨٣م)

أبو خالد يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ثاني خلفاء بني أمية وقد ولد يزيد في خلافة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) سنة خمس وعشرين وقيل ست وعشرين وقيل سبع وعشرين للهجرة^(٥)،

الجهشياري، الوزراء والكتاب، تحقيق، مصطفى السقار ورفاقه، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، (القاهرة، ١٣٢٨ هـ - ١٩٢٨ م)، ص ٢٥ .

(١) ابو هلال الحسن بن عبد الله العسكري، الاوائل، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م)، ص ٦٩ .

(٢) محمد بن علي بن طباطبا ابن الطقطقي: الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية، تحقيق: عبد القادر محمد مايو، دار القلم العربي (بيروت، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، ط ١)، ص ١٠٧ .

(٣) علي ابي الكرم عز الدين ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تحقيق، عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، (بيروت، ١٤١٧ هـ/١٩٩٧ م)، ج ٣، ص ١٢٥؛ ابن الطقطقي: الفخري في الآداب السلطانية ، ط ١، ج ١، ص ١١٣؛ القلقشندي: مآثر الانافة، ج ٣، ص ٣٤٢؛ محمد بن علي الاصبحي المروان بابن الازرق، بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق، د. علي سامي النشار، وزارة الاعلام، (العراق، د.ت)، ج ٢، ص ٢٣٣؛ شحاتة محمد صقر: معاوية بن أبي سفيان أمير المؤمنين وكاتب وحي النبي الأمين (رضي الله عنه)، كشف شبهات ورد مفتريات، دار الخلفاء الراشدين، (الاسكندرية، د.ت)، ج ١، ص ٦٧ .

(٤) تاريخ الرسل: ج ٣، ص ٢٦٣ .

(٥) عبد الرحمن بن عمرو بن أبي زرعة الدمشقي: تاريخ أبي زرعة الدمشقي، تحقيق: شكر الله القوجاني، مجمع اللغة العربية، (دمشق، د.ت)، ج ١، ص ١٩١؛ ابو سليمان محمد بن عبد الله بن احمد الربيعي: تاريخ مولد العظماء ووفياتهم، تحقيق، عبد الله احمد سليمان، دار العاصمة، (الرياض، ١٤١٠ هـ)، ج ١، ص ١١٢؛ ابن منظور: مختصر تاريخ، ج ٢٨، ص ١٩؛ محمد بن شاكر بن أحمد الملقب صلاح الدين: فوات الوفيات،

نشأ يزيد عند أخواله بن كلب في البداية ليتعلم الخطابة والشجاعة والفصاحة والتي أثرت في حياته ولباسه وعين له أبوه مؤدباً ليعلّمه وجعله يحضر المجالس ليستفيد منها إذا ما ولي الأمر بعده^(١).

وذكرت المصادر أن يزيد بويع بالخلافة بعد وفاة معاوية سنة (٦٧٩هـ/٦٧٩م) وهو ابن اثنتين وثلاثين سنة وقيل ابن أربع وثلاثين سنة ، وذلك بعهد من أبيه معاوية، فيما رفض الحسين بن علي (رضي الله عنه) وعبدالله بن الزبير (رضي الله عنه) بيعته، وشهدت خلافته كثيراً من الأحداث العظام كان أعظمها هي ثورة الإمام الحسين بن علي (رضي الله عنه) وخروجه الى العراق واستشهاده سنة (٦١٠هـ/٦٨٠م) في كربلاء^(٢)، وكذلك ثورة عبدالله بن الزبير (رضي الله عنه) في مكة المكرمة^(٣)، وبقي في الخلافة حتى حضرته الوفاة سنة (٦٦٤هـ/٦٨٣م) في قرية حوارين من أرض الشام وهو ابن ثمان وثلاثين سنة^(٤).

تحقيق: احسان عباس، دار صادر، (بيروت، ١٩٧٤م)، ط ١، ج ٤، ص ٣٢٨؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ١٤٧.

(١) ابن عساکر: تاريخ مدينة دمشق، ج ٦٥، ص ٣٩٧-٤٠٨؛ الذهبي: سير اعلام النبلاء، ج ٥، ص ٥؛ تاريخ الاسلام، ج ٥، ص ٢٦٩-٢٧٢؛ ابن منظور: مختصر تاريخ، ج ٢٨، ص ١٩-٢٨؛ الزركلي: الاعلام، ج ٨، ص ١٨٩؛ علي محمد الصلابي: الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، دار المعرفة، بيروت، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م، ط ٢، ج ١، ص ٤٤٦-٤٤٧.

(٢) ابن سعد: الطبقات، ج ٥، ص ٢١١؛ احمد بن محمد بن حنبل الشيباني، فضائل الصحابة، تحقيق، وحي الله محمد عباس، مؤسسة الرسالة، (بيروت، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م)، ج ٢، ص ٧٨٢؛ احمد بن داود الدينوري، الأخبار الطوال، تحقيق، عبد المنعم عامر، دار احياء التراث العربي، (القاهرة، ١٩٦٠م)، ج ١، ص ٣٧٠-٣٧٥؛ الطبري: تاريخ الرسل، ج ٣، ص ٢٩٨؛ ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج ٤، ص ٣٥٥-١٦٠؛ ابن عبد البر: الاستيعاب، ج ١، ص ٣٩٣-٣٩٧؛ ابن عساکر: تاريخ مدينة دمشق، ج ١٤، ص ٢٢٠-٢٢٥؛ ابن الاثير: الكامل، ج ٣، ص ٣٨٣.

(٣) ابن سعد: الطبقات، ج ٥، ص ١٤٤-٢٧١؛ عبدالله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري: الإمامة والسياسة، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م)، ج ٢، ص ١٨٥-١٨٩؛ ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج ٤، ص ٣٦٧-٣٨٦؛ ابن الاثير: الكامل، ج ٤، ص ١١١-١٢٥؛ النووي: تهذيب الاسماء، ج ١، ص ٧٥-٩٥؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج ٨، ص ٢٢٤-٢٩٠.

(٤) البلاذري: التنبيه والاشراف، ج ١، ص ٢٦٢؛ الطبري: تاريخ الرسل، ج ٣، ص ٣٦٢؛ ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج ٥، ص ١٢٤؛ محمد بن حبان بن أحمد البستي: السيرة النبوية واخبار الخلفاء، الكتب الثقافية، (بيروت، ١٤١٧هـ)، ط ٣، ج ٢، ص ٥٥٥؛ ابن عساکر:

واقْتداءً بمن سبقه من الخلفاء الراشدين وأبيه معاوية فقد اتخذ يزيد هو الآخر الخاتم الخاص به ونقش عليه عبارة "ربنا الله"^(١)، وقد غلب ذكر هذا النقش في المصادر التاريخية عن باقي النقوش التي اتخذها يزيد، فيما ذكر ابن حبان وابن كثير أن نقش خاتمه كان "آمنت بالله مخلصاً"^(٢)، في حين أشارت الروايات الأخرى إلى أن نقش خاتمه كان "آمنت بالله العظيم"^(٣).

في حين انفرد القضاعي بنقش آخر وهو "لا قوة إلا بالله"^(٤)، فضلاً عن نقش آخر ذكره الزركلي وهو "يزيد بن معاوية"^(٥)، وأمام هذا العدد من الروايات التاريخية وهذا التشابه في محتوى نقوش الخواتم الثلاثة الأولى للخليفة يزيد بن معاوية والتي توحي أن الخليفة يزيد اتخذ أكثر من ثلاثة أختام وإذا ما وحدنا النقش الثاني والثالث نجد اختلافاً في اللفظ حسب ما جاء في هذه النصوص التاريخية.

وأما النقش الأول "ربنا الله" فقد دل على توحيد الربوبية لله عز وجل وتنزيه النفس من الشرك بالله وعدم الالتفات إلى غيره والالتزام بأوامره والابتعاد عما نهى عنه ﴿إِنَّ الْيَبْرُوتَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾^(٦)، فالإيمان بالله وتوحيده يعقبه الالتزام بأوامره والابتعاد عما نهى عنه تقرباً إليه ورجاء رحمته وخشية عذابه، فهل يا ترى التزم يزيد بهذه العبارة خصوصاً وأن عهده شهد قتل حفيد رسول الله (ﷺ) الحسين بن علي (ﷺ) وانتهاك حرمة المدينة ورمي البيت الحرام بالمنجنيق فهل عكس مضمون هذا النقش شيئاً من التزام

تاريخ دمشق، ج ٦٥، ص ٣٩٧؛ النويري: نهاية الأرب، ج ٢٠، ص ٣٧٦؛ الذهبي: سير اعلام النبلاء، ج ٥، ص ٧؛ الزركلي: الاعلام، ج ٨، ص ١٨٩.

(١) المسعودي: التنبيه والاشراف، ج ١، ص ٢٦٥؛ النويري: نهاية الأرب، ج ٢٠، ص ٢٦٥؛ ابن رجب: مجموع رسائل، ج ٢، ص ٦٨٠؛ القلقشندي: مآثر الأئمة، ج ١، ص ١١٧؛ المقرئ: امتاع الاسماع، ج ٧، ص ٤٢؛ علي محمد الصلابي: خلافة أمير المؤمنين عبدالله بن الزبير (ﷺ)، مؤسسة إقرأ، (القاهرة، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م)، ط ١، ج ١، ص ٥٩.

(٢) الثقات: ج ٢، ص ٣٠٦؛ السيرة النبوية، ج ٢، ص ٥٦٢؛ البداية والنهاية، ج ٨، ص ٢٣٦ .
(٣) الختلي: الديباج، ج ١، ص ٧٣؛ ابن منظور: مختصر تاريخ، ج ٢٨، ص ٢٩؛ ابن طولون: قيد الشريد من اخبار يزيد، تحقيق: محمد زينهم محمد، دار الصحوة للنشر، (دم)، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، ط ١، ج ١، ص ٥٠.

(٤) ابو عبدالله محمد بن سلامة الشافعي: عيون المعارف وفنون اخبار الخلفاء، تحقيق: عبدالرحيم محمد بن علي، دار الينابيع، (عمان، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م)، ص ١٥٧.

(٥) الاعلام: ج ٨، ص ١٨٩.

(٦) سورة فصلت، الآية: ٣٠.

هذه الشخصية بالكلمات التي حواها هذا الخاتم، ولم يذكر له المورخون إلا حسنة واحدة وهي قيادة حملة غزو القسطنطينية^(١).

أما نقش "آمنت بالله مخلصاً" أو "بالله العظيم" فهو نقش كان قد سبقه إليه الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) وهذا دليل واضح على تأثر يزيد بشخصية عثمان (رضي الله عنه) وما حمله مضمون هذا النقش من دلالات الإيمان المخلص بالله عز وجل والذي إن دل على شيء فإنما يدل على سعي صاحب الخاتم للوصول الى أعلى مراتب الإيمان بالله عز وجل، خصوصاً وأن هناك من أظهر خلاف ذلك لشخص يزيد وذكروا أنه أظهر الشرب واتباع الهوى والغناء والصيد واتخاذ الغلمان فنرى أن مضمون النقش في وادٍ وحامله في وادٍ آخر^(٢).

وفي الحديث عن النقش الأخير فنجدته متجرداً من أي كلمات دالة على العبادة فكان حاملاً اسمه فقط "يزيد بن معاوية" ويذكر الدروبي انه لا نستطيع ان نقرأ في فضائه اي ملامح دالة على معانيه السياسية أو الدينية أو الأدبية فدلالته لا تتعدى أن تكون توثيقية محضة، ولعل هذا اللون من النقش أشبه شيءٍ بالتوقيع أو الامضاء الذين يستعمله المعاصرون^(٣)، فاذا ما صح هذا النقش انه آخر نقوش خواتمه فانه يظهر الحالة التي وصل إليها يزيد بعد مقتل الحسين (رضي الله عنه) مظهراً عدم رضاه عن قتله والذي لا يبرأ ذمته من تحمل المسؤولية كونه أعلى سلطة وكان بمقدوره أن يوجه قادته بعدم التعرض لحياة الحسين وأصحابه كذلك يعكس هذا النقش ما وصلت إليه نفسية وحالة يزيد بن معاوية من شعور بالذنب والتقصير، وربما كان غير ذلك وان ذكر اسمه مجرداً من مقطعين مجردين وعارين من عبارات التفضيم والتبجيل، كان جارياً آنذاك.

ثالثاً: نقش خاتم الخليفة معاوية بن يزيد (٦٤٤هـ/٦٨٣م)

هو معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان أبو عبد الرحمن ويقال أبو ليلي القرشي الأموي ويقال أبو يزيد، ولد سنة (٤٣هـ/٦٦٣م)، وعرف عنه أنه نشأ نشأةً سالحة وكان من

(١) الذهبي: سير اعلام النبلاء، ج٥، ص٥٥؛ صلاح الدين: فوات الوفيات، ج٤، ص٣٢٨؛ يوسف بن تغري بردي الحنفي: مورد اللطافة، في من ولي السلطنة والخلافة، تحقيق: نبيل محمد، دار الكتب المصرية، (القاهرة، د.ت.)، ج١، ص٦٧؛ الزركلي: الاعلام، ج٨، ص١٨٩.

(٢) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٥، ص٢٨٦؛ أحمد بن يعقوب بن مسكويه: تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تحقيق: أبو القاسم إمامي: سروش، (طهران، ٢٠٠٠م)، ط٢، ج٢، ص٨٥؛ الذهبي: سير اعلام النبلاء، ج٥، ص٦.

(٣) محمد محمود الدروبي، نقوش خواتم الخلفاء الامويين، جمع ودراسة وتحقيق، مجلة المنارة للبحوث والدراسات، جامعة ال البيت، (٢٠١١م)، ص٥١.

الأخبار ومتديناً، وتولى الخلافة بعهد من أبيه يزيد في ربيع الأول سنة (٦٤٤هـ/٦٨٣م) وقيل أنه كان كارهاً لها^(١).

ونتيجة لصلاحه وكرمه للحكم والسياسة ترك الحكم وخلع نفسه ثم مكث في بيته حتى وفاته في نفس السنة التي ولي فيها وهو ابن عشرين سنة وقيل احدى وعشرين، كانت مدة حكمه أربعين يوماً وقيل ثلاثة أشهر ولم يستخلف أحداً بعده^(٢).

روي عنه أنه قال "أما بعد فأني ضعفت عن أمركم فابتغيت لكم مثل عمر بن الخطاب حين استخلفه أبو بكر فلم أجد، فابتغيت ستة مثل ستة الشورى فلم أجد، فأنتم أولى بأمركم فاختراروا له"^(٣)، ويمكن أن نستنتج من هذا النص كره معاوية للحكم وخوفه من مسؤوليتها الكبيرة الى جانب خشيته من أن يعهد الأمر لأحد من بعده يجور في حكمه فيتحمل وزر أعماله ودل أيضاً أنه لم يجد الشخص المناسب فيمن حوله ليولييه الخلافة فترك الأمر لهم.

على الرغم من قصر مدة حكمه إلا أن المصادر ذكرت أيضاً أن الخليفة معاوية بن يزيد هو الآخر اتخذ الخاتم الخاص به ونقش عليه ما يعكس شخصيته، ومن أشهر النقوش

(١) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج٥٩، ص٢٩٦؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٣، ص٢٢٥؛ الذهبي: سير اعلام النبلاء، ج٤، ص١٣٩؛ عمر بن مظفر زين الدين ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م)، ط١، ج١، ص٦٦؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج٨، ص٢٦٠؛ الفلقشندي: مآثر الانفاة، ج١، ص١٢٢؛ الديار بكري: تاريخ الخميس، ج٢، ص٣٠١.

(٢) علي بن أحمد ابن حزم الاندلسي: رسائل ابن حزم الاندلسي، تحقيق: احسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (بيروت، د.ت)، ط٢، ص١٤١؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج٥٩، ص٢٩٩؛ جمال الدين ابو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والامم، تحقيق، محمد عبد القادر ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م)، ج٦، ص٣٢؛ محمد بن موسى بن عيسى الدميري: حياة الحيوان الكبرى، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٤٢٤هـ)، ط٢، ج١، ص٩٣؛ يوسف بن تغري بردي الحنفي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب، (مصر، د.ت)، ج١، ص١٦٣؛ مورد اللطافة: ج١، ص٧٠؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص١٦٠؛ عبد الملك بن حسين العصامي المكي: سمط النجوم العوالي في انباء الاوائل والتوالي، تحقيق: عادل أحمد وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م)، ط١، ج٣، ص٢١٤.

(٣) ابن الطقطقي: الفخري، ص١٢٠، عماد الدين اسماعيل، مؤيد الدولة، المختصر في اخبار البشر، المطبعة الحسينية، (مصر، د.ت)، ط١، ج١، ص١٩٣؛ المكي: سمط النجوم، ج٣، ص٢١٢؛ الزركلي: الاعلام، ج٧، ص٢٦٣.

التي ورد ذكرها والتي تنسب إليه نقش "إنما الدنيا غرور"^(١)، فيما ذكرت مصادر أخرى أنه اتخذ نقشاً آخر حمل عبارة "بالله يثق معاوية"^(٢)، وفي لفظ آخر "بالله ثقة معاوية"^(٣)، فيما انفرد ابن حبان بذكر نقش "يا الله نستعين معاوية"^(٤).

وإذا ما اردنا تحليل نقوش هذه الأختام نرى أن النقش الأول "إنما الدنيا غرور" عكس نظرة معاوية بن يزيد لهذه الحياة الفانية بما فيها من سلطة وجاه ومال وما فيها من فتن ومغريات للإنسان قد تحرفه عن سبب خلقه ووجوده على هذه الارض، خصوصاً وأن المصادر قد حدثتنا عن زهده ودينه وخوفه من الله والذي اختصر الحياة في قوله تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾^(٥).

ويرى الباحث أن مضمون النقش الأول قد انعكس على شخصية معاوية من حيث التأثير والتأثر فهو قد أثر في النقش من خلال نظريته للحياة ويتأثر هو الآخر بمضمون هذا النقش من كلمات عظيمة لخصت حال الدنيا ومغرياتها لتترك أثرها في نفسه والتي تمثلت في تنازله عن الخلافة ومسئولياتها الجسام ولزومه لبيته وخلع بيعته ولم تستخلف أحداً بعده بقوله "ما أحببت من دنياكم بشيء فأتقلد مأثمها"^(٦)، فتوفي ولم يبايع لأحد.

أما نقش "بالله يثق معاوية" فهو يدل على ثقة معاوية بالله عز وجل ورحمته ومغفرته وحسن الظن به وصدق التوكل عليه وتقرباً منه لرجل طلق الدنيا وزينتها مذكراً نفسه في معاده الى الله عز وجل راجياً رحمته قائلاً "وددتُ والله أني كنتُ نسياً منسياً ولم أسمع بذكر جهنم"^(٧)، وكان لنقش "يا الله نستعين معاوية" دلالات واضحة في طلب المعونة من الله عز

-
- (١) القضاعي: عيون المعارف، ص ١٥٨؛ ابن رجب: مجموع رسائل، ج ٢، ص ٦٨٠؛ القلقشندي: مآثر الانافة، ج ١، ص ١٢٢؛ احمد بن علي بن احمد القلقشندي، صبح الاعشى في صناعة الانشاء، تحقيق، يوسف علي الطويل، دار الفكر، (بيروت، ١٩٨٧م)، ج ٦، ص ٣٤٠؛ المقرئ: امتاع الاسماع، ج ٧، ص ٤٢؛ الديار بكري: تاريخ الخميس، ج ٢، ص ٣٠١.
- (٢) الختلي: الديباج، ج ١، ص ٧٢؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج ٥٩، ص ٣٠٣؛ ابن منظور: مختصر تاريخ، ج ٢٥، ص ١١١.
- (٣) المسعودي: التتبيه والاشراف، ج ١، ص ٢٦٥؛ ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج ٥٩، ص ٣٠٣؛ النويري: نهاية الأرب، ج ٢٠، ص ٥٠٠.
- (٤) الثقات: ج ٢، ص ٣١٥.
- (٥) سورة آل عمران، الآية: ١٨٥.
- (٦) ابن سعد: الطبقات، ج ٥، ص ٣٨؛ ابن حبان: الثقات، ج ٢، ص ٣١٤؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج ٥٩، ص ٣٠١؛ ابن تغري بردي: مورد اللطافة، ج ١، ص ٧٠؛ علي بن ابراهيم برهان الدين الحلبي، السيرة الحلبية، انسان العيون في سيرة الامين والمأمون، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٤٢٧هـ)، ج ١، ص ٢٤٤.
- (٧) البلاذري: انساب الاشراف، ج ٥، ص ٣٥٩؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج ٦، ص ٣٢.

وجل على طاعته وحسن عباداته والتوكل عليه في صغائر الأمور وكبائرها والتي عكست صورة الإيمان الواضح لهذه الشخصية بالله والقدرة الإلهية على كل شيء. والخلاصة فإن مضمون هذه النقوش السابقة قد عكست صورة واضحة عن معاوية في سعيه لإرضاء الله والخوف منه والتسليم بقدرته العظيمة والاستعانة به في السراء والضراء فأنما دل هذا على الإيمان الراسخ والعميق لهذه الشخصية على الرغم من قصر مدة حكمه لكنها كانت طويلة بما تركه من أثر واضح في ترك الحياة الدنيا ومفاخرها والاتجاه الى ما عند الله عز وجل والذي تمثل في قوله تعالى: ﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ ﴾^(١)، وفيه قال الشاعر:

إني أرى فتنة تغلي مراجلها **والملكُ بعد أبي ليلى لمن غلبا^(٢)**

رابعاً: نقش خاتم الخليفة مروان بن الحكم (٦٤-٦٥هـ/٦٨٣-٦٨٤م)

وهو مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن مناف القرشي الأموي أبو عبد الملك ويقال أبو القاسم ويقال أبو عبد الحكم^(٣)، ولد في السنة الثانية للهجرة وقبل عام الخندق وقد كان كاتباً للخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) وكان أميراً على المدينة ومكة والطائف على عهد معاوية بن أبي سفيان، وقد بويح بالخلافة في الأردن سنة أربع وستين للهجرة وقد قيل أنه أول من أخذ الخلافة بالسيف نتيجة صراعه مع عبدالله بن الزبير على الخلافة، فقد خرج إليه جيش ابن الزبير بقيادة الضحاك بن قيس فاقتتلوا في منطقة مرج راهط من أرض الشام فهزتهم مروان وقتل الضحاك^(٤) (*).

(١) سورة النحل، الآية: ٩٦.

(٢) ابن سعد: الطبقات، ج٤، ص١٦٩؛ الطبري: تاريخ الرسل، ج٣، ص٣٦٢؛ الزركلي: الاعلام، ج٧، ص٢٦٣.

(٣) ابن سعد: الطبقات، ج٥، ص٣٥؛ البلاذري: أنساب الاشراف، ج٦، ص٢٥٥؛ أحمد بن عمرو بن الضحاك الشيباني: الاحاد والمثاني، تحقيق: باسل فيصل، دار الراهبة، (الرياض، ١٤١١هـ-١٩٩١م)، ط١، ج١، ص٣٩٢؛ عبد الرحمن بن محمد بن ادريس ابن ابي حاتم، الجرح والتعديل، دائرة المعارف العثمانية، الهند، دار احياء التراث العربي، (بيروت، ١٤٢٧هـ - ١٩٥٢م)، ج٨، ص٢٧١؛ ابن الاثير: أسد الغابة، ج٤، ص٣٦٨-٣٦٩؛ ابن الطقطقي: الفخري في الآداب السلطانية، ج١، ص١٢٠؛ الذهبي: سير اعلام النبلاء، ج٤، ص٤٦٤؛ أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري، مسالك الابصار في ممالك الامصار، المجمع الثقافي، (ابو ظبي، ١٤٢٣هـ)، ج٢٤، ص٣٦٩-٣٧٠؛ بن حجر: الاصابة، ج٦، ص٢٠٣.

(* الضحاك بن قيس: بن خالد بن وهب بن ثعلبة الفهري كان على شرطة معاوية ثم اصبح واليا على الكوفة بعد زياد بن ابيه وبقي في خدمة الامويين عند مجيء يزيد بن معاوية

قتل مروان بن الحكم في بيته عام (٦٥هـ/٦٨٤م) وهو ابن ثلاث وستين سنة على يد زوجته أم خالد بن يزيد بن معاوية فقد خنقته بوسادة حتى مات بسبب شتمه لابنها و كانت مدة خلافته تسعة أشهر^(١)، فيما ذكر صاحب كتاب الاخبار الطوال ان زوجته دست له السم حتى مات^(٢).

فيما يخص نقش خاتم الخليفة الأموي الرابع مروان بن الحكم فقد ذكرت المصادر التاريخية عدة نقوش لخاتمه ما يؤكد فرضية وجود أكثر من خاتم له ومن هذه النقوش هو نقش "أمّنت بالعزیز الرحيم"^(٣)، وقيل "أمّنت بالعزیز الحكيم"^(٤)، فيما ذكرت مصادر أخرى نقش "العزة لله"^(٥)، كذلك جاء في روايات أخرى أن نقش خاتمه كان "الله ثقني ورجائي"^(٦).

وبعد ابنه معاوية الثاني الى ان ماتا، وعند خروج دعوة الزبير بن العوام بايعه ودعا له وقد قتل بمعركة مرج راهط التي وقعت بين الزبير بن العوام ومروان ابن الحكم، ابن عبدالبر : الاستيعاب ، ج ٢، ص ٧٤٤-٧٤٥ .

(٤) المطهر بن طاهر المقدسي: البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية، (بور سعيد: د.ت)، ج ٦، ص ١٩؛ غريغوريوس ابن آهون الملطي المعروف بأبن العبري: تاريخ مختصر الدول، تحقيق: انطون صالحاني، دار الشرق، (بيروت، ١٩٩٢م)، ط ٣، ج ١، ص ١١١؛ ابن منظور: مختصر تاريخ، ج ٢٣، ص ١٧٢؛ مؤيد الدولة: المختصر، ج ١، ص ١٩٣-١٩٤؛ الذهبي: تاريخ الاسلام، ج ٥، ص ٢٢٧-٢٢٩؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج ٨، ص ٢٦٣-٢٦٤؛ الفلقشندي: مآثر الانافة، ج ١، ص ١٢٤-١٢٥ .

(١) محمد بن علي المعروف بابن العمراني: الاتباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق: قاسم السامرائي، دار الآفاق العربية، (القاهرة، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م)، ط ١، ص ٤٩؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ج ٥، ص ٣٦٩؛ ابن الطقطقي الفخري: ج ١، ص ١٢١؛ مؤيد الدولة: المختصر، ج ١، ص ١٩٣؛ العمري: سالك الابصار، ج ٢٤، ص ٣٦٩.

(٢) احمد بن داؤود الدينوري: الاخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر، دار احياء الكتاب العربي، (القاهرة، ١٩٦٠م)، ط ١، ص ٢٨٥.

(٣) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج ٥٧، ص ٢٦٥؛ ابن منظور: مختصر تاريخ، ج ٢٤، ص ١٩٠؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج ٨، ص ٢٨٥؛ الصلابي: خلافة أمير المؤمنين، ج ١، ص ٨٧.

(٤) المسعودي: التنبيه والاشراف، ج ١، ص ٢٦٩؛ ابن حبان: الثقات، ج ٢، ص ٣١٥؛ السيرة، ج ٢، ص ٥٦٣؛ ابن رجب: مجموع رسائل، ج ٢، ص ٦٨٠.

(٥) المسعودي: التنبيه والاشراف، ج ١، ص ٢٦٩؛ ابن حبان: الثقات، ج ٢، ص ٣١٥؛ السيرة، ج ٢، ص ٥٦٣؛ الزركلي: الاعلام، ج ٧، ص ٢٠٧.

(٦) القضاء: عيون المعارف، ص ١٦٢؛ النويري: نهاية الأرب، ج ٢١، ص ٩٧؛ ابن رجب: مجموع رسائل، ج ٢، ص ٦٨٠؛ الفلقشندي: مآثر الانافة، ج ١، ص ١٢٥؛ صبح

ومن أجل الوقوف على مضمون هذه النقوش فقد مثل النقش الأول والثاني محاولة هذه الشخصية بلوغ درجة الايمان المطلق بالله تعالى وابتغاء رحمته والخشية من عذابه وقد علمنا كيف خاض حرباً شرسة مع جماعة مسلمة من أجل الحصول على الحكم والرياسة. وأما نقش "العزة لله" فقد عكس القوة والغلبة والشدة والامتناع وهي حالة مانعة للإنسان^(١)، الى جانب ذلك عكس النقش القوة والانتصار الذي حققه مروان بن الحكم على جيش عبدالله بن الزبير في معركتين متتاليتين دون أن يُهزم حيث استطاع أن يثبت اركان الدولة الأموية بعد أن اهتزت بموت معاوية بن يزيد وبيعة عبد الله بن الزبير ليموت في النهاية على يدي امرأة؟، وأخيراً نقش "الله تقتي ورجائي" فقد عكست دلالاته ثقة مروان بن الحكم بالله عز وجل ورجاءه له والتوكل عليه والطمأنينة إليه فهل يا ترى قد حقق مروان بن الحكم هذه المضامين.

خامساً: نقش خاتم الخليفة عبد الملك بن مروان (٦٥-٨٦هـ/٦٨٤-٧٠٥م)

وهو عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس الأموي القرشي، ولد سنة (٢٧هـ/٦٤٦م) في خلافة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) وكان يلقب أبا الوليد، وكان قد شهد استشهاد عثمان بن عفان مع أبيه مروان بن الحكم وهو بعمر عشر سنين، وقد ولاه معاوية بن أبي سفيان المدينة المنورة وهو ابن ستة عشرة سنة^(٢).

الاعشى، ج٦، ص٣٤٠؛ المقرئ: امتاع الاسماع، ج٧، ص٤٢؛ الديار بكرى: تاريخ الخميس، ج٢، ص٣٠٨.

(١) محمد بن احمد بن الازهري ابو منصور، تهذيب اللغة، تحقيق، محمد عوض مرعب، دار احياء التراث العربي، (بيروت، ٢٠١١م)، ج١٣، ص٨؛ ابو نصر اسماعيل الجوهري الفارابي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق، احمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، (بيروت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م)، ج٣، ص٨٨٦؛ ابي الحسين احمد بن زكريا ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق، عبد السلام محمد هارون، دار الحلبي، (بيروت، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م)، ج٤، ص٣٨؛ النووي: تهذيب الاسماء واللغات، ج٤، ص٢٠؛ محمد بن مكرم بن علي ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، (بيروت، ١٩٨٧م)، ج٤، ص٣٧٤؛ محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق، مجموعة من المحققين، دار الهداية، (دم، د.ت)، ج١٥، ص٢١٩.

(٢) ابن سعد: الطبقات، ج٥، ص٢٢٣-٢٢٤؛ البلاذري: أنساب الأشراف، ج٧، ص١٩٣؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١٢، ص١٢٦؛ النووي: تهذيب الاسماء واللغات، ج١، ص٣٠٩؛ ابن منظور: مختصر تاريخ، ج١٥، ص٢١٩-٢٢٠؛ الذهبي: سير اعلام النبلاء، ج٥، ص١٤٠؛ صلاح الدين خليل بن ابيك الصفدي، الوافي بالوفيات، تحقيق، احمد الارناؤوط وتركي مصطفى، دار احياء التراث، (بيروت، ١٤٢٠هـ -

وقد بويع بالخلافة بوصاية من أبيه مروان بن الحكم سنة (٦٥هـ/٦٨٤م) وهو بالشام وكانت لا زالت مشكلة الاختلاف مع عبدالله بن الزبير قائمة فجهز جيشاً وخرج الى العراق فقابل مصعب بن الزبير حتى قتله فاستولى على العراق ثم جهز جيشاً آخر بقيادة الحجاج بن يوسف الثقفي لقتال عبدالله بن الزبير فخرج إليه فحاصره حتى قتله سنة (٧٣هـ/٦٩٢م) فاجتمعت له الخلافة بعد قتل ابن الزبير^(١).

توفي عبد الملك بن مروان سنة (٨٦هـ/٧٠٥م) بعد أن بلغ من العمر ستين سنة وقيل إحدى وستين وقيل اثنتين وستين سنة وقيل ثلاث وستين بعد حكم دام إحدى وعشرين سنة ثلاث عشرة منها بعد قتل ابن الزبير^(٢).

اتخذ عبد الملك بن مروان كحال من سبقه خاتماً خاصاً به ولكن اختلف عن خلفاء بني أمية السابقين، من حيث أن المصادر التاريخية أوردت له نقشاً واحداً مع اختلاف باللفظ فقد ورد بصيغة "أمنت بالله مخلصاً"^(٣)، فيما ذكرت مصادر أخرى لفظ "أؤمن بالله مخلصاً"^(٤). وعند تحليل مضمون هذا النقش نرى أنه يدور حول فكرة واحدة ألا وهي الايمان المخلص لله تعالى خالق كل شيء ومليكه وقد عكست كلمة الايمان سعي صاحب النقش للوصول الى مراتب الايمان العليا التي يسعى إليها العبد المؤمن في توحيد الله عز وجل

(٢٠٠٠م)، ج ٢، ص ٤٠٢؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ١٩، ص ١٣٩؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ج ١، ص ١٦٢.

(١) عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري: المعارف، تحقيق: شروق عكافة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة، ١٩٩٢م)، ط ٢، ج ١ ص ٣٥٥-٣٥٧؛ يعقوب بن سفيان بن جوان الفارسي، المعرفة والتاريخ، تحقيق، اكرم العمري، مؤسسة الرسالة، (بيروت، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م)، ج ١، ص ٣٦-٣٧؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج ٨، ص ٢٨٦، ابن العراني: الابناء، ج ١، ص ٤٨-٤٩؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٣، ص ٢٧٣-٢٧٦؛ ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ج ١، ص ١١٢؛ الذهبي: تاريخ الاسلام، ج ٥، ص ٣١١.

(٢) ابن سعيد: الطبقات، ج ٥، ص ٢٣٥؛ ابن حبان: الثقات، ج ٢، ص ٣١٧؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١٢، ص ١٢٦؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج ٣٧، ص ١٢٩؛ ابن الاثير: الكامل، ج ٣، ص ٥٣١؛ ابن منظور: مختصر تاريخ، ج ١٥، ص ٢٣٤؛ ابن الوردي: تاريخ، ج ١، ص ١٧٣.

(٣) المسعودي: التنبيه والاشراف، ج ١، ص ٢٧٣؛ ابن حبان: الثقات، ج ٢، ص ٣١٥؛ النويري: نهاية الأرب، ج ٢١، ص ٢٨٠؛ ابن رجب: مجموع رسائل، ج ٢، ص ٦٨٠؛ الفلقشندي: مآثر الانافة، ج ١، ص ١٢٨؛ المقرئ: امتاع الاسماع، ج ٧، ص ٤٢؛ عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، دار احياء التراث العربي، (بيروت، ١٤١٨هـ)، ج ٢، ص ٣١؛ الديار بكري: تاريخ الخميس، ج ٢، ص ٣١١؛ الصلابي: الدولة الأموية، ط ٢، ج ٢، ص ٧٣.

(٤) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج ٣٧، ص ١٣٠؛ ابن منظور: مختصر تاريخ، ص ٢٢٤.

وعبادته عبادة خالصة له، ويمكن القول أن هذه الصورة عكست شخصية عبد الملك بن مروان قبل أن يتولى الخلافة وحتى عندما كان أميراً على المدينة على عهد معاوية بن أبي سفيان، فقد قيل أنه أي عبد الملك كان عاملاً حازماً لبيباً أديباً عالماً، وقيل كان فقهاء المدينة أربعة عمر بن الزبير وقبيصة بن ذؤيب وسعيد بن المسيب وعبد الملك بن مروان، وقد قيل عنه أيضاً أنه كان زاهداً عابداً ناسكاً في المدينة قبل بيعته بالخلافة، وقيل عنه أيضاً ما رأينا مشمراً ولا ناسكاً ولا فقيهاً ولا قارئاً لكتاب الله من عبد الملك، وقد كان يجالس العلماء والفقهاء وحفظ عنهم وكان قليل الحديث^(١)، كل هذه الصفات قد تعكس مضمون نقش خاتمه وحسن سيرته قبل توليه الخلافة.

ولكن بعد توليه الخلافة نرى تغيراً في سلوك وأعمال عبد الملك بن مروان وقد ظهر هذا التغير فيما روي عنه أنه عندما سمع خبر توليه الخلافة كان يقرأ القرآن حينها فقام فأطبقه وقال هذا آخر العهد بك، وكذلك قتله لمصعب وأخيه عبدالله بن الزبير وشهد عصره قصف الكعبة المشرفة بالمنجنيق، وقال عنه الحسن البصري "ما أقول في رجل الحجاج كان سيئة من سيئاته"^(٢)، وروي عنه أنه كان يخاف الموت في رمضان فمات في شهر شوال^(٣)، نلاحظ مما سبق تناقضاً ما بين مضمون النقش وأفعاله بعد توليه الخلافة فكيف برجل يؤمن بالله يكون بهذه القسوة والشدة فهل كان اتخاذ عبد الملك هذا النقش قبل توليه الخلافة والذي عكس شخصيته في حينها وبعد ذلك تغير مع تغير الظروف، ولا يفوتنا أن نذكر أنه كان على ديوان خاتمه قبيصة بن ذؤيب الخزاعي^(٤).

(١) ابن سعد: الطبقات، ج٥، ص٢٢٤-٢٢٦؛ ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج٣٧، ص١١٩-

١٢١؛ ابن الأثير: الكامل، ج٣، ص٥٣٣؛ ابن الوردي: تاريخ، ج١، ص١٧٠؛

السيوطي: تاريخ الخلفاء، ج١، ص١٦٣.

(٢) ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، ج١، ص١٧٠؛ ابن تغري بردي: مورد اللطافة، ج١، ص٧٩؛

النجوم الزاهرة، ج١، ص١٨٩؛ علي بن سلطان بن محمد القاري، مرقاة المفاتيح شرح

مشكاة المصابيح، تحقيق، جمال عثمان، دار الكتب العلمية، (لبنان - بيروت،

١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م)، ج٥، ص٥٣٠؛ برهان الدين الحلبي: السيرة الحلبية، ج١، ص٢٩٣ .

(٣) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١٢، ص١٢٦؛ ابن العبري: تاريخ مختصر الدول،

ج١، ص١١٢-١١٣؛ ابن الوردي: تاريخ، ج١، ص١٧٠؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء،

ج١، ص١٦٧.

(* قبيصة بن ذؤيب الخزاعي أبا سعيد وقيل ابو اسحاق وهو خزاعي كعبي ولد في السنة

الأولى من الهجرة وقيل في عام الفتح وكان من علماء الأمة وقد كان على خاتم عبد الملك

بن مروان، ابن الأثير، أسد الغابة، ج٤، ص٨٢.

سادساً: نقش خاتم الخليفة الوليد بن عبد الملك (٨٦-٩٦هـ/٧٠٥-٧١٥م)

وهو أبو العباس الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص الأموي القرشي ولقب بالمنتقم بالله ولد سنة خمس وأربعين وقيل سنة خمسين وقيل اثنتين وخمسين، ولي الخلافة بوصية من أبيه عبد الملك سنة (٨٦هـ/٧٠٥م) وكان شاباً عمره ما بين الثلاثين والأربعين عاماً نشأ مترفاً ضعيف اللغة، وقد شهد عصره الفتوحات الكبرى في مشارق الأرض ومغاربها فقد وصل المسلمون الى حدود الصين والهند شرقاً ووصلوا جنوب فرنسا غرباً وفتحت الاندلس وارمينيا وغيرها من المناطق والبلدان^(٢) وكذلك شهد استقراراً سياسياً وضعف الخوارج ورخاء وأمن واستقرار توفي سنة (٩٦هـ/٧١٥م) وكانت مدة خلافته تسع سنين وأشهرًا^(٣).

وللوليد بن عبد الملك نقش خاص بخاتمه هو الآخر حيث عكس جزءاً من شخصيته فقد ذكرت المصادر التاريخية أن الوليد بن عبد الملك اتخذ خاتماً حمل نقشه عبارة "يا وليد إنك ميت"^(٤)، فيما أشارت مصادر أخرى اضافة كلمة ومحاسب فيصبح نقش خاتمه "يا وليد

(١) خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني، طبقات خليفة بن خياط، تحقيق، سهيل زكار، دار الفكر، (د.م، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م)، ج ١، ص ٢٩٩؛ الدينوري: المعارف، ج ١، ص ٤٤٧؛ ابن مسكويه: تجارب الأمم، ج ٢، ص ٣٨٤؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٤، ص ٧.
(٢) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج ٦٣، ص ١٧٠؛ ابن منظور: مختصر تاريخ، ج ٢٦، ص ٣٢٣؛ الذهبي: سير اعلام النبلاء، ج ٥، ص ٢٠٢؛ صلاح الدين: فوات الوفيات، ج ٤، ص ٢٥٤-٢٥٥؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ٢٧، ص ٢٧٠-٢٧١؛ ابن تغري بردي: مورد اللطافة، ج ١، ص ٨١-٨٤.

(٣) ابن سعد: الطبقات، ج ١، ص ٣٥٩؛ ابن خياط: تاريخ ابن خياط، ج ١، ص ٢٩٩-٣٠٠؛ الدينوري: المعارف، ج ١، ص ٣٥٩؛ المسعودي، التتبيه والاشراف، ج ١، ص ٢٧٤؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج ٦٣، ص ١٦٤؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج ٦، ص ٢٦٨؛ ابن منظور: مختصر تاريخ، ج ٢٦، ص ٣١٧؛ الفلقشندي: مآثر الانافة، ج ١، ص ١٣٣-١٣٤.

(٤) المسعودي: التتبيه والاشراف، ج ١، ص ٢٧٤؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج ٦٣، ص ١٧٦؛ ظهير الدين علي بن محمد ابن الكازروني، مختصر التاريخ من اول الزمان الى منتهى دولة بني العباس، تحقيق، مصطفى جواد، مطبعة الحكومة، (بغداد، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٥م)، ص ٩١؛ النويري: نهاية الأرب، ج ٢١، ص ٣٣٦، العمري: مسالك الابصار، ج ٢٤، ص ٤٠٤؛ ابن رجب: مجموع رسائل، ج ٢، ص ٦٨٠؛ الفلقشندي: مآثر الانافة، ج ١، ص ١٣٣؛ المقرئ: امتاع الاسماع، ج ٧، ص ٤٢؛ الزركلي: الاعلام، ج ٨، ص ١٢١.

أنك ميت ومحاسب"^(١)، و ذكر صاحب كتاب مسالك الأبصار عبارة لنقشه وهي "أذكر الموت يا وليد"^(٢)، وأما ابن عساكر فقد انفراد برواية مفادها أن الوليد بن عبد الملك كان له خاتماً يحوي نقشه عبارة "أومن بالله مخلصاً"^(٣)، وقيل أيضاً هناك عبارة "لا أشرك به شيئاً"^(٤) نستنتج مما سبق ذكره في أن أول ثلاث عبارات أنها تدور حول فكرة واحدة إلا وهي الموت والتي قد سبقه فيها الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وأن لهذه الكلمة أي الموت لها وقعها الكبير في القلوب وزجر النفوس عن المعاصي، خاصة إذا كانت أمامك في أغلب الأوقات فإذا ما همت النفس بمعصية ونظر إليها كانت رادعاً لها من كل معصية فيصبح لهذه الكلمة التي نقشت في الخاتم تأثيرها العكسي والمباشر على حامل الخاتم، أضف الى ذلك سعي الخليفة الوليد بن عبد الملك المستمر في نشر الدين الاسلامي وتسيير الجيوش الاسلامية من أجل فتح بلاد الهند وما وراء النهر والاندلس وبنى المسجد الأقصى ومسجد دمشق ومسجد المدينة وقد كان عصره قد شهد نهضة عمرانية في البناء، وقد ذكرت بعض المصادر التاريخية أنه كان من أفضل الخلفاء عند أهل الشام وزع الأموال ومنع السؤال وبنى الضياع والمصانع، وحتى عندما ولي الخلافة فقد قال "إنا لله وإنا إليه راجعون، والله المستعان على مصيبتنا في أمير المؤمنين" لذا لفقد يكون الوليد قد سعى لكل هذه الأعمال تقريباً الى الله عز وجل وطمعاً في مغفرته ورحمته إذا مات ووقف أمام الله للحساب^(٥)، أما آخر نقشين فكانت فكرتهما تتمحور حول الايمان بالله تعالى والتوحيد والاخلاص بالانقياد اليه وهو حافز للإنسان للبقاء على الطريق القويم .

سابعاً: نقش خاتم الخليفة سليمان بن عبد الملك (٩٦-٩٩ هـ/٧١٥-٧١٧ م)

هو سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية ولقبه أبو أيوب القرشي، ولد سنة (٦٠ هـ/٦٧٩ م) وكان فصيحاً وقد نشأ عند أخواله بني عبيس وقد ولاه

- (١) الفلقشندي: صبح الاعشى، ج ٦، ص ٣٤٠؛ مآثر الانافة، ج ١، ص ١٣٣؛ الديار بكري: تاريخ الخميس، ج ٢، ص ٣١٤؛ محمد طاهر الكردي المكي: التاريخ القويم، مكتبة النهضة، مكة، دار خضر، (بيروت، ١٤٢٠ هـ-٢٠٠٠ م)، ط ١، ج ٤، ص ٤٧٠.
- (٢) مسالك الابصار، ج ٢٤، ص ٤٠٤.
- (٣) تاريخ دمشق: ج ٦٣، ص ١٧٥.
- (٤) النويري: نهاية الارب، ج ٢١، ص ٣٣٧؛ احمد يوسف القرماني، اخبار الدول واثار الاول في التاريخ، تحقيق، فهمي سعد واحمد حطيط، عالم الكتب، (بيروت، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م)، ج ٢، ص ٣٢ .
- (٥) ابن مسكويه: تجارب الأمم، ج ٢، ص ٤٢٢؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج ٦، ص ٢٦٨-٢٦٩؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٤، ص ٧٠؛ النويري: نهاية الأرب، ج ٢١، ص ٣٣٧؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج ٩، ص ٨٤-٨٦؛ الزركلي: الاعلام، ج ٨، ص ١٢١.

الوليد فلسطين، وقد استحدث مدينة الرملة وانشأ مسجدها وعندما وصله خبر وفاة أخيه الوليد خرج من فلسطين الى دمشق فقد كان ولي العهد بعده^(١).

بويج بالخلافة بعد وفاة أخيه الوليد بن عبد الملك بعهد من والده عبد الملك سنة (٥٩٦هـ-٧١٥م)، وشهد عصره نوعاً من الاستقرار ورد المظالم وقد كان عمره عندما بويج ما بين الثلاثين والأربعين عاماً، توفي سليمان في سن صغير في (٧٩٩هـ/٧١٧م)، عن عمر ناهز الأربعين عاماً في أرض دابق من أعمال قنسرين وكانت مدة حكمه سنتين وأربعة أشهر وقيل ثمانية أشهر^(٢).

سار الخليفة سليمان بن عبد الملك على سنة من سبقه من الخلفاء الراشدين والأمويين في اتخاذ الخاتم والنقش عليه، وذكرت المصادر التاريخية أنه اتخذ خاتماً ونقش عليه عبارة "أمنت بالله مخلصاً"^(٣)، فيما ذكر ابن حبان أن نقش خاتمه كان "أومن بالله"^(٤)، وورد في لفظ آخر هو "أومن بالله مخلصاً"^(٥)، وانفرد الختلي بذكره لنقش "أمنت بالله"^(٦)، في حين اورد القضاعي نقشاً مفاده "قني السيئات ياعزيز"^(٧).

-
- (١) البلاذري: أنساب الاشراف، ج٨، ص٩٩؛ الدينوري: الاخبار الطوال، ص٣٢٩؛ المسعودي: التنبيه والاشراف، ج١، ص٢٧٥؛ المقدسي: البدء والتاريخ، ج٦، ص٤١؛ ابن حزم: رسائل، ج٢، ص١٤٣؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج٧، ص١٣؛ شمس الدين أحمد بن ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تحقيق: احسان عباس، دار صادر، (بيروت، ١٩٠٠م)، ج٢، ص٤٢٠؛ ابن منظور: مختصر تاريخ، ج١٠، ص١٧٠؛ الذهبي: تاريخ الاسلام، ج٦، ص٢٧٧؛ صلاح الدين: فوات الوفيات، ج٢، ص٦٨؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج١٠، ص٢٩؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص١٦٩.
- (٢) الدينوري: المعارف، ج١، ص٣٦٠؛ ابن مسكويه: تجارب الأمم، ج٢، ص٤٢٧؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢١، ص٣٥٣؛ العمري: مسالك الابصار، ج٢٤، ص٤٠٤-٣٠٦؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩، ص١٨٨؛ الفلقشندي: مآثر الانافة، ج١، ص١٣٨؛ العيني: معاني الاخيار، ج١، ص٤٤١؛ احمد بن ابراهيم بن محمد العجمي، كنوز الذهب في تاريخ حلب، دار القلم، (حلب، ١٤١٧هـ)، ج١، ص١٢٠؛ المكي: سمط النجوم، ج٣، ص٣٠٤-٣٠٧؛ الصلابي: الدولة الأموية، ج٢، ص٨٣.
- (٣) النويري: نهاية الأرب، ج٢١، ص٣٥٤؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩، ص٢٠٣؛ ابن رجب: مجموع رسائل، ج٢، ص٦٨٠؛ الفلقشندي: مآثر الانافة، ج١، ص١٣٩؛ المقرئزي: امتاع الاسماع، ج٧، ص٤٢؛ الصلابي: الدولة الأموية، ج٢، ص٥٩٧.
- (٤) النقعات: ج٢، ص٣١٨.
- (٥) ابن رجب: مجموع رسائل، ج٢، ص٦٨٠؛ المقرئزي: امتاع الاسماع، ج٧، ص٤٢.
- (٦) الديباج: ص٧٣.
- (٧) عيون المعارف، ص١٧١.

أن المتتبع لمضمون هذا النقش وما حواه من كلمات فهي في الواقع قد سبقها إليه الخليفة ذو النورين عثمان بن عفان (رضي الله عنه) فمن الممكن أن الخليفة سليمان بن عبد الملك قد سعى للاقتداء بخليفة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في الإيمان المخلص لله الخالق العظيم وسعيه من أجل الوصول الى مراتب الإيمان العليا الذي عماده التوحيد الخالص لله عز وجل.

اما فيما يخص نقش قني السيئات يا عزيز فهو الطلب من الله تعالى الخالق بالعون على اصلاح الذات ودفع النفس عن السيئات وارتكاب المعاصي، وعندما يريد الخليفة سليمان ان يستخدم القوة والعون من الله لدفع السيئات عنه، كذلك انعكس مضمون هذا النقوش في أعمال وأفعال حامله وتكاد تجمع المصادر التاريخية على حسن سيرة سليمان وشخصيته واستمراره في ارسال الجيوش من أجل الغزو في سبيل الله وحصار القسطنطينية وعرف عنه ايضاً أنه كان مؤدباً فصيح اللسان مرناً رد المطالم الى أهلها وحرر الأسرى وعفى عن السجناء وأحسن معاملة الرعية وعزل عمال الحجاج عن أعمالهم وكان محباً للقرآن والسنة وإظهار الشرائع الاسلامية، وقيل عنه "يرحم الله سليمان افتتح خلافته بإحيائه الصلاة لمواقيتها، واختتمها باستخلافه عمر بن عبد العزيز"^(١).

ثامناً: نقش خاتم الخليفة عمر بن عبد العزيز (رحمه الله) (٩٩-١٠١هـ/٧١٧-٧١٩م)

عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، أمير المؤمنين أبو حفص وأمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ويقال له أشج بني أمية نتيجة لضربة دابة في وجهه فشجته فمسح أبوه الدم وقال "ان كنت أشج بني أمية أنك لسعيد"، ولد عمر بن عبد العزيز (رحمه الله) سنة (٦٣هـ/٦٨٢م)^(٢).

نشأ عمر بن عبد العزيز (رحمه الله) في المدينة نشأة صالحة ودرس فيها على يد كبار علمائها ومشايخها فتأثر بهم ودأب على أخذ العلم منهم حتى اشتهر وأصبح أميراً على المدينة في خلافة الوليد بن عبد الملك، أصبح وزيراً لسليمان بن عبد الملك ولما رأى سليمان

(١) البلاذري: انساب الاشراف، ج٨، ص٩٩؛ المسعودي: التتبيه والاشراف، ج١، ص٢٧٥؛ ابن مسكويه: تجارب الأمم، ج٢، ص٤٥٥؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج٧، ص١٣؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤، ص٩٤؛ ابن منظور: مختصر تاريخ، ج١٠، ص١٧٠؛ الذهبي: تاريخ الاسلام، ج٦، ص٣٧٨؛ العمري: مسالك الابصار، ج٢٤، ص٤٠٤-٤٠٥؛ المكي: سمط النجوم، ج٣، ص٣٠٤.

(٢) ابن سعد: الطبقات، ج٥، ص٣٣٠؛ محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي: المحبر، تحقيق: ايلزة ليختن شنتير، دار الآفاق الجديدة، بيروت، دت، ج١، ص٢٧-٢٨؛ البلاذري: انساب الاشراف، ج٨، ص١٢٥-١٢٦؛ ابن العمري: الانباء، ج١، ص٥٠-٥١؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج٧، ص٣١-٣٢؛ ابن منظور: مختصر تاريخ، ج١٩، ص٩٨-٩٩؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص١٧١-١٧٣.

في عمر بن عبد العزيز من خير وصلاح عهد إليه بالخلافة بعده، فتولى الخلافة سنة (٧٩٩هـ/٧١٧م)^(١).

عرفت الفترة التي حكم فيها أنها من الفترات الذهبية للمسلمين فقد ساد العدل وردت المظالم الى أهلها وأخذت الزكاة من الأغنياء ووزعت على الفقراء حتى كفتهم وزيادة وتم عزل جميع الولاة الظالمين وأعاد العمل بمبدأ الشورى حتى شبه عصره بعصر الخلفاء الراشدين^(٢)، توفي عمر بن عبد العزيز (رحمه الله) بدير سمعان^(٣)، سنة (١٠٢هـ/٧١٩م) بعد أن استمرت خلافته سنتين وخمسة أشهر وأياماً^(٣). فيما يتعلق بنقش خاتم الخليفة عمر بن عبد العزيز (رحمه الله) فقد ذكرت المصادر التاريخية عدة نقوش لخاتمِه وهو ما يحتم فرضية وجود أكثر من خاتم له أيضاً، حاله حال من سبقه من الخلفاء، واختلفت مضامين هذه الخواتم بين نقش وآخر، ومن هذه النقوش هو نقش "عمر بن عبد العزيز يؤمن بالله"^(٤)، فيما ذكرت

- (١) عبدالله بن عبد الحكيم ابو محمد المصري: سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الامام مالك بن أنس وأصحابه، تحقيق: احمد عبيد، عالم الكتب، (بيروت، ١٤١٤هـ-١٩٨٤م)، ط٦، ج١، ص٢٤-٢٥؛ الاصبهاني: حلية الاولياء، ج٥، ص٢٥٣-٢٥٥؛ جلال الدين السيوطي: طبقات الحفاظ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ، ط١، ج١، ص٥٣-٥٤؛ حياة بن محمد بن جبريل: الآثار الواردة عن عمر بن عبد العزيز في العقيدة، عمادة البحث العلمي بالجامعة الاسلامية، المدينة المنورة، ط١، ج١، ص٥٦.
- (٢) الدينوري: الاخبار الطوال، ج١، ص٣٣١؛ المقدسي: البدء والتاريخ، ج٦، ص٣٥-٤٧؛ ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ج١، ص١١٤-١١٥؛ ابن الطقطقي الفخري: ج١، ص١٢٨-١٢٩؛ ابن الوردي: تاريخ، ج١، ص١٧٢-١٧٣.
- (*) دير سمعان: جبل في ديار بني تميم من أرض الشام وفيه دفن الخليفة عمر بن عبد العزيز وهو معروف الان بدير النقيرة في منطقة معرة النعمان في الشام، الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص٢٥٠؛ ابن الوردي: تاريخ، ج١، ص١٧٢.
- (٣) ابن سعد: الطبقات، ج٥، ص٤٠٧؛ ابن عمر الهاشمي: المحبر، ص٢٨؛ ابن حبان: السيرة، ج٢، ص٥٦٦؛ ابن العمراني: الانباء، ص٥١؛ ابن منظور: مختصر تاريخ، ج١٩، ص١٢٧.
- (٤) المسعودي: التنبيه والاشراف، ص٢٩٢؛ القضاعي: عيون المعارف، ص١٧١؛ اسماعيل بن محمد بن الفضل قوام السنة، سير السلف الصالحين، تحقيق، اكرم حلمي بن فرحان، دار الراهبة، (الرياض، د.ت)، ج١، ص٨٤٦؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢١، ص٣٧٢؛ ابن رجب: مجموع رسائل، ج٢، ص٦٨٠؛ القلقشندي: مآثر الانافة، ج١، ص١٤٢؛ صبح الاعشى، ج٦، ص٣٦٠؛ المقرئ: امتاع الاسماع، ج٧، ص٤٢؛ القرمانى: اخبار الدول، ج٢، ص٤٠.

مصادر أخرى نقش "أمنت بالله مخلصاً"^(١)، وقيل نقش "الوفاء عزيز"^(٢)، كذلك ذكرت المصادر نقشاً آخر هو "كل عمل ثواب"^(٣)، وقيل "لا إله إلا الله وحده لا شريك له"^(٤)، وقيل "أغزو غزوة تجادل عنك يوم القيامة"^(٥)، ونكر القرطبي أن عمر بن عبد العزيز (رحمه الله) علم أن ابنه اشترى خاتماً بألف درهم فأمره ببيعته وأن يطعم بثمنه ألف جائع وأن يشتري خاتماً من حديد بدرهم ويكتب عليه "رحم الله امرؤ عرف قدر نفسه"^(٦).

وقيل انه اتخذ خاتماً منقوشاً عليه "كفى الله بعزته عمر"^(٧)، وقيل أيضاً "كلأ البر لعجزه عمر"^(٨) ويبدو أن الخليفة عمر بن عبد العزيز (رحمه الله) قد فاق من سبقه من الخلفاء في اتخاذ أكبر عدد ممكن من الخواتم حسب ما ورد في المصادر التاريخية السابقة اذا ما صحت فمن الممكن أن يدل هذا على ولع الخليفة عمر بن العزيز (رحمه الله) بالخواتم ومحتواها ولما لها من تأثير مباشر على شخصية حاملها، واذا ما أمعنا النظر في مضمون هذه النقوش نجد أن أغلبها تدور حول فكرة الايمان بالله تعالى ووحداية عبادته وعدم الاشراك به والتي تكون ثمارها هي ثواب الدنيا والآخرة، فنقش مثل هذه الكلمات إنما عكست رغبة صاحبها من أجل الوصول الى أعلى درجات الايمان الخالص بالله ووحداية عبادته والذي عماده التوحيد الخالص لله تعالى، باستثناء النقشيين الآخرين اللذين دلا على الاتكال على الله تعالى وان العزة لله ولدينه العظيم.

- (١) ابن حبان: السيرة، ج ٢، ص ٥٦٦؛ النقعات: ج ٢، ص ٣١٩؛ الديار بكرى: تاريخ الخميس، ج ٢، ص ٣١٥.
- (٢) محمد بن أحمد ابن سمعون الواعظ: أمالي ابن سمعون الواعظ، تحقيق: عامر حسن صديري، دار البشائر الاسلامية، (بيروت، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م)، ط ١، ج ١، ص ١٤٢؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج ٤٥، ص ١٧٧؛ ابن رجب: مجموع رسائل، ج ٢، ص ٦٨١؛ المقرئ: امتاع الاسماع، ج ٧، ص ٤٢.
- (٣) المسعودي: التتبيه والاشراف، ج ٢، ص ٢٩؛ ابن رجب: مجموع رسائل، ج ٢، ص ٦٨٠؛ المقرئ: امتاع الاسماع، ج ٧، ص ٤٢.
- (٤) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج ٤٥، ص ١٧٦؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج ٩، ص ٢٠٠؛ ابن رجب: مجموع رسائل، ج ٢، ص ٦٨٠؛ المقرئ: امتاع الاسماع، ج ٧، ص ٤٢.
- (٥) ابن رجب: مجموع رسائل، ج ٢، ص ٦٨٠؛ المقرئ: امتاع الاسماع، ج ٧، ص ٤٢٠.
- (٦) عمر بن احمد بن ابي بكر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار الشعب، (القاهرة، د.ت)، ج ١٠، ص ٨٨-٨٩.
- (٧) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج ١٥، ص ٣٥؛ عمر بن احمد بن هبة الله ابن العديم: بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، (دم، د.ت)، ج ٦، ص ٢٨٦٥.
- (٨) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج ٤٥، ص ١٧٧؛ الدروبي: نقوش خواتم، ص ٦٦.

يمكن القول أن مضمون هذه النقوش قد عبر عن الصورة الحقيقية لهذه الشخصية والانعكاس المتبادل ما بين مضمون هذا النقش وما بين حامله، كيف لا وهو يدرك مسؤوليته الثقيلة في تولية أمر المسلمين وخشية الله تعالى ومحاولته تحقيق العدل والانصاف بين الرعية، وهذه حقيقة طبيعية لشخصية مثل عمر بن عبد العزيز وهو حفيد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) الزاهد العابد العالم النقي الورع الذي ملأ الأرض عدلاً، راداً المظالم الى أهلها، عوناً للرعية، حتى قيل عنه أنه خامس الخلفاء الراشدين لما فيه من عدل واحسان وطهر وايمان فصيحاً فقيهاً ناطقاً بالحق اين ما كان، مدون حديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (١).

ويرى الباحث ان لنقش "اغزُ غزوة تجادل عنك يوم القيامة" دلالات عديدة ومختلفة عما سبق منها أنه (رضي الله عنه) كان يحدث نفسه بالغزو دائماً حتى لا يكون في قلبه ذرة من نفاق وكذلك ختم الكتب والمراسلات مع الملوك الأعاجم فلهذه الكلمات لها وقعها في قلوب الاعداء أن المسلمين دائماً على استعداد للجهاد في سبيل الله.

تاسعاً: نقش خاتم الخليفة يزيد بن عبد الملك (١٠١-١٠٥هـ/٧١٩-٧٢٣م)

وهو أبو خالد يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص الأموي الدمشقي، نُقب القادر بصنع الله، ولد سنة (٧١هـ/٦٩٠م) وقيل (٧٢هـ/٦٩١م) وكان قد نشأ في بيت عز وجاه في بيت الخلافة ومنتعماً في الملذات والنعم محباً للعب والسهر واللهو (٢).

ولي الخلافة بعد وفاة الخليفة عمر بن عبد العزيز (رحمه الله) بعهد من أخيه سليمان بن عبد الملك سنة (١٠١هـ/٧١٩م)، وسار فيها على نهج الخليفة عمر فترة من الزمن ثم عدل عن ذلك وقام بتغيير الولاية وإعادة فرض الخراج على اليمن بعد أن قلله عمر بن عبد العزيز (رحمه الله)، وحدث في عهده أن خرج عليه يزيد بن المهلب وسيطر على البصرة سنة

(١) المقدسي: البدء والتاريخ، ج٦، ص٤٦؛ ابن مسكويه: تجارب الأمم، ج٢، ص٢٥٨؛ الاصبهاني: حلية الاولياء، ج٥، ص٢٥٣؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج٧، ص٣٣-٣٥؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩، ص٢٠٨؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص١٧٣؛ محمد عجاج بن محمد الخطيب: السنة قبل التدوين، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م، ط٣، ١، ص٣٢٨-٣٣٢؛ علي محمد الصلابي: عمر بن عبد العزيز، معالم التجديد والاصلاح الراشدي علي منهاج النبوة، دار التوزيع والنشر الاسلامية، (مصر، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م)، ط١، ج١، ص١١-١٥.

(٢) البلاذري: انساب الاشراف، ج٨، ص٢٤٣؛ التنبيه والاشراف، ج١، ص٢٧٧؛ ابن حبان: السيرة، ج٢، ص٥٦٦؛ المقدسي: البدء والتاريخ، ج٦، ص٤٧؛ الذهبي: تاريخ الاسلام، ج٧، ص٢٧٩؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص١٨٤؛ شمس الدين ابو العون محمد الحنبلي: غداء الالباب في شرح منظومة الآداب، مؤسسة قرطبة، (مصر، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م)، ط٢، ج٢، ص٥٥٠؛ أحمد معمور العسيري: موجز التاريخ الاسلامي منذ عهد آدم (عليه السلام) "تاريخ ما قبل الاسلام" الى عصرنا الحاضر، مكتبة الملك فهد، (الرياض، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م)، ط١، ج١، ص١٦٦.

(١٠٢/هـ١٠٢٠م) فأرسل إليه أخاه مسلمة بن عبد الملك فهزمه وقتله في منطقة العقير قرب كربلاء^(١).

توفي يزيد سنة (١٠٥/هـ٧٢٣م) في منطقة البلقاء وقيل في حوران من أرض الشام بعد حكم دام أربعة سنين وشهراً وقد اختلف المؤرخون في عمره عند وفاته^(٢).
بعد أن أصبح الخاتم سنة متبعة وضرورة من ضرورات الحكم والادارة كما ذكرنا ذلك آنفاً فقد سار الخليفة يزيد بن عبد الملك على سنة من سبقه من الخلفاء سواء كانوا الراشدين ام الأمويين، فتختم هو الآخر وذكرت المصادر التاريخية أكثر من نقش نسب إليه ما يدل على اتخاذه أكثر من خاتم اذا ما صحت تلك الروايات التاريخية. وكان أشهر تلك النقوش هي "رب قني الحساب"^(٣)، وفي لفظ آخر قيل "قني الحساب"^(٤)، فيما ذكرت مصادر أخرى نقش "قني السيئات يا عزيز"^(٥)، وانفرد المقرئ بنقش آخر يختلف عن سبقه وهو "بالله استعنت"^(٦)، وورد ابن الكازروني ايضاً نقشاً مختلفاً هو "قني الشباب يا يزيد"^(٧).

- (١) الدينوري: المعارف، ج ١، ص ٣٦٤؛ ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج ٥، ص ١٨٨؛ ابن حبان: السيرة، ج ٢، ص ٥٦٦؛ ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ج ١، ص ١١٥؛ ابن منظور: مختصر تاريخ، ج ٢٧، ص ٣٧٨؛ عماد الدين اسماعيل بن علي الملك المؤيد، المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية، (مصر، د.ت)، ج ١، ص ٢٠١؛ ابن الوردي: تاريخ، ج ١، ص ١٧٣؛ القلقشندي: مآثر الانافة، ج ١، ص ١٤٦-١٤٧؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ١٨٤؛ الديار بكري: تاريخ الخميس، ج ٢، ص ٣١٨.
- (٢) ابن عمرو الهاشمي: المحبر، ج ١، ص ٢٨؛ الدينوري: المعارف، ج ١، ص ٣٦٤؛ ابن حبان: السيرة، ج ٢، ص ٥٦٦؛ المقدسي: البدء والتاريخ، ج ٦، ص ٤٩؛ ابن مسكويه: تجارب الأمم، ج ٣، ص ١٧؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٤، ص ١٦٢؛ النويري: نهاية الأرب، ج ٢١، ص ٣٩٩؛ الذهبي: تاريخ الاسلام، ج ٧، ص ٢٨١؛ صلاح الدين: فوات الوفيات، ج ٤، ص ٣٢٢.
- (٣) المسعودي: التنبيه والاشراف، ج ١، ص ٢٩٣؛ ابن حبان: الثقات، ج ٢، ص ٣١٩؛ السيرة، ج ٢، ص ٦٥٧؛ ابن رجب: مجموع رسائل، ج ٢، ص ١٨٢.
- (٤) البلاذري: التنبيه والاشراف، ج ١، ص ٢٧٧؛ ابن رجب: مجموع رسائل، ج ٢، ص ٦٨١؛ المقرئ: امتاع الاسماع، ج ٧، ص ٤٢.
- (٥) القضاعي: عيون المعارف، ص ١٧٥؛ النويري، نهاية الأرب، ج ٢١، ص ٤٠٢؛ القلقشندي: مآثر الانافة، ج ١، ص ١٤٧؛ صبح الاعشى، ج ٦، ص ٣٤١؛ المقرئ: امتاع الاسماع، ج ٧، ص ٤٢؛ الصلابي: الدولة الاموية، ج ٢، ص ٤٠٣.
- (٦) امتاع الاسماع، ج ٧، ص ٤٢.
- (٧) مختصر التاريخ، ص ٩٧.

ليأتي نقش اخر تحت عنوان "يزيد بن عبدالمك" (١)، ويحمل اسمه مجرداً من أي لقب او مدح او دعاء او تجميل وللوقوف على مضامين هذه النقوش ودلالاتها، يمكن القول أن النقوش الثلاثة الأولى تكاد تدور حول فكرة واحدة، وهي طلب يزيد من الله عز وجل أن يقيه ويحميه من العذاب يوم الحساب، وكأنه اعتراف مسبق من قبل يزيد بما ارتكبه من ذنوب ومعاصي وإقباله على زخرف الدنيا وفتتها وتقصيره في عبادة الله رب العالمين وكأن لسان حاله يقول رب أن لم ترحمني لأكونن من الخاسرين، ومما ورد عن قوله "والله ما عُمرَ بأحوجَ الى الله مني" (٢)، وكان يقصد عمر بن عبد العزيز (رحمه الله).

لما عرف عنه من حبه للهو والطرب والسهر والشرب والملاذات والمعاصي وشغفه بالجواني وما قصته المشهورة مع الجاريتين حباية وسلامة إلا خير دليل على ذلك، وبلغ حبه لحباية الى درجة انه مات بعد وفاتها بخمسة عشر يوماً حزناً عليها (٣)، حتى قيل في وصف حزنه عليها:

كفى حزناً للهائم الحـب أن يرى منازل من يهوى معظلة قفراً (٤)

أما نقش "بالله استعنت" فيدل على طلب الاستعانة والعون والنصرة من الله تعالى ومساعدته في إدارة أمور حياته فمن الممكن أنه اتخذ في بداية توليه الخلافة ليكون له عوناً ونصيراً في ادارة شؤون الحكم، فقد روي أنه سار على نهج الخليفة عمر بن عبد العزيز (رحمه الله) لمدة أربعين يوماً في بداية حكمه ثم عدل عن ذلك تبعاً لأهوائه (٥) حسب قول المصادر التاريخية، أما النقش الذي حمل عبارة "فني الشباب يا يزيد" الذي ذكره الكازروني فاذا ما صحت هذه العبارة فأنها توحى زمنياً أن هذا النقش كان في آخر أيام يزيد ورحل الشباب والصبي وأقبل الشيب والموت وكان لسان حاله يقول:

(١) ابن الكازروني: مختصر التاريخ، ص ٩٩؛ ابن رجب: مجموع رسائل، ص ١٢٣؛ اسامة ناصر النقشبندي وحياء عيد علي الحوري، الاختتام الاسلامية في المتحف العراقي، دار الحرية للطباعة والنشر، (بغداد، ١٢٩٤ هـ - ١٩٧٤)، ص ٦٣؛ الزركلي: الاعلام، ج ٨، ص ١٨٥.

(٢) الذهبي: تاريخ الاسلام، ج ٧، ص ٢٨٠؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ١٨٤.

(٣) المقدسي: البدء والتاريخ، ج ٦، ص ٤٩؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ١٦٣؛ ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ج ١، ص ١١٥؛ ابن الطقطقي: الفخري، ج ١، ص ١٣٠؛ النويري: نهاية الأرب، ج ٢١، ص ٣٩٩؛ صلاح الدين: أوت الوفيات، ج ٤، ص ٣٢٣؛ القلقشندي: مآثر الانافة، ج ١، ص ١٤٦؛ المكّي: سمط النجوم، ج ٣، ص ٣٢٩.

(٤) البلاذري: انساب الاشراف، ج ٨، ص ٢٦٢.

(٥) ابن الجوزي: المنتظم، ج ٧، ص ٦٥؛ ابن منظور: مختصر تاريخ، ج ٢٧، ص ٣٨٠؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ١٨٤.

أتذكرها وقد فني الشبابُ
ومر بك الزمان المستطابُ
وأشرق في قذالك صباح شبيب
يكاد عليه ببيض الخضابُ
مضى لك في الصبي عيش رغيد
يحق عليه نوح وانتحابُ
اما نقشه الأخير الذي جاء باسمه مجرداً ربما عكس الوضع الذي هو فيه في بداية حكمه ولهوه وشبابه وقبل تغيير مسار حكمه فيما بعد.

عاشراً: نقش خاتم الخليفة هشام بن عبد الملك (١٠٥-١٢٥هـ/٧٢٣-٧٤٢م)

وهو أبو الوليد هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص الأموي الدمشقي، ولد هشام في العام الذي قتل فيه ابن الزبير عام (٧٢٢هـ/٦٩١م)، نشأ في البلاط الأموي ولم يكن مشهوراً فلم يجرب أمور السياسة ويعيداً عن الأحداث السياسة في عهد أبيه واخويه الوليد وسليمان وعرف عنه أيضاً أنه كان بخيلاً حريصاً، جامعاً للمال، راغباً في تولي الخلافة^(١).

ولي الخلافة في اليوم الذي توفي فيه أخوه يزيد سنة (١٠٥هـ/٧٢٣م) وهو ابن أربع وثلاثين سنة، فقد جاء إليه بريد توليه الخلافة وفيه شارتي الخلافة والخاتم وهو في الزيتونة^(*)، فركب حتى قدم دمشق وبويع فيها، شهد عهده ظهور الدعوة العباسية، وخروج زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ﷺ) عليه في الكوفة ومبايعة عدد كبير من الناس له فخرج عليه والي الكوفة يوسف الثقفي فقتله^(٢).

(١) البلاذري: انساب الاشراف، ج ٨، ص ٣٦٧؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ١١١؛ صلاح الدين: فوات الوفيات، ج ٤، ص ٢٣٨؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج ٩، ص ٢٣٣؛ القلقشندي: مآثر الانافة، ج ١، ص ١٥٠؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ١٨٤؛ الصلابي: الدولة الأموية، ج ٢، ص ٤٠٤.

(*) الزيتونة: موضع في الشام كان ينزله هشام بن عبد الملك الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص ١٦٣.

(٢) الدينوري: الاخبار الطوال، ج ١، ص ٣٣٥؛ البلاذري: التبيين والاشراف، ج ١، ص ٢٧٩؛ ابن حبان: السيرة، ج ٢، ص ٥٦٧؛ ابن مسكويه: تجارب الأمم، ج ٣، ص ١٩؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ١٦٥؛ ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، ج ١، ص ١٧٥.

(*) الرصافة: وهي منطقة تقع غربي الرقة بينهما أربعة فراسخ بناها هشام بن عبد الملك عندما وقع الطاعون بالشام وقد كان يسكنها في الصيف، الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ٤٧.

وتوفي هشام بن عبد الملك سنة (١٢٥هـ/٧٣٢م) في منطقة الرصافة^(*)، فقد كان مريضاً بالذبحه، وأختلف المؤرخون في سنه عند وفاته فقبل ثلاث وخسون وقيل خمسة وخمسون وقيل سته وخمسون سنة، وكانت خلافته عشرين سنة إلا أشهر^(١).

وفيما يخص نقش خاتمه فقد ذكر نقش مضمونه "الحكم للحكم الحكيم"^(٢)، إلا ان البلاذري ذكر نقشاً آخر هو "الحكم للحكيم"^(٣)، وقيل إن نقشه كان "الحكم لله"^(٤)

وقد كان من الخلفاء المُقلّين جداً في اتخاذ الخاتم ونقشه، وتكاد تجمع المصادر التاريخية على ذكر نقش واحد للخليفة هشام بن عبد الملك مع وجود اختلاف بسيط باللفظ في النقش الآخر والذي يدل على معنى واحد وأن هذا الملك إنما هو الله تعالى فهو الحاكم الذي يحكم ويدبر شؤون العباد كما يريد لا مبدل لكلماته بما شرعه الله تعالى من عبادات شرعية واجبة وقوانين دنيوية صالحة للعباد اذا ما التزموا بها كان جزاؤهم الحسنى واذا ما تركوها عوقبوا عليها، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾^(٥)، كما ورد ايضاً في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ. وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾^(٦).

فكان هذا النقش هو تعظيم الله تعالى وملكه على كل شيء فكأنما أراد الخليفة أن يبين من خلال هذا المضمون إنما هو بشر لا يملك شيئاً ولا يحكم إلا بما شرح الله فأراد أن يبين هذا التسليم لله تعالى من خلال هذا النقش.

ويرى الباحث أنه مضمون ومقصود هذا النقش قد عكس جزءاً من شخصية هشام وقيادته للدولة فقد عُرف أنه كان شخصاً ذكياً، حُسن الكلام، متيقظاً، حازماً، يعلم كل شيء

(١) ابن عمرو الهاشمي: المحبر، ص ٣٠؛ الدينوري: المعارف، ج ١، ص ٣٦٥؛ البلاذري: انساب الاشراف، ج ٨، ص ٣٦٨؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٢١٧؛ ابن العمراني: الانبياء، ج ١، ص ٥١؛ ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ج ١، ص ١١٧؛ الملك المؤيد: المختصر، ج ١، ص ٢٠٤؛ القلقشندي: مآثر الانافة، ج ١، ص ١٥١؛ عبدالحى بن أحمد ابن العماد العكري: شذرات الذهب في اخبار من ذهب، تحقيق: محمود الارناؤوط: دار ابن كثير، (دمشق- بيروت، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م)، ط ١، ج ٢، ص ١٠٢.

(٢) المسعودي: التنبيه والاشراف، ج ١، ص ٢٩٣؛ ابن حبان: الثقات، ج ٢، ص ٣٢٠؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج ٧٤، ص ٣٠؛ ابن الكازروني: المختصر، ص ١٠٠، ابن منظور: مختصر تاريخ، ج ٢٧، ص ١٠٤؛ النويري: نهاية الأرب، ج ٢١، ص ٤٦١؛ ابن رجب: مجموع رسائل، ج ٢، ص ٦٨١؛ القلقشندي: مآثر الانافة، ج ١، ص ١٥١؛ الصلابي: الدولة الأموية، ج ٢، ص ٤٨٣.

(٣) انساب الاشراف: ج ١، ص ٢٧٩.

(٤) القرمانى: اخبار الدول، ج ٢، ص ٤٨؛ الدروبي: نقوش خواتم الخلفاء الأمويين، ص ٦٦ .

(٥) سورة المائدة، الآية: ١ .

(٦) سورة الرعد، الآية: ٤١ .

في ملكه، وكان فظاً شديد المحاسبة لعماله وولاته، ويمكن القول أنه أراد أن يبين للناس من خلال هذا النقش أنه لا يحكم إلا بما أنزل الله ليضفي شيئاً من القدسية الرئيسية لحكمه واتباع الناس له، دل هذا الأمر على حنكة سياسية كان يمتلكها هشام^(١).

إحدى عشرة: نقش خاتم الخليفة الوليد بن يزيد (١٢٥-١٢٦هـ/٧٤٢-٧٤٣م)

وهو أبو العباس الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص الأموي، لقب المكثفي بالله، وقد ولد سنة (٨٧هـ/٧٠٥م) وقيل (٩٠هـ/٧٠٨م)، نشأ الوليد في قصر أبيه على التتعم والرفاهية والملذات والإسراف واللهو وكان شاعراً^(٢).

ولي الخلافة بعد وفاة هشام بن عبد الملك وذلك في سنة (١٢٤هـ/٧٤٢م) بعهد من أبيه يزيد بعد هشام وكانت مدة خلافته سنة واحدة وثلاثة أشهر وأياماً، ولم يكن رجل دولة بمعنى الكلمة إنما انهمر بملذات الدنيا وترك المسؤولية والرعية دون اهتمام ما ترك فراغاً للناس من أجل التهاون في الاحكام الشرعية واستخفاف بقوة الدولة وقوانينها^(٣).

(١) المسعودي: التنبيه والإشراف، ج١، ص٢٧٩؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج٧٤، ص٢٣-٢٤؛ الملك المؤيد: المختصر، ج١، ص٢٠٥؛ صلاح الدين: قوات الوفيات، ج٤، ص٢٣٩؛ ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٢، ص١٠٢؛ الصلابي، الدولة الأموية: ج٢، ص٤٠٧؛ العسيري: موجز التاريخ، ص١٦٧.

(٢) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٥، ص١٩٧؛ ابن حبان: السيرة، ج٢، ص٥٦٧؛ ابو الفرج الاصبهاني: الاغانى، دار الفكر، (بيروت، د.ت)، ط٢، ج٧، ص٦؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج٦٣، ص٣٢١؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢١، ص٤٦٣؛ ابن الوردي: تاريخ، ج١، ص١٧٦؛ صلاح الدين: قوات الوفيات، ج٤، ص٢٥٦؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٠، ص٢؛ الفلقشندي: مآثر الانافة، ج١، ص١٥٦.

(٣) ابن خياط: الطبقات، ج١، ص٣٥٧؛ البلاذري: أنساب الإشراف، ج٩، ص٢٧؛ المسعودي: التنبيه والإشراف، ج١، ص٢٨٠؛ ابن العمراني: الاتباء في تاريخ الخلفاء، ج١، ص٥١؛ محمد بن علي بن الحسن الشافعي: تهذيب الرياسة وترتيب السياسية، تحقيق: ابراهيم يوسف عجو، مكتبة المنار، (الاردين، د.ت)، ط١، د١، ص٣٠٦؛ ابن الطقطقي: الفخري، ج١، ص١٣٣؛ ابن منظور: مختصر تاريخ، ج٢٦، ص٣٦٢.

(*) البخراء: وهي عبارة عن حصن يقع شرقي حمص من ارض الشام في البرية بناه العجم ، ويقال كان قصر النعمان بن بشير وفيها قتل الوليد بن يزيد بن عبدالملك، ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج٦٣، ص٣٣٨-٣٤٥.

وُقِّل الوليد في جمادى الآخرة سنة (١٢٦هـ/٧٤٣م) على يد ابن عمه يزيد بن الوليد بن عبد الملك في منطقة البخراء^(١) قرب دمشق، وكانت خلافته سنة وشهرين وقيل سنة وثلاثة أشهر وأياماً^(٢).

وفيما يخص نقش خاتم الخليفة الوليد بن يزيد فقد اتخذ هو الآخر خاتماً خاصاً به سائراً على سنة من سبقه من الخلفاء، وأوردت المصادر التاريخية روايات عدة لمضمون نقشه ومن ما يدل على انه اتخذ اكثر من خاتم ومنها نقش "بالعزيز يثق الوليد"^(٣)، فيما ذكرت مصادر أخرى نقشاً آخر مضمونه "يا وليد احذر الموت"^(٤)، وفي لفظ آخر "يا وليد انك ميت"^(٥).

بالنسبة للنقش الأول فإنه لا يوجد أي تاريخ معين لارتدائه هل قبل توليه الخلافة أم بعدها، ذلك أنه يدل على الشدائد والتوكل عليه وقت المصائب فهي من أسباب النجاح، وقد يكون الوليد اتخذ هذا النقش عندما كان ولياً للعهد في خلافة عمه هشام بن عبد الملك، فقد حاول هشام بشتى الطرق مضايقة الوليد وقطع اتصاله مع الأشخاص القريبين منه وندمائيه وأخذ يسبهُ وينتقصهُ، رغبة منه في خلع ولاية العهد منه واعطائها لابنه مسلمة حتى أجبره على الخروج الى البرية مع نفر من أصحابه، وكتب الوليد بن يزيد الى هشام بن عبد الملك:

كفرت يداً من منع لو شكرتها
رأيتك تبني جاهداً في قطيعتي
جزاك بها الرحمن ذو الفضل والمن
ولو كنت ذا حزم لهدمت ما تبني
فانتظر الوليد حتى وفاة هشام فبويع بالخلافة بعد وفاته^(٦).

(١) ابن عمرو الهاشمي: المحبر، ص ٣١؛ الدنيوري: المعارف، ج ١، ص ٣٦٦؛ علي بن أحمد بن سعيد القرطبي: جوامع السيرة وخمس رسائل أخرى لابن حزم، تحقيق: احسان عباس، دار المعارف، (مصر، ١٩٠٠م)، ط ١، ج ١، ص ٣٦٤؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٤، ص ٢٩٩؛ ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ج ١، ص ١١٨؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ١٨٦.

(٢) القضاعي: عيون المعارف، ص ١٧٩؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج ٦٣، ص ٣٣١؛ ابن رجب: مجموع رسائل، ج ٢، ص ٦٨١؛ المقرئ: امتاع الاسماع، ج ٧، ص ٤٢.

(٣) القضاعي: عيون المعارف، ص ١٧٩؛ ابن الكازروني: مختصر التاريخ، ص ١٠١؛ النويري: نهاية الأرب، ج ٢١، ص ٤٨٧؛ الفلقشندي: صبح الأعشى، ج ٦، ص ٣٤١؛ متأثر الانافة، ج ١، ص ١٥٦؛ القرمانى: اخبار الدول، ج ٢، ص ٥١.

(٤) ابن رجب: مجموع رسائل، ج ٢، ص ٦٨١؛ المقرئ: امتاع الاسماع، ج ٧، ص ٤٢.

(٥) البلاذري: انساب الاشراف، ج ٩، ص ١٣٤؛ ابو الفرج الاصبهاني، الاغانى، دار الفكر، (بيروت، د.ت)، ج ٧، ص ٦؛ ابن مسكويه: تجارب الأمم، ج ٣، ص ١٦٣؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ٢٨٥؛ ابن الطقطقي: الفخري، ج ٢، ص ١٣٣؛ ابن الوردي: تاريخ، ج ١، ص ١٧٦؛ صلاح الدين: فوات الوفيات، ج ٤، ص ٢٤٧؛ الفلقشندي: متأثر الانافة، ج ١، ص ١٥٧.

وكان النقش الثاني والثالث فيه ذكرٌ للموت والاستعداد له والتيقن به ولعلهُ يحذر نفسه تارة من الموت وتارة يذكرها بالموت والاستعداد له فنقش احذر الموت قد يكون تذكيراً له وتنبهاً من دسائس يعلمها هو تُحاك ضده لقتله، وهو ما حدث فعلاً بسبب اتهامات له باللهو والمجون وارتكاب الفواحش والفسوق، والتي قد يكون الوليد شعر بها منذ زمن عمه هشام والذي عمل على تهيئة الأرضية المناسبة للخلاص منه، والنقش الثالث يؤكد على نفسه أنه ميت، ولكن وفقاً للمعلومات التي وردتنا من المؤرخين أنه لم يهيه نفسه للموت ويأخذ استعداداً له من عبادات وصلوات وترك الشهوات فهل يا ترى ترك هذا النقش أثره في شخصية الخليفة الوليد وعكس شخصيته^(١)؟! .

ثاني عشر: نقش خاتم الخليفة يزيد بن الوليد (١٢٦هـ/٧٤٣م)

وهو أبو خالد، يزيد بن الوليد بن الوليد عبد الملك بن مروان، وسمي بالناقص وذلك لأنه أنقص الزيادات في الأعطيات التي زادها الخليفة الوليد بن يزيد عندما تولى الخلافة فسمي بالناقص، وقيل لقصركم، ولقب بالشاكر لأنعم الله^(٢).

ولي الخلافة بعد أن قام بقتل ابن عمه الخليفة الوليد بن يزيد سنة (١٢٦هـ/٧٤٣م) مدعياً بإصلاح ما أفسده الخلفاء الذين سبقوه، ومنكراً على الوليد المجانة واللهو والفسوق الذي وصل إليه مبرراً بذلك قتله، مظهراً التواضع، محارباً للفسوق، ميالاً للإصلاح، مقتدياً بعمر بن عبد العزيز (رحمه الله) في الإصلاح، توفي في نفس السنة التي ولي فيها الحكم والتي لم تتجاوز الستة أشهر وأياماً، وقيل وفاته بسبب الطاعون وكان عمره قد جاوز الأربعين سنة^(٣).

(١) الدينوري: الإمامة والسياسة، ج٢، ص٢٨٥؛ ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٥، ص٢٠٥؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤، ص٢٨٥؛ ابن العبري: تاريخ مختصر دول، ج١، ص١١٨؛ ابن الطقطقي: الفخري، ج٢، ص١٣٣؛ ابن منظور: تاريخ مختصر، ج٢٦، ص٣٧٩؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢١، ص٤٦٣؛ صلاح الدين: فوات الوفيات، ج٤، ص٢٥٧؛ المقريزي: امتاع الاسماع، ج١٢، ص٢٨١.

(٢) ابن عمرو الهاشمي: المحبر، ج١، ص٣١؛ البلاذري: أنساب الاشراف، ج٩، ص١٨٩؛ ابن حبان: السيرة، ج٢، ص٥٦٨؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج٧٤، ص١٢٢؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج٧، ص٢٥٠؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢١، ص٤٨٧؛ الذهبي: سير اعلام النبلاء، ج١٨، ص٢١٨؛ ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، ج١، ص١٧٧؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص١٨٨.

(٣) الدينوري: الاخبار الطوال، ص٣٤٩؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص٢٥٢؛ ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٥، ص٢٠٨؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤٠، ص٣٠٨؛ ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ج١، ص١١٨؛ ابن الطقطقي: الفخري، ج٢، ص١٣٤؛ العمري: مسالك الابصار، ج٢٤، ص٤٣٨؛ صلاح الدين: فوات الوفيات، ج٤، ص٣٣٣؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٠، ص١٣؛ القلقشندي: مآثر الانافة،

واحتذى الخليفة يزيد بن الوليد بمن سبقه من الخلفاء في اتخاذ الخاتم نتيجة للحاجة إليه في الإدارة والحكم وختم الكتب والرسائل بسبب توسع الخلافة الإسلامية بمرور الوقت واندفاع الفتوحات الإسلامية شرقاً وغرباً، فاتخذ يزيد خاتماً خاصاً به ونقش عليه "يا يزيد قم بالحق"^(١)، وفي لفظ آخر "يا يزيد قم بالحق تصبه"^(٢)، فيما ذكر نقش آخر له يختلف بمضمونه عن الأول ألا وهو "العظمة لله"^(٣).

ويرى الباحث أن النقش الأول والثاني وإن اختلفا في اللفظ فأنهما يعكسان رغبة صاحبهما للقيام بالعدل والحكم بالحق بين الناس وهي رغبة أفصح عنها الخليفة يزيد بن الوليد عندما قال "والله ما خرجت أشراً ولا بطراً ولا حرصاً على الدنيا ورغبة في الملك... ولكن خرجت غضباً لله وداعياً إلى كتاب الله وسنة نبيه"^(٤)، وذكر بعض المؤرخين أن يزيد عند توليه الخلافة أظهر العدل، وحسن السيرة، ومنكراً للباطل، بليغ الكلام، مفرطاً في التواضع بين الناس، داعياً الناس إلى الحياء محذراً من الغناء^(٥)، لعل هذه السيرة الحسنة له عكست مضمون نقش خاتمه على شخصية قوامها الالتزام بكل فضيلة وترك كل رذيلة، لكل هذا الأمر لا يُعطي له الحق في هدر دم امرئ مسلم مهما بلغت ذنوبه وهو لا يزال يشهد الشهادتين، فهل هذه السيرة تتجيه من دم الخليفة الوليد بن يزيد الذي قتله!!.

أما نقش "العظمة لله" فقد عبر عن جلاله وسمو الله سبحانه وتعالى واستغناؤه عن الناس فالعظمة سمة خاصة بالله تعالى وصفة من صفاته فلو تفكر الناس في عظمة الله سبحانه وتعالى لما عصوه وقد عبر القرآن عن ذلك بقوله ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَرْزَاقًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقِصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ

ج ١، ص ١٥٩؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ١، ص ٢٩٩-٣٠٠؛ الديار بكري: تاريخ الخميس، ج ٢، ص ٣٢١.

(١) القضاعي: عيون المعارف، ص ١٨١؛ ابن الكازروني: مختصر التاريخ، ص ١٠٢؛ النويري: نهاية الأرب، ج ٢١، ص ٥٠٤؛ الفلقشندي: مآثر الانفاة، ج ١، ص ١٥٩؛ صبح الاعشى، ج ٢، ص ٣٤١؛ القرمانى: اخبار الدول، ج ٢، ص ٥٤.

(٢) ابن رجب: مجموع رسائل، ج ٢، ص ٦٨١؛ المقريزي: امتاع الاسماع، ج ٧، ص ٤٢.

(٣) ابن الاثير: الكامل، ج ٤، ص ٤٤٩؛ النويري: نهاية الأرب، ج ٢١، ص ٥٠٤؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٠، ص ١٩؛ العمري: مسالك الابصار، ج ٢٤، ص ٤٣٩.

(٤) البلاذري: أنساب الاشراف، ج ٩، ص ١٩١؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج ٧٤، ص ١٢٣؛ ابن الاثير: الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ٣٠٨؛ النويري: نهاية الأرب، ج ٢١، ص ٤٨٨؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ١٨٨؛ الديار بكري: تاريخ الخميس، ج ٢، ص ٣٢١.

(٥) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج ٧٤، ص ١٢٣؛ صلاح الدين: فوات الوفيات، ج ٤، ص ٣٣٣؛ ابن تغري بردي: مورد اللطافة، ج ١، ص ١٠٦؛ الزركلي: الاعلام، ج ٨، ص ١٩٠.

إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ^(١)، فمهما بلغ الانسان من قوة ومهما علت منزلته وعظمة سلطته وتوسعت دولته فإنه يبقى ذلك الانسان الضعيف الذي ليس له لا حول ولا قوة أمام عظمة الله وجبروته وقوته، ففعل الخليفة أراد أن يكون هذا النقش تحذيراً وتحصيماً له من التكبر والغطرسة والغرور بالحشم والخدم فنهايته الضعف والموت الذي لا يغني له من الله شيئاً، ذلك أنه كلما نظر الى خاتمه تركت هذه الكلمة أثرها في نفسه بتقوى الله تعالى والانحراف بعظمته، وقيل أن خازن خاتمه كان عبدالرحمن بن حميد الكلبي، وقيل: مولاه قطن^(*)(٢).

ثالث عشر: نقش خاتم الخليفة ابراهيم بن الوليد (١٢٦-١٢٧هـ/٧٤٣-٧٤٤م)

وهو أبو اسحاق ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك بن مروان ابن الحكم بن أبي العاص الأموي القرشي، لقب المقتدر بالله، ببيع بالخلافة بعهد من أخيه يزيد بن الوليد الناقص في ذي الحجة سنة (١٢٦هـ/٧٤٣م) وعرف عنه أنه كان ضعيفاً عاجزاً حتى أن أتباعه وأنصاره كانوا يسلمون عليه بالخلافة مرة وبالأمارة مرة أخرى ومرة بغير ذلك، وقد بقي على الأمر حتى خلعه مروان بن محمد^(٣). وكانت خلافته شهرين وعشرة أيام عند خروج مروان بن محمد عليه فخلع نفسه من الأمر وباع مروان طائعاً، حتى قال عنه الشاعر: نبايع ابراهيم في كل جمعة ألا أن أمراً أنت واليه ضائع، واختلف في كيفية موته فقيل قتله مروان وصلبه، وقيل بل قتل يوم الزاب مع بني العباس (١٣٢هـ/٧٤٩م) فيمن قتل من بني أمية^(٤).

(١) سورة فاطر، الآية: ١١.

(*) قطن: وهو من موالى بني أمية من ذوي الرأي وقد كان مع يزيد بن الوليد عندما دعا الى بيعته، وقيل كان عامل يزيد على خاتمه، ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٤٩، ص٣٤٢-٣٤٣.

(٢) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٥، ص٣٠٨.

(٣) الدينوري: الاخبار الطوال، ص٣٥١؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص٢٧٣؛ ابن حبان: السيرة، ج٢، ص٥٦٩؛ المقدسي: البدء والتاريخ، ج٦، ص٥٣؛ محمد بن اسحاق بن منده العبدي: فتح الباب في الكنى والالقب، تحقيق: ابو قتيبة نظر الفارياي، مكتبة الكوثر، (الرياض، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م)، ط١، ص٤٧؛ ابن مسكويه: تجارب الأمم، ج٣، ص٢١٨؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج٧، ص٢٤٦؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج٧، ص٢٥٣؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤، ص٣٢١؛ ابن خلكان: وفيات الاعيان، ج١، ص٤٤٣؛ ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، ج١، ص١٧٧؛ القلقشندي: مآثر الاتافة، ج١، ص١٦٠-١٦١؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص١٨٩؛ المكي: سمط النجوم، ج٣، ص٣٤٢.

(٤) ابن خياط: تاريخ خليفة، ص٣٧٤؛ ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٥، ص٢١٠؛ البلاذري: أنساب الاشراف، ج٤، ص١٠٣؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج٧، ص٢٤٨؛ ابن الطقطقي: الفخري، ج٢، ص١٣٥؛ ابن منظور: مختصر تاريخ، ج٤، ص١٧٣؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢١، ص٥٠٥؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٦، ص١٠٥؛ علي بن سلطان محمد الهروي القاري: شرح الشفا، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٤٢١هـ)، ط١، ج١، ص٦٨٥.

لقد سار الخليفة الأموي الثالث عشر ابراهيم بن الوليد على سنة من سبقه في التختم، يتضح ذلك من خلال الروايات التاريخية التي أوردتها المصادر وهذا واضح من خلال النقوش التي تُسببت إليه وأشهر هذه النقوش هي "توكلت على الحي القيوم"^(١)، كذلك ذكرت مصادر أخرى نقشاً آخر لإبراهيم بن الوليد ألا وهو "ابراهيم يثق بالله"^(٢).

ومن أجل الوقوف على هذه النقوش يمكن القول أن النقش الأول قد حمل مضامين عدة في حسن التوكل على الله عز وجل فنحن مأمورون في التوكل على الله، قال تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾^(٣)، مع وجوب الأخذ بالأسباب فهو كمال التوكل على الله وحده الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، فمن الممكن أن نقش هذا الخاتم قد يكون عكس رغبة ابراهيم في سعيه لأحكام السيطرة على تقاليد الحكم والسلطة بعد وفاة يزيد بن الوليد وفي الوقت نفسه قد يعطي هذا النقش دافعاً قوياً وتأثيراً نفسياً بسبب شخصية الخليفة الضعيفة المترددة وبما عرف عنه من خوف واضطراب في الأمر وتحكموا في قراراته رغماً عنه حتى قال عن نفسه أن قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾^(٤)، كأنها نزلت في شأنه^(٥).

أما نقش "ابراهيم يثق بالله" فهو دافع معنوي لإبراهيم في حسن الظن بالله في مهماته ونوابه وكل صغيرة وكبيرة في عسره ويسره ثقة عمياء بلا تردد فيها النجاة من كل مأزق والخلاص من كل مصيبة، تجلى ذلك من خلال تنازل ابراهيم من الخلافة لمروان بن محمد بغض النظر عن خوف أو ضعف رجاء الخلاص من هذه المهمة الثقيلة وفي حقن دماء المسلمين فلعلها كانت رغبة في نفس ابراهيم حققها بأقل الخسائر وحفظ الملك لبني أمية.

(١) القضاء: عيون المعارف، ص ١٨٢؛ ابن الكازروني: مختصر التاريخ، ص ١٠٣؛ الاربلي: خلاصة الذهب المسبوك، ص ٤٧؛ النويري: نهاية الأرب، ج ٢١، ص ٥٠٧؛ ابن رجب: مجموع رسائل، ج ٢، ٦٨١؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٦، ص ٣٤١؛ مآثر الانافة، ج ١، ص ١٦١؛ المقرئزي: امتاع الاسماع، ج ٧، ص ٤٢؛ القرمانى: اخبار الدول، ج ٢، ص ٥٦.

(٢) القضاء: عيون المعارف، ص ١٨٢؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج ٧، ص ٢٤٩؛ ابن منظور: مختصر تاريخ، ج ٤، ص ١٧٣؛ العمري: مسالك الابصار، ج ٢٤، ص ٤٤١؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ج ١، ص ١٩٠.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٣.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٢٨.

(٥) خليفة بن خياط: تاريخ، ص ٣٦٩؛ ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج ٥، ص ٢١٠؛ ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ج ١، ص ١١٩؛ ابن الكازروني: مختصر التاريخ، ص ١٠٣؛ ابن منظور: مختصر تاريخ، ج ٤، ص ١٧٣؛ النويري: نهاية الأرب، ج ٢١، ص ٥٠٥؛ الذهبي: تاريخ الاسلام، ج ٨، ص ٣٤؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ٦، ص ١٠٥.

اربعة عشر: نقش خاتم الخليفة مروان بن محمد (١٢٧-١٣٢هـ/٧٤٤-٧٤٩م)

وهو أبو عبد الملك مروان بن محمد بن مروان بن الحكم بن أبي العاص الأموي القرشي، وهو آخر خلفاء بني أمية، لقب بالجعدي تيمناً بمؤدبه الجعد بن درهم^(*)، ولقب بالحمار بسبب تحمله وصبره في القتال وكان لا يقعد عن محاربة الخارجين عليه، وأطلق عليه القائم بحق الله، ولد مروان في الجزيرة سنة (٧٢٢هـ/٦٩١م) عندما كان أبوه والياً عليها، كان فارساً، مقداماً، عرف بذكائه ودهائه ورجولته، قاد الفتوحات الإسلامية في بلاد الترك وافتتح عدة مدن^(١).

بويغ بالخلافة سنة (١٢٧هـ/٧٤٤م) بعد أن عزل إبراهيم بن الوليد وذلك عندما علم بموت يزيد الناقص، فتوجه من الجزيرة الى الشام فبايعه الناس حينها، فتنازل إبراهيم بن الوليد له عن الخلافة^(٢).

كانت الخلافة الأموية في عهد مروان تعاني كثرة الاضطرابات والمشاكل الداخلية المترامية، مما سبب كثرة حركات التمرد والعصيان الى أن ظهرت الدعوة العباسية بصورة علنية الى الواجهة بقيادة أبي مسلم الخراساني^(*) في خراسان حتى توسعت الدعوة العباسية وأصبح لها دعواتها وجيوشها والتي انتهت بالخروج لمقاتلة الامويين بقيادة أبو العباس

(*) الجعد بن درهم: اصله من خراسان وهو من موالي بني أمية فقد كان مؤدب مروان بن محمد وسكن دمشق وهو اول من قال بخلق القرآن وقتل على يد خالد بن عبدالله القسري بالكوفة يوم الاضحى، ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج٧٢، ص ٩٩ .

(١) البلاذري: انساب الاشراف، ج٩، ص٢١٧؛ ابن العبراني: الانباء، ج٥٢، ابن الكازروني: مختصر التاريخ، ص١٠٤-١٠٥؛ ابن منظور: مختصر تاريخ، ج٢٤، ص٢١٥؛ مؤيد الدولة: المختصر، ج١، ص٢١٠؛ صلاح الدين: فوات الوفيات، ج٤، ص١٢٧؛ القلقشندي: مآثر الانافة، ج١، ص١٦٢؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص١٩٠؛ الزركلي: الاعلام، ج٧، ص٢٠٨-٢٠٩؛ محمد بن خليفة بن علي التميمي: مقالة التعطيل والجعد بن درهم أضواء السلف، (الرياض، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م)، ط١، ص١٦٣ .

(٢) الدينوري: المعارف، ج١، ص٣٦٩؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص٢٨٠-٢٨١؛ المسعودي: التنبيه والاشراف، ج١، ص٢٨١؛ ابن حبان: السيرة، ج٢، ص٥٦٩؛ ابن مسكويه: تجارب الأمم، ج٣، ص٢٢٦؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤، ص٣٣٢؛ ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ج١، ص١١٩؛ الذهبي: تاريخ الاسلام، ج٨، ص٥٣٦ .

(*) ابي مسلم الخراساني: وهو عبدالرحمن بن مسلم بن يسار الخراساني القائم بالدعوة العباسية في خراسان فقد قيل عنه انه كان فصيحاً عالماً بالامور ، وقد قتل على يد ابي جعفر المنصور الخليفة العباسي سنة ١٣٧هـ-٧٥٥م في المدائن، ابن خلكان: وفيات الاعيان ، ج٣، ص١٤٥-١٥٦ .

السفاح(*) ليتوجهوا في منطقة الزاب قرب الموصل فهزم مروان فتبعه السفاح، ثم هرب إلى مصر فلحقه صالح أخو أبو العباس فقتله في قرية بوضير(*)، (١٣٢هـ/٧٤٩م) بعد أن حكم زهاء الخمس سنوات، وبمقتله انتهت الخلافة الأموية التي حكمت أكثر من اثنين تسعين عاماً^(١).

ولمروان بن محمد أيضاً نقشه الخاص به الذي اتخذته فقد أصبح سنة يرثها الخلفاء عن بعضهم البعض، وذكر المؤرخون عدة نقوش للخليفة مروان وإذا ما صحت هذه الروايات فيمكن القول أن الخليفة الأموي لم يكتف بخاتم واحد، بل كان لديه أكثر من خاتم وذلك أن هذه النقوش التي ذكرتها المصادر التاريخية توحى بذلك، فكل نقش من هذه النقوش يعكس جانباً من شخصية مروان بن محمد ويكشف انعكاس شخصيته على خاتمه وما يحمله من مضامين تعكس حياة وممات هذه الشخصية، ومن هذه النقوش نقش "الذكر الله يا غافل"^(٢)، وذكرت مصادر أخرى نقشاً ثانياً مضمونه "الذكر الموت يا غافل"^(٣)، في حين ذكرت مصادر أخرى نقشاً ثالثاً مضمونه "رضيت بالله العظيم"^(٤)، وانفرد المسعودي في إيراد نقش مفاده "فوضت أمري إلى الله"^(٥).

(*) أبو العباس السفاح: وهو محمد بن عبدالله بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب الهاشمي، ولد بالبلقاء قرب دمشق، وخرج برفقة أبيه إلى الكوفة وقد ولاه عمه المنصور البصرة، قتلته المنصور بسم دسه له في الشراب سنة ١٤٩هـ-٧٦٧م، ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، ج ٢٢، ص ٢٩٥-٢٩٦.

(*) بوضير: وهي اسم لأربع قرى في مصر وفيها قتل مروان بن محمد، الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ٥٠٩.

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٠، ص ٤٢-٤٣؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٣٥٣-٣٥٦؛ البلاذري: أنساب الأشراف، ج ٩، ص ٣١٩-٣٢٣؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج ٥٧، ص ٣٤٥-٣٤٦؛ ابن العراني: الأنباء، ص ٥٢؛ ابن الطقطقي: الفخري، ج ١، ص ١٣٥؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٨، ص ٥٣٦-٥٣٧؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ١٩٠.

(٢) الفلقشندي: صبح الاعشى، ج ٥، ص ٣٤١؛ مآثر الانافة: ج ١، ص ١٦٣؛ الصلابي: الدولة الأموية، ج ٢، ص ٥٦٧؛ القفاعي: عيون المصارف، ص ١٨٤.

(٣) القفاعي: عيون المعارف، ص ١٨٤؛ ابن الكازروني: مختصر التاريخ، ص ١٠٦؛ الاربلي: خلاصة الذهب المسبوك، ص ٤٨؛ النويري: نهاية الأرب، ج ٢١، ص ٥٣٨؛ ابن رجب: مجموع رسائل، ج ٢، ص ٦٨١؛ المقريزي: امتاع الاسماع، ج ٧، ص ٤٢؛ الصفدي: الوافي والوفيات، ج ٢٥، ص ٣٠٩؛ الفلقشندي: صبح الاعشى، ج ٦، ص ٣٤١.

(٤) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج ٥٧، ص ٣٣٩؛ ابن منظور: مختصر تاريخ، ج ٢٤، ص ٢٢٢؛ العمري: مسالك الابصار، ج ٢، ص ٤٤٩.

(٥) التتبيه والاشراف، ج ١، ص ٣٠٠.

فاذا ما تأملنا النقش الأول والثاني فقد دلت مضامينهما على تذكرة النفس دائماً بالله عز وجل والموت ليكون رادعاً للنفس من كل ذنب اذا ما أقبلت عليه فجعل هذا النقش أمام عينيه ليكون له تذكرة دائماً بالموت وما بعده من حساب فيكون هذا النقش جرس انذار دائم الحضور أمام عينيه وباعثاً له على القيام بما أمر الله من الحكم بالعدل بين العباد وأنصافهم وذلك خوفاً من الله سبحانه وتعالى وأنه سوف يقف بين يدي الله للسؤال وذلك لأنه كان والياً عليهم فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته.

وكذلك فإنه باستنكاره الله عز وجل والموت أنه كان قريباً من الموت دائماً وذلك أنه كان مقاتلاً منذ نعومة أظافره كيف لا وقد ولد في الجزيرة حتى توليه الخلافة والتي لم تر الهدوء في عهده أيضاً بسبب كثرة الاضطرابات والخروج عليه ودعوة بني العباس التي أنهت حكمه وحياته وذلك بقتله.

ولم يفتأ يذكر المؤرخون شجاعته، وقوته، ودهاءه، ومكره، وفروسيته، ورجوليته في الحروب التي خاضها سواء في الجزيرة أو الشام أو حتى مع الروم، كل ذلك جعله ينظر الى الموت أنه قريب منه دائماً وأنه قد يموت بأي لحظة، فانعكست نظرته هذه على مضمون نقش خاتمه^(١)، قال عنه الشاعر:

يا أيها السائل عن مرواناً دونك مروان بعسقلاناً
يجيد ضرب القوم والطعاناً حتى ترى قتلاهم ألواناً^(٢)

أما نقش "رضيت بالله العظيم" فكونه لا يعد أن يكون شعاراً دينياً سار عليه مروان بن محمد تيمناً بمن سبقه من الخلفاء الذين اتخذوا هذه الشعارات الدينية على نقوش خواتمهم معبرين فيها عن طاعتهم لله عز وجل طالبين الرضى والقبول من الله لما كانوا يقومون به من أعمال في خلافتهم.

أما النقش الاخير فربما كان يعكس لسان حاله والوضع الذي اصبح عليه في تخلي الكثيرين ممن كانوا حوله عنه في أزمته وتكالب الأحداث العظام عليه ودنو أجل دولته وسقوطها واقترب العباسيين منه، ونراه يفوض أمره الى الله في نقش انتقشه على خاتمه كأن لسان حاله يقول اسلم امري اليك يارب في ما حدث وما يحدث في قادم الأيام.

بالمجمل مما سبق من ذكر لنقوش الخواتم للخلفاء الأمويين ومضامينها يرى الباحث أن اتخاذ هذه النقوش من قبل الخلفاء الأمويين كان سنة ساروا عليها اقتداء بالخلفاء الراشدين والذين هم أيضاً ورثوها من رسول الله (ﷺ) وذلك لمتطلبات الحياة في ذلك الزمان وضرورات الحكم، فقد أصبح هذا النقش وما حواه من كلمات شعاراً رسمياً للدولة تستخدمه في المراسلات والمكاتبات سواء كان داخل حدود الخلافة مع الوزراء والأمراء أو خارجها مع الملوك

(١) ابن الكارزوني: مختصر التاريخ، ص ١٠٥؛ ابن الطقطقي: الفخري، ج ١، ص ١٣٥؛

الذهبي: تاريخ الاسلام، ج ٨، ص ٥٣٤؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ١٩٠.

(٢) البلاذري: أنساب الاشراف، ج ٩، ص ٢١٨.

والرؤساء، لذلك رأينا الخلفاء الأمويين قد حرصوا على الالتزام بهذه السنة وزادوا من اهتمامهم وعنايتهم به فلم تستغن أي خليفة منهم عن هذا التقليد السلطاني، حتى أصبح الواحد منهم يتخذ أكثر من خاتم والذي حوى على عبارات وحكم دينية عبرت عن إيمانهم وطاعتهم وإذعانهم لله عز وجل وثقتهم ورجائهم بالله سبحانه وتعالى بغض النظر عما جرى في فترة حكم كل خليفة من أحداث قد يكون بعضها يحمل تناقضاً بين ما ارتكبه من أعمال والتي قد تكون تبعاتها سيئة وبين ما حواه نقشه من عبارات دينية وموعظة حفرها على خاتمه، فبعض الخلفاء الأمويين نراهم قد عكس مضمون نقش خاتمه على شخصيته وأعماله بالتأثير والتأثر كالخليفة معاوية بن يزيد والذي كان نقش خاتمه "إنما الدنيا غرور" فطبق هذه المقولة على نفسه وترك السلطة والحكم بما فيها من نعيم وملذات وجاه ومال فعلم أنه إنما زائل لا محال فزهد بكل هذا مقبلاً على طاعة الله تاركاً الدنيا ومباهجها حتى توفي، وكذلك هو الحال في الخليفة عمر بن عبد العزيز (رحمه الله) كيف لا وهو حفيد الفاروق (رضي الله عنه) والذي كان نقش خاتمه "عمر بن عبد العزيز يؤمن بالله" و"كل عمل ثواب" والذي عكس إيمانه الراسخ بالله تعالى فهو منذ نعومة أظافره كان شديد الإقبال على طلب العلم، ملازماً لمجالس العلماء، عابداً، زاهداً، حتى حين ولي أمر المسلمين نرى انعكاس ذلك في حياة المسلمين في كل جانب من جوانب حياتهم نتيجة لإدارته العادلة للدولة وأعماله العظيمة خلال سنتين فقط؟! إذا ما قورنت بأعمال خلفاء حكموا سنوات طوال دون أن يصلوا ولو الى جزء مما وصل إليه عمر بن عبد العزيز (رحمه الله)، أما الفريق الآخر نرى أن خاتمه لم يكن بالنسبة له إلا شعاراً للدولة عكس هذا الرأي بما ارتكبه في خلافته كالخليفة يزيد بن معاوية فقد كان نقشه "ربنا الله" لكن هل التزم يزيد بمضمون هذا النقش ودلالاته خصوصاً وأن عهده قد شهد أحداثاً جساماً ودماء أريقت بغير حق .

الخاتمة

- ١- مثل خاتم النبي (ﷺ) ونقشه الشعار الرسمي للسلطة الدنيوية في مرحلة عصر الرسالة وهو ما استند عليه الخلفاء على مر باقي العصور كالعصر الراشدي والعصر الأموي، والتزاماً من الخلفاء الأمويين بسنة الرسول (ﷺ) والخلفاء الراشدين من بعده فاتخذوا خواتم خاصة بهم سواء كانت شخصية أو رسمية ونقشوا عليها عبارات موجزة بليغة ذات معانٍ كبيرة في الايمان بالله والتسليم والانقياد له والتوكل عليه.
- ٢- اعطت نقوش اختام وخواتم الخلفاء الأمويين ملامح قوية عن شخصياتهم كونهم قادة وخلفاء للمسلمين وعبرت أيضاً عن افكارهم ورؤاهم في الحياة والكون.
- ٣- كان الأمويون يُفخمون شأن خاتم الخلافة تفخيماً يليق بمنزلته بوصفه أحد أهم علائم الملك والسلطان، ويتجلى ذلك حتى من خلال إنشاء مؤسسة إدارية خاصة تختص بشؤون الخاتم وإنشاء ديوان خاص سمي بديوان الخاتم لضمان السرية التامة في المراسلات مع القادة والامراء والملوك والاباطرة في الدول الاخرى ايضاً.
- ٤- ان مضامين النقوش التي اتخذها الخلفاء الأمويين كانت أغلبها عبارة عن مضامين دينية في محاولة منهم لاستمالة الناس حولهم والحصول على دعمهم فقد عبرت بعض مضامين هذه النقوش عن صدق النوايا لبعضهم.
- ٥- تميزت نقوش الخلفاء الأمويين بملامح وطابع اسلوبية مختلفة وتتجلى بالإيجاز باللفظ والمعنى، لتأتي معظم هذه النقوش ويقع جلها في ثلاث أو أربع كلمات وقد يقصر بعضها ويطول بعضها الآخر.
- ٦- يتضح أن أغلب النقوش قد عكس تأثر هؤلاء الخلفاء بمصادر ثقافتهم الاسلامية المستمدة من القرآن الكريم ومن حديث النبي (ﷺ).
- ٧- ومن السمات اللواتي برز في النقوش على الخاتم عند الخلفاء الأمويين هي سمة المحاكات والتقليد وهي ان يتخذ الخليفة الأموي نقشاً فيقلده خليفة آخر وينسخ على منواله واحياناً يكون الاقتباس حرفياً.
- ٨- ومن السمات التي تميزت بها هذه الحقبة في نقوش خواتم الخلفاء الأمويين هي تعداد النقوش والخواتم للخليفة الواحد مثل ما كان عند الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز فقد أوردت المصادر ان لديه ٨ نقوش خواتم.

- ٩- وقد حملت أغلب نقوش خواتم الخلفاء الأمويين صفة الدعاء والابتهال والرجاء واسترداد العون من الله، والحمد والثناء بنفس الوقت وحتى الثقة بالله ايضاً.
- ١٠- واخيراً صار اتخاذ الخلفاء بشكل عام للخاتم بعد الرسول (ﷺ) سنة متبعة وتجاوزت كل العصور الاسلامية جميعاً (العصر الراشدي والأموي والعباسي)، وجاء ذلك ليس لالتباع فقط وإنما تجلى ليقاس ثقافة الوجود الانساني والتعاطي مع الحياة.

ثبت المصادر

- ❖ ابو القاسم عبد الله بن محمد السبتي، معجم الصحابة، تحقيق، محمد الامين الجكني، دار البيان، (الكويت، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م).
- ❖ محمد بن حبان بن احمد البستي، الثقات، دائرة المعارف العثمانية، (الهند، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م).
- ❖ احمد بن عبد الله بن احمد ابو نعيم الاصبهاني، معرفة الصحابة، تحقيق، عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن، (الرياض، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م).
- ❖ يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الاصحاب، تحقيق، علي محمد البجاري، دار الجيل، (بيروت، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م).
- ❖ احمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، تحقيق، بشار عواد معروف، دار الغرب الاسلامي، (بيروت، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م).
- ❖ علي بن ابي الكرم عز الدين ابن الأثير، اسد الغابة في معرفة الصحابة، دار الفكر، (بيروت، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م).
- ❖ ابو زكريا محي الدين يحيى بن شرف النووي، تهذيب الاسماء واللغات، دار الكتب العلمية، (بيروت، د.ت).
- ❖ احمد بن علي بن حجر العسقلاني، الاصابة في تميز الصحابة، تحقيق، احمد عبد الموجود وعلي محمد عوض، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٤١٥ هـ).
- ❖ محمود بن أحمد بدر الدين العيني: معاني الاختيار في شرح أسامي رجال معاني الآثار، تحقيق: محمد حسن محمد، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م).
- ❖ محمد بن سعد بن منيع الزهري، الطبقات الكبرى، تحقيق، احسان عباس، دار صادر، (بيروت، ١٩٦٩ م).
- ❖ ابو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر، تاريخ دمشق، تحقيق، عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (دمشق، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م).
- ❖ احمد بن يحيى بن جابر البلاذري، انساب الاشراف، تحقيق، سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر، (بيروت، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م).
- ❖ شهاب الدين احمد بن عبد الله الاندلسي، العقد الفريد، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٤٠٤ هـ).
- ❖ شمس الدين احمد بن محمد الذهبي، سير اعلام النبلاء، دار الحديث، (القاهرة، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م).

- ❖ ابو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، السيرة النبوية، تحقيق، مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة، (بيروت، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٦ م).
- ❖ علي بن ابي بكر الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الفكر، (بيروت، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م).
- ❖ ابو محمد محمود بن احمد بدر الدين العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار احياء التراث العربي، (بيروت، د.ت).
- ❖ خليفة بن خليفة ابن خياط الشيباني، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق، اكرم ضياء العربي، دار القلم، دمشق، مؤسسة الرسالة، (بيروت، ١٣٩٧ هـ).
- ❖ يعقوب بن سفيان بن جوان الفارسي، المعرفة والتاريخ، تحقيق، اكرم العمري، مؤسسة الرسالة، (بيروت، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م).
- ❖ محمد بن جرير بن يزيد الطبري، تاريخ الرسل والملوك، دار الكتب العلمية (بيروت، ١٤٠٧ هـ).
- ❖ ابو الغداء اسماعيل بن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، تحقيق، علي شيري، دار احياء التراث العربي، (بيروت، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م).
- ❖ احمد بن محمد بن الحسين الكلاباذي، الهداية والارشاد في معرفة اهل الثقة والسداد، تحقيق، عبد الله الليثي، دار المعرفة، (بيروت، ١٤٠٧ هـ).
- ❖ محمد بن مكرم بن علي جمال الدين ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، ابن عساكر، تحقيق، روحية النحاس وآخرون، دار الفكر، (دمشق، ١٤٠٢ هـ).
- ❖ عبد الرحمن بن احمد ابن رجب الحنبلي، مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي، تحقيق، ابو مصعب طلعت الحلواني، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، (القاهرة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م).
- ❖ أحمد بن علي أحمد القلقشندي: مآثر الإنافة في معالم الخلافة، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، (الكويت، ١٩٨٥ م).
- ❖ حسين بن محمد بن الحسن الديار بكري، تاريخ الخميس في احوال انفس النفيس، دار صادر، (بيروت، د.ت).
- ❖ اسحاق بن ابراهيم بن سنين الختلي، الديباج، تحقيق، ابراهيم صالح، دار البشائر، (د. م، ١٩٩٤ م).
- ❖ علي بن الحسين بن علي المسعودي، التنبيه والاشراف، دار الصاوي، (القاهرة، د.ت).
- ❖ شمس الدين احمد بن محمد الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والاعلام، تحقيق، عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، (بيروت، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م).

- ❖ خير الدين بن محمود الزركلي الدمشقي، الاعلام، دار العلم للملايين، (د.م، ٢٠٠٢م)
- ❖ شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب النويري، نهاية الارب في فنون الادب، دار الكتب والوثائق القومية، (القاهرة، ١٤٢٣هـ).
- ❖ عبد الرحمن بن ابي بكر جلال الدين السيوطي، تاريخ الخلفاء، تحقيق، حمدي الدمردشي، (د.م، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م).
- ❖ ابو عبد الله محمد بن عبدوس الجهشياري، الوزراء والكتاب، تحقيق، مصطفى السقار ورفاقه، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، (القاهرة، ١٣٢٨هـ - ١٩٢٨م).
- ❖ ابو هلال الحسن بن عبد الله العسكري، الاوائل، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م).
- ❖ محمد بن علي بن طباطبا ابن الطقطقي: الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية، تحقيق: عبد القادر محمد مايو، دار القلم العربي (بيروت، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، ط١).
- ❖ علي ابي الكرم عز الدين ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تحقيق، عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، (بيروت، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م).
- ❖ محمد بن علي الاصبحي المعروف بابن الازرق، بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق، د. علي سامي النشار، وزارة الاعلام، (العراق، د.ت).
- ❖ شحاتة محمد صقر: معاوية بن أبي سفيان أمير المؤمنين وكتاب وحي النبي الأمين (ﷺ)، كشف شبهات ورد مفتريات، دار الخلفاء الراشدين، (الاسكندرية، د.ت).
- ❖ عبد الرحمن بن عمرو بن أبي زرعة الدمشقي: تاريخ أبي زرعة الدمشقي، تحقيق: شكر الله القوجاني، مجمع اللغة العربية، (دمشق، د.ت).
- ❖ ابو سليمان محمد بن عبد الله بن احمد الربيعي: تاريخ مولد العظماء ووفياتهم، تحقيق، عبد الله احمد سليمان، دار العاصمة، (الرياض، ١٤١٠هـ).
- ❖ محمد بن شاكر بن أحمد الملقب صلاح الدين: فوات الوفيات، تحقيق: احسان عباس، دار صادر، (بيروت، ١٩٧٤م).
- ❖ علي محمد الصلابي: الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، دار المعرفة، (بيروت، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م).
- ❖ احمد بن محمد بن حنبل الشيباني، فضائل الصحابة، تحقيق، وحي الله محمد عباس، مؤسسة الرسالة، (بيروت، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م).
- ❖ احمد بن داود الدينوري، الأخبار الطوال، تحقيق، عبد المنعم عامر، دار احياء التراث العربي، (القاهرة، ١٩٦٠م).

- ❖ عبدالله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري: الإمامة والسياسة، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م).
- ❖ محمد بن حبان بن أحمد البستي: السيرة النبوية واخبار الخلفاء، الكتب الثقافية، (بيروت، ١٤١٧ هـ).
- ❖ ابو عبدالله محمد بن سلامة الشافعي: عيون المعارف وفنون اخبار الخلائف، تحقيق: عبدالرحيم محمد بن علي، دار الينايع، (عمان، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م).
- ❖ يوسف بن تغري بردي الحنفي: مورد اللطافة، في من ولي السلطنة والخلافة، تحقيق: نبيل محمد، دار الكتب المصرية، (القاهرة، د.ت).
- ❖ أحمد بن يعقوب بن مسكويه: تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تحقيق: أبو القاسم إمامي: سروش، (طهران، ٢٠٠٠ م).
- ❖ عمر بن مظفر زين الدين ابن الوردية: تاريخ ابن الوردية، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م).
- ❖ علي بن أحمد ابن حزم الاندلسي: رسائل ابن حزم الاندلسي، تحقيق: احسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (بيروت، د.ت).
- ❖ جمال الدين ابو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والامم، تحقيق: محمد عبد القادر ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م).
- ❖ محمد بن موسى بن عيسى الدميري: حياة الحيوان الكبرى، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٤٢٤ هـ).
- ❖ يوسف بن تغري بردي الحنفي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب، (مصر، د.ت).
- ❖ عبد الملك بن حسين العصامي المكي: سمط النجوم العوالي في انباء الاوائل والتوالي، تحقيق: عادل أحمد وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م).
- ❖ محمد عجاج بن محمد الخطيب: السنة قبل التدوين، دار الفكر، (بيروت، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م).
- ❖ احمد بن علي بن احمد القلقشندي، صبح الاعشى في صناعة الانشاء، تحقيق: يوسف علي الطويل، دار الفكر، (بيروت، ١٩٨٧ م).
- ❖ علي بن ابراهيم برهان الدين الحلبي، السيرة الحلبية، انسان العيون في سيرة الامين والمأمون، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٤٢٧ هـ).

- ❖ أحمد بن عمرو بن الضحاك الشيباني: الاحاد والمثاني، تحقيق: باسل فيصل، دار الولاية، (الرياض، ١٤١١هـ - ١٩٩١م).
- ❖ عبد الرحمن بن محمد بن ادريس ابن ابي حاتم، الجرح والتعديل، دائرة المعارف العثمانية، الهند، دار احياء التراث العربي، (بيروت، ١٢٧١هـ - ١٩٥٢م).
- ❖ احمد بن يحيى بن فضل الله العمري، مسالك الابصار في ممالك الامصار، المجمع الثقافي، (ابو ظبي، ١٤٢٣هـ).
- ❖ غريغوريوس ابن آهون الملطي المعروف بأبن العبري: تاريخ مختصر الدول، تحقيق: انطون صالحاني، دار الشرق، (بيروت، ١٩٩٢م).
- ❖ محمد بن علي المعروف بابن العمراني: الانباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق: قاسم السامرائي، دار الآفاق العربية، (القاهرة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م).
- ❖ احمد بن داؤود الدينوري: الاخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر، دار احياء الكتاب العربي، (القاهرة، ١٩٦٠م).
- ❖ محمد بن احمد بن الازهري ابو منصور، تهذيب اللغة، تحقيق، محمد عوض مرعب، دار احياء التراث العربي، (بيروت، ٢٠١١م).
- ❖ ابو نصر اسماعيل الجوهري الفارابي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق، احمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، (بيروت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م).
- ❖ ابي الحسين احمد بن زكريا ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق، عبد السلام محمد هارون، دار الحلبي، (بيروت، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م).
- ❖ محمد بن مكرم بن علي ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، (بيروت، ١٩٨٧م).
- ❖ محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق، مجموعة من المحققين، دار الهداية، (دم، د.ت).
- ❖ صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي، الوافي بالوفيات، تحقيق، احمد الارناؤوط وتركي مصطفى، دار احياء التراث، (بيروت، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م).
- ❖ عمر بن احمد بن ابي بكر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار الشعب، (القاهرة، د.ت).
- ❖ عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، دار احياء التراث العربي، (بيروت، ٤١٨هـ).
- ❖ علي بن سلطان بن محمد القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، تحقيق، جمال عثمان، دار الكتب العلمية، (لبنان - بيروت، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م).
- ❖ خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني، طبقات خليفة بن خياط، تحقيق، سهيل زكار، دار الفكر، (دم، د.ت)، (١٤١٤هـ - ١٩٩٣م).

- ❖ ظهير الدين علي بن محمد ابن الكازروني، مختصر التاريخ من اول الزمان الى منتهى دولة بني العباس، تحقيق، مصطفى جواد، مطبعة الحكومة، (بغداد، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٥م).
- ❖ محمد طاهر الكردي المكي: التاريخ القويم، مكتبة النهضة، مكة، دار خضر، (بيروت، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م).
- ❖ احمد يوسف القرمانى، اخبار الدول واثار الاول في التاريخ، تحقيق، فهمي سعد واحمد حطيط، عالم الكتب، (بيروت، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م).
- ❖ شمس الدين أحمد بن ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تحقيق: احسان عباس، دار صادر، (بيروت، ١٩٠٠م)
- ❖ احمد بن ابراهيم بن محمد العجمي، كنوز الذهب في تاريخ حلب، دار القلم، (حلب، ١٤١٧هـ).
- ❖ عبدالله بن عبد الحكيم ابو محمد المصري: سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الامام مالك بن أنس وأصحابه، تحقيق: احمد عبيد، عالم الكتب، (بيروت، ١٤١٤هـ - ١٩٨٤م).
- ❖ اسماعيل بن محمد بن الفضل قوام السنة، سير السلف الصالحين، تحقيق، اكرم حلمي بن فرحان، دار الراية، (الرياض، د.ت).
- ❖ محمد بن أحمد ابن سمعون الواعظ: أمالي ابن سمعون الواعظ، تحقيق: عامر حسن صبري، دار النشائر الاسلامية، (بيروت، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م).
- ❖ حياة بن محمد بن جبريل: الآثار الواردة عن عمر بن عبد العزيز في العقيدة، عمادة البحث العلمي بالجامعة الاسلامية، المدينة المنورة.
- ❖ عمر بن احمد بن هبة الله ابن العديم: بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، (دم، د.ت).
- ❖ علي محمد الصلابي: عمر بن عبد العزيز، معالم التجديد والاصلاح الراشدي علي منهاج النبوة، دار التوزيع والنشر الاسلامية، (مصر، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م).
- ❖ شمس الدين ابو العون محمد الحنبلي: غذاء الالباب في شرح منظومة الآداب، مؤسسة قرطبة، (مصر، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م).
- ❖ أحمد معمور العسيري: موجز التاريخ الاسلامي منذ عهد آدم (عليه السلام) "تاريخ ما قبل الاسلام" الى عصرنا الحاضر، مكتبة الملك فهد، (الرياض، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م).
- ❖ عماد الدين اسماعيل بن علي الملك المؤيد، المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية، (مصر، د.ت).

- ❖ اسامة ناصر النقشبدي وحياء عيد علي الحوري، الاختتام الاسلامية في المتحف العراقي، دار الحرية للطباعة والنشر، (بغداد، ١٢٩٤هـ - ١٩٧٤م).
- ❖ عبدالحى بن أحمد ابن العماد العكري: شذرات الذهب في اخبار من ذهب، تحقيق: محمود الارناؤوط: دار ابن كثير، (دمشق- بيروت، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م).
- ❖ محمد بن علي بن الحسن الشافعي: تهذيب الرياسة وترتيب السياسية، تحقيق: ابراهيم يوسف عجو، مكتبة المنار، (الاردن، د.ت).
- ❖ علي بن أحمد بن سعيد القرطبي: جوامع السيرة وخمس رسائل أخرى لابن حزم، تحقيق: احسان عباس، دار المعارف، (مصر، ١٩٠٠م).
- ❖ محمد بن اسحاق بن منده العبدى: فتح الباب في الكنى والالقب، تحقيق: ابو قتيبة نظر الفارابي، مكتبة الكوثر، (الرياض، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م).
- ❖ علي بن سلطان محمد الهروي القاري: شرح الشفاء، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٤٢١هـ).
- ❖ محمد بن خليفة بن علي التميمي: مقالة التعطيل والجعد بن درهم أضواء السلف، (الرياض، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م).
- ❖ علي محمد الصلابي: معاوية بن أبي سفيان - شخصيته وعصره-، دار الاندلس، (مصر ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م).
- ❖ ابن طولون: قيد الشريد من اخبار يزيد، تحقيق: محمد زينهم محمد، دار الصحوة للنشر، (د.م، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م).
- ❖ علي محمد الصلابي: خلافة أمير المؤمنين عبدالله بن الزبير (رضي الله عنه)، مؤسسة إقرأ، (القاهرة، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م).
- ❖ محمد محمود الدروبي، نقوش خواتم الخلفاء الامويين، جمع ودراسة وتحقيق، مجلة المنارة للبحوث والدراسات، جامعة ال البيت، (٢٠١١م).
- ❖ المطهر بن طاهر المقدسي: البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية، (بور سعيد: د.ت)
- ❖ عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري: المعارف، تحقيق: شروق عكافة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة، ١٩٩٢م).
- ❖ محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي: المحبر، تحقيق: ايلزة ليختن شنتير، دار الآفاق الجديدة، (بيروت، د.ت).
- ❖ جلال الدين السيوطي: طبقات الحفاظ، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٤٠٣هـ).

المعتقدات الشعبية المتعلقة بالطفل في التراث الشعبي الموصل

-دراسة وصفية تحليلية-

**Popular Beliefs Related to Children in Mosuli Folk Tradition:
-A Descriptive Analytical Study-**

Naglaa Adel Hamed

Assistant Professor

Dr. Khalil Muhammad Al-Khalidi

Professor

University of Mosul - College
of Arts - Department of
Sociology

نجلاء عادل حامد

أستاذ مساعد

د. خليل محمد الخالدي

أستاذ دكتور

جامعة الموصل - كلية الآداب - قسم
علم الاجتماع

Najlaa.arp44@student.uomosul.edu.iq

تاريخ القبول

٢٠٢١/١٢/٢٩

تاريخ الاستلام

٢٠٢١/١١/١٤

الكلمات المفتاحية: المعتقدات الشعبية- الطفل- المجتمع .

Keywords: popular beliefs- children- society

المخلص

تتناول هذه الدراسة ؛ المعتقدات الشعبية المتعلقة بالطفل في التراث الشعبي الموصل، والتي قصد الباحثان من خلال هذا تناول التعرف على أهم تلك المعتقدات الشعبية، وفهم الحكمة التي تدعو أفراد أي مجتمع ؛ وخاصة افراد المجتمع الموصل، اللجوء إلى مثل هذه المعتقدات الشعبية .

تكمن أهمية هذه الدراسة في قيمة المعتقدات الشعبية، لكونها نوعا من الابداع الفكري الغنية والزاخرة بمعانيها وهي نبض الجماعة يصنعها المجتمع وتتجدد حياة كحياة الشعب. وتزداد أهمية هذه الدراسة مع وجود ندرة شديدة في الدراسات الفولكلورية بدراسة مختلف عناصر التراث الشعبي، والثقافة الشعبية، واعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي للتعرف على أبرز ملامح الظاهرة قيد الدراسة.

Abstract

This study deals with; Folk beliefs related to the child in the Mosul folklore, which the researchers intended through this approach to identify the most important of those popular beliefs, and to understand the wisdom that calls the members of any society; Especially members of the Mosuli community, resort to such popular beliefs

The importance of this study lies in the value of popular beliefs, as they are a kind of intellectual creativity rich and full of meanings. The importance of this study increases with the severe scarcity of folklore studies by studying the various elements of folklore and popular culture

The study relied on the descriptive approach to identify the most prominent features of the phenomenon under study.

المقدمة

تعد المعتقدات الشعبية جزءاً من الثقافة الشعبية العامة لاي مجتمع، والتي يتم نقلها وأكتسابها عن طريق عملية التنشئة الاجتماعية، والتي تجعل المعتقدات الشعبية تتوارث جيلاً بعد جيل، وبالنتيجة تنتشر الاجيال المتعاقبة بالمعتقدات الشعبية من خلال عملية التنشئة الاجتماعية، وعبر المشاركة الفعلية في الحياة الاجتماعية.

فالمعتقدات الشعبية تعبير دقيق ومعقد للمجتمعات البشرية التي أنتجتها لتكون بالتالي جزءاً "أساسياً" من البناء الاجتماعي لتلك المجتمعات، تعبر عنه في وجوده الماضي وحضوره الأني ومستقبله المرتقب .

وفي هذه الدراسة تناولنا المعتقدات الشعبية المتعلقة بالطفل عبر التراث الشعبي الموصل، فالإنسان في الماضي آمن بأن معتقداته الشعبية التي خلقها لنفسه ؛ ترسم له الطريق الامن الذي يتبعه وهي التي علمته وزودته بأسباب البقاء كلها، أي خلقت له نظاماً محدداً وبالتالي لم يبق لافراد المجتمع سوى استنارة سبل حياتهم الاجتماعية بهدي من معتقداتهم الشعبية، وأن يعملوا على الحفاظ عليها إذا لم نقل تقديسهم لها، ولتحقيق ذلك كان ينبغي عليهم أن يلتزموا بما جاءت به هذه المعتقدات والابتعاد عما حذرت منه.

عاش افراد المجتمع من خلال معتقداتهم توازناً بين عقولهم وارواحهم وحياتهم الواقعية وحافظوا على إنسانيتهم في الوقت الذي تراجع إنسان اليوم إلى حد كبير في قيمه ومعنوياته حينما أعلن أن الحقائق التي يدركها العقل بالبحث العلمي والبرهان الذي لايقبل الشك هي الحقائق الوحيدة الجديرة بالمعرفة.

كما تشكل المعتقدات الشعبية؛ لأي مجتمع مصدراً أساسياً من مصادر الابداع، والنشاط الفكري في الحياة الاجتماعية، إذ تشكل المعتقدات الشعبية في كل أمة عامل أساسي من عوامل وجودها، إذ لايتحقق وجود أي أمة من الامم دون تواصل مع معتقداتها باي صورة من الصور، وفاعلية المعتقدات الشعبية تكمن في دورها في بناء النظام الاجتماعي، والاساس الذي تبنى عليه شخصية أفرادها.

فالمعتقدات الشعبية، شأنها شأن أي نوع من أنواع التراث الشعبي، تقع ضمن نطاق (الثقافة التقليدية أو الشعبية)، والقاء الضوء عليها إجتماعياً، يؤتى عدداً من الثمرات العلمية التي تفيد المشتغلين برسم السياسة الاجتماعية والثقافية، فهي الى جانب القيمة العلمية النظرية، تقدم خدمة تطبيقية علمية لايمكن إنكارها .

وخاصة اذا ما تعلق الأمر بالطفل، فأن تجاهل هذه المعتقدات التي ترتبط بالأطفال الذين يمثلون النواة الأساسية في تشكيل أي مجتمع بشري، يؤدي الى ثغرة تواجه عمليات التخطيط لعمليات التنمية الاجتماعية والبشرية، وبالتالي يؤدي الى عجز هذه التنمية في تحقيق خططها الاستراتيجية وبالتالي تشكل عائقاً أمام النهوض بواقع المجتمع ومستقبله .

وما توصلت إليه الباحثة من الدراسة. تم توزيعه على مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة. المبحث الأول من الدراسة خصصناه للإطار النظري للدراسة ؛ وتناولنا فيه مشكلة البحث، الأهمية، والأهداف والمنهج المتبع، والمفاهيم التي تخص موضوع دراستنا.

وخصصنا المبحث الثاني لدراسة المعتقدات الشعبية وإبرزنا أهميتها .

في المبحث الثالث درسنا المعتقدات الشعبية المتعلقة بالطفل في التراث الشعبي الموصل. وفي الخاتمة قدمنا أهم النتائج التي توصل إليها البحث، وعرضنا أهم التوصيات.

المبحث الأول

عناصر الدراسة وخطواتها المنهجية

أولاً:- مشكلة الدراسة:-

إن المعتقدات الشعبية تمثل رمزا من رموز ثقافة الشعوب وعناصرها ومكوناتها، إذ تمارسها الجماعة كما يمارسها الفرد ويطبقها على ما يعيشه من ظواهر وما يصادفه من مشاكل في حياته اليومية والاجتماعية، لتكون أداة من أدوات حلها وتفسيرها في حال ضعف تفسيره العلمي أو المنطقي ويات عاجزا أمامها، والجدير بالذكر بان هذه المعتقدات لايمكن محوها من الحياة الواقعية والاجتماعية لافراد المجتمع، وأن دخل بعضها في دائرة التفكير الخرافي وغير المنطقي.

المعتقدات الشعبية تعد شكلا من أشكال الثقافة التي تميز عموم المجتمعات فهي تتجسد في الأفكار والعادات والتقاليد، مما يجعلها قابلة على الانتقال بقوة العادات الفردية أو الجماعية إلى مرحلة جديدة عبر العصور، يكتسبها أفراد المجتمع عن طريق التنشئة الاجتماعية .

من ضمن ماينقل عن طريق الاسرة تلك المعتقدات الشعبية التي تؤمن بها وتعتقد فيها اعتقادا "قويا"، وتحقق لها غايتها وتنشع حاجاتها النفسية والروحية، حيث تبعث تلك المعتقدات الأمان النفسي لأفراد الأسرة، ولهذا تحاول الأسر جاهدة نقل المعتقدات الى أبنائها دون تعديل ودون المساس بقيمتها الجوهرية وبقدسيته .

وبين أبرز تلك المعتقدات الشعبية والتي تحاول الأسرة الحفاظ عليها وتلقينها، هي تلك المعتقدات التي تخص شريحة مهمة داخل البناء الاسري والاجتماعي، الا هم فئة الأطفال . ويمكن صياغة مشكلة الدراسة بعدد من التساؤلات منها :-

ماهي أبرز وأهم المعتقدات الشعبية المتعلقة بالطفل في التراث الشعبي الموصلية؟ ما المقصود بالمعتقدات الشعبية؟ وما طبيعة هذه المعتقدات الشعبية؟ ماهي الوظائف الاجتماعية والنفسية التي تؤديها المعتقدات الشعبية؟ ماهي الآثار التي تتركها المعتقدات الشعبية على حياة الطفل؟ كيف نفسر استمرار بقاء الحاجة للمعتقدات الشعبية بعد كم التغيرات التي حصلت في المجتمع في الوقت الراهن؟

ثانياً:- أهمية الدراسة:-

تتمثل أهمية هذه الدراسة في أنها محاولة للكشف عن مضامين المعتقدات الشعبية ، وكيف تؤثر في الحياة الاجتماعية للناس بشكل عام ؛ والموصليون منهم بشكل خاص، إذ أن هذه الدراسة تسهم في التعرف على إحدى جوانب الثقافة الشعبية، وهي (المعتقدات الشعبية)

وعلى الكيفية التي تؤثر فيها على حياة ومستقبل أفراد المجتمع الموصلية. باعتبارها نسقا اجتماعيا ونفسيا"، منفردا بخصائص وسمات معينة.

هذا ما دفعنا إلى إختيار هذا الموضوع لأهميته لهذه الدراسة ؛ نظرا" لأهمية من الناحية العلمية و الاكاديمية، والاجتماعية والنفسية والتاريخية وحتى التنموية والاقتصادية، وتتجلى أهمية الدراسة في مدى الفائدة التي تقدمها للبحوث والدراسات اللاحقة التي تهتم بدراسة جانبي الدراسة والمتمثلين ب :- المعتقدات الشعبية، وبالطفل .

لهذه الدراسة اهميتها الاكاديمية النظرية فضلا عن اهميتها التطبيقية. فمن الناحية الاكاديمية وعلى أساس المنهجية ؛ هذه الدراسة ومن المتوقع أن تكون واحدة من المراجع العلمية التي يلجأ إليها من يريد القراءة أو البحث في نفس الموضوع وعبر أي إختصاص كان. إذ في حال تم اكتشاف صدق أو عدم صدق المقولات النظرية يعد ذلك بحد ذاته موجها" ودليلا" تعتمد عليه الدراسات النظرية اللاحقة في هذا المجال، أما ما يتعلق بالنتائج التي يتم التوصل اليها عبر هذه الدراسة والتوصيات والمقترحات، فانها تفيد في الكيفية التي يتم التعامل بها مع المعتقدات الشعبية واستثمار العناصر المؤثرة منها في عملية وخطط التنمية وما الى ذلك.

عليه يمكننا تحديد أهمية الدراسة بما يأتي:-

- ١- تتبلور أهمية الدراسة في كونها محاولة من قبل الباحثين لاضافة إسهامة جديدة للدراسات الفولكلورية ؛ وفي جانب مهم من جوانب التراث الشعبي الا هي المعتقدات الشعب.
- ٢- تتناول جانبا" حيويا" وفعالاً" والمتمثل بدراسة الطفل عبر المكون الشعبي، التي تعاني من ندرة الدراسات التي تتناول موضوعات التراث الشعبي في انعكاساتها على بنية وشخصية الطفل.
- ٣- تعد الدراسة خطوة نرجو أن تسهم في نمو الحركة الأكاديمية في مجال دراسات المأثور الشعبي على المستوى الرسمي في العراق عامة ومدينة الموصل بصفة خاصة.
- ٤- وتتطلق الاهمية الاجتماعية لهذه الدراسة، من الكيفية التي ترسم بها المعتقدات الشعبية التي يتم تناولها بالبحث والتحليل، الجوانب المهمة في حياة وكيان الطفل .

ثالثاً:- أهداف البحث :-

لكل دراسة غرض أو هدف محدد يجعل منها ذات قيمة علمية، ويفهم الهدف من الدراسة على أنه السبب الذي قام من أجله الباحثان بإعداد ومتابعة خطوات البحث العلمي، هو الذي يسعى الى تحقيق أهداف عامة ذات قيمة ودلالة علمية^(١).

أن الغرض من هذه الدراسة هو السعى الى معرفة ما يأتي :-

- ١- تحديد دور المعتقدات الشعبية في حياة الفرد الموصلي .
- ٢- تحديد اهمية المعتقدات الشعبية لدى افراد المجتمع الموصلي.
- ٣- الوصول الى معرفة علمية دقيقة حول الظاهرة محل الدراسة بعيدا عن المعرفة العامية المنتشرة بين افراد المجتمع الموصلي.
- ٤- الوقوف على أشكال ونماذج وصور المعتقدات الشعبية المنتشرة بين افراد المجتمع الموصلي الخاصة بالطفل .

رابعاً :- منهج البحث:-

سوف نعتد في دراستنا هذه المنهج الوصفي - التحليلي، كونه منهجاً يعطي تنوعاً للمعلومات ويحيط بالظاهرة المراد دراستها وصفاً وشرحاً دقيقاً ومفصلاً .

خامساً:- مفاهيم البحث:-

١- المعتقد الشعبي :-

المعتقدات جمع المعتقد من "عقد: العقد: نقيض الحل؛ عقد يعقد عقداً وتعقاداً"^(٢)، أي الجزم والقطع والتصديق بدون شك، و"أعتقد في الأمر اي صدقه وعقد عليه قلبه وضميره وتدين به، والمعتقد مايعتقد الانسان من أمور الدين"^(٣).

وهي الرأي المعترف به بين أفراد مذهب واحد كالعقيدة الرواقية^(*)، وتطلق في الدين على ما يؤمن به الانسان ويعتقده كوجود الله وبعثه الرسل والعقاب والثواب وغيرها^(٤)، كما

(١) محمد شفيق، البحث العلمي: الخطوات المنهجية لإعداد البحوث الاجتماعية، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، ١٩٩٨، ص ٥٥.

(٢) ابن لفضل جمال الدين بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، المجلد الثالث، دار صادر، بيروت - لبنان، ١٩٩٤، ص ٢٩٦.

(٣) المنجد في اللغة دار المشرق، ط ٢٣، بيروت، ب. ت، ص ٥١٨.

(*) الرواقية :- هي مذهب فلسفي أنشأه الفيلسوف اليوناني زينون السيجومي، وهو يقول: "إن العالم كلُّه عضويّ، تتخلله قوة الله الفاعلة، وإن رأس الحكمة معرفة هذا الكل، مع التأكيد أن الإنسان لا يستطيع أن يلتمس هذه المعرفة إلاّ إذا كبح جماح عواطفه، وتحرر من الانفعال"

(٤) جميل صليبا، المعجم الفلسفي، مصدر سابق، ص ٩٢.

هي ما لا يقبل الشك في نظر معتقده، والاعتقاد دون العمل^(١)، هذا المفهوم قد بين أحد جوانب الاعتقاد لكنه قد اعتبر الاعتقادات مجرد أفكار في عقول أصحابها غير معمول بها، وهذا خطأ فادح فمجرد وجود فكرة معتقد بها غير ممارسة تصيح مجهولة، وبالتالي تبقى في العقل الباطني غير ظاهرة للعيان لهذا الفرد يمارس أعتقاده ليوضحه ويخرجه من الاحساسات الداخلية الى الاحساسات الانفعالية الخارجية، فهي ملازمة للممارسات فأحدهم مكمل للآخر^(٢).

والمعتقد أو الاعتقاد : هو ما يسلم به الفرد أنه صحيح ويرسخ في تفكيره أو هو فكرة أو توجه غير صحيح اتجاه موقف معين يحاول الفرد إيجاد تبرير أو تفسير له^(٣).

الاعتقاد في الشيء : أي التصديق به والايان به دون أي شك أو ريب، و"أصل الكلمة من أعتقد، والمعتقد والعقيدة، والعقيدة هي الحكم الذي لا يقبل الشك فيه لدى معتقده، والاعتقادية يقابلها الوثوقية أو القطعية والتوكيدية، وهي كل ما يدركه العقل للوصول الى اليقين وهي ضد الريبية (أي الشك) والانتقادية، وقد يطلق لفظ الوثوقي والتوكيدي تحكما على من يتعصب لرأي ويسلم به دون تمحيص ويحاول فرضه على غيره دون برهان^(٤). ويقال : عقيدة يعقده عقدا"، ومنه عقدة اليمين والنكاح، قال تعالى: " لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمنكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمن " (المائدة : ٨٩).

المعتقد اصطلاحاً :- " هو إيمان ناشئ عن مصدر لاشعوري يكره الإنسان على تصديق فكر أو رأي أو تأويل أو مذهب جزافاً"، كما وأن العقل غريب عن تكوين المعتقد، ولا يأخذ العقل في تبرير المعتقد الا بعد أن يتم تكوينه^(٥).

والمعتقد الشعبي هو ظاهرة اجتماعية تنتج عن تفاعل الأفراد في علاقاتهم الاجتماعية وتصوراتهم حول الحياة والوجود وقوى الطبيعة المخيفة والمسيطره أو المتحكمة في

(١) مجدي وهبة، وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب، ط٢، مكتبة لبنان، بيروت - لبنان، ١٩٨٤، ص ٢٥١.

(٢) فانتن جواد كاظم الخيكاني، الممارسات والمعتقدات الشعبية حول أضرحة الأولياء والصالحين - دراسة ميدانية في مدينة الديوانية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القادسية، كلية الآداب، قسم علم الاجتماع، ٢٠١٦، ص ٢٨.

(٣) ميخائيل أسعد، سيكولوجية الاعتقاد والفكر، النهضة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٨، ص ١٩.

(٤) جميل صليبا، المعجم الفلسفي، مصدر سابق، ص ٩٢.

(٥) غوستاف لوبون، الاراء والمعتقدات، ترجمة : عادل زعتير، عصير الكتب للنشر والتوزيع، بدون مكان، ٢٠١٨، ص ٢٠.

تسيير الحياة الكونية. ولأسباب عديدة أهمها ذلك التراكم الاجتماعي للعادات والتقاليد والأفكار يصبح المعتقد ذا قوة أمرة قاهرة، فهو يأمر في حالة الإيجاب، ويقهر في حالة السلب . وبسبب ذلك أيضا" نرى المعتقد يأخذ طابعا قدسيا روحيا وحتى دينيا، وذلك بوصفه نتاجا حياتيا للأجيال السابقة و بما تحمله من أفكار وبما مارسته من صراع مع قوى الطبيعة وغيرها من القوى، وبما حققت به نفوسهم من تعاليم وأخلاقيات أملاها حكماؤهم أو رسلهم وزعمائهم الروحانيون (١).

ونقصد به في دراستنا :-

مجموعة من التصورات والممارسات التي تمارس تجاه الطفل ولأجل حمايته، والتي يؤمن بها أفراد المجتمع الموصل، بغض النظر فيما إذا كانت معتقدات دينية، أو حتى خرافية، والتي حظيت بقبول أفراد المجتمع وصيرت معتقدات يعتقها ويؤمن بها أفراد المجتمع، ويمارسونها في حياتهم دون تفكير يدفعهم ذلك قوة إيمانهم وتصديقهم بتلك المعتقدات .

٢- الطفل لغة :من طفل طفولة وطفالة رخص ونعم. والطفل جمع اطفال وطفلات وتعني الصغير في كل شيء يقال يسعى لي في اطفال الحاجات،اي فيما صغر منها (٢). في حين ان المفهوم الاجتماعي للطفل هو :كائن اجتماعي له حاجات بيولوجية ونفسية واجتماعية ومعرفية يريد اشباعها، منها الحاجة للمعرفة والتعلم والثقافة اذ ينمو التفكير العقلي والادراك من خلال عملية التكيف المستمر بين الفرد والبيئة (٣).

ونقصد به في دراستنا : الكائن البشري الذي يولد في الاسرة الموصلية، ويمثل الملتقى الذي تدور حوله كافة الأشكال والممارسات الاعتقادية وبالتالي فإن هذه المعتقدات الشعبية الدائرة حوله ؛ تتولى تشكيل كافة أشكال السلوك الصادرة عن الأب والأم في مراحل حياة الطفل .

(١) محمد توفيق السهلي وحسن الباش، المعتقدات الشعبية في التراث العربي، مصدر سابق، ص٦.

(٢) كامل المهندس ومجدي وهبة، معجم المصطلحات العربية في اللغة والدب، ط٢، مكتبة لبنان، ١٩٨٤، ص ٦١.

(٣) ٨-أكرم البستاني وآخرون، المنجد في اللغة والأعلام، ط٣، دار المشرق، بيروت، ١٩٧٣، ص٤٦٧. ٩-المجلة الاجتماعية القومية، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، المجلد ٤٢، العدد ١، القاهرة، ٢٠٠٥، ص ٩٤.

المبحث الثاني

المعتقدات الشعبية طبيعتها وماهيتها وانواعها

المعتقدات الشعبية موروثات احتلت عقول الناس . ملايينهم وشغلت حياتهم، وقد شغفت بها نفوسهم وملكت قلوبهم . وصيرت معتقدات، أمسى التسليم بها والخضوع لحكمها، بديهيات ومسلّمات لا يمكن ان يرقى اليها الشك ولا يمكن لتجريح او نقد لينال منها كحقيقة وبقين .

فهكذا من يوم أن أخذت هذه المعتقدات، سبيلها الى قلوب الناس ونفوسهم، عامتهم وخاصتهم، ومن لحظة بداية عمرها الطويل، في تعاقب الاجيال وتداول الازمان، الى ان رسخت في الوعي وأضحت جزءاً " مهماً" من الوجدان الشعبي ودخلت في عداد مآثراتنا الشعبية^(١).

فالمعتقدات الشعبية ؛ عموماً من المآثرات الشعبية التي قيل عنها أنها حفريات تأتي أن تموت^(٢). قديمة قدم وجود الانسان على سطح الارض، حيث أنها وجدت في مناطق عديدة من العالم^(٣)، وعادة ماتتألف المعتقدات الشعبية من عدد من الأفكار الواضحة والمباشرة تعمل على رسم صورة ذهنية لعالم المقدسات، وتوضح الصلة بينه وبين عالم الإنسان^(٤)، وتعمل تلك المعتقدات على تحديد سلوك أفراد المجتمع وتطبع عاداته وتقاليده بطابع خاص^(٥)، ويعملون على نقلها دونما تمحيص؛ بوصفها حقائق ثابتة^(٦)، والمعتقدات ليست منعزلة بل لها صلة كبيرة بالقيم الاجتماعية المسيطرة تتنافس معها على المستوى الايديولوجي^(٧).

(١) عبد الجبار الهموندي، في المعتقدات الشعبية، مجلة التراث الشعبي، العدد الفصلي الرابع،

دائرة الشؤون الثقافية، وزارة الثقافة والاعلام، الجمهورية العراقية، ١٩٨٩، ص١٢٦.

(٢) فوزي العنتيل، الفولكلور ما هو ؟ دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٦٤، ص١٧.

(٣) طه باقر، ديانة البابليين والاشوريين، مجلة سومر، العدد (٢)، بغداد، ١٩٦٤، ص١.

(٤) فراس السواح، دين الانسان، مصدر سابق، ص٤٩.

(٥) عامر سليمان، العراق في التاريخ القديم، موجز التاريخ الحضاري، ج٢، الموصل،

١٩٩٣، ص١٠٩.

(٦) نجيب قاقو، من عادات الموصل الشعبية، مجلة التراث الشعبي، العدد السابع، السنة

الاولى، دار الجمهورية للطباعة، بغداد، ١٩٧٠، ٢٩.

(٧) عبد الحكيم أبو اللوز، الحركات السلفية في المغرب (١٩٧١ - ٢٠٠٤)، بحث انثربولوجي

سوسيولوجي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٩، ص١٦٣.

والمعتقدات الشعبية التي يؤمن بها عوام الناس منها مايتعلق ؛ بالعالم الخارجي ومنها مايتعلق بالعالم فوق الطبيعي^(١)، كما أن لكل مجتمع معتقداته الخاصة به، والتي لها سمات محددة تنم عن طبيعة الحياة الاجتماعية والظرائق التي يعتمدها الأفراد في أساليب حياتهم وتعاملاتهم اليومية، كونها " تبنى من مواد الحياة اليومية " ^(٢).

لاشك أن المعتقد بالمحصلة النهائية هو الثقة والايامن المطلق بقوة المعتقد " الشيء المعتقد به الذي يؤثر في مجرى حياة الفرد كإنسان وبالمجموع كبشر لهم إيمانهم " ^(٣) .

والمعتقدات الشعبية تنقسم الى أقسام عديدة؛ إذ ينظوي تحت المعتقدات الشعبية فروع مختلفة والتي يمكن تقسيمها الى ما يأتي :- ^(٤)

- ١- الأنطولوجيا الشعبية.
- ٢- المعتقدات والمعارف المتصلة بالحيوان.
- ٣- المعتقدات والمعارف المتصلة بالنبات .
- ٤- الزمن في المعتقد الشعبي .
- ٥- المعتقدات المتصلة بالأحجار والمعادن.
- ٦- المعتقدات المتصلة بالأماكن .
- ٧- المعتقدات والمعارف المتصلة بالإنسان.
- ٨- الطب الشعبي .
- ٩- الاحلام.
- ١٠- السحر .
- ١١- الكائنات فوق الطبيعية.
- ١٢- الاولياء .
- ١٣- المعتقدات المتصلة بالألوان.
- ١٤- المعتقدات المتصلة بالأعداد.

(١) حاتم العبيدي، المعتقدات الشعبية بين الحقيقة والخيال، مطبعة آسيا، كركوك - العراق، ٢٠٠٤، ص ٣.

(٢) أشلي مونتاجو، المليون سنة الأولى من عمر الإنسان، ترجمة: رمسيس لطفي، مؤسسة سجل العرب، ١٩٦٥، ص ٢١٥.

(٣) محمد توفيق السهلي وحسن الباش، المعتقدات الشعبية في التراث العربي، مصدر سابق، ص ٨.

(٤) محمد الجوهري، الدراسة العلمية للمعتقدات الشعبية، مصدر سابق، ص ٢٢.

عبد الحكيم خليل سيد احمد، دراسات في المعتقدات الشعبية، مصدر سابق، ص ٥٣.

- ١٥- الروح في المعتقد الشعبي .
 ١٦- الطهارة والنجاسة.
 ١٧- أوائل الأشياء وأواخرها.
 ١٨- الاتجاهات.
 ١٩- النظرة إلى العالم.

إن القائمة يمكن أن تضم عددا هائلا من العناصر التي تكون رصيد المعتقدات الشعبية، وما من أحد يعرف ولو بالتقريب كم من المعتقدات الشعبية التي أنقضى زمنها يمكن أن توجد في أي قطر، لأن تنوعات منها تبتكر بسهولة وعناصر جديدة تصاغ على غرار النماذج القديمة بتداعي التفكير وترابطه، وهذه الصفة الإبداعية للعقل هي التي تفسر بالضبط التشعب الواسع للأفكار البسيطة وتجعل بسهولة المعتقدات والخرافات الشعبية أكثر أنواع الفولكلور المتبقي من العصور السابقة تكاثرا، والتفكير الاقتراني يصور بسهولة تنقل المادة (الفولكلورية) من قطر إلى قطر، وسهولة تكيف العناصر المفردة من موقف إلى موقف^(١).

وبالعموم؛ توجد الحياة الشعبية والثقافة الشعبية دائما حيث يخضع الإنسان - كحامل للثقافة - في تفكيره أو شعوره أو تصرفاته لسلطة المجتمع والتراث . وعلاوة على ذلك يوجد في داخل كل إنسان شد وجذب دائمين بين السلوك الشعبي وغير الشعبي، وبذلك يتضح عند كل إنسان موقفان مختلفان أحدهما فردي والآخر شعبي أو جماعي^(٢).

كما وتدلل صفة " الشعبية " هنا على ما تدل عليه عبارة " الاغاني الشعبية" أو "العادات الشعبية " ألخ، أي أننا نقصد المعتقدات التي يؤمن بها الشعب فيما يتعلق بالعالم الخارجي والعالم فوق الطبيعي .وليس من الأمور ذات الأهمية الرئيسية - مع أننا نوليها عنايتنا عند الدراسة وفي التحليل - ما إذا كانت هذه المعتقدات قد نبعت من نفوس أبناء الشعب عن طريق الكشف أو الرؤية أو الإلهام، أو أنها كانت أصلا معتقدات دينية - إسلامية أو مسيحية أو غير ذلك - ثم تحولت في صدور الناس إلى أشكال أخرى جديدة بفعل التراث القديم الكامن على مدى الأجيال، فلم تعد بذلك دينية رسمية بالمعنى الصحيح، أي أنها لاتحظى بقبول وإقرار رجال الدين الرسميين^(٣). وقد كان الشائع أن يطلق عليها في

(١) بن الشيخ عبد الحميد، أثر المعتقدات الشعبية في سلوك الإنسان الجزائري المعاصر دراسة ميدانية لعينة من المثقفين، مصدر سابق، ص ٢٤.

(٢) محمد الجوهري، مقدمة في دراسة التراث الشعبي المصري، ط١، بدون بلد، ٢٠٠٦، ص ٢٦.

(٣) محمد الجوهري، الدراسة العلمية للمعتقدات الشعبية، مصدر سابق، ص ٤٢.

الماضي اسما" ينطوي على حكم قيمي واضح، إذ كانت تسمى خرافات أو خزعبلات . ومن الواضح أن هذه التسمية كانت صادرة من رجال الدين الرسمي، سواء في الخارج أو عندنا . لأن المعتقدات التي تدور حول هذه الموضوعات الغيبية، ولاتتفق وتعاليم الدين الرسمي، لاتستحق من وجهة نظر أصحاب هذا الدين اسم " معتقدات "، فكانت تسمى بهذا الاسم الخاطيء الذي تخلينا عنه اليوم كله (١).

والمعتقدات الشعبية تعد رواسب ثقافية، لها جذور عميقة في الحياة الإنسانية، وهي مسؤولة عن شخصيتنا وسلوكياتنا داخل المجتمع إلى حد كبير ولذلك فهي تتصف بالبقاء وهذا الثبات الذي تتميز به هو الذي يجعلها قيما مشتركة توجه وتسود أفراد المجتمع، وتساعد على خلق شعور بالوحدة والتجانس يزيد من كرامة الجماعة التي تنتشر فيها هذه المعتقدات ويعينها على مواجهة تحديات الحياة الاجتماعية المحيطة بهما كما أنها تساعد الناس، أفرادا وجماعات، على التصدي للمشكلات والصراعات والتوترات الناجمة عن وجودهم في موقف اجتماعي معين، إذ تبعث المعتقدات الشعبية في الناس شعورا بالطمأنينة والأمن في مواجهة المجهول وكثيرا ما اعتمدت في ذلك على ثبات وعمق المعتقدات الدينية لدى الإنسان، حيث أن الدين يركز على الإيمان بالغيب كما أن المعتقدات الشعبية تتأصل في سلوك الإنسان وشخصيته بواسطة نفوذ التفكير الغيبي وسطوته على عقول الناس (٢).

" أن احتياج الإنسان إلى الاعتقاد هو عنصر نفسي مسيطر كاللذة والألم فروح الإنسان تمقت الشك، ولاتطبق الارتياب، وإذا تطرق الشك أحيانا" إلى قلب الرجل فذلك لأجل محدود، فالإنسان يفتقر إلى إيمان ديني أو سياسي أو أخلاقي يهيمن عليه ويكفيه عناء التفكير، وإذا تداعى معتقد فذلك ليحل مكانه معتقد آخر، ولا حول للعقل إزاء هذه السنة القاهرة التي لاتتبدل " (٣) .

أول شيء ينبغي علينا ان نقرره بهذا الصدد، هو ان العقيدة ضرورة روحانية تنبثق من ذات الانسان في كل زمان ومكان، سواء كانت العقيدة في شكلها الاول الساذج أو في صورتها المتطورة الراقية، وكما هو " شائع أن يطلق عليها في الماضي اسما ينطوي على حكم قيمي واضح، إذ كانت تسمى خرافات أو خزعبلات . ومن الواضح أن هذه التسمية كانت صادرة من رجال الدين الرسميين، سواء في الخارج أو عندنا . لأن المعتقدات - التي تدور حول هذه الموضوعات الغيبية - ولاتتفق وتعاليم الدين الرسمي، لاتستحق من وجهة نظر

(١) محمد الجوهري، مقدمة في دراسة التراث الشعبي المصري، مصدر سابق، ص ٣٤.

(٢) ينظر : بن الشيخ عبد الحميد، أثر المعتقدات الشعبية في سلوك الإنسان الجزائري

المعاصر دراسة ميدانية لعينة من المنقذين، مصدر سابق، ص ٢٠ و ص ٢٥.

(٣) غوستاف لوبون، الآراء والمعتقدات، مصدر سابق، ص ٢٣.

أصحاب هذا الدين اسم " معتقدات " فكانت تسمى بهذا الاسم الخاطيء الذي تخلينا عنه اليوم كلية " (١).

" ومصدر المعتقدات اللاشعوري وغير الارادي يمنحها قوة عظيمة، فللمعتقدات دينية كانت أم سياسية أم اجتماعية شأن كبير في التاريخ على الدوام، إذ لاتلبث المعتقدات بعد أن تصير عامة أن تصبح قطوبا" جاذبة تجذب حواليتها كيان الشعوب، وتطبع سمتها على كل عنصر من عناصر حضارتها، فتوصف الحضارة حينئذ باسم الدين الذي أوحى إليها، ولذلك كانت أسماء الحضارة البوذية والحضارة الإسلامية والحضارة المسيحية أسماء صحيحة صائبة إلى الغاية، ومتى صار المعتقد قطب جذب أصبح قطب تغيير أيضا" ؛ لأن عناصر الحياة الاجتماعية المختلفة من فلسفة وفنون وأدب تتبدل لتلتئم به " (٢).

كما ونجد أن المعتقدات الشعبية تظهر عن كل الشعوب والأمم متماثلة ومتقاربة رغم تباعد المسافات وأختلاف الألوان وأشكال الأنظمة والتنظيمات الاجتماعية، وظهور المعتقدات الشعبية في حياة الأمم والشعوب يبرز ويبرر أهمية المعتقدات الشعبية في حياة هذه الشعوب، من خلال ربط الماضي بالحاضر وتجسيدها لضمير الأمة وإعطاء كيان الأمة قيمة معنوية تحافظ على كبرائها من خلال معتقداتها الشعبية الخاصة بها، إنها بهذا المعنى تحافظ على الكيان المستقل للأمة من الزوبان في وسط عائم، خاصة في ظل تأثير عملية التثاقف* (٣).

ولابد من الإشارة الى الدور المهم الذي تلعبه ولعبته المعتقدات الشعبية طوال حياة البشرية، " فلقد ظلت المعتقدات طوال قرون عديدة، الأدلاء الوحيديين للإنسانية . فقد وفرت هذه المعتقدات لها، الى جانب التفسيرات السهلة لكل المسائل بطريقة تتماشى وبساطة الناس، دليل سلوك يومي . وسواء كانت مؤقتة أو عابرة فقد شكلت المعتقدات دوما الدوافع الكبرى للفعل البشري " (٤). فمن مجموع المعتقدات والمشاعر العامة التي يعتنقها جمهرة أعضاء

(١) محمد الجوهري، الدراسة العلمية للمعتقدات الشعبية، مصدر سابق، ص ٤٢.

(٢) غوستاف لوبون، الآراء والمعتقدات، مصدر سابق، ص ٢٢.

(*) نقصد بالتثاقف هنا، عملية تأثير الثقافات المختلفة في بعضها البعض وهيمنة ثقافة ما على غيرها .

(٣) بن الشيخ عبد الحميد، أثر المعتقدات الشعبية في سلوك الإنسان الجزائري المعاصر دراسة ميدانية لعينة من المثقفين، مصدر سابق، ص ٢٤ - ٢٥ .

(٤) غوستاف لوبون، الآراء والمعتقدات نشوؤها وتطورها، ترجمة : نبيل أبو صعب، ط ١، دار الفرق، سورة - دمشق، ٢٠١٤، ص ٢٧٤.

المجتمع والتي تكون نسقا قائما بذاته، يتشكل مايعرف بالشعور الجمعي^(١)، " هذا الشعور الذي يؤدي وظيفة مهمة هي الربط بين الأجيال لأن المعتقدات التي تلقن للفرد من طرف المجتمع هي بمثابة حياة المجتمع داخل الفرد، لأن الفرد لا يستطيع التخلص من قهرية الظاهرة الاجتماعية لأنها ملزمة له وللجماعة على السواء لأنهم أحرارا في أتباع النظام الاجتماعي أو الخروج عليه، بسبب الجزاء الذي وضعه المجتمع لكل من ينجرف بسلوكة عن قيم الجماعة، وهي القيم التي تغزونا بطريقة لاشعورية حتى تتأصل فينا بسبب سيادة الضمير الجمعي، الذي يستمد سيادته من الحياة المشتركة لأفراد الجماعة الواحدة وهو ماتعبر عنه قوة الروابط التي توجد بين أعضاء المجتمع"^(٢) .

" إن العناصر التي يتألف منها كياننا تتصل بثلاثة أنواع من الحياة ... أعني : الحياة العضوية والحياة العاطفية والحياة العقلية، والاحتياج إلى الاعتقاد هو من مظاهر الحياة العاطفية، وهو في قوته وسطوته كالجوع والحب، وبما أن المعتقد هو احتياج مهيم على طبيعتنا العاطفية، فإنه لا يكون إراديا" عقليا"، ولايقدر على تكوينه وتسييره"^(٣).

وفي كثير من الأحيان تعد المعتقدات الشعبية المتوارثة عبر الأجيال، وسائل لمواجهة العجز والفشل في تحقيق مرامي الحياة الاجتماعية والسيطرة على متطلبات مواجهة مشاكل الحياة اليومية، حيث يلتجئ إلى ممارسات سلوكية متأثرة بهذه المعتقدات، وذلك في جو ثقافي يسمح باستمرار تلك السلوكيات، وهذا بدوره يساعد في بقائها وتأدية وظيفتها، وهناك من يعبر عن ذلك بقوله : "مهما كانت طبيعة هذه المعتقدات فهي تستمد قوتها من شيوعها وانتشارها، والمعتقدات الشعبية تنتشر تزدهر عن طريق حالة نفسية خاصة بها "^(٤).

والمعتقدات الشعبية " ذات جذور عميقة في حياة الناس، كما أن هذه المعتقدات تنهض على أسباب مختلفة ترتبط بنشأتها، وقد تنسى الأسباب، ولكن بقايا هذه المعتقدات تستمر في سيرها مع الزمن، وقد تتخذ اشكالا جديدة لكن الناس يجدون أنفسهم ربما بحكم العادة، أو الرغبة في المحافظة على الميراث الشعبي، أو لغير ذلك من الدوافع، يجدون

(١) ينظر : محمد عاطف غيث، علم الاجتماع، ج ١، دار المعارف، القاهرة - مصر، ١٩٧١، ص ٢٨.

(٢) بن الشيخ عبد الحميد، أثر المعتقدات الشعبية في سلوك الانسان الجزائري المعاصر دراسة ميدانية لعينة من المثقفين، مصدر سابق، ص ٢١.

(٣) غوستاف لوبون و الاراء والمعتقدات، مصدر سابق، ٢٤٩.

(٤) بن الشيخ عبد الحميد، أثر المعتقدات الشعبية في سلوك الانسان الجزائري المعاصر دراسة ميدانية لعينة من المثقفين، مصدر سابق، ص ٣. و ص ٢١

أنفسهم ميالين إلى الاهتمام بكثير من مظاهرها " (١). وقد نفهم هذا القول إذا نظرنا إلى التأثير الذي تتركه المعتقدات الشعبية في بنية الشخصية، سواء الفردية أو الشخصية الجماعية الأساسية السائدة في مجتمع ما، فيصعب حينها التخلي عنها وأستبعادها من حياتهم أو رفعها من مخيلتهم ونمط تفكيرهم، حتى لو أنتابهم الشك في مصداقية البعض منها، لأنها تنتمي إلى أنظمة اجتماعية لها ظروفها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية وحتى التاريخية التي حكمت خلقها لتشكل أنماط اجتماعية سائدة ويقوة في حياة الشعوب كافة . وهذا يعني صعوبة التخلي عن معتقد ما حتى لو رافقه الشك في مصداقيته .

والمعتقدات الشعبية تستمر في الوجود وفي التأثير على عقول الناس فينقادون لسلطتها، بسبب أستنادها على مبادئ ونظريات عتيقة وإن تلاشت مظاهرها المبنية عليها، ذلك أن الفرد يعتقد أن رأي الغالبية من الناس أفضل من رأي الأقلية حتى وإن كانت هذه الأغلبية تنتمي إلى عامة الشعب (٢).

والمعتقد بشكل عام له تأثيره النفسي في حياة كل إنسان، ويبرز ذلك من خلال سلوك اجتماعي . فعلى سبيل المثال : أنكسار وعاء زجاجي حتى لو كان ثمينا لا يحزن الانسان طالما أن هناك اعتقاد بان الشر قد انكسر أو أن القدر يلفظ، لأنه يعتقد أن مصيبة أكبر كانت ستقع، ف جاء كسر الوعاء تخفيفا عن المصيبة الغيبية التي يعتقد المرء أنها كانت ستحل . وكثير من هذه الاشكال الاعتقادية تلعب دورها النفسي، وتؤدي في كثير من الاحيان الى تقبل المرء دون حزن، رغم أنها تؤدي الى نتيجة خسران مادي أو معنوي (٣).

كما لا يمكننا تجاهل ما في المعتقدات الشعبية من سيطرة على افراد المجتمع ؛ جعلته ينسجم معها، بحيث يشكل حياته وسلوكه وفقا لها، إذ انه لا يوجد شعب من الشعوب قديما أم حديثا لم تؤد الجوانب الاعتقادية والروحية دورها في حياته، فلقد فرضت طبيعة الحياة على الانسان، الاحساس بارتباطه بقوى خفية تدبر أمره وتكيف مصيره، وفي ظل هذا الاحساس وصل الانسان الى مداه، وانعدمت قدرته على توجيه الاحداث او التأثير في الظروف، فركن إلى القدرية بوصفها محاولة ذاتية للدفاع عن النفس، والسيطرة على المصير

(١) فوزي العنتيل، الفولكلور ما هو؟ دراسات في التراث الشعبي، المطبعة العربية الحديثة، نشر

دار النهضة العربية، القاهرة - مصر، ١٩٧٧، ص ١٢٨ .

(٢) بن الشيخ عبد الحميد، أثر المعتقدات الشعبية في سلوك الإنسان الجزائري المعاصر دراسة ميدانية لعينة من المثقفين، مصدر سابق، ص ٢٢ .

(٣) محمد توفيق السهلي وحسن الباش، المعتقدات الشعبية في التراث العربي، مصدر سابق،

والالتجاء إلى الولي المنقذ والبحث في الرقى والتعاويذ عن سبيل لحل مأزقه الوجداني، وهذا بطبيعته يبعث على الطمأنينة خلال التحلل من المسؤولية الذاتية، وبالتالي تجنب مشاعر الذنب المتفاقم التي تصاحب بالضرورة الفشل الحياتي، كما أن ذلك العجز عن التصدي العقلاني للمشكلات والأزمات الحياتية يدفع المرء إلى النكوص إلى المستوى الخرافي وإلى الحلول السحرية، التي ترسخ التفكير بوصفه محاولة للسيطرة على المصير المجهول^(١).

(١) ينظر :- نجلاء عادل حامد، المضامين الاجتماعية للحكاية الشعبية الموصلية، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم علم الاجتماع، كلية الآداب، جامعة الموصل، ٢٠٠٩، ص ١٤٢.

المبحث الثالث

المعتقدات الشعبية المتعلقة بالطفل في التراث الشعبي الموصل

نقصد بالمعتقدات الشعبية المرتبطة بالطفل " تلك المعتقدات التي ارتبطت بالوالدين، وبالصيغة الاعتقادية التي يتم التعبير عنها من خلال ممارسات ذات دلالة اعتقادية ؛ والتي تشكل مستوى الوعي السائد عند الوالدين داخل المجتمع، والتي تنقل مدلولاته عبر ممارسات سلوكية ومرويات وحكايات شفوية لأطفالهم بعد ذلك ؛ بما يؤثر في سلوكياتهم ومكونات شخصياتهم في مستقبلهم القريب" (١).

تبدأ الشخصية وبعدها الاجتماعي منذ الرضاعة عندما يبدأ الفرد بتشكيل أساليبه الاعتيادية في التواصل مع الآخرين وانماط تفكيره ومشاعره الخاصة حول الناس وحول نفسه كواحد من الناس وتظهر جوانب الشخصية في السلوك التعبيري الذي يعكس نمو الشخصية بعدد كبير من السبل، فهي أي الشخصية مجموعة من أفكار الفرد ومشاعره وأفعاله التي تعد مميزا "خاصا" له ويتحدد بمقتضاها أسلوبه الخاص في التكيف مع المحيط (٢).

ومنذ اليوم الاول لولادة الطفل : تبدأ الام - بخاصة - من هذا اليوم باتخاذ تحويطات عديدة لحماية وليدها الجديد، واول واهم تلك التحويطات، هي حمايته من الجن والاشباح. اذ ساد الاعتقاد بانتشار الجن والسعلاة والغول في كل مكان وهي تسرق الرضع اذا تركوا وحدهم في غرفة النوم، ولاسيما في الايام الاولى من حياتهم، او يستبدلهم باطفال آخرين، كأن يستبدل الطفل الجميل بطفل قبيح والابيض بالاسود. وهكذا (٣). واذا ماتوغلنا في الزمن وجدنا امثال هذا الاعتقاد منتشرا هنا وهناك في ارجاء الارض وعلى طول الزمن الانساني؛ ففي قصيدة سومرية عن العالم السفلي، يقول الشاعر عنهم:

ولا يأكلون من الطين المبسوس

ولا يشربون الماء الذي يقدم قربانا،

انهم يأخذون الزوجة من حضن زوجها،

ويأخذون الطفل الرضيع من ثدي مرضعته (٤).

(١) عبد الحكيم خليل سيد أحمد، دراسات في المعتقدات الشعبية، مصدر سابق، ص ٢٢.

(٢) مأمون صالح ، الشخصية، مصدر سابق، ص ١٤٤.

(٣) علي الفتال، الطفل في الموروث الشعبي، مصدر سابق، ص ٥٤.

(٤) صمويل كريم، من الواح سومر، ترجمة: طه باقر، تقديم: احمد فخري، مؤسسة فرانكلين

للطباعة والنشر، ب.ت، ص ٢٧٨-٢٨٨.

و"خوفا" على الوليد من خطفه او اصابته باي اذى تتخذ تلك التحويطات منها:- أنها تضع سكيناً او قطعة حديد تحت فراشه او تعلق في صدره قفلاً صغيراً خاصاً مع خرزة كبيرة نسبياً مع عظم مقوس يسمى (سن الذيب).
ان تلك الاشياء، التي تحتفظ بها جداتنا عن جداتهن، كقيلة بحماية الطفل من (غدر الجن) به لخشيتهم من الحديد.

لذلك فليس غريباً ان تحتاط الام لطفلها من الجن. ووضع السكين لاينحصر على الام المسلمة حسب، بل هو مبدأ عام لدى شعوب الارض منذ ان عرفت (حقيقة) الجن وخوارقهم اللامعقولة في دائرة العقل الانساني على الاقل؛ ففي سليبس الجنوبية (كوريا) عندما يحين الوقت الذي تضع فيه المرأة طفلها فان الرسول الذي يذهب ليستدعي الطبيب او الداية ياخذ معه سكيناً حادة او اية آلة اخرى مصنوعة من الحديد، وهذه الآلة التي يحملها تمثل روح المرأة التي يعتقد انها تكون اكثر اماناً اذا كانت خارج جسدها في الوقت العصيب، ومن ثم فأن الطبيب ان يحرص على هذه الآلة الا انها متى فقدت، فان روح المرأة تفقد معها، ولهذا فهو يحتفظ بهذه الآلة في بيته حتى تنتهي المرأة من وضع طفلها، وعند ذاك يحمل إليها الوديعة الثمينة، ويتسلم اجره منها.

فالسكينة التي توضع تحت رأس الطفل، لدى مغادرة الام لقضاء بعض مستلزمات العائلة. انما تمثل روح الام الحريصة على حماية طفلها، وجعلت من الحديد باعتبار ان الجن يخافون الحديد، لانه ذو بأس شديد.

ووفق ذلك المنظور يمكن اعتبار حجول (جناجل) ارجل الطفل واساور ايديهم والمعلقات الاخر المصنوعة من الذهب، او اي معدن اخر، يمكن اعتبارها وسائل حماية الطفل اكثر من كونها زينة، لان الاشباح تهرب عند سماع صوت يصدر من معدن من البرونز او الحديد. أو أي معدن اخر. لهذا نرى ان جناجل الاطفال المار ذكرها تجعل فيها اجراس لكي تحدث اصواتاً تبعد بها الجن والاشباح عن الطفل، وللأسبب ذاته فانه من المؤلف ان يرتدي الاطفال في الاقاليم الجنوبية من بلاد الصين اجراساً صغيرة^(١).

وهم يحرصون على جمع غسيل الطفل قبل طلوع النجم، لإعتقادهم أنه إذا طلع النجم والغسيل منشور، فيصاب بألم في ظهره. وبعضهم يعمد إلى تعصيب رأس الطفل، لإعتقادهم أن هذه العصابة "العصابة" "اليازما" تمنع إتساع جبهة الطفل "كصته"^(٢).

(١) علي الفتال، الطفل في الموروث الشعبي، مصدر سابق، ص ٥٤-٥٥.

(٢) بتصرف، محمد توفيق السهلي وحسن الباش، المعتقدات الشعبية في التراث العربي، مصدر سابق، ص ١٣٢.

ومن المعتقدات والممارسات المتبعة في عموم أنحاء المجتمع العراقي، هي النذور الخاصة بالنساء، حيث تشتري المرأة (الجانجل) الفضة لتهديها الى أحدى المراقد عند (فطم) طفلها، ثم تأخذها الى المرقد لترمي جناجها في الشباك وبعض النساء تعطونها الى السادة أو الخدم^(١).

ومن الموروثات التي تلقيناها من عهد سومر وبابل . وضع خرزات زرقاء وخضراء اللون وهو ما يسمى " سبع عيون " وانتهت هذه الخرزات بأن تركب في لباس الاطفال في مكان الكتفين او في مكان من الصدر. لتصد العين الحاسدة ولحمايته من الارواح الشريرة الخبيثة، التي تترصد المواليد الجدد عادة وابتداء وتظل تسعى نحو الصغار ، لتغتال رءاها وتأتي على حياتها، لانها موكلة بهذا الامر. فقد وجد القدامى في هذه الخرزات قدرة ان ترد وتصد عدوان عيون قاتلة بلونها الاخضر . وذات المعتقد الموروث عن وادي الرافدين، كان يسود منطقة البحر المتوسط^(٢).

وكان من عادات العرب قبل الاسلام، تعلق على الصبي سن ثعلب وسن هرة خوفاً من الخطفة والنظرة (ويقصد بها الحسد)، ويقولون : ان جنية ارادت صبي قوم فلم تقدر عليه فلامها قومها من الجن في ذلك، فقالت تعتذر إليهم:

كان عليه نفرة ثعالب وهرة

والحيض حيض السمرة

ويعني هذا كان عليه مايفرني منه لان اتعرض له. والسمرة من شجرة الطلح، وحيضها شيء، يسيل من السمر وهو صمغه الذي يسيل منه ينقطون بين عيني النفساء، وخطوا على وجه الصبي خطأ، ويسمى هذا الصمغ السائل من السمر الدودم، وتسمى هذه الاشياء التي تعلق على الصبي " النفرات"^(٣).

ومن تحويطاتهم ان بعض النسوة مازلن يجعلن على الطفل المولود توا" قطعة قماش خفيفة (لملم) حماية له من كل الشرور المتوقعة ولتبعد عنه نظر الحاضرين خاصة اذا كان بينهم غريب عن الاسرة^(٤).

وثمة عادة اخرى مازالت متبعة عند بعض الامهات ؛ اذ عندما تضع الام وليدها تأخذها أحدى قريباتها في اليوم الاول او الثاني من عمره وتعبّر به جسرا او قنطرة سبع مرات،

(١) مهدي حمودي الانصاري، النذور في الكاظمية، مصدر سابق، ص ٦١.

(٢) عبد الجبار الهموندي، في المعتقدات الشعبية، مصدر سابق، ص ١٢٨.

(٣) السيد محمود شكري الالوسي، بلوغ الارب، مصدر سابق، ص ٩٥.

(٤) السيدة: خالدة مرعي حسن الحياي، مواليد الموصل ١٩٥٤، ربة بيت .

لانه - باعتقادهم - يذهب الشر عن الطفل، ومعلوم ان الماء عنصر مهم في الحياة، اذ لجأ اليه في كثير من شؤونه الحياتية وقد الهمه الى جانب القمر والشمس والعواصف والارض وما الى ذلك من الظواهر الكونية والطبيعية^(١) ومن المعتقدات السائدة ايضا لدى الامهات في الموصل والتي لاتزال مستمرة، عندما تعبر الام او اي شخص من الاسرة، الطفل من غرفة الى اخرى عند وصولهم الى الانتقال عبر عتبة الباب، يتم ذكر الله والتعوذ بالله من شر الشيطان، لانه وبحسب الاعتقاد السائد، بأن الشياطين تتخذ من عتبة الباب مقرا^(٢). وعلى العموم، فإن الناس في الوسط الشعبي يعتقدون بطهارة الاطفال، كما يعتقدون بصفتهم ونقايتهم وبراعتهم وصدقهم، فإذا تصادف أن عطس طفل صغير أثناء حديث أحدهم، أستدلوا بذلك على صدق حديثه، فيقولون: "هي بشهادة"^(٣).

ومن اعتقادهم ان الابوين اذا رزقا مولودا، وصادف ان الاب لم يكن موجودا في الدار ساعة وضع الام لجنينها، فلا يحق له ان يدخل على وليده لأول مرة، بل عليه الانتظار بباب الدار حتى تحمله اليه من لها علاقة رحيمة او صلة جيرة به فيأخذه منها ويقبله على جبينه ويسير به الى حيث امه فيضعه بين يديها. تلك العملية تطيل في عمر الوليد وتجنبه الشرور والمخاطر.

لعله أراد بذلك ان يقدمه بيده الى (حراس عتبة الدار) تعظيما لهم وتعريفا به من قبل ان تعبر العتبة، اذ ساد الاعتقاد لدى شعوب مختلفة وعصور مختلفة هي الاخرى بان عتبات الدور لها حراسها وحمايتها^(٤).

وعند بلوغ الطفل اليوم السابع والثلاثين من عمره يدمغ بالنفط الاسود ومجموعة من الروائح اذ تضع الجدة قليلا من ذلك الخليط في يافوخه وراحتي يديه واسفل قدميه حتى لا (لايشم ريحة وينضّر) أي يصيبه ضرر، ثم يغتسل الطفل وأمه في يوم الاربعين لازالة ماسميناه (بالدموغ)^(٥).

وبالنسبة للأربعين يوما" الاولى بعد عملية الوضع، فإنها تعتبر هي "الفترة الملائكية" بالنسبة للطفل، حيث تتولى الملائكة حراسته من الارواح الشريرة ومع هذا، فأبداً للام من أن تبقى ملاصقة لطفلها عن قرب، ولا تتركه وحده ابدا" - لئلا تحاصره الشياطين - في حالة ما

(١) علي الفتال، الطفل في الموروث الشعبي، مصدر سابق، ص ٥٥.

(٢) مقابلة مع السيدة خالدة مرعي حسن الحبالي، ربة بيت، مواليد الموصل ١٩٥٤.

(٣) محمد توفيق السهلي وحسن الباش، المعتقدات الشعبية في التراث العربي، مصدر سابق، ص ١٣٣..

(٤) علي الفتال، الطفل في الموروث الشعبي، مصدر سابق، ص ٥٦.

(٥) عبد لجبار الهموندي، في المعتقدات الشعبية، مصدر سابق، ص ١٣١

إذا تخلت الملائكة عن حراسته لاي سبب، وإذا اضطرت الأم لترك طفلها لبرهة قصيرة، فلا بد من وجود شخص آخر يتولى رعايته، والأضر به إخوانه من الجان^(١).

أما فيما يرتبط بالحبل السري (المشيمة) والذي يمثل نهاية المرحلة الاولى من العلاقة الجنينية بأمه ؛ فهو يمثل ارتباطا وثيقا بالمعتقدات الشعبية لأي مجتمع وقد حمل عبر التاريخ في التقاليد الشعبية دلالات مختلفة تتعلق بمصير المولود ؛ وبما أنها تلخص حياة الطفل فكان لها معتقدات خاصة فيها، ومن ذلك أنه لايجوز أن يقع الحبل السري في أيدي عدو لأنه من الممكن أن يعمل له عملا ما كالسحر، والذي يتسبب في التأثير سلبا على مستقبل الطفل، لذلك نجد منهم بالقائه في البحر أو النهر، كما يوجد من يعتقد في أهمية إلقائه في محل ذهب مثلا ليقال أنه سيكون غني أو ليكثر رزقه^(٢).

ومن اعتقادهم ان ثمة ارتباطا وثيقا بين سرّة الوليد أو مشيمته، عند ولادته او غلفته عند ختانه، وبين حبه للاشياء او مسار حياته المستقبلية، اذا يعتقدون ان دفن سرّة الطفل، او غلفته، في فناء مدرسة، مثلا، ينشأ الطفل ذكيا محبا للدرس والعلم ومجتهدا في حياته الدراسية، وقس على ذلك^(٣). ويعتقد الناس في الوسط الشعبي، أن الحبل السري، " السرة"، وبعد إنفصاله عن جسد الطفل، ينبغي أن يلف بخرقه طاهرة . وأن يلقى في باحة مدرسة، كي يصبح الطفل ذكيا، أو متعلما، أو يلقى في مسجد، كي يصبح الطفل متدينا تقيا ورعا، أو يلقونه في سوق الصاغة، كي يعم الخير والثراء هذا الطفل عندما يكبر^(٤) .

فبعد أن تسقط صرة الطفل تلفها الجدة بقطعة قماش أو قطن فيأخذها والده ويرميها بالجامع حتى يشب تقيا متدينا أو ترمى بالعلوة أو القصاب خانة حتى يتعلم تلك الصنعة أو ترمى بالملة حتى يتعلم القراءة والكتابة ؛ أما البنات فترمي صرتها في البيت حتى تكون أم بيت أو في بيت خياطة حتى تتعلم الخياطة^(٥).

هنالك الميل للظهور عندنا جميعا، ويظهر هذا الميل منذ اليوم الاول في الحياة عندما نطالب بأن يهتم بنا الوالدان، ولهذا سنجد أول المؤشرات على نمو وتطور الرغبة في أن يعترف الجميع بوجودنا، والغرض من هذه المؤشرات هو الحصول على حالة يمكن فيها للفرد

(١) عبد الحكيم سيد احمد، دراسات في المعتقدات الشعبية، مصدر سابق، ص ٤٠.

(٢) نفس المصدر ، ص ٣٦.

(٣) عبد لجبار الهموندي، في المعتقدات الشعبية، مصدر سابق ص ١٣١.

(٤) محمد توفيق السهلي وحسن الباش، المعتقدات الشعبية في التراث العربي، مصدر سابق،

ص ١٣١.

(٥) عزيز جاسم الحجية، بغداديات، مصدر سابق، ص ٤٤.

أن يبدو متفوقاً" على البيئة المحيطة^(١)، ويقوم الاطفال الرضع خلال احتكاكهم الاجتماعي باستخدام خمسة من أنماط السلوك المؤشرة والموجهة الى وجودهم في المحيط الاجتماعي وهي:- (٢)

- ١- البكاء والصراخ .
- ٢- التحديق .
- ١- الابتسام .
- ٢- المناغاة.
- ٣- التقليد.

يمثل الصراخ أول أثر يلقاه الرضيع في محيطه ويبقى خلال الأشهر الاولى السبيل الوحيد الذي يشير الى حاجات الرضيع، ويختلف الصراخ عن أنماط السلوك الاجتماعي الاخرى مثل التحديق والابتسام والمناغاة والتقليد في أنه محزن ويقوم به الفرد نفسه خلافاً للأنماط الاخرى فهي مفرحة ويشترك فيها الأهل الرضيع، ومع ذلك فإن الصراخ يجر الوالدين الى سرير الرضيع ويدفعهما للاهتمام به مما يدفع الأخير الى التوقف عن الصراخ .

وهنا يقوم الطفل بواحد من أكبر اكتشافاته، فهو يلاحظ أن الأشخاص البالغين - بالرغم من أنهم يعاملونه على أنه أقل منهم - مجبرون على خدمته بسبب ضعفه الشديد، وهنا يصبح أمام الطفل احتمالان فقط لاغير، فعليه إما أن يقلد النشاطات والطرق التي يستخدمها البالغون، وإما أن يظهر ضعفه، والذي يفهمه البالغون على أنه مساعد - يطالب بها الطفل - ولايمكن تجنب تقديمها، وسنجد - دائماً - أحد هذين الميلين النفسيين في جميع الأطفال . وفي هذه المرحلة المبكرة جداً" فإن الشخصية تبدأ في التشكل، وتبدأ أنواعها المختلفة في الظهور بوضوح، فيبدأ بعض الاطفال في النمو والتطور في اتجاه البحث عن القوة وطلبها ويختار الواحد منهم الظهور في المجتمع من خلال التحلي بالشجاعة والثقة بالنفس، بينما يختار طفل آخر الطريق العكسي، كأن يتأجر بنقاط ضعفه ويحاول إظهارها بشتى الطرق^(٣).

والطفل باعتباره كائناً حياً"، تعتريه حاجات بايولوجية، وبيكي الصغار في بواكير حياتهم بسبب الجوع أو الألم والتي لا يستطيع الافصاح عنها، الا بالبكاء. ولكن جداتنا لديهن تفسيراً" آخر لهذا البكاء، اذا يعتقدون بان كثرة بكاء الطفل في النهار، وهدوءه في الليل، بانه

(١) ألفريد أدلر، الطبيعة البشرية، مصدر سابق، ص ٨٢.

(٢) مأمون صالح، الشخصية، مصدر سابق، ص ١٤٤.

(٣) ألفريد أدلر، الطبيعة البشرية، مصدر سابق، ص ٤٦.

يحب اباه ولا يريد أزواجه اثناء نموه، ويكره أمه لان بكاءه في النهار يعيق الام عن تدبير شؤون البيت (١).

ويتشام من بكاء الطفل بشكل مستمر وكثير، ولهذا ينصح بعدم ترك الطفل يبكي كثيرا" (٢)، والطفل كثير البكاء والذي لا يهدأ فأن على أمه القيام بالاتي:-

١- زيارة ضريح علي الهادي* :- فيؤخذ الطفل كثير البكاء والذي لا يهدأ، فما على الأم الا ان تقوم بأخذه الى ضريح علي الهادي عصر يوم الاربعاء، فتشعل بعض الشموع وتضعها بجانب الضريح وتدور حوله ثلاث مرات بعد قراءة بعض الادعية والصلوات ومن ثم تترك الضريح الى الفناء، حيث يوجد بئر تأخذ منه بعض الماء وتسقيه لطفلها وتعود بعد ذلك الى دارها (٣).

٢- زيارة ضريح موسى القرني* :- حيث تقوم الام بتهيئة (قوس ونشاب) فتأخذ طفلها الى الضريح، وتجلس مقابل الباب، وتضع الطفل في حضنها وتضرب بالقوس باتجاه الباب، كي يدخل النشاب داخل الضريح فإذا حصل ما أرادت تقوم الام بقراءة الادعية، ومن ثم تعود الى بيتها، وتكون الزيارة والممارسة يوم الاربعاء عصرا او بيوم الجمعة(٤).

٣- يوضع تحت وسادة الطفل سن ذئب أو ذيل أرنب أو طائر الخفاش (خفاشي)

٤- يعزم للطفل، ويكتب له رقيات وتعاويذ لكي ينام (٥).

(١) السيدة: لمعة خليل ابراهيم، مواليد الموصل ١٩٣٨.

(٢) أحمد زياد محبك، من التراث الشعبي، مصدر سابق، ص ٢٤٣.

(*) ضريح أو مشهد علي الهادي :- يقع في محلة الحموديين في الموصل وبه قبر مكتوب عليه (قبر حسين الشريف رحمه الله) واستنادا الى هذه الكتابة يدل ان هذا المشهد لم يكن مشهد علي الهادي وان بدر الدين لؤلؤ اتخذ منه مشهدا للامام علي الهادي.

(٣) فخري حميد القصاب، التقاليد والعادات التي تختص بيوم معين من ايام الاسبوع، مجلة التراث الشعبي، العدد (١)، السنة (٤١)، ٢٠١١، ص ٨٦.

(**) موسى القرني :- ويقع ضمن جامع السلطان ويس في محلة المسماة باسمه، الا انه الان غير موجود وقد تهدم وعرف بالاوساط الشعبية بهذا الاسم (القرني) وهو احد الصالحين . سعيد الديوه جي، جوامع الموصل في مختلف العصور، تقديم : أبي سعيد الديوه جي، ط ١، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ٢٠١٤، ص ٩٥.

(٤) مثري العاني، من عادات العناية بالطفل قديما، مصدر سابق، ص ٧٤.

(٥) عبدالباري عبد الرزاق النجم، ملامح الطب الشعبي في الموصل، مصدر سابق، ص ٥١٢.

وإن عاش وليدهم الصغير وحن موعد حلاقته الاولى يذهبون به إلى الحلاق ويحلقوا شعر رأسه ثم يوزن الشعر المقصوص بمثل وزنه نقداً عند الفقراء، أما الميسوري الحال فيوزن بمثل وزنه ذهباً، إلا أن أهالي الموصل قد مارسوا حلاقة الأطفال في البيوت^(١). وكذلك كانوا يحلقون عقيقة الطفل (أي شعر رأسه) في اليوم السابع من ولادته، ويذبحون شاه في هذه المناسبة تسمى (العقيقة)، ثم يوزن الشعر الحليق ويتصدق بوزنه ذهباً أو فضة أو مادة غذائية كالحلوى مثلاً، ثم يطولون رأسه بشيء من دمها ثم يأخذ الطفل اسمه بعد ذلك، وكان صوف الشاة التي تذبح يسمى عقيقة ايضاً، وهذه التسمية لم ترد عبثاً بل جاءت للتأكيد على الترابط الشديد والامتزاج المفترض الذي يشد اطراف الاربعة الطفل وشعره والعقيقة وصوفها، وقد كان جزء من هذا الصوف يبرم ويجعل منه تميمة تشد في رسخ المولود وتبقى ملازمة له حتى يكبر ويستعد للزواج^(٢).

وكلما تقدم العمر بالوليد تعددت صيغ التحويطات، سواء من الجن او من البشر، إذ تخشى الام ممن يتصفون بعيونهم " المألحة "، اي الحاسدة، فتحتاط منها ايما حيلة. فاذا دخلت أحد الجارات المعروفة بالحسد، إحدى الدور وذكرت احد اطفال الدار، الذي اصبح كبيراً في نظرها بصورة اعتيادية، او انه يتمتع بصحة جيدة، فاذا ذكرت تلك الاشياء كلها بلهجة المتعجب دون ان تصلي على محمد، اجابتها ربة البيت: " عرييد كدامج... حية وراج ". ولاتكتفي بذلك بل تعد الى قص قطعة من ملابسها، دون ان تشعر، وترمي بها في النار، او انها تسكب ماء" وراء الحاسدة مع افشالها بكلمات مخجلة... او انها تضع حفنة من حبات الحرمل في النار، وبعد الصلاة على محمد تذكر اسم المرأة الحاسدة تلك وتتمرر يدها على رأس طفلها خاصة، ورؤوس افراد العائلة عامة فيذهب الشر^(٣). وهناك من يكحل الطفل سواء كان ذكراً أو أنثى ويلبس الذكر ملابس الأنثى حتى لايتأذى من العين الحاسدة . أما إذا كان الولد الوحيد يضعون في أذنه حلقة . وهناك من يلبسه من لباس العالم لمدة سنة كاملة، وكذلك يطولون شعره بحسب المدة التي ينذر لها^(٤).

(١) سمية العبيدي، ممارسات بغدادية تراثية تتوسط الأطفال، مجلة التراث الشعبي، العدد(٢)، السنة (٤٤)، ٢٠١٣، ص ٩٢.

(٢) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، ج ٥، ط ٢، مطبعة المجتمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٧٨، ص ١٦٥.

(٣) علي الفتال، الطفل في الموروث الشعبي، مصدر سابق، ص ٥٧.

(٤) عبد الحكيم سيد احمد، دراسات في المعتقدات الشعبية، مصدر سابق، ص ٣٩.

وما اشبه الليلة بالبارحة، فكم من طفل نراه في يومنا هذا وقد علقت في صدره انواع المعلقات واحيط بعضها بالذهب. وبذلك يتواصلون مع اسلافهم مهما امتد بهم عمق الزمن ومهما اتسعت بهم الارض، سواء عرفوا ذلك او لم يعرفوا^(١).

أما إذا أتضح أن الطفل بطيء النمو وأن وزنه قليل قياسا الى أمثاله او من في عمره من الاطفال فإن هذا الطفل أصبح (مكبوس) والمكبوس اصطلاح تعرفه النساء ينم عن شر حدث للطفل عند ولادته او عندما كانت أمه حاملا به ويستلزم ذلك :^(٢)

١- ادخاله في القردول^(*) :- تعمل الأم على طلب قردول إحدى صديقاتها او قريباتها وتأتي الى بيتها يوم الجمعة ثم تطلب من أثنين من الحاضرات مسك القردول وفتحه وتدخل الطفل منه ثلاث مرات مع إجراء بعض الادعية وقراءتها.

٢- ادخاله من الشباك :- اذا تبين ان الطفل لم يتحسن نتيجة ادخاله من القردول او ان أمه لم تستطع تهيئة قردول فعليها ادخاله من شباك الدار يوم الجمعة مع الصلاة ويشترط ان تكون فتحة الشباك متجه نحو القبلة فتقوم الام بأدخاله من الشباك ثلاث مرات، وتتم هذه الحالة بأن تقف الام في جهة ثم إحدى النساء في الجهة الثانية من الشباك فتدخله الام أول مرة من جهتها وتستلمه الثانية وتعطيه الى الأم فتدخله وهكذا اي ان المرأة الواقفة مقابل الام لاتدخله من الشباك، فأدخاله محصور بأمه.

وإذا تعرض الطفل لشم الروائح الكريهة، يعطى حينئذ " السقوي" ليشر بها مع الماء، أما اذا كان صغيرا فتوضع السقوي بقم الطفل، ثم يحلب في فمه. وتتعرف الأم الى شم الطفل للروائح من ملاحظة شكل ورائحة غائط الطفل. وتقاديا" لوقوع مشاكل للاطفال، فإن أي دار تنزح مرافقها الصحية، تخبر كل الجيران، خاصة إذا كان عندهم صغار، ليبعده عن المكان^(٣).

إما إذا مشى الطفل ؛ هذا الحدث المهم المرتقب، والذي يحظى بأهتمام الأسرة والأم على وجه التحديد، " إن النمو النفسي لا يحدث الا عندما يكون هناك هدف شخصي، ونحن نعلم أن بناء الهدف يفترض وجود قدرة على التغيير، كما أنه يفترض وجود قدر من حرية الحركة . إن المرء يشعر بثراء روحي ناتج عن حرية الحركة، ولايجوز التقليل ايدا من قيمة

(١) علي الفتال، الطفل في الموروث الشعبي، مصدر سابق، ص ٥٧.

(٢) مثيري العاني، من عادات العناية بالطفل قديما، مصدر سابق، ص ٤٦١.

(*) القردول :- قلادة ذهبية على شكل سلسلة.

(٣) عبدالباري عبدالرزاق النجم، من ملامح الطب الشعبي في الموصل، مصدر سابق، ص ٥١٣.

هذا الثراء الروحي، وعندما يقف الطفل لأول مرة - بدون أي مساعدة من أحد - فإنه يدخل الى عالم جديد تماما عليه، وفي هذه اللحظة نفسها فإنه يشعر بأن الجو المحيط به عدائي، يبدأ الطفل في محاولاته الأولى للحركة، وخاصة عندما يحاول أن ينهض على قدميه ويتعلم المشي، فإنه يواجه مشكلات مختلفة في صعوباتها، وهذه المشكلات إما أن تقوى أمله في المستقبل وإما تحطمه، والانطباعات التي يعتبرها الفرد الراشد عادية أو غير مهمة يمكن أن يكون لها أكبر التأثير على نفسية الطفل، ويمكنها أن تشكل وجهة نظره وتصوره عن العالم الذي يعيش فيه " (١). هكذا كانت الأم الرقيق الدائم، والشخص المشجع للطفل في كل مناسبات حياته، ولهذا نجدها تغنت بهذا الحدث المهم كثيرا" ونذرت له النذور ؛ والتي تعد واحدة من النذور العديدة المرتبطة بالأطفال، وغدت الصيغ المستعملة في هذا المجال جزءا من أغانيهم ومايعنى لهم.

ومن بين أغاني ترقيص الطفل التي تتغنى بها الأم الموصلية، لمداعية وملاعية طفلها وهي تنذر له نذرا" تحققه عندما يكبر ويصبح قادرا" على المشي.إنها ترجو الله الا يحاسبها على نوعية النذر، لأنها فقيرة الحال، وهذا كل ما تتمكن ان تقدمه من النذر، وكلمات الأغنية تقول:-

لنضع نضع يوم تمشي (*)

لذبح خغوف أو كبشي

ياربي لتعاتبني

فقيرة او ما عندي شيء (٢).

أما إذا أصبح عمر الطفل سنتين أو أكثر دون أن يمشي فإن هذا يستوجب إيجاد طريقة للاستعجال بمشيته، ومن أجل ذلك فإن الأم تقوم :- (٣)

١- وضعه يوم الجمعة بالجامع مشدود القدمين :- تربط الأم قدم الطفل بخيط من قطن وكذلك القدم الثانية وتربطهما سوية بعدها وتضع الطفل في (زنبيل)أو سلة من الخوص وتأخذه يوم الجمعة مع مجموعة من النساء محمولا على الكتف ويذهبن به الى أحد الجوامع الذي تقام فيه صلاة الجمعة وعند ذهابهم الى الجامع يغنون :

هي ليكم ليكم ليكم (**)

(١) ألفريد أدلر، الطبيعة البشرية، مصدر سابق، ص ٥٥.

(*) لنضع:- أنذر.، نضع:- نذر.

(٢) حسين قدوري، النذور في لعب وأغاني الأطفال الشعبية، مصدر سابق، ص ١٢١.

(٣) مثري العاني، من عادات العناية بالطفل قديما"، مصدر سابق، ص ٤٦٢.

(**) ليكم : أليكم .

كن جا لمقحطل ليكم (***)

قوموا على غجليكم (****)

بنت السلطان تتوحم

وتشدد على عجليكم

وهكذا الى ان يصلن الى الجامع ويضعن الطفل وهو داخل السلة أمام باب المسجد ويبتعدن عنه بعض الشيء ثم ينتظرون خروج أول المصلين وفي هذه الحالة فأن على أول مصلي يخرج من باب المسجد أن يعمل على حل قدميه ويشترط ان تكون اول الخارجين من الصلاة أما إذا لم ينتبه أولهم الى الطفل ولم يحم بحل قدميه فعلى نويه اخذه الى البيت والعودة به ثانية في جمعة أخرى.

٢- دق الارجل بالجاون (*) :- إذ يؤتى بالطفل يوم الجمعة أو الاربعاء وتقوم أمه بدق قدميه دقا خفيفا داخل الجاون كما تفعل عند دق لحم الكبة لثلاث مرات .

ومن معتقدات أهالي الموصل؛ أنه في حالة تأخر الطفل في النطق تقوم المرأة بوضع إناء فيه ماء في قفص البلبل، وبعد أن يشرب منه تعطي بقية الماء إلى طفلها ليشره وتقل ذلك سبعة أيام لاعتقادهم بأن ذلك يساعد الطفل على النطق. (١)

وفي حالة فطام الطفل، الذي يعد مرحلة مهمة في حياة الطفل، إذ أنه ينتقل من الاعتماد على ثدي أمه الى الاعتماد على الغذاء من قبل الآخرين ومايعرضون له. لذا فإن معاناة الطفل في هذه المرحلة الحرجة كبيرة، صعبة وتطراً عليه الكثير من التغيرات في سلوكه مع أمه أو مع الآخرين نظرا لما يحدثه الحرمان من رضاعة ثدي أمه الذي يعتمد عليه أعتماذا" تاما" في غذائه. وعليه فأن (الأم) التي تفكر في فطام طفلها العمل على تهيئة الظروف الملائمة واختبار الوقت المناسب للقيام بفطام الطفل والتخلص منه وجعله يعتمد على الآخرين ومنهم الام لتلقي غذائه. ومن هذه الظروف والمعتقدات أن لا يتم فطام الطفل في فصل الصيف لطول النهار وحتى (لايشوط الطفل) لانه يصبح (زلز) أي كثير الضجر

(**) كن جا المقحطل ليكم : قد اتاكم الذي لايسطيع المشي.

(****) قوموا على غجليكم :- قفوا على أرجلكم.

(*) الجاون :- عبارة عن صخرة مكعبة بطول متر تقريبا وعرض نصف متر مجوفة من الوسط تستعمل لدق لحم الكبة والجريش عند عمل (كبة الموصل) وقد أستغنى عنها منذ زمن لظهور مكائن فرم اللحم.

(١) فردوس عبدالرحمن كريم اللامي، الحياة الاجتماعية في بغداد ١٨٣١-١٩١٧، مصدر سابق، ص ٢٥٨.

والتأفف والحركة أو أنه يبدأ يمشي حتى يكون بعيداً عن أمه في أوقات كثيرة وبين أيدي من يساعدها مما يجعله بعيداً عن أحضانها وبالتالي بعيداً عن ثديها^(١). والطفل الذي تريد أمه فطامه وتبدأ بذلك فعلاً، والفظام يشكل عقبة أمام الأم بشكل رئيسي والطفل كذلك ولكي تسرع من أجل منعه من رضاعة ثديها فأنها تقوم :-

١- تضع المرأة على حلمة ثديها "صنغ سقطي" أي صبر وهي مادة مرة المذاق، لا يتقبلها الطفل، فيعزف عن الثدي، ويفطم^(٢).

٢- تعمل له مسحوق البنوق مع مسحوق النبات وتضعه في صرة من قماش خفيف وتجعله كحلمة الثدي تضعها في فمه ليلاً ليرضعها كما يرضع اطفال اليوم الممة المصنوعة من البلاستيك (المطاط) لها^(٣).

٣- سلق بيضة وتلونها ببعض الالوان الجميلة وتأخذ طفلها مع مجموعة من نساء الجيران ومعهم البيضة ويذهبن الى الجسر الحديدي أيضاً" وعند العبور تطلب الأم من طفلها رمي البيضة في النهر بعد أن تعطيتها له وأن لم يقم برميها فأنها تهز يده كي تقع البيضة في النهر وكما أن البيضة لاتعود الى اليد، فهو لايعود الى الثدي . وعندما لم يكن الجسر موجوداً فأن عليها أخذه الى حافة النهر وتطلب منه رمي البيضة منها^(٤).

اما اذا مرض الطفل بتأثير العين الحاسدة او بارتعاب من حيوان ففي كلا الحالتين، نتبع معه عدة طرق لدفع الاصابة، والاصل الوقاية من الاصابة من خلال :^(٥)

- ١- تزيين الطفل بحلية تضم "سن الذيب" أو "ماشاء الله" بشكل الكف أو ورقة ورد الجنيد.
- ٢- ان يعلق في رقبته سلسلة تضم بين حلبيها "عظم الهدهد".
- ٣- أو يعلق في رقبته "تميمة" من عبق آثار ركاب الخيل.
- ٤- او يعلق في رقبته ودعة مع العفص بعد تنقيتها لتفقاً عين الحاسد.
- ٥- تبخير الطفل بحرق بخور مؤلف من مزيج (الحرمل والملح وروث الحيوانات).

(١) مثري العاني، عناية الام بطفلها - الفطام - موسوعة الموصل التراثية، المجلد (٢)، مصدر سابق، ص ٦١٧.

(٢) عبدالباري عبد الرزاق النجم، من ملامح الطب الشعبي في الموصل، مصدر سابق، ص ٥١٤.

(٣) عزيز جاسم الحجية، بغداديات، مصدر سابق، ص ٤٦.

(٤) مثري العاني، من عادات العناية بالطفل قديماً"، مصدر سابق، ص ٤٦٣.

(٥) عبد البارى عبد الرزاق النجم، من ملامح الطب الشعبي في الموصل، مصدر سابق، ص ٥١٨.

٦- أما الطفل المصاب بالعين فعلا" (من وجهة نظر أهله، فيوصف له شب أو رصاص) بأن يذاب الرصاص في إناء خاص، ثم يوضع فوق رأس المصاب غريال فيه خبز ويصل وملح ومكنسة - وأحيانا" حذاء عتيق طغبوشي - ثم يوضع امام الطفل أناء فيه ماء . ومن فوق الغريال يصب الرصاص الذائب على الاناء الذي فيه الماء، فيتصلب الرصاص أخذا" أشكالا" مختلفة، أو تأخذ ام الطفل قطعة من الشب (كبريتات الالمنيوم) وتضعها تحت مخدته في الليل. وعند الصباح تأخذ قطعة الشب تلك وتضعها في النار ثم تخرجها، بعد ان تكون قد تحولت الى هيئة مختلفة عن هيأتها الاولى وتبدأ التحليلات: فاذا كانت تشبه كلبا"، مثلا"، كان الطفل" مخروعا " اي مستقر من كلب، او اذا كانت تشبه شكل انسان شبهته الام بامرأة او رجل بحسب الهيئة التي اتخذتها قطعة الشب، وبعد ذلك تكافح الحسد وفق لمعتقدات واساليب شعبية سائدة.

اما قطعة الشب فتسحق بقدم الطفل المريض ومن ثم يرمى المسحوق في الماء الجاري أو يأخذ الماء ويسكب على مفترق طرق ثلاثة " الثث دغوب " أي ثلاثة دروب فيشفى إذ يذهب الحسد عن الطفل ويتلاشى مفعول الاصابة . وثمة طرق عديدة اخرى (غير الشب) لشفاء مرض الطفل هنا وهناك في كواريس (الفتاح فالية) وفي أدمغة جداتنا، كلها تستمد جذورها من عمق الزمن على طوله وعرضه وتتساقق فيما بينهما على مساحة التفكير الانساني، مما يدل على الترابط العضوي والموضوعي بين مفردات ذلك التفكير.

وهناك حالة اخرى تواجه الطفل في المراحل الاولى من عمره وهو" الخوف "؛ كان يفاجأ بكلب ينبح عليه او بمرورقطة من امامه بسرعة، او بصوت غير مألوف لديه كصوت طائرة او مدفع وما الى ذلك، فيجفل او يطلقها صرخة مدوية فتهب الام من مكانها مذعورة وهي تقول:

" يس ... بسم الله الرحمن الرحيم ... سور سليمان، قل اعوذ برب الفلق ...". . وبعد ذلك تسكب مقدارا من الماء في مكان جفول الطفل، وتضع في فمه بضع ذرات من السكر وتدعوه ان يبول ايضا".

هنا لابد من وقفة قصيرة لتحليل تلك التحويلات او العلاجات مع ايجاد الروابط الزمانية لها مأمكن . وقد سلك اسلافنا في تلك التحويلات اساليب اربعة، لعل واحدة منها تنفع الطفل وهي :

الأسلوب الاول:- التعويذ : لجأت الام الى مقاطع ومفردات من القرآن الكريم، " يس .. اسم الله ... والتي تعني " بسم الله الرحمن الرحيم" او " الاسم الاعظم" لدفع الشر عن وليدها. ومعروف ان الانسان المسلم قد استخدم أي القرآن الكريم، منذ صدر الاسلام، في أمور عديدة. تماما كما كان يفعل الاقدمون في لجوئهم الى الرقى والتعاويذ.

الاسلوب الثاني :- رش الماء: ان رش الماء في مكان الطفل " المستفز " هو امتداد لعقائد الاقدمين من بين البشر باعتبار الماء احد الالهة التي كان يلجأ اليها الانسان. إذ يلعب الماء الدور الجوهري الأول في مجمل أساطير وفولكلور بلداننا العربية، بلا استثناء، وكان الماء يلعب دورا مهما عند البابليين في التغلب على الارواح الشريرة، باعتباره مضادا لهذه الارواح، كما يعد الماء عدوا لدودا، وسلاحا" ماحقا للجان، فإذا ما وقع الطفل على عتبة البيت، فإنهم يلقون الماء البارد على العتبة، ليبعدوا الجان الذين يسكنون عتبات البيوت - حسب المعتقد - لكي لا يؤذوا الطفل ^(١)، والماء هنا يطفىء النار التي خلق منها الجان، أو يبعدهم ويطردهم .. الاسلوب الثالث:- سكر الطعام: لقد لجأت الام الى اعطاء الطفل بضع حبات من سكر الطعام.

الاسلوب الرابع:- البول ان دعوة الطفل للبول في المكان الذي استقر فيه انما تعود الى اعتقاد الانسان بانتشار الارواح الشريرة في كل مكان؛ والبول هو احد الوسائل التي يمكن بها درء الخطر عن الانسان، اذ انهن كن يوصين بالبول على عتبة الدار، وعادة ما يكلف بهذه المهمة الاطفال، او الصبيان، لاعتقادهن بان انحباس الرزق ربما كان بفعل سحر "معمول" لتلك العائلة، والبول يزيل السحر لتشابهه نجاستهما ^(٢) . ولهذا نجد المعتقد الشعبي يحذر الآباء والأمهات من ضرب الاولاد ليلا، لكيلا "يلمسهم" أفراد الجان، أي حتى لا يصيبهم مس من الجن، أو الجنون، ويحذرون المرء كذلك - لاسيما الأطفال - من النظر في المرأة ليلا، خشية أن تؤذيهم الجان، كما لا يحبذون صراخ الاطفال أثناء الليل، لأن ذلك من شأنه أن يزعج الجان فيؤذون الأطفال وبشكل عام فإن هناك إعتقادا بأن الأشباح والجنيات، تستأنف نشاطها عند نشاطها عند منتصف الليل، ففي الساعة تموت الاشياء، وتهيمن روح الصمت على الكائنات ^(٣)، ويروى عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال : " إذا استجح الليل، أو كان جنح الليل، كفوا صبيانكم، فإن الشياطين تنتشر حينئذ " ^(٤).

وإذا ماصيب الطفل بمرض أبو صفار (اليرقان) ومن أجل تخفيف اعبائه وتعجيل

شفاء الطفل منه، فيعالج بواحدة أو أكثر من الطرق الآتية :-

١- توضع في رقبة الطفل سلسلة تتدلى منها خرزة شيخ صفراء بعد العزامة .

(١) ينظر :- محمد توفيق السهلي وحسن الباش، المعتقدات الشعبية في التراث العربي، مصدر سابق، ص ٤٠-٤٢ .

(٢) علي الفتال، الطفل في الموروث الشعبي، مصدر سابق، ص ٥٧ .

(٣) محمد توفيق السهلي وحسن الباش، المعتقدات الشعبية في التراث العربي، مصدر سابق، ص ٨٠ .

(٤) الاسلام سؤال وجواب <https://islamqa.info/ar/answers>

- ٢- أو توضع خرزة الشيح في أناء فيه حليب، ثم يسقى هذا الحليب جرعات.
- ٣- يسقى الطفل (حسب عمره) من ماء عين كبريت، على الريق لمدة ثلاثة أيام.
- ٤- تنقب أذن المصاب من أعلاها، ويعقد خيط فيها.
- ٥- توضع سمكة حية في أناء، ويطلب من الطفل التحديق في الاناء طويلاً.
- ٦- يقص أبو صفار، باحداث خدوش وراء الاذن بأبرة أو برأس سكين حادة، ويعد ان يسيل الدم يكبد الجرح أو يدهن بالدباغ المطحون والمخلوط مع الملح^(١).
- ٧- تأتي الام بقطعة قماش تلف بها بعض الثوم وتعلقها بثياب الطفل، اعتقاداً منها بأن الثوم يعالج الطفل ومتى ما يتيبس الثوم المحمول بثياب الطفل، حينها يكون الطفل قد تماثل للشفاء التام^(٢).

ويعتقدون ان الطفل المصاب بالمرض المعروف بـ" الفالول" نتيجة عده للنجوم في السماء، لذلك فهم (بخاصة النساء منهم) يحذرون الاطفال من القيام بتلك العملية^(٣). أما الطفل المشهولة عينه، بسبب رفعه الى الاعلى من يد واحدة، يتم علاجه، بأن ترفع بلاعيم الطفل بالابهام والسبابة، وهناك نسوة متخصصات لهذه الغاية^(٤).

وكما انهم عرفوا سبب حدوث الفالول وانتشاره في جسم الانسان فقد عرفوا ايضاً، طرق مكافحته وهو ان يمسح على الفالول بقطعة من الباذنجان وتاخذ وتعلق في احد ابواب البيت وتترك حتى تجف، ويكون ذلك هو العلاج الشافي من الفالول^(٥).

أما اذا كان الطفل مشاكساً " (حرك) فان جداتنا اوصين بان يوضع في مكان تمر به قطيع من الماشية (الاغنام او الابقار) . ومن ان يمر القطيع وهي تبتعد عن الطفل. فتردد الام قائلة: " يا عاجة خذي اللجاجة " . وهكذا يكون قد تم تخفيف حدة مشاكسة الطفل والحاحه في طلب كل شيء^(٦).

(١) عبدالباري عبد الرزاق النجم، من ملامح الطب الشعبي في الموصل، مصدر سابق، ص ٥١٦.

(٢) السيدة: خالدة مرعي حسن الحياي، مواليد الموصل ١٩٥٤.

(٣) علي الفاتل، الطفل في الموروث الشعبي، مصدر سابق، ص ٥٩.

(٤) عبدالباري عبدالرزاق النجم، من ملامح الطب الشعبي في الموصل، مصدر سابق، ص ٥١٧.

(٥) السيدة: الهام فيصل، مواليد الموصل ١٩٥٩، ومن سكتة محافظة دهوك، ربة بيت، وتقول بانها تعلمت هذه الطريقة عن والدتها السيدة صفية حامد مواليد الموصل ١٩٣٨.

(٦) السيدة: خالدة مرعي حسن الحياي، مواليد الموصل ١٩٥٤.

واعتقد ان للرعب دخلا" في ذلك؛ اذ ان الطفل يرتعب ويخاف من اعداد الحيوانات فيحاول ترك المشاكسة حتى لايتعرض لمواجهة هذا الموقف مرة ثانية. ويمكن ان يقال انه علاج طبيعي - نفسي.

اما اذا ارادت الام حمل الطفل لتتيمة في مكانه المخصص له فما عليها - وهي تتحني عليه لتحمله - الا ان تقول : " بسم الله الرحمن الرحيم " ثم تحمله.

والمرجح ان البسملة، هنا، لها علاقة بالجن والاشباح، اذ ان الجن - كما هو متعارف عليه لدى العامة - يخافون اسم الله، وبخاصة حرف السين منها.

فذكر البسملة يطرد الجن عن الاطفال الذين يكونون محيطين به، هذا من ناحية ومن ناحية اخرى ان البسملة قد تكون اشارة تمهيدية لعل النائم يلتفت اليها فلا يوقظ من نومه اثناء حمله بشكل مفاجيء لان الايقاظ المفاجيء قد يصيبه بالذعر فتكون له مضاعفات سلبية على حياته.

وقد يعاني الطفل من بعض المصاعب في التسنين، ولكن ابهام الأب تلعب دورا كبيرا" في تذليل الصعوبات التي تعترضه؛ ففي اول علامة لظهور السن من تحت غشاء رقيق في اللثة تطلب الأم من الأب، ان يمرر ابهام يده على لثة الطفل بشكل اقلي فذلك يعجل بظهور السن دونما صعوبة.

لعل خشونة يد الاب " العامل " أو " الفلاح" تساعد في ترقيق اللثة فتظهر السن. وفي وقتنا الحاضر تصنع حلقة مطاط خاصة يلوكها الطفل قبل تطليح اسنانه فتساعده على سرعة تطليعها.

واذا ما تكاملت هذه الاسنان اللبنية تبدأ الاسنان الثابتة بالنمو فتسقط الاسنان اللبنية، الواحدة أثر الاخرى بالتدرج. وهنا ينصح اسلافنا الطفل ان يحمل سنه المقلوعة بيده ويقف قبالة الشمس ويقذفها باتجاه قرصها .⁽¹⁾ وهو يخاطبه بقوله : " خذي سن الجحش واعطيني سن الغزال ". اي ان سنه اللبنية، اصبحت غير جميلة ولاتناسب منظر فمه، ويريد استبدالها بأسنان جميلة كسن الغزال الناعمة .

ومادما بصدد الحديث عن الاسنان، أرى من المناسب الحديث عن حالة تتاب بعض الاطفال وهي عملية صك الاسنان ببعضها فينتج عنها صوت، ترتعب منه الامهات لانها علامة تدل على الشؤم ووقوع مكروه لاحد افراد الاسرة، ويعنى بذلك " الموت".

(1) علي الفتال، الطفل في الموروث الشعبي، مصدر سابق، ص ٦١.

وفي الاعتقاد بان جسم الانسان يطول على مراحل، وفي كل مرة تطول فيه قامة الطفل، يتعرض لآلم في مفصل الحوض يطلق عليه أهل الموصل " شب الطول "، وكانت الام تعمل على تدليك مفصل الطفل لتخفيف الالم عنه (١).

ومن عادة الاطفال تقليد آبائهم وامهاتهم في حركاتهم او بعض فعالياتهم، ومن هذا القبيل تقليد الطفلة لامها في الكنس، فتمسك بالمكنسة وتحاول الكنس بشكل يثير الضحك، فاذا رأتها امها قالت:- " خير. يجونة خطر " اذ ان الكنس من قبل الطفلة ايدان بقدم زوار الى تلك الدار - في اعتقادهم - ولعل ذلك يعود الى اعتبارين:-
الاول:- أن الطفلة، بطبيعتها البرئية، توحى الى الاهل بذلك.
الثاني:- ان تنظيف الدور يعد من مستلزمات استقبال الضيوف.
على ان للصدفة دوراً في ترسيخ هذا الاعتقاد في الاغلب (٢).

أما ختان (طهور) الطفل :- إن الختان / الذبح الأصغر للعضو التناسلي / هو بمعنى طهور بالدم، وبمعنى اخر تطهر من الدم . لذلك، فإن الرجل لا يعتبر طاهراً - في الأوساط الإسلامية - الا إذا أجريت له عملية الختان، التي تسمى أيضا " الطهور " بمعنى " التطهر " (٣).

والطهور " عملية جراحية لإزالة جزء من القلفة، وهي عادة شائعة في كثير من أرجاء العالم . وتتم عملية الختان في الغالب قبل سن البلوغ. وثمة معتقدات كثيرة تدور حول الختان ؛ فيذهب البعض إلى أن عملية الختان قربان لآلهة الخصوبة، ويقول البعض الآخر إنها اختبار للقدر على احتمال الألم، ويرى آخرون أن الختان تمييز اجتماعي للمختونين عن غيرهم، وأن المختون يتجنب الخطر الكامن في مباشرة العملية الجنسية بالتضحية بجزء في سبيل الكل، ويذهب البعض إلى أن الختان إجراء صحي، وكان الختان من سنن العرب في الجاهلية . وورد ذكر الختان في الأحاديث الشريفة، مع تقليد الأظافر والخلالة، وقص الشارب وإعفاء اللحية " (٤).

وهي من أحلى وأجمل المناسبات لدى الموصليين كافة حيث تجري الاستعدادات اللازمة بها مسبقاً منذ فترة طويلة حينما تقع النية الطيبة لدى العائلة جميعاً ويختار الجميع

(١) السيدة: لمعة خليل ابراهيم، مواليد الموصل ١٩٣٨.

(٢) عبد لجبار الهموندي، في المعتقدات الشعبية، مجلة التراث الشعبي، مصدر سابق، ص ١٣١.

(٣) محمد توفيق السهلي وحسن الباش، مصدر سابق، ص ١٣٢.

(٤) عبد الحميد بونس، معجم الفولكلور، مصدر سابق، ص ٢٧٦.

أحد الربيعين في الموصل (لأنها أم الربيعين) وهما فصلا الربيع والخريف حيث يعتدل الجو ويطيب الطقس (المناخ) ^(١).

فقد جرت العادة بين الناس في بعض الاقطار على الاحتفال بختان الولد ؛ فيلبس الصبي ملابس ثمينة، ويطوف به أهله في الطرقات على ظهر جواد، ويحف به من الجانبين رجال حتى لايسقط من فوق ظهر الجواد، وينعشونه بما يحملون من مناديل معطرة، ويسير في موكب تتقدمه الطبول والدفوف، ويزفون الصبي بالأغاني التي تردد في هذه المناسبة، ويطلقون حوله البخور من مجمرة تتأجج بفحم الخشب . ويلجأ بعض الناس إلى إلباس الصبي ملابس فاخرة، ويغطون جانباً من وجهه بمنديل إتقاء لعين الحسود، وقد تتحرر بعض الذبائح في هذه المناسبة ويوزع لحمها على الفقراء ^(٢).

ويتم خياطة الدشداشة البيضاء (الجلابية) الجميلة للطفل المراد ختانه وترصع صدر الدشداشة بنجوم ذهبية يخيظ بها هلال ذهبي اذا كان والد الطفل ميسور الحال وتهياً الحلويات من (البقلاوة والشكرلمة والقيمر) وتتم كذلك عملية ختان أطفال فقراء على حساب والد الطفل الميسور الحال حيث يصاحب هذا الاحتفال أغاني وأهازيج خاصة بالمناسبة مع ديكات شعبية معروفة لدى الجميع ^(٣) . ومن معتقدات سكان الموصل في هذه الحالة :- ^(٤)

١- تستخدم ضمادات تتألف من رماد التتور اورماد المنقل التنظيف بعد نخله وتحويله الى مسحوق طري .

٢- ثم أذ " الاسطوات"، يستخدمون " الاضغوغ" وهي خلطة عطارية تتألف من نبات العفص الذي ينتقى بشكل جيد، ثم يغلى بالماء لتعقيمه، ثم يدق وينخل، ويضاف اليه نبات الاخين (دم الاخوين) ونبات البلوط، وتدق هذه المواد دقا" ناعما" - وقد يضاف اليها احياناً- مسحوق السماق ثم يعمل منه لبيخة، توضع على خرقة نظيفة ويلف بها احليل المختون، فلا تتخلع حتى يشفى الطفل .

٣- أخذ الطفل الى حمام العليل لتسبيحه بالمياه المعدنية الحارة، لكي يتكبد الجرح، ويسهل نزع اللقافة، وإذا تعذر ذلك، فيأخذ الطفل الى الحمام العمومي.

(١) ابراهيم سليمان نادر، الملابس الشعبية الموصلية أيام زمان، موسوعة الموصل التراثية،

المجلد(٢)، مصدر سابق، ص ٥٤٣

(٢) عبد الحميد يونس، معجم الفولكلور، مصدر سابق، ص ٢٧٧.

(٣) ابراهيم سليمان نادر، الملابس الشعبية الموصلية أيام زمان، مصدر سابق، ص ٥٤٣.

(٤) عبد الباربي عبد الرزاق النجم، ملامح الطب الشعبي في الموصل، مصدر سابق، ص ٥١٧.

كما وتزداد معاناة الأم وخوفها على طفلها ؛ كلما تقدم به العمر، وخاصة اذا بدأ أول رحلاته خارج الدار للعب مع رفاقه في أزقة المحلة، وتترك الأم الطفل للعب مع الصغار؛ عادة الى حلول الظلام ولايمكن ان يخرجوا أثناء الليل مطلقاً" لخوفهم من زمزم القبور،(*) أو الدامية،(**) أو شلاع القلوب (***) (١).

كل ما تقدم ذكره يعد من أبرز وأهم المعتقدات الشعبية المتعلقة بالطفل، تترك بصماتها الواضحة على الشخصية، فإن " شخصية الفرد لايمكن فهمها الا عندما تكون في بيئتها الاجتماعية فقط، وعندها يمكننا أن نقيم موقف هذا الفرد ووضعه في العالم، وكلمة وضع هنا تعني مكان الفرد بين الاشياء المختلفة وموقفه Attitude تجاه البيئة المحيطة به ومشكلات الحياة الثلاث (العمل، والعلاقة مع باقي أفراد المجتمع، والزواج)، وبهذه الطريقة نستطيع أن نحدد الانطباعات التي يأخذها كل فرد منذ لحظة مولده، وكيف تؤثر على موقفه خلال الحياة، بل إننا نستطيع أن نحدد وضع الطفل وموقفه من الحياة بعد الشهور الأولى من الميلاد . أنه من المستحيل الخلط بين سلوك أثنين من الاطفال الرضع بعد مرور هذه الفترة، لأنهما يظهران سلوكا مختلفا تماما في نمطه، وتزداد هذه الفروق بين النمطين مع النمو، ويكون اختلاف وخروج الفرد عن هذا النمط هو أمر غير وارد ابدا" (٢).

(*) زمزم القبور :- حيوان على شكل ثعلب يعيش بين القبور وفي البراري يقال اذا تعرض له شخص قضم ذكره؛ ويطلق عليه اسم الواوي.

(**) الدامية :- وهي السعلاة الوارد ذكرها في الاساطير تشبه بالمرأة الضخمة الجثة ذات ارجل من (خربق) يقال ان زوجها يسمى (الديو). (وسياتي ذكرها في الفصول القادمة).

(***) شلاع القلوب:- شبح وهمي تستعمله الامهات لاختافة اولادها.

(١) عبدالوهاب النعيمي، قناطر الموصل في الأساطير الشعبية، مصدر سابق، ص٧٣.

(٢) ألفريد أدلر، الطبيعة البشرية، مصدر سابق، ص٥٣.

الخاتمة

أولاً:- النتائج

في ضوء ما تقدم يتضح لنا ما يأتي :-

- ١- إن المعتقدات الشعبية تمثل رمزا من رموز ثقافة الشعوب وعناصرها ومكوناتها، إذ تمارسها الجماعة كما يمارسها الفرد ويطبقها على ما يعيشه من ظواهر وما يصادفه من مشاكل في حياته اليومية والاجتماعية.
- ٢- تعمل تلك المعتقدات على تحديد سلوك أفراد المجتمع وتطبع عاداته وتقاليد بطابع خاص، ويعملون على نقلها دونما تمحيص؛ بوصفها حقائق ثابتة.
- ٣- والمعتقدات الشعبية تعد رواسب ثقافية، لها جذور عميقة في الحياة الإنسانية، وهي مسؤولة عن شخصيتنا وسلوكياتنا داخل المجتمع إلى حد كبير ولذلك فهي تتصف بالبقاء.
- ٤- المعتقدات الشعبية تشكل نسقا "منتظما" و"متكاملا" تؤدي وظائف عديدة في إطار ثقافة المجتمع، يتم تناقلها عبر الأجيال، لما تسهم به في إشباع حاجات نفسية واجتماعية .
- ٥- تجاهل هذه المعتقدات خلال التخطيط لعمليات التنمية يؤدي الى عجز هذه التنمية في ان تحقق ثمارها .
- ٦- الطفولة مصطلح يربطه العلماء بمعيار العمر الزمني لحياة الإنسان .
- ٧- من اهم سمات المعتقدات الشعبية المرتبطة بالطفل أنها فطرية ومتوارثة، تصبح بالتدرج سمات مكتسبة عبر عملية التنشئة الاجتماعية .
- ٨- المعتقدات الشعبية المتعلقة بالطفل ترتبط بحياة الأسرة ككل في إطار الموروث الثقافي الخاص بها، حيث يساعدها على اشباع حاجاتها الاجتماعية والنفسية والروحية .
- ٩- كثير من الأسر تحاول جاهدة نقل المعتقدات الشعبية الى أبنائها دون تعديل أو مساس بقديستها، بما يمثل في جوهره عملية صياغة الثقافة للفرد أو نقل التراث الثقافي والاجتماعي إليهم .
- ١٠-تتنوع المعتقدات الشعبية الخاصة بالطفل بشكل كبير ؛ لتشمل العديد من صور الممارسات الاعتقادية التي تقوم بها الأسرة تجاه الطفل وعبر مختلف مراحل حياة طفولته .

ثانياً:- التوصيات

بناءً على ما جاءت به الدراسة من نتائج، يوصي الباحثان بما يأتي:-

- ١- أدخل بعض من عناصر التراث الشعبي العراقي، خاصة ما يتعلق بالتربية والتنشئة الاجتماعية، في المناهج التعليمية.

٢- تعزيز التراث الشعبي العراقي، بشقيه المادي والمعنوي، تعزيزاً موضوعياً، والتركيز على ما يتصل بالأمومة والطفولة، وكل كافة المستويات (التربوية، الثقافية، الاجتماعية، الاقتصادية، السياسية).

٣- تشكيل لجنة خبراء من الباحثين، ذوي الخبرة الميدانية في جميع مواد التراث الشعبي، ليضع هؤلاء مخطط لحملة جمع الأمثال الشعبية العراقية، وتوثيقها لتدارك احتمال تلاشيها وزوالها، بحكم الزمن وتغيير أساليب الحياة المتسارع .

ثالثاً : المقترحات

يقترح الباحثان ما يأتي:.

١- إجراء مؤتمر او ندوة علمية مبسطة، تتناول موضوع "بناء شخصية الطفل وكيفية تنميتها نحو الأفضل " ودعوة الامهات ومن كافة الطبقات الاجتماعية، والمستويات العمرية، لحضورها، إضافة الى بث وقائعها وبشكل مباشر عبر القنوات المسموعة والمرئية، لتتبيه الامهات والاسرة بشكل عام، لخطورة واهمية الدور الذي تلعبه الأم، وافراد الأسرة، في تشكيل شخصية الطفل، والنمو العقلي والاجتماعي والمعرفي والانفعالي للطفل .

٢- دراسة تأثير المعتقدات الشعبية وتأثيرها في قضايا بناء وتنمية وصقل شخصية أفراد المجتمع العراقي ككل، وبشكل مفصل، وعبر سلسلة من البحوث والدراسات، ومن قبل كافة الاختصاصات العلمية.

ثبت المصادر

- ❖ ابن لفضل جمال الدين بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، المجلد الثالث، دار صادر، بيروت - لبنان، ١٩٩٤.
- ❖ الاسلام سؤال وجواب <https://islamqa.info/ar/answers>
- ❖ أشلي مونتاجو، المليون سنة الأولى من عمر الإنسان، ترجمة: رمسيس لطفي، مؤسسة سجل العرب، ١٩٦٥.
- ❖ أكرم البستاني وآخرون، المنجد في اللغة والأعلام، ط٣، دار المشرق، بيروت، ١٩٧٣.
- ❖ بن الشيخ عبد الحميد، أثر المعتقدات في سلوك الانسان الجزائري المعاصر دراسة ميدانية لعينة من المثقفين، أطروحة دكتوراه غير منشورة، قسم علم الاجتماع، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، ٢٠١٥.
- ❖ جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢.
- ❖ جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، ج٥، ط٢، مطبعة المجتمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٧٨.
- ❖ حاتم العبيدي، المعتقدات الشعبية بين الحقيقة والخيال، مطبعة آسيا، كركوك - العراق، ٢٠٠٤.
- ❖ سمية العبيدي، ممارسات بغدادية تراثية تتوسط الأطفال، مجلة التراث الشعبي، العدد (٢)، السنة (٤٤)، ٢٠١٣.
- ❖ صمويل كريم، من الواح سومر، ترجمة: طه باقر، تقديم: احمد فخري، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، ب.ت.
- ❖ طه باقر، ديانة البابليين والاشوريين، مجلة سومر، العدد (٢)، بغداد، ١٩٦٤.
- ❖ عامر سليمان، العراق في التاريخ القديم، موجز التاريخ الحضاري، ج٢، الموصل، ١٩٩٣.
- ❖ عبد الجبار الهموندي، في المعتقدات الشعبية، مجلة التراث الشعبي، العدد الفصلي الرابع، دائرة الشؤون الثقافية، وزارة الثقافة والاعلام، الجمهورية العراقية، ١٩٨٩.
- ❖ عبد الحكيم أبو اللوز، الحركات السلفية في المغرب (١٩٧١ - ٢٠٠٤)، بحث انثربولوجي سوسبيولوجي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٩.
- ❖ غوستاف لوبون، الآراء والمعتقدات، ترجمة: عادل زعتير، عصير الكتب للنشر والتوزيع، بدون مكان، ١٧، ٢٠١٨ - غوستاف لوبون، الآراء والمعتقدات نشؤوها وتطورها، ترجمة: نبيل أبو صعب، ط١، دار الفرقد، سورة - دمشق، ٢٠١٤.

- ❖ فانتن جواد كاظم الخيكاني، الممارسات والمعتقدات الشعبية حول أضرحة الأولياء والصالحين - دراسة ميدانية في مدينة الديوانية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القادسية، كلية الآداب، قسم علم الاجتماع، ٢٠١٦.
- ❖ فوزي العنتيل، الفولكلور ما هو؟ دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٦٤ .
- ❖ فوزي العنتيل، الفولكلور ما هو؟ دراسات في التراث الشعبي، المطبعة العربية الحديثة، نشر دار النهضة العربية، القاهرة - مصر، ١٩٧٧.
- ❖ كامل المهندس ومجدي وهبة، معجم المصطلحات العربية في اللغة والدب، ط٢، مكتبة لبنان، ١٩٨٤ .
- ❖ مجدي وهبة، وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب، ط٢، مكتبة لبنان، بيروت - لبنان، ١٩٨٤.
- ❖ محمد شفيق، البحث العلمي: الخطوات المنهجية لإعداد البحوث الاجتماعية، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، ١٩٩٨.
- ❖ محمد عاطف غيث، علم الاجتماع، ج١، دار المعارف، القاهرة - مصر، ١٩٧١.
- ❖ المنجد في اللغة دار المشرق، ط٢٣، بيروت، ب. ت.
- ❖ ميخائيل أسعد، سيكولوجية الاعتقاد والفكر، النهضة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٨.
- ❖ نجلاء عادل حامد، المضامين الاجتماعية للحكاية الشعبية الموصلية، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم علم الاجتماع، كلية الآداب، جامعة الموصل، ٢٠٠٩.
- ❖ نجيب قافو، من عادات الموصل الشعبية، مجلة التراث الشعبي، العدد السابع، السنة الاولى، دار الجمهورية للطباعة، بغداد، ١٩٧٠.

تصميم تعليمي - تعليمي وفقاً لاستراتيجية جيڪسو (Jigsaw) وأثره في البراعة الرياضية
ومهارات الاثبات الجبري في حقل الاعداد المركبة

**Instructional design - learn according to the Jigsaw strategy and its
impact on mathematical prowess and algebraic proof skills in the field
of complex numbers**

Dr. Ahmed Mohamed Abdel

د. أحمد محمد عبد الزبيدي

Zubaidi

مدرس

Teacher

General Directorate of

المديرية العامة لتربية القادسية

Education Qadisiyah

Dr.ahmedmohammad@gmail.com

تاريخ القبول

تاريخ الاستلام

٢٠٢٢/١/٥

٢٠٢١/١١/٢٣

الكلمات المفتاحية: تصميم تعليمي تعليمي - استراتيجية جيڪسو - البراعة - المهارات

Keywords: Learning instructional design - Jesco strategy - dexterity - skills

المخلص

يهدف البحث الحالي الى اعداد تصميم تعليمي - تعليمي وفقاً لاستراتيجية جيڪسو (Jigsaw) والتعرف أثره في البراعة الرياضية ومهارات الاثبات الجبري في حقل الاعداد المركبة، تم الاستعانة بالتصميم التجريبي ذو الاختبار البعدي والضبط الجزئي لمجموعتين متكافئتين (تجريبية وضابطة)، تكونت عينة البحث من (٥٧) طالباً من طلاب الصف السادس العلمي (التطبيقي) في مركز محافظة القادسية، جرى توزيع افراد عينة البحث عشوائياً إلى مجموعتين إحداهما تجريبية عددها (٢٩) طالباً تُدرّس بالتصميم التعليمي - التعليمي وفقاً لاستراتيجية جيڪسو (Jigsaw) والأخرى ضابطة عددها (٢٨) طالباً تُدرّس بالطريقة الاعتيادية .

تمّ تكافؤ مجموعتي البحث في متغيرات (العمر الزمني، الذكاء، المعرفة السابقة في الرياضيات و التحصيل السابق في مادة الرياضيات) .

طبقت التجربة في الفصل الأول للعام الدراسي (٢٠١٩ - ٢٠٢٠) م، دُرست مجموعتي البحث من قبل الباحث، كما قام الباحث بإعداد أداتي البحث المتمثلة باختبار البراعة الرياضية للمجالات الأربعة حُددت فقرات الاختبار بـ(٢٠) فقرة موزعة بين (١١) فقرة من نوع الاسئلة المقالية و (٩) فقرات من نوع الأسئلة الموضوعية موزعة على المجالات الفرعية، اما المجال الخامس النزعة المنتجة فقد تكون مقياس النزعة الرياضية المنتجة مكون من (٣٣) فقرة بمقياس خماسي (أوافق بشدة، اوافق، محايد، معارض، معارض بشدة) إذ أعطيت الاوزان المتدرجة

الاتية (٥، ٤، ٣، ٢، ١) على التوالي، اما الأداة الثالثة فهي اختبار مهارات الاثبات الجبري البالغ عدد فقراته (٢٤) فقرة .

أستخدم الباحث عددا من الوسائل الإحصائية المناسبة لتحقيق أهداف البحث سواء في إجراءاته أم في تحليل نتائجه منها الاختبار التائي لعينتين مستقلتين (t-test) ومرتبطين ومعادلة الفاكرونباخ (Alpha Cronbach) ومعامل ارتباط بيرسون ومعادلة الصعوبة ومعادلة تمييز الفقرات ومعادلة فعالية البدائل الخاطئة، أظهرت نتائج البحث تفوق الطلاب الذين درّسوا بالتصميم التعليمي - التعليمي وفقا لاستراتيجية جيكسو (Jigsaw) على الطلاب الذين درّسوا بالطريقة الاعتيادية في البراعة الرياضية ومهارات الاثبات الجبري، وهناك علاقة موجبة معتدلة بين البراعة الرياضية ومهارات الاثبات الجبري عند مستوى دلالة (٠,٠٥) .

وفي ضوء النتائج توصل الباحث إلى الاستنتاجات التي في ضوئها قدم عددا من التوصيات والمقترحات للبحوث المستقبلية .

Abstract

The goal of current research is to knowing the effect of educational - Learning design according to the Jigsaw strategy and its impact on mathematical proficiency and algebraic proof skills in the field of complex numbers.

The researcher used the experimental design a post-test for two groups unequal (experimental and control), a real experimental designs (True Experimental Design).

Select the research Population sixth class science students in public schools for boys for the academic year (2019-2020) m in Diwaniyah province / Directorate General of Educational Center of Diwaniyah, chosen secondary Qoutaiba Boys random sample of Population schools.

The sample of the research consisted of (57) student (Boy) in the fifth class scientific in Secondary Qoutaiba for boys located in province Qadisiyah, they are distributed randomly into, experimental number was (29) Student(studying using design Teaching – Learning according the Jigsaw strategy) and the control number consist of (28) student (studying using ordinary method) .

The two research groups were equalized in the variables (age, intelligence, previous knowledge in mathematics and previous achievement in mathematics).

The experiment was applied in the first semester of the academic year (2019 - 2020), the two research groups were studied by the researcher. And (9) items of the type of objective questions distributed over the sub-domains. As for the fifth domain, the productive tendency may be a scale of productive mathematical tendency consisting of (33) items on a five-

point scale (strongly agree, agree, neutral, oppose, strongly disagree), if the graduated weights were given. The following are (5, 4, 3, 2, 1) respectively. As for the second tool, the algebraic proof skills test, the number of its paragraphs was limited to (24) items.

The researcher used the some statistical tools both in research procedures or in the analysis of the results, including (t-test) for the samples independent, and equation of difficulty and discrimination, effective alternatives, Alpha Cronbach Equation, Cooper Equation, Pearson correlation coefficient and T Pearson .

The results of the research show that students who have studied by design Teaching – Learning according to Jigsaw strategy were better than the students who have studied by ordinary method in the mathematical proficiency and algebraic proof skills, and the results showed the presence of a moderate positive relationship between mathematical proficiency and algebraic proof skills at the significance level (0.05).

In light of the results was reached a number of conclusions and recommendations and suggestions.

الفصل الأول

التعريف بالبحث

أولاً : مشكلة البحث Problem of the research

من طبيعة عمل الباحث بصفته مدرس لمادة الرياضيات في المرحلة الإعدادية لمدة (١٨) سنة وتواجده في الميدان التربوي وبصفته باحث أكاديمي لاحظ ما يؤثر الضعف الكبير والصعوبات المتعلقة بالبراعة الرياضية ومكوناتها الخمسة :

(الفهم المفاهيمي، الطلاقة الإجرائية، الكفاءة الاستراتيجية، الاستدلال التكيفي والميل (الرغبة) المنتجة) .

وعزز الباحث ذلك من خلال الباحث باستطلاع آراء نخبة من المدرسين الذين يتصفون بالخبرة (٢٠ سنة فما أكثر) والكفاءة عن طريق استبانة أعتها تتضمن مكونات البراعة الرياضية حيث أظهرت اجابتهم ان حلول الطلاب تتصف بالرتابة والاجرائية القائمة على حفظ الخطوات دون فهمها و حل المشكلات التي بها استيعاب مفاهيمي او استدلال او كفاءة استراتيجية .

أما فيما يتعلق بالإثبات الرياضي ومهاراته وجد الباحث أن طلاب الصف السادس العلمي لديهم صعوبة في التعامل مع الإثبات الرياضي ومهاراته امكانياتهم المحدودة عند التحويل من الصورة اللفظية إلى الصورة الرمزية أو غيرها وكيفية بناءه وتوظيف المعلومات والقوانين السابقة في تكوين ترابطات منطقية تقودهم لبلوغه، وهذا ما اظهرته نتائج الاستبانة والمتضمنة الإثبات الرياضي ومهاراته عند عرضها على (٢٥) مدرسا من ذوي الخبرة والكفاءة .

وان هذا الضعف الملاحظ سواء في البراعة الرياضية أو مهارات الإثبات الرياضي يعد مؤشراً ودعوة مباشرة للتسارع في علاجه أو التخفيف من حدته، هذا ما دعا الباحث إلى إتباع عمل إجرائي يتوخى هندسة الفعل التعليمي على وفق خطوات علم التصميم التعليمي - التعليمي وفقا لاستراتيجية جيكسو (Jigsaw) إذ يعتقد بأنها قد تعمل على الإحاطة بمؤشرات أو مسببات الضعف أو التدني في متغيرات البحث التابعة وسبيل لعلاجها .

ومما ذكر أعلاه يُمكن تحديد مشكلة البحث بالسؤال الآتي :

هل التصميم التعليمي - التعليمي وفقا لاستراتيجية جيكسو (Jigsaw) أثره في البراعة الرياضية ومهارات الإثبات الجبري في حقل الاعداد المركبة لدى طلاب الصف السادس الاعدادي (التطبيقي) ؟

ثانياً : أهمية البحث Significance of the Research

أن أهمية أي بحث تتجلى بقدر ما يُضيفه للمعرفة العلمية من الناحيتين النظرية والتطبيقية، فأهمية البحث الحالي من الناحية النظرية تتمثل بالآتي :

١. يُعد هذا البحث الأول من نوعه (على حد علم الباحث واطلاعه) يعمل على بناء تصميم تعليمي- تعلمي وفقاً لاستراتيجية جيكسو (Jigsaw) وأثره في البراعة الرياضية ومهارات الإثبات الجبري في حقل الأعداد المركبة .

٢. طبق على مرحلة دراسية مهمة (المرحلة الإعدادية) هم طلاب السادس العلمي (التطبيقي) ؛ لأنها تُشكّل نقطة تحول بين التعليم الأساسي والتعليم الجامعي، والتي لها تأثير كبير في صقل وإعداد طلاب طليعيين بأفكارهم ومفاهيمهم الرياضية وهم واقفون على أبواب التخصصات الجامعية التي تشكل مادة الرياضيات جزءاً كبيراً فيها ولهذا يجب ان يتمتع الطالب بالبراعة الرياضية والقدرة على الإثبات الجبري لكي يتمكن من اكمال مسيرته الجامعية بشكل رياضي سليم.

٣. قد يفسح هذا البحث المجال لباحثين آخرين ليبحث أثر التصميم التعليمي -التعلمي وفقاً لاستراتيجية جيكسو (Jigsaw) لتدريس مواضيع رياضية معينة في متغيرات تابعة أخرى وفي مراحل أو صفوف دراسية أخرى .

٤. قد يُساعد واضعي مناهج الرياضيات على اختيار الأنشطة والطرائق والمداخل التدريسية المناسبة التي تنمي البراعة الرياضية ومهارات الإثبات الجبري وبشكل جماعي .

أما الأهمية من الناحية التطبيقية تتمثل بالآتي :

رصد الميدان التربوي بـ (استراتيجية واختبارين ومقياس وخطط تدريسية) حيث قدم البحث الحالي أداتين الأولى اختباراً للبراعة الرياضية لمكوناته الأربعة ومقياساً للمكون الخامس والثاني اختبار مهارات الإثبات الجبري و خطة تدريسية معدة وفق التصميم التعليمي - التعلمي وفقاً لاستراتيجية جيكسو (Jigsaw) .

ثالثاً : أهداف البحث Goals of the research

يهدف البحث الحالي إلى :

١. اعداد تصميم تعليمي - تعلمي وفقاً لاستراتيجية جيكسو (Jigsaw) لموضوع الأعداد المركبة للصف السادس العلمي (التطبيقي)

٢. بناء اختبار لمكونات البراعة الرياضية الأربعة ومقياس للمكون الخامس واختبار لمهارات الإثبات الجبري .

٣. قياس اثر التصميم التعليمي - التعليمي وفقاً لاستراتيجية جيكسو (Jigsaw) في البراعة الرياضية
٤. قياس اثر التصميم التعليمي - التعليمي وفقاً لاستراتيجية جيكسو (Jigsaw) في مهارات الاثبات الجبري .
٥. التعرف على العلاقة الارتباطية بين البراعة الرياضية ومهارات الاثبات الجبري .

رابعاً: فرضيات البحث **Hypotheses of the research**:

- لغرض تحقيق أهداف البحث والإجابة عن أسئلته وضعت الفرضيات الصفرية الآتية :
١. لا يوجد فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٥) بين متوسطي درجات طلاب المجموعة التجريبية (الذين يُدرّسون بالتصميم التعليمي - التعليمي وفقاً لاستراتيجية جيكسو (Jigsaw)) ودرجات طلاب المجموعة الضابطة (الذين يُدرّسون بالطريقة الاعتيادية) في البراعة الرياضية .
 ٢. لا يوجد فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٥) بين متوسطي درجات طلاب المجموعة التجريبية (الذين درسوا بالتصميم التعليمي - التعليمي وفقاً لاستراتيجية جيكسو (Jigsaw)) ودرجات طلاب المجموعة الضابطة (الذين يُدرّسون بالطريقة الاعتيادية) في مهارات الاثبات الجبري .
 ٣. لا توجد علاقة ارتباطية ذات دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٥) بين متغيري البراعة الرياضية و مهارات الاثبات الجبري عند المجموعة التجريبية .

خامساً: حدود البحث **Limits of the research**:

يحدد البحث الحالي بـ :

١. طلاب الصف السادس العلمي (التطبيقي) في المدارس الاعدادية والثانوية الحكومية النهارية في مركز محافظة القادسية / المديرية العامة لتربية القادسية للعام الدراسي (٢٠١٩ - ٢٠٢٠) م .
٢. الفصل الاول (مجموعة الاعداد المركبة) من كتاب الرياضيات المقرر لطلاب الصف السادس العلمي التطبيقي للعام الدراسي (٢٠١٩ - ٢٠٢٠) م، لمؤلفه طارق شعبان رجب الحديثي وآخرين، ط٨، لسنة (٢٠١٨) م .

سادساً: تحديد المصطلحات **Definitions of Terms** :

١- التصميم التعليمي - التعليمي :

عرفه (الرواضية وآخرون، ٢٠١١) بأنه "حقل من حقول الدراسة والبحث يتعلق بوصف المبادئ النظرية والإجراءات العملية المتعلقة بكيفية إعداد البرامج التعليمية والمناهج المدرسية والمشاريع التربوية والدروس التعليمية والعملية التعليمية كافة بشكل يكفل تحقيق الأهداف التعليمية والتعليمية المرسومة" (الرواضية وآخرون، ٢٠١١: ٤٩).

و يُعرف الباحث التصميم التعليمي- التعليمي إجرائياً بأنه :

تُحدد أفضل الإجراءات لهندسة عملية تعليم مادة الرياضيات المقررة على طلاب الصف السادس العلمي التطبيقي بإتباع المراحل المتتابعة والمتراطة الآتية : (التحليل، التخطيط، التطوير، التنفيذ والتقييم) بهدف تمكين الطلاب من البراعة الرياضية ومهارات الإثبات الجبري بعملية اقتصادية من حيث الوقت والجهد والنفقات .

٢- استراتيجية جيكو (Jigsaw) :

عرفتها (الديب : ٢٠١١) بأنها: "استراتيجية تقوم على طريقة تنظيم الطلاب للعمل في مجموعات صغيرة تتكون من (٥-٦) أفراد، ويعطى لكل طالب معلومات لا تعطى لأحد غيره في المجموعة، مما يجعله خبيراً بالجزء الخاص به من الموضوع بعد تلقي المهام، وبعد ذلك يستعد الطلاب لتدريس الموضوع الخاص بهم بعد إتقانه للطلاب والأعضاء في مجموعاتهم، وبعدها يتم اختبارهم واعطائهم درجات، او مكافآت أخرى" (الديب : ٢٠١١، ٦٧) .

و يُعرف الباحث استراتيجية جيكو (Jigsaw) إجرائياً بأنها :

بأنها: استراتيجية تنظم طلاب الصف السادس العلمي (التطبيقي) على شكل مجموعات صغيرة تتكون من (٥-٦) طلاب يتم توزيع موضوعات الفصال الأول (الأعداد المركبة) من كتاب الرياضيات المقرر عليهم على شكل مهام حيث يعطى كل طالب في المجموعة مادة تعليمية لا تُعطى لغيره في المجموعة الواحدة بحيث يكون متمكناً من الجزء الخاص به وبعد تلقي المهام يعيد الطلاب تنظيم أنفسهم في مجموعات الخبراء لدراسة الموضوع والاستعداد لتدريسه للطلاب الأعضاء في مجموعاتهم الأصلية وبعد ذلك يعودون إلى هذه المجموعات والتناوب على تدريس بعضهم بعضاً ما تعلموه من معلومات ثم يتم اختبارهم واعطائهم الدرجات .

٣- البراعة الرياضية (Mathematical Proficiency) :

عرفها (عبيد، ٢٠١٧) بانها : " قدرات المتعلم على اكتساب مهارات واداء العمليات الرياضية وتوظيف ومعالجة هذه الخبرات لتشكيل بنائه المعرفي واعتماده في حل المشكلات وانتاج معرفة رياضية جديدة " (عبيد : ٢٠١٧، ١٧) .

و يُعرف الباحث البراعة الرياضية إجرائياً بأنها :

قدرات طلاب الصف السادس العلمي (التطبيقي) على اكتساب المفاهيم والتعميمات المتوافرة في الفصل الأول (الاعداد المركبة) والمرونة في تنفيذ الإجراءات الرياضية بسرعة ودقة وحل المشكلات والقدرة على التحليل والتفسير والتعليل وفق منطق رياضي سليم، تُقاس بالدرجات التي يحصلون عليها في اختبار البراعة الرياضية المُعد من قبل الباحث في هذا البحث .

٤- مهارات الاثبات الجبري (Algebraic Proof Skills) :

يعرفها (سيد أحمد، ٢٠٠٥) بأنها " أنشطة عقلية رياضية، يقوم بها الدارس عندما يواجه موقفاً رياضياً يتطلب منه البرهنة على صحة قضية رياضية ما، وتتضمن التخطيط لصياغة وكتابة البرهان ثم التحقق من صحة البرهان " (سيد أحمد : ٢٠٠٥، ٢٩) .

و يُعرف الباحث مهارات الاثبات الجبري إجرائياً بأنها :

تمكن طلاب الصف السادس العلمي (التطبيقي) على إثبات صحة القضايا الرياضية الموجودة في الفصل الأول (الاعداد المركبة) من كتاب الرياضيات المقررة باستخدام المهارات الرئيسية، تُقاس بالدرجات التي يحصلون عليها في اختبار مهارات الاثبات الجبري المُعد من قبل الباحث في هذا البحث .

سابعاً: حدود البحث Limits of the research:

يحدد البحث الحالي بـ :

١. طلاب الصف السادس العلمي (التطبيقي) في المدارس الاعدادية والثانوية الحكومية النهارية في مركز محافظة القادسية / المديرية العامة لتربية القادسية للعام الدراسي (٢٠١٩ - ٢٠٢٠) م .
٢. الفصل الاول (مجموعة الاعداد المركبة) من كتاب الرياضيات المقرر لطلاب الصف السادس العلمي التطبيقي للعام الدراسي (٢٠١٩ - ٢٠٢٠) م، لمؤلفه طارق شعبان رجب الحديثي وآخرون، ط٨، لسنة (٢٠١٨) م .

الفصل الثاني

خلفية نظرية والدراسات السابقة

① التصميم التعليمي - التعليمي :

يُشكل التصميم التعليمي الإطار النظري الذي لو أتبع لسهّل و فَعَلَ العملية التعليمية بمهامها المتنوعة، وفي العصر الذي تسارعت فيه التقنية وأصبحت الفجوة تتسع بين النظريات التربوية والتعليمية تولد الحاجة للعناية بالتصميم التعليمي لتنقل التعليم من الإطار النظري القائم على التذكر والحفظ والتلقين إلى المجال التطبيقي الذي يَشعر فيه الطلاب بفاعلية ما تعلموه عن طريق تطبيقه في حياتهم (جامع، ٢٠١٠ : ٥٣) .

أهمية التصميم التعليمي :

ويرى (الغزوي، ١٩٩٦) أن أهمية التصميم التعليمي تكمن في :

١. توطيد العلاقة بين المبادئ النظرية، وتطبيقاتها (إستخداماتها) في الموقف التعليمي .
٢. إستخدام النظريات التعليمية في تطوير الممارسات التعليمية عن طريق التعليم بالعمل .
٣. الاعتمَاد على الجهد الذاتي للطلاب في عملية التعلم .
٤. إستخدام الوسائل والأدوات والأجهزة التعليمية بأفضل طريقة .
٥. توفير الجهد والوقت عن طريق استبعاد البدائل الضعيفة، والإسهام في بلوغ الأهداف .
٦. دمج المتعلم في عملية التعلم بطريقة تحقق أقصى درجة تفاعل ممكنة مع المادة .
٧. توضيح دور المدرس على أنه مُنظم للبيئة التعليمية التي تُسهل حدوث التعلم .
٨. تقويم تعلم الطلاب، وتقويم تدريس المدرس .
٩. تفريغ المدرس للقيام بالواجبات الأخرى بالإضافة إلى التعليم (الغزوي، ١٩٩٦ : ٧-٩) .

نماذج التصميم التعليمي - التعليمي :

تهنم نماذج تصميم التعليم بالمراحل والخطوات الإجرائية لعملية تصميم التعليم مثل : (تصميم المواد والأدوات والوسائل التعليمية، والانشطة التعليمية، والحقائب التدريبية) يقدم الإنموذج أيضاً مقترحات لإجراءات تطبيقية تُرشد المدرس في غرفة الصف (الرواضية وآخرون، ٢٠١١ : ١٥٧) .

وضع علماء النفس و التربويون عدد كبير من نماذج تصميم التعليم التي تختلف في درجة سهولتها أو تعقيدها، وتفرعاتها وعدد مراحلها أو خطواتها وهذا الاختلاف والتعدد يرجع لأسباب منها اختلاف الاتجاهات والأصول النظرية للنماذج (السلوكية، النظرية، البنوية) فكل نموذج يعكس وجهة نظر أو نظرية معينة، أو قد تكون شكوك الباحثين بشأن مناسبة النماذج الموجودة لظروفهم ومشاكلهم، فيسعون لإنتاج نماذج خاصة بهم، وفي نفس الوقت أغلب نماذج تصميم

التعليم تلقتي وتشابه في عناصر أساسية وخطوات وإجراءات تقتضيها وتوجبها طبيعة العملية التربوية التي من أجلها أُسُدت هذه النماذج .

بعد استعراض الباحث لخطوات ومراحل عدد من نماذج التصميم التعليمي، وإطلاعه على الأدب التربوي والكتابات المتخصصة المعنية بالتصاميم التعليمية - التعلمية، فضلاً عن الدراسات والبحوث التي أجريت بهذا الصدد والتي تبنت نماذج جاهزة من التصاميم التعليمية وبينت أثرها بعد تجربتها في الميدان التربوي أو التي قامت ببناء تصميم تعليمي وكشفت عن أثره عن طريق التجريب، وجد الباحث أنّ هناك آراء متفاوتة في عدد خطوات أو مراحل عملية تصميم التعليم، ولكنها بشكل عام يمكن حصرها بخمس مراحل رئيسية هي :

١. مرحلة التحليل (Analysis stage)
٢. مرحلة التخطيط (Planning stage) .
٣. مرحلة التطوير (Development stage) .
٤. مرحلة التنفيذ (Implementation stage) .
٥. مرحلة التقييم (Evaluation stage) .

تتضمن كل مرحلة من هذه المراحل الرئيسية المترابطة مهاماً فرعية تكون مترابطة ومتفاعلة فيما بينها أيضاً، ويذكر (الرواضية وآخرون، ٢٠١١) أن الغالبية من نماذج تصميم التعليم تعتمد في إنشائها على ما يعرف بالإنموذج العام (ADDIE) وهذا الاختصار يتألف من الحروف الأولى للمصطلحات الانكليزية التي تقابل أسماء المراحل الخمس التي يتكون منها الإنموذج وهي : (التحليل، التخطيط، التطوير، التطبيق، التقييم) (الرواضية وآخرون، ٢٠١١ : ١٧٠)، تمّ اعتماد هذه المراحل الرئيسية بمهامها الفرعية في البحث الحالي .

② استراتيجية جيكسو (Jigsaw) :

تهدف استراتيجية جيكسو (Jigsaw) الى جعل طلاب المجموعة الواحدة يتكاملوا في أداء المهام المنوطة بهم ويشاركوا بفاعلية، فإن كان أحد الطلاب ضرورياً فإن الطالب الآخر أيضاً ضروري في المجموعة ذاتها، شعارهم التكامل والترابط، فهي تعمل على تغطية أكبر قدر من معلومات الدرس في وقت أقصر (الشمري، ٢٠١١: ٤٢) .

أن المجموعة تتعلم الموضوع ككل عن طريق مناقشة الموضوع وقراءته معاً، ثم توزع الأجزاء على أفراد المجموعة، ويقوم كل طالب بمفرده درجاته إلى مجموعته (كشكاش، ٢٠١٥ : ٢٦٧) .

بحيث تعتمد هذه الاستراتيجية على تجزئة الموضوع الواحد إلى موضوعات ومهام فرعية تقدم إلى كل عضو من أعضاء المجموعة الواحدة وتكون مهمة المعلم الإشراف على المجموعات.

مراحل استراتيجية جيكسو (Jigsaw) :

بعد إستعراض الباحث لمراحل استراتيجية جيكسو (Jigsaw) وإطلاعه على الأدب التربوي والكتابات المتخصصة المعنية باستراتيجية جيكسو (Jigsaw) فضلاً عن الدراسات والبحوث التي أجريت بهذا الصدد مثل دراسة (كشاش، ٢٠١٥) و (ملاك، ٢٠١٤) و (الديب، ٢٠١١) وجد الباحث أنّ جميع الآراء متفقة في عدد وتسمية مراحل استراتيجية جيكسو (Jigsaw) وهذه المراحل الأربع هي :

أولاً: مرحلة تقسيم مجموعة الطلاب إلى المجموعات الأصلية (مجموعة الأساس) :

وتشمل هذه المرحلة ما يلي :

- يقسم الطلاب على مجموعات غير متجانسة في قدراتهم الرياضية .
- توزع أوراق العمل بين أعضاء المجموعة بمستويات صعوبة مختلفة، ويتراوح أعضاء المجموعة (٥ - ٦) طلاب.

ثانياً: المرحلة الفردية (تجميع المعلومات)

وتشمل هذه الخطوة ما يلي :

- توزيع موضوعات الدرس على كل فرد في المجموعة الواحدة.
- اعتبار أن كل فرد في المجموعة عارف بالجزء الذي يدرسه.
- الاستعانة بالمصادر والمواد والاجهزة لفهم موضوعات الدرس .

ثالثاً: مرحلة التخصص المتجانسة (مقابلة الخبراء)

وتشمل هذه الخطوة ما يلي :

- يتقابل الخبراء من داخل (المجموعات الأصلية) الذين أخذوا نفس الجزء لمناقشة وتوضيح الأجزاء الغامضة في الدرس مع الطلاب الذين يحملون نفس البطاقات في (مجموعات الخبراء).
- يتناقش الطلاب فيما بينهم لتحضير الموضوع المكلفين به وكل طالب منهم يمتلك نفس المعلومات التي توصلوا إليها.

- بعد ذلك يرجع كل طالب بإجمال ما تم التوصل إليه إلى (المجموعة الأصلية)، ومقارنة

الملاحظات التي جمعت في ضوء آراء أفراد المجموعة التي جاء الخبراء منها من أجل تنقيتها من الفهم الخاطئ لزملائهم في المجموعات الأخرى .

رابعاً: المرحلة الختامية الكلية (تقارير المجموعة) :

وتشمل هذه الخطوة ما يأتي :

- يقوم الطالب (الخبير) بعد مقابلة الخبراء المختصين بنفس الجزء بإعداد تقرير يتعلق بالموضوع الذي يخصه على اعتبار انه ملخص يساعده في الشرح وتدریس (المجموعة الأصلية).

- يعود الطالب (الخبير) إلى مجموعته ليعرض المعلومات التي تم التوصل إليها في مجموعة الخبراء على مجموعته الأصلية، وتتم المناقشة بين الطلاب.
- تسجل العناوين الرئيسية على السبورة من قبل المعلم ومناقشتها مع المجموعات .



الشكل (١)

توضيح مراحل استراتيجية جيكسو (Jigsaw)

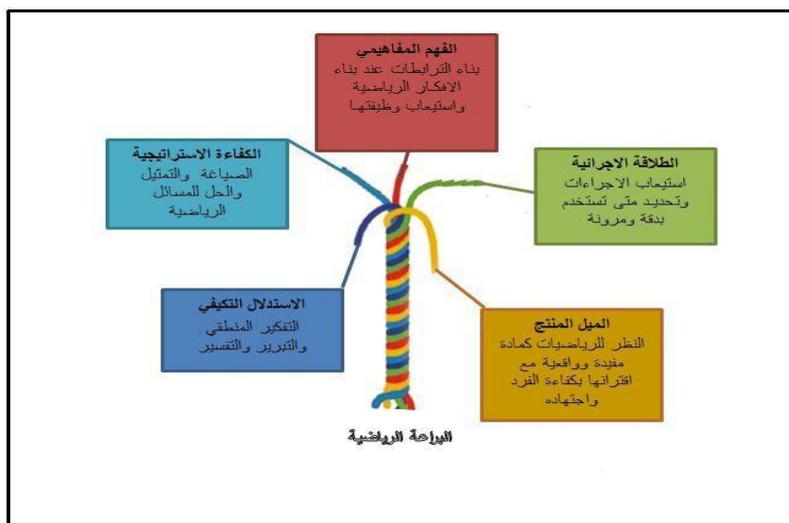
3 البراعة الرياضية (Mathematical Proficiency)

مجموعة من العمليات ومهارات التفكير والاتجاهات والميول التي تعزز تعلم الطلاب للرياضيات التي تتضمن المفاهيم الرياضية وتنفيذ الإجراءات بمرونة ودقة وشكل ملائم والقدرة على صياغة وتمثيل وحل المشكلات باعتماد استراتيجيات التفكير المنطقي والتأملي وتبرير وتفسير الحلول ويرتبط ذلك بالنعمية والعقلانية للرياضيات في الحياة العملية (حسن، ٢٠١٦ : ٥٨).

تتكون البراعة الرياضية من خمسة مكونات حسب ما اتفقت عليها الأدبيات وهي :

- 1 الفهم المفاهيمي : ان فهم المفاهيم الرياضية والموضوعات والعمليات والعلاقات بطريقة متكاملة يسمح للطلبة بربط الأفكار الجديدة الى معرفة مسبقة (مثل : مفهوم العدد المركب، وخواص عملية الجمع على العدد المركب)
- 2 الطلاقة الإجرائية : المهارة في تنفيذ الإجراءات بمرونة ودقة وكفاءة وبشكل مناسب (مثل : ما العدد المركب الذي احد جذريه $2 - i$) .
- 3 الكفاءة الاستراتيجية : القدرة على صياغة وتمثيل وحل المشكلات الرياضية (مثل : جد النسبة بين العدد $2 - i$ ونظيره الجمعي ومثله بصيغة أركانج الكارتيزية) .
- 4 الاستدلال التكميلي : القدرة على التفكير المنطقي والتفسير والتعليل (مثل : جد النسبة بين العدد $2 - i$ ونظيره الجمعي ومثله بصيغة أركانج الكارتيزية) .

٥ النزعة الرياضية المنتجة : الميل الى رؤية الرياضيات حساسة مفيدة وجديرة بالاهتمام الى جانب وجود اعتقاد في الاجتهاد وفاعلية الطالب (Kilpatrick & other, 2001: 131) (مثل : تستخدم الاعداد المركبة في الإشارات المستخدمة في تكنولوجيا الهواتف والاتصال اللاسلكي) . والمتفحص من الوهلة الأولى يظهر له ان البراعة الرياضية لا تتكون من وجه واحد، ولأيمكن ان تتحقق من خلال التركيز على واحد فقط او اثنين من فروعها فالطبيعة المتداخلة والمتراطة بين هذه المكونات .



الشكل (٢)

يوضح مكونات البراعة الرياضية

٤ مهارات الاثبات الجبري (Algebraic Proof Skills) :

أن اثبات أية مبرهنة أو تَمَرين في الرياضيات يتوجب معرفة كل خطوة من خطوات تلك المبرهنة أو ذلك التَمَرين، ووضع الرموز الملائمة، وتحديد المعطيات بشكل دقيق، وتحديد المطلوب بكل عناصره، واستدعاء جميع البديهيات والمبرهنات ذات الصلة بالمطلوب أو خطوات الوصول إليه في ضوء المعطيات، ووضع خطة لربط هذه العناصر السابقة معاً في تسلسلات منطقية من أجل الوصول إلى البرهان المطلوب، مع تبرير كل خطوة تبريراً صحيحاً (عوض وحسين، ١٩٨٧ : ١٣٤-١٣٥) .

بعد اطلاع الباحث على بعض تصنيفات مهارات الاثبات الجبري يرى أنها تلتقي في أغلب المهارات الرئيسة والفرعية وأنْ اختلفت المسميات إلا أنها نفس المعنى والدلالة العلمية الجبرية،

وعدد قليل من التصنيفات اختلفت في بعض مهارات الاثبات الجبري الرئيسية والفرعية و مصدرها الاختلاف قد يكون ناتجا من اختلاف المراحل الدراسية وخصائص الطلاب في تلك المراحل وكذلك أهداف تلك البحوث وطبيعة المحتوى الرياضي مثلا: هندسة، جبر، وأيضاً من حيث عمقه وشموله، إلا أنها بشكل عام يمكن حصرها بـ (٤) مهارات رئيسية و (١١) مهارة فرعية والتي اعتمدها الباحث مع إضافة مهارة رئيسية هي مهارة الحل بأكثر من طريقة التي انفرد بها (متولي، ١٩٩٥) والتي لم تتناولها التصنيفات السابقة وبهذا أصبح عدد المهارات الرئيسية (٥) وعدد المهارات الفرعية (١٢) لتصبح كالآتي :

أ. مهارة التخطيط : وتشمل المهارات الفرعية الآتية :

- تحديد المعطى والمطلوب في صورة علاقات رمزية.

- ترجمة القضية إلى صورة رياضية مناسبة (رمزي، لفظي، شكل هندسي) .

- إعطاء الفكرة العامة للبرهان .

ب. مهارة بناء تتابعات البرهان : وتشمل المهارات الفرعية الآتية :

- اشتقاق مجموعة استنتاجات من المعطيات .

- انتقاء ما يفيد من استنتاجات ذات الصلة بالمطلوب أو خطوات الوصول إليها .

- اشتقاق نتائج جديدة من النتائج المنتقاة مع بيان السبب .

- تحديد العلاقات الرياضية التي تربط بين النتائج التي تمّ التوصل لها .

ت. مهارة صياغة البرهان : وتشمل المهارات الفرعية الآتية :

- التعبير بصيغ رياضية رمزية صحيحة متفق عليها عن خطوات البرهان الرياضي .

- إكمال تسجيل أو كتابة برهان رياضي كامل أو بعض خطواته .

ث. مهارة مراجعة الحل : وتشمل المهارات الفرعية الآتية :

- الحكم على صحة أو خطأ برهان رياضي أو بعض خطواته مع بيان السبب.

- تحديد أي البراهين أكثر ملاءمة في حال وجود أكثر من برهان في ضوء معايير مقبولة .

ج . الحل بأكثر من طريقة أو أسلوب : وتشمل المهارة الفرعية الآتية :

- إيجاد برهان رياضي بطريقة أخرى أو أكثر لنفس القضية الرياضية موضع البرهان .

ثانياً: دراسات سابقة

المحور الاول : الدراسات التي تناولت استراتيجية جيكسو (Jigsaw) :

١.دراسة (أبو خاطر، ٢٠١٤) :

هدفت الدراسة إلى معرفة فعالية مدونة الكترونية توظف استراتيجية جيكسو في تنمية المفاهيم الحاسوبية ومهارات اتخاذ القرار، وتكونت عينة الدراسة من (٥٠) طالبة مقسمة إلى مجموعتين بالتساوي أحدهما تجريبية والأخرى ضابطة، وتكون مجتمع الدراسة من طالبات الصف الحادي عشر بغزة، وكان من أهم نتائج الدراسة وجود فروق دالة إحصائياً عند (٠،٠١) بين متوسطي درجات المجموعتين التجريبية والضابطة في التطبيق البعدي لاختبار المفاهيم الحاسوبية، واختبار ومهارات اتخاذ القرار لصالح المجموعة التجريبية (أبو خاطر، ٢٠١٤) .

٢.دراسة (كشكاش، ٢٠١٥) :

هدفت الدراسة إلى تقصي أثر استراتيجيتي جيكسو والخرائط المفاهيمية في تحصيل طلبة كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية، وقد تم استخدام المنهج التجريبي ذو الضبط الجزئي، والاختبار البعدي تصميماً

للبحث والذي تكون من مجموعتين تجريبيتين وأخرى ضابطة، وتكون مجتمع الدراسة من جميع طلبة كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية، وطُبقت الدراسة على عينة قوامها (٤٠) طالباً وطالبة، وأظهرت النتائج تفوق المجموعة التجريبية الأولى التي درست باستراتيجية جيكسو على المجموعة التجريبية الثانية التي درست باستراتيجية الخرائط المفاهيمية، وتفوق المجموعة التجريبية الأولى التي درست باستراتيجية جيكسو على المجموعة الضابطة التي درست بالطريقة التقليدية (كشكاش، ٢٠١٥) .

المحور الثاني : الدراسات التي تناولت البراعة الرياضية (Mathematical Proficiency)

١. دراسة (العبيدي والهام، ٢٠١٨) :

يهدف البحث الى تعرف على مستوى البراعة الرياضية لدى طلبة قسم الرياضيات في كليات التربية، تم تحديد مجتمع البحث الذي يمثل طلبة المرحلة الثالثة من قسم الرياضيات في كليات التربية في العراق والذي بلغ عددهم (٢٢١١) من الطلبة (ذكوراً وإناثاً)، تم تحديد عينة البحث؛ طلبة المرحلة الثالثة من قسم الرياضيات في كلية التربية للعلوم الصرفة- ابن الهيثم / جامعة بغداد وكلية التربية للعموم للصرفة/ جامعة تكريت وكلية التربية للعلوم الصرفة / جامعة ذي قار، حيث بلغ حجم العينة (٢٤٠) طالباً وطالبة موزعين بين (١٨٠) طالباً و (١٣٢) طالبة مكونين ما نسبته (٢١ %) من المجتمع الكلي.

تم بناء اختبار البراعة الرياضية لأربع مكونات (الفهم المفاهيمي، والطلاقة الإجرائية، والكفاءة الاستراتيجية، والاستدلال التكيفي)، وتكون من (٣٧) فقرة، إذ تكونت الفقرات من النوع الموضوعي والمقالي، بناء مقياس لقياس الميل المنتج نحو الرياضيات وتكون من (٢٢) فقرة. وبعد ان اجريت التحليلات الاحصائية المناسبة لكل من الاختبار والمقياس من صعوبة وتمييز وفعالية البدائل الخاطئة لفقرات الموضوعية والتأكد من الخصائص السايكومترية ليما، باعتماد الأدوات الاحصائية المناسبة لتحليل النتائج تم التوصل الى ضعف البراعة الرياضية المعرفية لدى طلبة عينة البحث نتيجة الى انهم غير بارعين في الفهم المفاهيمي والطلاقة الاجرائية والكفاءة الاستراتيجية وبارعين في الاستدلال التكيفي وكذلك ميل الطلبة كان منتجاً نحو الرياضيات بأبعاده الفرعية وادراك قيمة وطبيعة الرياضيات و لا توجد فروق بين الطلاب والطالبات في جميع مكونات البراعة الرياضية (العبيدي والهام، ٢٠١٨) .

٢.دراسة (شتيوي واخرون، ٢٠١٩) :

هدفت الدراسة الى استقصاء اثر التدريس القائم على المهمات الادائية في البراعة الرياضية لدى طلبة الصف الخامس، وقد تكونت عينة البحث من مجموعتين تجريبيتين عدد افرادهما (١٥) طالبا وطالبة، تم تدريسهم باستخدام الوحدة المطورة وضابطة عدد افرادها (١٥) طالب وطالبة تم تدريسهم بالطريقة الاعتيادية .

ولتحقيق هدف البحث تم تطوير وحدة الهندسة والقياس للصف الخامس اعتمادا على المهمات الادائية، واعداد اختبار البراعة الرياضية، وقد خلصت نتائج الى وجود فروق ذات دلالة عند مستوى دلالة (٠,٥)، بين المجموعتين التجريبية والضابطة في اختبار البراعة الرياضية لصالح المجموعة التجريبية، واوصت الدراسة بضرورة تطوير وحدات دراسية أخرى اعتمادا على المهمات الادائية (شتيوي واخرون، ٢٠١٩) .

**المحور الثالث : الدراسات التي تناولت مهارات الاثبات الجبري (Algebraic Proof)
:(Skills)**

١.دراسة (أبو الرايات، ٢٠١٨) :

هدف البحث الى التعرف على فاعلية استراتيجيات الخرائط الذهنية الالكترونية في تنمية مهارات الاثبات الجبري وخفض العبء المعرفي لدى طالبات الصف الثاني الاعدادي في جمهورية مصر العربية، تم استخدام المنهج شبه التجريبي وبلغت عينة البحث (٦٠) طالبة منهم (٣٠) طالبة كمجموعة تجريبية) من احدى مدارس إدارة المحلة شرق التابعة بالغربية، وتم بناء اختبار مهارات الاثبات الجبري ومقياس العبء المعرفي والتحقق من صدقها وثباتها وتوصلت الدراسة الى النتائج الاتية :

لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (٥ ، ٠ ، ٠) بين متوسطي درجات طالبات المجموعتين التجريبية والضابطة في الدرجة الكلية لاختبار مهارات الاثبات الجبري ومقياس العبء المعرفي لصالح المجموعة التجريبية، وقد اوصي الباحث بعدد من التوصيات من أهمها توظيف استراتيجيات الخرائط الذهنية الالكترونية في تدريس الرياضيات (أبو الريات، ٢٠١٨) .

٢.دراسة (عصر والبشلاوي، ٢٠٢١) :

هدف البحث الى تدريس برنامج قائم على المنطق الرياضي من اجل تنمية مهارات الاثبات الجبري لدى تلاميذ الصف الثاني الاعدادي في الجمهورية المصرية .

تكونت عينة البحث من (٤٠) تلميذا تم تقسيمهم الى مجموعتين مجموعة تجريبية بلغ عددهم (٢١) تلميذا درسوا البرنامج القائم على المنطق الرياضي بالتوازي مع دراستهم لوحدي الجبر(الاعداد الحقيقية والعلاقة بين متغيرين) المقررتين على الصف الثاني الاعدادي ومجموعة ضابطة بلغ عددهم (١٩) تلميذا درسوا وحدتي الجبر بالطريقة الاعتيادية وتم اختبار المجموعتين قبلها وبعديا في اختبار قياس مهارات الاثبات الجبري واظهرت النتائج فعالية البرنامج القائم على المنطق الرياضي في تنمية تلك المهارات وفي ضوء ما اسفر عنه البحث من نتائج قدم البحث مجموعة من التوصيات كان من ابرزها الاهتمام بابرار بعض موضوعات المنطق الرياضي في منهج الرياضيات للمرحلة الإعدادية (عصر والبشلاوي، ٢٠٢١) .

الفصل الثالث

منهجية البحث وإجراءاته

منهج البحث : Research Methodology

تمثل منهجية البحث الطريق الإجرائي الذي يعتمد عليه الباحث للوصول إلى حقيقة جديدة ويتغلب فيها على مشكلة غامضة، ويحدد طبيعة البحث وهدفه المنهج المستخدم في تناول مشكلته الذي يشتمل على مجموع العمليات والأدوات والإجراءات المستخدمة في جمع المعلومات المطلوبة وتحليلها وتفسيرها للحصول على الإجابات المناسبة لحل المشكلة وعليه كان من المناسب لما سبق الاعتماد منهج البحث التجريبي .

إجراءات البحث : Research Procedures

أولاً : التصميم التجريبي Experimental Design

اعتمد الباحث التصميم التجريبي ذا الاختبار البعدي والضبط الجزئي لمجموعتين متكافئتين (تجريبية و ضابطة) كما في جدول (١) .

الجدول (١)

التصميم التجريبي المعتمد في البحث

المتغير التابع	المتغير المستقل	المجموعة
البراعة الرياضية	التصميم التعليمي - التعليمي وفقاً لاستراتيجية جيكسو (Jigsaw)	التجريبية
مهارات الاثبات الجبري	الطريقة الاعتيادية	الضابطة

ثانياً : مُجْتَمَعُ البحث Research Population

حُدِّدَ مُجْتَمَعُ البحث بطلاب الصف السادس العلمي (التطبيقي) في المدارس الحكومية النهارية للبنين للعام الدراسي (٢٠١٩-٢٠٢٠) م في مركز محافظة القادسية / المديرية العامة لتربية القادسية .

ثالثاً : عينة البحث Research Sample

أُخْتِيرَت اعدادية قتيبة للبنين بشكل عشوائي عينةً لمُجْتَمَعِ المدارس، ثم بالاختيار العشوائي تمَّ تحديد شعبتين (ب، ج) من شعب الصف السادس العلمي (التطبيقي) لَمَثَلًا مجموعتي البحث فكانت شعبة (ب) والبالغ عددها (٢٩) طالباً تَمَثَلُ المجموعة التجريبية والتي درست بالتصميم التعليمي - التعليمي وفقاً لاستراتيجية جيكسو (Jigsaw) والشعبة (ج) والبالغ عددها (٢٨) طالباً تَمَثَلُ المجموعة الضابطة والتي درست بالطريقة الاعتيادية .

رابعاً: تكافؤ مجموعتي البحث :

تم تكافؤ مجموعتي البحث في عدد من المتغيرات هي (العمر، الذكاء، المعرفة السابقة، التحصيل السابق في الرياضيات، المعدل العام للتحصيل السابق)، وحُسب المتوسط الحسابي والتباين لكلا المجموعتين لاختبار الفرق القيم للمتوسط الحسابي والتباين وقيمة T المحسوبة والجدولية للمتغيرات وظهرت النتائج ان كافة القيم المحسوبة كانت اقل من القيم الجدولية البالغة (٢,٠٠١) عند مستوى (٠,٠٥) ودرجة حرية (٥٥) وهذا يعني ان مجموعتي البحث متكافئتان في المتغيرات الخمسة المذكورة .

خامساً : مستلزمات البحث Research Requirements

تمَّ تحديد مراحل التصميم التعليمي - التعليمي (في خلفية البحث النظرية) بخمس مراحل (التحليل، التخطيط، التطوير، التنفيذ، التقييم) تضمنت الخطوة الحالية (مستلزمات البحث) ثلاث مراحل هي (التحليل، التخطيط، التطوير) .
تحديد المادة العلمية :

حددت المادة العلمية بفصل الأول (الاعداد المركبة) من كتاب الرياضيات المقرر تدريسه على طلاب الصف السادس العلمي (التطبيقي) للعام الدراسي ٢٠١٩-٢٠٢٠ م .
٢. إعداد الخطط التدريسية :

تم إعداد الخطط التدريسية اليومية للتجريبية والضابطة للصف السادس العلمي (التطبيقي)، التجريبية التي درست وفقاً للتصميم التعليمي لاستراتيجية جيكسو (Jigsaw) والضابطة وفق الطريقة الاعتيادية، تم عرض نماذج من هذه الخطط على مجموعة من الخبراء في الرياضيات وطرائق تدريسها والمشرفين الاختصاص ومدرسي مادة الرياضيات ومدرساتها للإفادة من آرائهم وتوجيهاتهم، وفي ضوء هذا أُجري التعديل في تلك الخطط من أجل الوصول إلى صورتها النهائية.

سادساً : أداتا البحث Research two Tools**١.أختبار البراعة الرياضية (Mathematical Proficiency) :**

لعدم توافر اختبار جاهز لقياس البراعة الرياضية في مادة الرياضيات ينسجم مع عينة البحث، تطلب إعداد اختبار للبراعة الرياضية، قام الباحث بأعداد عدد من الفقرات في مستوى طلاب المرحلة الاعدادية (السادس علمي التطبيقي) لكي تقيس لديهم مكونات البراعة الرياضية الأربعة (الفهم المفاهيمي، الطلاقة الإجرائية، الكفاءة الاستراتيجية و الاستدلال التكميلي)، وقد حُددت فقرات الاختبار بـ (٢٠) فقرة موزعة بين (١١) فقرة من نوع الاسئلة المقالية و (٩) فقرات من نوع الأسئلة الموضوعية موزعة على المجالات الفرعية، وبعد عرضها للاختبار على الخبراء

والمحكمين بلغت نسبة الاتفاق على أكثر من ٨٠ % وبذلك أصبح الاختبار جاهزاً بصورته النهائية .

الجدول (٢)

توزيع فقرات اختبار البراعة الرياضية على مجالاتها الفرعية

الأسئلة المقالية		
ت	مكونات البراعة الرياضية	رقم الفقرة التي تقيس المجال
١	الفهم المفاهيمي	١٠، ٧، ١
٢	الطلاقة الإجرائية	٨، ٥، ٢
٣	الكفاءة الاستراتيجية	٦، ٣، ٤
٤	الاستدلال التكميلي	١١، ٩
الأسئلة الموضوعية		
ت	مكونات البراعة الرياضية	رقم الفقرة التي تقيس المجال
١	الفهم المفاهيمي	٧، ٣، ٢
٢	الطلاقة الإجرائية	٤
٣	الكفاءة الاستراتيجية	٨، ٦، ١
٤	الاستدلال التكميلي	٩، ٥

تم التأكد من الصدق الظاهري وصدق المحتوى للاختبار وذلك بعرضه مع محتوى المادة العلمية على مجموعة من الخبراء والمتخصصين في الرياضيات وطرائق تدريسها اعتمدت نسبة اتفاق ٨٠% وفي ضوء هذا اجري التعديل في تلك الفقرات من اجل الوصول إلى صورتها النهائية.

تم تطبيق الاختبار على عينة استطلاعية بلغ عددها (١٠٢) طلاب من طلاب الصف السادس العلمي (التطبيقي) يوم الاربعاء المصادف ٢٠١٩/١/٢، اختبروا بصورة عشوائية من إحدى اعداديات البنين ضمن مجتمع البحث من غير طلاب عينة البحث، حُسبت معاملات الصعوبة لكل فقرة من فقرات الاختبار فتراوحت نسبتها بين (٣١% - ٦٢%) و حُسبت القوة التمييزية لكل فقرة من فقرات الاختبار المقالي بحسب المعادلة الخاصة بها، فتراوحت نسبتها بين (٣٣% - ٦٣%) .

وتمَّ حساب معامل ثبات الاختبار باستخدام الفاكرونباخ اذ بلغ معامل ثبات الاختبار (٧٠،٠) وهذا يدل على أن الاختبار يحظى بدرجة جيدة من الثبات، وبعد التأكد من دلالات صدق الاختبار وثباته والتحليل الإحصائي لفقراته عُدَّ جاهزاً للتطبيق .

مقياس النزعة المنتجة :

اما فيما يخص النزعة المنتجة وهو المكون الخامس من مكونات البراعة الرياضية تم تحديد

ابعاد مقياس الميل الى بعدين :

١. ادراك قيمة وطبيعة الرياضيات بالنظر اليها بانها واقعية ومفيدة .

٢. الايمان بكفاءة الفرد واجتهاده .

يتكون مقياس النزعة المنتجة من (٣٣) فقرة بمقياس خماسي (أوافق بشدة، أوافق، محايد، معارض، معارض بشدة) إذ أعطيت الاوزان المتدرجة الاتية (٥، ٤، ٣، ٢، ١) على التوالي صحح المقياس من (١٦٥) كأعلى درجة و (٣٣) كأدنى درجة تم التحقق من صدق المقياس الظاهري بعد ان تم عرض فقرات المقياس على مجموعة من الخبراء ليصل الى صورته النهائية، تم تجريب المقياس بعرضه على عينة استطلاعية بلغ عددهم (١٠٤) طالب من طلاب الصف السادس العلمي (التطبيقي) طبق المقياس يوم الاثنين المصادف ٩ / ١٢ / ٢٠١٩م، تم اختيارهم عشوائيا من إحدى اعداديات البنين التابعة لمجتمع البحث من غير طلاب عينة البحث، بعد إكمال إعداد المقياس بصورته النهائية، تم تطبيقه على عينة البحث في يوم الأربعاء المصادف ٢٠٢٠/١/٨ .

٢. اختبار مهارات الاثبات الجبري (Algebraic Proof Skills) :

بعد اطلاع على الأدب التربوي والبحوث والدراسات السابقة والكتابات المتخصصة التي

تناولت مهارات الاثبات الجبري والمهارات الرئيسية (٥) وهي :

(مهارة التخطيط، مهارة بناء تتابعات البرهان، مهارة صياغة البرهان، مهارة مراجعة الحل و الحل بأكثر من طريقة أو أسلوب) وعدد المهارات الفرعية (١٢)

، تمَّ تحديد عدد فقرات اختبار مهارات الاثبات الجبري ب (٢٤) فقرة، تمت صياغة فقرات اختبار مهارات الاثبات الجبري بعد عرضها على الخبراء والمحكمين .

حُسبت معاملات الصعوبة لكل فقرة من فقرات اختبار مهارات الاثبات الجبري فتراوحت

نسبتها بين (٢٨% - ٦٣%)، حُسبت القوة التمييزية لكل فقرة من فقرات اختبار مهارات الاثبات

الجبري فتراوحت نسبتها بين (٢٢% - ٥٩%) وبناءً على ما سبق عُدت فقرات الاختبار مقبولة.

تمَّ التحقق من الصدق الظاهري وصدق البناء عن طريق استخدام الباحث معامل ارتباط

بيرسون لاستخراج العلاقة الارتباطية بين درجات كل فقرة من فقرات الاختبار والدرجة الكلية

لطلاب العينة الاستطلاعية، ظهرت النتائج أن جميع معاملات الارتباط كانت دالة إحصائياً،

كما في جدول (٣).

الجدول (٣)

ارتباط درجة الفقرة بالدرجة الكلية للاختبار

الفقرة	درجة معامل الارتباط	الفقرة	درجة معامل الارتباط
١	٧٠٣،٠	١٣	٥٢٨،٠
٢	٦٧٨،٠	١٤	٥٠٢،٠
٣	٧١١،٠	١٥	٦٧٣،٠
٤	٦٩٤،٠	١٦	٦٨٤،٠
٥	٦٣١،٠	١٧	٥٦٦،٠
٦	٦٩٤،٠	١٨	٦٨٧،٠
٧	٥٤٣،٠	١٩	٦٠٣،٠
٨	٥٦٤،٠	٢٠	٥٦٤،٠
٩	٦٤٨،٠	٢١	٤٩٨،٠
١٠	٧١٧،٠	٢٢	٣٤٥،٠
١١	٣٤٩،٠	٢٣	٧٠٢،٠
١٢	٤٢٢،٠	٢٤	٦٧١،٠

الصدق العاملي :

- لقياس درجة تشبع كل مهارة (المجال الفرعي) من مهارات الإثبات الجبري (المجال الكلي)، وتحديد كفاءة المجالات الفرعية وأكثرها تمثيلاً، اعتمدت الإجراءات الآتية :
- حساب مصفوفة معاملات الارتباط الداخلية بين مهارات الإثبات الجبري.
 - إيجاد مجموع الارتباطات لكل مهارة من مهارات الإثبات الجبري.
 - إيجاد المجموع الكلي لمصفوفة معاملات الارتباطات الداخلية من الجدول ويبلغ (٦٣٢،١٧).
 - اخذ الجذر التربيعي للمجموع الكلي لمصفوفة معاملات الارتباطات الداخلية وكان (١٩٩،٤).

- قسمة مجموع الارتباطات العمودية لكل مهارة من مهارات الإثبات الجبري على الجذر التربيعي للمجموع الكلي للارتباطات، يمثل الناتج درجة تشبع كل مهارة من مهارات الإثبات الجبري، وكما في جدول (٤) .

الجدول (٤)

مصفوفة معاملات الارتباط بين مهارات البرهان الرياضي

المجموع	الحل بأكثر من طريقة أو أساليب	مراجعة الحل	صياغة البرهان	بناء تتابعات البرهان	التخطيط	مهارات الاثبات الجبري
٤١٢,٣	٣٧٥,٠	٤٩١,٠	٧٣٢,٠	٥٤٦,٠	١	التخطيط
٣٧٥,٣	٦٠٩,٠	٥٤٧,٠	٦٧٣,٠	١	٥٤٦,٠	بناء تتابعات البرهان
٩٦٤,٣	٧٦٥,٠	٧٧٦,٠	١	٦٧٣,٠	٧٣٢,٠	صياغة البرهان
٤٧٣,٣	٦٥٩,٠	١	٧٧٦,٠	٥٤٧,٠	٤٩١,٠	مراجعة الحل
٤٠٨,٣	١	٦٥٩,٠	٧٦٥,٠	٦٠٩,٠	٣٧٥,٠	الحل بأكثر من طريقة أو أساليب
٦٣٢,١٧	٤٠٨,٣	٤٧٣,٣	٩٦٤,٣	٣٧٥,٣	٤١٢,٣	المجموع
	٨١٢,٠	٨٢٧,٠	٩٤٤,٠	٨٠٤,٠	٨١٣,٠	درجة التشبع

نلاحظ أن درجات تشبع مهارات الاثبات الجبري محصورة بين (٨٠٤,٠ - ٩٤٤,٠) وهي مقبولة، إذ يشير (الإمام وآخرون، ١٩٩٠) إلى " أن درجة التشبع من (٣٠,٠) فما فوق تعد مقبولة " (الإمام وآخرون، ١٩٩٠ : ١٣٨) .

الثبات **The Reliability**

تمَّ حساب معامل ثبات اختبار مهارات الاثبات الجبري باستخدام معادلة الفاكرونباخ (Alpha Cronbach) وذلك ؛ لأنها تقيس الاتساق والتجانس الداخلي بين فقرات الاختبار . "وتُعد الاختبارات جيدة إذا كان معامل ثباتها محصوراً بين (٦٠,٠ - ٨٥,٠) وهذا يدل على أن الاختبار يحظى بدرجة مقبولة من الثبات .

سادساً : إجراءات التطبيق **Appliance Procedures** :

بدأت التجربة في يوم الاحد المصادف ٦ / ١٠ / ٢٠١٩م، وانتهت يوم الاحد المصادف ١ / ١٢ / ٢٠١٩م، قام الباحث بتدريس كلا المجموعتين التجريبية والضابطة، بعد انتهاء التدريس لكلا المجموعتين طبق اختبار البراعة الرياضية يوم الاحد ٨ / ١٢ / ٢٠١٩م، وطبق مقياس النزعة المنتجة المكون الخامس للبراعة الرياضية يوم الاثنين ٩ / ١٢ / ٢٠١٩م اما اختبار مهارات الاثبات الجبري طبق يوم الأربعاء ١١ / ١٢ / ٢٠١٩م، بعد أن تمَّ إبلاغ الطلاب بموعد الاختبارات قبل مدة من موعدها .

سابعاً : الوسائل الإحصائية Statistical Tools :

الاختبار التائي (t-test) لعينتين مستقلتين

- إستخدم لمكافأة طلاب مجموعتي البحث في (العمر الزمني، التحصيل السابق في الرّياضيّات، المعدل العام للتحصيل السابق، المعلومات السابقة في الرّياضيّات، والذكاء) .
- إستخدم لمعرفة دلالة الفرق بين متوسطي درجات طلاب مجموعتي البحث في البراعة الرياضية واختبار مهارات الاثبات الجبري .

معادلة صعوبة الفقرة Difficulty Equation

- إستخدمت لحساب معامل صعوبة فقرات كل من اختبار البراعة الرياضية واختبار مهارات الاثبات الجبري .

معادلة تمييز الفقرة Discrimination Equation

- إستخدمت لحساب معامل تمييز فقرات كل من اختبار البراعة الرياضية واختبار مهارات الاثبات الجبري .

معامل ارتباط بيرسون persons correlation coefficient

- إستخدم لحساب معامل الارتباط بين درجات اختبار البراعة الرياضية ودرجات اختبار مهارات الاثبات الجبري لطلاب المجموعة التجريبية .
- إستخدم لحساب صدق البناء وصدق الارتباطات الداخلية لاختبار البراعة الرياضية واختبار مهارات الاثبات الجبري.

معادلة ألفا- كرونباخ Alpha Cronbach Equation

- إستخدمت لحساب ثبات كل من اختبار البراعة الرياضية واختبار مهارات الاثبات الجبري .

معادلة كوبر Cooper Equation

- أُستخدمت لحساب ثبات تصحيح الأسئلة المقالية كل من اختار البراعة الرياضية واختبار مهارات الاثبات الجبري نائية بيرسون :
- إستخدمت لمعرفة دلالة معامل ارتباط بيرسون بين اختبار البراعة الرياضية واختبار مهارات الاثبات الجبري عند طلاب المجموعة التجريبية .

الفصل الرابع

عرض النتائج Presentation of the Results

التحقق من الفرضية الصفرية الاولى التي تنص على :
لايوجد فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٥) بين متوسطي درجات طلاب المجموعة التجريبية (الذين يُدرّسون بالتصميم التعليمي - التعليمي وفقا لاستراتيجية جيكسو (Jigsaw)) ودرجات طلاب المجموعة الضابطة (الذين يُدرّسون بالطريقة الاعتيادية) في البراعة الرياضية .
وللتحقق من الفرضية الصفرية يلاحظ نتائج مجموعتي البحث على اختبار البراعة الرياضية، وكما وردت في جدول (٥) .

الجدول (٥)

نتائج الاختبار التائي لمعرفة دلالة الفرق بين متوسطي درجات المجموعتين التجريبية والضابطة على اختبار البراعة الرياضية

الدلالة الإحصائية عند مستوى دلالة (٠,٠٥)	قيمة (t)		درجة الحرية	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	العدد	المجموعة
	الجدولية	المحسوبة					
دالة إحصائياً	٠,٠٥,٢	٩٧٨,٢	٥٥	٤٠٨,١٢	٥٥١,٦٦	٢٩	التجريبية
				٢٠٩,١١	٢١٤,٥٧	٢٨	الضابطة

بلغت قيمة (t) المحسوبة (٩٧٨,٢) وهي أكبر من قيمة (t) الجدولية (٠,٠٥,٢) عند مستوى دلالة (٠,٠٥) ودرجة حرية (٥٥) وهذه النتيجة تقودنا الى رفض الفرضية الصفرية وقبول الفرضية البديلة اي انه يوجد فرق بين درجات المجموعتين وان الفرق جاء لصالح المجموعة التجريبية، يعزو الباحث ذلك الى ان التصميم التعليمي - التعليمي وفقا لاستراتيجية جيكسو (Jigsaw) يعرض المعلومات أو يقدمها بشكل يعمق فهمهم المفاهيمي ويزيد من قدرتهم على استخدامها في حل الخوارزميات وتمكينهم من ممارسة الطلاقة الإجرائية والتأثير على قدراتهم التبريرية والاستنتاجية حيث تتيح استراتيجية جيكسو (Jigsaw) للطلاب فرصا اكبر للتفاعل والمشاركة الإيجابية، فضلاً عن أنها تُؤدّ جواً تربوياً بعيداً عن الخوف والارتباك وفقدان الثقة بالنفس مما قد ينعكس بالإيجاب والميل نحو النزعة الرياضية المنتجة .

التحقق من الفرضية الصفرية الثانية التي تنص على :
 . لا يوجد فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٥٠) بين متوسطي درجات طلاب المجموعة
 التجريبية (الذين يُدرّسون بالتصميم التعليمي - التعليمي وفقاً لاستراتيجية جيكسو (Jigsaw))
 ودرجات طلاب المجموعة الضابطة (الذين يُدرّسون بالطريقة الاعتيادية) في مهارات الاثبات
 الجبري .

وللتحقق من الفرضية الصفرية يلاحظ نتائج مجموعتي البحث على اختبار مهارات الاثبات
 الجبري، وكما وردت في جدول (٦).

الجدول (٦)

نتائج الاختبار التائي لمعرفة دلالة الفرق بين متوسطي درجات المجموعتين التجريبية

والضابطة على اختبار مهارات الاثبات الجبري

الدلالة الإحصائية عند مستوى دلالة (٠,٥٠)	قيمة (t)		درجة الحرية	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	العدد	المجموعة
	الجدولية	المحسوبة					
دالة إحصائياً	٠,٥٥٢	٦,٠١٢	٥٥	٧,١٢	٠,٣٦٥	٢٩	التجريبية
				٨٧٢,١٠	٣٤١,٥٣	٢٨	الضابطة

بلغت قيمة (t) المحسوبة (٦,٠١٢) وهي أكبر من قيمة (t) الجدولية (٠,٥٥٢) عند
 مستوى دلالة (٠,٥٠) ودرجة حرية (٥٥) وهذه النتيجة تقودنا الى رفض الفرضية الصفرية وقبول
 الفرضية البديلة اي انه يوجد فرق بين درجات المجموعتين وان الفرق جاء لصالح المجموعة
 التجريبية، يعزو الباحث ذلك الى ان التصميم التعليمي - التعليمي وفقاً لاستراتيجية جيكسو
 (Jigsaw) يجعل الطالب يُقوم أداءه باستمرار كفرد أو كفريق ؛ لأنه ضمن مجموعة، وعليه
 يُصحح مسار التعلم باستمرار وجعله أكثر وعياً بأخطائه وكيفية تصحيحها من قبل مجموعة
 الخبراء حيث تحدد فكرة الحل واستخلاص استنتاجات مفيدة و بطريقة منطقية مترابطة وصولاً إلى
 المطلوب وذلك للحصول على أفضل نتيجة ممكنة له ولرفيقه مما قد يزيد من امكانيته في الاثبات
 الجبري .

التحقق من الفرضية الصفرية الثالثة التي تنص على :

لا توجد علاقة ذات دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٥٠) بين متوسطي درجات طلاب المجموعة
 التجريبية على اختبار البراعة الرياضية واختبار مهارات الاثبات الجبري .

استخدام معامل ارتباط بيرسون لحساب معامل الارتباط بين اختبار البراعة الرياضية واختبار
 مهارات الاثبات الجبري، إذ بلغت قيمة معامل الارتباط (٤٩٩,٠٠) اي إن هنالك علاقة ارتباطية
 معتدلة ذات دلالة إحصائية بين اختبار البراعة الرياضية واختبار مهارات الاثبات الجبري لدى

طلاب المجموعة التجريبية، إذ ذكر (البياتي وإثناسيوس، ١٩٧٧) إذا كان معامل الارتباط أقل من (٢٥٠٠) تكون العلاقة ضعيفة أما إذا كان بين (٢٥٠٠ - ٤٩٠٠) فتكون معتدلة وإذا كانت (٥٠٠٠ - ٧٥٠٠) تكون قوية أما إذا كان أعلى من (٧٥٠٠) تكون قوية جداً . (البياتي وإثناسيوس، ١٩٧٧: ١٩٤)

الجدول (٧)

معرفة نوع العلاقة وقوتها بين متوسطي درجات طلاب المجموعة التجريبية في اختبار البراعة الرياضية واختبار مهارات الاثبات الجبري

نوع العلاقة وقوتها	معامل ارتباط بيرسون	الانحراف المعياري	متوسط الدرجات	عدد الطلاب	المتغيرات
موجبة معتدلة	٤٩٩,٠٠	٤٠٨,١٢	٥٥١,٦٦	٢٩	البراعة الرياضية
		٧,١٢	٠٣,٦٥	٢٩	مهارات الاثبات الجبري

يعزو الباحث ذلك الى أنّ الطلاب الذين يحصلون على درجات مرتفعة في اختبار مهارات الاثبات الجبري يركزون على تحديد المشكل ومن ثم المعطى والمطلوب والمعلومات المهمة ومن ثم تحديد فكرة الحل واستخلاص استنتاجات مفيدة و بطريقة منطقية معللة مترابطة وصولاً إلى المطلوب وهذا ما يتوجب عليهم استرجاع القوانين والرموز والمصطلحات والأفكار والترابطات باستمرار، إضافة إلى أنّ استراتيجية جيكسو (Jigsaw) التي تجعل الطلاب متفاعلين متمكن كل منهم من الجزء الخاص به ثم تبادل الخبرات التعليمية تجعلهم اقدر على فهم المحتوى المفاهيمي والميل للحل بأكثر من طريقة وتحديد المعطيات والمعلومات المهمة، وهذا الانتظام والترابط والتواصل مع المادة ومراجعتها باستمرار قد ينعكس بالإيجاب على براعتهم الرياضية وبالعكس .

الاستنتاجات والتوصيات والمقترحات

الاستنتاجات : Conclusions

من خلال ملاحظة الباحث وما أسفرت عنه نتائج البحث، تمّ التوصل إلى الاستنتاجات الآتية :

١. للتصميم التعليمي - التعليمي وفقاً لاستراتيجية جيكو اثر في البراعة الرياضية ومهارات الاثبات الجبري .

٢. اغلب الطلاب يمتلك رغبة واسعة للتعلم تزداد عندما يعطى اهتماما ووضع مسؤولا عن مهمة تعليمية .

٣. التدريس على وفق التصميم التعليمي - التعليمي وفقاً لاستراتيجية جيكو جعل الطلاب محور عملية التعليم والتعلم ويزيد من نشاطهم وتحتم عليهم الانتباه والتفكير لإيجاد حلول صحيحة لما يعرض عليه من امثلة ومواقف رياضية، وكذلك يعمل على تنمية روح الجماعة والتعاون بين الطلاب في جو تنافسي ودي يسعى إلى تحقيق الأهداف وهذا ما تُركز عليه التربية الحديثة في جعل الطالب محوراً للعملية التعليمية التربوية.

٤. هناك تحديات تواجه التدريس وفقاً لاستراتيجية جيكو الا وهي يجب تعلم جميع الطلاب حتى ضعيفي المستوى وهذا ما يصيب الطلاب ذوي المستويات العليا بالتذمر والملل .

التوصيات : Recommendations

في ضوء نتائج البحث وبناء على ملاحظات الباحث انبثقت التوصيات الآتية :

توصيات للقائمين على التأليف والتدريب في وزارة التربية :

- تضمين برامج تأهيل وتدريب مدرسي الرياضيات على كيفية بناء التصاميم التعليمية - التعلمية وخاصة على وفق استراتيجية جيكو وإجراءات تنفيذها، لما لها من كفاءة عالية في إعطاء النتائج الجيدة ومساعدة طلابهم في بلوغ أهدافهم وبشكل تعاوني .

- إثراء مناهج الرياضيات للصف السادس العلمي في مختلف المراحل الدراسية بالانشطة والمواقف الرياضية التي تدعم المشاركة الطلابية التعاونية التي تساعد الطلاب على ردم الفجوات في تراكيبهم المفاهيمية وطلاقتهم في الحل .

توصيات لمدرسي الرياضيات :

- ضرورة اطلاع ومعرفة مدرسي مادة الرياضيات وبالأخص مدرسي السادس العلمي لان الطالب مباشرة بعدها ينتقل للتخصصات التي تحتاج براعة رياضية على التصاميم التعليمية - التعلمية ومنها القائمة على استراتيجية جيكو لأنها أثبتت فاعليتها في البراعة الرياضية ومهارات الاثبات الجبري والذين يمثلان من اهم التحديات التي تواجه الطلاب في مادة الرياضيات .

- الاهتمام بالأنشطة الجماعية التي تسهم في تطوير التراكيب المنطقية الرياضية عند الطلاب والتي تزيد من براعتهم الرياضية وقدرتهم على بلوغ المطلوب بشكل خطوات صحيحة ومعللة ومتربطة.

المقترحات : Suggestions

أنّ القيمة الحقيقية للبحث العلمي لا تتطوي فقط على ما يتوصل إليه البحث من حل المشكلات (موضوع البحث) ولكن في الكشف عن مشكلات جديدة، جديرة بالبحث والدراسة ؛ لذا استكمالاً لهذه البحث وامتداداً له يقترح الباحث:

- بناء تصميم تعليمي - تعليمي وفقاً لاستراتيجية جيكسو في مواضيع رياضية .
- إجراء دراسة مسحية للكشف عن الصعوبات التي تواجه الطلاب و المدرسين في تدريس الاعداد المركبة .
- دراسة مقارنة بين استراتيجية جيكسو وبعض استراتيجيات التدريس الأخرى ومعرفة أثرها على متغيرات تابعة عند الطلاب في مراحل دراسية مختلفة .

ثبت المصادر

- ❖ أبو الريات، علاء المرسي (٢٠٠٤) : فاعلية استخدام نموذج ابعاد التعلم لمارزانو في تدريس الرياضيات في تنمية البراعة الرياضية لدى طلبة المرحلة الإعدادية، المجلد (١٧)، مجلة تربويات الرياضيات، مصر .
- ❖ أبو خاطر، دعاء عادل (٢٠١٤) : "فاعلية مدونة الكترونية توظف استراتيجية جيكسو في تنمية المفاهيم الحاسوبية ومهارات اتخاذ القرار لدى طالبات الصف الحادي عشر بغزة". رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة غزة الإسلامية، فلسطين .
- ❖ الإمام، محمد مصطفى وآخرون (١٩٩٠) : التقويم والقياس، ط١، دار الحكمة للطباعة والنشر، بغداد .
- ❖ جامع، حسن (٢٠١٠) : تصميم التعليم، ط١، دار الفكر، الأردن .
- ❖ الحديثي، طارق شعبان وآخرون (٢٠١٩) : الرياضيات للصف السادس العلمي الفرع التطبيقي، ط٩، بغداد، العراق .
- ❖ حسن، شيماء محمد (٢٠١٨) : فاعلية برنامج قائم على استراتيجيات التدريس المتمايز في تنمية الكفاءة الرياضية لدى طلاب المرحلة الثانية، مجلة تربويات الرياضيات، م، ١٩ع، ٥، ابريل، مصر.
- ❖ الديب، أوصاف علي (٢٠١١) : أثر استخدام طريقة الجيكسو في إكساب طلبة دبلوم التأهيل التربوي لمفهوم واستراتيجيات تفريد التعليم المعاصر في كلية التربية بجامعة دمشق". مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، العلوم الإنسانية والآداب، مجلد (٣٣)، العدد (٣)، ص ص (٦٣ - ٧٣).
- ❖ الرواضية، صالح محمد وآخرون (٢٠١١) : التكنولوجيا وتصميم التدريس، ط١، زمزم ناشرون وموزعون، الاردن .
- ❖ الساعدي، عمار طعمة جاسم (٢٠٠٨) : " تصميم تعليمي - تعليمي على وفق النظرية البنائية وأثره في تحصيل مادة الرياضيات والدافعية نحوها وتنمية مهارات التفكير الإبداعي لدى طلبة كلية التربية الأساسية، اطروحة دكتوراه غير منشوره "، كلية التربية للعلوم الصرفة ابن الهيثم، جامعة بغداد، العراق .
- ❖ سيد أحمد، أحمد محمد (٢٠٠٥) : " فاعلية تدريس وحدة مقترحة لتنمية مهارات البرهان الرياضي لدى طلاب كليات التربية بشعب الرياضيات "، دراسات في المناهج وطرق التدريس، مجلة كلية التربية، جامعة قناة السويس، مصر

- ❖ شتيوي، امال صالح واخرون (٢٠١٩) : تطوير وحدة تدريسية قائمة على المهمات الادائية واثرها على البراعة الرياضية لدى طلبة الصف الخامس، " مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات التربوية والنفسية " المجلد (١١)، العدد (٢٩)، القدس، فلسطين .
- ❖ الشمري، محمد الماشي.(٢٠١١) : " استراتيجيات في التعلم النشط "، ط ١، الإدارة العامة للتربية والتعليم بمنطقة حائل (بنين)، الشؤون التعليمية الإشراف التربوي - قسم العلوم .
- ❖ عبيدة، ناصر السيد عبد الحميد (٢٠١٧) : فاعلية نموذج تدريس قائم على أنشطة PISA في تنمية مكونات البراعة الرياضية كالثقة الرياضية لدى طلبة الصف الأول الثانوي، مجلة دراسات في المناهج وطرق التدريس، عدد (٢١٩) مصر .
- ❖ العبيدي، نور محمد والهام فارس (٢٠١٨) : " البراعة الرياضية لدى طلبة قسم الرياضيات في كليات التربية " رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة غزة الإسلامية، فلسطين .
- ❖ العزاوي، محمد إبراهيم (١٩٩٩) : الكفايات التعليمية المتوافرة لدى الطلبة المعلمين، تخصص معلم مجال اجتماعيات في جامعة مؤتة من وجهة نظر معلمي الدراسات الاجتماعية في مدارس محافظة الكرك بالأردن، وأثره في تحصيل الطلاب الدراسي .مجلة جامعه أم القرى للعلوم التربوية والاجتماعية والإنسانية، مج (١٤) ، ع (١) .
- ❖ عوض، عدنان و ذيب حسين (١٩٨٧) : مبادئ أسس الرياضيات، ط ١، دار الندوة دوار البويل، عمان، الأردن.
- ❖ العزاوي، محمد (١٩٩٦): مبادئ التصميم النظامي للتعليم (مركزات التصميم)، ط ١ دار الكلمة، القاهرة .
- ❖ كشاش، أزهار علوان (٢٠١٥) : أثر استراتيجيتي جيكو وخرائط المفاهيم في تحصيل طلبة كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية " مجلة الاستاذ، ورقة بحثية مقدمة في المؤتمر العلمي الثالث .
- ❖ متولي، نبيل (١٩٩٥) : "فاعلية برنامج بمساعدة الكمبيوتر في تنمية أساليب البرهان الرياضي ومهارات تدريسه لدى طلاب كلية التربية شعبه الرياضيات"، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة الإسكندرية، الإسكندرية، مصر .

الزيادة مظهرا تأويليا دراسة في كتاب الإفصاح في شرح أبيات مشكلة الإعراب للفارقي

The increment as an interpretive aspect, a study in the book of disclosure in explaining the verses of the problem of expression by Al-Farqi

Doaa Subhi Fathi al-Hayali
Dr. Ameen Luqman Al-Habbar
Professor
University of Mosul - College of Education for Human Sciences - Department of Arabic Language

دعاء صبحي فتحي الحيايلى

د. أمين لقمان الحبار

أستاذ

جامعة الموصل - كلية التربية للعلوم

الإنسانية - قسم اللغة العربية

duahmad95@gmail.com

تاريخ القبول

٢٠٢٢/١/١٠

تاريخ الاستلام

٢٠٢١/١٢/١٢

الكلمات المفتاحية: الزيادة - في كتاب الإفصاح - لأبي نصر الحسن الفارقي

Keywords: The increase - in the book of disclosure - by Abu Nasr Al-Hassan Al-Farqi

الملخص

تعد الزيادة مظهرا واضحا من مظاهر التأويل، إذ الزيادة المقصودة بالدراسة هاهنا هي الزيادة في السياق النحوي وما ينتج عنها من معانٍ ودلالات، وليست الزيادة نافلة من القول ولا خلوا من الفائدة بل هي إما تأكيد المعنى وتقويته، أو فائدة لفظية يدخل فيها تزيين اللفظ وكون زيادتها أفصح في بعض الأساليب، أو تهيئتها الكلام لاستقامة وزن الشعر، أو غير ذلك، واقتصرت الزيادة في كتاب الإفصاح على زيادة الأفعال والحروف، إذ زيدت كان، وما، وإن، والباء، والكاف، والفاء، وكانت فائدتها للتوكيد.

Abstract

The additive is a clear manifestation of interpretation, as the mean of additive intended in study is the additive in the grammatical context and the resulting meanings and semantic. The additive is not devoid of meaning or useless, but is either emphasis and strengthening the meaning, or the verbal advantage in which the decoration of the pronunciation and the fact that it is more eloquent comparing to some methods, or its preparation of speech to straighten the rhythm of verses, or otherwise, and the additive in the Efsah book was limited to verbs and letters as kana ' ma, Ba letter, kaf letter , faa letter and it was useful for emphasis.

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، ثم الصلّاة والسّلام على النّبي محمّد الذي أرسل رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه وذريّته ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدّين.

فالتأويل النحوي باب من أبواب العربية، وتعد الزيادة مظهرا واضحا من مظاهره، فقد ادرك علماء النحو أن الزيادة مما لا يختص بالبناء وحده، وإنما هي شاملة تقع في التركيب كما تقع في البناء، وفيها فائدتان إما معنوية وهي لتأكيد المعنى، أو لفظية لتزيين اللفظ، فجاء بحثي بعنوان (الزيادة مظهرا تأويليًا دراسة في كتاب الإفصاح في شرح أبيات مشكلة الإعراب للفارقي).

الزيادة

الزيادة لغة: هي مصدر الفعل (زاد) وهذا الفعل بمادته يدل على:

١ - الفضل، يقول ابن فارس: "الزاء والياء والذال أصل يدل على الفضل. يقولون: زاد الشيء يزيد، فهو زائد. وهؤلاء قوم زيد على كذا، أي يزيدون"^(١).

٢ - النمو، وخلاف النقصان يقول ابن منظور: "الزيادة النمو، وكذلك الزيادة الزيادة خلاف النقصان، زاد الشيءُ زيدٌ زَيْدًا وزيادًا وزيادًا ومزِيدًا ومزادًا أي ازداد. والزَيْدُ والزَيْدُ: الزَيْدَةُ. وَهُمُ زَيْدٌ عَلَى مِائَةِ زَيْدٍ"^(٢). ويؤكد هذا الزبيدي فيقول: "والزيادة، بالكسر، والمزيد، والمزاد، والزَيْدان، بفتح فسكون، كل ذلك بمعنى، أي: بمعنى النمو والذكاء"^(٣).

هذا وإن صاحباً الإفصاح في فقه اللغة عمقا معنى الزيادة فقالا: "الزيادة: زاد الشيء يزيد شيئاً، وزيادة و مزيدا ومزادا وزيادانا، وإزدادَ وزَيْدٌ و تَزَيَّدَ: نما وكثر، و زاده و زَيْدَه جعله يزيد، و زاد الله فلانا خيرا أعطاه، واستزاد: طلب الزيادة، والتزيد: تكلف الزيادة في الكلام و غيره"^(٤).

الزيادة اصطلاحاً:

يتحدد مفهوم الزيادة انطلاقاً من تحديد وضعها في اللغة العربية بشقيها الصرفي، والتركيب.

فأما الزيادة على المستوى الصرفي فإنَّ الصرفيين قد تناولوها بقسط وافر، وأخذت اهتمامهم قديماً، وحديثاً، وأما الزيادة في المستوى التركيبي فقد شهدت جدلاً بين العلماء، وهذا الجدل يدور فيما يتعلق بمفهومها، وتحديد الحرف الزائد ومدى تأثيره على التركيب اللغوي. ويقصد بالزيادة في المستوى الصرفي هو أن يضاف حرف أو أكثر إلى أصل الكلمة، وهذه الزيادة تفيد معنى جديداً، ويمكن معرفة الحرف الزائد بسقوطه في أصل الوضع تحقيقاً، أو تقديراً^(٥).

بيد أن الصرفيين الأوائل لم يعرفوا مصطلح الزيادة في المستوى الصرفي، واكتفوا بتحديدتها، وسرد الزائد من الأفعال، والأسماء، والصفات. وهذا ما نجده واضحاً في غالب كتب

(١) مقاييس اللغة، ابن فارس: ٤٠/٣.

(٢) لسان العرب، ابن منظور: ١٩٨/٣.

(٣) تاج العروس، مرتضى الزبيدي: ١٥٥/٨.

(٤) الإفصاح في فقه اللغة، حسين يوسف - عبد الفتاح الصّعيدي: ٩.

(٥) ينظر: العلم الخفاق من علم الاشتقاق، محمد صديق: ٢٧.

الصرفيين القدامى أمثال ابن عصفور^(١)، وابن مالك الذي يكتفي بسرد الأفعال المزيدة دون أن يتعرض لمصطلح الزيادة^(٢).

وجاء السيوطي في الأشباه والنظائر فعرف الزيادة عند الصرفيين بقوله: "إلحاق الكلمة ما ليس منها، إما لإفادة معنى، كألف ضارب، وواو مضروب، وإما لضرب من التوسع في اللغة، نحو: ألف حمار، وواو عمود، وياء سعيد"^(٣).

"والزيادة بهذا المعنى تقتصر على بعض الأسماء، والأفعال ولا تدخل الحروف"^(٤)؛ "لأن الزيادة ضرب من التصرف، ولا يكون ذلك في الحروف"^(٥).

وهذه الزيادة متصورة من حروف معينة لا تتعدها إلى غيرها، وهذه الأحرف جمعت في قولهم: "اليوم تنساه"، أو "أمان وتسهيل"، أو "سألتمونيها"^(٦).

أما الزيادة في التراكيب اللغوية فإنه مكمل لمعاني الحذف، ففي الحذف يُدعى سقوط بعض المعمولات أو العوامل، أما في الزيادة فإنه يُدعى سقوط بعض العوامل، حتى لا يضطر النحوي لتقدير معمولاتها^(٧). ومما تجدر الإشارة إليه أن الزيادة والإلغاء هي عبارة البصريين، والصلة والحشو هي عبارة الكوفيين، يقول ابن يعيش: "صلة والحشو من عبارات الكوفيين، والزيادة والإلغاء من عبارات البصريين"^(٨).

وقد جرى بين النحاة خلاف كبير في معناها ودلالاتها.

فمن النحاة من يرى أن الزيادة هي دخول حرف كخروجه من دون أن يحدث معنى، وهذا ما ذهب إليه ابن يعيش إذ يقول: "ويعني بالزائد: أن يكون دخوله كخروجه من غير إحداث معنى"^(٩).

ويرى سيبويه أن الغرض من زيادة الحروف هي التأكيد إذ يقول عند ذكر قوله تعالى:

﴿فِيمَا نَقَضَهُمْ مَّيْتَقَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٥]: "فإنما جاء لأنه ليس لـ (ما) معنى سوى ما كان

(١) ينظر: الممتع الكبير في التصريف، ابن عصفور: ٣٩.

(٢) ينظر: لامية الأفعال، ابن مالك: ١١.

(٣) الأشباه والنظائر، السيوطي: ١٥٧/٢.

(٤) أصول التفكير النحوي، على أبو المكارم: ٢٦٧.

(٥) شرح المفصل، ابن يعيش: ٣١٤/٥.

(٦) ينظر: أصول التفكير النحوي: ٢٦٧ . ٢٦٨.

(٧) ينظر: التأويل أسبابه ووسائله في النحو العربي، سمامسم بيسوني: ٧٢١.

(٨) شرح المفصل: ٦٤/٥.

(٩) المصدر السابق.

قبل أن تجيء إلا التوكيد^(١). ويبين السيرافي معنى قول سيبويه إذ يقول: "بين سيبويه عن معنى اللغو في الحرف الذي يسمونه لغوا وبين أنه للتأكيد، لئلا يظن إنسان أنه دخل الحرف لغير معنى البتة، لأن التوكيد معنى صحيح"^(٢).

وهذا القول ذهب إليه ابن جني إذ يقول في معرض حديثه عن الباء الزائدة: "ومعنى قولي زيدت أنها إنما جيء بها توكيدا للكلام ولم تحدث معنى"^(٣).

فالزيادة عند هذا الفريق هي زيادة في اللفظ فقط، إذ هي لا تستحدث معنى جديداً لا أصل له، وإن كان هذا التأثير مجرد دعم المعنى وتقويته وليس استحداث معنى جديد لا وجود له^(٤).

وذهب بعض النحاة إلى أن معنى الزيادة إلغاء المعنى والعمل معاً، يقول ابن السراج: "وحقُّ الملغى عندي أن لا يكونَ عاملاً ولا معمولاً فيه حتى يلغى من الجميع وأن يكون دخوله كخروجه لا يحدث معنى غير التأكيد"^(٥).

وقد حاول ابن يعيش أن يفسر الزيادة بنحو يجمع بين الآراء المختلفة فذكر: "وفي الجملة الإلغاء على ثلاثة أوجه: إلغاء في المعنى فقط، وإلغاء في الإعمال فقط، وإلغاء فيهما جميعاً. فالإلغاء في المعنى نحو حروف الجر، كقولك: "ما زيد بقائم"، و"ما جاعني من أحد". وأما ما ألغى في العمل، فنحو: "زيد منطلق ظننت" و"ما كان أحسن زيدا". وأما الإلغاء في المعنى واللفظ، فنحو: "ما"، و"لا"، و"إن" "^(٦).

وقال الرضي: "فائدة الحرف الزائد في كلام العرب: إما معنوية، وإما لفظية، فالمعنوية، تأكيد المعنى، كما تقدم في (من) الاستغراقية، والباء في خبر ما، وليس، فإن قيل: فيجب ألا تكون زائدة إذا أفادت فائدة معنوية، قيل: إنما سميت زائدة، لأنه لا يتغير بها أصل المعنى، بل لا يزيد بسببها إلا تأكيد المعنى الثابت وتقويته، فكأنها لم تقد شيئاً، لما لم تغاير فائدتها العارضة الفائدة الحاصلة قبلها، ويلزمهم أن يعدوا، على هذا، "إن"، ولام الابتداء، وألفاظ التأكيد، أسماء كانت، أو، لا: زوائد، ولم يقولوا به، وبعض الزوائد يعمل، كالباء، ومن، الزائدتين، وبعضها لا يعمل، نحو: ﴿فِيمَا رَحْمَةٍ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وأما الفائدة اللفظية،

(١) الكتاب، سيبويه: ١٨٠/١ . ١٨١.

(٢) الأشباه والنظائر: ١٥٩/٢.

(٣) سر صناعة الإعراب، ابن جني: ١٣٣/١.

(٤) ينظر: أصول التفكير النحوي: ٢٦٩.

(٥) الأصول في النحو، ابن السراج: ٢٥٩/٢.

(٦) شرح المفصل: ٧٧/٥.

فهي تزيين اللفظ، وكون زيادتها أفصح، أو كون الكلمة أو الكلام، بسببها، تهيأ لاستقامة وزن الشعر أو لحسن السجع، أو غير ذلك من الفوائد اللفظية، ولا يجوز خلوها من الفوائد اللفظية والمعنوية معاً، وإلا، لعدت عبثاً، ولا يجوز ذلك في كلام الفصحاء، ولا سيما في كلام الباري تعالى وأنبيائه، وأئمة، وعليهم السلام، وقد تجتمع الفائدةان في حرف، وقد تنفرد إحداهما عن الأخرى، وإنما سميت هذه الحروف زوائد، لأنها قد تقع زائدة لا لأنها لا تقع إلا زائدة، بل وقوعها غير زائدة أكثر، وسميت، أيضاً: حروف الصلة لأنها يتوصل بها إلى زيادة الفصاحة، أو إلى إقامة وزن أو سجع أو غير ذلك^(١).

أولاً: الزيادة في الأفعال

١ - زيادة كان

اختصت (كان) من بين سائر الأفعال بجواز مجيئها زائدة، يقول سيبويه: "وقال الخليل: إن من أفضلهم كان زيدا، على إلغاء كان، وشبهه يقول الشاعر، وهو الفرزدق^(٢):

فَكَيْفَ إِذَا رَأَيْتَ دِيَارَ قَوْمٍ وَجِزَانَ لَنَا كَانُوا كِرَامِ

وقال: إن من أفضلهم كان رجلاً يقبح؛ لأنك لو قلت إن من خيارهم رجلاً، ثم سكت كان قببحا حتى تعرفه بشيء^(٣).

(١) شرح الرضي على الكافية، الرضي الاسترأبادي: ٤٣٢/٤ - ٤٣٣. وينظر: شرح الدماميني

على المغني اللبيب، محمد بن أبي بكر المخزومي: ١/١٤٢، الأشباه والنظائر في النحو: ٢٢٢/١.

(٢) ديوان الفرزدق: ٨٣٥/٢.

(٣) الكتاب: ١٥٣/٢.

وقد اشترط النحاة لزيادة (كان) شرطين^(١):

١ - أن تكون بلفظ الماضي، وقد شدّ قول أم عقيل^(٢):

أَنْتِ تَكُونُ مَا جِدَّ نَبِيْلُ إِذَا تَهْتَبُ شَمَالُ بَلِيْلُ

٢ - أن تكون بين شيئين متلازمين كالمبتدأ والخبر، أو الفعل والفاعل، أو الموصول وصلته، أو الصفة والموصوف، أو المعطوف والمعطوف عليه، أو حرف الجر ومجروره، أو بين (ما) التعجبية وفعل التعجب.

ومما ورد في كتاب الإفصاح من زيادة "كان" في حالة المضي قول الشاعر:

فَكَيْفَ إِذَا رَأَيْتُ دِيَارَ قَوْمِ وَجِيرَانَ لَنَا كَانُوا كِرَامِ^(٣)

الاشكال في البيت في (كرام) إذ وردت مجرورة وظاهرها النصب باعتبارها خبرا لـ(كان)، فاقتضى توجيه البيت أن (كرام) جرّها باعتبارها صفة لـ(جيران)، و(كانوا) زائدة، وتقدير البيت: (وجيران كرام لنا كانوا)، ومعنى البيت: (على أي حال أكون إذا رأيت ديار قوم وجيران كرام لنا كانوا)^(٤).

وهذا التأويل الذي ذكره الفارقي هو قول سيبويه^(٥) وعليه جمع من النحاة^(٦).

أما المبرد فقد ذهب إلى أن كان ليست زائدة، وإنما هي عاملة، واسمها الضمير، وخبرها الظرف وهو قوله: (لنا)، إذ يقول: "وتأويل هذا سقوط كان على (وجيران لنا كرام) في قول

(١) ينظر: شرح المفصل: ٣٤٧/٤، شرح التسهيل، ابن مالك: ٣٦٠/١ - ٣٦١، توضيح المقاصد، المرادي: ٥٠١/١، أوضح المسالك، ابن هشام: ٢٤٩/١ - ٢٥٠، شرح ابن عقيل، ابن عقيل الهمذاني: ٢٨٨/١ - ٢٩٢، النحو الوافي، عباس حسن: ٥٧٩/١.

(٢) ينظر: البيت في شرح الكافية الشافية: ٤١٣/١، أوضح المسالك: ٢٤٩/١، خزنة الأدب، عبدالقادر البغدادي: ٢٢٥/٩.

(٣) هذا البيت للفرزدق، ديوانه: ٣٨٥/٢.

(٤) ينظر: الإفصاح، الفارقي: ٣٥٤.

(٥) ينظر: الكتاب: ١٥٣/٢.

(٦) ينظر: شرح جمل الزجاجي، ابن عصفور: ١١/٢، شرح التسهيل: ٣٦١/١، شرح الكافية الشافية: ٤١٢/١، تمهيد القواعد، بناظر الجيش: ١١٥٩/٣.

النحويين أجمعين، وهو عندي على خلاف ما قالوا من إلغاء كان وذلك أن خير كان لنا فتقديره: وجيران كرام كانوا لنا^(١).

وقد رجح العكبري قول المبرد فقال: "والصحيح أن خبرها (لنا)، و(كرام) صفة لجيران وإنما لم تقع الزائدة في أول الكلام لأن الزائدة فرع ومؤكّد وتقدمه يخل بهذا المعنى"^(٢).
وممن ذهب إلى هذا القول ابن هشام فقال: "وليس من زيادتها قوله: وجيران لنا كانوا كرام لرفعها الضمير، خلافاً لسببويه"^(٣).

وقد أورد أبو علي الفارسي اعتراضات على كون (كان) زائدة وأجاب عنها واحداً واحداً ومن جملة الاعتراضات كيف تكون زائدة وقد عملت في الضمير فأجاب عن هذه الاعتراضات بقوله: "وجيران لنا كانوا كرام، لغو، لأن (لنا) قد جرى صفة على الموصوف الذي هو (جيران) فلا يجوز أن يقدر به الانتزاع من موضعه كما لم يجز في قولك: (مررتُ برجلٍ معه صقر صائد به)؛ لأن (معه) صفة لـ(رجلٍ)، فإن قلت: فكيف يلغي (كان) وقد عملت في الضمير؟ قلنا: تكون (كان) لغواً، والضمير الذي فيها تأكيد لما في (لنا) لا أنه مرتفع بالفاعل، ألا ترى أنه لا خبر له، فإن قلت: كيف جاز أن تُلغى وقد عملت؟ قلنا: لا يمتنع ذلك. ألا ترى أنك تلغي (ظننتُ) بأسرها، وهي جملة وقد عمل ما تلغيه من الفعل فكذلك يجوز أن تلغي (كان) وحدها في قوله: (كانوا كرام) كما جاز إلغاء الجملة بأسرها في (ظننت) بل يكون إلغاء بعض الجملة أيسر من إلغاء الجملة بأسرها. وجاز إلغاء (كانوا)، لأنها لم تقع أولاً وإنما وقعت بين صفة وموصوف، فجاز إلغاؤها كما جاز إلغاء (هو) لما كانت واقعة بين الخبر والمخبر عنه، وكما جاز إلغاء (كان) في: ما كان أحسن زيدا^(٤).

ومما ورد في كتاب الإفصاح من زيادة "كان" في حالة المضارع قول الشاعر:

كَأَنَّ سُلَافَةً مِنْ بَيْتِ رَأْسٍ يَكُونُ مِرْأَجُهَا عَسَلٌ وَمَاءٌ^(٥)

فالشاهد على زيادة كان هو (يكون مزاجها عسلٌ وماءٌ) برواية الرفع، فيكون (مزاجها عسل) جملة مؤلفة من مبتدأ وخبر، و(ماء) معطوف على (عسل)، والفعل الناقص (يكون) زائد^(٦).

(١) المقتضب، المبرد: ١١٧/٤.

(٢) اللباب في علل البناء والإعراب، أبو البقاء العكبري: ١٧٣/١.

(٣) أوضح المسالك: ٢٥١/١.

(٤) المسائل البصرييات، أبو علي الفارسي: ٨٧٥/٢ - ٨٧٦.

(٥) هذا البيت لحسان بن ثابت، ديوانه: ١٨.

(٦) ينظر: الإفصاح: ٦٤.

وهذا البيت برواية الرفع فيه عدة توجيهات وقد سبق ذكرها في تعدد الروايات، ولم أجد فيما اطلعت عليه من مصادر ومراجع أحداً وجه البيت على أن (يكون) زائدة إلا ابن عدلان فوجه الرفع بعدة توجيهات منها أن: تكون (يكون) زائدة و(مزاجها) مبتدأ، و(عسل) خبر^(١). ويقول محمد محي الدين عبدالحميد: "ومما استدل به على زيادة (تكون) بلفظ المضارع قول حسان بن ثابت: كأنه سبيئة من بيت رأس يكون مزاجها عسل وماء روياء يرفع (مزاجها عسل وماء) على أنها جملة من مبتدأ وخبر في محل رفع صفة لسبيئة وزعما أن (يكون) زائدة.

والرد على ذلك أن الرواية بنصب (مزاجها) على أنه خبر يكون مقمما، ورفع (عسل وماء) على أنه اسم يكون مؤخر، ولئن سلمنا رواية رفعهما فليس يلزم عليها زيادة يكون، بل هي عاملة، واسمها ضمير شأن محذوف، وجملة المبتدأ والخبر في محل نصب خبرها^(٢).

ثانياً: زيادة الحروف

أولاً: الحروف الأحادية

١ - زيادة الباء

تأتي الباء زائدة، والغرض من زيادتها التوكيد، يقول ابن يعيش: "قد تزداد الباء في الكلام، والمراد بقولنا: "تزداد" أنها تجيء توكيداً، ولم تُحْدِثْ معنى من المعاني"^(٣). وزيادتها قد تكون واجبة، وقد تكون غالبة، فمثال الواجبة قولهم: " احسن بزيد"، والغالبة في فاعل الفعل كفي" نحو قوله تعالى: ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [الرعد: ٤٣]^(٤). وتزداد الباء بكثرة في خبر "ليس"، و"ما"، نحو قوله تعالى: ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾ [الزمر: ٣٦]، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ٧٤]^(٥).

(١) ينظر: الانتخاب، ابن عدلان الموصلي: ١٧.

(٢) منحة الجليل، محمد محي الدين عبدالحميد: ٢٩٣/١.

(٣) شرح المفصل: ٤٧٧/٤.

(٤) الحفاية بتوضيح الكفاية، عبدالله البيتوشي: ٢٠٠ - ٢٠١.

(٥) ينظر: أوضح المسالك: ٢٨١/١، شرح ابن عقيل: ٣٠٩/١.

وقد تزداد الباء أيضا في خبر "لا" كقول الشاعر^(١):

فَكُنْ لِي شَفِيعًا يَوْمَ لَا ذُو شَفَاعَةٍ
سِوَاكَ بِمَغْنٍ عَنِ سَوَادِ بْنِ قَارِبٍ

فقد زيد الباء بقوله: "بمغن"^(٢).

وقد زاد الباء في خبر كان المنفية كقول الشاعر^(٣):

وَإِنْ مُدَّتِ الْأَيْدِي إِلَى الزَّادِ لَمْ أَكُنْ
بِأَعْجَلِهِمْ إِذْ أَجْسَعُ الْقَوْمِ أَعْجَلُ

فدخلت الباء على خبر كان المنفية وهو قوله: "بأعجلهم"^(٤).

ومما ورد في كتاب الإفصاح من زيادة الباء ما يأتي:

١ - مَعَاوِيَ إِنَّنَا بَشَرٌ فَأَسْنَجِحْ فَلَسْنَا بِالْجِبَالِ وَلَا الْخَدِيدِ^(٥)

فالإشكال في البيت بقوله: (لسنا بالجبال ولا الحديد) فكان ينبغي أن يجر (الحديدا) إذ إنها معطوفة على (الجبال)، فاقتضى تأويل البيت أن تكون (الحديدا) عطفت على موضع الجبال، إذ موضعها نصب باعتبارها خبرا لـ(ليس)، وقد زاد (الباء) في خبر (ليس)، ومعنى البيت: (اعف عنا يا معاوية واصفح، فلسنا جبالا ولا حديدا، بل نحن بشر نحب ونكره ونحسن ونخطيء)، والشاهد على ما نحن بصدده أنه زاد (الباء) في خبر (ليس)، وزيادتها تكون للتوكيد، وهذا وارد في لغة العرب كثيرا، ومنه قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر: ٣٦]، فزاد (الباء) في الخبر (كاف)، فالشاعر في البيت كأنه قال: (فلسنا الجبال، ولا الحديد)^(٦).

(١) هذا البيت لسواد بن قارب الاسدي الدوسي، ينظر: شرح الكافية الشافية: ١١٣/١، نهاية

الأرب في فنون الأدب، أحمد بن عبد الوهاب النويري: ١٤٥/١٨.

(٢) ينظر: شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك: ١٠٥.

(٣) هذا البيت البيت للشنفرى الازدي، لامية العرب: ٥٨.

(٤) ينظر: شرح التسهيل لابن مالك: ٣٨٢/١، شرح الدماميني على مغني اللبيب: ٤٤٣/٢.

(٥) هذا البيت لعقبة الأسدي، وهو من شواهد سيبويه، ينظر: الكتاب: ٦٧/١، خزنة الأدب:

٢٦٠/٢.

(٦) ينظر: الإفصاح: ١٥٩.

وتوجيه الفارقي هذا سبقه إليه سيبويه، إذ عدَّ الباء زائدة، وعطف على الموضع إذ يقول: " الباء دخلت على شيء لو لم تدخل عليه لم يخل بالمعنى ولم يحتج إليها وكان نصباً. ألا ترى أنهم يقولون حسبك هذا وبحسبك هذا، فلم تغير الباء معنى. وجرى هذا مجراه قبل أن تدخل الباء، لأن بحسبك في موضع ابتداء"^(١).

وممن ذهب إلى هذا أيضاً والسيرافي^(٢)، والرماني^(٣)، وابن جني^(٤)، وابن عصفور^(٥)، وابن الصائغ^(٦)، والسيوطي^(٧).

وقد رد أبو هلال العسكري على سيبويه فقال: " ومما غلط فيه النحويون من الشعر، ورووه موافقا لما أروده، روى عن سيبويه، عند ما احتجَّ به في سبق الاسم المنسوب على المخفوض، قول الشاعر:

مَعَاوِيَ إِنَّنَا بَشَرٌ فَأَسْجِحُ فَأَسْنَانَا بِالْجِبَالِ وَلَا الْحَدِيدَا

وغلط على الشاعر؛ لأنَّ هذه القصيدة مشهورة، وهي مخفوضة كلها"^(٨).

إِذَا لَاقَيْتِ قَوْمِي فَاسْأَلِيهِمْ كَفَى قَوْمًا بِصَاحِبِهِمْ خَبِيرًا^(٩)

فالإشكال في البيت أنه نصب (قوما)، و(خبيرا) ولا يوجد في ظاهر البيت ما يوجب نصبهما، فاقترضى تأويل البيت أن يكون (قوما) مفعولا به ل(كفى)، والفاعل (صاحبهم)، و(الباء) زائدة، و(خبيرا) تمييز، ومعنى البيت: (إذا لاقيت قومي فسألهم لأنَّ أعلم الناس بالرجل صاحبه الذي يلزمه ويخالطه)، والشاهد على ما نحن بصدد أنه زاد (الباء) في فاعل (كفى)، وهي غالبا ما تزداد في فاعلها، وهذا البيت مثل قوله تعالى: ﴿كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾

(١) الكتاب: ٦٧/١.

(٢) شرح كتاب سيبويه: ٣٤٥/١.

(٣) شرح كتاب سيبويه، الرماني: ٣٨٦.

(٤) سر صناعة الإعراب: ١٤١/١.

(٥) شرح جمل الزجاجي: ٢٧٩/١.

(٦) اللمحة في شرح الملحّة، ابن الصائغ: ٥٨٦/٢.

(٧) الأشباه والنظائر: ٥٤/٣.

(٨) شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف، أبو هلال العسكري: ٢٢١.

(٩) هذا البيت لجثامة بن قيس، ينظر: جمهرة الأمثال: ١٤٧/٢، لسان العرب: ٢٢٧/٤،

تخليص الشواهد وتلخيص الفوائد، ابن هشام: ١٨٥.

[الرعد: ٤٣] أي: (كفى الله شهيداً)، والتقدير في البيت: (كفى قوماً صاحبهم) لأنه في المعنى مُخْتَبَرٌ كما هو مُخْتَبَرٌ، ودخلت الباء لذلك المعنى، ولولا تقدير زيادة الباء لبقى الفعل حديثاً عن غير محدث عنه فاستحال وقوعه^(١).

وابن جني يرى أن حق (الباء) أن تدخل على قوم؛ لأن قوله: (قوم) هو فاعل في المعنى فقال: "وهذا من المقلوب. معناه: كفى بقوم خبيراً صاحبهم، فجعل الباء في الصاحب، وموضعها أن تكون في (قوم)، إذ هم الفاعلون في المعنى. وكذلك قوله تبارك اسمه: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥] ، تقديره والله أعلم: ولا تلقوا بأيديكم، وهذا واسع عنهم جداً"^(٢).

وإلى توجيه ابن جني ذهب البغدادي فقال: " وهذا من المقلوب، ومعناه: كفى بقوم خبيراً بصاحبهم، فجعل الباء بالصاحب، وموضعها أن تكون في قوم، إذ هم الفاعلون في المعنى^(٣). أما ابن هشام فله توجيه آخر للبيت إذ جعل قوله (قوماً) مفعول به، و (خبيراً) صفة لقوم، و (بصاحبهم)، متعلق (بخبير)، وفاعل كفى ضمير السؤال المفهوم من سأل^(٤). وأيده بدر الدين العيني فقال: " وفاعل كفى ضمير السؤال المفهوم من قوله: (فاسألهم)، و (قوماً): مفعول، و (خبيراً): صفة له، و (بصاحبهم): متعلق به"^(٥).

٢ - زيادة الفاء

ترد الفاء في التراكيب زائدة، يقول المرادي: " وأما الفاء الزائدة فهي ضربان: أحدهما الفاء الداخلة على خبر المبتدأ، إذا تضمن معنى الشرط. نحو: الذي يأتي فله درهم. فهذه الفاء شبيهة بفاء جواب الشرط، لأنها دخلت لتفيد التنصيص على أن الخبر مستحق بالصلة المذكورة. ولو حذف لاحتل كون الخبر مستحقاً بغيرها. فإن قلت: فكيف تجعلها زائدة، وهي تفيد هذا المعنى؟ قلت: إنما جعلتها زائدة، لأن الخبر مستغن عن رابط يربطه بالمبتدأ. ولكن المبتدأ لما شابه اسم الشرط دخلت الفاء في خبره، تشبيهاً له بالجواب.

(١) ينظر: الإفصاح: ٢٠٠.

(٢) سر صناعة الإعراب، ابن جني: ١/٤٧.

(٣) شرح أبيات مغني اللبيب، عبد القادر البغدادي: ٢/٣٧٨.

(٤) تخلص الشواهد وتلخيص الفوائد، ابن هشام: ١٨٥.

(٥) المقاصد النحوية في شرح شواهد الألفية، بدر الدين العيني: ١/٤٨٩.

وإفادتها هذا المعنى لا تمنع تسميتها زائدة. وبالجملة فهذه الفاء شبيهة بفاء جواب الشرط.... والثاني التي دخولها في الكلام كخروجها. وهذا القسم لا يقول به سيبويه، وقال به الأخفش^(١)، وزعم أنهم يقولون: أخوك فوجد^(٢).

ومما ورد في زيادة الفاء عند الفارقي عند توجيه الإشكال في قول الشاعر:

مَا أَكَلْنَا شَيْئًا مِّنَ الْخُبْرِ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ ذَا خَمِيرٍ فَطِيرٌ^(٣)

فالإشكال في البيت في قوله: (خمير فطير) البيت في ظاهره معناه متناقض، وإلا كيف يكون فيه خمير وهو بالوقت نفسه فطير، فاضطر الفارقي إلى التأويل فعد الفاء في (فطير) زائدة، وطير، هو أمر من طار يطير، وعلى هذا يصح المعنى والإعراب، لهذا يقول الفارقي: "أنه رفع (فطيرا) وإن كان الظاهر يقتضي نصبه، والمعنى مع ذلك فاسد لو كان على ظاهره؛ لأنه أراد الأمر من (طار - يطير) أمر للجماعة فالفاء زائدة، وعليه يصح المعنى، ولولاه استحالة أن يكون فطيرا وفيه خمير، وإنما أراد فطيروا بعد الأكل مثل سيروا"^(٤).

٣ - زيادة الكاف

ترد الكاف زائدة فتفيد التشبيه يقول ابن يعيش: "أما الكاف الزائدة فمعناها التشبيه نحو عبد الله كزيد وإنما معناه مثل زيد وما أنت كخالد، فلذلك إذا اضطر الشاعر جعلها بمنزلة مثل وأدخل عليها الحروف كما تدخل على الأسماء"^(٥). وهي قد وردت في الكلام العربي يقول المرادي: "وأما الكاف الزائدة فقد وردت في النثر والنظم"^(٦).

ومما ورد في زيادة الكاف عند الفارقي عند توجيه الإشكال في قول الشاعر^(٧):

وَتَسْرِي مِّنْ هُمُومِكَ نَحْوَ هِنْدٍ وَإِنْ شَطَّ الْمَرَّازُ بِكَ الْقُلُوصِ

فالشاهد فيه: (بك القلوص) فالقلوص جاءت مجرورة، والظاهر رفعها، وتوجيه الجر يكون إما بعدها مضافا إليه وتكون (الكاف) بمعنى مثل، ويكون معنى البيت (مثل القلوص)، أو

(١) ينظر: معاني القرآن، الأخفش: ١٣٢/١.

(٢) الجنى الداني في حروف المعاني، المرادي: ٧٠ - ٧١.

(٣) لم أقف على نسبة له.

(٤) الإفصاح: ١٩٧ - ١٩٨.

(٥) المقتضب: ١٤٠/٤.

(٦) الجنى الداني في حروف المعاني: ٨٦.

(٧) لم أقف على نسبة له.

تكون الكاف زائدة، والقلوص جرت بحرف الجر الذي هو الباء، وبكلا التوجيهين قد وجه الفارقي البيت، فقال على اعتبار أن الكاف زائدة: "يجوز أن تكون (القلوص) جرا بالباء والكاف زائدة، ويكون التقدير (بالقلوص)، والمعنى: إنك وإن شط المزار تسري نحوها بالقلوص أي: تسير نحوها، كما قال سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] فالكاف زائدة، ولولا ذلك لفسد الكلام من وجهين: أحدهما أنه يكون التقدير: (ليس مثل مثله شيء)، ولأن الكاف حيث وقعت في معنى مثل فنكون أثبت له مثلا، ولا مثل له جلا وعلا، والثاني: أنك تنفي أن يكون لمثله مثل فيكون مستحيلا؛ لأن الشيء إذا أشبه الشيء وماتله فقد أشبه ذلك الشيء أيضا وماتله، فتقدير الكلام ليس مثله شيء^(١).

أما ابن عدلان فقد ذكر توجيهها واحدا لها وهو أن الكاف بمعنى مثل والقلوص سيكون مضافا إليه فقال: "القلوص: الناقاة الباقية على السير، وهي مجرورة بإضافة الكاف قبلها إليها، لأن معناها (مثل)، و(الكاف) مجرورة بالباء، تقديره: وتسري أنت يا مخاطب نحو هند من همومك بمثل القلوص"^(٢).

ثالثاً: الحروف الثنائية

١ - زيادة ما

زيادة (ما) في التراكيب النحوية إما أن تكون كافة بمعنى أنها تكف ما دخلت عليه عن العمل، وإما أن تكون زائدة غير كافة وهي التي تُزاد في التركيب ولكنها لا تكف ما قبلها عن العمل فيما بعدها.

وقد دخلت (ما) الزائدة الكافة على الاسم، والفعل، والحرف، يقول ابن يعيش: "قد زيدت "ما" في الكلام على ضربين: كافة، وغير كافة. ومعنى الكافة: أن تكف ما تدخل عليه عما كان يحدث فيه قبل دخولها من العمل. وقد دخلت كافة على الكلم الثلاث: الحرف والاسم والفعل"^(٣).

أما دخول "ما" الزائدة الكافة على الحروف فإنها تدخل على الأحرف المشبهة بالفعل فنكفها عن العمل، يقول الأشموني: "ووصل ما" الزائدة "بذي الحروف مبطل إعمالها"؛ لأنها

(١) الإيفصاح: ٢٦٣.

(٢) الانتخاب: ٥٠.

(٣) شرح المفصل: ٦٧/٥.

تزيل اختصاصها بالأسماء، وتهيئها للدخول على الفعل؛ فوجب إهمالها لذلك، نحو: "إنما زيد قائم"، وكأنما خالد أسد، ولكنما عمرو جبان، ولعلما بكر عالم^(١).

وأما دخول (ما) الكافة بعد الاسم فمنه قول الشاعر^(٢):

أَعْلَاقَةٌ أَمْ الْوُلَيْدِ بَعْدَ مَا أَفْنَانُ رَأْسِكَ كَالذَّغَامِ الْمُخْلِيسِ

فإن حق ما بعد (بعد) أن يكون مضافا إليه، فلما دخلت (ما) كفتها عن العمل^(٣).

وأما دخول "ما" الزائدة الكافة على الفعل فيقول ابن يعيش: "فإنها تدخل عليه، فتجعله يلي ما لم يكن يليه قبل. ألا ترى أنها تدخل الفعل على الفعل، نحو. (قلما سرت)، و(قلما تقوم)؟ ولم يكن الفعل، قبل دخولها يلي الفعل ف "قل" فعل كان حقه أن يليه الاسم، لأنه فعل، فلما دخلت عليه "ما"، كفته عن اقتضائه الفاعل، وألحقته بالحروف، وهياتة للدخول على الفعل، كما تهىء "رب" للدخول على الفعل، وأخلصوها له^(٤).

وأما (ما) الزائدة غير الكافة فإنها تزداد إما نيابة عن محذوف كقولهم: "أما أنت منطلقا انطلقت معك" يقول ابن مالك: "زيادة ما عوضا عن محذوف ثابت في كلامهم، من ذلك قولهم: أما أنت منطلقا انطلقت، فزادوا ما عوضا من كان، ومن ذلك قولهم: حيثما تكن أكن، فزادوا ما عوضا من الإضافة"^(٥).

وأما أن تزداد لمجرد التأكيد غير لازمة للكلمة وهذا كثير في كلام العرب، فهي تزداد بعد^(٦):

١ - حرف الجر، كقوله تعالى: ﴿فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٥]. ﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ

لَيُصِيبَنَّ نَدْمَيْنِ﴾ [المؤمنون: ٤٠].. ﴿مِمَّا حَطَّيْتَهُمْ أَغْرُقُوا فَأَدْخَلُوا نَارًا﴾ [نوح: ٢٥].

٢ - أداة الشرط سواء أكانت جازمة كقوله تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُمُ الْمَوْتُ﴾ [النساء:

٧٨]، ﴿فِيمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى﴾ [طه: ١٢٣]، أم غير جازمة، كقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ

(١) شرح الأشموني لألفية ابن مالك: ٣١١/١.

(٢) هذا البيت للمرار الأسدي، ينظر: الكتاب: ١١٦/١، الكامل في اللغة والأدب، المبرد: ٢٦٩/١.

(٣) ينظر: شرح المفصل: ٦٩/٥.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) شرح التسهيل: ٢١٦/١.

(٦) ينظر: شرح المفصل: ١١٥/٥، شرح ابن عقيل: ٣١/٣، همع الهوامع، السيوطي: ٢٢٨/٤.

إِذَا مَا جَاءَهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿ [فصلت: ٢٠].

٣ - تزداد بين التابع والمتبوع كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعْضَةَ فَمَا فَوْقَهَا﴾ [البقرة: ٢٦].

ومما ورد في كتاب الإفصاح من زياد (ما) ما يأتي:

١ - وَكَأَنَّهُ لَهْفُ السَّرَاةِ كَأَنَّهُ مَا حَاجِبِيهِ مُعَيِّنٌ بِسَوَادٍ^(١)

فالإشكال في البيت أن نصب (حاجبيه) والظاهر رفعه، فاقتضى تأويل البيت أن تكون (حاجبيه) بدل اشتمال من الضمير في (كأنه) وهي عاملة بها؛ لأن العامل في البدل هو العامل في المبدل منه، فكأنه قال: (كأن حاجبيه)، و(ما) زائدة، ومعنى البيت: (يصف ثوراً وحشياً بأنه أبيض أعلى الظهر، أسود الخدين، كأن حاجبيه معينان بهذا السواد)، والشاهد على ما نحن بصدده من زيادة (ما) أنه زادها بين البدل (حاجبيه)، والمبدل منه الضمير (الهاء) في (كأن) الثانية، وزيادتها هنا بين التابع والمتبوع^(٢).

وتوجيه الفارقي هذا موافق لما ذهب إليه سيبويه إذ يقول: " يريد: كأنَّ حاجبيه، فأبدل حاجبيه من الهاء التي في كأنه، وما زائدة"^(٣).

والى هذا التوجيه ذهب السيرافي^(٤)، وأبو علي الفارسي^(٥)، وابن عدلان^(٦)، وبهذا البيت استشهد ابن عصفور، وأبو حيان على جواز زيادة (ما) بين البدل والمبدل منه^(٧).

٢ - وَلَوْ أَنَّ نَفْسًا أَخْرَجَتْهَا مَهَابَةً لِأَخْرَجَ نَفْسِي الْيَوْمَ مَا قَالَ خَالِدٍ^(٨)

(١) هذا البيت نسبة سيبويه للاعشى، ولا يوجد في ديوانه، وهو بلا نسبة في خزنة الأدب، ينظر: الكتاب: ٩٩/١، خزنة الأدب: ١٩٦/٥.

(٢) ينظر: الإفصاح: ١٦٠.

(٣) الكتاب: ١٦١/١.

(٤) شرح كتاب سيبويه: ٢٤/٢.

(٥) شرح الأبيات المشككة الإعراب، أبو علي الفارسي: ٧٧.

(٦) الانتخاب: ٣٥.

(٧) ضرائر الشعر، ابن عصفور: ٦٩، ارتشاف الضرب، أبو حيان: ٢٣٩٦/٥.

(٨) لم أقف على نسبة له.

فالإشكال في البيت أنه جر (خالد) والظاهر رفعه، فافتضى تأويل البيت أن يكون (خالد) مضافا إليه، والمضاف (قال)؛ لأنه اسم لمعنى القول وكذلك القيل، و(ما) زائدة، ومعنى البيت: ولو أن نفسا أخرجتها مهابة لأخرجت اليوم نفسي قول خالد، والشاهد على ما نحن بصدده زيادة (ما)؛ لأنها لا محل لها من الإعراب وليس ثمة عامل مسلط عليها، وحذفها لا يخل في المعنى؛ لذلك وجه الفارقي البيت على كون ما زائدة^(١).

وهذا التوجيه والإعراب يؤكد ابن عدلان إذ يقول: " ما زائدة، و قال هنا أخو القيل، وهو مرفوع فاعل أخرج، وخالد مجرور بإضافة القول إليه، تقديره: لأخرج نفسي قول خالد " ^(٢).

٣- سَلَا أَمْ عَمْرُو وَعَلَمَا كُنْهَ شَأْنِهِ وَلَا سِيِّمَا أَنْ تَسْأَلَا هَلْ لَهْ عَقْلٌ^(٣)

فالإشكال في البيت أنه رفع(عمرو) والظاهر جره بوصفه مضافا إليه، فافتضى تأويل البيت أن يكون (عمرو) نائب فاعل، والفعل هو (أَمْ) مبني للمجهول بمعنى شج، و(سيما) (سي) بمعنى (مثل)، و(ما) زائدة، وعليه سيكون المصدر المؤول من (أن تسألا) في محل جر مضافا إليه، والمضاف (سي)، ومعنى البيت: سلا يخاطب اثنين وهو أمر، شج رأس عمرو، واعلما كنه شأنه أي حقيقة شأنه، ولا مثل سؤلكما هل له دية؟، فالشاهد على ما نحن بصدده أنه زاد (ما) بين المضاف (سي) بمعنى (مثل)، والمضاف إليه وهي جملة (أن تسألا)^(٤).

وأما ابن عدلان فقد وجهه بتوجيهين هما: إما أن تجعل(ما) كافة، والمصدر المؤول (أن تسألا) في محل رفع مبتدأ، والخبر إما محذوف، أو جملة (هل له عقل)، والتوجيه الآخر موافق لما ذهب إليه الفارقي فعجل (ما) زائدة، والمصدر المؤول في محل جر بالإضافة^(٥).

٤- يَا شَاةَ مَا قَنَصٍ لِمَنْ حَلَّتْ لَهُ حَرَمْتُ عَلَيَّ، وَلَيْتَهَا لَمْ تَحْرُمِ^(٦)

فالإشكال في البيت أنه جر (قنص) وليس في الظاهر عامل مسلط عليها يوجب الجر، فافتضى توجيه البيت أن تكون (قنص) مضافا إليه، والمضاف (شاة)، و(ما) زائدة، ومعنى

(١) ينظر: الإفصاح: ١٦٥.

(٢) الانتخاب: ٣٧.

(٣) لم أقف على نسبة له.

(٤) ينظر: الإفصاح: ٣١٥.

(٥) الانتخاب: ٦٥.

(٦) هذا البيت لعنترة بن شداد، ديوانه: ١٧٧.

البيت: يا هؤلاء اشهدوا شاة قنص والشاة كناية عن المرأة لمن حلت له فتعجبوا من حسنها وجمالها، فإنها قد حازت أتم الجمال، والمعنى: هي حسناء جميلة مقنعة لمن كلف بها وشغف بحبها، ولكنها حرمت علي وليتها لم تحرم علي، أي لبيت أبي لم يتزوجها حتى كان يحل لي تزوجها، وقيل: أراد بذلك أنها حرمت عليه باشتباك الحرب بين قبيلتيهما ثم تمنى بقاء الصلح، والشاهد على ما نحن بصده زيادة (ما) بين المضاف (شاة)، والمضاف إليه (قنص)، وهذا وارد في اللغة^(١) وهو كقوله تعالى: ﴿فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٥]، إذ زاد (ما) بين الجار والمجرور^(٢).

والى هذا التوجيه ذهب علي الهنائي^(٣)، والسيرافي^(٤)، والزوزني إذ يقول: " ما: صلة زائدة. الشاة: كناية عن المرأة."^(٥).

٢ - زيادة إن

تزداد (إن) بعد (ما) الموصلة، والمصدرية، والنافية، يقول ابن مالك: "إنَّ العرب قد استعملت إنَّ زائدة بعد ما التي بمعنى الذي، وبعد ما المصدرية التوقيفية، لشبههما في اللفظ بما النافية، فلو لم تكن زائدة المقترنة بما النافية، لم يكن لزيادتها بعد الموصولتين مسوغ"^(٦). ومما ورد في زيادة (إن) في توجيه الفارقي للأبيات المشكلة قول الشاعر^(٧):

نَفَرْتُ عُصْبَةً قَبَائِلٌ تَلْقَى نَاسَ سَوْءٍ مَا إِنْ تُؤَدِي الخِرَاجُ

فالبيت في ظاهره مشكل إذ إنَّه رفع (قبائل)، ونصب (عصبة)، ورفع (الخراج) وفي الظاهر النصب، فاقترضى تأويل البيت أن تكون (قبائل) رفعت لأنها فاعل ل(نفرت)، وعصبة نصبت بوصفها حالا من (قبائل)، وقد قدم الحال على صاحبها، وأما (الخراج) فإنها خبر ل(ما) بمعنى (الذي) و(إن) زائدة، و(تؤدي) صلة الموصول، ومعنى البيت: نفرت على هذه الصفة، أي: في حال اجتماعها وقوة بعضها ببعض، لتلقى ناس سوء، هذه الناس تؤدي الخراج لهذه القبائل (الذي تؤديه هذه الناس لهذه القبائل النافرة هو الخراج) كأن هذه الجملة علة لنفرة هذه المجموعة من القبائل، والشاهد على ما نحن بصده أنه زاد (إن) بين الموصول

(١) ينظر: شرح المفصل: ١١٥/٥، شرح ابن عقيل: ٣١/٣، همع الهوامع: ٢٢٨/٤.

(٢) ينظر: الإفصاح: ٣٤٩، شرح المعلقات السبع، الزوزني: ٢٦١.

(٣) المنتخب من كلام العرب، للهنائي: ٦٨٧.

(٤) شرح كتاب سيبويه: ٧١/١.

(٥) شرح المعلقات السبع: ٢٦١.

(٦) شرح تسهيل الفوائد: ٣٧١/١.

(٧) لم أقف على نسبة له.

(ما)، وصلته وهي (تؤدي)، وهذا كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَنَّهُمْ فِيمَا إِنَّمَا مَكَنَّكُمْ فِيهِ﴾ [الأحقاف: ٢٦]، أي: (في الذي مكناكم فيه) فزاد (إن) بين الصلة والموصول^(١).

(١) ينظر: الإفصاح: ١٢٩ - ١٣٠.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي نهانا عن المعاصي وأمرنا بالطاعات.

ففي ختام هذا البحث يجدر بي أن أوضح أهم النتائج التي توصلت إليها، وأذكرها بصورة موجزة، سهلة الإشارة، مبيّنة للمعنى، وهي على النحو الآتي:

- ورد أحد عشر بيتاً فيه زيادة إذ زيدت في الأفعال (كان)، وفي الحروف (ما)، و(إن)، و(الفاء)، و(الكاف)، و(الباء).
 - اختصت (كان) من بين سائر الأفعال بجواز مجيئها زائدة، وقد جاءت زائدة في كتاب الإفصاح.
 - زيدت (ما) في كتاب الفارقي بين التابع والمتبوع، وبين المضاف والمضاف إليه.
 - أما (إن) فقد زيدت بين الصلة والموصول.
 - أما زيادة (الكاف) عند الفارقي فقد وجهها على أنها زيدت للتشبيه أي بمعنى (مثل).
 - زيدت (الباء) في خبر (ليس)، وفاعل (كفى) عند الفارقي وأفادت التوكيد في الحالتين.
- وختاماً أسأل الله تعالى أن ينفعنا جميعاً بما نقول ونسمع ، وبما نقرأ ونكتب، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

ثبت المصادر

- ❖ الأشباه والنظائر في النحو، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١ هـ)، ت: غريد الشيخ، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط٢٠٠٧، ٢ م.
- ❖ أصول التفكير النحوي، علي أبو المكارم، دار غريب- بيروت، د.ط، ١٩٧٣ م.
- ❖ الأصول في النحو، أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج (المتوفى: ٣١٦ هـ)، ت: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، لبنان - بيروت، د. ط، د. ت.
- ❖ ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥ هـ)، ت: رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط١، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م.
- ❖ الإفصاح في شرح أبيات مشكلة الإعراب، أبو نصر الحسن بن أسد الفارقي (المتوفى: ٤٨٧ هـ)، ت: سعيد الأفغاني، جامعة بنغازي، ط٢، ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م.
- ❖ الإفصاح في فقه اللغة، حسين يوسف موسى، وعبد الفتاح الصاعدي، مكتب الإعلام الإسلامي - قم، ط٤، ١٤١٠ هـ.
- ❖ الانتخاب لكشف الأبيات المشكلة للإعراب، علي بن عدلان بن حماد بن علي الربيعي الموصلي (المتوفى: ٦٦٦ هـ)، ت: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط٢، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
- ❖ أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري (المتوفى: ٧٦١ هـ)، ت: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر - دمشق، د.ط، د.ت.
- ❖ تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزبيدي (المتوفى: ١٢٠٥ هـ)، ت: مجموعة من المحققين، دار الهداية، الكويت، د.ط، د.ت.
- ❖ التأويل أسبابه ووسائله في النحو العربي، سماسم بيسوني، مجلة كلية اللغة العربية المنوفية، العدد الثاني والثلاثون، ٢٠٠٧ م، جامعة الأزهر.
- ❖ تخلص الشواهد وتلخيص الفوائد، جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري (ت: ٧٦١ هـ)، ت: عباس مصطفى الصالحي، دار الكتاب العربي - بيروت، ط١، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

- ❖ تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد، محمد بن يوسف بن أحمد، محب الدين الحلبي ثم المصري، المعروف بناظر الجيش (المتوفى: ٧٧٨ هـ)، ت: علي محمد فاخر وآخرون، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ط١، ١٤٢٨ هـ.
- ❖ توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن علي المرادي المصري المالكي (المتوفى: ٧٤٩ هـ)، ت: عبد الرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي - بيروت، ط١، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٨ م.
- ❖ جمهرة الأمثال، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥ هـ)، دار الفكر - بيروت، د.ط، د.ت.
- ❖ الجنى الداني في حروف المعاني، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن علي المرادي المصري المالكي (المتوفى: ٧٤٩ هـ)، ت: فخر الدين قباوة - محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م.
- ❖ الحفاية بتوضيح الكفاية، عبدالله بن محمد الكردي البيهوشي (المتوفى: ١٢١١ هـ)، ت: طع صالح أمين آغا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م.
- ❖ حماسة الخالدين، الخالديان أبو بكر محمد بن هاشم الخالدي، (المتوفى: نحو ٣٨٠ هـ)، و أبو عثمان سعيد بن هاشم الخالدي (المتوفى: ٣٧١ هـ)، ت: محمد علي دقة، وزارة الثقافة، الجمهورية العربية السورية، د.ط، ١٩٩٥.
- ❖ خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي (المتوفى: ١٠٩٣ هـ)، ت: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٤، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
- ❖ ديوان عنتر بن شداد، عنتر بن شداد بن معاوية بن قراد العبسي (ت ٤٤٤ هـ)، ت: حمدو طماس، دار المعرفة، بيروت، ط١، ٢٠٠٤ م.
- ❖ سر صناعة الإعراب، أبي الفتح عثمان بن جني، ت: حسن هنداوي، دار القلم - دمشق، ط١، ١٩٨٥.
- ❖ شرح أبيات مغني اللبيب، عبد القادر بن عمر البغدادي (المتوفى: ١٠٩٣ هـ)، ت: عبد العزيز رباح - أحمد يوسف دقاق، دار المأمون للتراث، بيروت، ط١، ١٤١٤ هـ.
- ❖ شرح أبيات مغني اللبيب، عبد القادر بن عمر البغدادي (١٠٣٠ هـ - ١٠٩٣ هـ)، ت: عبد العزيز رباح - أحمد يوسف دقاق، دار المأمون للتراث، بيروت، ط٢، ١٣٩٣ - ١٤١٤ هـ.
- ❖ شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري (المتوفى: ٧٦٩ هـ)، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث - القاهرة، دار مصر للطباعة، سعيد جودة السحار وشركاه، ط٢٠، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.

- ❖ شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، علي بن محمد بن عيسى، أبو الحسن، نور الدين الأشموني الشافعي (المتوفى: ٩٠٠هـ)، دار الكتب العلمية بيروت-، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م .
- ❖ شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك، بدر الدين محمد ابن الإمام جمال الدين محمد بن مالك (ت ٦٨٦ هـ)، ت: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
- ❖ شرح الدماميني على مغني اللبيب، محمد بن أبي بكر بن عمر بن أبي بكر بن محمد، المخزومي القرشي، بدر الدين المعروف بالدماميني، (المتوفى: ٨٢٧ هـ)، ت: أحمد عزو عناية، مؤسسة التاريخ العربي للطباعة والنشر والتوزيع- القاهرة، ط١، ١٤٢٨ هـ.
- ❖ شرح الرضي على الكافية لابن الحاجب، رضي الدين محمد بن الحسن الاسترابادي (المتوفى: ٦٨٦ هـ)، ت: يوسف حسن عمر، جامعة قار يونس - ليبيا، د.ط، ١٣٩٥ - ١٩٧٥ م.
- ❖ شرح الكافية الشافية، محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجبالي، أبو عبد الله، جمال الدين (المتوفى: ٦٧٢هـ)، ت: عبد المنعم أحمد هريدي، جامعة أم القرى مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي كلية الشريعة والدراسات الإسلامية مكة المكرمة، ط١، د.ت.
- ❖ شرح المعلقات السبع، حسين بن أحمد بن حسين الزُّوزَنِي، أبو عبد الله (المتوفى: ٤٨٦هـ)، دار احياء التراث العربي - بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م .
- ❖ شرح المفصل للزمخشري، يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، أبو البقاء، موفق الدين الأسدي الموصللي، المعروف بابن يعيش وبابن الصانع (المتوفى: ٦٤٣هـ)، ت: الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت -، ط١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.
- ❖ شرح تسهيل الفوائد، محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجبالي، أبو عبد الله، جمال الدين (المتوفى: ٦٧٢هـ)، ت: عبد الرحمن السيد- محمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان- القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- ❖ شرح جمل الزجاجي، علي بن مؤمن بن محمد، الحَضْرَمِي الإشبيلي، أبو الحسن المعروف بابن عصفور (المتوفى: ٦٦٩ هـ)، د.ط، د.ت.
- ❖ شرح كتاب سيبويه، أبو الحسن علي بن عيسى الرمانى (٢٩٦ - ٣٨٤ هـ)، ت: سيف ابن عبد الرحمن بن ناصر العريفي، جامعة: الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض - المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م.

- ❖ شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥ هـ)، ...
- ❖ ضرائر الشعْر، أبو الحسن علي بن مؤمن بن محمد، الحَضْرَمِي الإشبيلي، المعروف بابن عصفور (المتوفى: ٦٦٩ هـ)، ت: السيد إبراهيم محمد، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٩٨٠ م.
- ❖ كتاب الشعر أو شرح الأبيات المشكلة الإعراب، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسيّ الأصل، أبو علي (المتوفى: ٣٧٧ هـ)، ت: محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- ❖ كتاب سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه (المتوفى: ١٨٠ هـ)، ت: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- ❖ لامية الأفعال، محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجبالي، أبو عبد الله، جمال الدين (المتوفى: ٦٧٢ هـ)، ت: نور الدين المطبعة الثعالبية عبد القادر، الجزائر -، د.ط، ١٣٥٨ هـ .
- ❖ اللباب في علل البناء والإعراب، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري البغدادي محب الدين (المتوفى: ٦١٦ هـ)، ت: عبد الإله النبهان، دار الفكر - دمشق، ط١، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م.
- ❖ لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري، دار صادر - بيروت، ط١، د.ت.
- ❖ الملحّة في شرح الملحّة، محمد بن حسن بن سبّاح بن أبي بكر الجذامي، أبو عبد الله، شمس الدين، المعروف بابن الصانع (المتوفى: ٧٢٠ هـ)، ت: إبراهيم بن سالم الصاعدي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٤ هـ/٢٠٠٤ م.
- ❖ المسائل البصريّات، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسيّ الأصل، أبو علي (المتوفى: ٣٧٧ هـ)، ت: محمد الشاطر أحمد محمد أحمد، مطبعة المدني، ط١، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ هـ.
- ❖ المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية، بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى العيني (المتوفى ٨٥٥ هـ)، ت: علي محمد فاخر، أحمد محمد توفيق السوداني، عبد العزيز محمد فاخر، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ط١، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م.

- ❖ مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، ت: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر دمشق، ط١ : ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.
- ❖ المقتضب، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي، أبو العباس، المعروف بالميرد (المتوفى: ٢٨٥ هـ)، ت: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب - بيروت، د.ط، د.ت.
- ❖ الممتع الكبير في التصريف، علي بن مؤمن بن محمد، الحَضْرَمِي الإشبيلي، أبو الحسن المعروف بابن عصفور (المتوفى: ٦٦٩ هـ)، مكتبة لبنان - بيروت، ط١، ١٩٩٦ م.
- ❖ المنتخب من غريب كلام العرب، علي بن الحسن الهُنَائِي الأزدي، أبو الحسن الملقب بالهُنَائِي (المتوفى: بعد ٣٠٩ هـ)، ت: محمد بن أحمد العمري، جامعة أم القرى (معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي)، ط١، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م.
- ❖ النحو الوافي، عباس حسن (المتوفى: ١٣٩٨ هـ)، دار المعارف - بيروت، ط١٥، د.ت.
- ❖ نهاية الأرب في فنون الأدب، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (المتوفى: ٧٣٣ هـ)، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط١، ١٤٢٣ هـ.
- ❖ همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١ هـ)، ت: عبدالعال سام مكرم، دار البحوث العلمية - الكويت، د.ط، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.

تجليات الأنا والآخر في شعر عبد الحميد بطاوى

Manifestations of the Ego and the Other in the Poetry of Abdel
Hamid Bataw

Dr. Ahmed Mohamed Al-
Maidani

Assistant Professor
Faculty of Education -
University of Tobruk

د. أحمد محمد الميداني

أستاذ مساعد
كلية التربية - جامعة طبرق

Rha_1961@yahoo.com

تاريخ القبول
٢٠٢٢/١/١٣

تاريخ الاستلام
٢٠٢١/١١/٢٨

الكلمات المفتاحية: الأنا - الآخر - الصراع - الإبداع

Keywords: ego - the other - conflict - creativity

المخلص

تهدف هذه الدراسة إلى بحث اشكالية الأنا والآخر في شعر الشاعر الليبي عبد الحميد بطاوى وتقوم الدراسة على استقراء المواقف التي تنطلق منها الأنا في علاقتها مع الآخر في صورها المتعددة التي تشكل تلك العلاقة.

وهي علاقة تحكمها عدة عوامل وتنتج عنها سلوكيات نحاول في هذه الدراسة رصدها والوقوف على صورٍ منها وتحليلها من خلال النصوص الشعرية وتبيان دلالاتها المضمرّة التي تكشف في كثير من جوانبها عن أزمة الذات المركبة وصراعها مع محيطها في الانسجام وعدمه . وتبحث الدراسة معاناة الأنا وربما اخفاقاتها التي نتجت عن كثير من المفارقات بين طموح تريده وواقع يخالفه بتعقيدات واقع لا يمكن تغييره بسهولة.

ولعلنا ندرك أن الأنا والآخر هي ثنائية إذا اختل التكافؤ والتوافق والتلازم بين قطبيها اعتلت تصوراتها وافتقر انتاجها وتلاشى انسجامها.

و" الأنا" الشعرية تصدر في إبداعها عن وعي بالتجربة الشعرية التي تدعّمها الذات إثر تداخلها مع عناصر الحياة ومفرداتها تلك التي تعبر عنها التجربة الشعرية. يقول سارتر: أنا في حاجة لتوسط الآخر كي أكون ما أنا عليه .

فالأنا مرآة الآخر، والآخر مرآة الأنا ، ولا يتعرف أحدهما على ذاته الا بالآخر ، ولا معنى لوجود أحدهما من دون الآخر وهذا ما نحاول إبرازه في إنتاج الشاعر .

فقد وجدناهما يتحاوران ويتجادبان، يختلفان ويتفقان شرط أن يحافظ كل منهما على الآخر. إنهما الشعر والذات عالمان لا يحيا أحدهما دون الآخر، إنها الأنا الموحدة مع عالمها الشعري عند الشاعر المبدع وهذا ما نحاول إبرازه في هذه الدراسة.

Abstract

This study aims to examine the problematic of the ego and the other in the poetry of the creative Libyan poet Abdel Hamid Bataw.

It is a relationship that is governed by several factors and results in behaviors that we try in this study to monitor and stand on images of them and analyze them through poetic texts and clarify their implicit connotations that reveal in many aspects of the complex self crisis and its struggle with its surroundings in harmony and lack thereof.

The study examines the suffering of the ego and perhaps its failures, which resulted from many paradoxes between the ambition it wants and a reality that contradicts it with the complexities of a reality that cannot be easily changed.

Perhaps we realize that the ego and the other are dualistic, if the equivalence, compatibility and coherence between its poles are disturbed.

And the poetic "I" emanates in its creativity from awareness of the poetic experience that is supported by the self after its overlap with the elements of life and its vocabulary that expresses the poetic experience.

Sartre says: I need the mediation of the other in order to be what I am.

The ego is the mirror of the other, and the other is the mirror of the ego, and one of them does not recognize himself except through the other, and there is no meaning for the existence of one without the other, and this is what we are trying to highlight in the production of the creator.

We found them Ichaoran and Atjazbn, disagree and agree. As long as they keep each other. They are poetry and the self, two worlds, one does not live without the other. It is the unified ego with its poetic world in the creative poet, and this is what we try to highlight in this study.

المقدمة

الإنسان في معيشتة مخلوق اجتماعي هذا أمر مسلم به، ولكن في تعايشه مع مجتمعه، وانفعاله وتفاعله، تبرز ذاتيه، وهذا ما يجعل إنسانا يختلف عن آخر، ونظرة الإنسان لغيره تختلف باختلاف تفاعل الإنسان وانفعاله بالغير (الآخر).

وتطمح هذه الدراسة، إلى تقصي حضور (الأنا) الشعريّة في تداخلاتها، وتفاعلاتها، وعلاقاتها المتشابكة مع (الآخر). في محاولة استقراء أهم ملامحها التكوينية الفارقة، وحضورها النصي في الشعر عند عبد الحميد بطاوى^(١).

منهج الدراسة:

أما عن المنهج فقد سارت الدراسة وفق المنهج الوصفي- التحليلي وفق ما تطلبت مراحل الدراسة، وقد حاولت- قدر المستطاع بما لا يخل بالدراسة- الاستشهاد بنصوص قليلة للتدليل على ما أذهب إليه تجنبا لعدم كبر الورقة وخروجها عند عدد الأوراق المطلوبة في النشر.

وقد قسمت الدراسة إلى عدد من المباحث في عرضي لهذه الثنائية (الأنا والآخر)، فجاءت الدراسة في ستة مباحث على النحو التالي:

المبحث الأول: الأنا المتألّمة.

المبحث الثاني: الأنا المتشائمة.

المبحث الثالث: الأنا المعترزة بذاتها.

المبحث الرابع الآخر (الوطن) وعلاقة الأنا به

المبحث الخامس الآخر (الحبيبة) وتفاعلات الأنا به

المبحث السادس الآخر شخصيات متنوعة وعلاقة الأنا به

ثم ختمت الدراسة بخاتمة وثبت للمصادر والمراجع.

ومما لاشك فيه أن الإبداع الشعري لا يخلو من هذه الثنائية أنا (الشاعر) و(آخر) من يجسده في نصه، وتقوم هذه الدراسة على محاولة استجلاء أهم ملامح هذه العلاقة الثنائية التي تمثلت في بعديها التضادي تارة، والتوحيدي تارة أخرى في ملامحها وأشكالها المتعددة، فقد

(١) شاعر ليبي له مجموعة دواوين نشرها متفرقة ثم جمعها في مجموعة متكاملة هي المصدر الذي يعتمد عليه الدراسة ولن أترجم للشاعر هاهنا حتى أستطيع أن أتفرغ للهدف الذي من أجله أعددت هذه الدراسة، وقد طبع الشاعر نفسه سيرته الذاتية في دار الرواد وعنونها ب(عبد الحميد بطاوى سيرة ذاتية بسرد غير تقليدي وأرى فيها كفاية) السيرة صدرت عن دار الرواد - طرابلس ليبيا ٢٠١٧.

اعتمدت على الأصول الشعريّة ذاتها، وتركت لنماذجها أن تكشف عن هذا الحضور، وفقا لما أبرزته جماليّات الصور الفنيّة، وتحولات هذه العلاقة ودوافعها؛ دون أن تشترط أية فرضيات، أو تستبق أية نتائج، ولكنها استعانت بالمبادئ الفنيّة التي درست مفهوم الأنا في وحدانيته، وفي توحيده مع (الأنوات) الجمعية الأخرى. فقد أصبح مفهوم العلاقة بين الأنا والآخر من المفاهيم الحاضرة والمتداولة بقوة وعمق في الحياة المعاصرة اليوم.

فأى علاقة هذه التي ربطت بين الأنا والآخر؟ هذا ما أحاول الإجابة عليه .

تعريف الأنا:

جاء في المعجم الأدبي : الأنا شعور يبرز الذات بشكل طاغٍ بحيث ينشط الفنان في ضمن دائرة لا تتعدى حدود شخصيته، مشيحاً بوجهه عن أمالي البيئة التي يعيش فيها، أو متخذاً منها إطاراً مجملاً أو مشوّهاً لكيانه"^(١)، وقد يقترب من هذا التعريف ما يذهب إليه علماء النفس، ومن هؤلاء فرويد الذي يراه : " ذلك القسم من الهو الذي تعدل نتيجة تأثير العالم الخارجي من تأثير مباشر بوساطة جهاز الإدراك الحسي"^(٢).

و يتصل مفهوم الأنا- بالضرورة بموضوع- الطبيعة الإنسانية ؛ لأنه لا إنسان بغير ذات، ولكن الذات سابقة على أية تعيينات معينة، وخارجة عنها، بل إن الذات ليست هي لصيقة الإنسانية - إن كان ثمة طبيعة للإنسان - وإنما هي الجهاز الشكلي الذي سوف يقوم على التوحيد والتوجيه والمتابعة والتمثيل والمسؤولية عند كل فرد معين"^(٣) ، فالذات طارئة على الأنا وطارئة على الإنسان، وهي تتشكل من سلوكه، وتعايشه مع سائر الذوات في محيطه ، وهي متغيرة وتأخذ أنماطاً مختلفة حسب ما يحيط بها من ظروف وتجارب وهذا ما نحاول إظهارها فيما يلي.

(١) المعجم الأدبي، جبور عبد النور دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، ط٢، ١٩٨٤م: ٣٦.

(٢) الأنا والهو، سيجمند فرويد، ترجمة: محمد عثمان نجاتي، دار الشروق، بيروت - لبنان،

القاهرة، ط٤، ١٩٨٢م : ٤٢.

(٣) الذات ونظرية الفعل، عزت قرني، دار قباء، القاهرة- مصر ، ط١، ٢٠٠١م: ٧٧.

المبحث الأول

الأنا المتألّمة

الألم والحزن والشعور بالغبن إحساس يحاصر (الأنا) وقد يدفعها مراراً إلى محاولة التخلص منه، وقد يكون البوح أحد هذه الوسائل، ف: "الإحساسات المؤلمة تنزع نحو التغيير والتفريغ، وهذا هو السبب الذي من أجله نفسر "الألم" على أنه يتضمن ازدياد شحنات الطاقة النفسية بتصرف الدافع المكبوت فهو يبدي قوة دافعة بدون أن يلاحظ الأنا ما في ذلك من إلزام"^(١).
يضج الألم في شعر عبد الحميد بطاو بأصوات شتى، وهو يفصح تارة عن مكنون ألم حقيقي مصدره الذات الشاعرة، وتارة أخرى مصدره من خارج هذه الذات، وهنا يمكن أن نفرق بين ألمين لديه، ألم ينشأ جراء إخفاق الأنا في الوصول إلى ما تريده، وألم يفاجئ الأنا ويخالف توقعاتها، فيجعلها ضحية مفارقة لا تدرك فيها وضعها، وفي حديثنا عن الألم من النوع الثاني نحن لا نناقش - بصيغة مباشرة - ألماً يتسبب فيه الآخر، فحينما أتحدث عن الألم في شعره أجد صوراً لهذا الألم ممزوجة بين الأنا والآخِر تضج الحروف به كما تضج الجراح يقول في قصيدته حمل أقلامك و أمض :

أحمل أقلامك و أمض

ما عادت تجدي الكلمات

والعمر يضيع سدى

والناس تموت على الطرقات

ورياح الزيف تهب

فتعصف بالرايات

وطبول الدجال تدق

فتزدحم الساحات

بوجوه تلبس ألف قناع

و هتافات

للملك العادل عاش الملك العادل

أين العدل؟

ثم يصل إلى أن يقول :

فاحمل أقلامك

لا تغضب

(١) الأنا والهو، المصدر السابق : ٣٨.

واكتم آلامك في صدرك

واشرب

من كأس الصبر المرّ

واصبر...واصبر...واصبر..

وستوقن أنّ الصبر جميل^(١)

يبنثق حزن الشاعر من جراح غائرة جلبها الظلم ، واستحالة الوصول إلى العدل والحق، و الأنا هي التي يقع عليها هذا الألم لكونها أكثر إدراكاً من الذات، ففي الوقت الذي تجد الأنا في العدل مكملاً ومعيناً للوصول للأنا أسمى تغمس الذات الأنا بما يعكر هذا الصفو فحب الأمل والتعلق به " فرار من الذات، ترياق للنفور منها، وفي بعض الأحيان ترياق حتى لكره الذات الذي يشعر به المرء"^(٢)، إن الذات في الواقع تعيق تشكل الأنا المثالي، إن عدم الانسجام ضمن الذات مشروط بمقارنة لا واعية بين أنانا الفعلي والشخص المثالي الذي نود أن نكونه"^(٣)، إذن فالذات الواقعية، هي ما عليه الشخص، والذات المثالية أو الأسمى هي ما يطمح الوصول إليه ومن هنا يتولد الصراع الداخلي عند الشاعر .

وبصورة أخرى فقد تستعيز الأنا الواقعية الطامحة إلى الذات الأسمى بالغير لتكتمل ومن هذا القبيل قوله في قصيدة (الرزانة):

سحقاً للوجه المذعور الباهت

خلف القضبان

وجه الحارس

وهو يلوك الحيرة

يبصق

يتشاءب كالجرذان

سحقاً للسجن

وللسجان

الخوف المذعور

(١) المجموعة الكاملة : ٢١-٢٢.

(٢) الحب بين الشهوة والأنا، ثيودور رايك، ترجمة: د. تائر ديب، دار الحوار، القاهرة، ط٢،

٢٠٠٠م: ١٩.

(٣) المصدر السابق: ٢١.

اللاهث خلف وجودي

سيزول وضعفي وركودي

وسينهض من أعماقي

إنسان آخر

مجبول من صلب صمودي

يتحدى ليل السجن

وأحكام السجنان

ويضيف إلى مجد الانسان

عمقا....

تجربة....

وايمان... (١)

إن الشاعر يسند الجرح إلى أناه ويتكى عليه في صورة تبرز مدى المعاناة التي يلقاها، ويبرز

جلده-كذلك - أمام هذا الجرح وكبرياء الأنا الذي يرفض أن يسلم وينصاع ويرضى بالقهر،

فهو يواصل خطوه على الرغم من الألم والقيد ولا ينكسر .

ويواصل الشاعر تحديد الجراح وما ينشأ عنها من ألم، وما يتعمق داخله من شعور، ولكنه في

هذه المرة يبين مقدار الألم وحجم الجرح الواقع على (الأنا) ليشعرنا بمدى جلده وصبره، يعدد

الجراح مقابل واحدية الأنا ليستنتج القارئ مدى جلد أناه وصبرها وتحملها.

يقول في قصيدة له بعنوان (سأم) (٢):

سأم كالغُنب

تلتف خيوطه

حول شراييني المصلوبة

تتزاحم حول فتامة ليلى

صور مقلوبة

تنضح بالزور وبالبهتان

وضباب يملأ فكري

ورطوبة

كبصاق التبغ الأصفر

(١) الأعمال الكاملة : ١٣ .

(٢) المصدر السابق : ١٩٦-١٩٨ .

يبصقه كهل غضبان

والليل...الليل...الليل

شلل يمتد على الأزمان

شلل

يقتات بأعصابي

يتمعن

يوغل كالسرطان

وفوادي، قد شلُّ فوادي

يتئاعب في صدري سامان

والغربة

ما أنكى الغربة

غربة احساس الإنسان

فيالها من معاناة ويا لدقة تصويره للمعاناة (حول شرايين المصلوبة...تتزاخم حول قتامة ليلي) فتعبير الرجل غاية في الدقة التي تجسد المعاناة فتشعرك بحجم ما يلاقيه من ضغوط قد لا تحتمل.

ثم يقول بعد أبيات من القصيدة نفسها:

ما أوحش

إحساسك بالوحدة

حين يحاصرك الخلان

قاسية أيام الدنيا

مرعبة أوهام الفنان^(١)

لقد تجسد الجرح حرفا ناطقا يضح بما عجزت عنه الأنا، إن تعداد صور الجرح يبين مدى استقواء الآخر الذي تسبب في هذا الجرح فهو حبيس الزنزانة ، فلا صديق ولا دنيا يستطاب عيشها ولا حرية تتال ،لقد طال أمد الجرح حتى صار جزءاً من صاحبه، ولم لا وهو صاحب قضية، فحرفه اكتسب منه الرفض، وتداخلت في هذه الصورة تقاطعات الشاعر و الأنا والحزن والرفض والإباء..

(١) المجموعة الكاملة: ١٩٨ .

ورغم كون الشاعر يتألم فإنه يقيم ألفة بينه وبين الجرح، فقد أتى شعره في كثير من حالات التألم مسندا بضمير المتكلم، ومن العجيب أنه يفصل بين الجرح وبين الأنا المتألمة والمجروحة تجسيدا لروح الإباء التي يحملها بين جنبيه وجرت عليه - مع ذلك - الويلات إلا أنه لا يستسلم يقول في قصيدة بعنوان

عفوا:

تشابكت حولي الدروب

واختفت عني مسارب الطرق

وها أنا لازلت احترق

يهاجر الحلاج في خواطري

كنغمة من النشاز

في معزوفة الأرق

يдахم الحجاج فكري

فلا أخاف

غير أني يشلني الأرق

أكتب ما أكتبه في لحظات الصحو

ثم فجأة

أهم أن أمزق الورق

عفوا

لعلمي نرق

وليس هذا

كل ما أريد أن أقوله

لكني

أحس انني اختنق^(١)

(١) المجموعة الكاملة : ٤٥ .

الأنا والحزن:

إن جراح الأنا تتزف حزناً؛ فالجرح بصيغته المعنوية تلك التي يعيشها الإنسان تبعث على الحزن، " والحزن نقيض الفرح وهو خلاف السرور"^(١)، والحزن ألم نفسي، يترك أثره على كل الوجدان ويؤثر بالتالي على كيان صاحبه.. والألفاظ ربما لا تحدد المعاني الدقيقة بينها، "إذ ليس بمقدور الكلم أن تنصب حول الوجدانيات سوراً"^(٢)، وهذا يعني أن ألفاظ الأشجان تتداخل فيما تشير إليه يقول في قصيدة بعنوان لا جدوى الحزن:

اغضب

حتى يتفجر من عينيك الدم

وابصق

فوق تراب الأرض

واسحق بصقتك بكعب حدائك

واشعل سيجارة

واضغط اسنانك

في غيظ مكتوم

الى أن يقول في القصيدة نفسها :

وستبقى دنياك كئيبة

مادامت تسبح في بحر الاحزان

بأشعة الأحقاد

وترسو عند موائي الهم^(٣)

ويقول في قصيدة أخرى:

حرّكوا ساكن الحزن في خاطري

واختفوا في متاهات الدروب

كنت أقرأ أسماءهم

(١) لسان العرب - ابن منظور، تحقيق: عبدالله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة

د.ت: ١٠ / ٨٦١.

(٢) جدلية الأنا والآخر- نجيب الحصادي، الدار الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١،

١٩٩٦م: ٢١.

(٣) المجموعة الكاملة : ١١٩-١٢٠.

واحدًا... واحدًا^(١)

والشاعر عند قراءة مفردة الحزن لديه- بوصفها عينة عشوائية - نجده لا يذكر اللفظة كثيرا (الحزن)؛ وإنما يأتي بمرادفاتها، وهذا يعني أن ألمه نابع من نفس أبية لا تتحني ولا تستسلم مع أنّ مظاهر حزنه كثيرة

و الحزن الظاهر ليس هو جميع حزنه؛ فهو لا يبوح بكل حزنه، لكنه يواجه نفسه بأسباب الحزن التي لا يرغب أن تدفع به إلى حالة من الضعف أو التنازل و التفريط أو الإحباط.

إن (الأنا) ترند نحو نفسها، فهي إزاء هذا الألم في مواجهة الآخر الذي يلمح بذكره كثيرا، وهذا ما يعمق الألم، و يحدث عمقا للحزن رغم أمنيات الشاعر للخلاص ، لكن الشاعر ما يلبث أن يغادر الأنا، فقد ألفنا أناه تنطق بالحزن لنفسها ولسواها فهي متمردة غير خائفة، ورغم هذا التحول من الأنا إلى الآخر فإننا لا نجده يعدو كونه تحميلاً للآخر سبب الألم والحزن والقهر السائد رغم عدم استسلامه لذلك الآخر .

وعن الحرف في يد الأنا فمن المعلوم أن الحرف في النص الشعري يتجاوز دلالاته المباشرة بوصفه رمزاً كتابياً إلى دلالات أخرى يجسدها الشاعر ويعمقها، ولم لا وهو أداة من أدوات تعبيره عن ذاته وعن غيره .

يقول في قصيدته الاختيار الصعب :

كان لابد لي من وقوف على المفترق

كان لابد لي

أن أعود إلى القلب

حين يجيش بروحي القلق

أن أوازن

بين الأمور التي اختلطت

والدروب التي اشتبكت

ثم اختار أي الطرق

بينما كنت في البرزخ الفاصل الان

بين الثبات

وبين النزق

بين أن انحني رغما

لأممر أشياء لا تقنع العقل حين تمر

(١) المصدر السابق : ٧٠.

أو أعود

لأجلس فوق رصيف الحياة

أقلب في خاطري كل تلك الصور

ريثما تستعيد الخيول أصالتها

والوجوه ملامحها

دونما أفتنة

والهوى يستقر

ولذا لم يعد من مفر

أن أواجه خيارات هذا الزمان

ولا أنحني للعواطف أو أنكسر^(١)

ليست الدموع وحدها تعبر عن جرح الشاعر أو عن حزنه فثمة علاقة بين الحرف وبين الحزن، و الحرف يختلط - بوصفه متلازماً طبيعياً - بالجراح وبالحنن؛ لأن الشاعر في نهاية المطاف يلجأ إلى الذات التي اكتسبت خبرة البوح، وخبرة انتقاء جهة الخطاب التي لا تحس "الأنا" معها بانكسار بقدر ما تحس بالانشطار عنها، ؛ فالحرف في تعبيره عن الألم كأنه نصف الأنا.

وعلى مستوى دلالة الحرف في القصيدة الشعرية فإنه يأتي اختزالاً للتعبير عموماً، وللقصيدة خصوصاً^(٢).

وفي رأي الشاعر يصبح الحرف ليس معبراً عن الألم بل إنه جزء من هذا الألم، وكما أن الشاعر لا يفارق الألم فهو لا يفارق الحرف الذي قد يأخذ دور الأنا كاملاً فيعبر ببياء المتكلم كما في القصيدة السابقة :

كان لابد لي من وقوف على المفترق

كان لابد لي

(١) المجموعة الكاملة : ١٣٩-١٤٠.

(٢) يوضح الشاعر مناسبة النص السابق بقوله : " اضطرتني ظروف الحياة أن أعمل سائق تاكسي فدهنت سيارتي باللونين الأبيض والأسود وعملت بها داخل المدينة وكثيرون لاموني على ذلك فكتبت هذه القصيدة مدافعا عن موقفي السابق : ١٣٩ .

ويستخدم ضمير الجمع فيقول :

كتبنا

ثم لكنا ما كتبنا

أعدنا غنوة الماضي

على الحان واقعنا

تحدثنا

تصدعنا

تلاشت في صقيع الوصل

بهجتنا تراجعنا

تراكم كل هذا الهم اقتعنا

بأن زماننا أشول

وكاتب عقدنا متسرع أحول

وانت اخترت وضعنا

لم يكن أفضل

ولكن ما الذي أعمل؟

ونحن الآن تجمعنا

حياة مالها معنى

وأطفال بعمر الورد

يسحقهم تقطعنا

لقد ضعنا... لقد ضعنا^(١)

إن الشاعر يعيش نوعاً من الامتزاج والتماهي بين أناه وبين الحرف وبين (نحن)، حتى وكأنهم أناً واحدة، تجمعهم المعاناة ويجمعهم التأثير المتبادل، لقد تجاوز الحرف - هنا - دوره بوصفه وسيلة رمزية للتوصيل والتعبير عن قضية الشاعر ومعاناته ليكون جزءاً من هذه القضية وهذه المعاناة.

لقد شكلت ثلاثية (الجرح - الحزن - الحرف) مظاهر الألم ويواعثه والمعبر عنه، (لأننا) الشاعر، فعكست بذلك انصهار الأنا والتحامها، والمسافة بينها وبين الذات باعتبارها علاقة وطيدة تجسد المعاناة وتوصل التجربة واضحة جلية ومن هنا تتجسد معاناة الأنا.

(١) المجموعة الكاملة : ١٥٨.

المبحث الثاني

الأنا المتشائمة

نرى بوضوح أن للتشاؤم ارتباطاً وثيقاً بالقلق من المستقبل، فهو نوع من الخوف مما سيأتي، ولكن هذا الخوف متعلق بسبب ما، ويراه البعض شدة تركيز انتباه الفرد واهتمامه على الاحتمالات السلبية للأحداث القادمة فيتولد الخوف، وهو ما يستدعي صراعاً داخلياً لدى الفرد ليجد طريقاً يمنع حدوثها أو وقوعها، وهو ما يسبب التهيؤ والتأهب لمواجهة هذه الأحداث^(١)، وهي وجهة نظر تقصر عن بيان حال المتشائم الذي يقعه الخوف عن الاستعداد والتأهب، المذكور هنا في هذه الرؤية، ولعل ما يسند قولنا هذا هو التعريف الآخر والأقرب للتشاؤم إذ هو "توقع سلبي للأحداث القادمة، يجعل الفرد ينتظر حدوث الأسوأ، ويتوقع الشر والفشل وخيبة الأمل، ويستبعد ما خلا ذلك إلى حد بعيد"^(٢)، إذ إنه يركز على أثر التشاؤم.

والتشاؤم ظاهرة قديمة حديثة عرفها الشعر العربي وقد اشتهر بها شعراء كانت ميسما عليهم، وبدت سمات ضئيلة لدى شعراء آخرين . ويلمس الباحث عن هذه الظاهرة بعض مظاهر التشاؤم التي بدت من خلال أشعار من أحب العزلة- كأبي العلاء ومن سار على دربه-، وكره مخالطة الناس وإساءة الظن بهم، ومعاناة الفقر والعبث، وفساد المجتمعات واعتزال النساء، وتفضيل الموت على الحياة، من خلال صور شعرية مختلفة لشعراء ينتمون إلى أحقاب شعرية مختلفة فقد أصاب شعرهم الشؤم أحياناً، واليأس والحزن أحياناً أخرى^(٣).

وقد يكون مبعث التشاؤم عند إنسان ما سبباً لا يراه غيره كذلك ، فتلقي المواقف والانفعال بها يختلف من (أنا) و(أنا) أخرى يقول في قصيدة بعنوان اسكات^(٤):

حين انطويت صامتاً

وكنت قد قلت الذي لا بد أن يقال

فاختنقت وسط زحام الزيف كلمتي

وما أصابت

(١) التفاؤل والتشاؤم ، المفهوم والقياس والمتعلقات بدر محمد الأنصاري ، جامعة الكويت ، الكويت، ط١ ، ١٩٩٨م : ١٥ .

(٢) المصدر السابق: ٢١٥ .

(٣) التشاؤم عند عبد الرحمن شكري- ثريا بنت بشير بن محمد الكعكي، ر، جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٩م : ٥٠ .

(٤) اسكات مثل ليبي يقال حينما يكون الصمت أبلغ من الكلام-المجموعة الكاملة : ٢١٥ .

حين سعيْتُ جَاهدا

نحو الحقيقة

التي أظلت مثل شمس الظهر

ثم فجأة تميعت

وغابت

حين شعرت

ان هذه المرارة

التي كانت تُعينني

على المواجهات

ذابت

حين رأيت ان لحيتي

من هول هذه المفارقات

شابتُ

إياك ان تلوني

إذا رأيتني

انطويت صامتا

وقلت:

(باللي جابتُ) ^(١)

وما بلغت الانتباه في ظاهرة التشاؤم عند الشاعر، أنها لا تصل إلى المستوى المرضي كما قد يتوقع، أو كما عرف عند المعري والشابي أو شكري أو وفق فلسفة شوبنهاور عن التشاؤم، وإنما هي أنات شعرية وشعورية داخلية تقتضيها التجربة الذاتية التي قد يمر بها هذا الشاعر في هذا الموقف أو ذلك ثم ما تلبث أن تختفي في تجربة أخرى يقول في قصيدته تركيبات:

حينما يختلط الظلم بالصبر

يمترجان

حينما يختلط الصمت بالحزن

يمترجان

فُتحدث

^(١) (باللي جابت) مثل شعبي يقال للتوقف عن المحاولات الغير مجدية - المجموعة الكاملة :

زلزلة دون صوت

حينما

أدرك الكيميائي

أن التفجر

صار وشيكا

فناشدني

كي يبرئ ذمته

أن اريق المحاليل

قبل تفاعلها

أن امزق

كل الذي كتبت

غير أنني عجزت

غير أنني عجزت^(١)

إنّ البيئة من حوله - بمفهومها الواسع - تشكل فضاء الشاعر الذي قد يتفق أو يختلف معه، وربما حاوره حواراً يحتفظ كل منهما بسماته وربما تداخلت هذه السمات فأنس الأشياء من حوله وشخصها حين يحس بغربة تجاه بني جنسه، وربما بلغ به الأمر أن ينتقل تشاؤمه من وضعه النفسي أو من الآخر حدا يتشاعم فيه من عناصر الطبيعة المتحركة والمؤثرة في حياة الإنسان سلبا وإيجابا، يقول في قصيدة ازدواجية:

هذا زمنٌ

يملك فيه الواحد منا

أن ينقسم إلى جزئين

جزء

يقتسم مع السراق غنائمهم

وفي نفس الحين

البعض يحس بجرح

لكن أبدا لا يتراجع

يعرف أن الفرصة

(١) المجموعة الكاملة : ٢١٧.

لا تأتي في كل الأحيان
و أن الوقت كما السيف القاطع
و مع الزمن الناس سينسون
..... هذا زمن
نبتت فيه لبعض الناس
كما لبعض الحشرات قرون
تتحرك تلقائيا
في تركيز متقن
مثل (الإريال)
حين يكون
هنالك بث مضمون^(١)

إنه تشاؤم أكثر ما يجلبه لدى المتلقي هو الشفقة على الأنا المستعرضة للألم؛ وهي لا تقوى على مواجهة فضاء الأنا الداخلي بما يعتلج فيه من معان تكاد تحيده عن الواقع، فهو نوع من الاستلاب الذي لا تقدر الأنا منه فكاكا، ولذلك يمكن القول إنه " لا يبتعد مصطلح التشاؤم كثيراً عن واقع الأنا في توحّد الأسباب التي أُلقت به عثرة في طريق مبادرة الأنا تجاه الإصلاح والتغيير، إذ ينهض كل من المصطلحين على أنقاض هزيمة الفرد في تحقيق التوافق الاجتماعي"^(٢) أو تحقيق التوافق في إطار الأنا، فحركة الأنا أو الذات في فضاءها هي نوع من الحركة والحركة المرتدة، من الأنا والبيها، ونشوء التشاؤم ليس بعامل خارجي، كما نلقاه في فضاء الطبيعة أو سائر الفضاءات يقول في قصيدة بعض الصمت:

وأقول لقلبي
زد صمتا
واجتنب النوح
اكنم آلامك في داخلك
وحاذر أن يغريك البوح
حاول أن تتقن فن الصمت

(١) المجموعة الكاملة : ٢٢٠ والإريال كان زمنا طويلا هو الوسيلة التي تنتقل بث فضائيات الجوار قبل أطباق الاستقبال الحالية .

(٢) ظاهرة الأنا في شعر المتنبي وأبي العلاء سهاد توفيق الرياحي، دار جليس الزمان، المملكة الأردنية الهاشمية، ٢٠١٢م: ٤٠.

وأنت تفيض بك الأشجان

حاول أن تضحك

رغم اليأس^(١)

وما يخنق القلب جراح تثقله، وإن كان مبعث هذه الجراح خارجياً إلا أنه يتحول إلى مبعث داخلي مضطرب.

فعدم خروج الأنا بوصفٍ محددٍ لما هي عليه ووجود مشقةٍ لتشخيص ذاتها، يعني بصورة أخرى اضطراب سبل للعلاقة بالآخر. إن الأنا في ما يشبه التشخيص لما تعيشه ترى الحيرة علة الضياع، وانطماس الحدود بينها وبين ما تعانيه، حتى غدت معه شيئاً واحداً، فهي تذكر الحيرة فيما مر من أبيات، وفي هذه الأبيات يصبح الاتهام موجهاً إلى الحيرة، تلك الحركة الداخلية التي لا تبين عن سبب خارجي وإن كان موجوداً.

(١) المجموعة الكاملة : ٢٢.

المبحث الثالث

الأنا المعترزة

عبر عصور الأدب العربي المختلفة عُرف الفخر والاعتزاز بالنفس والقبليّة وكانت له صورته في كل عصر. واخذ الفخر منذ العصر الجاهلي صورة اختلف عنها في صدر الاسلام ثم عادت في صور أخرى في عصر الأمويين والعباسيين وتطورت بصورة واكبت العصر. و"ظلت للفخر حيويته القديمة، وإن كان قد ضعف فيه الفخر القبلي، على أن أسراباً بقيت منهم عند نفر من الشعراء"^(١)، وما لبث أن تحول إلى فخر واعتزاز بالصفات الشخصية مثل المروءة والكرم وغيرها.

ويأتي الفخر والاعتزاز لتمجيد (الأنا)، إذ " يتغنى فيه الشاعر بنفسه أو بقومه انطلاقاً من حب الذات كنزعة إنسانية طبيعية... فالإنسان بطبيعته يحب ذاته ويتأمل نفسه، كثيراً ويقارن بينه وبين غيره من الناس"^(٢)، وقد نحى الفخر في العصر الحديث منحى اختلف عن سابقه من العصور ولكنه لم يحد عن هذه الصيغة من تمجيد الأنا، فقد " افتخر بعض الشعراء بحبهم للنساء، والبعض الآخر بميلهم نحو الجهاد وافتخر الكثيرون بعروبيتهم وبإبائهم. هذا لا يعني أن الشاعر في العصر الحديث تبرأ من الفخر التقليدي، لكنه اهتم أكثر بالنواحي الاجتماعية والإنسانية"^(٣). والذاتية كما هو الحال عند عبد الحميد بطاوى لا تتخدد أناه في ومضاء البرق فهو كثيراً ما يراه برقاً (خلباً) حتى وهو في اللحظات القليلة التي من الممكن أن يُلتفت فيها ل(أناه) فهو يعتز ويفتخر يعتبر أنساناً واقعياً يقرأ الصورة من حوله قراءة ناقدة. يقول في قصيدة بعنوان (ما سيبقى) بمناسبة تكريمه لدوره الإبداعي وأعماله:

سيقام الحفل

فجهز نفسك

بالتكريم و بالإطراء

ولذا جهزت الصور

شهادات التقدير

دواوين الشعر

(١) تاريخ الأدب العربي - العصر العباسي الأول، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة ، ط١٦٦، ٢٠٠٤م: ١٧٠.

(٢) الفخر في الشعر العربي، سراج الدين محمد، سلسلة المبدعون، دار الراتب الجامعية ، بيروت- لبنان، د.ت: ٥٠.

(٣) المصدر السابق، سراج الدين محمد : ٦٠.

وكل الأشياء

لكن فجأة

أحسست بأني

وسط فراغ

وشعرتُ برهبة هذا الكون

وأنا استرجع ما في أيامه

من زيف وخواء

وتراكم هم الدنيا على قلبي

حاصرني قلقي المتفجر

شكي المزمّن

حتى صار يقيني

بعض ظنون

إلى أن يقول معتزاً بما قدم - في القصيدة نفسها - دون تلون أو تملق كما البعض:

إذ يكفي

أن يبقى شعري بعدي

كي يعطي الناس يقين

أن العمر وإن طال

سيفنى

وسيبقى عقب الذكرى

والعمل الطيب

والموقف

حين يكون مضيئاً

يذكر في حفلات التآبين^(١)

والفخر أو الاعتزاز جزء من الطبع الإنساني وتحديدًا العربي؛ ف" العربي نُزُوعٌ بفطرته إلى العلاء، ميال إلى التعالي المباهاة، شديد الاندفاع بما في نفسه من نزعات، والتغني بما فيها من حسنات"^(٢)، إلا أنّ شاعرنا -رغم ما لديه يُفتخر به- لا يتعالى ولا يزهو كثيرًا وكأن لسان

(١) الأعمال الكاملة: ٢٤٣-٢٤٤.

(٢) الفخر والحماسة، حنا الفاخوري، دار المعارف - القاهرة، ط٥، د.ت : ٩.

حاله يقول : وسط معاناة من حولي وتعاطم الألم عنده لا يروق لي إلا أن أعيش احساسهم ومعاناتهم التي تعمقت عنده كثيرا خلف القضبان الا أن عزة نفسه كانت دوما قضيب الفولاذ الذي لا ينحني ولا يصدأ.

وحين نتحدث عن اعتزاز(الأنا) أو الأنا المعترزة فإننا نجد أن هذا الاعتزاز إما أن يكون مساره من الأنا إلى الأنا، وإما أن يكون من الأنا عن رؤية الآخر لها وهي تصدره إلى أنا أخرى غير الرائية، وإما أن يكون من الأنا نفسها عن رؤيتها للآخر وعلاقتها به، أو أن يكون من الأنا عن الأنا والآخر معا يقول في قصيدته (واعر):

نعم يا سيدي شاعر

وأعشق كل هذا الكون

اكتب ألف ملحمة من الزمن الجميل

لأجل عيون من أهواه

أفرش دريه بالورد والنسرين

لأنني عاشق ماهر

نعم يا سيدي شاعر

أعيد براءة الأطفال في قلبي

وأحمل هم كل الناس

أكتب ما أحس به

ولا يحمر وجهي من دمي خجلا

لأن جميع ما في داخلي هو الظاهر

نعم شاعر

ولكن حين تشعرني بغطرسة

بأن هناك حدٌ بيننا

لا بد أن أراعاه

وأني عبدك المطواع

وأنت السيد الأمر

فهذا سيدي واعر^(١)

نعم واعر.....نعم واعر^(٢)

(١) كلمة واعر في الدارجة تقال لمن يحاول أمرا لا يستطيعه أو يصعب عليه.

(٢) المجموعة الكاملة: ٢٨٢-٢٨٣ .

ومهما يكن من شيء فإن اعتزاز الأنا بما يصدر عنها-عنده - أو بما تتجزه يأخذ صورتين ، الأولى أن الأنا تعتز بصفات وسمات وسلوكيات ليست لها علاقة بالآخر، والصورة الثانية يكون لاعتزاز الأنا علاقة مباشرة وغير مباشرة بالآخر سلبا وإيجابا.

المبحث الرابع

صورة الآخر

ماهية الآخر:

إن الحديث عن (الآخر) هو حديث عن الأنا منظور إليها أو المشارك معها أو المنفعل بها، فكل ذات تتحول من أنا إلى آخر بحسب موقعها، والنظر إليها، ولذلك جاءت الاختلافات في تعريف الآخر ومفهومه بين كثير من النقاد.

وتأتي كلمة (الآخر) بمعنى "غير" كقولك رجل آخر وثوب آخر^(١)، وفي المعجم الوسيط يكاد يتفق المفهوم مع مفهوم لسان العرب فـ "الآخر: أحد الشئيين ويكون من جنس واحد وبمعنى غير"^(٢)، والمفهوم نفسه في تاج العروس: "أحد الشئيين وبمعنى غير، كقولك رجل آخر، وثوب آخر، ثم صار بمعنى المغاير"^(٣)، ومن خلال هذه التعريفات الأولية يتبين أنه ليس للمصطلح دلالة في التراث القديم سوى (الغريبة) وأول من نص على ذلك صاحب (تاج العروس) وإنما اكتسب المصطلح دلالاته وغناه من الدراسات النقدية الحديثة التي جعلت منه محورا لها^(٤).

ويرى آخرون أن مصطلح (الآخر) ترجمة لمصطلح تنامي في اللغات الأوروبية لاسيما الإنجليزية والفرنسية، وأصبح يرد بصفه لغوية رمزية ولا شعورية تساعد الذات على تحقيق وجودها ضمن علاقة جدلية بين الذات ومقابل لها هو من يطلق عليه (الآخر)^(٥)، وهذا الأمر مقبول إلى حد كبير وهو ما أثبتته التحليلات النقدية على مسارها الطويل في الدراسات الأدبية لكن ذلك لم ينفصل عن رؤية المعاجم اللغوية العربية، ولا عن الرؤى النقدية الأدبية العربية؛ فلمصطلح (الآخر) في الدراسات الأدبية والنقدية العربية تعريفات عدة تنطلق كلها من مبدأ (الغريبة)، أو المغايرة تنتسح به إلى جهات أبعد؛ فمفهومه في علم النفس يشير إلى

(١) لسان العرب، مادة آخر: ٨٧/١ .

(٢) المعجم الوسيط، مادة آخر: ٨/١ .

(٣) تاج العروس من جواهر القاموس: ٣٤/١٠ .

(٤) ثنائية الأنا والآخر بين الصعاليك والمجتمع الجاهلي عبدالله بن محمد تريسي، اتحاد الكتاب العرب دمشق ٢٠١١م: ١٧٣.

(٥) الاختلاف الثقافي وثقافة الاختلاف، سعد اليازجي، المركز الثقافي العربي، بيروت-لبنان،

مجموعة من السمات والسلوكيات الاجتماعية والنفسية والفكرية التي تنسبها ذات - فرد أو جماعة- إلى آخرين، لتبين أنهم غيرها، أو أنهم لا ينتمون إليها، عرفا أو طبعا^(١).
ويختلف الآخر من حيث النوع والعدد إلى واحد أو جماعة، وقريب وبعيد، ومرد هذا الاختلاف اختلاف (الذات) الناظرة إليه إذ هما متلازمان^(٢)، ومن جانب آخر مكمل لما سبق فهو يعني من حيث إنه لا وجود للذات من دون آخر، ولا يمكن تعريف الآخر - أيضا- بمعزل عن "الأنا والذات، والآخر في المعنى القريب البسيط كل من يقارب الأنا و(النحن)، أما في المعنى الاصطلاحي الأبعد وهو المراد هنا، فالأمر مختلف فإذا كان الغرب هو الأنا فالشرق بالنسبة إليه هو الآخر"^(٣).

(١) صورة الآخر في الشعر العربي من العصر الأموي حتى نهاية العصر العباسي ، فهد الزويخ ، عالم الكتب ، إريد ، ط١ ، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م : ١٢٧.

(٢) يُنظر: ثنائية الأنا والآخر، مرجع سابق: ١٧٣.

(٣) الآخر في الشعر الجاهلي، مي عودة أحمد حسين، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، ٢٠٠٦ م: ٥.

المبحث الخامس

(الآخر) الوطن وعلاقة الأنا به

مما سبق نجد أنّ (الآخر) لا يعدو أن يكون هو الغير المقابل لـ(الأنا)، على الرغم من تعدد الرؤى التي تنتظر إليه.

ولم يثبت الآخر في شخص ما فإن "اختلاف الآخر باختلاف موقف الأنا منه، مما يشير على أن صورة الآخر على هذا الأساس هي عبارة عن مركب من السمات الاجتماعية والنفسية والفكرية والسلوكية التي ينسبها فرد ما أو جماعة إلى الآخرين الذين هم خارجها"^(١)، وهذا الاختلاف يأخذ بعده مع الأنا ويصدر عنها ردة الفعل مما يتبلور معه شكل الآخر وهذا ما سنحاول إبرازه ها هنا.

ففي قصيدته أغنية للوطن الجريح :

يخاطب الوطن متألماً لحاله معدداً صور معاناته ، هذا الوطن الذي يحبه ولم لا فهو مسقط رأسه ومسرح شبابه وله حق على (أناه) وحبه واجب وفداؤه من الرجولة لكن الوطن يعاني فتكون معاناة (الأنا) لمعاناة الوطن ، والشاعر يرى قلبها كالقبور التي ما تنفك تحبس الموتى، وحب الوطن به تحيا المشاعر ويُستدعى الصبر، وشتان بين الصبر الذاتي (صبر الأنا) إذا ما أصابها في نفسها شيء والصبر على ما يصيب (الآخر) وأي آخر إنه الوطن :

علمني كيف واجه باسمك هذا الجذب

علمني الحب

ففؤادي لولا حبك جبانة

والصبر المشلول

المفقود العينين خيانة

آه يا وطني... يا وطني

عصبوا عينيك

بكل الاوسمة الرسمية

والشارات

ربطوا شفتيك بقيد العسف^(٢)

ولعل العنوان الذي وضعه الشاعر للنص ينبئ عن تلك العلاقة (أغنية للوطن الجريح)

(١) الآخر في الشعر الجاهلي ، المصدر السابق : ٦.

(٢) المجموعة الكاملة : ١٦٥.

فالوطن (الآخر) (جريح مقيد مكبل معصوب العينين مربوط الشفتين)، ومن هنا تبرز معاناة (الأنا) الشاعرة الوطنية التي ما تتفك تتألم لحال (الآخر) الذي آلت حاله إلى هذا الحال . ولم تستمر نظرة (الأنا) للوطن نظرة يائسة متشائمة دائماً ولكن تذهب حيناً إلى صورة الآخر المشرقة التي تبعث على الإعجاب وتُثَمِّي الحب له ولم لا والوطن هو الحياة الجميلة التي في كنفها نشأ؟، يقول في قصيدة بعنوان وطني :

وطني

في الصباح البهي

يشرب بكل الجبال

وكل التلال

الى الشمس

وهي تطل على الأفق

تمسح بالضوء و الدفء

أغصان أشجاره

يتراقص مثل الآلي قطر الندى

فوق أزهاره

يتنفس صبح النهار

على كل بيت

وفي كل مقهى

وفي كل مدرسة وفناء

كي نشدو قبل بدء الدرس

تشيد الفداء

اراه يمدد أطرافه

عند اشراقة الشمس

من صحوة و انتشاء

وهو يفتح

مثل براعم البساتين

أبواب كل شبابيكه للضياء

وطني في الصباح البهي

أراه

فيملاني الحسّ بالزهو والانتماء^(١)

فصورة الآخر هنا مشرقة تبعث الأمل في كل جنبات المجتمع وفي كل ما تقع عليه عين (الأنا) ولذلك جاء معجمه في هذه القصيدة يشع أملاً ويرسم بسمَةً وينشر حيورا ، وقد جعل الطبيعة ناطقة بكل حسنٍ وانفعل بها في تصوير جعل (الآخر) سببا مباشرا لكل أمل ينتشر لذلك كان "تصوير الظواهر الطبيعية بصورة واضحة التقاسيم، وتلوين الآثار الإنسانية بألوان كاشفة عن الجمال، وتحليل المشاعر الإنسانية تحليلا يصل بك إلى الأعماق"^(٢) دليلا على مدى براعة الشاعر.

(١) المجموعة الكاملة : ١٢٤-١٢٥.

(٢) الوصف في الشعر العربي، عبدالعظيم علي فناوي، مصطفى البابي الحلبي، مصر ١٣٦٨هـ- ١٩٤٩ م: ٤٢.

المبحث السادس

(الآخر) الحبيبة وعلاقة الأنا بها

لولا الحب لكانت الحياة غير إنسانية ، ولولا الحب ما كان الأمل في غدٍ أفضل ، ولولا الحب لكان الملل سيد الموقف في هذه الحياة، وقد ارتبط الشعر العربي منذ فجر التاريخ بالحب ، وكانت المرأة أيقونة هذا الفن التي تتوقد معها المشاعر وتتسج القصائد ، ومنى أسمى علاقات (الأنا) عندما يكون حبيبا .

وما يهمننا هاهنا رصد خطاب الشاعر (الأنا) للآخر (الحبيبة) والصور التي شكلت هذا الخطاب وتلونت به المشاعر في كل نص ، فهو رهين محبسه ويخاطب حبيبته على الرغم من البعاد لا ينساها ينتفسها ورغم القيد والمصير المجهول وما حُفَّ به من قهرٍ وتعسفٍ ، لا يجد أملا إلا في خطاب (الآخر) والشوق اليه وتجرع كؤوس الصبر على أمل اللقاء يقول في قصيدته غداً نلتقي:

حبيبتي...

والليل يعصر الفؤاد في البعاد

وقد كى بنا في درينا الجواد

وانطفأت شموع عيدنا الحزين

وانكسرت كؤوسنا من قبل أن نُشْرِبِهَا

واجهضوا فرحتنا من قبل ان نُعْرِبِهَا

وداسوا في بستاننا

زهور الياسمين

فإننا نزداد يا حبيبتي عناد

حبيبتي...

وإن بدت قلوبنا مثخنة بالجراح

وإن هوى عصفورنا حقلنا

على الثرى مكسر الجناح

ولم يعد على شباكنا يغني

ولم تعد تبهجك

الآمال و التمني

فإنني برغم فقدك

الذي يؤلمني وسجني

سأحضن العذاب

حتى يولد الصباح

ولن يطول يا حبيبتي البعاد

وسوف ينهض الجواد^(١)

يا له من حوار بين الشاعر (الأنا) والآخِر (الحبيبة) إن حروف الشاعر والصور التي صاغها رغم الألم ورغم البعاد جاءت باعثة على الصبر والأمل والثقة التي منبعها شدة تعلقه بالآخِر ولم لا و(الآخِر) واللقاء به هو مبعث الصبر وسبب الجلد الذي سيجعل هذا الجواد الأصيل ينهض من جديد ويواصل المسير في قوة وجلد.

ولعل الشاعر الذي رسم هذه الصورة التي تشع رغبة وحبا وإخلاصا يريد للآخِر أن لا يفقد الأمل في الحب الذي يزداد رغم ظلام السجن وجور السجان والبعد.

إن أعلى درجات الوفاق النفسي التي يمكن أن يصل إليها المرء هي وفاقه مع من يحب ويهوى، ذلك ، لأنه نوع من انعكاس الوفاق مع النفس، فهو يصدر عن تواؤم داخلي، وعن حرية في المشاعر ، وبدونه لا يمكن لهذا الشعور المرهف أن يكون حقيقة واقعة تعيشها (الأنا) مع (الآخِر)، وعليه يمكن أن نرى الحب " الموقف الذي يشمل على تمثّل حرية الآخِر، دون أن نرفع عنها صفتها كحرية"^(٢).

وبعيدا عن السجن والسجان يأخذ الحنين (للآخِر) صورة أخرى كلها شوق وأمل يسجل فيها الشاعر مشاعرا أخرى تعمق تجربة الحب لديه فيقول في قصيدة أحن إليك :

أحن إليك

أجل أحن إليك

حنين النحل للأزهار والفلل

حنين الزارع المشناق

للموال والحقل

حنين مسافر

أضناه طول القيط والظل

حنين العاقر الكأداء

تسمع صرخة الطفل

أحن إليك

(١) المجموعة الكاملة : ١٩-٢٠.

(٢) الأنا والآخِر والجماعة دراسة في فلسفة سارتر ومسرحه، سعاد حرب، دار المنتخب

العربي، ١٩٩٤ : ٢١٩.

يا بعضي ويا كلي
أحن إليك
أجل إنني أحن إليك
وتملاً ذهني المحموم
بسمتك الخجولة في لقاءاتي
كشمس تخنفي بالغيـم
خلف مشارف الأفق
تلون ليلي الممتد
عبر التبغ والأرق
فامسح وجهي المبتل
من دمعي ومن عرقي
وأصرخ عبر صمت الليل
أين دروب أحبابي..؟
وأين الفرحة الكبرى
التي انتحرت على بابي؟
فِيرْجِعْ لي الصدى المنخور
صوت فجعتي الخابي
فأوقن أنني
ما عدت اومن بالغد الآتي
وأن فصول مأساتي
نسيح
من ظروف الفقر والجهل
ولكن أنت يا بعضي ويا كلي
سأحيا دائما أهواك
ولن أنساك
لأن حنيني الدامي
يعيد مع الغروب
صدى هواك

وحلو أيامي^(١)

ومن الملاحظ على النص هاهنا أن الشاعر (الأنا) كان خطابيه للمحبوبة (الآخر) بكاف الخطاب التي تكررت كثيرا ، ولعل القرب الوجداني كان أداة من أهم أدوات تجسيده وتكرار مفردة (حنين) وما تشعه في النص من مشاعر وتيثه من صور ذلك الحنين ما يجعل القارئ يشعر مع (الأنا) بعمق هذا الحب ومنزلة (الآخر) عند الحبيب (الأنا) ورغم الظروف والتحديات والجهل الذي يلف المجتمع من حوله إلا أنه يرى (الآخر) (بعضي و يا كلي) إنه عمق (شعور الأنا بالآخر) وناهيك عن معجم الشاعر المتوقع في النص ،فإن عنوان النص يجسد مدى عمق التجربة وصدق الشعور (الحنين الدامي)

وفي ملمح آخر يخاطب الحبيبة خطابا مغايرا إلا أنه يجسد ذلك الشعور الذي تملكه تجاهها فيقول في قصيدة (حوارية العيون المشاغبة):

عادت عيونك

تخمش القلب الحزين

وتطل

في غبش النهارات المطيرة

كالمناارات التي فقدت توازنها

فأرعثت الضياء

وخبيت ظن السفائن

ضاع من أذهانها حلم الوصول

عادت عيونك

تطرق القلب الموارب

وهي تومئ بالدخول

إلى أن يقول في القصيدة نفسها:

عادت عيونك كالدعاءات الملحة

كالإشارات المثيرة

خفقت برمشيها

على القلب

الملفع بالكآبة

فانتشى

(١) المجموعة الكاملة : ٤٠-٤١.

في لحظة الصحو الأخيرة^(١)

فخطاب الأنا هاهنا للآخر خطاب العودة والأمل، فينفعل برموشها الساحرة التي يهفو لها القلب ولعل الحركة في القصيدة وتفاعل القلب معها ميزة تضاف الى مزايا كثيرة تشع بها قصائد خطاب الأنا للآخر (الحبيبة)

وفي خطاب آخر لمحبوته في قصيدة : (أنت لي) فهي ملكه الذي لن يتنازل عنه، بحب ورغبة وأمل يجعل دروبه منيرة و مسالكة يسيرة تحفها الزهور من كل جانب ، هي البوصلة التي لا يضل الطريق من كانت رفيقة له ، ولعل التكرار في النص (أنت لي) يعطي التجربة روعتها والمشاعر حيويتها، يقول في قصيدة بعنوان أنت لي :

أنت لي

مثلما للفجر أنوار

وللأطياف أوكار

وللعمر الذي عَشْتُهُ من قبلك

طيش ونزق

أنت لي

مثلما للعود أوتار

وللأغصان أزهار

ولليل الذي يسحقتني بعدك

سهد وأرق

أنت لي

مثلما للبحر أطوار

وللريان أبحار

ولليوم الذي أحياه من غيرك

ضيق وقلق

فلماذا نفترق؟

ولماذا

حينما حاولت أن أبدأ مشواري

بلا عينيك

(١) المجموعة الكاملة : ٤٦-٤٧.

خانتني الطرق؟^(١)

الشاعر لا يتركك تتساءل لماذا كرر (أنت لي) ، فبيّن منزلتها ، فهي بالنسبة له كضوء الفجر الذي بدد ظلام الليل ، وهي الوكر الذي تحس فيه الطيور بالأمان، وهي الاستقرار بعد عمر مضى في الطيش والعبث ، وهي له أوتار العود التي من غيرها لا لحن له ولا صوت و وهي كالأزهار التي تنزين الأغصان بألوانها وطيب ريحها، وهي للبحر الهدوء بعد الاضطراب و الهيجان والمد والجذر ، وهي حلو الحياة فبدونها ضيق وقلق وسير بدون هدى فهي التي تنير بحبها دروبه.

إذن فالحبيبة في شعره تمثل موضوعا مهما ، وتشغل حيزا كبيرا ، يبين مدى انفعاله بها ومعها، ومدى عمق تجربته في كل نص، ويعتبرها فسحة الأمل التي من أجلها تحمل عذاب السجن وقهر السجنان ، وكافح وقاسى من أجل الحفاظ على كرامتها وصيانة ودّها ، إلى غير ذلك من المواقف التي سجلها في كل قصيدة نابغة من تجربته الذاتية.

(١) المجموعة الكاملة : ١١٤.

المبحث السابع

(الآخر) الابن وعلاقة الأنا وتفاعلها معه

سجل الشاعر في ديوانه الآخر في صور متعددة، فخاطب (الآخر) في صورة الصديق و في صورة الابن الذي يخاف على أبيه ويبر به ونختار هنا الابن يقول في قصيدته الاختيار الصعب:

لا تخف يا بني

حينما ينحني الجذع من طوله

ليس من ذلة تحت ثقل الرياء

لا تخف يا بني

فالذي ينحني

تحت ثقل معاناته

ليس مثل الذي ينحني

ليقبل نعل الحذاء

لا تخف يا بني

(يفيض بما فيه كل أناء)

وأن أباك

تعلم من محن الدر

أن ليس للمرء من رأس مالٍ

سوى الكبرياء

وأن الذي ينحني للعواصف

في لحظة الضعف

قد ينكسر في لحظات الصفاء

وأن الثناء

إذا كان فيه مبالغة

فهو بعض الهجاء

تم يقول :

وأن أباك يجيد اختيار المواقف

في لحظة الابتلاء

ربما بعد حين من الدهر

يأتيك من يدعي أنني كنت أتقن عزف المواويل

اعرف خلط المحاليل

أعرق

أشرب من ماء وجهي

فأشعر بالارتواء

لا تخف يا بني

ولا يستفزك هذا الهراء

فالذي بعد موتي

ستلقاه في ورقي

ليس إلا اطوائي

ورفضي لأي احتواء^(١)

فالآخر هنا مختلف ، عن الوطن والحببية ، إنه (الابن) لذلك جاء الخطاب مفعم بالدفء ، جاء ترويباً ، أبويًا ، فالابن^(٢) الذي خاف على أبيه انحناء ظهره وعدم استقامة عوده - بفعل الزمن - أحب الوالد (الأنا) أن يطمئنه ويعلمه ، فهي انحناء عزيز لا ذليل ، فلم ينحني أبوك يوماً أو يذل نفسه لأحد كما يفعل المتملقون . فكلُّ إناءٍ ينضح بما فيه ، ويظهر له مدى أنفة أبيه بالرغم من معاناته وتقلبات زمانه : يا بني إنَّ أباك تجرع من دهره محناً كثيرة وتعلم منها أن رأس مال الحرّ الكبرياء ، وأن من يطأطئ رأسه لتمر العواصف سيحصد الذل في أوقات الراحة ، ولا ينسى الشاعر الذي يتميز بالإباء والعفة أن يذكر ابنه لأنتني لك أبُ يفخر به ، فلم يتملق ، ولم يدهن ، ولم يقدم هداياه لينال حظاً من نعيم ، وسأترك لك بني بعد موتي مجداً سطرته في قصائدي وآثاري يخبرك أنني كنت عصياً أمام أي احتواء .

وقد سجل الآخر في شعره في صور أخرى اكتفيت ها هنا بالنماذج التي ذكرت تجنباً لكبر الورقة .

(١) المجموعة الكاملة : ٥٤-٥٦ .

(٢) جاء في تعليق الشاعر على مناسبة القصيدة: مهداة إلى ابني عبد السلام الذي عدل من انحناء جسدي حينما كنت منحنيًا بصورة عفوية وأنا أسير معه فكرة لي ذلك ، السابق : ٥٤ .

الخاتمة

- الشاعر عبد الحميد بطاو شاعر ذو إنتاج غزير، يستحق شعره دراسات ودراسات ومن خلال ما عرضناه في هذه الورقة نستطيع القول:

١- جسد الشاعر في إنتاجه صراعاً نفسانياً غير منفصل عن مجتمعه وما يدور في جنباته .
٢- تجربة الشاعر تجربة واضحة، فهي قائمة على علاقة تقابلية بين **الأنا والآخر**، حيث كانت للشاعر حالات نفسية متغيرة ومتباينة بسبب الصراع الذي كان بين **أناه والآخر** .

٣- من مظاهر هذا الصراع بروز مجموعة من الحالات النفسية كالحزن والفرح والغضب، وهذه الحالات النفسية كانت ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالآخر، فكلما اختلف شكل الآخر اختلفت انفعالاته، وكان تفاعله مواكبا للموقف الذي يصوره في كل قصيدة .

٤- في حديثه عن نفسه (**الأنا**) وجدناه يسجل في شعره مراحلاً من المعاناة في السجن ومعيشة الفقر وعصامية المسلك وهذا ما بدا لنا في قصيدته (حوار داخلي في الزنزانة) وغيرها .

٥- كان الشاعر حريصاً على طيب الذكر، وأن يورث أولاده وأحفاده صورة ناصعة، لشخص أبي غير متملق مع ما لاقاه من ظلم تعددت صورته ومظاهره ، إلا أن هذا الظلم كان يصطدم بجدار فولاذي من علو النفس وأصالة المعدن ورجولة الحر .

٦- نوع الشاعر حديثه عن الآخر، فصور الوطن وصور الولد وصور الصديق وصور المحبوبة وخلع عليهم من **أناته** ومعاناته وصبره ما يعينهم على زمانهم فكاذا رسالة تربوية مؤثرة ولم يكن شعره للتسلية .

٧- ويمكن القول أن علاقة **الأنا بالآخر** على تنوع هذا الأخير لم تنشأ من فراغ وإنما كان دافعها النفع فيما يجده الشاعر من إيجابية في المشاعر والعواطف، وفي الضرر بما أصاب الشاعر من أذى نتيجة دفاعه أحياناً وهجومه أحياناً أخرى، وحين تقف **الأنا** من الآخر محايدة قد يكون لهذا الموقف دافعاً هو الإعجاب أو الوصف لأجل الإبداع ليس إلا، وقد كانت علاقته بالآخر (**الحبيب**) أصفى العلاقات وأكثرها استقراراً .

٧- تبين لنا أن اعتزاز **الأنا** بما يصدر عنها أو بما تتجزه يقف على حافتين ؛ الحافة الأولى أن **الأنا** تعتز بصفات وسمات وسلوكيات ليست لها علاقة بالآخر كالرجولة والصبر وعزة النفس، وقد يكون لاعتزاز **الأنا** علاقة مباشرة وغير مباشرة بالآخر مع تنوع هذا الآخر .

ومع إيماني بأن إنتاج الشاعر يحتاج إلى الكثير من الدراسات المتعمقة ربما في الإجازات العليا إلا أنني حاولت إظهار جانب مهم من جوانب شعره ولا أدعي الكمال فيما ذهبت إليه فكلُّ يُؤخذ من كلامه ويرد إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والله أسأل التوفيق والسداد

ثبت المصادر

أولاً: المصادر

- ❖ المجموعة الشعرية الكاملة خمسة دواوين ،عبد الحميد بطاؤ، الدار العالمية للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٢٠م.

ثانياً: المراجع

- ❖ الاختلاف الثقافي وثقافة الاختلاف، سعد اليازجي، المركز الثقافي العربي، بيروت-لبنان، د.ت.
- ❖ الأنا والآخِر والجماعة، سعاد حرب ، دار المنتخب العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٤.
- ❖ الأنا والهو، سيجمند فرويد، ت/ محمد عثمان نجاتي، دار الشروق، بيروت - لبنان، القاهرة، ط٤، ١٩٨٢م.
- ❖ تاج العروس من جواهر القاموس ، محمد مرتضى بن محمد الزبيدي ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧١م.
- ❖ تاريخ الأدب العربي - العصر العباسي الأول، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط١٦، ٢٠٠٤م
- ❖ التفاؤل والتشاؤم، المفهوم والقياس والمتعلقات بدر محمد الأنصاري، جامعة الكويت، الكويت، ط١، ١٩٩٨ م .
- ❖ ثنائية الأنا والآخِر بين الصعاليك، والمجتمع الجاهلي عبد الله بن محمد تريسي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠١١ م .
- ❖ جدلية الأنا و الآخِر - نجيب الحصادي، الدار الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط ١٩٩٦/١ .
- ❖ الحب بين الشهوة والأنا، ثيودور رايك، ترجمة: د. ثائر ديب، دار الحوار، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٠م.
- ❖ الذات ونظرية الفعل، عزت قرني، دار قباء، القاهرة، جمهورية مصر العربية، ط١، ٢٠٠١م .
- ❖ سيرة ذاتية بسرد غير تقليدي عبد الحميد بطاؤ، دار الرواد، طرابلس ليبيا، ٢٠١٧ .
- ❖ صورة الآخِر في الشعر العربي من العصر الأموي حتى نهاية العصر العباسي، فهد الزويخ، عالم الكتب، إربد، ط١ ، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩م.
- ❖ ظاهرة الأنا في شعر المتنبي وأبي العلاء سهاد توفيق الرياحي، دار جليس الزمان، المملكة الأردنية الهاشمية، ط١، ٢٠١٢م.

- ❖ الفخر في الشعر العربي، سراج الدين محمد، سلسلة المبدعون، دار الراتب الجامعية، بيروت- لبنان، د.ت.
- ❖ الفخر والحماسة، حنا الفاخوري، دار المعارف - القاهرة، ط٥، د.ت.
- ❖ لسان العرب - ابن منظور، تحقيق : عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة د.ت.
- ❖ المعجم الأدبي، جبور عبد النور دار العلم للملايين، بيروت -لبنان، ط٢، ١٩٨٤م.
- ❖ المعجم الوسيط ، مجموعة مؤلفين ، مجمع اللغة العربية مصر، ط٤، ٢٠٠٤ .
- ❖ الوصف في الشعر العربي ، عبد العظيم علي قناوي، مصطفى البابي الحلبي ، مصر، ١٩٤٩/١٣٦٨ .

ثالثاً: الرسائل العلمية

- ❖ الآخر في الشعر الجاهلي، مي عودة أحمد حسين، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، ٢٠٠٦م.
- ❖ التشاؤم عند عبد الرحمن شكري- ثريا بنت بشير بن محمد الكعكي، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٩م.

شعر سميح القاسم في النقد السياقي - المنهج التاريخي أنموذجاً -

Samih Al-Qassem's poetry in Contextual Criticism - the Historical Method as a model -

Zainab Mohammad Hazem
Dr. Ghanem Saleh Sultan
College of Education for
Human Sciences - Department
of Arabic Language

زينب محمد حازم
د. غانم صالح سلطان
كلية التربية للعلوم الانسانية - قسم اللغة
العربية

alhamdanilov@gmail.com

تاريخ القبول

٢٠٢١/٦/١٤

تاريخ الاستلام

٢٠٢١/٤/٢١

الكلمات المفتاحية: شعر - النقد - المنهج التاريخي - النص الابداعي

Keywords: Poetry - criticism - historical method - creative text

المخلص

كشف البحث عن أهمية المنهج التاريخي في علاج تحليل النصوص الشعرية، فضلاً عن الخطاب النقدي الذي تناول شعر القاسم وفق هذا المنهج، اعتمد البحث فيه على التحليل النقدي للنقاد الذين تناول قصائد القاسم تاريخاً وجمع هذه الآراء ومقارنتها وصولاً الى حقيقتها، فتحليل الأعمال الأدبية ضمن المناهج السياقية وخاصة المنهج التاريخي، يحتاج الى مصادر اخرى غير النص الإبداعي، وذلك لتوثيق الحوادث التاريخية التي جاء الشاعر على ذكرها في قصائده والتأكد من تأريخها وصحتها، فلذلك فالناقد الذي يعتمد المنهج التاريخي يحتاج الى ثقافة تاريخية ومصادر تاريخية ولا يكتفي بالنص الإبداعي وحده.

Abstract

The research revealed the importance of the historical approach in treating poetic texts, as well as the critical discourse that dealt with al-Qasim's poetry according to this approach. The research relied on the critical analysis of the critics who dealt with al-Qasim's poems historically and collected these opinions and compared them to their truth. The historical curriculum needs resources other than the creative text, in order to document the historical incidents that the poet mentioned in his poems and to ensure that they are dated and correct. Therefore, critics who adopt the historical method need historical cultural and historical sources and are not satisfied with the creative text alone.

المنهج التاريخي

يعد المنهج التاريخي من المناهج النقدية القديمة في العصر الحديث، وذلك لارتباطه بالتطور الاساسي للفكر الانساني، وانتقاله من العصور الوسطى، الى العصر الحديث، وهذا التطور الذي يمثل على وجه التحديد في بروز الوعي التاريخي، وهذا الوعي هو الذي يمثل السمة الاساسية الفارقة بين العصر الحديث والعصر القديم. أما فيما يتصل بالمجال النقدي تمثل المدرسة الرومانسية الوجهة التاريخية عند نشأتها، إذ جاءت، الحركة الرومانسية لتعكس الوضع بشكل أساسي، ولترى مسيرة الانسان في الزمن طبقاً لقوانين النشوء والارتقاء والانتقال من البدائية الى المراحل المتقدمة^(١).

ويرى الدكتور يوسف وغلبي أن المنهج التاريخي هو الصرح الذي واجه المناهج النقدية الحديثة المتلاحقة التي "انبثقت خصماً على المنهج التاريخي، وكلها قد استمدت بصيغة من الصيغ قانونها الأساسي من الاعتراض عليه أو مناقضته جذرياً"^(٢) وهو منهج يتخذ من حوادث التاريخ السياسية والاجتماعية، وسيلة لتفسير الأدب، وتعليل ظواهره. ومن أبرز ممثليه :

١- هيبولت تين الفيلسوف والمؤرخ والناقد الفرنسي الذي درس النصوص الادبية في ضوء تأثير ثلاثيته الشهيرة :

-العرق أو الجنس بمعنى الخصائص الفطرية الوراثية المشتركة بين أفراد الامة الواحدة المنحدرة من جنس معين .

-البيئة أو المكان أو الوسط بمعنى الفضاء الجغرافي أو انعكاساته الاجتماعية في النص الادبي.

-الزمان أو العصر أي مجموعة الظروف السياسية والثقافية والدينية التي من شأنها أن تمارس تأثيرها على النص .

٢- فردينان برونثير الناقد الفرنسي الذي آمن بنظرية التطور لدى (داروين) وانفق جهوده في تطبيقها على الأدب ممثلاً الانواع الأدبية كائنات عضوية متطورة، فالأعمال الأدبية أيضاً تنمو وتتطور من فن الى آخر، بفعل الازمنة المتعاقبة^(٣).

(١) ينظر: مناهج النقد المعاصر، د. صلاح فضل، ميريت للنشر والمعلومات، ط١، ٢٠٠٢: ٢٥-٢٦.

(٢) في آليات النقد الأدبي، عبد السلام المسدي، دار الجنوب، تونس، ١٩٩٤: ٧٩.

(٣) ينظر: مناهج النقد الأدبي، يوسف وغلبي، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، ط١، ٢٠٠٧: ١٥.

٣-سانت بيف الناقد الفرنسي المشهور استاذ (هيبولت تين) الذي ركز على شخصية الاديب، فيرى أن الأدب وعاء لشخصية الاديب يعبر عن رأيه وشخصيته في موضوع ما .
٤-غستاف لانسون ويعد الرائد الاكبر للمنهج التاريخي، فهو الذي حدد خطوات المنهج التاريخي وطبقه بمقالته الشهيرة (منهج تاريخ الادب).

وتتضح أهمية المنهج التاريخي في حال أردنا أن ندرس مدى تأثير العمل الأدبي، أو صاحبه بالوسط ومدى تأثيره فيه، أو دراسة الاطوار التي مر بها فن من فنون الأدب أو لون من ألوانه، أو في معرفة مجموعة الآراء التي أبديت في عمل أدبي أو في صاحبه، والتوازن في هذه الآراء، أو لنستدل فيها على لون التفكير السائد في عصر ما، أو أن نجمع خصائص جيل أو أمة من أدبها، أو أن نجمع بين هذه الخصائص ومجموعة الظروف التي أحاطت بها، أو أردنا أن نحرر نصاً أو نصوص عدة لتؤكد من صحتها أو صحة نسبها الى صاحبها، وتقييم الاعمال الفنية الفردية، أو تقويم صاحبه (١).

ولقد تأثر شعر سميح القاسم بالمرحلة التاريخية التي مرت على بلاده والبلاد العربية من حوله، فقد واكب شعره الثورات والانتفاضات في وطنه وأشاد وأيد وكتب شعراً يثير حماسة المقاتلين، ويخلد شجاعة هؤلاء المقاتلين ليكونوا الجسر الواصل الى الحرية، كما وتحدث عن صمود المدن العربية في وجه الاحتلال وكيفية تخليد هذا الصمود على صفحات التاريخ ليكون عبرة لكل معتبر. فلقد اتجهت انظار المستعمرين الى الوطن العربي لما يمتلكه من خيرات، وموقع استراتيجي مهم .

إذ تعد فلسطين قلب الوطن العربي، وواسطة عقده، ومهد الديانات التوحيدية الكبرى، وملتقى الحضارات، ولموقعها أهمية كبرى من النواحي الاستراتيجية والسياحية والدينية، ويشهد تاريخ فلسطين، أن مصيرها دوماً مرتبط لأوضاع الجزيرة العربية، ومصر وسوريا والعراق، فلقد زاد اهتمام الاستعمار الغربي بالمنطقة العربية في أعقاب احتلال بريطانيا للهند في القرن السابع عشر، كما ايقظت حملة نابليون على مصر أطماع بريطانيا وغايتها في السيطرة على المنطقة بشكل كامل، فسيطرت على فلسطين وعدد من دول الوطن العربي، وبعد عدة اتفاقيات ومؤامرات أعطت بريطانيا لليهود وعد بلفور، وذلك بإقامة وطن لليهود في فلسطين، ومن هنا بدأت الهجرات اليهودية الكبرى فتمت الهجرة الكبرى الاولى عام (١٨٨٢) وتوالى الهجرات اليهودية من جميع بقاع العالم، لتبدأ مرحلة جديدة في تاريخ فلسطين، أما بقظة

(١) ينظر: النقد الأدبي أصوله ومناهجه، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط٨، ٢٠٠٣:

العرب فقد جاءت متأخرة وعاجزة^(١)، وبذلك بدأت مرحلة النضال والمقاومة، في جميع مناحي الحياة فنهض، فضلاً عن الى المقاتلين في ساحات المعارك الابداء والمفكرين والشعراء، والمصلحين للمشاركة في هذه المقاومة المستمرة الى يومنا هذا.

الأحداث التي اثرت في شعر سميح القاسم

١- أحداث ١٩٤٨ وما بعدها

في هذا التاريخ تعلن اسرائيل استقرارها بعد انتهاء الانتداب البريطاني، وتعلن الجيوش العربية هزيمتها في ردعها^(٢) ففي هذا التاريخ انتهت الاحداث التي حولت معظم الشعب الفلسطيني الى لاجئين داخل وخارج فلسطين، ومن الطبيعي أن تصبح هذه الاحداث معالم بارزة في تحولات الخطاب الشعري الفلسطيني بشكل عام وشعر سميح القاسم بشكل خاص، فهذه الاحداث حلقة أولى في سلسلة تطور المفاهيم الموضوعية، التي واكبت القصيدة وأسست لأدب المقاومة، الذي يعد بعض شعراءه من شهداء الثورات، ونلمس ايضاً أن التجربة الشعرية في هذه المرحلة اكتسبت خصوصيتها الفنية والموضوعية، فكانت اقرب الى الواقعية، وأكثر التزاماً بالموضوعات الوطنية، إذ كانت تستشعر الخطر القادم^(٣).

ففي فترة (١٩٤٨-١٩٦٧) اجتاز الشاعر الفلسطيني حالة من الذهول التي لم يستفيق من اثارها الا في اواخر الخمسينيات، هذه الفترة فترة الشعر الفلسطيني المقاوم، كما عرفت هذه الفترة بروز جيل التزم بالمقاومة، كذلك تسابق شعراء الارض المحتلة في تسجيل ورصد الاحداث داخل الارض المحتلة وخارجها (المنفى)^(٤)، لاسيما أن الشعراء ومنهم شاعرنا فقد تأثر بهذه الاحداث والثورات فكانت أشعاره عبارة عن وثيقة نضالية تاريخية. ففي قصيدة (صوت الجنة الضائعة) التي تنتمي الى مجموعته الشعرية (أغاني الدروب) الصادر

(١) ينظر تاريخ فلسطين الحديث، د. عبد الوهاب الكيالي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط ١٠، ١٩٩٠، ١١-٧١.

(٢) ينظر: تسلسل للتاريخ الفلسطيني منذ الحرب العالمية الاولى، تقرير BBC News، ٢٧ يوليو / تموز ٢٠١٧.

(٣) ينظر: دلالات المكان في الشعر الفلسطيني المعاصر بعد ١٩٧٠، إعداد جمال مجناح، بإشراف أ.د. العربي دحو، جامعة الحاج لخضر - باتنة، الجزائر، ٢٠٠٧ - ٢٠٠٨ : ٣٣-٣٥.

(٤) ينظر: دلالات المكان في الشعر الفلسطيني بعد ١٩٧٠ : ٤٥.

عام ١٩٦٤ ، ويقول في مطلعها^(١):

صوتها كان عجبياً

كان مسحوراً قوياً .. وغنياً ..

كان قداساً شجياً

نغمًا افلته الفردوس في

أفاقنا لفتنا وانساب في أعماقنا

ترى رقية زيدان أن الشاعر في هذه القصيدة يصور النكبة، وضياح الفردوس، فلقد كان للنكبة الاثر البالغ والمدى العميق، في وجدان الشاعر الفلسطيني المقاوم، ونفسيته وضميره، لما أصاب وطنه وأهله من تشريد وتجريد ونفي، وهجرة ومعاناة، فلقد بلورت هذه النكبة الاتجاه الواقعي في الشعر الفلسطيني فبدأت الاقلام الادبية وقرائح الشعراء تعبر عن النكبة وما حل بالشعب الفلسطيني، في نهاية الخمسينيات وبداية الستينيات، فصوروا الوطن والنكبة والضياع والتهجير واللجوء، فالشاعر صور وجسد النكبة والضياع في قصائد عدة مثل قصيدة جيل المأساة وقصيدة رسالة الى الله، وقصيدة اطفال ١٩٤٨ وقصيدة بابل وقصيدة الذئاب الحمر^(٢) .

ونحن نتفق مع ما ذهب اليه الدكتورة في كون القصيدة تصور مأساة النكبة، وينبغي الاشارة هنا الى أن الشاعر لم يتجاوز العشر سنوات أيام النكبة، ولكن هذا التاريخ لا يمكن لأي فلسطيني وعربي أن ينساه حتى وان كان لم يعاصره، فهذا تاريخ ضياح الفردوس . وكأن الشاعر أراد أن يقول بأن العرب خسروا فردوس آخر غير الاندلس . وفي قصيدة (أطفال ١٩٤٨) ترى رقية زيدان أن الشاعر في هذه القصيدة يصور نكبة ١٩٤٨، والظروف المأساوية التي لاقاها الشعب الفلسطيني، فصور تحطيم القرى العربية وطرد أهلها وتشريد أبناءها عن أرضهم، فكانت هذه القصيدة تجسيد لملاحم النكبة عام ١٩٤٨^(٣) يقول فيها^(٤) :

" يا اخوتي السمر العراة .. و يا روايتي الأليمه

غَنَوْا وارقصوا بين الكوارث والخطايا "

فالشاعر يتحسر على ضياح الوطن وما خلفه هذا الضياح من كوارث، فالشعر يصف هذه الاحداث بالرواية الاليمه، وأي رواية، رواية حقيقية عاشها الفلسطيني وما يزال الى وقتنا

(١) ديوان سميح القاسم، دار العودة، بيروت، ١٩٨٧ : ٥٩.

(٢) ينظر: اثر الفكر اليساري في الشعر الفلسطيني، محمود درويش، سميح القاسم، توفيق

زياد، رقية زيدان، دار الهدى، ط١، ٢٠٠٩ : ١٠٢.

(٣) ينظر: أثر الفكر اليساري في الشعر الفلسطيني : ٥١ - ١٠٢.

(٤) الديوان : ٤٨.

الحالي يتحسر على ما فيها من أحداث، ويتمنى عودة الزمن للإستبسال وتغير مجرى ما حدث، وفي نهاية القصيدة يعود الشاعر الى شعوره التقاؤلي، بانهم سوف يضعون سطور جديدة لخاتمة هذه الرواية سطور تنهي الظلام، وتفخر بشروق جديد لا يشويه غيوم سوداء. كذلك قصيدة بابل إذ تظهر هذه القصيدة ملامح النكبة وأثرها على شعبه، ولكن الشاعر في هذه القصيدة ركز على الثورة والخلص والامل في التحرر أكثر من تركيزه على أحداث تاريخية، لكنها لا تخلو بدورها من هذه الوظيفة يقول فيها ^(١) :

فاصبري يا لطفة العار التي

خطها الامس على وجهي كتابا

وانظري النار التي في أضلعي

تهزم الليل وتجتاح الضبابا

وفي قصائد الشاعر تصوير لسقوط المدن والقرى العربية وما لاقته هذه المدن من دمار وتخريب كما في قصيدة الى حارس فنار عكا التي يقول في مطلعها ^(٢) :

"ملت شبائك الصيد الانتظار

يا حارس الفنار

والقارب المهجور

غطت رمال الشط دفته "

ترى الباحثة إيمان غالب شعبان، أن الشاعر يصور في هذه القصيدة سقوط مدينة عكا بيد الاحتلال إذ أصبحت خاوية من أهلها، مهجورة بدت عليها ملامح الانكسار والهزيمة، فيسجل القاسم هذا الوضع المأساوي لهذه المدينة وينطلق من دائرة تسجيل الاحداث، الى الدعوة الى انقاذها من قيود المحتل الصهيوني وتخليصها من اسره ^(٣)، فالشاعر يصور كيف آلت اليه المدينة بعد الاحتلال، فقد أصبحت مهجورة تبكي سكانها وجدرانها، ولكن الشاعر متمسك بالامل الذي يقول بأن هذه المدينة لا بد أن تتحرر وتعود الى احضان الوطن. كما في قصيدة (ليد ظلت تقاوم) هذه القصيدة من مجموعة الشاعر (دمي على كفي) والنص يصور مذبحه كفر قاسم التي ارتكبتها اليهود بحق العرب الفلسطينيين والشاعر يدعو صراحة الى

(١) الديوان: ٧٠.

(٢) المصدر نفسه: ٥٢٦.

(٣) ينظر: المدينة في شعر سميح القاسم، إيمان غالب شعبان مرقعة، إشراف نادر قاسم،

جامعة الخليل، ٢٠٠٦: ١٠٦.

المقاومة^(١) ويقول في مطلعها^(٢) :

بركة دكاء في قلبي

وفي وجهي سحابة

ونجيع ساخن

يصرخ في وحشة غابة

وعلى قارعة الدرب وعاءات نحاس "

ويرى محمد عبد الله عطوات على هذه القصيدة، وقال بان الشاعر قد صور من خلالها مجزرة كفر قاسم الرهيبة وأن الشعراء بوجه عام قد استمدوا من نار هذه المجزرة وعنقها وبشاعتها العديد من قصائدهم التي تحمل حرارة النار وقوة الصرخة لهذا الدم المسفوك^(٣) . وترى رقية زيدان أيضا أن الشاعر قد نظم هذه القصيدة بخصوص مجزرة كفر قاسم التي ارتكها الجيش الاسرائيلي بحق الشعب الفلسطيني والقصيدة فيها الكثير من الغضب والثورة^(٤) .

ونحن نذهب الى ما ذهب اليه الدكتور محمد ورقية ، فالنص يصور مذبحه كفر قاسم، وهي الفكرة الرئيسة في القصيدة بما تحويه من الم وحزن ومرارة بطابع لا يخلو من التهكم والسخرية .

أما الباحثة ايمان شعبان مرقعة ترى أن القاسم يربط بين العدوان الثلاثي على مدينة بور سعيد، ومذبحة كفر قاسم، فمدينة بور سعيد تتعرض لهجوم قاس وعنيف من قبل العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦، بسبب تأميم قناة السويس، أحد أهم الانجازات للثورة المصرية وما بذلته هذه المدينة من شهداء وجرحى، ولكن على الرغم من ذلك أنها تقاوم في سبيل الحرية^(٥) . ونحن نختلف مع الباحثة لأن الفكرة الرئيسة للنص هي تصوير مذبحه كفر قاسم التي حدثت عام ١٩٥٦، وصادف في العام نفسه العدوان الثلاثي على بور سعيد، فالشاعر لم

(١) ينظر: المقاومة في الشعر العربي المعاصر محمود درويش، سميح القاسم أنموذجاً، إعداد القذافي محمد أحمد القائدي، إشراف كولان علي السنوسي الشريف، جامعة سرت، ٢٠١٢-٢٠١١: ٣٧.

(٢) الديوان: ٤٥٩.

(٣) ينظر: الاتجاهات الوطنية في الشعر الفلسطيني المعاصر من ١٩١٨-١٩٦٨، محمد عبد الله عطوات، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط١، ١٩٩٨: ٢٢٥.

(٤) ينظر: أثر الفكر اليساري في الشعر الفلسطيني: ٢١٢.

(٥) ينظر: المدينة في شعر سميح القاسم: ١٩٧.

يفوت فرصة ذكر هذا الحدث، تزامنا لما يحدث في كفر قاسم فالوطن العربي جسد واحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له جميع اعضاء الجسد بالسهر والحمى، ويرى، جمال طالبى وعسكر بابازاده اقدم أن هذه القصيدة ذات طابع تهكمى شكلا ومضمونا، كتب الشاعر هذه القصيدة بعد مجزرة كفر قاسم التي كانت من أبشع المجازر التي شهدتها الانسانية في فلسطين على مسرح الحياة، و تركت حزناً ثقيلاً في قلوب الفلسطينيين، وجرحاً عميقاً في ضمائر الانسانية وكان الشعب الفلسطيني قد طالب من السلطات الاسرائيلية أن تقيم محكمة تصدر حكماً عادلاً لما حدث فشكلت لجنة تحقيق صورية حوالي سنتين بعد أن احدثت الجريمة صدى مؤلماً في الرأي العام العربي والعالمى، ثم صدر حكم ضئيل فجرح ذلك قلب الشاعر ودفعه الى نظم هذه القصيدة^(١) فالشاعر استشعر الخطر الذي يحدق بوطنه، وكيف مصير هذه الامة صار بيد أعداءها، فهو يسخر من هذا الواقع الذي سيصبح عادة طبيعية يومية فالسكوت على هذه الجريمة هو قبولها وتشجيع ارتكابها بحق الفلسطينيين العزل الذين يساقون الى الموت بلا رحمة .

وفي قصيدة (ليلى العذنية) التي تنتمي إلى ديوان الشاعر (دخان البراكين) الصادر في القدس، والقصيدة طويلة جداً، أشبه ما تكون ملحمة شعرية إذ تتكون من احد عشر مقطع وقد صدر الشاعر القصيدة بقوله^(٢):

"قصيدة دم .. على ربابة شهدائنا":

الى واحد من فدائي الشمس في جنوبنا المقاتل ..

واحد .. من الرجال الذين أرادوا الحرية، فأخترقوا اليها الموت !..

الى الجندي الذي صنع من عظام أطفاله القتلى، سكاكين ثار، ومناجل حصاد .. ومن حجارة بيته المنسوف، صنع تماثيل أطفال، وقوارات ورد ..

الى .. القوي مكايي أحياناً، ومعلماً !

من :

سميح القاسم " ويقول في مطلعها^(٣):

"شاءها الله شهية !

شاءها الله .. فكانت .. كبلادي العربية !

(١) ينظر: آليات الخطاب التهكمي واتجاهاته في شعر سميح القاسم، جمال طالبى وعسكر

بابازاده اقدم، أفاق الحضارة الإسلامية، أكاديمية العلوم الانسانية والدراسات الثقافية، السنة

العشرون، العدد الأول، الربيع والصيف، ١٤٣٨ : ٤٩ .

(٢) الديوان : ١٥٣ .

(٣) الديوان : ١٥٣ .

شعرها .. ليلة صيف بين كثنان تهامة

مقلتها .. من مهاة يمنية

فمها .. من رطب الواحة في البيد العصية "

ترى رقية زيدان أن الشاعر في ليلى العدنية يجسد انتماءه العربي، فليلى ترمز الى القومية العربية، والى حركات التحرر في العالم العربي في مصر وسوريا وليبيا والعراق واليمن والسودان والجزائر (١).

فالشاعر لا يحتاج الى اثبات أو تجسيد عرويته، فهو فلسطيني الجنسية وعربي القومية. وأن الفكرة الرئيسية لا تدور حول الشاعر وما يريد أثباته، هذه القصيدة رسالة وثورة بحد ذاتها .

أما إيمان غالب شعبان مرقية ترى أن الشاعر يشير الى مدينة عدن، ومدن اليمن الجنوبي عامة، وتدعو ابناءها إلى الثورة والوقوف إلى جانبها في مجابقتها للمستعمر البريطاني، الذي ارتكب في اليمن الجنوبي افطع الجرائم الوحشية، وهذه المدن مؤمنة بالأمل في تغير ذلك الوضع المأساوي الذي تحياه، وترى الباحثة أن هذه القصيدة أظهرت الوجه المشرق للوطن العربي، فقد ظهرت مدينة عدن من خلال ثورة أبنائها (٢).

ورداً على ما ذكرته الباحثة، فأن الشاعر في هذه القصيدة لم يركز على المكان بقدر ما ركز على الزمان والاحداث . فالقصيدة تتحدث عن انطلاق أحداث ثورة ١٤ أكتوبر عام ١٩٦٣ لتحرير الجنوب العربي اليمني من الاستعمار البريطاني، إذ شكلت عدن نقطة فارقة في تاريخ النضال الطويل (٣) وتركيز الباحثة على المكان لا الزمان الذي يشكل الفكرة الاساسية والواضحة في النص جاء لخدمة موضوع بحثها، أكثر من كونه بني على اسس موضوعية .

وبرى محمد خاقاني اصفهاني ومريم جلائي أن الشاعر في هذه القصيدة يرسم للقارئ معركة بين العرب في اليمن وبريطانيا، فالشاعر يرمز للامة العربية بعدن وليلى فتاة عدنية شهية يحاول العدو سببها فيمضي ابوها للدفاع عنها، وتدفعه غيرته الى الإستشهاد، الا انها تحرض أبناء عمها لمواصلة النضال و الصمود أمام العدو، في بداية القصيدة يؤمن الشاعر

(١) ينظر: أثر الفكر اليساري في الشعر الفلسطيني: ١٦٣.

(٢) ينظر: المدينة في شعر سميح القاسم: ١٩٠-١٩٢.

(٣) ينظر: من هي ليلى العدنية التي خصها الشاعر الفلسطيني سميح القاسم بملحمته الشعرية، إعداد خالد انس، مجلة عدن الغد، الجمعة ٢٩ نوفمبر ٢٠١٣.

بحتمية الانتصار لصالح العرب، إلا أنها تسقط في نهاية القصيدة كما سقطت فلسطين^(١) وكما سقطت جميع الدول العربية، إذ جمعت ليلى في هذه القصيدة كل العروبة إلا أنها سقطت نتيجة تخاذل العرب وعدم الوقوف يداً واحدة في ردع العدوان الذي يواجه جميع الدول العربية.

٢- أحداث ١٩٦٧ وما بعدها

في عام ١٩٦٧ حشدت الجيوش العربية لمعركة تحرير فلسطين، ولكن باءت هذه الجيوش بالهزيمة ففي الخامس من حزيران في العام نفسه خرجت مقاتلات وقاذفات اسرائيلية، وغارت على الاجواء المصرية ودمرت عشر مطارات، وسلاح الجو المصري، ثم جاءت هزيمة احتلال القوات الاسرائيلية شبه جزيرة سيناء وهضبة الجولان والضفة الغربية والقدس الشرقية، ودمرت مطارات سوريا والاردن، لقد كان طعم الهزيمة أشد مرارة وبالغ القسوة، وذلك للمفارقة المذهلة بين الامل الذي كانت أجهزة الاعلام تبشر به وتبته وبين الواقع الكئيب الذي انتهينا اليه، لقد اثرت هذه الهزيمة اشد الاثر بين أوساط الكتاب والمتقنين والشعراء عامة، أما شعراء المقاومة ومنهم شاعرنا لم يتلق هذا الخبر بروح تشاؤمية بل اتخذ من أدبه، موقفاً ورؤية يبعث الامل والصمود فنظم عدة قصائد ثورية بروح نضالية تقاولية لمواصلة النضال والحياة^(٢).

ورأي الباحثة بأن الشاعر سميح القاسم لم يتلق هذا الخبر بروح تشاؤمية، بل بقي محافظاً على الروح النضالية، ينبغي القول بأن شاعر تأثر أشد التأثير بهذه الأحداث، وبث في قصيدته شيئاً من التشاؤم والسخرية والعتب فهذه الهزيمة شكلت وصمة عار في جباه الحكام العرب، كما أثرت بالشارع العربي وبكل عربي يرى في خلاص فلسطين تحرر من العبودية والوقوف بوجه الصمت، ولكن مهمة الشاعر التي ميزته جعلت الشاعر يخفف من وطأة ردة فعل الشاعر في التعبير عن هذا الألم ويحوله الى أمل لكي يكون منارة تنير درب التحرر، ففي قصيدته (من هنا تعبر النسور)^(٣).

كنتُ تلميذاً .. وكان

في دماي أفعوان

علموني .. أنني صفر وضيع علّوني

(١) ينظر: التراث الديني في شعر سميح القاسم شاعر المقاومة الفلسطينية، محمد خاقاني

اصفهانى ومريم جلائي، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، فصلية محكمة، العدد ٥٥،

ربيع ١٣٩٠-٢٠١١: ٩-١٠.

(٢) ينظر: أثر الفكر اليساري في الشعر الفلسطيني ١٠٥-١٠٦.

(٣) الديوان: ٥١٣.

أنني خرقه عار وهوان ..

ولد .. خلفه الأعراب في بيد الزمان!

فالباحثة ترى أن القاسم يعبر عن حزنه وآلمه ساخرًا من الجيوش العربية، فعندما استعدت الجيوش العربية لمعركة المصير وتحرير فلسطين، واستتفرت الجيوش العربية لتتدلع حرب الخامس من حزيران ١٩٦٧، وعلى الرغم من أن اذاعة صوت العرب في الايام الستة الاولى كانت تذيع خبر انتصارات الجيوش العربية وسقوط الطائرات الاسرائيلية، الا أن الجيوش العربية في تلك الليلة كانت تعيش ليلة انس وسهر^(١).

ففي هذه القصيدة يظهر حزن الشاعر وآلمه الشديد لهذه الهزائم، بعد أن ضاع أمل الشعب الفلسطيني بالنصر وطرد الاسرائيلي المحتل من أرضه، تأنيه ضربة قاضية، تنهي أمله بالتحريرو والنصر، والشاعر عبر عن هذا الموقف بأسلوب ساخر، عكس حالته النفسية والشعورية. وفي (قصيدة في الخامس من حزيران) التي تنتمي الى المجموعة الشعرية(في انتظار طائر الرعد)، يقول في مطلعها^(٢) :

في الخامس،

من شهر حزيران الماضي

أرجعنا للموت حقائبه الدبلوماسية

يرى محمد عبد عبدالله عطوات أن الشاعر في هذه القصيدة يرى أن قضية الشعب والارض-الضحيين - تعرض على الامم المتحدة، وكأن الشعب الفلسطيني يتيم ليس له من يدافع عنه، وينتقم له، فالبلدان العربية لا دور لها في مساعدة الشعب الفلسطيني الشقيق، بل هي على النقيض مما يتوجب عليها فعله، تستمر في ضخ البترول للدول الداعمة لإسرائيل^(٣) فعلى الرغم من الخسائر التي منيت بها الدول العربية في حرب حزيران إلا أنها لازالت تقدم لها يد العون في ضخ البترول لها وكأن الشاعر يتساءل كيف يمكن أن تكون خصم لعدو ما وتقدم له المساعدة، فهناك تشكيك من قبل الشاعر في كون هذه الحرب حقيقية وليس مجرد غطاء أو صورة لإسكات غضب الشعوب العربية. التي رأت في هذه الحرب الخلاص من المحتل الصهيوني في الوطن العربي. لكنها صدمت كما صدم الشعب الفلسطيني بهزيمة مخزية بلا مقاومة .

(١) ينظر: ظاهرة الموت في شعر سميح القاسم، إعداد أمل عبد اللطيف داود حسن، بإشراف

أ.د. إحسان الديك، جامعة النجاح الوطنية، نابلس- فلسطين، ٢٠١٧: ١٢٨.

(٢) الديوان: ٤٢٨.

(٣) ينظر: الاتجاهات الوطنية في الشعر الفلسطيني المعاصر من ١٩١٨-١٩٦٨: ٣٢٥.

وترى رقية زيدان أن هذه القصيدة نظمها الشاعر على أثر نكسة عام ١٩٦٧، فنظمها بروح تفاؤلية لمواصلة النضال والتجدد والحياة^(١).

ونحن لا نختلف مع رقية زيان في كون القصيدة كتبت على اثر النكسة، ولكن كيف ترى أن الشاعر يستشعر التفاؤل والحياة في هذه القصيدة؟ فقارئ القصيدة يستشعر السخرية و ألم الشاعر لهذه الهزيمة التي كانت بمثابة طوق النجاة للغريق الفلسطيني في الخلاص من المحتل الاسرائيلي يقول :

في الخامس،

من شهر حزيران الماضي،

لا أبكي !

لا أضحك !

فألم الشاعر أفقده الاحساس بالحياة، فلم يعد يعرف أضحك سخرية لما حدث أم يبكي على شعبه ووطنه المحتل، فالدكتورة رقية زيدان لم تنطلق من شرط ملائمة الخطاب النقدي وإنما ركزت على فنية النص وهذا ليس من خصوصية الخطاب النقدي كما يرى محمد الدغمومي "إن الخطاب النقدي يحتفظ بخصوصيته لا لكونه علماً أو فناً، لان هاتين الصفتين عرضيتان ولا تدخلان في صلب التحديد المفهومي للنقد وإنما الخصوصية تنبع من شرط الملائمة الذي يوجه افعال الخطاب في اتجاه مجال الخطاب الأدبي كأنتاج معروفة بالأدب"^(٢)

فيما ترى الباحثة أمل عبد اللطيف أن الشاعر في هذه القصيدة أراد أن يوصل للعدو بأن لا تفاوض بعد اليوم، فقد حان وقت الفعل، فكثرت الموت اسقطت عنه رهبته في نفس الشاعر حتى غدا نزهة يريح فيها الناثر عن نفسه وجسده، فمن آثار هذه النكسة والاحداث التي جرت اصبح لا قيمة للموت^(٣) وهنا ينبغي أن نعقب بأن الموت الذي تحدث عنه الشاعر يمثل الاستسلام لأمر الواقع والرضا بهذه الهزيمة؛ لأنها صدرت برضا الاطراف جميعها ولم تكن هزيمة فطرية بل هزيمة مفتعلة بدليل إرضاء هذه الاطراف بقوله :

أرجعنا للموت حقائبه الدبلوماسية

واشتركوا بالجلسة غير العادية

ويرى سليم الحسني أن الشاعر يكثف المعاني المتعلقة بمسألة التعامل الايجابي مع محطات الانتكاسة المروعة، التي قتلت الثقة بالنفس عند قطاع كبير من الشعوب العربية

(١) ينظر: أثر الفكر اليساري في الشعر الفلسطيني ١٠٧.

(٢) نقد النقد مدخ ل ابيسيمولوجي، محمد الدغمومي، مجلة أقلام، العدد السادس، ١٩٩٠، بغداد: ٥٥.

(٣) ينظر: ظاهرة الموت في شعر سميح القاسم: ٦٣-٦٤.

والاسلامية، والقت ظللاً مخيفة على الواقع العربي، وتحولت بسرعة الى حقائق سياسية مؤثرة على معادلة الصراع العربي الاسرائيلي، إذ ينظر الشاعر الى الانتكاسة على أنها لحظة ولادة جديدة، للإنسان العربي، لأن الهزيمة خلقت فيه رغبة التمرد الواعي على الواقع المتخلف، فولدت في أعماقه الثورة، والذي دفعه الى اعلان هذه النتيجة الخطيرة قناعته بأن الهزيمة لم تقلل من مقومات الثورة .. وان الخسائر قد حدثت في موازين القوى لم تصب في مكونات الجسم العربي،، واذا كانت الهزيمة قد سلبت الكثير من الواقع، الا انها في المقابل خلقت الارادة الثورية داخل الانسان التي يمكن أن تحرك الاجزاء المتبقية عنده الموزعة على التاريخ والارض والهوية^(١).

من خلال قراءة القصيدة والبحث في خباياها، لم نجد أي مسوغ لكلام الباحث، فمن اي تفاؤل يتحدث الباحث؟ فالقصيدة عبارة عن خطاب عتب وسخرية من الجيوش العربية وكأن الشاعر في هذه القصيدة استشعر المستقبل الذي نعيشه الان، فهو يتحدث عن خطر هذه الهزيمة وكأن الشاعر اراد القول بأن العرب مجتمعة لن تهزم اسرائيل، فمتى ستهزم بعد أن يقوى جذرها الخبيث في هذه الارض الطيبة؟ وستعود الامور طبيعية، سيرضى العرب الذل والهوان وستسعى اسرائيل الى تفرقة صفوف الجيش العربي للحيلولة دون قيام جيش موحد قوي يشكل خطراً يهدد بقاءها، وهذا ما حدث فعلاً فنحن نعيش المستقبل الذي قصده الشاعر، ونعيش آثار كل تلك الهزائم، لا تستطيع الدول العربية تحريك ساكن فيما يخص وجود اسرائيل، فلو يعلم الشاعر ما يحدث الان من قبول الدول العربية بوجود اسرائيل وتوقيع اتفاقيات فيما بينها لتترك النضال وترك المقاومة، وكسر قلمه فكل ما كتبه وعاشه لم يؤثر بالعرب ولم يمنعهم من الاتفاق مع العدو الاول فكل قصائد الشاعر تقريباً تحدثت عن نضال الفلسطيني وحده كاليتيم، وكأن القضية قضيته وحده فلا أحد يعاني من هذا الاحتلال سواء ولم تهدر دماء سوى الدماء الفلسطينية التي نجحت اسرائيل الآن في تفرقت الصف العربي ولم تعد قضية قومية بل قضية وطن واحد، هذه الرؤية المستقبلية التي نجدها في شعر الشاعر تحققت فعلاً. وفي قصيدة (عزيزي ايفان الكيبيفتش) يصور الشاعر ما حدث في حرب اكتوبر إذ بدأت المعركة بالانتصار وانتهت بأنكسار جديد، ضاعت على اثرها المزيد من الدماء العربية، وسفكت المزيد من الدماء، في البداية مزج الشاعر مشاعر الامل والانتصار، بسبب ما تشيحه وكالات الأنباء من أخبار الانتصار، لكن هذا الشعور سرعان ما تبدل الى الحزن و

(١) ينظر: عن تجربة الشاعر سميح القاسم : دراسة في شعر الانتفاضة، سليم الحسني،

الالم بسبب الهزيمة^(١) إذ يقول^(٢):

جبيني مثقل بالوحل، يا ايفان
وقلبي غاب اياما وراء وكالة الانباء
وعاد لي محمولا مع الجرحى
على حمالة حمراء !
وراياتي كانت تمد الريح بالخنوة
مهللة : يا هلا مرحى ! يا هلا مرحى !

ونحن نتفق مع ما ذهب اليه الباحثة أمل عبد اللطيف، فإن أحداث أكتوبر أثرت في الشاعر أيما تأثير، فقد ذكر الشاعر هذه الحادثة في أكثر من قصيدة، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على عمق تأثير الشاعر بهذه الحادثة، فأخبار الانتصار التي أشاعتها وكلمات الانباء ' دبّت في قلب الشاعر الامل بالانتصار والخلص وبنى الشاعر آمال كثيرة بهذه الاخبار، ولكن الشاعر صدم بالواقع الاليم الذي كام مفاده الهزيمة الاليمة و الانكسار، ففي قصيدة سقوط الأتقعة التي يقول في مطلعها^(٣) :

سقطت جميع الأتقعة

سقطت .. فأما راياتي تبقى .

وكأسي المترعة

او جثتي والزويعة سقطت جميع الأتقعة

إن سميح القاسم في هذه القصيدة يصرخ سقطت جميع الأتقعة، سقطت بعد نكبة ١٩٦٧، إن مجلس الامن الدولي أصبح لعبة في أيدي الدول الكبرى، فقد اصبح عاجزاً عن كل شيء الا مباركة خطوات في التوسيع والتخريب، فهو يعرض قضية وطنه التي مضى عليها عشرون عاما دون أن تحل، وهو واثق أن هذا المجلس أعجز من أن يجد حلا ، فهو يتسم باللامبالاة أمام ما يجري من أحداث دامية ضد العرب في فلسطين والارض العربية المجاورة^(٤).

(١) ينظر: ظاهرة الموت في شعر سميح القاسم، أمل عبد اللطيف داود حسن: ١٣١.

(٢) الأعمال الكاملة للشاعر سميح القاسم/١، دار سعاد الصباح، الكويت، ١٩٩٣: ٣٢٢-٣٢٣.

(٣) الديوان: ٦٢٩.

(٤) ينظر: الغربية والحنين للوطن في الشعر الفلسطيني بعد المأساة، إعداد: أمين صالح محمود عبد ربه، بإشراف أحمد الشرياصي، جامعة الأزهر كلية اللغة العربية، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧: ٢٤٠-٢٤١.

وترى ايمان شعبان أن القدس القديمة هي المكان الذي سيلتقي فيه المناضل الفلسطيني مجلس الامن، هذا المجلس الذي سقط القناع عن وجهه، فهو لم يتخذ أي قرار فعلي منصف منذ سقوط فلسطين بيد الاحتلال ١٩٤٨، وحتى عام ١٩٦٧، فالجرائم مستمرة، وتحريير هذه المدينة منوط بأهلها، ودرب الحرية لا يرصف الا ببذل الدماء، ونداء الشاعر هنا لا يخلو من السخرية من واقع هذا المجلس فقراراته لا اهمية لها (١)

ونحن نتفق مع ما ذهبت اليه الباحثة فالشاعر كتب هذه القصيدة أثر نكبة ١٩٦٧ وبعد أن اكتشف الشاعر وجه الخبث في مجلس الامن الدولي الذي اتخذ قرارات تؤيد الاحتلال الاسرائيلي وتدعمه في قراراتها، هذا المجلس الذي عرضت عليه قضية فلسطين منذ أكثر من عشرين عاماً لكن دون جدوى، لأنه أداة بيد اسرائيل وقراراته كلها مجحفة وظالمة للشعب الفلسطيني الجريح فالشاعر أرخ في هذه القصيدة التاريخ الاسود لهذا المجلس وكشف عن نواياه أمام العالم أجمع لكن دون جدوى. وفي (قصيدة الدم الصهيل) التي يقول فيها (٢):

يا قاصداً بغداد

سلم على أهلي

وقل لهم: "يا ناس

يموت في الذل!"

يا راحلاً لمصر

بُس لي الضريح

وارفع من الدموع

سيفاً وقوس نصر

ترى ايمان غالب شعبان أن الشاعر في هذه القصيدة يبرز أثر موت جمال عبد الناصر ١٩٧٠، في بغداد، فقد كان المناصر والداعم لبغداد، وبموته فقدت هذه المدينة الداعم، والسند والحماية، وهنا اتسعت بغداد لتعبر عن أقطار الوطن العربي، فجميع أقطار الوطن العربي شعرت بالحزن والاسى لفقد هذا القائد الشجاع (٣).

وفي قصيدة (زنايق لمزهرية فيروز) تظهر القدس عام ١٩٦٧ حزينة مثقلة بهمومها وآلامها وجراحها، نتيجة سقوطها بيد الاحتلال الإسرائيلي عام ١٩٦٧، ولعمق العلاقة بين هذا المكان وابنائها، فان الحزن الذي يسيطر على هذه المدينة، ترك أثراً واضحاً في قلوب ابنائها،

(١) ينظر: المدينة في شعر سميح القاسم: ٥٥.

(٢) الاعمال الكاملة: ١٤/٢.

(٣) ينظر: المدينة في شعر سميح القاسم: ١٧٢.

فضياع القدس هو ضياع المستقبل، ويشارك أبناء الامة العربية اخوانهم الفلسطينيين في هذا الالم (١) في هذه القصيدة يقول (٢):

من أين يا صديقه

حملت المزهريه

والنظرة الشقية

* من القدس العتيقة.

_ ومن يا ترى رأيت

في عثمة القناطر

من شعبنا المهاجر

إن الشاعر في هذه القصيدة انطلق من دائرة تسجيل الموقف والاحداث، فأراد أن يثبت هذه الصورة في ذاكرة الانسان الفلسطيني خاصة والعربي عامة، ليصور جرائم هذا العدو المحتل (٣) ونحن نتفق مع ما ذهب اليه الباحثة، فتسجيل الحدث، هو تذكرة للفلسطينيين وللعالم أجمع بأن القدس عربية وتم احتلالها من العدو الصهيوني عام ١٩٦٧، ونرى جوا من الحزن والتشاؤم يخيم على المدينة وابنائها نتيجة سقوطها بيد الاحتلال. وفي (قصيدة حتى الموت) التي نضمها بعد نكسة ١٩٦٧ والتي يقول في مطلعها (٤) :

_ طوال الليل غنيت !

طوال الليل .. لم يشعر بك الموتى

طوال الليل .. غصَّ البيت أشباحاً

وفض بكارة العثمة في عنف قطار الصبح

ومرَّ ببابك المعقود فوق الجرح

ونادى :

" أن أن تُغفي في صمت .. وترتاحا !

هذه القصيدة هي من أولى القصائد التي قالها الشاعر بعد نكسة عام ١٩٦٧، ولذلك يبدو جو الكآبة والسوداوية، ممزوجاً بلغة التحدي، واضحين جداً، وفي القصيدة دلالة على كبر وقع الهزيمة التي جاءت ساحقة للأمال والأحلام، التي عاشها الفلسطينيون عموماً ولاسيما شعراء المقاومة. فالقصيدة مجموعة من المراحل، فقد كان المقطعان الاول والثاني أقرب الى

(١) ينظر: المدينة في شعر سميح القاسم : ٣١.

(٢) الديوان : ٢٠٦.

(٣) ينظر: المدينة في شعر سميح القاسم : ٣١.

(٤) الديوان : ٥٢٨ .

الاستسلام للهزيمة، في حين جاء المقطعان الثالث و الرابع محاولة لرفض الواقع والتمرد عليه^(١).

ونحن نتفق مع ما ذهب اليه الباحث، فهذه القصيدة تُظهر وقع هزيمة ١٩٦٧، وما رافق هذه الهزيمة من حزن والم و الرضوخ لواقع الهزيمة، ولكنه حزن ممزوج بالتحدي والاصرار فعلى الرغم من كل الخسائر تبقى فلسطين عربية واسرائيل محتلة. وفي(قصيدة الطريق الى جبل النار) ترى الباحثة إيمان غالب شعبان مرقة انها تصور مدينة نابلس، هذه المدينة التي اشتهرت بنضالها وثورتها ضد المحتل وعدم السكوت بل بقيت ثائرة على الرغم من كل شيء، وفي عام ١٩٧٤، شنت قوات الاحتلال حملة واسعة من الاعتقالات بحق أبناء هذه المدينة، وادعتهم السجون إذ فقدت هذه المدينة شيئاً من تألقها النضالي، التي كانت تتميز به، فلم تعد كما السابق المدينة المقلقة للأعداء، الآن دخلت دائرة السكون، نتيجة الحملة الشرسة عليها^(٢) يقول فيها^(٣) :

واني رسول جبال الجليل الى جبل النار

من مرشدي ؟

يقولون انت اهتديت الى جبل النار

أصرخ يا ناس لم اهتد

الى جبل النار هل تسمعون وهل تفهمون ؟

الى جبل النار لم اهتد

في هذه القصيدة يظهر آسى الشاعر على هذه المدينة، فيبعد أن كانت قبلة المقاتلين، الان تتعرض لهجوم شرس، تشن القوات الاسرائيلية الاعتقالات بحق أبنائها، محاولة منها لإنهاء الدور المقاوم الذي يقوم به ابناء هذه المدينة لكن الشاعر لن يستسلم مثله مثل ابناء هذه المدينة، ويتوعد بأن تعود هذه المدينة الى نضالاتها السابقة مثل جميع المدن الفلسطينية. وفي قصيدة (أدافع) تتعرض مدينة بيروت الى العدوان الصهيوني عام ١٩٨٢، والشاعر يتشوق الى الوقوف الى جانب هذه المدينة التي وقفت الى جانب الفلسطيني وساندته في نضالها ضد العدو نفسه، فهذه الحرب تأخذ بعداً سياسياً^(٤)، فالشاعر يُظهر ألمه وحسرتة على واقع بيروت وواقع فلسطين فهذه الحرب هي هجوم ومحاولة لإبادة الوجود الفلسطيني

(١) ينظر: المقاومة في الشعر العربي المعاصر: ١٣٧- ١٤٠.

(٢) ينظر: المدينة في شعر سميح القاسم: ٨٢.

(٣) الاعمال الكاملة : ٣١٧/٢ .

(٤) ينظر: المدينة في شعر سميح القاسم: ١٥٧-١٥٨.

فيها، وذلك دليل قاطع على أن الدول العربية تلتحم فيما بينها، وترتبط برباط العروبة، فعدوهم واحد، وهو محاولة زرع الفرقة لإضعاف هذه الامة محاولة للسيطرة عليها يقول في مطلعها^(١):

الطائرة الإسرائيلية

العائدة الى قواعدها سالمة

تترك وراءها خطأ أبيض طويلاً

ذلك الخط المتوعد كحبل المشنقة

هو البيت الاول في النشيد

أما بعد

وفي قصيدة (مأساة هوديني المدهش) تنبأ الشاعر سميح القاسم بحدث قادم، وهو المنقذ، تنبأ بانتفاضة الحجارة ١٩٨٧، ويقول فيها^(٢) :

أهُوتُ على العتبة

زرقاء مُقْتَضِبَةٌ

في كَفِّها جَمْرٌ

وَدَمٌ على الرَقَبَةِ

وَفَرَشَةٌ في الصدر مُنْتَهَبَةٌ

أهُوتُ على العتبة

يشعر الشاعر بشيء من العجز والحزن العميق وعدم قدرته على تغيير الواقع، فهو يشعر بأنه يلتهب من الحزن، بسبب الهزائم والانكسارات التي يتعرض لها في وطنه وفي الوطن العربي أجمع يقول رجاء نقاش "إن سميح القاسم في هذه القصيدة يصور لنا القوة "القوة الروحية" في الانسان عندما تعجز الوسائل العادية والتقليدية، وعن حمايته والدفاع عنه، وأن الانسان هنا يجدد ويبتكر لعل سميح القاسم تنبأ بشيء قادم بها هو الانسان الفلسطيني يبتكر هذا الاسلوب الثوري العجيب، الذي لم يسبق له مثيل في أساليب النضال في كل عصور التاريخ كلها، هذا الاسلوب هو المعروف بانتفاضة الحجارة"^(٣)، ففي قصيدة الانتفاضة التي تنتمي الى ديوان الشاعر (لا استأذن احدا) الصادر في بيروت عام ١٩٨٨، وفي بداية القصيدة عنوان فرعي بسيط يقول (رسالة الى غزة لا يقرأون) أي غزة لا يقرأون التاريخ^(٤)

(١) الأعمال الكاملة: ٧٣/٣ .

(٢) المصدر نفسه: ١٩٣/٣ .

(٣) ثلاثون عاما مع الشعر والشعراء، رجاء نقاش، دار سعاد الصباح، الكويت، ١٩٩٢ : ٣٦٧-٣٦٦ .

(٤) ينظر: المقاومة في الشعر العربي المعاصر: ١٤٩ .

ونحن لا نتفق مع ما ذهب اليه الباحث، حول العنوان الفرعي، فهذا ليس عنواناً بل هو تصدير للقصيدة قبل الولوج إليها، لينقل الى المتلقي فكرة أن العدو الذي يتعامل معه الشاعر لا يقرأ فلو كان يقرأ التاريخ والثقافة والتراث لما تجرأ على أرض ليست أرضه، وينسب لنفسه وطناً ليس وطنه، فهذا العدو أشبه بالسارق الذي تبرر له غايته الوسيلة، يقول في مطلعها^(١):

تَقَدَّمُوا تَقَدَّمُوا

كُلُّ سَمَاءٍ فَوْقَكُمْ جَهَنَّمُ

وَكُلُّ أَرْضٍ تَحْتَكُمْ جَهَنَّمُ

تَقَدَّمُوا

يَمُوتُ مِنَّا الطِّفْلُ وَالشَّيْخُ

وَلَا يَسْتَسَلِّمُ

وَتَسْقُطُ الْأُمُّ عَلَى أبنائها القتلى

وَلَا تَسْتَسَلِّمُ

ترى رقية زيدان أن هذه القصيدة التي تضج بالإيقاع الثوري نظمها الشاعر خصيصاً لانتفاضة الحجر عام ١٩٨٧، وفيها يخاطب المحتل الذي يمارس القتل والاعتقال على شعب أعزل لا يمتلك الا الحجر، وهذه القصيدة موجهة الى غزاة لا يقرأون أي لا يقرأون الواقع والتاريخ^(٢) ولا يعلمون أن من المستحيل أن يتخلى العربي عن أرضه مهما تعرض لأشد أنواع التعذيب والقتل فهذه أرض أجداده وأبنائه، فهم لا يقرأون التاريخ، لانهم يعلمون جيداً الحقائق الصحيحة التي لا تتناسب مع أطماعهم الاستعمارية .

أما الباحثة ايمان غالب شعبان، ترى أن مدينة غزة في هذه القصيدة تتحول الى ساحة حرب حقيقية في الانتفاضة الفلسطينية التي حدثت عام ١٩٨٦، وهذه الانتفاضة تتحدى المحتل بكل ما لديه من جبروت، من أن يدخل هذه المدينة، فالانتفاضة هي التي سترسم مستقبل الشعب الفلسطيني هذا الشعب الذي سينتصر وسيحقق ما لديه من آمال وسترسم الانتفاضة الطريق الى النصر وهزيمة العدو الصهيوني، فكل جزء من أجزاء هذه المدينة يثور ويناضل ويشارك في هذه الانتفاضة رافضا الخضوع والاستسلام مفضلا الموت على حياة الذل^(٣).

(١) الاعمال الكاملة: ٣ / ٤٠٥ .

(٢) ينظر: اثر الفكر اليساري في الشعر الفلسطيني: ٧٤-٧٥ .

(٣) ينظر: المدينة في شعر سميح القاسم: ١١٨-١٢٢ .

كما ترى الباحثة بخدة علي أن هذه القصيدة هي وليدة وقع الانتفاضة الاولى فسياقها التاريخي يتناول أحداث هذه الانتفاضة لما تحمله من معاني سامية وأفكار جبارة اراد الشاعر نقلها الى المحتل^(١).

في هذه القصيدة (الانتفاضة) أرخ الشاعر سميح القاسم لهذه الانتفاضة على طريقته الخاصة فهو بهذه القصيدة استنهض الهمم أيضا، وأعلنها صراحة بأن شعبه لا يستسلم. فهذه القصيدة حضرت في الحرب على غزة وكتبها الشاعر اثناء الانتفاضة الاولى^(٢)

ويرى الباحث القذافي محمد احمد أن هذه القصيدة ليست نوحا بقدر ما هي إشراقات تصدر من صميم المعاناة حملت كل معاني المقاومة في الاستبشار بالغد المشرق، على الرغم من كل الظلم والاستبداد والقتل الذي يمارسه الاحتلال وهي في الوقت ذاته انعكاس حقيقي لما يجري في الاراضي المحتلة انذاك، وهو اندلاع ثورة الحجارة الاولى التي بدأت في شهر ديسمبر ١٩٨٧^(٣)

ونحن نتفق مع ما ذهب اليه الباحث فهذه القصيدة التي تعد نشيد الصمود تذكر الفلسطينيين بالانتفاضة، والمقاومة، وهي بقدر ما تلهب حماسة الفلسطينيين، تشكل تهديداً خطراً على الصهاينة المحتلين، فهذه القصيدة هي نشيد المقاوم في كل مكان في فلسطين وسترافقهم في جميع انتفاضاتهم وثوراتهم المستقبلية لما تحمله من معاني الاصرار والثبات فعلى الرغم من كل ما يحدث لن يستسلم الفلسطيني إمرة أو شيخا أو طفلا أو رجلا. وفي قصيدة (القطار العائد من الصعيد) التي يقول في مطلعها^(٤):

"على نبضات قلبي . آه . كانت تنبض العجلات

على نبضات قلبي . آه

وقلبي كان يا أسوان : واحدة من الورشات

دواليبا و صيحات وجرافات "

ترى إيمان غالب شعبان أن الشاعر ركز على البعد التاريخي في هذه القصيدة، وجاءت مدينة القاهرة من خلال موقفها تجاه الشعب الفلسطيني في انتفاضته الباسلة عام

(١) ينظر: الخصائص الأسلوبية في شعر سميح القاسم قصيدة تقدموا انموذجاً، إعداد الطالبة

بخدة علي، اشراف د. المكروم سعيد، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم /الجزائر،

٢٠١٨-٢٠١٩ : ب

(٢) ينظر: بحث مؤتمر جامعة بيت لحم للعام ٢٠١٥ بمناسبة ذكرى وفاة الشاعر سميح

القاسم : سربية انا متأسف و دحض الفكر الصهيوني : ١.

(٣) ينظر: المقاومة في الشعر العربي المعاصر : ١٤٩.

(٤) الديوان : ٣٧٤.

١٩٨٧، وهي تفتح أبوابها للشعب الفلسطيني، وكذلك في رفض ابناء مدينة القاهرة ان يتنازل الرئيس جمال عبد الناصر عن الحكم بعد هزيمة حزيران عام ١٩٦٧ فهم يرتبطون به أشد الارتباط، وهم يرونه الرئيس الذي استطاع أن يحقق أمل الامة العربية ببناء السد العالي . وان يبعث كرامتها من جديد، من خلال هذا الانجاز . لذا سيظل هو الرئيس الذي يحافظ على عربية هذه الامة، ووجودها، وسيظل هو الداعم والحامي والناصر للشعب الفلسطيني في مجابهته للمحتل الصهيوني، فعبد الناصر هو الامل بالخلاص من قيود المحتل، ولن يتنازل الشعب الفلسطيني عن هذا الامل، والقاسم يشيد بالموقف الايجابي المساند للشعب الفلسطيني في انتفاضة عام ١٩٨٧ (١) .

ونحن نتفق مع بعض ما ذهبت اليه الباحثة، فالشعب المصري ساند الشعب الفلسطيني في انتفاضته ضد المحتل عام ١٩٨٧، ولكن الشعب الفلسطيني رأى في الرئيس المصري جمال عبد الناصر الرئيس الذي سيقوق الامل بالوحدة؛ لان الشعب الفلسطيني يغرق يوماً بعد يوم فهو كالغريق الذي يتعلق بقشة، وخطابات الرئيس المصري دبت في قلوب الفلسطينيين الامل بالخلاص، ولم يكن في الوطن العربي غير هذا الرئيس الوحيد الذي اشهر كلمته في الوقوف بوجه اسرائيل لحماية شعبه، لهذا يرى الفلسطيني فيه القائد الكبير والامل بالخلاص. وفي سرية الصحراء، يصور الشاعر التناقضات في العالم العربي وفي العالم أجمع، فبينما ينام الشعب يصحو على ممارسات الاحتلال البشعة، من قتل وأسر وتخريب، والعالم يتغنى بشعارات الحرية الكاذبة وتمثيلها من جهة، ويمد الاحتلال الاسلحة ويتقن بالقتل والتعذيب والدمار من جهة أخرى ليصبح القتلى بالوف في لبنان وفلسطين من خلال مجزرتي صبرا وشتيلا، فأن أحداث بيروت عام ١٩٨٢ وما سبقها وما لحقها من غزو القوات الاسرائيلية للبنان وحصار بيروت، ومطاردة المقاتلين الفلسطينيين، وترحيلهم الى لبنان، فضلاً عن مجزرتي صبرا وشتيلا، فكل هذه الاحداث تركت اثرها البارز والحزين في الشاعر إذ يقول (٢) :

طوابير اسرى وقتلى

وتصحو

جماهير قتلى واسرى

هنا يقذف "العالم الحر"

كيس النفائات

(١) ينظر: المدينة في شعر سميح القاسم، ايمان غالب شعبان مرقعة: ١٩٢-١٩٤.

(٢) الأعمال الكاملة للشاعر سميح القاسم/٣، دار سعاد الصباح، الكويت، ١٩٩٣: ٣٤ .

هذا ملاك الجريمة

آت على متن "حاملة الطائرات"

ففي هذه القصيدة يظهر التناقض بين ما تقول الشعارات العالمية وبين ما يحدث على أرض الواقع، ففي الوقت الذي يهتف العالم بالحريات والشعرات المسالمة يرتكب الجيش الاسرائيلي أبشع الجرائم والمجازر، ويقمع الحريات، والعالم يقف صامتاً، كالتمثال، فالشاعر يعيب هذا التناقض الكاذب، وينبه العالم بأن مجازر ترتكب في لبنان وفلسطين، وناس تشرد وتهجر، فيجب نبذ الشعارات، والوقوف بوجه الطاغية الحقيقي الذي يقمع الحرية . وفي قصيدة في القلب صلاح الدين التي يقول فيها^(١) :

ونغني ... ورقاب الأكراد

بين الأنشطة والسكين

من إسطنبول الى بغداد

ونغني

ونغني

"يا ليلي يا عيني

في القلب صلاح الدين"

ترى إيمان عبد اللطيف أن هذه القصيدة تظهر مدينة بغداد، إذ يتعرض الأكراد للانتهاكات المستمرة والجرائم الوحشية عام ١٩٨٨ من قبل السلطة الحاكمة في بغداد، دون أن يبدي العالم اهتماماً بوقف تلك الممارسات العنيفة، بحق هذه الأقلية، إذ ظهرت مدينة بغداد من خلال كونها تضم تلك الاقلية التي تتعرض للعنف والقسوة، ولم يكن استحضار بغداد اعتباطياً، إنما جاء لطرح قضية الاقليات في الوطن العربي، فهو يتحدث عما يعانيه من التمييز الطائفي بين الدروز والطوائف الاخرى من قبل السلطات الاسرائيلية^(٢) .

وهنا ينبغي الرد على الباحثة بأن الحقائق التاريخية التي عرضتها في تحليل القصيدة لم تكن صائبة، فليست بغداد هي من تضم الاقلية الكردية في العراق، والانتهاكات التي جرت لم تكن في بغداد أيضاً، إنما جرت هذه الأحداث في شمال العراق عام ١٩٨٨، في مدينة حلبجة، فهي التي تعرضت للإبادة، والقمع من قبل السلطات الحاكمة، ولا نختلف مع الباحثة فيما ذكرته حول إثارة هذه المسألة من الشاعر، من أجل تسليط الضوء، على الأقليات في الوطن العربي، وفيما نراه من ذكر الشاعر لمدينة بغداد كونها تمثل السلطة الحاكمة في ذلك الوقت فهي العاصمة، وقرارات السلطة الحاكمة تصدر منها .

(١) ديوان سأخرج من صورتي ذات يوم، قصائد، سميح القاسم، مؤسسة الاسوار عكاظ، ط١،

٢٠٠٠: ١٨٥.

(٢) ينظر: المدينة في شعر سميح القاسم: ١٧٥.

الخاتمة

- نجد أغلب الدراسات التي درست شعر القاسم تاريخياً أخطأت في توثيق الأحداث، بسبب الاعتماد على مصدر تاريخي واحد، وفي الدراسة التاريخية للأدب يحتاج الناقد الى العديد من المصادر التاريخية، والمقارنة بينها للوصول الى حقيقة الحادثة التاريخية، وبالتالي انعكاس هذه الحقيقة في موضوعية تناول الخطاب النقدي لدى الشاعر .
- تنوع التحليل النقدي السياقي التاريخي للقصيدة الواحد، بسبب تنوع المصادر التي تناولت الحادثة التاريخية نفسها .
- التداخل الكبير بين المنهج التاريخي والمنهج الاجتماعي، في تحليل ونقد الشعر، فمن المعلوم للحوادث التاريخية أثر، اجتماعي في حينها، لذلك نجد تداخلاً بين المنهجين في دراسة الشعر، فلا يمكن فصل الاحداث التاريخية عن جملة الآثار التي خلفتها في ذلك المجتمع، فكل واقعة اجتماعية مع مرور الزمن تصبح حادثة تاريخية، وموضوع للشاعر أو الاديب أو المؤرخ، لكن الشاعر يختلف بأنه يصيغ هذه الحادثة جمالياً، وعاطفياً أكثر من غيره، وهكذا الشاعر سميح القاسم ترك المتلقي ما بين التلذذ بالشعر وإيقاعاته وموسيقاه، وما بين الانتفاع بمعرفة الحادثة التاريخية الاليمة التي عصرت قلوب الملايين في ذلك الوقت، وكل هذه الاشعار صادرة من روح متألمة، وحزينة وكأن الشاعر نقل هذا الحزن ليخرج من دائرة الفردية الى دائرة أوسع هي دائرة النضال الوطني الكبير .

ثبت المصادر

أولاً: الكتب

- ❖ الاتجاهات الوطنية في الشعر الفلسطيني المعاصر من ١٩١٨ إلى ١٩٦٨، د. محمد عبد عبدالله عطوات، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط١، ١٩٩٨.
- ❖ أثر الفكر اليساري في الأدب الفلسطيني محمود درويش، سميح القاسم، توفيق زياد، رقية زيدان، دار الهدى، ط١، ٢٠٠٩.
- ❖ الأعمال الكاملة، سميح القاسم، دار سعاد الصباح، الكويت، ١٩٩٣.
- ❖ آليات الخطاب التهكمي واتجاهاته في شعر سميح القاسم، جمال طالبي وعسكر بابازاده اقدم، آفاق الحضارة الإسلامية، أكاديمية العلوم الإنسانية والدراسات الثقافية، العدد١، ١٤٣٨.
- ❖ بحث مؤتمر جامعة بيت لحم للعام ٢٠١٥، بمناسبة ذكرى وفاة الشاعر سميح القاسم، سريرية أنا متأسف ودحض الفكر الصهيوني.
- ❖ تاريخ فلسطين الحديث، عبد الوهاب الكيالي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١٠، ١٩٩٠.
- ❖ التراث الديني في شعر سميح القاسم شاعر المقاومة الفلسطينية، محمد خاقاني اصفهاني ومريم جلائي ، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها ، فصلية محكمة، العدد٥، ربيع ٢٠١١-١٣٩٠ .
- ❖ ثلاثون عاماً مع الشعر والشعراء، رجاء نقاش، دار سعاد الصباح، الكويت، ١٩٩٢.
- ❖ الخصائص الأسلوبية في شعر سميح القاسم، قصيدة تقدموا أنموذجاً، إعداد الطالبة بخدة علي، جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم- الجزائر، إشراف المكروم سعيد ٢٠١٨-٢٠١٩.
- ❖ دلالات المكان في الشعر الفلسطيني المعاصر بعد ١٩٧٠، إعداد جمال مجناح، إطروحة دكتوراه، جامعة الحاج لخضر باتنة- الجزائر، إشراف أ.د العربي دحو ٢٠٠٧-٢٠٠٨.
- ❖ ديوان الشاعر سميح القاسم، دار العودة، بيروت، ١٩٨٧.
- ❖ ديوان سأخرج من صورتي ذات يوم، قصائد، سميح القاسم، مؤسسة الأسوار، عكا، ط١، ٢٠٠٠.
- ❖ ظاهرة الموت في شعر سميح القاسم، إعداد أمل عبد اللطيف داود حسن، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس- فلسطين، إشراف أ.د إحسان الديك ٢٠١٧.

- ❖ الغربة والحنين للوطن في الشعر الفلسطيني بعد المأساة، إعداد أمين صالح محمد عبد ربه، إطروحة دكتوراه، جامعة الأزهر كلية اللغة العربية، إشراف الدكتور أحمد الشرياصي ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م.
- ❖ في آليات النقد الأدبي، عبد السلام المسدي، دار الجنوب، تونس، د.ط، ١٩٩٤.
- ❖ المدينة في شعر سميح القاسم، إيمان شعبان مرقة، رسالة ماجستير، جامعة الخليل، إشراف د.نادر قاسم، ٢٠٠٦.
- ❖ المقاومة في الشعر العربي المعاصر محمود درويش وسميح القاسم أنموذجاً، إعداد القذافي محمد أحمد القائدي، رسالة ماجستير، جامعة سرت، كلية الآداب قسم اللغة العربية، إشراف د.كولان علي السنوسي الشريف ٢٠١١-٢٠١٢.
- ❖ مناهج النقد الأدبي، يوسف وغليسي، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، ط١، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م.
- ❖ مناهج النقد المعاصر، صلاح فضل، دار ميرت للنشر والمعلومات، ط١، ٢٠٠٢.
- ❖ النقد الأدبي أصوله ومناهجه، سيد قطب، دار الشروق، مصر، ط١، ٢٠٠٣.
- ❖ نقد النقد، مدخل أبستيمولوجي، د. محمد الدغمومي، مجلة الأقاليم، بغداد، العدد ٦، ١٩٩٠.

ثانياً: المواقع الإلكترونية

- ❖ تسلسل للتاريخ الفلسطيني منذ الحرب العالمية الأولى، تقرير bbc news، يوليو/ تموز، ٢٠١٧. <http://www.bbc.com/arabic>
- ❖ مقال بعنوان عن تجربة الشاعر سميح القاسم، زمن الحجارة، دراسة في شعر الإنتفاضة، مجلة جهة جهة الشعر <http://www.jehat.com/ar/sha3er/pages/sameeh/alqassim.html>
- ❖ من هي ليلى العذنية التي خصها الشاعر سميح القاسم بملحمته الشعرية؟، إعداد أنس خالد، مجلة عدن الغد، الجمعة، ٢٩ نوفمبر، ٢٠١٣ <https://adengd.net/news/79682/>

التقديم والتأخير عند ابن الأثير في كتابه الجامع الكبير... محمد نبيل و د. صالح علي

التقديم والتأخير عند ابن الأثير في كتابه الجامع الكبير مع مقارنة آرائه بأهم الآراء

البلاغية

Presentation and delay according to Ibn al-Atheer in his book, The Great Mosque Comparing his opinions with the most important rhetorical opinions

Mohammed Nabil Mahmood
Dr. Saleh Ali Sheikh Ali
Assistant Professor
University of Mosul- College of Education for Human Sciences- department of Arabic language

محمد نبيل محمود
د. صالح علي شيخ علي
استاذ مساعد
جامعة الموصل- كلية التربية للعلوم
الانسانية- قسم اللغة العربية

muhammedaljalili@gmail.com

Salih_alsheikh@uomosul.edu.iq

تاريخ القبول

٢٠٢١/٧/١١

تاريخ الاستلام

٢٠٢١/٦/١٥

الكلمات المفتاحية: البلاغيون- التقديم- التأخير.

Keywords: rhetoricians- introduction- delay.

الملخص

١. ان ابن الأثير -رحمه الله- لاحظ ان الاختصاص هو الاساس لتقديم ما رتبته التأخير، وهذا لايعني انه الغرض الوحيد بل هناك اغراض اخرى ذكرها غيره من البلاغيين.
٢. ان تقديم ما الاولى به التأخير منافٍ للفصاحة التي هي شرط للبلاغة وقد ذكره ابن الأثير للاحتراز منه، ويذكره البلاغيون فيما يخلّ بفصاحة الكلام تحت عنوان (التعقيب اللفظي).
٣. ان من اهم العلماء الذين تأثر بهم ابن الأثير هو الزمخشري، حيث نقل كثيراً من آرائه، كما تأثر بابن جني ايضا.
٤. ان التقديم الذي لا يتعلق بالنحو له صور عديدة ولا تتحصر فيما اورده ابن الأثير -رحمه الله- لكنه فتح الباب للبلاغيين لدراسة هذا القسم من التقديم والاعتناء به.

Abstract

1. Ibn al-Atheer - may God have mercy on him - noticed that competence is the basis for presenting what was arranged by delay, and this does not mean that it is the only purpose, but rather there are other purposes mentioned by other rhetoricians.
2. The introduction of what is the first to delay is contrary to eloquence, which is a condition for eloquence, and Ibn al-Atheer mentioned it to guard against it, and the rhetoricians mention it in what violates the eloquence of speech under the title (verbal commentary).
3. One of the most important scholars that Ibn al-Atheer was influenced by is al-Zamakhshari, who transmitted many of his views, as well as by Ibn al-Jani.
4. The introduction that is not related to grammar has many forms and is not limited to what Ibn al-Atheer mentioned -May God have mercy on him - but he opened the door for rhetoricians to study this section of the presentation and take care of it.

المقدمة

الحمد لله على ما انعم والصلاة والسلام على نبيه المكرم وعلى آله الطيبين وصحابته الغر الميامين.

ان لضيء الدين بن الأثير (ت ٦٣٧هـ) اثر بارز في ميدان الدراسة البلاغية، وكتبه شاهدة على ذلك، وعرف عنه اعتناؤه الشديد بالمعنى، وكان صاحب ذوق ونظر، وساعده في هذا ممارسته للكتابة في دواوين الانشاء في العد الايوي قريبا من نصف قرن .

ويعد كتابه (الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور) اول تأليفه التي رقد بها الدراسة البلاغية، واللينة الاساس لكتابه الاخر المعروف بـ (المثل السائد في ادب الكاتب والشاعر)، وتميز باجتهاداته التي كانت محل انظار الاخرين، والتي انبتقت من ثقافته الواسعة، وكان يعيد النظر فيما كتب في بعض المسائل، فيرى القارئ لمثله السائر رأياً غير ما ذكره في جامعه الكبير، وهذا يحسب لابن الأثير -رحمه الله- فهو شان العلماء عندما ينقدح لهم في ذهنهم مالم ينتبهوا له من قبل.

وهذا البحث يعرض للقارئ الكريم موضوع (التقديم والتأخير) في كتاب (الجامع الكبير)، ويتميز هذا الموضوع عنده بانه لم يحصره فيما يتعلق بالنحو منه، بل تجاوزه إلى ما لا علاقة له بعلم النحو، وهو بهذا يفتح الباب لغيره من البلاغيين اللذين قصرُوا دراسة هذا الموضوع على ما تعلق بالنحو منه، خلافا للمفسرين ومن ألف في علوم القرآن اللذين اعتنوا بقسمي التقديم والتأخير على السواء .

التقديم في اللغة والاصطلاح

التقديم في اللغة من قَدَم الشيء إذا وضعه أمام غيره، والتأخير نقيض ذلك، ويكون في المحسوس كما مُثِّل ونحو تقدّم فلان في المسير على غيره، وفي غير المحسوس نحو تقدّم رأي فلان^(١).

أما في الاصطلاح فلم يعرفه ابن الأثير - رحمه الله - ولعلّ سبب ذلك أن المقصود منه معروف عند أرباب الصناعة فلم يقع اختلاف بينهم في مفهومه.

وقد عرفه سليمان بن عبد القويّ الطوفيّ (ت ٧١٦هـ)^(٢) بأنّه جعل اللفظ في رتبة قبل رتبته الأصليّة والتأخير هو جعله بعدها، وذلك لعارض من اختصاص أو اهمية أو ضرورة^(٣). وهذا التعريف ينطبق على التقديم الذي يتعلّق بالنحو، أما ما لا يتعلّق به فلا يشملها، ويمكن صياغته بتعبير آخر يشمل القسمين من التقديم وهو: تقديم بعض أجزاء الجملة على بعض لغرض بلاغي.

(١) ينظر: لسان العرب لمحمد بن مكرم بن علي، ابن منظور، مادة (قدم): ٤٦٧/١٢ (آخر) ١٢/٤، دار صادر، بيروت، ط ٣، ١٤١٤هـ ؛ والمفردات في غريب القرآن لابي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني: ٢٣ وص ٣٩٨، تحقيق : محمد خليل عيتاني، دار المعرفة، بيروت، ط ٥ : ٢٠٠٧.

(٢) هو سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم نجم الدين الطوفي، ولد في قرية (طوف) من اعمال (صرصر) ببغداد سنة (٦٥٧هـ)، قرأ الفقه أولاً في (صرصر) ثم انتقل إلى بغداد يتزود من علمائها ثم إلى دمشق ومصر، كان فقيها شاعرا أدبيا فاضلا عالما بالنحو واللغة والفقه والحديث والتاريخ، وأقام اخر حياته بالشام وتوفي بمدينة الخليل سنة (٧١٦هـ)، (ينظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لاحمد بن علي بن حجر العسقلاني: ٢/٢٩٠، دار المعارف العثمانية، حيد اباد، الهند، ط ٢، ١٩٧٢ ؛ وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، لجلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي: ١/٥٩٩، تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم، المكتبة العصرية، لبنان، د، ت).

(٣) ينظر: الاكسير في علم التفسير: ١٨٩، تحقيق الدكتور عبد القادر حسين مكتبة الآداب، القاهرة، (د، ت).

التقديم والتأخير عند ابن الأثير في كتابه الجامع الكبير... محمد نبيل و د. صالح علي

وله أهمية كبيرة في الكلام، قال الزركشي عنه: ((هو أحد اساليب البلاغة، فإنهم أتوا به دلالة على تمكنهم في الفصاحة وملكتهم في الكلام وانقياده لهم، وله في القلوب أحسن موقع وأعذب مذاق))^(١).

وقسم ابن الأثير التقديم والتأخير إلى قسمين كما مرّ - قسم يتعلّق بالنحو وقسم لا يتعلّق بالنحو وجعل القسم الأول ضربين:

الأول:- أن يكون التقديم هو الأولى والأبلغ لموضع الاختصاص.

والثاني:- أن يكون التأخير هو الأولى والأبلغ إما لفائدة تقتضي ذلك وإما خوفاً من فساد المعنى واختلاله.

الضرب الأول: (أن يكون التقديم هو الأولى والأبلغ)

تطرّق ابن الأثير في هذا الضرب إلى تقديم المفعول به على الفعل وتقديم الخبر على المبتدأ، وتقديم الجار والمجرور والحال، وتقديم المستثنى على المستثنى منه.

وجعل الغرض البلاغي لهذا النوع من التقديم هو الاختصاص في جميع ما ذكر في (الجامع الكبير)، بينما كانت له نظرة مختلفة في (المثل السائر)، فبعد أن صرح في مثله أن هذه الصورة من التقديم هي للاختصاص عند علماء البيان ومنهم الزمخشري ذكر أنها تستعمل عنده لوجهين: أحدهما الاختصاص والآخر مراعاة النظم السجعي، وهذا الوجه الأخير عنده هو أبلغ وأؤكد من الاختصاص^(٢).

(١) البرهان في علوم القرآن لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي: ٧٧٠، تحقيق: ابي الفضل الدمياطي، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٦م.

(٢) ينظر: الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور: ١٠٩، تحقيق: الدكتور مصطفى جواد والدكتور جميل سعيد، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٥٦؛ وينظر: المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر: ٢/٢١١، تحقيق: الدكتور احمد الحوفي والدكتور بدوي طبانة، دار نهضة مصر، الفجالة، القاهرة، (د، ت).

تقديم المفعول به على الفعل:

بحثه البلاغيون في احوال متعلقات الفعل، وذكروا لتقديم المفعول على فعله أغراضاً بلاغية عديدة^(١)، ذكر منها ابن الأثير الاختصاص، نحو (زيداً ضربت) فتقديم المفعول به (زيد) على (ضربت) هو تخصيص له بالضرب دون غيره أما إذا أُخِر المفعول عن الفعل نحو (ضربتُ زيداً) احتمل ان يكون الضرب على غيره كخالدٍ أو بكرٍ مثلاً. وصرح أن التقديم لازم للاختصاص، ومذهب جمهور البلاغيين أن تقديم المعمول سواء كان مفعولاً أو ظرفاً أو جارٍ ومجروراً يفيد الاختصاص غالباً وقد يخرج عن هذا المعنى^(٢).

وهناك من الأئمة من لا يرى في تقديم المعمول الاختصاص، كابن الحاجب وابن ابي الحديد وأبي حيان وأوردوا أدلة على ذلك ذكرها السيوطي في (الاتقان) وأورد اجابات عنها.

فان الحاجب^(٣) يرى أن الاختصاص الذي يقول به كثير من الناس في تقديم المعمول على عامله وهم مستدلاً بقوله تعالى ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾^(١)، فهنا المعمول

(١) منها الاختصاص - كما سيأتي نحو (اياك نعبد واياك نستعين) - الفاتحة، الآية: ٥. ورد المخاطب إلى الصواب عند خطئه في تعيين المفعول نحو زيداً رأيتُهُ، ردا لمن اعتقد انك رأيت غيره.

وكون المتقدم محطّ الانكار مع متعجب نحو: أبعد طول التجربة تتخدع بهذه الزخارف. ورعاية رؤوس الآية (خذوه فغلوه ثم الجحيم صلّوه) - الحاقة، الآية: ٣١، (ينظر: المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم لسعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني: ٣٧٢، تحقيق: الدكتور عبد الحميد هندايوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ٢٠١٣؛ وينظر: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع للسيد احمد الهاشمي: ١٤٣، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٤م).

(٢) ينظر: الايضاح في علوم البلاغة لجلال الدين محمد بن عبد الرحمن المعروف بالخطيب القزويني: ٩٤، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ٢٠١٠؛ وينظر: عروس الافراح في شرح تلخيص المفتاح لبهاء الدين احمد بن علي بن عبد الكافي السبكي: ٣٨١/١، تحقيق: الدكتور عبد الحميد هندايوي، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م.

(٣) هو ابو عمرو عثمان بن عمر الدويني الاسنائي، ولد في (إسنا) بصعيد مصر سنة (٥٧١هـ)، كان من أحسن الناس ذهنًا وذكاهم قريحة، إمام في العربية، بارع في الاصول على مذهب الامام مالك، متواضعا غفيفا كثير الحياء منصفاً محباً للعلم وأهله ناشراً له صبورا

التقديم والتأخير عند ابن الأثير في كتابه الجامع الكبير... محمد نبيل و د. صالح علي

متأخر بينما قال تعالى في نفس السورة ﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ﴾^(١)، فلو كان التقديم للاختصاص لورد في جميع المواضع مقدّماً، قال السيوطي: [وَرُدَّ هذا الاستدلال بأن (مخلصاً له الدين) أغنى عن افادة الحصر في الآية الأولى، ولو لم يكن فما المانع من ذكر المحصور في محل بغير صيغة الحصر كما قال تعالى ﴿وَأَعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾^(٢)، وقال ﴿أَمَرَ آلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾^(٣)، بل قوله (بل الله فاعبد) من أقوى أدلة الاختصاص فإن قبلها ﴿لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْطَبَنَّ عَمَلَكَ﴾^(٤)، فلو لم يكن للاختصاص وكان معناها (اعبد الله) لما حصل الاضراب الذي هو معنى (بل)^(٥).

وذهب ابن ابي الحديد كذلك إلى ان تقديم المعمول على عامله لا يفيد اختصاصاً مستدلاً بقوله تعالى ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ﴾^(٦)، حيث قدّم المفعول (كلاً) على فعله (هدينا) قال - رحمه الله - (فإن ذلك لا يدل على اختصاص اسحاق ويعقوب بالهداية لأنه قد هدى غيرهما ممن كان في زمانهما)^(٧)، قال السيوطي (وهو من أقوى ما رُدَّ به وأجيب بأنه لا يُدعى فيه اللزوم بل الغلبة وقد يخرج الشيء عن الغالب)^(٨).

على البلوى من شيوخه الشاطبي وابن عساكر، من تلاميذه الحافظ المنذري وابن المنير صاحب الحاشية على الكشاف، توفي بالاسكندرية سنة (٦٤٦هـ)، (ينظر: الوافي بالوفيات لصلاح الدين خليل بن ابيك الصفدي : ٣٢١/١٩، تحقيق: احمد الارناؤوط وتركي مصطفى، دار احياء التراث، بيروت، ٢٠٠٠م).

- (١) سورة الزمر، الآية: ٢.
- (٢) سورة الزمر، الآية: ٦٦.
- (٣) سورة الحج، الآية: ٧٧.
- (٤) سورة يوسف، الآية: ٤٠.
- (٥) سورة الزمر، الآية: ٦٥.
- (٦) الاتقان: ١٠٢/٢.
- (٧) سورة الانعام، الآية: ٨٤.
- (٨) الفلك الدائر مطبوع مع المثل السائر ٢٤٦/٤، وعبارة الفلك الدائر (غيره ممن كان في زمانه) وهي غير مناسبة كما لا يخفى.

(٩) الاتقان في علوم القرآن : ١٠٢/٢، مطبعة شريعت، ايران، ط١، ١٤٢٢ هـ .

كما اعترض ابو حيان^(١) على مدعي الاختصاص بقوله تعالى ﴿أَفَعَيَّرَ اللَّهُ تَأْمُرُونَ بِأَعْبَادِهِ﴾^(٢)، قال السيوطي: ((واجب بأنه لما أشرك بالله غيره كان كأنه لم يعبد الله، وكان أمرهم بالشرك كأنه أمرٌ بتخصيص غير الله بالعبادة))^(٣).

وقال بهاء الدين السبكي: ((وقد اجتمع الاختصاص وعدمه في آية واحدة وهي ﴿أَعْيَرَ اللَّهُ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٤) بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ^(٥)، فإن التقديم في الاول قطعاً ليس للاختصاص وفي (إياه) قطعاً للاختصاص))^(٦)، لأن الاضراب ب (بل) يمنع الاختصاص في التقديم الأول خاصة مع ورود التقديم في الثاني، والآيتان بتمامهما ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَنْتُمْ السَّاعَةُ أَعْيَرَ اللَّهُ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٧) بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ

والنتيجة أن ما ذكره ابن الأثير من أن تقديم المفعول على الفعل لازم للاختصاص فيه نظر، بل هو حكم غالب.

وعرض مثالين لما ذهب إليه، الأول قوله تعالى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾^(٨)، فقدّم المفعول (إياك) مرة على الفعل (نعبد) واخرى على الفعل (نستعين) لأجل الاختصاص والمعنى نخصك دون غيرك بالعبادة والاستعانة، بخلاف ما لو قال: نعبدك ونستعين بك فإنه يحتمل أن تكون العبادة والاستعانة لغيره، وهذا المعنى في التقديم ذكره أيضاً المفسرون والبلاغيون^(٩).

(١) هو محمد بن يوسف بن علي الغرناطي الاندلسي ولد في غرناطة سنة (٦٥٤هـ) إمام في اللغة والنحو والتصريف، وله اليد الطولى في السير والحديث وتراجم الناس، وهو الذي رغب الناس في قراءة كتب ابن مالك، وله التصانيف التي سارت في الافاق، وصار تلامذته شيوخاً وأئمة في حياته، من تصانيفه تفسيره البحر المحيط، توفي في القاهرة سنة (٧٤٥هـ)، ينظر: الدرر الكامنة: ٥٨/٦.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٦٤.

(٣) الاتقان: ١٠٢/٢.

(٤) سورة الانعام، الآية: ٤٠-٤١.

(٥) عروس الافراح: ٣٨٣/١.

(٦) سورة الفاتحة، الآية: ٧.

(٧) ينظر: جامع البيان في تفسير القرآن لمحمد بن جرير الطبري: ١/١٥٧، تحقيق: محمد احمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠٠م؛ وينظر: الكشاف: ١/١٤١؛ وينظر: تحرير

التقديم والتأخير عند ابن الأثير في كتابه الجامع الكبير... محمد نبيل و د. صالح علي

لكن ابن الأثير - رحمه الله - غير رأيه في (المثل السائر) في شأن الآية ورد على الزمخشري قائلا: ((وقد ذكر الزمخشري في تفسيره أن التقديم في هذا الموضع قصد به الاختصاص، وليس كذلك، فإنه لم يُقدّم المفعول فيه على الفعل للاختصاص وإنما قُدّم لمكان نظم الكلام لأنه لو قال نعبدك ونستعينك لم يكن له من الحسن ما لقوله ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ألا ترى أنه تقدّم قوله تعالى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّجُحِ الْمُنِيرِ﴾ (١) فجاء بعد ذلك قوله ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وذلك لمراعاة حسن النظم السجعي الذي هو على حرف النون)) (٢)، لكن مراعاة حسن النظم السجعي لا يتعارض مع الاختصاص، وقد صرح بهذا ابن أبي الحديد رغم أنه لا يرى الاختصاص في تقديم المفعول حيث قال: ((ان كان تقديم المفعول يقتضي الاختصاص كما يراه الزمخشري وجماعة من اهل العربية فلا مانع من أن يكون المراد من قوله (إياك نعبد وإياك نستعين) كلا الأمرين: الاختصاص والسجع ولا منافاة بين هذين المطلوبين)) (٣). إذن فرأى ابن الأثير في (الجامع الكبير) بإفادة التقديم الاختصاص هو المقدم على رأيه في (المثل السائر) ويضاف إليه حسن النظم السجعي، وأيد هذا أيضا السيد يحيى بن حمزة العلوي ومن المحدثين الدكتور محمد محمد ابو موسى (٤).

والمثال الثاني الذي ذكره ابن الأثير قوله تعالى ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُمِؤِنُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُقِيمُونَ﴾ (٥)، وهنا يُعدُّ تقديم الجار والمجرور (مِمَّا) والمكوّن من (من) الجارة و(ما) الموصولة على الفعل (يقومون) من تقديم المفعول على الفعل لأن (ما) في معنى المفعول به وإن دخلت عليه (من) التبعية، قال - رحمه الله -: ((فإنه إنما قُدّم المفعول الذي هو الرزق

المعنى السديد وتبوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد المعروف اختصارا بالتحريير والتبوير لمحمد الطاهر بن محمد بن عاشور: ١/١٨٤، الدار التونسية، تونس، ١٩٨٤م؛ وينظر: الايضاح: ٩٤؛ وينظر: عروس الافراح: ١/٣٨١؛ وينظر: من بلاغة النظم العربي للدكتور عبد العزيز عبد المعطي عرفة: ١/٢٧٩، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٩٨٤م.

- (١) سورة الفاتحة، الآية: ١-٤.
- (٢) المثل السائر: ٢/٢١٢.
- (٣) الفلك الدائر: ٤/٢٤٧.
- (٤) ينظر: الطراز المتضمن لاسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز: ٢٣٥، تحقيق: محمد عبد السلام هارون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٥م؛ وخصائص التراكيب: ٣١٤، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٤، ١٩٩٦م.
- (٥) سورة البقرة، الآية: ٣.

- ويقصد ما الموصولة وصلتها - على الفعل الذي هو ينفقون لأنّ الانسان قد ينفق ما ليس له، فلو قدّم الفعل ها هنا على المفعول لسبق إلى الوهم قبل ذكر المنفق جواز كونه مما ليس له، ومع تأخيره يزول هذا الوهم ويرتفع ذلك اللبس^(١)، أي فهم ينفقون بعض ما رزقناهم لا ما رزقنا غيرهم.

والآية في مدح صفات المتقين، وما ذكره ابن الأثير - رحمه الله - لا يتناسب مع هذا المقام، لأنّ المتقين لا يمكن ان يكتسبوا حراما فيُمدحوا بترك التصدّق به.

ثم إن ما ذكره في مفهوم الآية يتوافق مع مذهب المعتزلة الذي يقولون أنّ الحرام ليس برزق مستدلين بأدلة منها هذه الآية، حيث يرون أن الله مدح المتقين لأنهم ينفقون مما رزقهم من الحلال، ولو كان الحرام رزقا لمدحوا عليه اذا انفقوا منه، قال الزمخشري ((وإسناد الرزق إلى نفسه للإعلام بأنهم ينفقون الحلال الطلق الذي يستأهل أن يضاف إلى الله ويسمى رزقا منه، وأدخل من التبعية صيانة لهم عن الاسراف والتبذير المنهي عنه، وقدّم مفعول الفعل دلالة على كونه أهمّ كأنه قال: ويخصّون بعض المال بالحلال بالتصدّق به))^(٢)، وقد ردّ عليه فخر الدين الرازي في مسألة الرزق، فمعتقد أهل السنة أن الحرام رزق أيضا وإن كان صاحبه سيحاسب عليه وأن الله خالق هذا الرزق كما هو خالق لسائر المحدثات، ونقل الرازي المعاني البلاغية في الآية من الكشاف، حيث قال ((قدّم مفعول الفعل دلالة على كونه أهمّ كأنه قال ويخصّون بعض المال بالتصدّق به))^(٣)، وواضح أنها عين عبارة الزمخشري مع حذف لفظة (الحلال)، كما ردّ ابن المنير (ت ٦٨٣هـ) على الزمخشري أيضا في حاشيته على الكشاف فيما فهمه من الآية في موضوع الرزق^(٤).

(١) الجامع الكبير : ١٠٩.

(٢) الكشاف : ٤٠/١.

(٣) مفاتيح الغيب لمحمد بن عمر فخر الدين الرازي : ٢٧٦/٢، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ .

(٤) قال ابن المنير : ((قال محمود - اي الزمخشري - رحمه الله : (أضاف الرزق إلى نفسه للإعلام بأنهم إنما ينفقون من الحلال الطلق.. الخ) قال احمد - رحمه الله - فهذه بدعة قديرة، فإنهم يرون أن الله تعالى لا يرزق الا الحلال وأما الحرام فالعبد يرزقه لنفسه حتى إنهم يُقسّمون الارزاق قسمين: هذا لله بزعمهم وهذا لشركائه، وإذا أثبتوا خالقا غير الله فلا يأنفون عن اثبات رازق غيره، أما اهل السنة فلا خالق ولا رازق في عقدهم الا الله سبحانه تصديقا بقوله تعالى ﴿ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَانْفُتُّوا كَوْنًا ﴾، فاطر، الآية:

التقديم والتأخير عند ابن الأثير في كتابه الجامع الكبير... محمد نبيل و د. صالح علي

إذن فالزَمْخَرِي صرَّحَ بأنَّ تقديم المفعول على الفعل إنما هو للاهتمام ثم فسَّره بالاختصاص وتبعه الرازي مع اختلاف في معنى الاختصاص وذكر ابن عاشور ان التقديم في الآية لمجرد الاهتمام بالرزق دون أن يفسَّره بالاختصاص حيث قال: ((وتقديم المجرور المعمول على عامله وهو ينفقون لمجرد الاهتمام بالرزق في عرف الناس فيكون في التقديم إيذاناً بأنهم ينفقون مع ما للرزق من المعزَّة على النفس كقوله تعالى ﴿ وَيُطْعَمُونَ أَلْفَ عَامٍ عَلَىٰ حَبِيبٍ ﴾^(١)، مع رعي فواصل الآيات على حرف النون))^(٢).

والذي يبدو أن التقديم هو للاختصاص وليس فيه ما يشير إلى ترك التصدق بالحرام، وهو رأي الرازي، فالمقام مقام مدح وليس الشأن أن يقال للمتقي: إنك تتفق بعض الحلال ولا تتفق من الحرام، لأنه منافٍ للمدح، فالمتقي لا يكتسب حراماً كي يُمدح بترك الاتفاق منه، ومعنى التقديم أنهم يخصَّون بعض المال بالتصدق به صيانة لهم عن الإسراف واحترازاً من الوقوع في الحرج لحاجتهم إلى الاتفاق منه على انفسهم واهاليهم، والشرعية لم تكلف أحداً بانفاق جميع ماله، بل دعت إلى التوسُّط والاعتدال قال تعالى ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾^(٣).

تقديم الخبر على المبتدأ:

جعل ابن الأثير هذا التقديم للاختصاص أيضاً حيث قال: ((وأما تقديم خبر المبتدأ عليه فإنه لا يُعمد إليه إلا لضربٍ من الاختصاص كقولك (زيدٌ قائمٌ) و (قائمٌ زيدٌ) فقولك (قائمٌ زيدٌ) قد أثبتَّ له القيام لا محالة، وقولك (زيدٌ قائمٌ) أنت بالخيار في اثبات القيام أو نفيه عنه بأن تقول: ضاربٌ أو قاعد أو جالس أو غير ذلك))^(٤).

واعترض ابن أي الحديد على مثال ابن الأثير (قائمٌ زيدٌ) بأنَّ (قائمٌ) نكرة وتقدمه لا يفيد اختصاصاً ولم يقل به أحد، وذكر أن النحاة الذي يقولون بأن تقديم المفعول على فعله يفيد الاختصاص يذهبون أيضاً إلى أن تقديم الوصف يفيد اختصاصاً إذا دخلت عليه (أل)

٣، أيها القدرية)) ينظر: حاشية الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال لابن المنير مطبوعة مع الكشاف: ٤٠/١.

(١) سورة الانسان، الآية: ٨.

(٢) التحرير والتنوير : ٢٣٦/١.

(٣) سورة الاسراء، الآية: ٢٩.

(٤) الجامع الكبير : ١٠٩.

التعريف نحو (القائمُ زيدٌ) فهذا يقتضي اختصاص زيد بالقيام، ونحوه (الشجاعُ عليٌّ والجوادُ حاتمٌ) أي لا شجاع إلا علي ولا جواد إلا حاتم.

وفسر مذهب القائلين بالاختصاص فيما ورد بـ(ال) بأن المعنى في (القائمُ زيدٌ) الذي له القيام هو زيد فكأنما زيد هو المختصُّ بالقيام أو المنفرد به، ثم اعترض على مذهب النحاة هذا بأنه يلزمهم القول بأن عبارة (زيدُ القائمُ) تفيد الاختصاص المذكور لأنه بنفس المعنى، وأذا ثبت هذا فلا فرق إذن بين تقديم الخبر وتأخيره^(١).

لكن السكاكيّ مثل لتقديم المسند الذي يفيد الاختصاص بـ (قائم هو) و (تميميُّ أنا) فـ (قائمٌ) و (تميميُّ) خبران نكرتان تقدمتا على المبتدأ (هو) و (أنا) لإفادة اختصاص الأول بالقيام واختصاص الثاني بالانتساب إلى تميم أي لا يتجاوزة إلى قيس مثلاً كما فسره سعد الدين التفتازاني^(٢).

ووافق القزويني والعلوي وابن الأثير والسكاكي على إفادة التقديم المذكور للاختصاص، ووافقهم من المحدثين الدكتور فاضل السامرائي، والدكتور محمد محمد ابو موسى والدكتور عبد العزيز عبد المعطي عرفة^(٣).

وأورد ابن الأثير من تقديم الخبر على المبتدأ المفيد للاختصاص قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا لَهُمْ مَا نَعْتَهُمُ حُصُونَهُمْ مِن لَّدُنَّا﴾^(٤)، حيث قدم (ما نعتهم) وهو (خبر) على المبتدأ الذي هو (حصونهم) مبيناً أن فيه ((دليلاً على فرط اعتقادهم في حصانتها وزيادة وثوقهم بمنعها إياهم، وفي تصيير ضميرهم اسماً لأنَّ واسناد الجملة اليه دليلٌ على تقريرهم في أنفسهم أنهم في عزة وامتتاع لا يبالي معها احد بتعرض طامع أو قصد قاصد، وليس شيء من ذلك

(١) ينظر: الفلك الدائر: ٢٥٠/٤.

(٢) ينظر: مفتاح العلوم ليوستف بن ابي بكر السكاكي : ٣٢١، تحقيق : الدكتور عبد الحميد هندايوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م ؛ وينظر: مختصر المعاني لسعد الدين التفتازاني : ١٠١، دار الفكر، ايران، (د.ت).

(٣) ينظر: الايضاح : ٨٧ ؛ وينظر: الطراز: ٢٣٥ ؛ وينظر: معاني النحو للدكتور فاضل صالح السامرائي: ١/١٣٩، دار الفكر، عمان، ط٣، ٢٠٠٨م ؛ وينظر: خصائص التراكيب : ٣١٢ ؛ وينظر: من بلاغة النظم العربي ١/٢٦٦٥.

(٤) سورة الحشر، الآية: ٢.

التقديم والتأخير عند ابن الأثير في كتابه الجامع الكبير... محمد نبيل و د. صالح علي

في قولك (وظنوا أن حصونهم مانعهم أو تمنعهم) ((^(١))، وقد اقتبس كلامه من الكشاف الزمخشري^(٢).

واعترض ابن ابي الحديد على استشهد ابن الأثير بالآية الكريمة في تقديم الخبر على المبتدأ بأن (حصونهم) لا يُرفع على أنه مبتدأ إلا على وجهٍ ضعيف في النحو، والصحيح أنه فاعل لاسم الفاعل (مانعهم) وتقدير الكلام: وظنوا أنهم تمنعهم حصونهم، فليس في الكلام تقديم وتأخير واسم الفاعل في الآية عمل عمل الفعل فيما بعده لأنه جاء معتمداً على ما قبله، لأنه في الحقيقة خبر لمبتدأ، ويدخول أن عليه صار خبراً لها.

وشرط عمل اسم الفاعل -إذا كان مجرداً من أل- أن يكون معتمداً على ما قبله، نحو (زيدٌ قائمٌ أبوه) فأبوه رُفِعَ بالفاعلية وليس بمبتدأ على القول الصحيح. وكذلك إذا اعتمد اسم الفاعل على استفهام أو نفي أو وقع حالاً لذي حال أو صفة لموصوف أو صلة لموصول، واستشهد لقوله بآيات وأبيات شعرية^(٣).

واعترض ابو حيان على الزمخشري بمثل اعتراض ابن ابي الحديد على ابن الأثير بعد أن نقل قوله من الكشاف حيث قال (بل الراجح أن يكون حصونهم فاعلة لمانعهم لأن في توجيهه تقديماً وتأخيراً، وفي إجازة مثله من نحو: قائمٌ زيدٌ على الابتداء والخبر خلاف، ومذهب أهل الكوفة منعه)^(٤).

ولا يرى ابن عاشور - كذلك - أن في الآية تقديماً وتأخيراً، فليس تقديرها في الأصل أن حصونهم مانعهم، لأن هذا التقدير سيجعل اسناد (مانعهم) إلى (حصونهم) باعتباره خبراً له في الأصل، بينما الأولى أن تبقى الآية على نظمها ليكون اسناد (مانعهم) إلى الضمير (هم) المتصل ب (أن)، لأن الابتداء بضميرهم فيه إشارة إلى اغترارهم بأنفسهم وأنهم في عزة ومنعة وأن منعة حصونهم هي من شؤون عزتهم^(٥).

(١) الجامع الكبير : ١١٠ ؛ وينظر: المثل السائر : ٢١٥/٢.

(٢) ينظر: الكشاف : ٤٩٩/٤.

(٣) ينظر: الفلك الدائر : ٢٥٢/٤ ؛ وينظر: منهج السالك إلى الفية ابن مالك لعلي بن محمد بن عيسى نور الدين الاشموني (شرح الاشموني على الفية ابن مالك): ٢١٧/٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ٢٠١٠م.

(٤) البحر المحيط لابي حيان محمد بن يوسف ؛ ١٣٨/١٠، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ.

(٥) التحرير والتنوير : ٦٩/٢٨.

ومسلك الزمخشري - رحمه الله - الأخذ بالوجه الاعرابي الضعيف إذا وحد فيه فائدة بلاغية ملائمة للمعنى وإن كان هذا الوجه مخالفاً للمشهور عند النحاة، أو بمعنى آخر إنّه يستثمر ما يمكن استثماره من آراء النحاة لتثوير المعاني البلاغية، ولا يخفى عليه ما ذكره ابو حيان لأنّ الزمخشري قد تحدث عن (اسم الفاعل) في كتابه (المفصل) وبين انه يعمل مقدماً ومؤخراً وظاهراً ومضمراً لشبهه بالمضارع أي في اللفظ والمعنى^(١).

بيد أنه وابن الأثير كانا في غُنية عن هذا التأويل، لأنّ المعنى الذي ذكره المستفاد من التقديم موجود في صيغة اسم الفاعل (مانعتهم) لكن لا على الاختصاص فلم يقل تعالى: (وظنوا أنهم تمنعهم حصونهم) بل (مانعتهم حصونهم) لأن الاسم يدل على الثبوت بينما يدل الفعل على التجدد، واسم الفاعل أثبت من الفعل.

ومثال ذلك اذا سئل طالبٌ: أنتج هذا العام؟ فيقول: أنا ناجح، أي كأن الأمر قد تم وانتهى وثبت لصاحبه وإن لم يكن كذلك. فكلمة (ناجح) دلت على الثبوت بعكس (تنتج)، ونقول: ألا ينام اخوك؟ فيقول المخاطب: هو نائم^(٢)، فصيغة (مانعتهم) دلت على فرط اعتقادهم في حصانتها وزيادة وثوقهم بمنعها وكأنّ الأمر ثابت قد انتهى.

تقديم الظرف:

يسمى ابن الأثير - رحمه الله - الجار والمجرور ظرفاً، تبعاً لكثير من البلاغيين، ويرد الظرف متعلقاً بمحذوف هو خبر المبتدأ، وبحثه البلاغيون في أحوال المسند، كما يرد متعلقاً بفعل مذكور وبحثوه في أحوال متعلقات الفعل.

وعالج ابن الأثير تقديم الظرف وتأخيره في حال الاثبات والنفي.

الضرب الأول: إذا كان الكلام مقصوداً به الاثبات فإن تقديم الظرف فيه أبلغ من تأخيره، وفائدته اسناد الكلام الواقع بعده إلى صاحب الظرف دون غيره، وهذا هو الاختصاص. نحو قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ۗ ۝١٦ نَسْتَ عَلَيْهِمْ مُصِيطِرٌ ۗ ۝١٧ إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكُفِرَ ۗ ۝١٨ فَعَذَّبَهُ ۗ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ۗ ۝١٩ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ۗ ۝٢٠ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ۗ ۝٢١﴾^(٣).

(١) ينظر: شرح المفصل ليعيش بن يعيش الموصلي: ٨٤/٤، تحقيق: الدكتور اميل يعقوب،

دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ٢٠١١م.

(٢) ينظر: معاني الابنية في العربية للدكتور فاضل صالح السامرائي: ٤٧، طبع جامعة

الكويت، كلية الآداب، (د . ت).

(٣) سورة الغاشية، الآية: ٢٢-٢٦.

التقديم والتأخير عند ابن الأثير في كتابه الجامع الكبير... محمد نبيل و د. صالح علي

قال ابن الأثير: [تقديم الظرف - أي إلينا في الموضوعين- على المصدر - أي إياهم وحسابهم- هنا تشديد في الوعيد، لا يكون عند تأخيره، لأنه يعطي من المعنى أن إياهم ليس إلا إلى الله المقدر على الانتقام، وأنّ حسابهم ليس الا عليه، وذلك بخلاف ما لو قال: إن إياهم إلينا ثم إن حسابهم علينا، لان قوله (إن إلينا إياهم) لا يحتمل أن يكون الإياب فيه إلى غير الله، لأنه صدر الكلام بالظرف، واذا قال (إن إياهم إلينا) يحتمل أن يظن المخاطب عند سماعه (ان إياهم) قبل قوله (إلينا) أن يكون الإياب إلى غيره^(١).

وهذا المعنى الذي ذكره اقتبسه من الكشاف بتصريف، وذكر ان الزمخشري - رحمه الله- في تأويل قوله (ثم إن علينا حسابهم) أن حسابهم ليس بواجب إلا عليه ومعنى الوجوب: الوجوب في الحكمة.

وقول ابن الأثير ان المخاطب عند سماعه (إن إياهم) قد يحتمل ان الإياب ليس اليه سبحانه قبل قوله (إلينا) مما لا داعي له ؛ لان الكلام حتى ولو تم واكتمل فهو قابلٌ للاحتمال بتأخير الظرف ولا يفيد اختصاصا.

واعترض ابن ابي الحديد - رحمه الله- على ابن الأثير بأن الاختصاص الذي قال به لم يأت من تقديم الظرف، إنما فهم من دليلٍ اخر، فمن قال إن في الدار زيدا، لم يدل ذلك على أن غيره ليس في الدار، ولو عطف عليه فقبل: وعمر لم يتناقض الكلام، واستدل بجملة آيات تقدم فيها الظرف من غير دلالة على الاختصاص نحو قوله تعالى ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ﴾^(٢) فلا يدل ذلك على أن غير الرواسي لم يجعله تعالى في الارض. وقال تعالى لآدم ﴿الْكَلْبَ﴾^(٣) إِنَّ لَكَ أَلَّا يَجْمُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرِىٰ^(٤)، ولم يكن ذلك مختصا به أي لوجود حواء - عليها السلام- معه، وقال تعالى ﴿إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ﴾^(٥)، ولا يدل ذلك على أنها ما نفست إلا فيه، لأن النفس هو انتشار الغنم من غير راحٍ، سواء كانت في حرثٍ أو في غير حرث، وقال تعالى ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾^(٦)، فقدم الظرف ولا يدل ذلك على أنه لم يشهد إلا حكمهم، وقال تعالى ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾^(٧)، ولا يدل تقديم الظرف على أنه ما أصلح زوج أحد قط إلا زوج زكريا، وذكر ابن ابي الحديد أن في الكتاب العزيز

(١) الجامع الكبير : ١١٠.

(٢) سورة الانبياء، الآية: ٣١.

(٣) سورة طه، الآية: ١١٨.

(٤) سورة الانبياء، الآية: ٧٨.

(٥) سورة الانبياء، الآية: ٧٨.

(٦) سورة الانبياء، الآية: ٩٠.

نحو ألف آية مثل ذلك تبطل دعوى الاختصاص، ولا فرق عنده بين تقديم الطرف وتأخيره في أن كليهما لا يدلان على الاختصاص، وما جرت العادة كما يقول بأن الولاية وما يجري مجراها لا تنتقل إلا إلى واحد فقط، لكن الاختصاص في الآية فهم من قرينة أخرى لا من مجرد التقديم، ولم يذكر ش- رحمه الله - تلك القرينة^(١).

والجواب عما ذكر أن تقديم الطرف يكون لأغراض منها الاختصاص الذي ذكره ابن الأثير وغيره في الآية، ومنها تقوية الحكم والاهتمام بالمقدم كما مثل بالآيات، وإذا كان الأياب والحساب مما ليس في مقدور أحد من الخلق بل ولا يدعيه أحد فما هو المانع أن يكون التقديم للإشارة إلى اختصاص القادر على ذلك وهو الله جل في علاه.

ورغم أن مذهب أبي حيان مشابه لمذهب ابن أبي الحديد في أن تقديم المعمول لا يفيد الاختصاص إلا أنه نقل رأي الزمخشري دون أن يعترض عليه مما يدل على قبوله إياه^(٢).

ويمكن أن يقال: إذا كان المقصود في الآية تشديد الوعيد على الكفرة وهم منكرون للبعث والحساب أصلا فما فائدة رفع احتمال صيرورة الأياب والحساب إلى غيره سبحانه؟
والجواب - والله اعلم - أنهم نُزلوا منزلة من يتصور أن رجوعه بعد الموت وحسابه ليس إليه سبحانه فجاء تقديم الطرف لردّ هذا التصور المفترض تنبيها لهم وإيقاظا من غفلتهم عن البعث فهم لم يخلقوا عبثا كي يتصرفوا كما يشاؤون ويكون منهم الكفر والاعراض بل سيرجعون إلى خالقهم وسيحاسبهم على أعمالهم وأن هذا الرجوع والحساب لا يكون إلا إليه سبحانه، فهو القادر عليه دون ما سواه، ففي الآية إيجاز بديع وبهذا يجب عما ذكره ابن عاشور - رحمه الله - من أن (تقديم خبر إن على اسمها - في الآية - يظهر أنه لمجرد الاهتمام تحقيقا لهذا الرجوع الذي ينكرونه وتنبيها على إمكانه بأنه رجوع إلى الذي انشأهم أول مرة)^(٣).

(١) ينظر: الفلك الدائر : ٢٥٧/٤ ؛ وينظر: المثل السائر ٢/٢١٧.

(٢) ينظر: البحر المحيط : ٤٦٦/١٠.

(٣) التحرير والتنوير: ٣٠٨/٢٠.

فالنتيجة اذن ان تقديم الظرف في الآية الكريمة أفاد الاختصاص خلافا لمن ذكر غير ذلك، وهذا ما عليه جمهور المفسرين والبلاغيين^(١).

ومن تقديم الظرف في الاثبات الذي أفاد الاختصاص ذكر ابن الأثير قوله تعالى ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِلَّهِ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٢)، فانه تعالى قدّم الظرفين في قوله (له الملك وله الحمد) ليدلّ بتقديمهما على اختصاص الملك والحمد بالله تعالى لا بغيره، وهذا المعنى ذكره الزمخشري حيث قال: ((قدّم الظرفان ليدلّ بتقديمهما على معنى اختصاص الملك والحمد بالله عز وجل وذلك لأنّ الملك على الحقيقة له، لأنّه مبدئ كل شيء ومبدعه والقائم به والمهيمن عليه، وكذلك الحمد، لان اصول النعم وفروعها منه وأما ملك غيره فتسليط منه واسترعاء، وحمده اعتداد بأن نعمة الله جرت عليه))^(٣).

وأورد ابن الأثير ايضا قوله تعالى ﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾^(٤)، فقدّم الظرف (عليه) على (كفره) للدلالة على أن ضرر الكفر لا يعود إلا إلى الكافر، وأنّه لا يتعدّاه^(٥)، والاية بتمامها ﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ. وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾^(٤) وتحدث ابن الأثير على جزئها الاول الذي يبيّن أن عاقبة الكفر على صاحبه، وترك جزءها الثاني الذي يبين أنّ عاقبة العمل الصالح لصاحبه، وما ذكره ابن الأثير اقتبسه من الكشاف، لكنّ الزمخشري تحدّث عن تقديم الظرفين (عليه) و (لأنفسهم) في الموضوعين فقال (وتقديم الظرف في الموضوعين للدلالة على أن ضرر الكفر لا يعود إلا على الكافر لا يتعدّاه ومنفعة الايمان والعمل الصالح ترجع إلى المؤمن لا تتجاوزهُ)^(٦).

(١) ينظر: مفاتيح الغيب ١٤٧/٣١ ؛ وينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي : ٢٣١/١٢، طبع جامعة الشارقة، ٢٠٠٨م ؛ وينظر: انوار التنزيل واسرار التأويل لعبد الله بن عمر البيضاوي: ٣٠٨/٥، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن المرعشلي، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ ؛ وينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لشهاب الدين محمود بن عبد الله الالوسي : ٣٣١/١٥، تحقيق: علي بن عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ ؛ وينظر: الايضاح : ٨٧ ؛ وينظر: شرح عقود الجمان : ١١٤ ؛ وينظر: من بلاغة النظم العربي: ٢٦٤/١.

(٢) سورة التغابن، الآية: ١.

(٣) الكشاف: ٥٤٥/٤.

(٤) سورة الروم، الآية: ٤٤.

(٥) ينظر: الجامع الكبير : ١١١.

(٦) الكشاف: ٤٨٣/٣.

الضرب الثاني: اذا كان المقصود من الكلام النفي فإن تقديم الظرف يقصد به تفضيل المنفي عنه على غيره، وأما تأخيره فيقصد به النفي أصلاً من غير تفضيل.

فمثال تقديم الظرف قوله تعالى في وصف خمور الجنة ﴿لَا فِيهَا عَوُّ﴾^(١)، فقدّم الظرف (فيها) على المبتدأ (عَوُّ)، قال ابن الأثير في بيان السبب: ((وذلك تفضيل لخمور الجنة على خمور الدنيا بأنها لا تغتال العقول كما تغتالها الدنيوية كأنه قال: ليس فيها ما في غيرها من هذا العيب والنقيصة))^(٢).

ومثال تأخير الظرف قوله تعالى ﴿آلَآءُ ٱللَّهِ ٱلَّتِي لَآ رِيبَ فِيهَا لِلَّذِينَ هُمۡ يُشۡقَوْنَ﴾^(٣)، فأخر الظرف (فيه) على اسم (لا) النافية للجنس (ريب)، وإيلاء الريب بعد حرف النفي يقصد به نفي الريب عن كتاب الله القران، وأثبت انه حق وصدق لا باطل وكذب كما يدعيه المشركون، بينما لو جاء الظرف (فيه) بعد حرف النفي لكان المعنى أن كتابا آخر غير القران فيه الريب وهذا المعنى لا يصح لأن كتب الله تعالى كلها خالية من الريب^(٤).

وكلام ابن الأثير في الآيتين مقتبس كذلك من الكشاف للزمخشري - رحمه الله - وذلك في تفسير قوله تعالى (لا ريب فيه) فقد تكلم الزمخشري على تأخير الظرف وإيلاء الريب حرف النفي، كما تحدّث فيها عن تقديم الظرف في قوله تعالى ﴿لَا فِيهَا عَوُّ﴾^(٥).

وتعرّض الدكتور فاضل السامرائي إلى تقديم الظرف وتأخيره في حال النفي والاثبات، وأورد ما قاله ابن الأثير في المثل السائر - والذي وافق فيه كتابه الجامع الكبير - لكنّه رأى أنّ تقديم الظرف في حال النفي يفيد النفي عن المذكور وإثباته لغيره ولا يفيد دائماً تفضيل المنفي عنه على غيره كما ذهب اليه ابن الأثير فقول القائل: لا عندك صواب، لا يفيد تفضيل المنفي عنه على غيره هنا لأنّ نفي الصواب عن شخص هو عين الذم^(٦).

(١) سورة الصافات، الآية: ٤٧.

(٢) الجامع الكبير : ١١١.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢.

(٤) ينظر: الجامع الكبير : ١١١.

(٥) ينظر: الكشاف : ٣٤/١.

(٦) ينظر: معاني النحو: ١٤٥/١؛ وينظر: المثل السائر: ١١٧/٢.

تقديم الحال:

ذكر ابن الأثير أن تقديم الحال يفعل لضربٍ من الاختصاص أيضا. نحو: جاء راكبا زيدًا، قال: (وهذا بخلاف ما لو قال: جاء زيدًا راكبا إذ يحتمل أن نقول: ضاحكا أو ماشيا وغير ذلك)^(١).

لكن مجيئه راكبا في عبارة (جاء زيد راكباً) ينفي أن يكون ماشيا ففوله (أو ماشيا) احتمال يتناقض مع الركوب.

واعترض ابن ابي الحديد عليه كرهًا اخرى فقال: (أتزعم أنك اذا قلت: جاء راكبا زيدًا فإنك قد قصرت زيداً من دون سائر الاحوال والهيئات على الركوب فقط، وأن ذلك ينفي كونه لابسا ضاحكا وجائعا وغير ذلك من الامور التي يحتمل أن يكون عليها؟، فإن قيل نعم قيل له كيف زعمت ذلك ولا منافاة بين كونه راكبا وكونه على هذه الاوصاف وأي دلالة في تقديم الحال على انتفاء غيرها؟ وهذا لغو من القول)^(٢).

والمثال الذي ذكره ابن الأثير (جاء راكبا زيدًا) تقدّم فيه الحال (راكبا) على الفاعل (زيد) فهو ليس من باب تقدّم المعمول على عامله بل من باب تقدم بعض المعمولات على بعض، وهو لا يفيد اختصاصا عند جمهور البلاغيين كما صرح بذلك الشيخ بهاء الدين السبكي^(٣).

وقد تابع العلوي ابن الأثير في مثاله الذي قدم فيه الحال على الفاعل^(٤)، وكان الأسلم ان يمثل بنحو: راكبا جاء زيدًا، لأن تقديم المعمول على عامله يفيد الاختصاص غالبا عند جمهور البلاغيين، وهذه القاعدة شاملة لسائر المعمولات، وقد فسّر السبكي عبارة القرويني (والتخصيص لازم للتقديم غالبا) بذلك^(٥).

وقد مثل سعد الدين التفتازاني لتقديم الحال المفيد للاختصاص بـ (ماشيا حجبتُ)^(٦)، لكن يقال: ما تفسير الاختصاص في تقديم الحال على عاملها؟

(١) الجامع الكبير : ١١٢؛ وينظر: المثل السائر: ٢١٩/٢.

(٢) الفلك الدائر: ٢٦١/٤.

(٣) ينظر: عروس الافراح: ٣٩٢/١؛ وينظر: الايضاح: ٩٥.

(٤) ينظر: الطراز: ٢٣٧.

(٥) ينظر: عروس الافراح: ٣٨٠/١.

(٦) ينظر: مختصر المعاني: ١١٢.

ويجيب الدكتور فاضل السامرائي بأن هذا التقديم يفيد لإزالة الوهم من ذهن السامع مع ارادة الاختصاص حيث قال: ((فإن كان السامع يظن أن محمدا حضر راكبا لا ماشيا فُدمت الحال على فعلها لإزالة الوهم من ذهنه وإلإادة معنى التخصيص، فتقول: ماشيا قدم محمداً، أي لم يقدم على حال غيرها، فهو لم يقدم راكبا مثلاً))^(١).

تقديم الاستثناء:

الاستثناء في اللغة من استثنيت الشيء من الشيء أي حاشيته، ويعبر عنه بأنه إخراج القليل من الكثير^(٢).

أما عند النحاة فقد عرفه الأشموني (ت ٩٠٠هـ) بأنه: ((الإخراج بـ(إلا) أو إحدى أحواتها لما كان داخلا أو منزلاً منزلة الداخل))^(٣) وهذا التعريف يشمل الاستثناء المتصل والمنقطع.

اما عند البلاغيين فله مفهومات:-

الأول: أنه استثناء نحوي يشتمل على معنى يزيد على الاستثناء اللغوي وهو المقصود هنا عند ابن الاثير.

والثاني: انه تأكيد المدح بما يشبه الذم كما هو عند ابن المعتز^(٤) (ت ٢٩٦هـ) وأبي هلال العسكري، ويدخل ضمن اقسام البديع^(٥).

(١) معاني النحو: ٢٥٦/٢.

(٢) ينظر: اللسان مادة (ثي): ١٤/١٢٤.

(٣) شرح الاشموني على الفية ابن مالك: ٥٠٢/١.

(٤) هو عبد الله بن المعتز بن المتوكل بن هارون الرشيد الهاشمي، ولد سنة (٢٤٧هـ)، أخذ الأدب عن ابي العباس المبرد وأبي العباس ثعلب وغيرهما، كان أدبيا بليغا شاعرا مطبوعا مقتدرا على الشعر، سهل اللفظ جيد القريحة حسن الابداع للمعاني، صار خليفة ليوم وليلة ثم قتل سنة (٢٩٦هـ)، من تصانيفه كتاب (البديع) و(السراقات)، (ينظر: وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان لاحمد بن محمد بن خلكان : ٧٦/٣، تحقيق: احسان عباس، دار صادر، بيروت، د، ت).

(٥) ينظر: معجم المصطلحات البلاغية للدكتور احمد مطلوب: ١٠٧/١، الدار العربية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٦م ؛ وينظر: البديع لعبد الله بن محمد بن المعتز: ١٥٧، دار الجيل، بيروت، ط ١، ١٩٩٠؛ وينظر: الصناعتين : ٤٠٨.

التقديم والتأخير عند ابن الأثير في كتابه الجامع الكبير... محمد نبيل و د. صالح علي

ويرى ابن الأثير ان تقديم الاستثناء - أي تقديم المستثنى على المستثنى منه - يفيد اختصاصا نحو ما قام إلا زيدا أحد، فإن تقديم (زيدا) على (أحد) أفاد تخصيصه بالقيام دون غيره بخلاف ما لو قيل: ما قام أحد إلا زيدا^(١)، ولا حاجة لهذا التقديم الذي ذكره - رحمه الله - لأن الاختصاص مفهوم من الاستثناء ولذلك يرد في الكلام سواء كان الاستثناء مفرغا لم يذكر فيه المستثنى منه أم ذكر فيه المستثنى منه، هذا ما ذهب اليه الرماني ورجحه الدكتور فاضل السامرائي خلافا للمبرد وابن يعيش اللذين ذهبا إلى أن الاختصاص يكون في الاستثناء المفرغ^(٢).

ولكن الاختصاص يختلف مفهومه بين المفرغ وغيره، يقول الدكتور فاضل

السامرائي:

لأنَّ القصر في التفرغ أعمّ وأشمل وذلك إذا قلت "حضر الرجال الا خالدا" فقد استثيبت حضور خالد من الرجال، وقد يكون أطفال ونساء، فإن قلت "(ما حضر الا خالد)"، فقد نفيت كل حضور غير حضوره، ولذا لا يصح ان نقول (حضر الا خالد) لأنه على ذلك يكون معناه أنه حضر كل من يمكن حضوره في الدنيا من رجال ونساء واطفال وغيرهم إلا خالداً، وهو غير صحيح، فإنه يمكن أن لا يجيئك إلا واحد، ولكن يمتنع أن يأتيك أهل الدنيا كلهم إلا واحداً^(٣).

إذن ما ذكره ابن الأثير - رحمه الله - من أن تقديم المستثنى على المستثنى منه يفيد الاختصاص بخلاف تأخيره لا ينسجم مع لغة العرب الذي يستعملون الاستثناء للاختصاص من دون تقديم للمستثنى، والتقديم الذي ذكره هو لغة صحيحة يتكلم بها بعض العرب^(٤)، لكن لا على أن يفيد اختصاصا.

(١) ينظر: الجامع الكبير : ١١٢ ؛ وينظر: المثل السائر: ٢١٩/٢.

(٢) ينظر: البرهان : ١٠٧١ ؛ وينظر: المقتضب للمبرد: ٣٨٧٤، تحقيق محمد عبد الخالق عزيمة، عالم الكتب، بيروت، (د، ت) ؛ وينظر: شرح المفصل: ٤٦/٢ ؛ وينظر: معاني النحو: ٢١٦/٢.

(٣) المصدر نفسه : ٢١٧/٢.

(٤) من ذلك قول الكميت:

ومالي إلا مذهب الحق مذهب

فمالي إلا آل أحمد شيعة

وقول حسان بن ثابت (رضي الله عنه):

إذا لم يكن إلا النبيون شافع

فإنهم يرجون منه شفاعه

(ينظر: شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك : ٥٤٧/١ ؛ وينظر: شرح الاشموني: ٥٠٧/١).

وقد فتح ابن الأثير - رحمه الله - باب النقد أمام ابن أبي الحديد الذي ردّه بقوله: ((لعمري إن قولك ما قام إلا زيدا أحد يدل على اختصاص زيد بالقيام لا لأجل تقديمه على الفاعل بل لأجل الاستثناء الذي يدل على إخراج ما حكم به على غيره، فلو لا اختصاصه بذلك لبطلت فائدة الاستثناء ولكن هذا المعنى مطرد في حالتي تقديم زيد وتأخيره، لأن الاستثناء يدل في كلا الموضعين دلالة واحدة على اختصاص زيد بالقيام دون غيره، لأنه لو قام غيره لكذب في قوله إلا زيدا، ألا ترى أن من تحاول تكذيبه تقول له: كذبت لأن خالدا قد قام أيضا، فلا فرق في هذا الاختصاص بين تقديم المستثنى وتأخيره))^(١).

والغريب أن الطوفي تابع ابن الأثير في هذا التقديم بينما ذكر العلوي أن تقديم المستثنى وتأخيره يفيد الاختصاص^(٢).

الضرب الثاني من التقديم: (أن يقدم ما الأولي به التأخير)

وهذا التقديم يُجَلّ بالمعنى، ويجعله مضطربا لذلك كان الأولي به التأخير رتبة، وقد سمى ابن الأثير هذا النوع من التقديم بـ(المعاظلة المعنوية) في مثله السائر^(٣)، فمن ذلك تقديم الصفة أو ما يتعلق بها على الموصوف وتقديم الصلة على الموصول وتقديم العطف على المعطوف عليه، سواء كان عطف بيان أم نسقا، واستثنى ابن الأثير عطف النسق بالواو فإنه جائز نحو (قام عمرو وزيد).

فمن هذا الضرب قول بعضهم:

فقد والشكُّ بينَّ لي عناءً
بوشك فراقهم صرد يصيح^(٤).

وشكُّ الفراق: سرعته والصرد: طائر ضخم الرأس يصطاد العصافير^(٥) وأصل الكلام (صرد يصيح بوشك فراقهم).

(١) الفلك الدائر: ٢٦٢/٤.

(٢) ينظر: الاكسير للطوفي: ١٩٢؛ وينظر: الطراز للعلوي: ٢٣٧، وقد تأثر كلا المؤلفين بإبن الأثير.

(٣) ينظر: المثل السائر: ٢١٩/٢.

(٤) البيت في الخصائص لابن الفتح عثمان بن جني بلا نسبة: ٣٩٢/٢، الهيئة المصرية للكتاب، ط٤، (د-ت).

(٥) ينظر: القاموس المحيط لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادي مادة (وشك): ١٤٠١، ومادة (صرد): ٧٣٤، دار المعرفة، بيروت، ط٤، ٢٠٠٩.

فالفعل (يصيح) صفة لـ(صُرِد) و (بوشك فراقهم) معمول لـ(يصيح) وقد تقدم ما يتعلق بالصفة على الموصوف (صُرِد)، وذلك قبيح ومنه أيضا قول بعضهم:

فأصبحت بعدَ خَطِّ بهجتها كَأَنَّ قفرا رسومها قَلَمًا^(١).

الأصل في البيت: فأصبحت بعد بهجتها قفراً كأنَّ قلماً خطَّ رسومها فالفعل (خطَّ) خبر (كان) والمضاف إليه (بهجتها) مما جعل البيت مختلَّ المعنى مضطرباً. ومنه أيضاً قول الفرزدق:-

إلى ملكٍ ما أمّه من محاربٍ أبوه ولا كانت كليب تصاهره^(٢).

وهو يريد: إلى ملكٍ أبوه ما أمّه من محاربٍ أي ما أمُّ أبيه من محارب، ف (ما أمّه من محارب) معمول لـ (أبوه) فُدم عليه فأصبح البيت قبيحاً مختلاً.

وما ذكره ابن الأثير في هذا الضرب من التقديم اختصره من خصائص ابن جني^(٣). ويقول ابن الأثير: ((وقد استعمل الفرزدق هذا الضرب كثيراً، كأنه كان يقصد ذلك في شعره ويتعمده؛ لأنَّ مثل هذا لا يجيء إلا متكلفاً مقصوداً وإلا فإذا ترك المؤلف نفسه تجري على سجيته وطبعها في الاسترسال من غير أن يكلفها التعقيد في الكلام فإنها لا تأتي بمثل هذه الأسباب القبيحة التي هي عيب في التأليف فاحش، ألا ترى أن المقصود من الكلام معدوم في هذا الضرب المذكور لأن المقصود من الكلام إنما هو الإيضاح والإبانة وافهام المعنى فإذا ذهب هذا الوصف من الكلام ذهب المراد به والمقصود منه وصار غير مفهوم ولا فرق بينه - عند ذلك- وبين غيره من اللغات كالفارسية والرومية وغيرهما))^(٤).

(١) البيت بلا نسبة في الانصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، لأبي البركات عبد الرحمن بن محمد بن ابي سعيد الانباري : ٤٣١، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، ط٤، ١٩٦١م.

(٢) البيت من قصيدة للفرزدق يمدح فيها الوليد بن عبد الملك بن مروان مطلعها:

كم من منادٍ والشريفاتُ دونه الى الله تشكي والوليد مفارقه

ديوان الفرزدق بشرح الاستاذ علي فاعور: ٣١٢/١، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.

(٣) ينظر: الخصائص: ٣٨٧/٢.

(٤) الجامع الكبير: ١١٤.

القسم الثاني من التقديم والتأخير: (وهو ما لا يتعلّق منه بعلم النحو)

وهذا القسم من التقديم اهتم به المفسرون ومن ألف في علوم القرآن واعتنوا بأسلوبه أكثر من البلاغيين، ونظروا اليه نظرة أوسع، وقد انتفع البلاغيون منهم في هذا الشأن، فمن الذين اهتموا بهذا التقديم الزمخشري في كشافه، والزرکشي في برهانه وقد ذكر خمسة وعشرين نوعاً منه، وبحث قسماً التقديم (ما يتعلّق منه بالنحو وما لا يتعلّق) في موضع واحد من كتابه فكان منهجه في بحث هذا الموضوع أفضل من منهج السيوطي - رحمه الله - في اتقانه الذي بحث قسماً التقديم في موضعين متباعدين فما لا يتعلّق بالنحو بحثه في النوع الرابع والاربعون بعنوان (في مقدمه ومؤخره)^(١)، وما تعلق منه بالنحو بحثه في النوع الخامس والخمسون ضمن موضوع (الحصر والاختصاص).

اما البلاغيون فقد تحدّث ابن الأثير عن هذا القسم من التقديم ولم يجمعه مع ما تعلق بالنحو في موضع واحد، وكذا فعل ابن الزمكاني في كتابه (التبيان في علم البيان) حيث عقد فصلاً في بيان هذا التقديم بعنوان (في معرفة اسباب التقديم والتأخير) وجافى بينه وبين القسم الاخر من التقديم^(٢)، وأشار الطوفي إشارة مختصرة إلى التقديم الذي لا يتعلّق بالنحو، حيث ذكر تقديم الكلّ على جزئياته ومثّله ب(خَلَقَ اللهُ الانسان وبعث منه الانسان)، وتقديم الدليل على المدلول ومثّله ب(البعرة تدلّ على البعير)، ورغم تأثر الطوفي بابن الأثير لكنه أغفل هذا القسم من التقديم - رحمه الله -^(٣)، وكان العلوي أكثر اهتماماً من الطوفي وذكر هذا التقديم بعنوان (في بيان ما يجوز تقديمه ولو أُخّر لم يفسد معناه) وقابل به التقديم المتعلق بالنحو الذي يفسد المعنى الذي ذكره في كتابه متابعا فيه لابن الأثير في مثله السائر، وجمع قسماً التقديم في موضع واحد^(٤).

(١) ينظر: البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري : ٢٨٣؛ وينظر: البرهان : ٧٧٠ و ٧٧٤ ؛ وينظر: الاتقان ٢/٢٤ و ٩٧/٢.

(٢) ينظر: التبيان في علم البيان المطلع على اعجاز القرآن لعبد الواحد بن عبد الكريم الزمكاني : ٩٤، تحقيق: الدكتور احمد مطلوب والدكتورة خديجة الحديثي، مطبعة العالي، بغداد، ط١، ١٩٦٤ و ١٤٧.

(٣) ينظر: الاكسير في علم التفسير : ٢٠٠.

(٤) ينظر: الطراز ص ٢٣٤ : ٢٣٧.

التقديم والتأخير عند ابن الأثير في كتابه الجامع الكبير... محمد نبيل و د. صالح علي

والمثل السائر يسير وراء الجامع الكبير في عرض الموضوع والأمثلة^(١)، ولم يشأ ابن الأثير أن يستوعب أنواع هذا التقديم لأنه برأيه: ((مما لا يحصره حد ولا يأتي عليه شرح))^(٢)، ولذا اشار إلى نبذة منه اذا تأملها الناظر يستدل بها على غيرها، وكم كانت الدراسة البلاغية عطشى للتوسع في مثل هذا التقديم.

وقال الدكتور احمد مطلوب: ((وهذه الأنواع التي ذكرها الزركشي لم يتطرق لها البلاغيون الا من خلال الجملة، ولذلك كانت دراستهم لها قاصرة، أما الذين عنوا بأسلوب القرآن فقد تجاوزوا هذه المرحلة ونظروا إلى التقديم والتأخير نظرة أوسع وأكثر عمقا فجاءت مادتهم أغزر ودراساتهم اخصب ولا يكاد يستثنى من ذلك إلا عبد القاهر الذي أبدع في تحليل الاساليب البلاغية ونقل النحو من الإعراب والبناء إلى المعاني التي تحتلها العبارات، وكانت نظريته في النظم من أحسن ما عرف النقد القديم))^(٣) لكنه - رحمه الله - عرض تحليلا لمثال ذكره الشيخ عبد القاهر يتعلق بالنحو وهو النكرة اذا قدمت على الفعل أو قدّم الفعل عليها (أرجلٌ جاءك؟) و (أجاءك رجلٌ؟)^(٤).

والظاهر ان عبد القاهر - رحمه الله - لم يخصّ التقديم الذي لا يتعلّق بالنحو بالحديث في كتابه (دلائل الاعجاز) الذي هو ألصق بعلم المعاني رغم أنه خصّ القسم الاخر من التقديم بالحديث، وكانت فكرة النظم عنده ما هي الا توخّي معاني النحو، لذلك ما صبّ اهتمامه على ما لا يتعلّق بالنحو وليس الظن بعبد القاهر أنه لم يتنوّق هذا القسم أو رأى أنه خالٍ من اللطائف البلاغية، لأنّ القرآن الكريم تضمّن منه الكثير وهو تعبير فني مقصود، لكنّه صبّ اهتمامه على القسم المتعلق بالنحو لأن شعبه وفروعه كثيرة لكثرة مسائل النحو. ويُحتمل أن البلاغيين الذين جاؤوا بعده ولم يذكروا هذا التقديم في مؤلفاتهم قد تأثروا بفكرة عبد القاهر في النظم الذي قيده بمعاني النحو، وكان الأولى بهم - رحمهم الله - أن يقتدوا بابن الأثير والعلويّ ويتسابقوا في البحث فيه.

(١) ينظر: الجامع الكبير : ١٧٦ ؛ وينظر: المثل السائر ٢/٢٢٣.

(٢) ينظر: الجامع الكبير : ١٧٦.

(٣) أساليب بلاغية : ١٧٤.

(٤) وما يلي همزة الاستفهام هو المستفهم عنه، فاذا قُدّم الفعل على النكرة فقيل (أجاءك رجلٌ؟) كان السؤال عن فعل المجيء من احد من الرجال، اما اذا قُدّمت النكرة على الفعل فقيل (أرجلٌ جاءك؟) كان السؤال عن جنس من جاء أرجلٌ هو أم امرأة؟ ويكون هذا اذا علم أن آتٍ أتاه ولكنه لم يعلم جنس ذلك الآتي، (ينظر: دلائل الاعجاز ص ٩٨).

فمن أنواع هذا التقديم التي ذكرها ابن الأثير:-

١- تقديم السبب عل المسبب:

نحو قوله تعالى ﴿إِيَّاكَ مَبْتُ وَيَاكَ نَسْتَعِيْبُ﴾^(١) حيث قُدمت العبارة في الآية على الاستعانة؛ لأنَّ العبادة قرينة إلى الله ووسيلة اليه وتقديم القرينة والوسيلة قبل طلب الحاجة أنجح لحصول المطلوب وأسرع لوقوع الاجابة كما قال ابن الأثير، ولو قال (إياك نستعين وإياك نعبد) لكان جائزا لكن لا يسد ذلك المسد ولا يقع ذلك الموقع^(٢).

وقد اقتبس هذا المعنى من كشف الزمخشري^(٣)، ومنه قوله تعالى ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ

مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا وَنُسْقِيَهُ، مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنْسَى كَثِيرًا﴾^(٤)، فقدم حياة الأرض وإسقاء الانعام على إسقاء الناس، وإن كان الناس أشرف محلا وأعلى مكانا، قال ابن الأثير : ((وسبب ذلك ما أذكره لك وهو أن حياة الارض سبب لحياة الأنعام والناس، ولما كانت الأنعام أيضا من اسباب التعيش والحياة للناس قَدَمَهَا على الناس في الذكر، ولأنَّ حياة الناس بحياة أرضهم وأنعامهم فقدّم ما هو سبب حياتهم وتعيّشهم على سقيهم))^(٥). وهذا المعنى مقتبس من كشف الزمخشري ايضا^(٦).

(١) سورة الفاتحة، الآية: ٤.

(٢) ينظر: الجامع الكبير: ١٧٦.

(٣) ينظر: الكشف: ١٤/١.

(٤) سورة الفرقان، الآية: ٤٨-٤٩.

(٥) الجامع الكبير: ١٧٧.

(٦) ينظر: الكشف ٢٨٥/٣.

٢- تقديم الأكثر على الأقل:

نحو قوله تعالى ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾^(١)، قال ابن الأثير: ((فإنه إنما قدّم الظالم لنفسه للإيذان بكثرته وأن معظم الخلق عليه ثم أتى بالمقتصدين - أي الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا^(٢)، لأنهم قليل بالإضافة إليه^(٣)، وأخر السابقين بالخيرات إذ كانوا أقل من القليل أعني من المقتصدين))^(٤)، وهذا المعنى مقتبس من كشف الزمخشري أيضا^(٥).

وذكر ابن الأثير أن القضية هنا لو عكست لكان المعنى واقعا كذلك في المكان المطلوب، لأنه سيكون من باب تقديم الأفضل فالأفضل فالسابقون أفضل من المقتصدين

(١) سورة فاطر، الآية: ٣٢، رجّح الطبري أن يكون المراد بالكتاب الكتب المنزلة قبل القرآن والتي أورث الله تعالى أمة النبي محمد (ﷺ) الايمان بها، وهؤلاء الأصناف الثلاثة هم من الموحدين من امته بدليل أنه تعالى جعل مصيرهم الجنة حيث قال بعدها ﴿ جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا ﴾ فاطر، الآية: ٣٣، خلافا لمن قال: ان الظالم هو المنافق او المشرك، وقيل إن المصطفين هم من سائر الامم، وخصّص الزمخشري السابقين بدخول جنات عدن دون غيرهم، أما غيرهم فيُشترط لدخولهم التوبة، والحقيقة أنّ الظالم الموحّد سيدخل الجنة وإن عذب، وقد اعترض عليه ابن المنير في حاشيته على الكشف بأن الاصطفاء شامل للثلاثة فقد اصطفاهم للتوحيد والعقائد السالمة من البدع، (ينظر: تفسير الطبري ٤٦٩/٢ ؛ وينظر: الكشف ٦١٣/٣ ؛ وينظر: الحاشية (١)).

(٢) الاقتصاد ضربان الأول يكون بين الافراط والتفريط كالشجاعة فانها بين التهور والجبن، والضرب الثاني يكنى به عما يتردد بين المحمود والمذموم كالواقف بين العدل والجور والقريب والبعيد، ومنه الآية الكريمة المبحوث فيها (ينظر: المفردات في غريب القرن : ٢٠٥).

(٣) أي بالنسبة إليه، ويرى الدكتور مصطفى جواد ان كثيرا من كتاب العصر الناشئين يستعملون (بالإضافة إليه) مكان (مضافا إليه) و (يضاف إليه) و (زيادة عليه) و (يزاد عليه) وهو خطأ، ينظر: (الجامع الكبير : ١٧٧) الهامش (٣).

(٤) الجامع الكبير : ١٧٧.

(٥) ينظر: الكشف: ٦١٣/٣.

والمقتصدون أفضل من الظالمين، وما دام الأقل أفضل فالمتكلم بالخيار في تقديم أيهما شاء لأن في كلّ واحد منهما ما يوجب له التقديم^(١).
وقد يصحّ ما قاله في كلام البشر اما والكلام في آية من القرآن فالقران تعبير فني مقصود، ولا يمكن أن يُعبّر بشيء يكون غيره مساويا له في المعنى، بل لا بد من سبب وحكمة.

وقد نقل الألويسي في تفسيره أكثر من رأي في بيان الحكمة من ذلك منها:-

١. أنه قدّم الظالم لئلا ييأس من رحمة الله تعالى وأخر السابق لئلا يعجب بعمله فتعین توسيط المقتصد.

٢. إن هذا الترتيب على حسب مقامات الناس، فإن احوال العباد ثلاث معصية ثم توبة ثم قرية، فإذا عصى العبد فهو ظالم فإذا تاب فهو مقتصد فإذا صحّت توبته وكثرت مجاهدته فهو سابق.

٣. انه أحرّ السابق ليتصل ذكره بذكر الجنات لأته أول الداخلين ثم يأتي بعده المقتصد ليكون الظالم بعدهما آخر الناس دخولا^(٢).

وهذه المعاني لا تتعارض - كما لا يخفى - مع تقديم الأكثر على الأقل في الآية، وقد ذكر الزركشي أنه قد يجتمع أكثر من سبب للتقديم في الآية، فإن لم تكن متعارضة أخذ بمجموعها، أو يُرجح بعضها على بعض لكونه أهم في سياق الآية، وإذا تعارضت الاسباب روعي أقواها فإن تساوت في قوّة التعارض فالمتكلم بالخيار في أيهما أخذ^(٣).
والمعاني التي عرضها الألويسي تؤكد أن تغيير الترتيب في الآية ليكون من الأقل إلى الأكثر غير سليم خلافا لابن الأثير - رحمه الله - الذي اجاز ذلك.

٣- تقديم الأعجب فالأعجب:

نحو قوله تعالى ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٤).

(١) ينظر: الجامع الكبير : ١٧٧.

(٢) ينظر: روح المعاني : ٣٧٠/١١.

(٣) ينظر: البرهان : ٧٩٧.

(٤) سورة النور، الآية: ٤٥.

التقديم والتأخير عند ابن الأثير في كتابه الجامع الكبير... محمد نبيل و د. صالح علي

قال ابن الأثير: ((فإنه إنما قدّم الماشي على بطنه لأنه أدلّ على القدرة من الماشي على رجلين، إذ هو ماشٍ بغير الآلة المخلوقة للمشي، ثم ذكر الماشي على رجلين بعده، وقدّمه على الماشي على أربع؛ لأنه أدلّ على القدرة أيضا حيث كثرت آلات المشي في الأربع))^(١). والمعنى الذي ذكره مقتبس من الكشاف أيضا للزمخشري^(٢).

٤- تقديم الأفضل على غيره وبالعكس:

ذكر ابن الأثير أن مطلع الكلام اذا كان في معنى من المعاني ثم ذكر شيئين احدهما أفضل من الاخر، وكان معنى المفضول مناسباً لمطلع الكلام فالمتكلم بالخيار في تقديم أيهما شاء فإن قدّم الأفضل فهو في الموضع اللائق به وإن قدّم المفضول فلأن مطلع الكلام يناسبه وذكر الشيء مع ما يناسبه أيضا وارد في موضعه، وجعل من ذلك ابن الأثير قوله تعالى ﴿وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَحَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيْئَةٌ يَمَّا قَدَّمَتْ أَيْدِيَهُمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنشَاءً وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يَزْوِجُهُمْ ذَكَرَانًا وَإِنثَاءً وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَاقِبَةً إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾

فالذكور عند ابن الأثير هم الأفضل والإناث دونهم، وقد قدّمت الإناث في الآية أولاً على الذكور ثم قدّم الذكور عليهن. ويرجع ابن الأثير تقديم الإناث في الموضع الاولى إلى أنه مناسب لذكر البلاء في الآية قبلها، فذكرت كفران الانسان عند نزول البلاء به ونسيانه الرحمة السابقة عنده، ثم عقب ذلك بذكر ملكه ومشيبته وأنه فعّال لما يشاء، فناسب مجيء الإناث أولاً لأنّ العرب تعدّه بلاء، ولما أحرّ الذكور- وهم أحقّ بالتقديم- تدارك ذلك بتعريفه إياهم لأنّ التعريف تنويه بالذكر كأنه قال: ((ويهب لمن يشاء الفرسان الاعلام الذين لا يخفون عليكم)، ثم أعطى بعد ذلك كلا الجنسين حقّه من التقديم والتأخير فقدّم الذكور لأنهم الأفضل وأخر الإناث فقال (أو يزوجهم ذكرانا واناثا)، وعرف بذلك أنّ تقدّم الإناث لم يكن لتقدّمهن ولكن لمقتضى آخر))^(٤).

(١) الجامع الكبير : ١٧٨ .

(٢) ينظر : الكشاف : ٢٤٧/٣ .

(٣) سورة الشورى، الآية : ٤٨ - ٥٠ .

(٤) ينظر : الجامع الكبير : ١٧٩ .

وجميع ما ذكره في معنى هذا التقديم والتأخير مقتبس من كشف الزمخشري^(١)، وزاد الزمخشري بأن ذكر ما يدل على أفضلية الذكور بتقدم ذكرهم في أكثر من آية كما قال تعالى ﴿إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ﴾^(٢)، وقوله ﴿أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنًا﴾^(٣) ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ فَحَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ جَعَلَ مِنْهُ الْزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَىٰ ﴿٣٩﴾^(٤).

ومما ذكره فخر الدين الرازي في سبب تقديم الإناث في الموضع الأول أن الأنتى ضعيفة عاجزة فقدّم ذكرها تنبيها على أنه كلما كان العجز والحاجة أتم كانت عناية الله به أكثر، كأنه يقال للمرأة إن كان أحد قد كره وجودك فأنا قدمتك في الذكر لتعلمي أن المحسن المكرم هو الله تعالى^(٥).

ويمكن أن يقاس على ما سبق تقديم الذكور في الموضع الثاني (أو يزوجهم ذكرانا وإناثا) لما ذكر التزويج ومؤنثته إنما يتكلفها الذكور قدّم ذكرهم تنبيها على أنه سيتولّى شؤونهم فلا يغمّوا لذلك لأنهم أرادوا العفاف وابتعدوا عن السفاح.

وهذا المعنى يضاف إلى ما ذكره ابن الأثير، وهو مع المعنى السابق يؤكد أن تغيير الترتيب غير جائز لأنه سيفسد هذه المعاني خلافا لابن الأثير - رحمه الله -.
ومن هذا النوع ذكر ابن الأثير أيضا تقديم الأرض على السماء وإن كان من حقها التأخير كما يرى.

كقوله تعالى ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾^(٦)، وبين ابن الأثير أن سبب تقديم الأرض على السماء وإن كان حقها التأخير هو ليلائم ما ذكره تعالى قبل ذلك من شهادته على شؤون أهل الأرض واحوالهم فوصل ذلك بقوله (وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض..)، وهذا المعنى عينه ذكره الزمخشري في الكشف^(٧).

(١) سورة النور، الآية: ٤٥.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

(٣) سورة القيامة، الآية: ٣٧-٣٩.

(٤) مفاتيح الغيب: ٦١٠/٢٧.

(٥) سورة يونس، الآية: ٦١.

(٦) ينظر: الجامع الكبير : ١٧٩ ؛ وينظر: الكشف: ٣٥٥/٢، ومعنى (إذ تفيضون فيه) إذ تندفعون فيه من أفاض في الأمر إذا اندفع فيه، ومعنى (وما يعزب) وما يبعد وما يغيب.

التقديم والتأخير عند ابن الأثير في كتابه الجامع الكبير... محمد نبيل و د. صالح علي

وهناك آية أخرى في سورة سبأ فيها حديث عن علمه تعالى بالغيب لكن قدمت فيها (السموات) على (الارض)، قال تعالى ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عِلْمُ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾^(١)، فلما ذكر فيها (عالم الغيب) ناسب ذلك تقديم (السموات) لأن الغيب فيها أعظم وأكثر، وفيه إحاطة علمه بها رغم سعتها وهذا تعظيم لشأنه، ويؤيد هذا المعنى قراءة "علام الغيب" بصيغة المبالغة^(٢).

وهذه الآية في سياق الوعيد، والوعد والوعيد إنما هما لأهل الارض، لكن لم تقدم الارض في الآية لقوله فيها (عالم الغيب).

وقد وردت آيات أخرى في سياق الوعد والوعيد قدمت فيها الارض على السماء، قال تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾^(٣)، فقد ورد قبلها ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴾^(٤)، وقال تعالى ﴿ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾^(٥)، وقال تعالى ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ ﴾^(٦)، فتقديم الارض في هذه الآيات على السماء يتناسب مع مقام الوعد والوعيد الموجّه إلى المكلفين الذين يعيشون عليها^(٧).

وبالعودة إلى رأي ابن الأثير فإنه يرى أن الأحق بالتقديم هو السماء فإن ورد أن تقدمت الارض عليها فليسبب اقتضى ذلك، ويجعل ابن القيم والزركشي سبب تقديم السماء على الارض هو أنها أشرف وأفضل منها، ويورد ابن القيم بحثاً في اختلاف العلماء في أيمنهما هو الأفضل، ثم يرجح قول من قال بأن السماء افضل، فذكر من حجج القائلين بتفضيل الارض أن الله تعالى أنشأ من الأرض أنبياءه ورسله وعباده المؤمنين وبأنها محل سكناهم أحياء وأمواتا، وبأن الله تعالى لما اراد إظهار

(١) سورة سبأ، الآية: ٣.

(٢) ينظر: البرهان : ٧٨٦، وقراءة "علام الغيب" هي قراءة حمزة والكسائي بصيغة المبالغة "علام" وإفراد (الغيب) ينظر: الكامل المفصل في القراءات الأربعة عشر للشيخ احمد عيسى المعصراوي : ٤٢٨، دار الامام الشاطبي، مصر، ط١، ٢٠٠٩م.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٥.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٤.

(٥) سورة الزمر، الآية: ٦٧.

(٦) سورة ابراهيم، الآية: ٤٨.

(٧) ينظر: البرهان، الآية: ٧٨٦.

آدم للملائكة قال ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(١)، فأظهر فضله عليهم بعلمه واستخلافه في الارض^(٢)، وبأن الله تعالى وضعها بأن جعلها محل بركاته عموماً وخصوصاً فقال ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رِوْاسِيَ مِّنْ فَوْقِهَا وَبَارَكْنَا فِيهَا وَقَدَّرْنَا فِيهَا أَقْوَامًا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّالِئِلِينَ﴾^(٣).

واحتج من قال بأن السماء أفضل من الارض بأدلة منها أنّ عرش الله وكرسيه في السماء، وأنها مطهرة مبرأة من كلّ دنس وخبث وشر ويكون في الارض، ولهذا لا تفتح أبوابها للأرواح الخبيثة، ولأنها مسكن من لا يعصون الله طرفه عين، فليس فيها موضع اربع اصابع الا وملك ساجد أو قائم، وبأنها اشرف مادة من الأرض وأوسع وأنور وأصفى وأحسن خلقة وأعظم آيات، وبأن الأرض محتاجة في كمالها اليها، ولا تحتاج هي إلى الأرض؛ ولهذا جاءت في كتاب الله في غالب المواضع مقدّمة على الأرض، وجمعت السماء وأُفردت الأرض، وهذا دليل على تشريف السماء على الأرض، ولم يأت بالأرض الا مفردة وحيث أُريد تعدادها قال ﴿وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾^(٤)، فقال ابن القيم : ((وهذا القول هو الصواب، والله سبحانه وتعالى أعلم))^(٥)، ويمكن ان يقال جمعا بين الرأيين أنّ السماء من حيث سعة خلقها وما فيها من أجرام أعظم، ومن حيث عدد جنودها الذين يسبحون خالقهم فيها أكثر، والأرض من حيث من فيها من خواصّ المكلفين أفضل، لذا يرد تقديم أحد الاسمين (السماء والأرض) على الآخر حسب المقام، فإن كان الحديث عن ملك الله فيها يجد القارئ أنّ السماء تقدم على الارض، وكذا إن كان الحديث عن يسبحه أو يطيعه فيهما فالسماة تقدّم على الأرض لأن الطائعين فيها أكثر، وإن كان الحديث عن المكلفين في الأرض قدّمت الأرض على السماء لما لها من خصوصية فالمكلفين عليها يعبدون خالقهم في ظل البلاء والمحن وإغواء الشياطين عبادة اختيارية بخلاف الملائكة عليهم السلام.

(١) سورة البقرة، الآية: ٣٠.

(٢) في معتقد اهل السنة أن خواص البشر أفضل من خواص الملائكة، ينظر: جوهرة التوحيد للشيخ ابراهيم بن ابراهيم اللقاني بشرح الشيخ احمد بن محمد الصاوي : ٢٩٦، تحقيق الدكتور عبد الفتاح اليزم، دار ابن كثير، دمشق، ط٧، ٢٠١٠م.

(٣) سورة فصلت، الآية: ١٠.

(٤) سورة الطلاق، الآية: ١٢.

(٥) بدائع الفوائد : ٨٠١/٤، تحقيق سيد عمران وعامر صلاح، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٦م.

التقديم والتأخير عند ابن الأثير في كتابه الجامع الكبير... محمد نبيل و د. صالح علي

والتعبير القرآني تعبير فني مقصود فعندما يقدم لفظاً على آخر فيه فلغرض معيّن ولا يسدّ خلفه مكانه حتى وإن قيل بأنّ السماء أفضل من الأرض - خلافا لابن الأثير - رحمه الله الذي جعل المتكلم بالخيار في مثل هذا التقديم.

ثبت المصادر

- ❖ الاكسير في علم التفسير: ١٨٩، تحقيق: الدكتور عبد القادر حسين مكتبة الآداب، القاهرة، (د.ت).
- ❖ انوار التنزيل واسرار التأويل لعبد الله بن عمر البيضاوي: ٣٠٨/٥، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن المرعشلي، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٨ هـ .
- ❖ الايضاح في علوم البلاغة لجلال الدين محمد بن عبد الرحمن المعروف بالخطيب القزويني : ٩٤، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ٢٠١٠ .
- ❖ البحر المحيط لابي حيان محمد بن يوسف ؛ ١٣٨/١٠، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠ هـ.
- ❖ البرهان في علوم القرآن لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي: ٧٧٠، تحقيق : ابي الفضل الدمياطي، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٦ م.
- ❖ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، لجلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي: ٥٩٩/١، تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم، المكتبة العصرية، لبنان، د.ت.
- ❖ البيت بلا نسبة في الانصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، لأبي البركات عبد الرحمن بن محمد بن ابي سعيد الانباري : ٤٣١، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، ط٤، ١٩٦١ م.
- ❖ البيت في الخصائص لابي الفتح عثمان بن جني بلا نسبة: ٣٩٢/٢، الهيئة المصرية للكتاب، ط٤، (د-ت).
- ❖ التبيان في علم البيان المطلع على اعجاز القرآن لعبد الواحد بن عبد الكريم الزملكاني : ٩٤، تحقيق: الدكتور احمد مطلوب والدكتورة خديجة الحديثي، مطبعة العالي، بغداد، ط١، ١٩٦٤ و ١٤٧.
- ❖ تحرير المعنى السديد وتوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد المعروف اختصارا بالتحريير والتوير لمحمد الطاهر بن محمد بن عاشور: ١٨٤/١، الدار التونسية، تونس، ١٩٨٤ م .
- ❖ جامع البيان في تفسير القرآن لمحمد بن جرير الطبري: ١٥٧/١، تحقيق : محمد احمد شاکر، مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠٠ م .
- ❖ الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور: ١٠٩، تحقيق : الدكتور مصطفى جواد والدكتور جميل سعيد، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٥٦ .

التقديم والتأخير عند ابن الأثير في كتابه الجامع الكبير... محمد نبيل و د. صالح علي

- ❖ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لاحمد بن علي بن حجر العسقلاني: ٢/٢٩٠، دار المعارف العثمانية، حيد اباد، الهند، ط٢، ١٩٧٢ .
- ❖ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لشهاب الدين محمود بن عبد الله الالوسي : ٣٣١/١٥، تحقيق: علي بن عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥ هـ .
- ❖ شرح المفصل ليعيش بن يعيش الموصلي: ٤/٨٤، تحقيق: الدكتور اميل يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ٢٠١١م.
- ❖ الطراز المتضمن لاسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز : ٢٣٥، تحقيق: محمد عبد السلام هارون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٥م ؛ وخصائص التراكيب : ٣١٤، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٤، ١٩٩٦م.
- ❖ عروس الافراح في شرح تلخيص المفتاح لبهاء الدين احمد بن علي بن عبد الكافي السبكي: ٣٨١/١، تحقيق : الدكتور عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ٢٠٠٣ م .
- ❖ الفلك الدائر مطبوع مع المثل السائر ٤/٢٤٦، وعبارة الفلك الدائر (غيره ممن كان في زمانه) وهي غير مناسبة كما لا يخفى.
- ❖ في معتقد اهل السنة أن خواص البشر أفضل من خواص الملائكة، ينظر: جوهرة التوحيد للشيخ ابراهيم بن ابراهيم اللقاني بشرح الشيخ احمد بن محمد الصاوي : ٢٩٦، تحقيق الدكتور عبد الفتاح اليزم، دار ابن كثير، دمشق، ط٧، ٢٠١٠م.
- ❖ القاموس المحيط لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادي مادة (وشك) : ١٤٠١، ومادة (صرد): ٧٣٤، دار المعرفة، بيروت، ط٤، ٢٠٠٩ .
- ❖ لسان العرب لمحمد بن مكرم بن علي، ابن منظور، مادة (قدم): ٤٦٧/١٢ و(اخر) ١٢/٤، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤ هـ .
- ❖ المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر: ٢/٢١١، تحقيق: الدكتور احمد الحوفي والدكتور بدوي طبانة، دار نهضة مصر، الفجالة، القاهرة، (د.ت).
- ❖ مختصر المعاني لسعد الدين التفتازاني : ١٠١، دار الفكر، ايران، (د.ت)
- ❖ معاني الابنية في العربية للدكتور فاضل صالح السامرائي: ٤٧، طبع جامعة الكويت، كلية الآداب، (د.ت).
- ❖ معجم المصطلحات البلاغية للدكتور احمد مطلوب: ١/١٠٧، الدار العربية، بيروت، ط١، ٢٠٠٦ م .

- ❖ مفاتيح الغيب لمحمد بن عمر فخر الدين الرازي : ٢٧٦/٢، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ .
- ❖ مفتاح العلوم ليوسف بن ابي بكر السكاكي : ٣٢١، تحقيق : الدكتور عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م .
- ❖ المفردات في غريب القرآن لابي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني: ٢٣ وص ٣٩٨، تحقيق : محمد خليل عيتاني، دار المعرفة، بيروت، ط٥، ٢٠٠٧ .
- ❖ المقتضب للمبرد: ٣٨٧٤، تحقيق محمد عبد الخالق عزيمة، عالم الكتب، بيروت، (د.ت) .
- ❖ منهج السالك إلى الفية ابن مالك لعلني بن محمد بن عيسى نور الدين الاشموني (شرح الاشموني على الفية ابن مالك): ٢١٧/٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ٢٠١٠م .
- ❖ الوافي بالوفيات لصلاح الدين خليل بن ابيك الصفدي : ٣٢١/١٩، تحقيق: احمد الارناؤوط وتركي مصطفى، دار احياء التراث، بيروت، ٢٠٠٠م .
- ❖ وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان لاحمد بن محمد بن خلكان : ٧٦/٣، تحقيق: احسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ت .

حُسن التَّعليل في المثل النَّبوي بمظاهر المخلوقات (العجماوات) أنموذجاً

Good reasoning in the prophetic proverb with the appearances of creatures(Ajmwat) as a model

Heba Hani Daoud
Nineveh Education
Directorate
Dr. Azad Hassan Haider
Sheikho
Assistant Professor
University of Mosul -College
of Education for Human
Sciences - Department of
Arabic Language

هبة هاني داؤد
مديرية تربية نينوى
د. آزاد حسان حيدر شيخو
الأستاذ المساعد
جامعة الموصل - كلية التربية للعلوم
الانسانية - قسم اللغة العربية

azad632000@uomosul.edu.iq

تاريخ القبول

٢٠٢١/٨/٨

تاريخ الاستلام

٢٠٢١/٧/٤

الكلمات المفتاحية: التعليل - المثل - أساليب البيان - الفكرة المعللة .

Keywords: Reasoning - proverbs - methods of statement - reasoned idea.

الملخص

تضايّف حُسن التَّعليل مع معطيات المثل بوصفه سبيلاً لحسن إظهار المعاني المتوخاة فضلاً عن أنّ عرض (المثل) للقضايا المطروحة يعدّ وسيلةً مُثلى في عرض المعطيات الفكرية والفنية؛ لكون حُسن التَّعليل يشتمل على إعمال الفكر ودقّة الاستدلال بربط علاقات ما كان يخطر بالبال تلاميها ؛ بغية الانتقال بالمعنى الغامض إلى الواضح في صورة حيّة بليغة تؤثر في نفوس المتلقين بالدليل والبرهان ؛ فيكسب النصّ فاعليته وجماله الفني عن طريق الإقناع بالفكرة المعللة والإمتاع بالصورة المتخيّلة، وقد ورد التَّعليل في أمثاله (ﷺ) النبوية الشريفة في سياق الوصف الثابت بمظاهر المخلوقات العجماوات المعهودة من البيئة المحيطة للمتلقين، فسبقت بصورة من التمثيل تمكّن المعنى المقصود بغية تبليغه .

Abstract

The addition of conceit with the data of the proverb as a way to better show the intended meanings, in addition to the fact that the presentation (salaa allah ealayh wasalam) of the issues raised by embodying or diagnosing the situation because it is a means of presenting these intellectual and technical data of the proverb is added by the fact that the conceit lies in the realization of thought and the accuracy of inference in linking certain relationships. It came to mind that they were similar, as well as achieving the transition of the mysterious meaning to the clear in a lively and eloquent image that affects the souls, which enables the confirmation of the meaning and its determination with evidence and proof. In order for the text to gain its effectiveness and artistic beauty in order to influence the recipient by convincing the justified idea and enjoying the imagined image.

The explanation was given in the likes of the noble Prophet (salaa allah ealayh wasalam) in the context of the consistent description of the manifestations of the foreign creatures in the form of the tangibles close to the familiar environment of the surrounding environment in the foreign creatures, in which the Prophet (salaa allah ealayh wasalam) was observed near the era of the recipients of Islam.

توطئة

تناول البلاغيون مفهوم التعليل في مباحث (حُسن التعليل) على وفق مشارب شتى ، وقد أطلق أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ) على مفهومه في الكلام بـ(الاستشهاد والاحتجاج) ، وقصد منه الإتيان بتذييل المعنى وتوكيده بمعنى آخر يجري مجرى الاستشهاد على الأول والحجة على صحته، واستدل على ذلك بشواهد نثرية وشعرية^(١)، وقد عرّف القزويني (ت ٧٣٩هـ) حُسن التعليل بقوله: ((وهو أن يدعى لوصف علة مناسبة له باعتبار لطيف غير حقيقي))^(٢). والمراد بقوله (غير حقيقي)، أن العلة المناسبة التي سيقَت باعتبار لطيف غير مطابقة للواقع بل علة يتخيل بها^(٣) .

وقد تعددت أضرب حُسن التعليل عند البلاغيين القدامى، إذ جعلوه في أضرب أربعة، وقد أبنوا عنه بالشواهد المناسبة، وكان لأسلوب التشبيه حظ فيه، ومنه^(٤):

— ضرب يكون للوصف الثابت الذي لا تظهر له في العادة علة .

منه قول أبي تمام : لا تُكْري عطلَ الكَريمِ مِنَ الغَنيِّ فالسَّيلُ حربٌ للمكانِ العَاليِ^(٥) .

فالعلة في قول أبي تمام في أنّ السَّيل لا يستقر على الأماكن العالية، وأنّ الماء سيال لا يثبت^(٦)، فعدم إصابة العطل والخلو الكَريم بالقياس على عدم استقرار السَّيل للمكان العَالي وخلوه منه، والحقيقة أنّ الماء في العادة لا يقف عند الأماكن العالية في حالة النزول، فأورد الشاعر علة لخلو المال عند الكَريم بعلّة في ظاهرة كونية مألوفة ومعهودة لدى المتلقي ، وكان تقرير ذلك المعنى بصورة التشبيه الضمّني، الذي يعد شكلاً من التشبيه التمثيلي من جهة كون وجه الشبّه فيهما مركب بصورة منتزعة من متعدد .

— ضرب يكون فيه الوصف غير ثابت، فأثبت بعلّة غير ممكنة .

ومنه قول الشاعر: لو لم تكن نيّة الجوزاءِ خِدمتُهُ لما رأيتَ عليها عِقدَ مُنتَطِقِ^(٧) .

أردف الشاعر علة غير ممكنة في تخييل مفرط، بكون نجمة الجوزاء قائمة في خدمته، وأنّ النجوم التي حول الجوزاء كالنطاق المرصع .

(١) كتاب الصناعتين، أبو هلال الحسن العسكري : ٤١٦ .

(٢) تلخيص المفتاح، جلال الدين الخطيب القزويني : ١٢٥ .

(٣) شروح التلخيص - مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح -، ابن يعقوب المغربي

: ٣٧٣/٤ .

(٤) الايضاح في علوم البلاغة، جلال الدين الخطيب القزويني : ٥١٨-٥١٩ .

(٥) ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي : ٧٧/٣

(٦) أسرار البلاغة ، الشيخ عبد القاهر الجرجاني : ٢٦٧ .

(٧) البيت الشعري مترجم عن الفارسية . ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة : ٥٢٢ .

ويلحظ أن من البلاغيين ألقوا حسن التعليل بالتشبيه الذي يصاغ بأداة التشبيه (كأن)، كما في قول أبي تمام :

كأن السحاب الغرَّ غيَّبَ تحتها حبيباً فما تزقاً لهنَّ مدامع^(١) .

وقد أشار الإمام السبكي إلى كونه من حسن التعليل، أولاً: فلأنه ليس في كلامه شك، وثانياً: (كأن) ليست للشك على الصحيح بل تفيد التشبيه^(٢) .

إن هذا التقسيم للتعليل ينحصر في النظر العقلي المنطقي في الأوصاف الثابتة وغير الثابتة بعقل تظهر عادة أو لا تظهر، وكذلك في الأوصاف الممكنة وغير الممكنة، وفي حقيقة الأمر فضاء التعليل أوسع مجالاً من التعليل المنطقي إلى رحاب الفضاء الأدبي الذي أساسه الخيال والعاطفة والتناسب المقنع الممتع؛ لغرض التأثير في المتلقي، بإدخال السرور على السامع أو التخفيف من وقع مصيبة أصابته أو من شدة ألم ألم به، وقد يعلل الشاعر لوثاً أو صوتاً أو حركة، فالتعليل الأدبي تعليل ذاتي نفسي يرجع فيه الأديب إلى ذوقه الفني وخياله الخصب، غرضه التظرف: إمّا بالتعليل العلمي الذي مردّه التعقل والتدبر العقلي والبحث في طبائع الأشياء، وإمّا بالتعليل الأدبي الذي يرجع فيه إلى الذوق الفني وبراءة الخيال^(٣).

التضائيف الاستدلالي بين التعليل والتمثيل :

إن مدار التضائيف بين حسن التعليل والتشبيه التمثيلي يكمن بعملية إجراء الاستدلال بالحجة والبرهان وتوكيد المعاني المتوخاة من الكلام بمجرى الاستشهاد عليها وإقامة الحجة على صحتها، فالتعليل هو ((أن تقصد إلى حكم فتراه مستبعداً لكونه : غريباً أو عجبياً أو لطيفاً، أو نحو ذلك، فتأتي على سبيل التظرف بصفة مناسبة للتعليل، فتدعي كونها علّة للحكم))^(٤)، والتمثيل هو كذلك عملية استدلال لإثبات معنى بزيادة الكشف البياني بضرب الأمثال، وتكمن

وظيفته عند البلاغيين في إجراء شكل من الاحتجاج والاستشهاد والاستدلال فضلاً عن البرهان^(٥) .

(١) ديوان أبي تمام : ٤ / ٤٨٣ .

(٢) شروح التلخيص - عروس الأفراح شرح تلخيص المفتاح -، الإمام أحمد بن علي بهاء الدين السبكي : ٤ / ٣٨٣ .

(٣) دراسات في علم النفس الأدبي، حامد عبد القادر : ٤٩-٥١ .

(٤) المصباح في المعاني والبيان والبديع ، بدر الدين بن مالك : ٢٤٠٠ .

(٥) الاحتجاج العقلي والمعنى البلاغي (دراسة وصفية)، للباحث ناصر بن دخيل الله السعيد، اطروحة دكتوراه ، بإشراف: أ.د. محمد إبراهيم شادي ، المملكة العربية السعودية لجامعة أم القرى ،كلية اللغة العربية، ١٤٢٦هـ : ٨٨ .

وهذا ما ذهب إليه الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) بقوله: ((الأمثال هي زيادة في الكشف وتنميماً للبيان، تضرب العرب الأمثال لإبراز جليات المعاني، ورفع الأستار عن الحقائق، حتى تريك المتخيل في صورة المحقق، والمتوهم في صورة المتيقن، والغائب كأنه شاهد، وفيه تبيكيت للخصم))^(١)، وتتضح فكرة الاستدلال التمثيلي عند القرطاجني (ت ٦٨٤هـ) على أنه نوع من المحاكاة فتجعل الأقوال الدالة تحاكي خواص أشيائها وأعراضها التي تنتظم صورها الخيالية في النفس فتجعل الصورة المرسمة يستدل بوجود الحكم في المثال على وجوده في الممثل، وهذا ينطبق على محاكاة قصص وما جرى مجاره وإلى محاكاة حكمة^(٢)، فعلمية الاستدلال بالتمثيل يزيد في الكلام معنى يدل على صحته بعلة ممثلة فضلا عن أن التمثيل بحد ذاته طريقة للاستدلال الحجاجي، لكون ((التمثيل هو طريقة حجاجية تعلق على المشابهة المستهلك، حيث لا يرتبط التمثيل بعلاقة المشابهة دائما، وإنما يرتبط بتشابه العلاقة بين أشياء ما كان لها أن يكون مترابطة))^(٣).

فالتعليل فضاء مشترك مع التمثيل بوصفهما مجالين للمقايضة بين شيئين ادعى بينهما تقارباً في فكرة ما، بقصد الوصول إلى حكم من الأحكام بالاستدلال، فمن جهة التعليل يكون الاستدلال بتقديم العلة التي يستدل بها على إثبات معنى من المعاني أو تقرير صفة من الصفات، بوصف التعليل ((ثبوت المؤثر في إثبات الأثر))^(٤)، أما من جهة التمثيل، فإن الشبه يثير فكرة فيها غرابة وادعاء، فلا يسلم بها المتلقي تسليماً مبادراً، فيحتاج للقبول به إلى دليل يقنعه، فيأتي المشبه به مثلاً وشاهداً تقر به العقول وطمئن القلوب إلى صحته، وقد يكون مرجعه مستقراً في الطباع أو جارياً مجرى السنة والقانون في الحياة والمشاهدة^(٥)، وكثيراً ما يقترن حسن التعليل بالصور البيانية من التشبيه الضمني والتمثيل، فحظي إيراد في صياغات الكلام بضرب من السحر؛ لما يكتنفه من اللطف والظرف^(٦)، وجميع صور التشبيه الضمني هي بمثابة قياسات تعليلية للمعاني المدعاة؛ لأن الاحتجاج بالتمثيل التعليلي أو التعليل التمثيلي يعد من الفلسفة المقبولة^(٧).

(١) تفسير الكشاف : ٥٠ / ١ .

(٢) منهاج البلغاء وسراج الأدباء : ٩٧-٩٨ .

(٣) عندما نتواصل بغير - مقارنة تداولية معرفية لآلية التواصل والحجاج، د. عبد السلام عشير : ٩٧ .

(٤) التعريفات، علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني : ٥٥ .

(٥) البلاغة والتطبيق، د. أحمد مطلوب و د. كامل حسن البصير : ٣٠٩ .

(٦) من جماليات المعنى - حسن التعليل - ، د. عيد محمد شبايبك : ١٥٢ .

(٧) الاحتجاج العقلي والمعنى البلاغي (دراسة وصفية) ، للباحث ناصر بن دخيل الله السعدي ، اطروحة دكتوراه ، بإشراف: أ.د. محمد إبراهيم شادي ، المملكة العربية السعودية لجامعة أم القرى ، كلية اللغة العربية، ١٤٢٦هـ : ١١٠ .

الأمثال النبوية والتعليل التمثيلي :

لقد تناول الشيخ عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) المعنى التخيلي والمعنى العقلي في معرض حديثه عن التعليل وضروب الحقيقة والتخييل، فالمعنى التخيلي عنده يكون الصدق فيه على درجات، منه ما يجيء مصنوعاً وقد تَلَطَّف فيه حتى أعطي شيئاً من الحق وغشي رونقاً من الصدق، ومنه النَمَط العدل والنمرقة الوسطى، وهو كثير في الآداب والحكم البريئة من الكذب^(١)، أمَّا المعنى العقلي فيكون بحسب قربه من الحقيقة أو بُعده، فمنه المعنى الصحيح الذي يكون مجراه في الشَّعر والكتابة والبيان والخطابة، ويجري مجرى الأدلة التي يستنبطها العقلاء، فضلاً عن الفوائد التي يثيرها الحكماء، فتدرج تحتها الحجج الخبرية الصادقة المجزم بصحتها على حقائقها، وهذا الجنس أكثره منتزَعاً من أحاديث النبي (ﷺ) وكلام الصحابة رضي الله تعالى عنهم، فشأنه الصدق ويرى له أصلاً في الأمثال والحكم المأثورة^(٢).

والمثل النبوي يعدّ رائداً في سحر الأمثال والحكم وجمالها، وتحظى بمكانة متميزة فضلاً عن عناية العلماء والمسلمين في دراسة جوانبها والوقوف على أسرارها البلاغية، فجاءت أمثله (ﷺ) في صور من المحسوسات قريبة إلى الأذهان وتحرك الوجدان بلغة قوية مستحكمة بالإحاطة والاستيعاب، فقوة بيانه (ﷺ) تظهر حكمة النبوة في حسن معرضٍ وصفاء رونقه ودقّة تأليفه، كما أنّ التصوير الفني في المثل النبوي المهمة الأساسية له توضيح الرسالة والإقناع العقلي والعاطفي للمتلقّي^(٣)، وقد وردت تلك الصور في أمثاله الشريفة (ﷺ) في سياق التعليل بالوصف في المظاهر المكتسبة للسلوك الانساني بوصفها أفعالاً مألوفة قريبة من ذهن المتلقين بحسب المقام وقرائن الأحوال.

التعليل في المثل النبوي لمظاهر المخلوقات (العجماءات) :

❖ روى نافع بن عمر (رضي الله عنهما): ((مَثَلُ الْقُرْآنِ مَثَلُ الْإِبِلِ الْمُعَقَّلَةِ إِنَّ عَقْلَهَا صَاحِبُهَا أَمْسَكَهَا عَلَيْهِ، وَإِنْ أُرْسِلَتْ مِنْ عَقْلِهَا ذَهَبَتْ))^(٤).

ورد بلفظ ثانٍ قوله (ﷺ): ((إِنَّمَا مَثَلُ صَاحِبِ الْقُرْآنِ كَمَثَلِ الْإِبِلِ الْمُعَقَّلَةِ، إِنَّ عَاهَدَ عَلَيْهَا أَمْسَكَهَا، وَإِنْ أُطْلِقَهَا ذَهَبَتْ))^(٥)، في المثل الشريف شبه الرسول (ﷺ) تعاهد القرآن وتلاوته

(١) من جماليات المعنى - حسن التعليل -: ٢٦٧، ٢٧٠.

(٢) أسرار البلاغة: ٢٦٣.

(٣) التصوير الفني في القرآن، سيّد قطب: ٣٦.

(٤) الأمثال من الكتاب والسنة، أبو عبد الله محمد بن علي الحكيم الترمذي: ٤٣-٤٤.

(٥) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله (ﷺ) مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري: ١/٥٤٣؛ وينظر: الجامع المسند الصحيح المختصر من

وحفظه بالإبل المُعقَّلة، التي عقَّلتها صاحبها فكذلك صاحب القرآن الذي آلفه بالقراءة والمعابنة والنظر فيه أو عن ظهر قلب والاستمرار والدوام في ذلك ؛ فيدُلُّ لسانه له، وتسهل عليه قراءته، فإذا تركه وهجره ثقَّلت عليه القراءة وثَقُنْتُ^(١).

أما معنى العقْلُ وأصله فمن عقَل يَعْقِلُ عقْلاً فهو عاقل، والمعقولُ: ما تعقَّله في فؤادك، والعقلُ: نقيض الجهل ، ويطلق على الحبس والمنع فيسمى الحصنُ العقل وجمعه العقول ، وهو المعقلُ أيضاً وجمعه معاقِلُ^(٢). ومن معانيه الدالة على معنى الحبس وحبسه في الشيء أو ما يقاربُ الحبسة (العقلُ) ؛ لأنه الحابسُ عن ذميمة القول والفعل^(٣).

وقوله (ﷺ): (القرآنُ كالإبلِ المُعقَّلة) فهي المشدودة بالعقال، والتشديد فيه للتكثير، وذلك العقالُ هو الحبلُ والجمع عُقْلٌ وعَقَلَ البعيرَ يَعْقِلُهُ عقْلاً وعَقَلَهُ واعْتَقَلَهُ: ثنى وظيفه مع نزاعه وشدهما جَمِيعاً في وَسَطِ الذَّرَاعِ^(٤).

وقد ورد التشبيه التمثيلي في المُشَبَّه: صاحب القرآن، والمُشَبَّه به: في صورة الإبل المُعقَّلة التي إن عقَّلتها صاحبها أمسكها، وإن ترك عقَّلتها ذهبت، وهي أئمن ما يمتلكه العربي لارتباطها بحياته فمنها يأكل ويشرب ألبانها، وبها يضرب ويخوض مخاطر الصحراء؛ ولذلك كثر وصفها في الشعر العربي بوصفها مصاحبة له في حلّه وترحالها، فهو يتغنّى بها في شعره أكثر من أي شيء آخر^(٥).

والمساحة المشتركة في الشبّه بين الطرفين : صورة مركبة من هيئة الذي يتعاهد الشيء، في حفظه في كلِّ الأحوال، والدوام على ذلك .

أما كلمة (مثل) فهي من ((المثال ما اعتل فاؤه، كوعد ويسر، وقيل: ما يُذكر لإيضاح القاعدة بتمام إشارتها))^(٦)، وكذلك تأتي بمعاني أخرى : كالتشبه، والنظير، والحجة، والآية، والعبرة، والعظة، والقصة ذات الشأن، والصفة الغريبة^(٧).

أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي : ١٩٣/٦ .

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي : ٧٩/٩ .

(٢) كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي : ١ / ١٥٩ . ١٦٠ .

(٣) معجم مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي : ٦٩/٤ .

(٤) لسان العرب ، محمد بن مكرم بن علي جمال الدين ابن منظور : ٤٥٩/١١ .

(٥) التشبيه التمثيلي في الصحيحين، رسالة ماجستير، فائزة سالم صالح، بإشراف د. محمد

محمد أبو موسى، جامعة ام القرى، كلية اللغة العربية، فرع البلاغة / ١٩٨٦ : ٢٩٦ .

(٦) التعريفات ، علي بن محمد بن علي الجرجاني : ٢٠١ .

(٧) الأمثال في الحديث النبوي الشريف ، محمد جابر فياض العلواني : ٢٣ .

إنَّ الفكرة المعللة التي تناولها الحديث الشريف تكمن في التَّعاهد والتَّمسك بالشيء والمداومة في حفظ وتلاوة القرآن في كلِّ الأحوال، والتَّحذير من نسيانه. وشكُّل العلة في بيان التعليل تمثَّلت في الإبل المُعقَّلة، أي المشدودة بالحبل فإنَّ حفظها صاحبها بربطها أمسكها عليه وانتفع منها، وإنَّ ترك وثاقها ذهب، وفاته منافعها. واختياره (ﷺ) المُشَبَّه به من المخلوقات الكائنة في البيئة المُحيطة للمتقين .

وفي الحديث الشريف خصَّ الإبل بالذِّكر في حسن التعليل؛ لأنَّها أشدُّ الحيوانات الأنسية شِراداً ونفوراً وتحصيلها بعد نفورها أشقَّ وأصعب في المنال^(١)، فالتمثيل بالعلة بادعاء لوصف مناسب بإعتبار لطيف ممَّا يزيد قوة المعنى المقصود^(٢). وتميَّز شكُّل العلة بالطَّرَافَة، فالطَّرَافَة ما طرفت معانيه وبانت، والتَّدت آذان السَّامع له^(٣)، وكذلك يطلق معنى الطَّرَافَة (أن تقول لشيء طريف أي طيب غريب، واستطرفت الشيء استحدثته)^(٤)، أي الابتكار في عرض الشيء وبيانه، فلفتت صفة نفور الإبل التي أشار إليها (ﷺ) انتباه المخاطب إلى ما تدركه الابصار في العقول؛ ليحدث بذلك الانتباه في الإدراك لما هو مائل قريب، فأوضحت المعنى وقربته فضلا عن التَّنبية إلى معنى مراعاة الإبل المُعقَّلة خشية شرودها.

أمَّا الأساليب البلاغية التي عززت التعليل، فمن جهة تركيب الجمل نجد الجملة الشرطية التي تفيد معنى الرِّبط الذي هو تعليق فعل على فعل آخ^(٥)، وردت في صيغة باتجاهين مختلفين فحصول فعل جواب الشرط الأول: (امسكها) متعلق بحدوث فعل الشرط: (عقلها)، وحصول جواب الشرط الثاني: (ذهب) متعلق بفعل الشرط (أرسلها)، فضلاً عن تكراره للجملة الشرطية أفاد التوكيد لتلك الصفة، كما أنَّ تكرار كلمة (عقلها) كفعل مرة واسم مرة أخرى أوضحت أهمية تأكيد معنى شدة التقلت في صورة حسية حيَّة.

ومن جهة الصورة البديعية تمثلت بشكل من العلة المعنوية العقلية في عملية الدور والتناوب في صورة التَّضاد (الطباق) الذي يكسب الكلام جمالاً وزاده بهاءً ورونقاً. فلم يقف عند هذا الرِّخرف وتلك الزينة الشكُّلية، بل تعداه إلى غاية أخرى بأنَّ يكون هناك معنى لطيف ومغزى

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، محمود بن أحمد العيني : ٤٧/٢٠ .

(٢) شروح التلخيص، سعد الدين التفتازاني : ٣٧٣/٤ .

(٣) لسان العرب : ٢١٤/٩ .

(٤) العلة المستطرفة في التَّشبيه التَّمثيلي، عيد محمد شبلي

<https://www.alukah.net>:١٦،

(٥) نحو المعاني، أحمد عبدالستار الجواري : ١١٥ .

دقيق وراء جمع الضدين في إطار واحد^(١)، ف جاء طباق الإيجاب الذي ورد في الحديث الشريف في صور الأفعال (عقلها/ أرسلها)، (أمسكها/ ذهب)، في تقابل الأضداد في الاستدلال العقلي مما زاد قوة التعليل، والرَسُول (ﷺ) عندما قصد علةً قياسيةً بشكل من الاستدلال العقلي في التشبيه بصفة نفور الإبل فرأه مستطرفاً في إستحداث معنى قريب من الأذهان، عند تشبيهه بشيء أقرته العقول وآمنت به؛ ليكشف عن لطافة المعنى، ويظهر حسن المقصود، وهذا التوجه في عرض الشبه بين الطرفين أفاد المعاني المتوخاة في التعليل ولا سيما من جهة المشبه به، فأيراد حسن التعليل في المُشَبَّه به إنما يؤتى به لإيضاح حال المُشَبَّه المعقول ليزيل الغرابة عنه^(٢).

❖ ما روي عن الرسول (ﷺ) أنه قال: ((إنما الناس كإبل المائة لا تكاد تجد فيها راحلة))^(٣).

وورد برواية ثانية قال (ﷺ) : ((تجدون الناس كإبل مائة، لا يجد الرجل فيها راحلة))^(٤).

تناول المثل الشريف الناس الذين لا تجد فيهم كثير منفعة فضلا عن كونهم كثيراً. والراحلة على صيغة فاعلة بمعنى مفعولة، والهاء فيها للمبالغة، أي كلها حمولة تصلح للحمل، ولا تصلح للرحل والركوب عليها، ويراد من المعنى أن الناس كثير والكريم النافع منهم قليل، أو أن الزاهد في الدنيا الكامل فيه الراغب في الآخرة قليل كقلة الراحلة في الإبل، وورد في الحديث لفظ (المائة)، فيقال: فلان إبل أي مائة بعير، ولفلان إبلان أي مائتان، فلفظ مجرد الإبل ليس مشهور الاستعمال، وذكر المائة للتوضيح^(٥).

(١) علم البديع دراسة تاريخية لأصول البلاغة ومسائل البديع ، الدكتور بسيوني عبد الفتاح فيود : ١٣٩.

(٢) من جماليات المعنى حسن التعليل عيد محمد شبايك : ١١٥.

(٣) الأمثال من الكتاب والسنة: ٥١ ؛ ينظر: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه: ٨ / ١٠٤.

(٤) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله (ﷺ): ٤ / ١٩٧٣.

(٥) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني : ٢٨٦ / ٩ .

أما المائة في اللغة فيقال : أمأيتُ الدّراهم جعلها مائة^(١)، تدلُّ على التّمّدد والاتّساع والمبالغة، مأي: مَأَيْتُ فِي الشَّيْءِ أَمَأَى مَأَيًا: بِالغَتِّ وَتَمَأَى الْجِدُّ يَتَمَأَى تَمْتِيًا تَوْسَعُ^(٢)، وبذلك أفادت التّأكيد على معنى الكثرة بما ينسجم ومفهوم المُشَبَّه به الإبل، أمّا الرّاحلة من الإبل فهو البعير القوي على الأسفار والأحمال، وهي التي يَخْتَارُهَا الرَّجُلُ مِنَ الْإِبِلِ ذَكَرًا كَانَ أَمْ أَنْثَى لِمُرْكَبِهِ وَرَحْلِهِ عَلَى النَّجَابَةِ وَالنَّجَابَةُ: مُصَدَّرُ النَّجِيبِ مِنَ الرَّجَالِ، وَهُوَ الْكَرِيمُ ذُو الْحَسَبِ إِذَا خَرَجَ خُرُوجَ أَبِيهِ فِي الْكِرْمِ؛ وَالْفِعْلُ نَجِبَ يَنْجُبُ نَجَابَةً، وَكَذَلِكَ النَّجَابَةُ فِي نَجَابِ الْإِبِلِ، وَهِيَ عِتَاقُهَا الَّتِي يُسَابِقُ عَلَيْهَا^(٣). وَالْمُنْتَجِبَةُ: الْمُخْتَارَةُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، الَّتِي يَخْتَارُهَا الرَّجُلُ لِمُرْكَبِهِ وَرَحْلِهِ عَلَى النَّجَابَةِ وَتَمَامِ الْخَلْقِ وَحَسَنِ الْمَنْظَرِ، وَإِذَا كَانَتْ فِي جَمَاعَةِ الْإِبِلِ تَمَيَّزَتْ تَبَيَّنَتْ وَعَرِفَتْ، وَبِذَلِكَ فَالنَّاسُ مُتَسَاوُونَ لَيْسَ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ عَلَى أَحَدٍ فَضْلٌ فِي النَّسَبِ، وَلَكِنَّهُمْ أَشْبَاهُ كَابِلِ مَائَةٍ لَيْسَتْ فِيهَا رَاحِلَةٌ تَتَبَيَّنُ فِيهَا وَتَتَمَيَّزُ مِنْهَا بِالنَّمَامِ وَحَسَنِ الْمَنْظَرِ^(٤).

والحديث الشّريف قائم على التّمثيل للمُشَبَّه: حالة عامة النَّاسِ فِي قِلَّةِ نَفْعِهِمْ وَفَائِدَتِهِمْ بِحَالَةِ الْمُشَبَّهِ بِهِ: الْإِبِلِ الْمَائَةِ الْكَثِيرَةَ الْعَدَدِ الَّتِي لَا تَكَادُ تَجِدُ فِيهَا رَاحِلَةً تَصْلُحُ لِلرُّكُوبِ وَالسَّفَرِ، أَمَّا الْمَسَاحَةُ الْمَشْتَرَكَةُ فِي الشُّبْهِ بَيْنَ الطَّرْفَيْنِ : صُورَةُ مَرْكَبَةٍ مُنْتَزَعَةٍ مِنْ هَيْئَةٍ كَثْرَةَ وَجُودِ الشَّيْءِ وَقِلَّةِ النَّفَعِ مِنْهُ .

قال الإمام القرطبي - رحمه الله - : ((الذي يناسب التّمثيل أن الرّجل الجواد الذي يحمل أثقال النَّاسِ وَالْحِمَالَاتِ عَنْهُمْ وَيَكْشِفُ كُرْبَهُمْ، عَزِيزُ الْوُجُودِ كَالرَّاحِلَةِ فِي الْإِبِلِ الْكَثِيرَةِ))^(٥).

فكثرة الإبل المتهيئة بوصف ثابت مألوف لا تظهر له علة حقيقية ، أو لا يسأل النَّاسُ فِي الْعَادَةِ عَنْهُ، إِلَّا أَنَّ الرَّسُولَ (ﷺ) فِي آخِرِ الْحَدِيثِ أَوْجَدَ لَهُ عِلَّةً اتَّسَمَتْ بِطَرَفَتِهَا وَلَطَافَتِهَا فِي تَعْلِيلِ مَنْاسِبِ فِي الْإِسْتِطْرَافِ وَتَقْرِيْبِهِ لِدَهْنِ الْمُنْتَلَقِي، مِمَّا تَقُولُهُ الْعَرَبُ فِي وَصْفِ الْإِبِلِ الْمُنَّةِ، فَقَدِمَ لِلْفِكْرَةِ الْمَعْلَلَةِ : كَثْرَةُ النَّاسِ الْمَتَسَاوُونَ فِي أَحْوَالِهِمْ وَصِفَاتِهِمْ، إِذْ لَا تَفَاضُلَ بَيْنَهُمْ فِي تَحْمِلِ صِفَةِ النَّفْعِ وَالْخَيْرِيَّةِ لِلآخِرِينَ فَهَمُ فِيهِ سَوَاءٌ، وَلَكِنَّهُمْ لَا يَظْهَرُونَ تِلْكَ الصِّفَاتِ .

ومن الأساليب البلاغية التي عززت التعليل إيراد الحديث الشّريف في تخصيص المعنى وتأكيد أسلوب القصر، ففي كلامه (ﷺ) بأسلوب القصر بـ(إنّما) الذي يفيد (تخصيص شيء

(١) معجم مقاييس اللغة : ٢٩٢/٥، ينظر: أساس البلاغة، أبو القاسم جارالله محمود بن

عمرو بن أحمد الزمخشري : ١٩١/٢.

(٢) لسان العرب: ٢٦٩/١٥.

(٣) المصدر نفسه: ٧٤٨/١.

(٤) المصدر نفسه : ٢٧٧/١١.

(٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري : ٣٣٥/١١.

بشيء بطريق مخصوص^(١)، فأسلوب القصر بـ(إنما) والمتضمن معنى النفي والاستثناء، والتي تأتي إثباتاً لما بعدها ونفي لما سواها، ويرجع النحاة السبب في ذلك؛ لما كان إن للتأكيد واتصلت بها ما الزائدة زاد من تأكيدها فناسب أن تتضمن معنى القصر، وتفيد تأكيد الحكم على تأكيد^(٢)، فتأخير المقصور عليه حالة (الإبل المائة) في ندرة النفع منها عن حالة المقصور (الناس) أفاد التوكيد والمناسبة، فضلاً عن اقتران القصر بأسلوب النفي (لا تكاد) الذي يفيد معنى حصول الفعل بعد جهد ومشقة ليقدم صورة من استبعاد الشيء وندرة حصوله^(٣)، كما عزز المظهر البلاغي البياني بإيراد علة قياسية أفادت الاستدلال العقلي بفن الكناية عن الصفة في قوله (ﷺ): (لا تكاد تجد فيها راحلة)، فلا يقصد منه المعنى الحقيقي وإنما قصد فيه لازم المعنى في صفة التجابة والتحمل فضلاً عن النفع، على اعتبار أن معنى الكناية: لفظ أريد به غير معناه الذي وضع له مع جواز إرادة المعنى الحقيقي، لعدم وجود قرينة مانعة من إرادته^(٤).

وبذلك فإن حسن التعليل لا يقتصر في تحسين الكلام في عرضه لعل مستطرفة لوحدها، وإنما كان للمظاهر البلاغية التي تضمّنّها التشبيه التمثيلي من أسلوب القصر والكناية دور في إبراز المعنى وتجليته، فأضافت جمالاً في التعبير، وتأثيراً في الإمتاع، وطريقاً إلى الإقناع .

❖ روي عن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : ((إنما مثلي ومثلكم مثل رجل أوقد ناراً فهو يدبُّ عنها أن يقع فيها الجراد والفرّاش، وإني أخذٌ بحجزكم أن تقعوا في النار))^(٥).

ورد بلفظ آخر قال رسول الله (ﷺ): ((مثلي ومثلكم كمثّل رجلٍ أوقد ناراً، فجعل الجنادب والفرّاش يقعن فيها، وهو يدبهنّ عنها، وأنا أخذٌ بحجزكم عن النار، وأنتم تقلنّون من يدي))^(٦).

(١) الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، إبراهيم بن محمد بن عريشاه عصام الدين الحنفي : ٤٦/١ .

(٢) المصباح في المعاني والبيان والبديع ، بدر الدين بن مالك الشهير بابن الناظم : ٩٦ .

(٣) الجملة العربية والمعنى، فاضل السامرائي : ٨٣ .

(٤) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشمي : ٢٨٧ .

(٥) الأمثال من الكتاب والسنة : ٥٢ .

(٦) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) :

٤ / ١٧٩٠؛ وينظر: مسند الإمام أحمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن

أسد الشيباني : ١٦٦/٢٣ .

تناول المثل الشريف وصفه (ﷺ) لحاله وشأنه في دعوته للناس للإسلام كمثل رجل أوقد ناراً، وهو من يذب ويدفع عنها تهافت الجراد والفراش وتساقطها في النار، فهؤلاء لا يأتون النار على قصد الهلكة، وإنما يأتونها طلباً للمنفعة واتباعاً للشهوة، كما أن الفرّاش يقتحم النار لا ليهلك بل لما يصحبه من الضياء^(١).

ومعنى الذب أي الدفع والمنع والطرْد^(٢)، أما الجراد فيطلق على صغير الجنادب الذي يصير في الحر والليل، ويسمى ذكر الجراد الجنذب وجمعه جنادب^(٣)، أما الفرّاش بالفتح هو الطير الذي يلقي نفسه في ضوء السراج، وقد يطلق على دواب مثل البعوض، مفردها قرّاشة التي تطير وتهافت في السراج والجمع قرّاش^(٤)، وقد ورد لفظ الفرّاش الذي جاء في قوله تعالى^(٥): ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾، مما يدل على تهافت الفرّاش وانتشاره، يركب بعضها بعضاً. كذلك الناس يجول بعضهم في بعض إذا بُعثوا^(٦). فتمثلت صورة المثل في الحديث الشريف بهيئة إيقاد الرّجل النار للإضاءة والدّفء، فلما أضاء المكان، شرع الفرّاش يلقي نفسه في النار، فأخذ الرّجل يدفعها .

والحجرُ يطلق على الحول بين الشّيين، وحجزت بين الرّجلين وذلك أن يمنع كلّ واحدٍ منهما من صاحبه، وقد يطلق على حجة الأزار: معقده. وحجزه السراويل: موضع النّكّة، وهذا على التّشبيه والتّمثيل كأنه حجز بين الأعلى والأسفل^(٧)، فهو (ﷺ) يحول بينها وبين النار هي تصر بالقاء نفسها فيها ومعنى النار في الحديث الشريف يراد به الجوهر اللطيف المضيء محرق حار والنور ضوؤها^(٨). فأراد(ﷺ) أن يبين النّفع في الاستفادة من نور ضيائها، ومثّل لها بدعوته للناس للإسلام، ليؤكد (ﷺ) على رُقي الجانب الرّوحي والمعنوي، والارتقاء عن الماديات مشفقاً عليهم من الاحتراق بظلام الضلالة والجهل وضعف التّمييز، فهي نار جاءت

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري : ١٦ / ١٧.

(٢) لسان العرب : ٣٨٠ / ١.

(٣) المصدر نفسه : ٢٥٧ / ١.

(٤) المصدر نفسه : ٣٣٠ / ٦.

(٥) سورة القارعة، الآية : ٤ .

(٦) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي : ٤٤٤ / ٢٢ .

(٧) معجم مقاييس اللغة : ١٣٩ / ٢ .

(٨) عمدة القاري شرح صحيح البخاري : ١٦ / ١٧.

في سياق الهداية بدليل بقوله تعالى^(١): ﴿إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدٍ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ .

وقد استأنس العرب النَّار فصاحبتهم في حلِّهم وترحالهم، عُرِفَت النَّار عند العرب فمن سننهم أنَّهم كانوا يوقدون النَّار ليلاً على الكثبان والجبال، ليهتدي إليهم النَّائِهون والصالون في الفيافي والقفار، فإذا وفدوا عليهم آمنوهم حتى لو كانوا من عدوهم . ويدور في شعرهم الفخر بهذه النيران، وأنَّ كلابهم لا تتبج ضيوفهم لما تعودت من كثرة الغادين والرائحين^(٢) . يقول عوف بن الأحوص^(٣) :

وَمُسْتَبْجٍ يَخْشَى الْقَوَاءَ وَدُونَهُ مِنْ اللَّيْلِ بَابًا ظَلَمَةً وَسَتُورَهَا

رَفَعْتُ لَهُ نَارِي فَلَمَّا اهْتَدَى بِهَا رَجَزْتُ كِلَابِي أَنْ يَهْرَ عَقُورَهَا

والتمثيل في الحديث الشريف قائم على التشبيه التمثيلي بالمشبه في هيئة : (مَثَلِي وَمَثَلِكُمْ) أي الرسول (ﷺ) بصفته في دعائه إلى الإسلام، وأحوال النَّاس في إجابتهم لدعوته وحرصه (ﷺ) على سلوكهم طريق النَّجاة ومنعه إياهم السَّقوط في النَّار، المشبه به : الرَّجُل الموقد للنار في هيئة من يذبُّ عنها، الجراد والفراس المتساقط بالنَّار^(٤) .

أما المساحة المشتركة في الشَّبه فصورة مركبة متكونة من هيئة من دعا وهياً إلى شيء نافع للناس بهدايتهم ، وهو يحافظ عليهم ويذب ويمنعهم أن يتساقطوا بإتباع الهوى . والمَراد من ضرب المثل الزيادة في الكُشف والتنبية للبيان، في إبراز خفيات المعاني ورفع الأستار عن الحقائق تأثير ظاهر في إمكانية كونه استعارة لإطلاقه على المثل للحال أو الصِّفة أو القصة إذا كان لها شأن وفيها غرابية حاله في دعوته (ﷺ) النَّاس إلى الإسلام وإنقاذهم من النَّار، ومثل ما زينت لهم أنفسهم بتماديهم في المعصية^(٥) .

وقد وردت الفكرة المعللة بهيئة دعوته (ﷺ) في الهداية والإرشاد وإنقاذه إياهم من نار الأهواء، وبالرغم من مخالفه النَّاس وعدم اكتراثهم بذلك البيان وانتهاكهم حدود الله وطمعهم على استيفاء تلك اللذات والشهوات ليعبر عن ذلك بالفعل (تقوعوا) ويقال : وقع على الشَّيء ومنه يقع وقعا ووقوعاً: بمعنى سقط^(٦)، ومنعه وحجبه (ﷺ) إياهم عن ذلك . بشكل من العلة المألوفة

(١) سورة طه ، الآية : ١٠ .

(٢) تاريخ الأدب العربي، د. شوقي ضيف : ٦٨ / ١ .

(٣) المفضليات، المفضل بن محمد الضبي : ١٧٦ .

(٤) عمدة القاري شرح صحيح البخاري : ١٦ / ١٧ .

(٥) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ٢٧٧/٩ .

(٦) لسان العرب : ٤٠٢ / ٨ .

بطرافتها للكائنات القريبة والتي ألفها العرب في طبيعة حياتهم والتي لها من الدلالات في كلام العرب في معاني الخفة والحمق، لأنها تلقي بنفسها في النار ما قاله جرير^(١):
أَزْرَى بِحَلْمِكُمُ الْفَيْشُ فَمَاتْتُمْ مَقْلُ الْفَرَّاشِ غَشِيْنَ نَارَ الْمُصْطَلَى

وفي سبب إلقاء نفسها في النار أقوال منها إنها لا تبصر بحالٍ وهو بعيدٌ، وإنها تكون في ظلمةٍ فإذا رأت الضياء اعتقدت أنها كوةٌ يظهر منها النور فتقصده لأجل ذلك فتحترق وهي لا تشعر، وقيل لضعف بصرها تظن أنها في بيتٍ مظلمٍ وأن السراج مثلاً كوةٌ فترمي بنفسها إليه وهي من شدة طيرانها تجاوزه فتقع في الظلمة فتراجع إلى أن تحترق وقيل إنها تتضرر بشدة النور فتقصد إطفاءه فلشدة جهلها تورطت نفسها فيما لا قدرة لها عليه^(٢).

وقد أضاف الغزالي إلى كون^(٣) التمثيل وقع على صورة الإكباب على الشبهات من الإنسان بإكباب الفراش على التهافت في النار، ولكن جهل الآدمي أشد من جهل الفراش؛ لأنها باعترارها بظواهر الضوء إذا احترقت انتهى عذابها في الحال، والآدمي يبقى في النار مدةً طويلةً أو أبداً^(٤).

أما مناسبة ذكره (ﷺ) للمخلوقات من (الجراد والفراش) فلكونهما من أصناف الحشرات الطائرة التي تتهافت بقوة وطيش على النار فالجراد هو من: (فصيلة من الحشرات المستقيمات الأجنحة، واحده جرادة للذكر والأنثى، والجراد من الحيوان الذي ينفاد لرئيسه فيجتمع كالعسكر، إذا طعن أوله (سار وطار) تتابع جميعه طاعنا، وإذا نزل أوله نزل جميعه)^(٤)، لتأتي بذلك الدقة العلمية في تشبيهه (ﷺ)، فعند هجرة اسراب الجراد، فأته يغطي مساحات من الأرض تصل بأكثر من ألف كيلومتر مربع، ليتراص على مسافات قريبة من الأرض بكثافات تتراوح بين المليون وعشرات الملايين، ويسمى الكيلو متر المربع الواحد منها

- (١) ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب : ٩٤٣ / ٢ . والفياش : المفخرة ويقال فلان فياش إذا كان نفاخا بالباطل وليس عنده طائل، ينظر: لسان العرب : ٣٣٣/٦ - ٣٣٤ .
(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري : ٤٦٤/٦ .
(٣) المصدر نفسه : ٤٦٤/٦ .
(٤) موسوعة الطير والحيوان في الحديث النبوي ، عبد اللطيف عاشور : ١٢٩ .

باسم الأسراب الطباقية، فهو يطير عارياً ألا من رحمة الله الذي زوده بغطاء قرني رفيع^(١)، فشبَّههم ﴿﴾ بالجراد لكون له إمكانية الانتشار وسرعة الحركة ليناسب في قوله تعالى^(٢) :

﴿ حُشَعًا أَضْرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ ﴾ .

أما الفراش فله إمكانية التفرق والانتشار على غير هدى في كل مكان ذهاباً وإياباً دون ترتيب ونظام، فهو جنس حشرات من الفصيلة الفراشية، ورتبة حرشفيات الأجنحة، تتهافت حول السراج فتحترق، ومنه المثل: «أطيش من فراشة»، وأضعف، وأذل، وأجهل، وأخف، وأخطأ من فراشة؛ لأنها تلقى نفسها في النار^(٣)، وهذا ما تناوله القرآن الكريم بذكر هيئة الفراش، قال تعالى^(٤):

﴿ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴾

ومن الأساليب البلاغية التي عززت التعليل بأسلوب القصر (إنما) لتوكيد المعنى، الذي ناسب السياق والمعنى، بتأخير المقصور عليه ليظهر باختصاصه ﴿﴾ بمعنى الاهتمام والتوجيه لأتمته عن السقوط في حضيض الشهوات الطالحة، وليدفع إنكارهم بتوكيد ه كلامه لحفظه وصونه لهم بدخول إن بقوله ﴿﴾ : (واني أخذ بحجزكم) ومجيء اسم الفاعل (أخذ) بدلالته على الحركة بين الجذب والدفع، فضلاً عن التوافق مع الإيقاع الموسيقي لتكرار (مثلي، ومثلكم، مثل) وصنعها لجو من التخيل والتمثيل في صورة حية^(٥)، ومعزراً ذلك بشكل آخر من العلة القياسية بصورة الكناية عن الصفة بالمكنى به بقوله ﴿﴾ : (واني أخذ بحجزكم أن تقعوا في النار) عن المكنى عنه لصفة مأخوذة من مجتمع وسلوك الصون والحفظ في دعوته ﴿﴾ إلى الهداية وتصويره لحالة الرجل الحريص على منع أتمته من الهلاك، بحال الذي يحمي صاحبه من الهلاك، فضلاً عن العلة القياسية المتمثلة في المجاز المرسل التي أفادت الاستدلال العقلي وعلاقته المسببية في وضع المسبب موضع السبب^(٦)، لما كان الوقوع في مهاوي الشهوات سبباً لدخول النار اقتصر بذكر المسبب بحجزه ﴿﴾

(١) من آيات الإعجاز العلمي الحيوان في القرآن الكريم، زغول راغب محمد النجار : ١٩٥ - ١٩٦ .

(٢) سورة القمر، الآية: ٧ .

(٣) موسوعة الطير والحيوان في الحديث النبوي : ٣٢٦ .

(٤) سورة القارعة، الآية: ٤ .

(٥) التشبيه التمثيلي في الحديث النبوي (من خلال صحيح البخاري)، محمد السيد عبد الرزاق موسى : ٢٦ :

وتحذيره وترهيبه (ﷺ) من المعاصي عن السَّقُوطِ فيها . لتدلّ على حسن اختياره، ودقّة توجيهه لإدراك المعاني في وضوح وإيجاز .

❖ روي عن رسول الله (ﷺ) أنّه قال: ((مَثَلُ الَّذِي اسْتَرَدَّ مَا وَهَبَ مَثَلُ الْكَلْبِ يَقِيءُ فَيَأْكُلُ قَيْئَهُ))^(١).

أصل الحديث ما ورد في صحيح مسلم ((حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى، قَالَ: قَرَأْتُ عَلَى مَالِكٍ، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، حَمَلَ عَلَى فَرَسٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَوَجَدَهُ يُبَاعُ، فَأَرَادَ أَنْ يَبْتَاغَهُ، فَسَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: لَا تَبْتَاغُهُ، وَلَا تَعُدْ فِي صَدَقَتِكَ))^(٢).

بيّن الحديث الشّريف مثل الذي يعود في عطيته ثم يسعى إلى استرداد ما وهبه لغيره، مثل الكلب أكل حتى إذا شبع قاء، ثم عاد في قيئه فأكله، لتوجب ظاهرة تحريم الرجوع في الهبة بعد القبض^(٣)، والتّنفير عن ذلك الفعل المذموم. وقد وقع التّشبيه في التّشديد على النّهي من وجهين: تشبيه الرّاجع بالكلب، والمرجوع فيه بالقيء، فضلاً عن أنّ المعنى أنّه لا ينبغي للمؤمن أن يتصف بصفة ذميمة، يشابه فيها أخس الحيوانات في أخس أحوالها^(٤).

وقال الحافظ: ولعل هذا أبلغ من الرّجر عن ذلك، وأدلّ على التّحريم يعني عن الرجوع في الهبة من النّهي نفسه ممّا لو قال لا تعودوا في الهبة^(٥).

فالتّمثيل قائم في الحديث الشّريف في المُشَبَّه: الذي يسترد صدقته وهبته والمرجوع فيه والمُشَبَّه به: الكلب العائد في قيئه، وخصّ الحديث الشّريف التّمثيل بالكلب في وصف لؤم الرّجل، وخبث الطّبع، فضلاً عن سقوط القدر والخسة، ومهانة النفس^(٦).

(١) الأمثال من الكتاب والسنة: ٥٣.

(٢) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله (ﷺ): ٣/١٢٣٩ ؛ وينظر: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه: ٤/٥٨.

(٣) التيسير بشرح الجامع الصغير، زين الدين المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين المناوي : ٣٤٣/١.

(٤) فيض القدير شرح الجامع الصغير ، تعليقات يسيرة لماجيد الحموي : ٢/٥٢٠.

(٥) الفتح الرّياني لترتيب مسند الإمام احمد بن حنبل الشيباني ومعه بلوغ الأمان من أسرار الفتح الرّياني الهامش ، أحمد بن عبد الرحمن بن محمد البنا الساعاتي : ١٥/١٧٣.

(٦) الحيوان، عمرو بن بحر محبوب الكناني أبو عثمان الشهير بالجاحظ : ١/٦٩.

وقد سبق القرآن الكريم الحديث الشريف تناول ضرب المثل بالكلب، في قوله تعالى (١): ﴿وَلَوْ سِئَنَّا لَرَغْنَا بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَابْتَعِ هَوْنَهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحَمَلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَرَكَهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ .

وكما أن (الكلب) يُعرف بطبيعته في إرجاع القيء فإن له صفة (اللهاث) التي تتمثل بالأنفاس السريعة التي يأخذها الكلب عن طريق فمه المفتوح، ولسانه المتدلي إلى الخارج، من أجل تزويد جسمه بقدٍ كافٍ من الاوكسجين، وضبط كمية الماء ودرجة الحرارة فيه، وتهويته في حالات الحر الشديد، والسبب يعود في ذلك إن جسم الكلب لا يحتوي غدد عرقية إلا في باطن أقدامه فقط ، والتي لا تفرز من العرق ما يكفي لتنظيم درجة حرارة جسمه، ولذلك فإن الكلب يستعاض بعملية (اللهاث) لتعويض غيبة الغدد العرقية في غالبية جسمه كما لوجود الشعر الكثيف الذي يغطي اغلب الجسم الذي يرفع من درجة حرارته خاصة في غيبة الغدد العرقية التي تقوم بتنظيم درجة حرارة أجساد أغلب الكائنات الحية الأرضية(٢)، ويتوافق هذا الوصف الذي يحمله الكلب في اللهاث، فضلاً عن صفة القيء التي في الكلب، جاء فيه إيراد التعليل مناسباً للمعنى المقصود في التشديد على النهي .

أما المساحة المشتركة في الشبه : فهي الصورة المركبة المنتزعة من الطرفين في هيئة الذي أعطى الشيء طوعاً، ثم يعود فيه لاسترداده بصورة من الدّم والتفكير فضلاً عن التقيح . فعرض الفكرة المعللة في هيئة الشخص المسترد لصدقته، وتحذيره وخشيته على ما كان يروم فعله عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ووصفه باللؤم وهو بعيد عن ذلك . فجاء شكّل التعليل بصفة ثابتة مألوفة في الكلب لكنّها منقّرة للنفس، وقد أثبتت الدراسات الحديثة أنّ ظاهرة القيء عند الكلاب قد تعود إلى حالة مرضية أو اضطراب في المعدة لدى الحيوان(٣)، كما أشارت الدراسات إلى أنّ للكلاب صفة قبيحة أخرى تتمثل في كونها تعود وتأكل برازها وفضلاتها، إمّا بسبب تقليد لما تقوم به الأم للجراء عند الولادة، أو نقص في الانزيمات(٤).

فكلاً الحاليتين الذي يعود في هبته، والكلب الذي يقيء ويأكل قبيئه، تدلان على حالة الإحساس بالنقص والاضطراب في السلوك فضلاً عن حالة مرضية تكون في الانسان مرض معنوي نفسي، وأمّا في الكلب فهي اضطراب ومرض جسيمي مادي، وقد تناسب مع المقصود

(١) سورة الأعراف ، الآية : ١٧٦ .

(٢) من آيات الإعجاز العلمي الحيوان في القرآن الكريم: ٣٥٠ .

(٣) القيء عند الكلاب وأسبابه وطريقة التعامل معه،: <https://bobbievet.com>.

(٤) لماذا يأكل الكلب البراز: <https://petaskclub.com>.

من الحديث الشَّرِيف في إيراد التَّمثِيل بين طرفين يجمع بينهما الصِّفَات المذمومة والفعل القبيح.

وبذلك يتبين حسن التعليل في العلة التي ذكرها (ﷺ) في ظاهرة الرجوع في القيء عند الكلاب، فهي علة حقيقية في تلك المخلوقات؛ لإدخال معاني التنفير والاشمئزاز والقبح لطرافتها وغربتها، فأظهرت وضوح المعنى وزادت في تأكيده، لتحرك مكامن الاستغراب والاستظراف في نفس المتلقي^(١)، باقتران التعليل بإغراب وتعجيب في السلوك فضلاً عن صورة الاستقباح تدفع بالمتلقي إلى التنبه بقوة؛ لأن الاستغراب والتعجب تُعد حركة في النفس ولاسيماً إذا اقترنت بحركتها الخيالية قوى انفعالها وتأثيرها^(٢). فضلاً عن أن حسن التعليل يزيد المعنى حسناً بدلالته وبراعته وحذقه في عقد المشابهة بين حالتين، ما كان بالبال تشابههما^(٣). ومن الصور البلاغية التي كثفت المعنى وعززت قوة التعليل فتمثلت بشكل العلة القياسية للصورة البيانية التي أفادت عدم تصريحه (ﷺ) لصفة المسترد لصدقته فكنى به في قوله (ﷺ) : ((مثل الكلب بقيء فيأكل قيئه)) كناية عن صفة الدَّم في الدنائة واللؤم. لتدفع بشعور التنفير والاشمئزاز عند المتلقي فالكناية هي: ((ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما يلزمه لينتقل من المذكور إلى المتروك))^(٤).

فضلا عن ورود تعليل يخص المعاني أفاد تأكيد المعنى وتحقيقه تمثلاً بالأسلوب البلاغي البديعي الطَّباق بوصفه أساساً من أسس التفكير والتعبير الإنساني بمظاهر التضاد بين الأشياء، وجمعه بين الضدين بقوله (ﷺ): ((استرد، وهب)) دور في تقوية معنى الاضطراب واللؤم، على اعتبار أن الجمع بين الأضداد تقدم صورة ذهنية ونفسية في تداعي المعاني بين حالة من (وهب) في الرضا والعتاء، وبين حالة من (استرد) في اللؤم. مما يترك آثاراً على نفسية المتلقي بتلك العلة العقلية.

ومجيء جناس الاشتقاق في جمعه بين اللفظين في قوله (بقيء، قيئه) شكلت صوراً من العلل المناسبة في حسن التعليل لعلة لغوية يستدل بها على المقصود من الكلام، وسرعة جريانه على اللسان، إذ تتداعى الألفاظ المتجانسة بتداعي المعاني في الذهن^(٥)، فاللفظ المتجانس يعطي صوراً متعددة للمعنى الواحد وبأشكال متنوعة في هيئة (القيء) فضلاً عن الإيقاع

(١) من جماليات المعنى حسن التعليل : ١٣٩.

(٢) منهاج البلغاء وسراج الأدباء أبي الحسن حازم القرطاجني : ٧١.

(٣) من جماليات المعنى حسن التعليل : ١٣٩.

(٤) مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي :

الصَّوتِي في هيئة الحروف وصفاتها التي تدل على معنى تنفر منه النَّفس، ويدلُّ على قدرة المتكلم في صيغ الألفاظ والمعاني في الاستدلال بالمعنى والصَّوت المؤثر في السَّامع .

❖ ما روي عن رسول الله (ﷺ) أَنَّهُ قَالَ: ((مَثَلُ الْمُؤْمِنِ وَمَثَلُ الْإِيمَانِ كَمَثَلِ الْفَرَسِ فِي آخِيَّتِهِ يَجُولُ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى آخِيَّتِهِ، وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ يَسْهُو ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى الْإِيمَانِ، وَأَطْعَمُوا طَعَامَكُمْ الْأَتْقِيَاءَ، وَأَوْلُوا مَعْرُوفَكُمْ الْمُؤْمِنِينَ))^(١).

تناول المثل الشَّريف حالة المؤمن الذي يبعد عن ربه وأصلُ إيمانه ثابت، ثم يعود ويقرب اليه بالإيمان، والمراد بالإيمان شُعْبُهُ كَالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَغَيْرَهُمَا، فَمَا أَنَّ الْفَرَسَ يَبْعُدُ عَنْ آخِيَّتِهِ ثُمَّ يَعُودُ إِلَيْهَا فَكَذَلِكَ الْمُؤْمِنُ قَدْ يَتْرِكُ بَعْضَ شُعْبِ الْإِيمَانِ ثُمَّ يَتَدَارَكُ مَا فَاتَهُ وَيَنْدِمُ عَلَى مَا فَعَلَهُ مِنَ التَّقْصِيرِ بِالتَّوْبَةِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ بِقَوْلِهِ (ﷺ): ((فَأَطْعَمُوا طَعَامَكُمْ الْأَتْقِيَاءَ، وَأَوْلُوا مَعْرُوفَكُمْ الْمُؤْمِنِينَ)) أي أعطوا إحسانكم وعطيتكم المؤمنين، وأفاد تأكيد المعنى دلالة فعل الأمر التي خرجت إلى معنى التَّريغيب والتَّصح والإرشاد^(٢).

ولفظ الأخية في أصلها اللغوي أَّح، والأخية بالمدِّ والتشديد واحدة الأواخي: وهو عود يُعرض في الحائط ويُدْفَن طَرَفَاهُ فِيهِ، وَيَصِيرُ وَسْطُهُ كَالعُرْوَةِ تُشَدُّ إِلَيْهِ الدَّابَّةُ، وَإِنَّمَا تُؤَخَّى الْأَخِيَّةُ فِي سَهْلَةِ الْأَرْضِينَ؛ لِأَنَّهَا أَرْفَقَ بِالخَيْلٍ مِنَ الْأَوْتَادِ النَّاشِزَةِ عَنِ الْأَرْضِ، فِيهِ أَثْبَتَ فِي الْأَرْضِ السَّهْلَةَ مِنَ الْوَتْدِ^(٣).

فالتَّمثِيل قائم في شكل من التَّشْبِيهِ المركب من المُشَبِّهِ المتعدد: المؤمن والإيمان الملازم له، والمُشَبَّهِ به المركب: في حالة الخيل المربوطة التي تجول بآخيتها .
وتظهر المساحة المشتركة للشبه في الصَّورة المركبة المنتزعة في رسوخ أصل الشَّيء وثباته مهما تعرض له من التَّغْيِيرَات في الذَّهَاب والعود، ولأَسْبَاباً في المؤمن مع وجود مرتكزاته السلوكية من التَّوْبَةِ والإحسان بالقول والعمل، بإطعام الاتقياء، وخصَّ عمل المعروف بالمؤمنين؛ لِأَنَّهُ مِنْ أَبْوَابِ التَّقْوَى وَالتَّوْبَةِ، وَالتَّنْذِيرِ بِإِحْسَانِ الْخَالِقِ لِعِبَادِهِ .

والفكرة المعللة صَوَّرت حركة سلوك المؤمن المتغيرة بين الطَّاعَةِ والمعصية، والبعد والقرب من الآخرة، ومجئ صيغة اسم الفاعل بالإضافة فأفاد تغليب جانب الدَّات على الحدث في اسم الفاعل، بخلاف النصب، فَإِنَّهُ يَفِيدُ دَلَالَتَهُ عَلَى الْحَدِيثِ^(٤). فَإِنَّ وَرُودَ اسْمِ الْفَاعِلِ الْمُؤْمِنِ بِدَلَالَةِ الْإِضَافَةِ فِي قَوْلِهِ (ﷺ): ((مَثَلُ الْمُؤْمِنِ)) أي صفة الإيمان فيه أمَّا النَّصْبُ فَإِنَّهُ يَفِيدُ دَلَالَتَهُ عَلَى

(١) الأمثال من الكتاب والسُّنة: ٥٣؛ وينظر: مسند الإمام احمد بن حنبل: ٨٥/١٨؛ وينظر:

الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، محمد بن معبد التميمي البُستي: ٣٨١/٢.

(٢) شرح مصابيح السُّنة للإمام البغوي، محمد بن عزالدين الحنفي: ٥٨١/٤.

(٣) لسان العرب: ٢٣/١٤.

(٤) معاني النحو، د. فاضل صالح السامرائي دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - الأردن،

ط١، ٢٠٠٠ م: ١٧٤/٣.

الحدث في قوله (ﷺ): (وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ يَسْهُو) دلّ على حدث الإيمان وحالة تذبذبه فالحديث الشريف في سياقه دلالة على الزيادة والنقصان في حال المؤمن كمثل الفرس وأخيته، فجاءت العلة مجسدة في الفرس/ وربطه بالأخية، فمهما كان ابتعاده وطوافه في الأرض، لأبّد من عودته إلى تلك الأخية، ليربط ويثبت فيها.

وتُعدّ (الأخية) وسيلةً لثبات واستقرار الفرس بعد جولاته، كما أن (الرباط) من وسيلة التحكم في الخيل لمظاهر الحركة المختلفة، وهو ما وافق وصف الخيل بقوله تعالى^(١):

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَابِ الْخَيْلِ﴾ ، الوصف الذي يعكس

حركات الخيل والتي تربط في سبيل الله استعدادا للجهاد دفعا لعدوان المعتدين وظلم الظالمين، وتأميناً لعباد الله من المسلمين الذين اختاروا عقيدة التوحيد الخالص لرب العالمين، حتى لا يفتنوا عنها، ولا يجبروا على الخروج منها^(٢).

وبهذا الشكل من وصف وسيلة (الأخية) وإيرادها تمنح التعليل التناسب اللطيف بما فيه من الاستطراف في المعنى، وتقريب صورة حال المشبه في سلوكه وصفاته ومواصفاته التي تبدأ من لفظ الفرس المشتق من الاقتراس، لأنها تفتقر الأرض بسرعة مشيها^(٣). فالحيوان له من الصفات الجسدية والعقلية الحسنة ما ليس لغيره من قوة البنية وشدة الذكاء، ونبل الطباع، وقوة الذاكرة، كما له قدرة التعرف على الأشخاص والحكم على المواقف، وقدرة فائقة على الشم والسمع، وعلى معرفة الاتجاهات والطرق، والأماكن وتذكرها حتى بالليل، وبعد فترات زمنية طويلة من مغادرتها كما أنه حيوان هادئ ورسين، ليست له طبيعة عدوانية إلا إذا هوجم بشيء من القسوة والخطر أو أُسيئت معاملته^(٤). فنوع العلة تكمن في سياسية الخيل وترويضه لمعرفة محيطه وإشعاره بالأمان والاستقرار، وإيجاد نوع من الطمأنينة والارتباط بينه وبين محيطه فهي صفة ثابتة مألوفة، تتناسب مع ما قصده (ﷺ) مما هو معروف من لطافة سجايا الخيل ورقة طبعه، والذي كلما عاملته بالحسن قابلك بالأحسن، فعبر عن ذلك بعلة لطيفة في إيراد المعنى الحسن برسم صورة تخيلية إيحائية طريفة بهيئة الفرس الكريمة الأصل، مما تتناسب مع ما يطلق عليه (الطرف) على الفرس الكريم الأطراف يعني الأبناء والأمهات^(٥).

(١) سورة الانفال، الآية، ٦٠.

(٢) من آيات الاعجاز العلمي الحيوان في القرآن الكريم : ٢٨٩.

(٣) حياة الحيوان الكبرى، محمد بن موسى الدميري : ٢٨٥/٢ .

(٤) من آيات الاعجاز العلمي الحيوان في القرآن الكريم : ٢٩١.

(٥) لسان العرب: ٩ / ٢١٤.

وقد أسهمت أساليب بلاغية في إيراد التعليل وتكثيف شكل العلة المستطرفة في المعنى بصورتها الكناية والتضاد، بإظهار علة قياسية، فكفى عن معنى صفة الملازمة والثبات والارتباط في المكان بلفظ (في آخيته)، فكذلك صفة الإيمان وملازمته للمؤمن وثباتها، فضلاً عن المظهر البديعي بصورة التضاد في الأفعال المتضادة في قوله (ﷺ): (يجول / يرجع)، الذي أفاد تعزيز التعليل بشكل من علة عقلية في الاستدلال المعنوي تتناسب مع تغيير حالة المؤمن في (القوة والضعف) ومع حركة الفرس في (التجوال والرجوع)، وصورة الحركة سلبيًا وإيجابيًا بين المؤمن وعمله بالتضاد مع صورتها الكناية والطباق، فأفادت حسن التعليل في الحديث الشريف .

❖ قال (ﷺ): ((مَثَلُ الْمُنَافِقِ مَثَلُ الشَّاةِ الْعَائِرَةِ بَيْنَ الْغَنَمِ تَتَرَدَّدُ بَيْنَهُمَا مَرَّةً إِلَى هَذِهِ، وَمَرَّةً إِلَى هَذِهِ))^(١).

ورود بلفظ في قوله (ﷺ): ((مَثَلُ الْمُنَافِقِ، كَمَثَلِ الشَّاةِ الْعَائِرَةِ بَيْنَ الْغَنَمِ تَعْبُرُ إِلَى هَذِهِ مَرَّةً وَإِلَى هَذِهِ مَرَّةً))^(٢).

تضمن المثل الشريف أحوال المنافقين بوصفهم بالشاة العائرة التي أوجزت حالهم المترددة والمتحيرة بين مجموعتين من الغنم، لا تدري أيهما تتبع فتتذبذب وتذهب إلى هذه المجموعة مرة، وتكرّر وترجع إلى المجموعة الأخرى مرة ثانية، فتشبيهه بالمنافق بالشاة للتفسير والذم والتحقيق^(٣)، وظهرت دقة وصفه (ﷺ) في لفظة (العائرة) التي قدّمت صورة ظاهرة النفاق والحيرة بين إتباع المؤمنين والكفار، فالعائرة في اللغة من العور هو ذهاب حس إحدى العينين وفي عينه عوار وعائر، وهو كل ما أعلّ العين فعقر وسُمي بذلك؛ لأنّ العين تغمض له ولا يتمكن صاحبها من النظر^(٤). قالت الخنساء^(٥):

فَدَى بَعِينِكَ أُمُّ بِالْعَيْنِ عَوَّارُ
أُمُّ دَرَقَتْ إِذْ خَلَّتْ مِنْ أَهْلِهَا الدَّارُ

كما يطلق على ذمّ الفعل القبيح، فيقال عوّرت عليه أمره أي قحبته^(٦)، وبذلك لا يقتصر معناه على ذهاب إحدى العينين وضعف التمييز.

(١) الأمثال من الكتاب والسنة: ٥٣ .

(٢) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله (ﷺ): ٤/٢١٤٦؛ وينظر: مسند الإمام أحمد: ٩/٩٩ بزيادة لفظ (لَا تُدْرِي أَهَذِهِ تَتَّبِعُ، أَمْ هَذِهِ).

(٣) فتح المنعم شرح صحيح مسلم، د. موسى شاهين لاشين: ١٠/٣٨٥.

(٤) لسان العرب: ٤/٦١٢-٦١٥.

(٥) ديوان الخنساء: ٤٥.

(٦) أساس البلاغة: ١/٦٨٤.

وقوله(ﷺ): (مَثَلُ الْمُنَافِقِ) بفتح المثناة أي صفته العجيبة الشأن وهو كمثل الشاة العائرة أي المترددة بين الغنمين، والغنم اسم جنس يقع على الواحد والجمع لا تدري أيهما تتبع وهو تشبيه مركب محسوس بمعنى معقول، لتقريبه إلى فهم المخاطب^(١). فشبهه (ﷺ) بتردد المنافق بين الطائفتين أي المسلمين والكافرين تبعاً لهواه ومراداته وقصداً لشهوته بتردد الشاة العائرة التي لا تستقر على حال^(٢)، وبذلك وصفهم الله بقوله (٣) : ﴿مُذَبِّدِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هُوَ لَا إِلَى هُوَ لَا إِلَى هُوَ لَا إِلَى هُوَ وَمَنْ يَضِلَّ اللَّهُ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ .

والحديث الشريف مداره التمثيل لحال التردد والحيرة لهيئة المنافق، وتشبيهه بالشاة العائرة وترددها بين قطيعي غنم فلا تستقر على حال، أما المساحة المشتركة في الشبه: فهي هيئة مركبة من حاله المتذبذب وعدم الاستقرار والثبات فهو في حركة دائبة سلبية بين أمرين مختلفين.

فعلل لفكرة التردد والحيرة في صفة المنافق في معنى يتسم بالطرافة فضلاً عن الابتكار اللطيف في تشبيهه الشاة العائرة، فجاء التعليل مناسباً لانتقاله من المدلول العادي المألوف للألفاظ إلى المعنى المقصود حين يجمع بين المتضادات في الحركة، وتصوير ما ليس بواقع ولا مشاهد كأنه واقع مشاهد، فجسد صفة التردد والحيرة وتخليها بهيئة الحال الملازمة بمدلول حسي، جاء فيه المعنى المعقول بغرابته ليكون أبلغ واقوى تأثيراً في النفوس في تخيل وتشكيلها في مجرى الصور الذي ضمنه معنى التّضاد في حالتي النّفور من هذه والذهاب إلى تلك، فظهرت حالة التردد بصورة ايحائية من التمثيل فضلاً عن حكمته(ﷺ) في تخصيص الشاة العائرة بالتمثيل دون غيرها، فتفر وتشرّد إلى هذه مرة أي القطعة ومرة إلى القطعة الأخرى؛ ليضربها فحلها فلا ثبات لها على حالة واحدة وإنما هي اسيرة شهوتها^(٤)، دلالة على سلب الرجولية عن المنافقين بتشبيهم بالشاة التي تطلب الفحل للضراب^(٥)، وهي سجية تدل على أبقح الدّم والتصغير من شأنهم .

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن سلطان محمد، أبو الحسن نور الدين

الملا الهروي القاري، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٢م : ١/١٢٨ - ١٢٩.

(٢) الإكليل على مدارك التنزيل وحقائق التأويل للإمام النسفي : ١/ ١١٦.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٤٣ .

(٤) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح : ١/١٢٨ . ١٢٩.

(٥) مجمع بحار الأنوار في غرائب ولطائف الأخبار، جمال الدين محمد طاهر بن علي

الصدقي الهندي: ٣/ ٧١٤.

ومن الأساليب البلاغية التي عززت فكرة التعليل لصفة التردد والحيرة علة عقلية معنوية بحركة التضاد وما يسمى بالطباق الخفي او المعنوي في الجمل المركبة؛ ليكون أبلغ في إعماله للفكر، وأعمق لتصوير الحال ، فقوله (ﷺ) : (تتردد بينهما مرة إلى هذه ومرة إلى هذه) لتشير إلى الحيرة والتذبذب في الشاة العائرة التي تفرد وتشتت بين جهتين تبحث عن فحل يطرقها. فضلاً عن أن الرسول (ﷺ) قد ضمن التشبيه التمثيلي تشبيها معنويا بين صورة المشبه المذكر المناق الذي له صفة الذكورية وبين صورة المشبه به الذي يتخبط في الاتجاه، بهيئة الشاة الانثى الحائرة المنفردة وهي تقبيح لصورة المناق وإنه يتبع شهوته لإشباعها، دون البحث عما يظهر نفسه وعقله بالإيمان والصدق، فجاء كلامه (ﷺ) إدانة لسلكه السيء فضلاً عن التحذير والتنبيه منه .

❖ قوله (ﷺ): ((مَثَلِي وَمَثَلُ السَّاعَةِ كَفَرَسِي رِهَانٍ سَبَقَ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ بِأَذْنِهِ))^(١).

وورد بلفظ قوله (ﷺ) : ((مَثَلِي وَمَثَلُ السَّاعَةِ كَفَرَسِي رِهَانٍ ثُمَّ قَالَ: مَثَلِي وَمَثَلُ السَّاعَةِ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَعَثَهُ قَوْمٌ طَلِيعَةً ، فَلَمَّا حَسَبِي أَنْ يَسْبِقَ الْأَخُ بِثَوْبِهِ أُتِينُمْ أُتِينُمْ ثُمَّ يَقُولُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَا ذَاكَ ، أَنَا ذَاكَ))^(٢).

ورد معنى المثل الشريف في تقريب أمر الساعة وسرعة مجيئها، كما في سرعة التفاوت الذي بين فرسي السباق^(٣). ومدار الحديث الشريف قائم على فكرة التشبيه ب(فرسي رهان) ومعنى الزهان من زهن الرأء والهاء والنون أصلٌ ليدل على ثبات شيءٍ يُمسك بحقٍ او غيره^(٤)، قال ابن سيده: ((الزهن ما وضع عند الانسان مما ينوب مناب ما أخذ منه يقال: وقد رهنته الشيء أرهنه رهنا ورهنته عنده وارتهنت منه رهنا وأرهنته الثوب دفعته إليه ليرهنه))^(٥).

والحديث الشريف فيه تمثيل التشبيه المركب المتعدد في المشبه : شخض الرسول (ﷺ) واقترانه بقيام الساعة، والمشبه به: (فرسي رهان)، وهو ((مثل يضرب للثنتين يستبقان إلى غاية فيستويان، وهو التشبيه يقع في الابتداء، لا في الانتهاء؛ لأن النهاية تجلي عن سبق أحدهما

(١) الأمثال من الكتاب والسنة: ٥٤.

(٢) شعب الإيمان، أحمد بن الحسين ابو بكر البيهقي : ٤٦٨/١٢؛ وينظر: الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير، جلال الدين السيوطي : ٣ / ١٢٥ .

(٣) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري : ١٧١/٨ .

(٤) معجم مقاييس اللغة: ٤٥٢/٢ .

(٥) المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي ، المحقق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط١، ١٩٩٦م : ٤ / ١٧ .

للاخر لا محالة^(١).

والمساحة المشتركة في الشبّه بين الطرفين: تمثل في هيئة مركبة في حركة التّفاوت والسرعة في التّسابق بين أمرين، والتي تمثّلت في صورة محسوسة، فعرض للفكرة المعلّلة في صورة من القرب والسبّيق لقيام السّاعة كفرسي رهان، تمثّلت بوصفهما يستبقان أيّهما الأول، وهو إخبار عن قربها وإلا فإنّها لا تقوم إلا بعد بعثته^(٢).

وأما شكّل العلة المعهودة التي أوردها^(٣) فتمحورت في وصف (فرسي رهان)، فأيهما سبق لم يلحقه الآخر ولم يتخطه، على اعتبار أنّ للخيل مكانة مميزة عند العرب منذ القدم في الفروسية والسبّاق وفي ميادين القتال، كما كانت من أرقى ضروب الرّياضة، يقول الجاحظ: «لم تكن أمة قطّ أشدّ عجباً بالخيل، ولا أعلم بها من العرب، ولذلك أضيفت إليهم بكل لسان ونسبت إليهم بكل مكان، فقالوا: فرس عربي ولم يقولوا هندي ولا رومي ولا فارسي»^(٤)، وقد لعبت الخيل درواً بارزاً في حياة العرب، وتركت أبلغ الأثر في لغتهم وأدبهم وطباعتهم، فمن حيث اللغة أضافت إليها كثيراً من الالفاظ التي تتعلق بأعضائها وصفاتها وحركاتها، وفي مجال الادب ألهبت الخيل أخيلة الشعراء، فتغنوا بشجاعتها ورشاققتها وخيلاتها، وبالنسبة لطبّاع العرب فقد روّضتها الفروسية، فأحسنّت رياضتها وبثت فيها النخوة والحمية، وكانوا يرون أنّها لا عزّ إلا بها ولا قهر للأعداء إلا بسببها، فكانت تتال تكريمهم إلى درجة تفضيلها على أولادهم وأنفسهم^(٥)، إذ قال امرؤ القيس^(٥):

مَسَحَ إِذَا مَا السَّابِحَاتُ عَلَى الْوَنَى أَثَرْنَ الْغُبَارَ بِالْكَدِيدِ الْمُرْكَلِ

ومن جهة أخرى فقد ذكر في القرآن الكريم صفة الجياد في قوله تعالى^(٦): ﴿إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِأَلْعِيْنِ الْأَصْفَنْتَ الْجِيَادُ﴾، فالجياد هي «جمع جواد وهو الفرس السريع الجري، الجيد الرّكض، السّابق في العدو ذكراً أو أنثى، يقال فرس جواد أي يجود بمدخر عدوه، ويقال جاء الفرس يجود جودة فهو جواد اذا أسرع في جريه وعدوه والجمع جياد»^(٧).

(١) مجمع الأمثال، ابو الفضل احمد الميداني النيسابوري : ٣٩١/٢ .

(٢) التّوير شرح الجامع الصّغير، محمد بن إسماعيل الكلاني الصنعاني : ٥٤٥/٩ .

(٣) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني: ٦٧٠/٢ .

(٤) الخيل والفروسية عند العرب، د. عبد الحميد شقير . [https:// m.bookface.com](https://m.bookface.com)

(٥) ديوان امرئ القيس، امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي : ٥٦ .

(٦) سورة ص، الآية: ٣١ .

(٧) من آيات الاعجاز العلمي الحيوان في القرآن الكريم: ٢٨٨ .

فوردت العلة باعتبار لطيف مناسب التعليل، تمثلت بالملخوقات الحية المألوفة بصورة من (الرهان) خدمة للغرض الديني وصياغته لها في إطار من التناسب مع الفكرة المعللة .
وقد عززت التعليل أساليب بلاغية بصورة من المقايسة أفادت الاستدلال_ بأسلوب الكناية عن صفة القرب والدنو في قيام يوم القيامة، بالمكنى به (فرسي رهان سبق أحدهما الآخر بأذنه)، فضلاً عن صورة التضاد المعنوي بقوله (ﷺ): (سَبَقَ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ بِأُذُنِهِ)، التي تدل على المعنى المتضمن (سابق /لاحق)، فأفادت الكناية عن صفة القرب والسبق لقيام الساعة التي عبر عنها بأدق معاني الحسّ بالشئء القريب، بدلالة لفظة (أذنه)، ولا يكون ذلك إلا عن شدة القرب في المعنى المراد او المكنى عنه، ويمثل المعنى المجرد بصورة حسية بأداء معبرٍ مثيرٍ للمتلقى^(١). وقد تضايقت صورة المقايسة بالمعنى الكنائي في شكل من علاقة التضاد في (سبق أحدهما الآخر بأذنه) التي تدل على علة المعنى المتضمن: (سابق /لاحق)؛ ليؤكد شكل طباق التضاد لحالة التباري بين السابق في الحركة وبين اللاحق له في الوصول .

❖ رُوِيَ عن رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) أَنَّهُ قَالَ: ((مَا ذَنْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي زُرِّيْبَةٍ غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ فِي الْمَالِ وَالشَّرْفِ لِدِينِهِ))^(٢) .

وفي رواية ((مَا ذَنْبَانِ ضَارِيَانِ أُرْسِلَا فِي زُرِّيْبَةٍ غَنَمٍ بِأَسْرَعَ فِيهَا فَسَادًا مِنْ حُبِّ الشَّرْفِ وَالْمَالِ فِي دِينِ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ))^(٣) .

تناول المثل الشريف معنى المبالغة والإفراط في المحرور بصورة ذنبيين جائعين أرسلوا في جماعة من جنس الغنم، فهما ليسا بأفسد من حرص المرء على المال والجاه والشرف المفسد لدينه ؛ لأنّ إفساده نوع من القدرة يحرك داعية الشهوات، ويجزئ إلى التمتع في المباحات فيصير التمتع مألوفاً ربّما يشدّ أنسه بالمال، ويعجز عن كسب الحلال فيقحم في الشبهات مع أنّها ملهية عن ذكر الله تعالى، وهذه لا ينفك عنها أحدٌ، وأمّا الجاهُ فيكفي به افساداً، أنّ المال يبذل للجاه ولا يبذل الجاه للمال وهو الشرك الخفي، فيخوض في المرأة والمداهنة، والتفاف

(١) الصورة البيانية في الحديث النبوي دراسة تطبيقية في سنن الترمذي، رسالة ماجستير، رحمة الله الطيب رحمة الله، بإشراف د. عبد الرحمن عطا المنان، جامعة أم درمان الإسلامية، كلية اللغة العربية، قسم الدراسات الادبية والنقدية، ٢٠٠٧ م - ٢٠٠٨ م : ١٣٤ .

(٢) الأمثال من الكتاب والسنة: ١٧٠ ؛ وينظر: مسند الإمام أحمد: ٦١/٢٥؛ ينظر: الجامع الكبير - سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي : ١٦٦/٤ ؛ وينظر: كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال : ٣ / ٤٦٠ .

(٣) حلية الاولياء وطبقات الاصفياء ، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني: ٨٩/٧؛ وينظر: شعب الإيمان : ٤٨٩/١٢ .

وسائر الأخلاق الذميمة فهو الفساد والإفساد^(١).

ومعاني الزرْبية في اللغة متعددة، فهو مأخوذ من الفعل الثلاثي زرب والزرْبُ: المدخل. والزرْبُ والزرْبُ: موضع الغنم، والجمع فيهما زُرُوبٌ؛ وهو الزرْبِيَّةُ أيضاً. والزرْبُ والزرْبِيَّةُ: حظيرة الغنم من خشبٍ وقد يطلق الزرْبِيَّةُ على مَكْتَنُ السَّبْعِ^(٢). وقد ورد حديثاً لأبي هريرة (رضي الله عنه): ((ويل للعرب من شرَّ قد اقترب، ويل للزرْبِيَّةِ قيل: وما الزرْبِيَّةُ؟ قال: الذين يدخلون على الأمراء، فإذا قالوا شراً أو قالوا شيئاً، قالوا صدق))^(٣). فشبهه (مداهنتهم وفي تلونهم بوحدة الزرْبِيَّةِ، وما كان على صنعتها وألوانها، أو شبههم بالغنم المنسوبة إلى الزرب والزرْب، وهو الحظيرة التي تأوي إليها، في أنهم ينقادون للأمراء ويمضون على مشيتهم انقياد الغنم لراعيتها))^(٤).

فالتَّمثِيلُ في الحديث الشَّرِيفُ قائمٌ في الهيئة المركبة من التَّشْبِيهِ المقلوب (ويسمى المنعكس، وهو ما رجع فيه وجه الشبه إلى المشبه به وذلك حين يراد تشبيه الزائد بالناقص ويلحق الأصل بالفرع للمبالغة، وهذا النوع جارٍ على خلاف العادة في التشبيه، ووارد على سبيل النِّدْوَرِ وإنما يحسن في عكس المعنى المتعارف))^(٥). ومنه جعل المعقول كأنه محسوس ويجعله كالأصل لذلك المحسوس مبالغة، ففي هذا المثل الذي ضربه (رضي الله عنه) فأورد تشبيهه فساد حرص المرء في ماله وجاهه مشبهاً به، وإفساد الذئب مشبهاً للإيهام والمبالغة في وصف حالة الإفساد. فالحق ما هو ظاهر حسِّي في المشبه: ذئبان جائعان يباطن معنوي المشبه به: حرص المرء أي الأوضح بالأغمض وهو يخالف قاعدة التَّشْبِيهِ المعهودة، بالحاق الأغمض بالأوضح.

أما المساحة المُشْتَرَكَةُ في الشَّبه بين الطرفين: فتمثل في صورة مركبة منتزعة من هيئة اللذين يفرطان في الإلتاف والإفساد في مكان غير محرز وهو من قبيل التَّخْيِيلِ في صورة الذئبين في الإفساد بالذئبين الجائعين وارسالهما في القطيع ارسالاً للمبالغة في الإلتاف والإفساد، وقد ورد الإخبار بنفي الإفساد عنهما تعجباً بالمشبه به: النَّفْسُ التي تجدُّ التَّلَطُّعَ السَّرِيعَ والحرص

(١) تحفة الاحوذى بشرح جامع الترمذي، ابو العلا محمد بن عبدالرحمن المالكفوري: ٤٧/٧.

(٢) لسان العرب: ٤٤٧/١، ٤٤٨.

(٣) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: ٧٩٨/٥.

(٤) لسان العرب: ٤٤٨/١.

(٥) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع الهامش: ٢٣٩.

الفاجع في جمع الأموال والحصول على الجاه دون رادع أخلاقي وإيماني، وهي أشدُّ إفسادٍ لدين المسلم من إفساد الذنبيين الجائعين في حظيرة الغنم^(١).

والفكرة المعلّلة للحرص والإفساد تمثّلت بأصحاب الدنيا في إشباع شهواتهم وانحرافها عن جادة الصواب وتحولها إلى مرض يفتك بالنفس، ويحيل الإنسان إلى حيوان كاسر فيبيع دينه بعرض زائل فكان كمن قال فيهم الله تعالى^(٢): ﴿إِنَّ هُمْ إِلَّا كَالْآنَعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾، فمأهم إلا كالبهائم التي لا تعقل ما يقال لها ولا تفقه، ليرضي نهمه ويشبع شهواته المنحرفة دون حاجز، بل هم من البهائم أضلُّ سبيلاً؛ لأنَّ البهائم تهتدي لمراعيها وتتقاد لأربابها^(٣)، فأوجد العلة المناسبة باعتبار لطيف بإقران صورة الفساد بالذنب بوصفه حيواناً ضاراً من الفصيحة الكلبية، مفترس قاس، ذكي صبور شجاع، يظهر المهارة في القتال، يبحث عن فريسته نهراً وينام ليلاً^(٤)، ولذلك يُقال في المثل (أجوع من ذنب)، وفي الدعاء على العدو يقال: (رماه الله بداء الذنب)؛ لأنَّه يقضي دهره جائعاً، إنَّ لم يجد شيئاً يأكله، يستعين بإدخال النسيم في جوفه ويقال إنَّ الذنب لا تصيبه من العلل إلا علة الموت فالصبر على الجوع ما ليس لغيره إلا الأسد^(٥).

وقد عززت التعليل بإيراد صيغة أفعال التفضيل في لفظة (أفسد) الذي يدلُّ على الزيادة في أصل الفعل، ولا يخلو المفضل عليه من مشاركة المفضل في المعنى الغالب، وهي مشاركة تقديرية لا حقيقية^(٦)؛ لأنَّ في الإفساد ليس ثمة استحباب حقيقي ولكنَّه اختيار شيء مكروه علي شيء أكره إليه. وبهذا السياق في إيراد الحديث عن الإفساد استعمل في وجه من التَّهكم فليس ثمة مشاركة بين المفضل والمفضل عليه في أصل وصف الإفساد؛ لأنَّ الصفة منتفية عن المفضل أصلاً لغرض التَّعجب، فإفساد الأول حسي مادي محدود الإفساد في زريبة الغنم، بينما إفساد حرص المرء لدينه معنوي له آثار عظيمة في إلحاق الضرر في نفسه وللآخرين وأشنع من إفساد الذنبيين الجائعين. وإيراد التَّشبيه التَّمثيلي على شكل التَّشبيه المقلوب، من باب عكس المعنى المتعارف لغرض تعميق المعنى وإثباته، فالأصل في التَّشبيه توضيح وبيان ما هو معنوي معقول بالمحسوس عن طريق المقابلة بينهما؛ لغرض

(١) الحديث النبوي الشَّريف من الوجهة البلاغية، الدكتور كمال عز الدين: ٣٩٥.

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٤٤.

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري: ٤٦٠/١٧.

(٤) موسوعة الطير والحيوان في الحديث النبوي: ١٩١-١٩٢.

(٥) مجمع الأمثال: ١/١٨٦.

(٦) معاني النحو: ٤/٣١١.

إدراكه وتقريبه إلى الذهن والمبالغة في الوصف في جعل حرص المرء الواحد اشدُّ ضرراً وأكثر مفسدةً من ضرر وشراسة ذنبيين، فأضفى إبانةً لحسن التعليل بشكل من العلة القياسية في تشبيهه مقلوب يحتاج فهم المعنى المقصود إلى التأمل والتفكير .

الخاتمة

- حُسن التعليل أسلوب مؤثر ووسيلة أدبية في التعبير، حينما يروم المتكلم بإنكار علة الشيء الحقيقية المعروفة والإتيان بعلّة أدبية تناسب الفكرة المعللة، واعتماده على أساليب من التشبيه والتّمثيل فضلا عن الأساليب البلاغية الأخرى التي تعزز العلة بشكل من اللطافة أو الطرافة أو الغرابة فضلا عن مناسبتها للمعنى المراد إيصاله، تُظهر من خلالها براعة المتكلم في الإبداع الأدبي، فيكسب النصّ فاعليته وجماله الفني بالإقناع للفكرة المعللة والإمتاع في الصّورة المتخيلة؛ لغرضه التّأثير في المتلقي بالإقناع المصاحب للإمتاع الفني .
- كان لحسن التعليل في المثل النبوي موضع طيّب الأثر، في اختياره للعلّة بطرافتها ولطافتها وغرابتها، التي قد تبدو بعيدة عن الدّهن في الوهلة الأولى ولكنها في حقيقة أمرها قريبة إلى ذهن المتلقي، فقدّمته بأسلوب حسن في إيراد العلة التي ترمي إلى إيضاح المعنى وتقريره فضلا عن إثارة المتلقي ، بغية تغيير سلوكه بما يتلاءم مع نهج سنته الشريفة(ﷺ) في ترغيب الفعل الحسن والتشويق إليه، والترهيب من الفعل القبيح والتنفير منه .
- في أمثاله(ﷺ) الشريفة ورد التعليل في سياق الوصف الثابت في مظاهر المخلوقات (العجماوات) بشكل من المحسوسات القريبة المألوفة من البيئة المحيطة في المخلوقات العجماوات راعى فيها (ﷺ) قرب عهد المتلقين للإسلام، لينتقل بالتدرج وإقناع العقول ببساطة دون تعقيد، فأورد (ﷺ) التّمثيل لإثارة المتلقي وإقناعه بضررها في صور من المخلوقات العجماوات بأوصافها وهيئاتها وسلوكها، فكان اختياره (ﷺ) في وصفه لشكل العلة في معرض حسن باللطافة والطرافة، وبما يناسب المعاني المتوخاة، ومنها ما ورد في مظاهر اجتماعية وحياتية تمثلت في حديث العائد في ما وهبه والذي ضرب فيه المثل ليكونه أوقع في النفس وأشدّ تقبيحا وتنفيرا في الغرابة، فتُظهر إنكاره (ﷺ) بسلوك العائد في عطيته، وفي الذنبيين الجائعين، إظهاراً لحالة طمع المرء النهوم في إشباع شهواته، فمثل بما عرف الذنّب بضرارته وإفساده في الطرائد .

- كانت للأساليب البلاغية مكانتها في تعزيز أوصاف مظاهر المخلوقات العجماوات وتعضيد التعليل بصورة من الطرافة، ولأسيما بأساليب بيانية وديعية متنوعة شكلت تضائفاً دلالياً بكونها عللاً قياسية تسهم في إظهار المقصود في المعنى وتجليته وتحسينه بالاستدلال العقلي؛ مما زاد قوة التعليل في ضرب المثل .

ثبت المصادر

أولاً: الكتب

- ❖ الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، محمد بن معبد التميمي البُستي ، ترتيب علاء الدين علي بن بلبان الفارسي ،حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٨ م .
- ❖ إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني ، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط٧، ١٣٢٣ هـ .
- ❖ أساس البلاغة، أبو القاسم جارالله محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري ، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ، ط١، ١٩٩٨ م .
- ❖ أسرار البلاغة ، الشيخ عبد الفاهر الجرجاني، تحقيق محمود محمد شاكر، دار المدني،(د.ط.)، جدة، (د.ت) .
- ❖ الأطول شرح تخيص مفتاح العلوم، إبراهيم بن محمد بن عريشاه عصام الدين الحنفي، حققه وعلق عليه: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ، (د.ط) ، (د.ت) .
- ❖ الإكليل على مدارك التنزيل وحقائق التأويل للإمام النَّفسي ، محمد عبد الحق الحنفي اعتنى به المحقق : الشيخ محي الدين اسامة البيرقدار، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، ط١، ٢٠١٢ م .
- ❖ الأمثال من الكتاب والسنة ، أبو عبد الله محمد بن علي الحكيم الترمذي، حققه الدكتور السيد الجميلي، دار ابن زيدون، بيروت . لبنان، ط٢، ١٩٨٧ .
- ❖ الأمثال في الحديث النبوي الشريف ، محمد جابر فياض العلواني، المعهد العالي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية، ط١، ١٩٩٣ .
- ❖ الايضاح في علوم البلاغة، جلال الدين الخطيب القزويني، تحقيق محمد عبد المنعم فخاجي، دار الكتاب اللبناني، الطبعة الخامسة ، بيروت، ١٩٨٠ .
- ❖ البلاغة والتطبيق، د. أحمد مطلوب و د. كامل حسن البصير، دار ابن الأثير- جامعة المصل - الطبعة الثانية، ١٩٨١ .
- ❖ تاريخ الأدب العربي، د. شوقي ضيف ، دار المعارف - مصر ، ط١، ١٩٦٠ - ١٩٩٥ م .
- ❖ تحفة الاحوذى بشرح جامع الترمذي، ابو العلام محمد بن عبدالرحمن المباكفوري ، المحقق: عبد الوهاب بن عبد اللطيف، المكتبة السلفية، المدينة المنورة ، ط٢، ١٩٦٣م
- ❖ التصوير الفني في القرآن ، سيد قطب ، مطبعة أنوار دجلة، بغداد، ط٣، (د. ت) .

- ❖ التعريفات، علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، تحقيق محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، (د.ط)، القاهرة .
- ❖ تلخيص المفتاح، جلال الدين الخطيب القزويني، مكتبة البشرية، كراتشي - باكستان، ط١، ٢٠١٠ .
- ❖ التتوير شرح الجامع الصغير، محمد بن إسماعيل الكحلاني الصنعاني ، المحقق د. محمد إسحاق محمّد إبراهيم، مكتبة دار السلام . الرياض، ط١، ٢٠١١ م .
- ❖ التيسير بشرح الجامع الصغير، زين الدين المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين المناوي القاهري، مكتبة الإمام الشافعي - الرياض، ط٣، ١٩٨٨م .
- ❖ الجامع الكبير - سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي ، ، المحقق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي - بيروت، (د. ط) .
- ❖ الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي ، تحقيق : الدكتور عبد الله عبد المحسن التركي، وشارك في تحقيق هذا الجزء : كامل محمد الخراط، ماهر حبوش، مؤسسة الرسالة، بيروت ، لبنان، ط١، ٢٠٠٦ م .
- ❖ جامع النيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري ، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي ، مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ، ط١، ٢٠٠١ م .
- ❖ الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله (ﷺ) وسننه وإيامه ، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق محمد زهير بن ناصر، دار طوق النجاة ، ط١، ١٤٢٢هـ.
- ❖ الجملة العربية والمعنى، فاضل السامرائي ، دار الفكر، عُمان ،الأردن، ط٢، ٢٠٠٩م
- ❖ جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشمي ، ضبط وتدقيق وتوثيق، د. يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت ، (د. ط) ، (د. ت) .
- ❖ الحديث النبوي من الوجهة البلاغية، الدكتور كمال عزّ الدين، دار أقرأ، بيروت، ط١، ١٩٨٤ .
- ❖ حياة الحيوان الكبرى، محمد بن موسى الدميري دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٤هـ .
- ❖ حلية الاولياء وطبقات الاصفياء ، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، السعادة - بجوار محافظة مصر، (د. ط) ، ١٩٧٤م .

- ❖ الحيوان، عمرو بن بحر محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ ، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ٢، ١٤٢٤ هـ .
- ❖ دراسات في علم النفس الأدبي، حامد عبد القادر، المطبعة النموذجية، (د.ط)، القاهرة، ١٩٤٩ .
- ❖ ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق محمد عبدة عزام، دار المعارف، الطبعة الرابعة، القاهرة، (د.ت) .
- ❖ ديوان امرئ القيس، أمروء القيس بن حجر بن الحارث الكندي، اعتنى به عبد الرحمن المصطاوي ، دار المعرفة، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٤ م .
- ❖ ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب ، المحقق: د. نعمان محمد أمين طه ، ، دار المعارف، القاهرة - مصر، ط ٣، د. ت .
- ❖ ديوان الخنساء، تماضر بنت عمرو السلمية والمعروفة بـ الخنساء، اعتنى به وشرحه حمدو طماس ، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ط ٢، ٢٠٠٤ م .
- ❖ شروح التلخيص - مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح -، ابن يعقوب المغربي ، دار الهادي ، الطبعة الرابع، بيروت ، ١٩٩٢ .
- ❖ شرح مصابيح السنّة للإمام البيهقي، محمد بن عزالدين الحنفي ، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب، إدارة الثقافة الإسلامية، ط ١، ٢٠١٢م
- ❖ شعب الإيمان، أحمد بن الحسين ابو بكر البيهقي ، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية بيوميبي بالهند، ط ١، ٢٠٠٣ م .
- ❖ علم البديع دراسة تاريخية وفنية بأصول البلاغة ومسائل البديع ، بسيوني عبد الفتاح فيود، مؤسسة المختار، القاهرة . مصر، ط ٤ ، ٢٠٠٣ .
- ❖ عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، أبو محمد محمود بدر الدين العيني ، دار إحياء التراث العربي - بيروت، (د. ط) ، (د.ت) .
- ❖ عندما نتواصل نغير - مقارنة تداولية معرفية لآلية التواصل والحجاج، د. عبد السلام عشير، أفريقيا الشرق، (د.ط) ، المغرب .
- ❖ فتح الباري شرح صحيح البخاري ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة ، بيروت، (د.ط)، ١٣٧٩ هـ .
- ❖ الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام احمد بن حنبل الشيباني ومعه بلوغ الأمان من أسرار الفتح الرباني الهامش ، أحمد بن عبد الرحمن بن محمد البنا الساعاتي ، دار إحياء التراث العربي، ط ٢، (د.ت) .

- ❖ الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير، جلال الدين السيوطي ، المحقق: يوسف النبهاني، دار الفكر، بيروت . لبنان، ط١، ٢٠٠٣م .
- ❖ فتح المنعم شرح صحيح مسلم، د. موسى شاهين لاشين، دار الشروق، ط١، ٢٠٠٢م
- ❖ فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف المناوي، مع الكتاب: تعليقات يسيرة لماجده الحموي . القاهري، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر، ط١، ١٣٥٦ هـ .
- ❖ الكاشف عن حقائق السُّنن، شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي، المحقق: د. عبد الحميد هندراوي، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة - الرياض ، ط١، ١٩٩٧م .
- ❖ كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (د. ط)، (د. ت) .
- ❖ كتاب الصناعتين، أبو هلال الحسن العسكري ، المحقق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية ، بيروت، (د. ط) ، ١٤١٩ هـ .
- ❖ كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، علاء الدين علي بن حسام الدين الشَّهير بالمتقي الهندي، المحقق بكري حياي، مؤسسة الرسالة، ط٥ .
- ❖ لسان العرب، جمال الدين ابن منظور الأنصاري ، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.
- ❖ مجمع الأمثال، ابو الفضل احمد الميداني النيسابوري ، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة ، بيروت . لبنان ، د . ط ، د . ت .
- ❖ مجمع بحار الانوار في غرائب ولطائف الاخبار، جمال الدين محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط٣، ١٩٦٧م .
- ❖ محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط١، ١٤٢٠ هـ .
- ❖ المخصص ، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي ، المحقق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، ط١، ١٩٩٦ .
- ❖ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ، علي بن محمد الهروي القاري، دار الفكر، بيروت ، لبنان، ط١، ٢٠٠٢ .
- ❖ مسند الإمام أحمد بن حنبل ،، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ٢٠٠١ .

- ❖ المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل الى رسول الله (ﷺ) ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري ، المحقق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، (د.ط) ، (د.ت) .
- ❖ المصباح في المعاني والبيان والبديع ، بدر الدين بن مالك، تحقيق د. حسني عبد الجليل، مكتبة الآداب، (د.ط) ، القاهرة، ١٩٨٦ م .
- ❖ مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر السكّائي الخوارزمي ، ضبطه هوامشه وعلق عليه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، ط٢، ١٩٨٧ .
- ❖ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الدكتور جواد علي، دار الساقى، ط٤، ٢٠٠١
- ❖ الفضليات، الفضل بن محمد الضبي ، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاکر و عبد السلام محمد هارون، دار المعارف - القاهرة، ط٦، (د.ت) .
- ❖ معاني النحو، د. فاضل صالح السامرائي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - الأردن، ط١، ٢٠٠٠ .
- ❖ معجم مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، المحقق: عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر، (د. ط)، ١٩٧٩ م .
- ❖ من آيات الإعجاز العلمي الحيوان في القرآن الكريم ، زغلول راغب محمد النجار، دار المعرفة ، بيروت . لبنان ، ط١، ٢٠٠٦ م .
- ❖ من جماليات المعنى - حسن التعليل - ، عيد محمد شبابيك، دار حراء، (د.ط)، بيروت.
- ❖ منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثالثة، بيروت، ١٩٨٦.
- ❖ موسوعة الطير والحيوان في الحديث النبوي ، عبد اللطيف عاشور، القاهرة، (د.ط) ، (د.ت) .
- ❖ نحو المعاني، أحمد عبدالستار الجواري ، المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٨٧ .

ثانياً: الدراسات الأكاديمية(الرسائل والأطاريح) :

- ❖ الإحتجاج العقلي والمعنى البلاغي (دراسة وصفية) ، للباحث ناصر بن دخيل الله السعيدى ، أطروحة دكتوراه ، بإشراف: أ.د. محمد إبراهيم شادي ،المملكة العربية السعودية لجامعة أم القرى ،كلية اللغة العربية، ١٤٢٦ هـ .
- ❖ التشبيه التمثيلي في الصحيحين، رسالة ماجستير، الباحث فائزة سالم صالح، بإشراف: د. محمد محمد أبو موسى، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، فرع البلاغة ١٩٨٦ م .

❖ الصورة البيانية في الحديث النبوي دراسة تطبيقية في سنن الترمذي، رسالة ماجستير، رحمة الله الطيب رحمة الله، بإشراف د. عبد الرحمن عطا المنان، جامعة أم درمان الإسلامية، كلية اللغة العربية، قسم الدراسات الأدبية والنقدية، ٢٠٠٧م - ٢٠٠٨م.

ثالثاً: الشبكة العنكبوتية (الإنترنت) :

- ❖ التَّشْبِيه النَّمَثِيْلِي فِي الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ (من خلال صحيح البخاري)، محمد السيد عبد الرزاق موسى . [https:// palstinebooks. blogspot. com](https://palstinebooks.blogspot.com)
- ❖ الخيل والفروسية عند العرب، د. عبد الحميد شقير . m.bookface.com .
- ❖ العُلَّةُ المسْتَطْرِفَةُ فِي التَّشْبِيهِ النَّمَثِيْلِي، عيد محمد شبايك، <https://www.alukah.net>:١٦،
- ❖ القيء عند الكلاب وأسبابه وطريقة التعامل معه،: <https://bobbievet.com> .
- ❖ لماذا يأكل الكلب البراز : <https://petaskclub.com> .

الغضب لدى طلبة جامعة الموصل

Anger among Mosul University students

Nashwa Mayouf Mardan

Dr.Tanheed Adil AL-Birqdeer

Assistant professor

University of Mosul - College
of Education for Human
Sciences - Department of
Educational and Psychological
Sciences

نشوى معيوف مردان

د. تنهيد عادل البيرقدار

أستاذ مساعد

جامعة الموصل - كلية التربية للعلوم

الإنسانية - قسم العلوم التربوية

والنفسية

mopednajjar@gmail.com

تاريخ القبول

٢٠٢١/٨/٨

تاريخ الاستلام

٢٠٢١/٧/٦

الكلمات المفتاحية: الغضب - العلمي - الانساني - الثاني

Keywords: Anger - scientific - human - the second

المخلص

هدف البحث الحالي بناء مقياس موقفي للغضب ومن ثم قياس مستوى الغضب لدى طلبة جامعة الموصل والتعرف على الفروق في مستوى الغضب وفق المتغيرات الجنس (الذكور - الاناث) والصف الدراسي (الثاني - الرابع) التخصص (العلمي - الانساني) وقد أختيرت عينة عشوائية بلغ عددها (٦٠٠) طالب وطالبة من جامعة الموصل موزعين على (٢٤) كلية كما قامت الباحثتان ببناء مقياس لقياس الغضب وتم التحقق من الصدق الظاهري ل فقرات المقياس بعرضها على مجموعة من الخبراء، وتم حساب صدق المقياس وثباته أظهرت النتائج امتلاك الطلبة عينة البحث مستوى مناسب من الغضب ووجود فروق دالة احصائيا ضمن متغير التخصص (العلمي -الانساني) لصالح التخصص الانساني وعدم وجود فروق دالة احصائيا ضمن متغير الجنس (ذكور - أناث) والصف الدراسي (الثاني - الرابع) وفي ضوء النتائج أوصت الباحثتان بالاتي:

- ١- إجراء حملة اعلامية حول استراتيجيات التفريغ الانفعالي للطلبة من أجل تجنب حدوث الغضب لديهم، وتقتراح الباحثتان إجراء الدراسات الاتية:
- ١- إجراء دراسة مماثلة عن التداخل المعرفي وعلاقة بالغضب لدى طلبة المرحلة الثانوية.
- ٢- إجراء دراسة تجريبية أثر برنامج تربوي لخفض الغضب لدى طلبة جامعة الموصل.

Abstract

The aim of the current research is to build a situational measure of anger and then measure the level of anger among students of the University of Mosul and to identify the differences in the level of anger according to the variables of gender (male - female) and grade (second - fourth) specialization (scientific - human). 600) male and female students from the University of Mosul, distributed over (24) colleges. The two researchers also built a scale for measuring anger, and the apparent validity of the scale items was verified by presenting them to a group of experts. The scale's validity and stability were calculated. Statistically significant within the variable of specialization (scientific - human) in favor of the human specialization and the absence of statistically significant differences within the variable of gender (male - female) and grade (second - fourth). In light of the results, the two researchers recommended the following:

- 1- Conducting a media campaign about emotional discharge strategies for students in order to avoid anger, and the two researchers suggest conducting the following studies:
 - 1- Conducting a similar study on cognitive interference and its relationship to anger among secondary school students.
 - 2- Conducting an experimental study on the impact of an educational program to reduce anger among students of the University of Mosul.

الفصل الاول

التعريف بالبحث

أولاً : أهمية البحث

يحدث الغضب نتيجة العديد من العوامل سواء كانت عوامل داخلية أو خارجية فمن الممكن ان يحصل الغضب نتيجة للعلاقات السلبية بين الافراد فضلاً وجود مشاكل شخصية بينهم إذ يكون حلها بسيطاً في معظم الأحيان، فضلاً عن وجود الكثير من الاحداث المؤلمة والتي تؤدي الى ازدياد حالات الغضب والتوتر مما يؤدي الى تدهور الحالة الصحية للفرد وكذلك الإحباط المستمر والتوتر من مشكلات الحياة وضغوطاتها (الحموري، العنزي، ٢٠١٨: ١٠٠). والغضب انفعال طبيعي يتعرض له الفرد في حياته اليومية إذ ان تعدد المشكلات وتنوع الضغوط تجعل الفرد اكثر قابلية للاستثارة الانفعالية والغضب من بين اكثر الحالات المزاجية تطلباً وعناداً والتي يرغب الناس بالهروب منها وهو أسوأ الحالات النفسية التي يصعب السيطرة عليها (الخالدي، ٢٠١٨: ١٤٨). واستجابة الغضب استجابة إنسانية شائعة يعاني منها الافراد بمختلف أعمارهم وبيئاتهم ويصعب ان تجد انساناً لم يمر بخبرة الغضب فتظهر في الثقافات الغربية والشرقية وهو عاطفة تتراوح من الإحباط المعتدل الى الغضب الشديد (علي واخرون، ٢٠٢٠: ٨٢). ويسبب الغضب تغيرات جسمية ووجدانية فضلاً عن انه يرتبط بتنشوهات ادراكية معرفية فيقسم الافراد المواقف التي يمرون بها ليس وفقاً لمعطيات المواقف الفعلية لكن الخلقية المرجعية لدى الفرد يؤكد ان الغضب هو تفاعل بين الأفكار والمشاعر والسلوك وان التنشوء الاداركي يؤدي الى سلوكيات غير فعالة مما يؤثر سلباً في علاقات الفرد بالآخرين في سياقه الاجتماعي (عبدالغفار، ٢٠١٧: ٧٥). كم توصلت دراسة (ديفتخاروتوتيز Deffinbacher & thwaites , 1991) ان زيادة مستوى الغضب تؤثر بشكل سلبي على التوافق الشخصي والاسري والاجتماعي والدراسي والوظيفي للفرد كما وهناك دراسات عديدة الى أشارت وجود ارتباط قوي بين قمع الغضب للداخل وارتفاع ضغط الدم وازدياد معدل ضربات القلب (الساقات، الخضر، ٢٠١٨: ١٢٣).

ثانياً : الاهداف

يهدف البحث الاجابة عن الاسئلة الاتية :

- ١- ما مستوى الغضب لدى طلبة الجامعة ؟
- ٢- هل هناك فرق ذو دلالة احصائية عند مستوى (٠,٠٥) بين متوسط درجات الغضب تبعاً لمتغير التخصص (علمي - انساني)؟

- ٣- هل هناك فرق ذو دلالة احصائية عند مستوى (٠,٠٥) بين متوسط درجات الغضب تبعاً لمتغير الجنس (ذكور - اناث)؟
- ٤- هل هناك فرق ذو دلالة احصائية عند مستوى (٠,٠٥) بين متوسط درجات الغضب تبعاً لمتغير الصف الدراسي (ذكور - اناث)؟

ثالثاً : حدود البحث

يقتصر البحث الحالي على طلبة جامعة الموصل للدراسة الصباحية (ذكور، اناث) في الكليات العلمية والكليات الإنسانية للعام الدراسي (٢٠٢٠-٢٠٢١) والصف الدراسي (الثاني - الرابع).

رابعاً : تحديد مصطلح الغضب

عرفه كل من :

- ١- القرش (٢٠١٧) : "حالة انفعالية عامة تصدر عن الفرد في أوقات معينة نتيجة تعرضه لمواقف التهديد والإحباط الشعور بخيبة الامل" (القرش، ٢٠١٧ : ٤٩١).
- ٢- البهنساوي (٢٠٢٠): "انفعال يحدث لدى الفرد يدفعه نحو الدفاع عن نفسه ومعتقداته وافكاره وممتلكاته كي يحقق له الامن والاستقرار النفسي والجسدي يرافقه بعض الاعراض الفسيولوجية وقد يتطور في الشدة مصحوبا بعدوان منصب على الذات او الاخرين ويصعب السيطرة عليه" (البهنساوي، ٢٠٢٠ : ٤١٩).
- ٣- وتعرف الباحثة الغضب : "انفعال يحدث لدى الفرد نتيجة مرورة بمواقف ضاغطة تصحبه تغيرات فسيولوجية عديدة كاحمرار الوجه وارتجاف الاطراف واضطراب الكلام وترافقه سلوكيات خارجية كالسب والضرب وغيرها".
- ٤- التعريف الاجرائي : " انفعال يحدث لدى الفرد نتيجة للمواقف الضاغطة ويقاس بالدرجة التي يحصل عليها الطالب أو الطالبة من خلال اجابته على مقياس الغضب المقترح للبحث الحالي ".

الفصل الثاني

الاطار النظري والدراسات السابقة

الاطار النظري الخاص بالغضب

يعد الغضب عاطفة سيئة الا ان الادبيات النفسية تؤكد ان ذلك فيه ظلم لهذه العاطفة الطبيعية لأننا جميعا وبلا استثناء نتعرض لهذه المشاعر فالغضب استجابة انفعالية إنسانية عادية لما يشعر به الانسان من التهديد او الإحباط او المهاجمة (أبو الحجاج، ٢٠١٠ : ٤٥). وقد أشار علماء النفس الى ان الغضب يكون حالة انفعالية تعترض الانسان و تعتمد على ادراكه للمواقف (خارجية او داخلية) و نحسب ادراكه لهذه المواقف يكون انفعاله و يثار أيضا عندما تحبط او تهدد دوافعه و حاجاته و يشمل تغيرات وجدانية و تغيرات فسيولوجية تشمل الأجهزة العضلية والنفسية ويعتبر إشارة و دلالة على مواجهة الضغوط و عوامل الإحباط في الحياة و يكمن الخطر الناتج عن الغضب عندما يتراكم داخل النفس البشرية اذ تنتج عنه الامراض و الاضطرابات النفسية المختلفة (مصطفى، ٢٠١١: ١١٥). و يتناوب الفرد في هذه الحالة الانفعالية في شدتها و مدتها و تكرر حدوثها وهي ترافق تشوهات معرفية و سلوكيات كلامية و حركية و بنماذج من الثوران الجسمي (أبو سليمة، ٢٠١٠: ٤٤٠).

المراحل التي يمر بها الغضب

و يمر الغضب بمجموعة من المراحل حتى يظهر في شكله الخارجي و تنحصر هذه

المراحل في الآتي:

- ١- مرحلة استقبال المثيرات: يتم استقبال المثيرات عن طريق الحواس و قد تكون هذه المثيرات مباشرة او غير مباشرة و في بعض الأحيان تكون المثيرات من داخل الشخص نفسه مثل شعوره بالصداع او ضيق التنفسي.
- ٢- مرحلة الادراك : في هذه المرحلة ترسل المثيرات التي استقبلها الفرد في المرحلة الى مراكز الادراك في المخ و يترجمها الى عمليات عقلية و يخزن الانفعال في الذاكرة مع الجزء الخاص بالمعرفة و لذلك فان الادراك المعرفي يلعب دورا هاما في التميز بين المواقف المثيرة و غير المثيرة للانفعال.
- ٣- مرحلة الانفعال (الوجدان): بعد تكوين المدرك العقلي للمثير تصل الرسالة الى مركز الوجدان بالمخ (يعرف بلب المخ) فينطلق الشعور بالغضب و يسيطر على الشخصية.
- ٤- المرحلة العصبية الارجاعية: في هذه المرحلة توجه رسالة من المخ الى جميع الأطراف المعنية لكي تستعد امام الهجوم او الهروب او يكون هنالك حل اخر مثل ضبط انفعال الغضب اما من شكل ارجاء او تجنب.

٥- مرحلة الأمد بالطاقة الانفعالية: في هذه المرحلة يتم امداد الأعضاء بالطاقة اللازمة و تعد الغدد الصماء خاصة الغدتين فوق الكليتين هي المسؤولة عن امداد الطاقة و يلعب هرمون الادرينالين الذي تفرزه بعض الخلايا في نخاع الغدة دورا في الحياة الانفعالية إذ يؤدي الى توسيع حدقة العين و زيادة سرعة ضربات القلب و مقاومة التعب العضلي و زيادة القابلية للإستشارة (بركات، ٢٠٢٠: ١١٤-١١٥).

وقد ركز علماء النفس على ان الغضب يتألف من ثلاثة مكونات او جوانب يمكن ملاحظتها و دراستها علمية وهي:

١-المكونات الفسيولوجي: و يشمل نشاط الجهاز العصبي المركزي و الذاتي و الذي يتسبب بالتغيرات الحشوية والهرمونات العصبية لخفقات القلب وتغير ضغط الدم و اضطراب التنفس و سوء الهضم وازدياد افراز الغدد الصماء.

٢-المكون السلوكي: يشمل السلوكيات الظاهرة الذي يرتبط بالحالات الانفعالية مثل تعبيرات الوجه و تغير الصوت و الوضع الذي يتخذه الجسم ان هذه الانفعالات و الالفاظ و الایماءات التي تبدو على الشخص المنفعل و هذا الجانب الذي نحكم منه على نوع الانفعال عند الاخرين.

٣-المكون المعرفي و يشمل العمليات المعرفية التي يمكن ان تستنتجها من التقرير الذاتي و هذه العمليات تشتمل على كل من المشاعر الذاتية (الحب و الكره) مثلها مثل المعارف الأخرى (خطط ، ذكريات ، أفكار) (كحله:٢٠١٢: ١٤٧)(كياي:١٩٩٨: ٢٧)

ثانيا: النظريات المفسرة للغضب

١-التحليل النفسي

ترجع هذه النظرية الى سجموند فرويد الذي صنف الغرائز على نوعين الجنس و العدوان و يرى علماء التحليل النفسي ان الغضب يندرج تحت العدوان طبقا لوجهة نظر فرويد وهو سلوك فطري و حافظ تدميري يولد الفرد (Jonansen:2006:17). و قد أشار فرويد الى ان التعبيرات السلوكية يمكن ان تكون متنفسا او تصريفا للعواطف و الانفعالات الإنسانية و لكن التعبير عن الغضب بالعدوان ليس بالضرورة تخفيفا عن مشاعر الغضب (أبو اسعد، عريبات، ٢٠١١: ٣٢-٣٥). ففي مرحلة الطفولة قد يصبح الطفل غاضبا من احد الوالدين بسبب خبرات الإساءة التي تعرض لها او نتيجة لانهم يمثلان مصدرا لاحباطاته و اشباعته و قد يقوده هذا الى الاعتداء على الاخرين و تدمير الأشياء (أبو سليمة، ٢٠١٠: ٤٤٢).

٢- النظرية العقلانية الانفعالية السلوكية (RABT)

صاغ اليس نظريته حول الغضب في كتابه الخاص اسماه (كيف تعيش بالغضب و بدونه) (١٩٧٧) Anger to Live and without it إذ أكد اليس على ان الانسان يشعر بالغضب نتيجة المنغصات و المشكلات اليومية التي تشكل عقبة في تحقيق أهدافه (حسين، ٢٠٠٧: ٥٥). و تبنى اليس في نظريته أربعة مبادئ أساسية هي:

- ١- الافراد هم المسؤولون عن انفعالاتهم
- ٢- الأفكار اللاعقلانية تؤدي الى الاضرار بالانفعالات و السلوكيات الوظيفية
- ٣- انه من الممكن تعلم وجهات نظر واقعية واستيعابها بالممارسة
- ٤- الواقع المؤسس على وجهة نظر سليمة سوف يسهل تقبل الذات و الرضا عن الحياة (أبو غزالة، ٢٠١٠: ٥١).

٣- النظرية التفاعلية

تعد هذه النظرية من نظريات الحياة إذ ترى ان الفرد يطور قدرته و ينميها حتى يصل الى السعادة و يبتعد عن المعوقات النفسية إذ يرى بيرن (Berne) ان ما يسميه المختصون سلوكاً شاذاً و غير طبيعي هو سلوك تم تعلمه بناءً على قرارات تم اتخاذها في الطفولة إذ يحاول الطفل ان يضع توازناً بين حاجاته و متطلبات والديه و يتكون بناء الشخصية عند بيرن (Berne) من نظام الانا الثلاثي الانا الطفل و عدم علاقة متوازنة بين هذه الحالات سيؤدي الى عدم توازن و سبب في تعاسة الانسان (مقدادي، ٢٠١٥: ٨٧). لذلك فان السلوكيات الغاضبة التي اتخذها الطفل في سن الثالثة ولاقت استحسان والديه و اشبعت له حاجة معينة قد لا تكون سبباً في حرمانه من بعض الاحتياجات لاسيما ان الشخص الذي يعاني من الغضب سيطر عليه انا الطفل ووجهة نظر النظرية التفاعلية ولاسيما الطفل المتكيف فهو يلعب دور الضحية و يغضب بناءً على ما يتوقعه الآخرون منه حتى يتجاوز الموقف الذي يواجهه (شوافقة، ٢٠٠٩: ٩٨).

4- نظرية فيكتور فرانكل (نظرية معنى الحياة) Theory Frankl Victor

فرانكل عالم الوجودية استخدم مصطلح العلاج بالمعنى كأسم النظرية في تفسير الغضب فهذه النظرية تهتم بوجود هدف في حياة الفرد يتحمل الصعاب من اجل تحقيقه فهو ادرك ان حياته تستحق ان يعيشها من اجل تحقيق هذا الهدف (سعفان، ٢٠٠٣: ٧٧). وفي حالة كان الفرد يعيش دون هدف في حياته يسعى لتحقيقه فانه في هذه الحالة يكون عرضة لتملك الغضب من نفسه و من الحالات التي من الممكن ان نجد الفرد في حالة غضب فيما هي فشله في إيجاد معنى يناسبه و هدف يعيش من اجل تحقيقه كما يمكن ان يتعرض لحالة من الملل و الفراغ الذي يكون السبب في كثير من المشكلات كما يسبب له الشعور بالالم و

الحزن (ريشان، ٢٠١٢: ١١). و ان الصراع القيمي و الخلقى من الممكن ان يكون السبب في احداث هذا الغضب حيث يكون الفرد في حالة من عدم التوازن و لا يستطيع تحديد موقفه في أي شيء كما انه يغضب في حالة ما اذا كان يخاف من حياته ككل و من المواقف المصيرية فيها او التي تتطلب منه اتخاذ قرار بشأنها و على هذا يرفض الفرد ان يكون لديه مجال للخطأ كما انه يرفض ان يعاقب الغير على اخطائهم فيكون متسامحا معهم رغم اختلافه معهم في رأي (وادي، ٢٠١٦: ٣٨).

٥- وجهة نظر تشارلز سبيلرجر (spilperger opinion)

اجرى سبيلرجر في عام ١٩٨٦ حواراً مع العالم جيمس روبياك حول ثلاثة محاور هي تقدير بيئة وخاصة كل من القلق و الغضب والفضول (Anxiety , Anger , Curiosity) و تقدير اختبار القلق او قضايا التدريب في العلاج السلوكي وقد اكد ان هذه المفاهيم الثلاثة (الغضب، القلق، الفضول) عبارة عن أنظمة نفسية دافعية (ريشان، العذاري، ٢٠١٢: ٩). كما اهتم سبيلرجر و زملاءه أيضا بدراسة العوامل البيئية التي تستثير الغضب و اشاروا الى ان الأشخاص الذين لديهم استعداد عال للغضب و قد تعرضوا في حياتهم لظروف او مضايقات تجعلهم يستجيبون بحالة الغضب مرتفعة عند مواجهتهم للظروف الصعبة (سمور، عواد، ٢٠٠٤: ١٤٦). و قد ميز سبيلرجر بين الغضب كحالة و الغضب كتسمية فعندما يكون الغضب حالة انفعالية مؤقتة ناتجة عن شعور الشخص بالضيق الشديد و لكنها تختلف في شدتها من موقف لآخر في فترة زمنية دون الأخرى في هذه الحالة يعرف الغضب بالغضب كحالة و عندما يكون لدى الشخص ميل ثابت لتكرار خبرة الغضب في المواقف المختلفة التي تنير او الاستهداف للغضب فيما يعرف بالاستعداد للغضب و لكن وجود سمة الغضب يتبعها وجود حالة الغضب (المطيري، ٢٠١٩: ١٠).

الدراسات السابقة التي تناولت الغضب

١- البهنساوي (٢٠٢٠): (الغضب و التعبير عن الذات كمنبهين بالافكار الالية المرتبطة بالاكنتاب لدى عينة من طلاب الجامعة)

هدفت الدراسة الى الكشف عن مدى الخصائص السيكومترية لأدوات الدراسة كما هدفت الى التعبير عن طبيعة العلاقة الارتباطية بين الغضب و التعبير عن الذات بالافكار الالية المرتبطة بالاكنتاب كذلك معرفة مدى القدرة على التنبؤ بالغضب و الافكار الالية المرتبطة بالاكنتاب من خلال التعبير عن الذات و كذلك تعرف وجود فروق باختلاف متغير النوع (ذكور، اناث) على متغيرات (الغضب ، التعبير عن الذات ، الافكار الالية للاكنتاب) و قد أجريت الدراسة على عينة مكونة (٣٥٧) طالباً و طالبة و بعد تحليل البيانات بأستعمال الاختبار التائي لعينة واحدة و الاختبار التائي لعينتين مستقلتين فضلا عن معامل ارتباط بيرسون و تحليل التباين اسفرت النتائج الى انه توجد علاقة بين الدرجة الكلية للغضب و بعض ابعاده وهي (أثاره الغضب ،و التوقعات العداثية و كبت الغضب) و التعبير عن الذات بالافكار الالية للاكنتاب و توصلت النتائج أيضا الى ان الدرجة الكلية للتعبير عن الذات و بعد اثاره الغضب يمكن ان ينبأ بالافكار الالية المرتبطة بالاكنتاب الى جانب عدم وجود فروق جوهرية بين الذكور و الاناث على متغيرات الغضب و التعبير عن الذات و الأفكار الالية للاكنتاب (البهنساوي،٢٠٢٠)

٢-(عبدالكريم و المرتجع،٢٠٢٠): (الغضب وعلاقته ببعض المتغيرات لدى طلاب الجامعة)

هدفت الدراسة التعرف على مستوى الغضب لدى طلاب الجامعة و التعرف على وجود فروق دالة احصائية في درجة الغضب من حيث متغير(الجنس و التخصص الدراسي و السنة الدراسية و العمر تكونت عينة الدراسة من(٦٥) طالباً و طالبة و تم استخدام المقياس العربي للغضب اعداد علاء الدين كفاي ،مايسة احمد النيال (٢٠٠٠) و بعد تحليل البيانات باستعمال الاختبار التائي لعينتين مستقلتين و الاختبار التائي لعينة واحدة و تحليل التباين الأحادي اسفرت النتائج تمتع افراد العينة بمستوى من الغضب وعن وجود فروق دالة احصائيا في درجة الغضب بين طلاب الجامعة تعزى متغير الجنس لصالح الطالبات بينما لا توجد فروق دالة احصائيا في درجة الغضب بين طلاب الجامعة تعزى الى متغير التخصص الدراسي و السنة الدراسية و العمر (عبدالكريم و المرتجع،٢٠٢٠)

الفصل الثالث

منهج البحث وإجراءاته

يتضمن هذا الفصل وصفا لمجتمع البحث وعينته والادوات وكيفية أعدادها وبنائها ومن ثم تطبيقها على العينة وتصحيحها والوسائل الاحصائية المستخدمة في معالجة البيانات لتحقيق أهداف البحث اذ تم الاعتماد في الدراسة على المنهج الوصفي من نوع العلاقة الارتباطية التي تهتم بالكشف عن العلاقة بين متغيرين او اكثر لمعرفة مدى الارتباط بين هذه المتغيرات والتعبير عنها كميًا من خلال معاملات الارتباط بين المتغيرات او بين مستويات المتغير الواحد (التمييزي، ٢٠١٣: ٢١)

اولاً : مجتمع البحث

يعرف بأنه جميع الافراد والاشخاص او الاشياء الذين يكونون موضوع مشكلة البحث اذا هو كل الافراد او الاحداث او المشاهدات موضوع بحث الدراسة (عيسور واخرون، ٢٠١٧: ٢٢٦) ويتضمن مجتمع البحث طلبة جامعة الموصل للعام الدراسي (٢٠٢٠-٢٠٢١) ويضم (٢٤) علمياً وانسانياً وقد بلغ عدده (٢١٨٦٩) طالباً وطالبة للدراسة الصباحية بواقع (١١١٠٥) طلاب و(١١٧٦٤) طالبة موزعين على (٢٤) كلية .

الجدول (١)

أفراد عينة البحث (التطبيق النهائي) موزعين بحسب التخصص والجنس والصف الدراسي

ت	التخصص	الكلية	القسم	المجموع		المجموع		المجموع	
				اناث	ذكور	اناث	ذكور	اناث	ذكور
١	العلميات	هندسة	كهرباء	١٩	١٩	١٠	١٢	٢٩	٣١
٢		علوم	فيزياء	١٠	٧	٥	٦	١٥	١٣
٣		أدارة والاقتصاد	أدارة التسويق	٣٠	٣٠	٢٠	٢٥	٥٠	٥٥
٤		تمريض		٣٥	٣٥	٣٥	٣٦	٥٠	٥٥
٥	الانسانيات	تربية	اللغة الانكليزية	٢١	٢١	٢٤	٢١	٤٥	٤٢

ت	التخصص	الكلية	القسم	المجموع		المجموع		المجموع	
				اناث	ذكور	اناث	ذكور	اناث	ذكور
٦		تربيه أساسية	تربيه خاصة	٢٤	١٤	١٩	١٣	٤٣	٢٧
٧		تربيه	اللغة العربية	١٥	١٩	١٠	١٠	٢٥	٢٩
٨		حقوق		١٥	١٥	١٣	١٢	٢٨	٢٧
		المجموع		١٦٩	١٦٠	١٣٦	١٣٥	٣٠٥	٢٩٥

ثالثاً: اداة البحث

لغرض قياس الغضب لدى طلبة عينة البحث الحالي ومن ثم لتحقيق من الاهداف أعدت الباحثان بناء مقياساً لقياس الغضب و بعد الاطلاع على عدد من المقاييس التي تقيس الغضب ووجدت الباحثان ان غالبيتها لا تلائم تحقيق أهداف البحث الحالي وعدم ملاءمتها للتغيرات الحاصلة في الوضع الراهن فضلاً عن ذلك انها لا تناسب عينة البحث وبعد استشارة عدد من الخبراء.

والمختصين بهذا المجال في امكانية بناء أداة تحقق أهداف البحث الحالي حصلت الباحثان على موافقة عدد من الخبراء بهذا المجال لذا المجال لذا قامت الباحثان باعداد مقياس الغضب الموقفي ومررت عملية الاعداد بعدد من الخطوات هي :

١. التخطيط للمقياس وجمع فقراته وصياغتها لغرض بناء مقياس الغضب الموقفي قامتا الباحثان بجمع فقرات خام من عدة مصادر وتحويلها الى مواقف وعلى النحو الآتي :
 - أ- الاطلاع على الادبيات والدراسات السابقة التي تناولت الغضب
 - ب- الاستفادة من المقاييس العديدة التي تخص الغضب كما مبين في الجدول (٢)

الجدول (٢)

المقاييس التي تخص الغضب

عنوان المقياس	أسم صاحب المقياس	السنة	عدد الفقرات	العينة
مستوى الغضب	ابو دلبوح	٢٠٠٦	٢٤	طلبة الجامعة
الغضب كحالة -سمة	حمزة	٢٠١٣	٣٠	المراهقين
أنفعال الغضب	كامل	٢٠١٥	٣٤	طلبة الجامعة
الغضب كحالة	شريف	٢٠١٥	٧٣	عينة النازحين
مكونات أنفعال الغضب	وادي	٢٠١٦	٧٦	طلبة المرحلة الاعدادية
أنفعال الغضب	القطان	٢٠١٦	٢٥	طلاب مرحلة المتوسطة

ج- تم أعداد استبيان مفتوح يتضمن سؤالاً مفادته (ماهي المواقف التي تتعرض لها وتثير غضبك) وقد طبق على عينة بلغت (٣٠) طالباً وطالبة في كلية التربية وبعد جمع أستجابات العينة جرى عليها حذف المتكرر منها غير مناسب .

د- حددنا الباحثان مواقف من المصادر المذكوره وعينة الاستبيان المفتوح قامتا الباحثان ببناء مقياس الغضب الموقفي على وفق المنهج التوافيقي أو (التوفيقي) (التوليفي) كما أتمدنا الباحثان النظرية الكلاسيكية في القياس التي تنطلق من كون توزيع درجات الافراد في السمة التي يقيسها الاختبار شكل منحى الاعتدالي الذي يتأثر الخصائص السيكومترية للاختبار بطبيعة خصائص عينة الافراد الذين ينطبق عليهم الاختبار او المقياس هي داله خطية مطرودة بمعنى انه كلما زادت درجة الفرد على الاختبار زاد مقدار وجود السمة لديه وبذلك تكون المقياس بصيغته الاولية من (٢٥) موقفاً تمثل أستجابته .

الخصائص السيكومترية لمقياس الغضب

١-الصدق

ويقصد بالصدق هو قدرة الاختبار على قياس ما وضع لقياسه (ملحم، ٢٠١٧: ٣٣٤)

أتمدت الباحثة على :

أ- الصدق الظاهري

هو المظهر العام للاختبار او الصورة الخارجية له (مجيد، ٢٠١٤: ١٠٢) لذلك فقد عرضنا الباحثان مواقف المقياس الى مجموعة من المحكمين والمختصين في مجال العلوم التربوية والنفسية ملحق (٦) لإبداء آرائهم ومقترحاتهم على المقياس ومقترحاتهم على مقياس

بصورة الاولية وقد بلغ عدد المحكمين (٢٨) محكما وبناءً على ملاحظتهم تم إجراء التعديلات المناسبة من حيث لغة وأسلوب بعض المواقف لكي تتلاءم مع عينة البحث وبذلك أصبح عدد فقرات المقياس بصورته النهائية (٢٥) موقفاً الملحق (١٠) وأعدمت الباحثة نسبة (٨٠%) فأكثر من آراء المحكمين بوصفه معياراً للدلالة على الصدق الظاهري للمقياس اذ اشار بلوم الى انه اذا حصل المقياس على نسبة اتفاق (٧٥%) وهي نسبة مناسبة (بلوم ١٩٨٣: ١٢٦).

ب- الصدق الذاتي

يطلق عليه مؤشر الثبات (بعد أستخراج الثبات بطريقة إعادة الاختبار) تم استخراج الصدق الذاتي وهو صدق الدرجات التجريبية بالنسبة للدرجات الحقيقة التي خلصت من الشوائب أخطاء الصدفة ومن ثم الدرجات الحقيقة هي الميزان او محك الذي ينسب اليه صدق الاختبار يعتمد ثبات الاختبار على ارتباط الدرجات الحقيقة للاختبار اذ بلغ معامل الثبات بطريقة اعادة الاختبار لمقياس الغضب (٠,٨٣) فإن الصدق الذاتي له (٠,٩١) وهو صدق عالٍ ينم على صلاحية لاداة التطبيق (الريماوي، ٢٠١٦: ١١٠).

ج- الصدق البنائي

يطلق عليه ايضاً صدق التكوين الفرضي ويشير الى الدرجة التي يقيس معها الاختبار السمة أو الخاصية التي يفترض أن يقيسها وينطلق من أن الدرجات على الاختبار يجب ان تتنوع او تتباين كما تتنبأ النظرية الخاصة بالسمة المقيسة أو مفهوم أو التكوين الفرضي (ميخائيل ، ٢٠١٦: ١٤٩) وقد تم التحقيق من مؤشرات هذا الصدق :

أ- القوة التمييزية للفقرات

يقصد بأنه الفرق بين الطلبة الذين أجابوا عن الفقرة بشكل صحيح من الفئة العليا ونسبة الذين أجابوا عن الفقرة بشكل صحيح من المجموعة الدنيا فيما يخص السمة التي يقيسها المقياس (المنيرل والعتوم، ٢٠١٩: ١٥٥) ولحساب القوة التمييزية لمقياس الغضب الموقفي تم القيام بالاجراءات الاتية :

أ- تم اختيار عينة عشوائية طبقية من خارج العينة الاساسية بلغ عددها (٢٠٠) طالب وطالبة وتوزعت عينة التميز على الكليات الاتية :

ب- طبق مقياس الغضب الموقفي على عينة التميز وبعدها تم تصحيح المقياس وبحسب الدرجة الكلية لكل طالب وطالبة ثم ترتيب الدرجات من أعلى درجة الى أقل درجة وتم تحديد نسبة (٢٧%) من الدرجات العليا والتي كان عددها (٥٤) طالباً وطالبة وتحديد نسبة من الدرجات الدنيا التي تمثل (٥٤) طالباً وطالبة وأن أختيار نسبة (٢٧%) من العينة هو للحصول على مجموعتين بأقص مايمكن من حجم تباين ويعد هذا الاسلوب أفضل تقدير للقوة

التمييزية وقد أوصى كيلي (kelley) عند تحليل مفردات الاختبار الاعتماد على نسبة (٢٧%) من المستجيبين في كل من المجموعتين الطرفيتين (علام، ٢٠١٥: ٢٨٤، ٢٨٥) ج- بعد ذلك تم تعيين المجموعتين (العليا - الدنيا) تم حساب القوة التمييزية لكل فقرة بأستخدام الاختبار التائي لعينتين مستقلتين وبواسطة الحقيبة الاحصائية للعلوم الاجتماعية (spss) وبعد مقارنة جميع القيم التائية المحسوبة التي تراوحت (١٠٤٣، ١٠٤٣ - ٨٠٧٢١) بالقيمة الجدولية البالغة (١،٩٨٨) عند مستوى دلالة (٠،٠٥) ودرجة حرية (٠،٩٦) وجد أن الفقرات (٢٥) جميعها تتمتع بقوة تمييزية

الاتساق الداخلي

هو ايجاد العلاقة بين درجات الفقرات والاختبار وتفترض أن الدرجة الكلية القوة معيار الصدق الاختبار هو ايجاد العلاقة الارتباطية بين درجة كل فقرة من فقرات الاختبار والدرجة الكلية (مجيد، ٢٠١٤: ٥٨) أختبرنا عينة عشوائية من خارج عينة البحث الاساسية بلغ عددها (٢٠٠) طالباً وطالبة وأستخدمت الباحثتان معامل ارتباط بيرسون لاستخراج العلاقة الارتباطية بين كل فقرة والدرجة الكلية للمقياس وللتعرف على الدلالة الاحصائية استخدمتا الباحثتان الاختبار التائي لدلالة معامل الارتباط

٢- الثبات

يعني مدى الاتساق بين البيانات التي تجمع عن طريق إعادة تطبيق المقياس نفسه على الافراد نفسهم وتحت الظروف نفسها أو مشابهة الى أكبر قدر ممكن (لمح، ٢٠١٦: ٣٢٧) ولأجل التحقق من ثبات مقياس الغضب استخدمتا الباحثتان طريقتين لاستخراج الثبات:

أ- إعادة الاختبار

يسمى معامل الثبات الناتج من هذه الطريقة معامل الاستقرار وذلك بأعطاء مجموعة الافراد الاختبار نفسها مرتين (مجيد، ٢٠١٤: ٨٠) وهي من الطرق الشائعة في أستخراج ثبات المقياس وجرى أستخدام هذه الطريقة بتطبيق المقياس على عينة الثبات البالغ عددها (٤٠) طالباً وطالبة

وتم التطبيق بتاريخ ١٤ / ١٢ / ٢٠٢٠ وأعيد تطبيقه مرة مرة ثانية على نفس العينة بتاريخ ٢٨ / ١٢ / ٢٠٢٠ اي بفاصل زمني قدره (١٥) يوم اي يقارب أسبوعين وتم حساب معامل ارتباط بيرسون وكان معامل الثبات (٠،٨٣) وهي قيمة عالية ومؤشر جيد للثبات، اذ يشر عيسوي أن معامل الثبات الجيد يتراوح بين (٠،٧٠ - ٠،٩٠) (عيسوي، ١٩٧٤: ٥٨)

ب- طريقة الفاكرونباخ

ويعد معامل الفا أنسب طريقة لحساب ثبات الاوزان المستخدمة البحوث المسحية كالاستبانات أو المقياس حيث يوجد مدى من الدرجات المحتملة لكل مفردة (ابو علام، ٢٠٠٥: ٣٨).

ولأجل أستخراج معامل الثبات بهذه الطريقة قامتا الباحثتان بتطبيق المقياس على عينة عشوائية مكونه من (٤٠) طالباً وطالبة (عينة الثبات نفسها بطريقة الاعداء) وبلغ معامل الثبات (٠,٨٥) وهو معامل ثبات عال

تصحيح مقياس الغضب الموقفي

يقصد بالتصحيح عملية وضع درجة لاستجابة المفحوص على فقرة من الفقرات المقياس في ضوء البدائل التي يختارها وقد استخدمتا الباحثتان والاوزان هي:

الوزن (١) للبدائل : الموقف الاول (أ)
الوزن (٢) للبدائل : الموقف الثاني (ب)
الوزن (٣) للبدائل :الموقف الثالث (ج)
وبذلك أصبح أعلى درجة متوقع أن يحصل عليها المستجيب هو (٧٥) وأدنى درجة (٢٥) والمتوسط الفرضي (٩٢)

رابعا : تطبيق الاداة بصورة النهائية

طبقت الباحثتان أداتي البحث المستخدم من البحث نفسه على عينة البحث الاساسية البالغة عددها (٦٠٠) طالب وطالبة والجدول (١) يبين ذلك وقد بدأت الباحثتان بتطبيق المقاييس ٢٠٢١/١/١٤ ولغاية ٢٠٢١/١/٢٨ وعند توزيع المقياس على أفراد العينة تحدثت الباحثتان عن أهمية البحث وفائدته وان الضرورة العلمية تتطلب أن تكون الاجابة دقيقة وصريحة وموضوعية وأشارت الباحثتان الى سرية المعلومات وعدم اطلاع أشخاص اخرين عليها سوى الباحثتين كما طلبت منهم عدم ذكر الاسم لمنحهم الحرية في التعبير بموضوعية وضرورة الاجابة على الفقرات كلها وعدم ترك أية فقرة بدون اجابة وبعد الانتهاء من التطبيق تم فحص الاستمارات وتبين أنها كاملة وان الطلبة أكملوا الاجابة على الفقرات كلها

خامساً : الوسائل الاحصائية

لغرض معالجة البيانات احصائيا استعانتا الباحثتان بمجموعة من المعادلات الاحصائية مع الاستعانة ببرنامج الحقيبة الاحصائية للعلوم الاجتماعية (statistical package for social) (spss)

الفصل الرابع

النتائج ومناقشتها

يتضمن هذا الفصل عرضاً للنتائج التي توصلت إليها الباحثة في ضوء أسئلة البحث فضلاً عن تفسيرها ومناقشتها كما موضح على النحو الآتي:

١- النتائج المتعلقة بالسؤال الخامس: والذي ينص على " ما مستوى الغضب لدى طلبة الجامعة؟ " وللإجابة على هذا السؤال تم تطبيق الاختبار التائي لعينة واحدة على بيانات الغضب (One Sample T-test) والمتمثلة بكافة افراد عينة البحث، ودرجت النتائج في الجدول (٣).

الجدول (٣)

نتائج الاختبار التائي لدلالة الفرق بين المتوسط الحسابي والمتوسط الفرضي لمتغير الغضب

الدلالة	t-Test		الانحراف المعياري	المتوسط الفرضي	المتوسط الحسابي	العدد
	الجدولية	المحسوبة				
دالة احصائية	١,٩٦	١,٤٦٢	١٣,٢٠٧	٥٠	٥٠,٧٨٨	٦٠٠

يتضح من الجدول (٣) ان القيمة التائية المحسوبة بلغت (١,٤٦٢) وهي اصغر من القيمة التائية الجدولية البالغة (١,٩٦) عند مستوى دلالة (٠,٠٥) ودرجة حرية (٥٩٩)، مما يدل على عدم امتلاك الطلبة عينة البحث مستوى مناسب من الغضب، وقد اختلفت هذه النتيجة مع دراسة (عبد الكريم، المرتجع، ٢٠٢٠)، وتعزو الباحثة هذه النتيجة الى قدرة طلبة الجامعة التأقلم مع الظروف المحيطة بهم رغم زيادة الضغوطات التي تسبب الغضب من (الحجر الصحي بين الحين والآخر وظروف التوتر السائد بسبب فايروس كورونا)

٢- النتائج المتعلقة بالسؤال السادس: والذي ينص على " هل هناك فرق ذو دلالة احصائية عند مستوى (٠,٠٥) بين متوسط درجات الغضب تبعا لمتغير التخصص (علمي-انساني)؟ " وللإجابة على هذا السؤال تم تطبيق الاختبار التائي لعينتين مستقلتين على بيانات الغضب بعد عزل درجات طلبة التخصص العلمي عن درجات زملائهم طلبة التخصص الانساني، ودرجت النتائج في الجدول (٤).

الجدول (٤)

نتائج الاختبار التائي لمستوى الغضب تبعاً لمتغير التخصص

التخصص	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	القيمة التائية المحسوبة	القيمة التائية الجدولية	الدلالة
علمي	٣٠٠	٤٣،٢٣٦٧	١٣،٢٩٨	٥٩٨	١٧،٠٦٥	١،٩٦	دالة احصائياً
انساني	٣٠٠	٥٨،٣٤٠	٧،٦٢٦				

يتضح من الجدول (٤) ان القيمة التائية المحسوبة والبالغة (١٧،٠٦٥) اكبر من القيمة التائية الجدولية (١،٩٦) عند مستوى دلالة (٠،٠٥) ودرجة حرية (٥٩٨)، مما يدل على وجود فروق دالة احصائياً في متوسط الغضب تبعاً لمتغير التخصص ولصالح طلبة التخصص الانساني ذوي المتوسط الحسابي الاعلى واتفقت هذه النتيجة مع دراسة (مريسات، ٢٠١٧) واختلفت مع دراسة (عبد الكريم، المرتجع، ٢٠٢٠)، وتعزو الباحثة ذلك الى تأثير الجانب الاكاديمي على انفعالات الطالب الجامعي اذ ان تعاملهم مع مشاكل تربوية وتعلمية تسبب نوعاً من الضغوطات التي تسبب الغضب

٣- النتائج المتعلقة بالسؤال السابع: والذي ينص على "هل هناك فرق ذو دلالة احصائية عند مستوى (٠،٠٥) بين متوسط درجات الغضب تبعاً لمتغير الجنس (ذكور-اناث) ؟" وللجابة على هذا السؤال تم تطبيق الاختبار التائي لعينتين مستقلتين على بيانات الغضب بعد عزل درجات الطلاب عن درجات الطالبات، ودرجت النتائج في الجدول (٥).

الجدول (٥)

نتائج الاختبار التائي لمستوى الغضب تبعاً لمتغير الجنس

الجنس	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	القيمة التائية المحسوبة	القيمة التائية الجدولية	الدلالة
ذكور	٣٠٠	٥٠،٣٧٧	١٣،٥٢٩	٥٩٨	٠،٧٦٣	١،٩٦	غير دالة احصائياً
اناث	٣٠٠	٥١،٢٠٠	١٢،٨٨٦				

يتضح من الجدول (٥) ان القيمة التائية المحسوبة بلغت (٠،٧٦٣) وهي اصغر من القيمة التائية الجدولية (١،٩٦) عند مستوى دلالة (٠،٠٥) ودرجة حرية (٥٩٨)، مما يدل على عدم وجود فروق دالة احصائياً في متوسط درجات الغضب تبعاً لمتغير الجنس لصالح الاناث وقد اتفقت هذه النتيجة مع دراسة كل من (شرناعي، ٢٠١٦) و(مريسات، ٢٠١٧) و (البهنساوي، ٢٠٢٠) و(كوبروا بيرسون، ١٩٩٦) واختلفت مع دراسة (عبد الكريم والمرتجع، ٢٠٢٠) وتعزو الباحثة ذلك الى ان الطلبة الجامعة بكل الجنسين يعانون من نفس المستوى من

الضغوطات فالطالب قد يكون لديه مسؤوليات متعددة تجاه عائلته وقد يكون الطالب هو المسؤول عن الموارد المالية له وللعائلة والطالبة بطبيعتها كمرأة تقوم بالعديد من الاعباء والمهام داخل نطاق الاسرة وخارجها فهي تقوم بادوار مختلفة فضلاً عن الى أن المرأة أكثر معاناة من بعض الاعراض الجسمية والنفسية كما أنها تواجه ضغوطاً أكاديمية أثناء الدراسة الجامعة متعلقة بطريقة الامتحانات وتحديات متعلقة بالوضع الاجتماعي والاقتصادي المتعلقة بالمجتمع فكلاهما معرضان لنفس الضغوطات الحياتية

٤- النتائج المتعلقة بالسؤال الثامن: الذي ينص على "هل هناك فرق ذو دلالة احصائية عند مستوى (٠,٠٥) بين متوسط درجات الغضب تبعاً لمتغير المرحلة الدراسية (ثاني- رابع)؟" وللإجابة على هذا السؤال تم تطبيق الاختبار التائي لعينتين مستقلتين على بيانات الغضب بعد عزل درجات طلبة الصف الثاني عن طلبة الصف الرابع، ودرجت النتائج في الجدول (٦).

الجدول (٦)

نتائج الاختبار التائي لمستوى الغضب تبعاً لمتغير الصف الدراسي

الصف الدراسي	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	القيمة التائية المحسوبة	القيمة التائية الجدولية	الدلالة
ثاني	٣٠٠	٥٠,٨١٣	١٣,٤٢١	٥٩٨	٠,٠٤٦	١,٩٦	غير دالة احصائياً
رابع	٣٠٠	٥٠,٧٦٣	١٣,٠١١				

يتضح من الجدول (٦) ان القيمة التائية المحسوبة وباللغة (٠,٠٤٦) اصغر من القيمة التائية الجدولية (١,٩٦) عند مستوى دلالة (٠,٠٥) ودرجة حرية (٥٩٨)، مما يدل على عدم وجود فروق دالة احصائياً في متوسط الغضب تبعاً لمتغير المرحلة الدراسية وانفقت هذه النتيجة مع دراسة (عبدالكريم، المرتجع، ٢٠٢٠) وتعزو الباحث ذلك الى تجانس أفراد العينة من جهة البيئة الموجودين فيها وتقارب مستوى النضج الانفعالي لديهم مما يسبب عدم وجود فروق في الغضب لديهم.

الاستنتاجات والتوصيات والمقترحات

الاستنتاجات

1. عدم امتلاك طلبة جامعة الموصل مستوى من الغضب.
2. امتلاك طلبة جامعة الموصل التخصص الانساني للغضب مقارنة بالتخصص العلمي.
3. عدم امتلاك طلبة جامعة الموصل بحسب الجنس (ذكور - إناث) وبحسب المرحلة الدراسية (الثاني -الرابع) للغضب.

التوصيات :

1. الاهتمام بالتقنيات المعتمدة في التدريس الجامعي من أجل المحافظة على مستوى تفكير الطلبة .
2. توعية الطلبة باستراتيجيات المذاكرة الجيدة.
3. إجراء حملة اعلامية حول استراتيجيات التفريغ الانفعالي للطلبة من أجل تجنب حدوث الغضب لديهم .

المقترحات :

1. إجراء دراسة مماثلة عن التداخل المعرفي وعلاقة بالغضب لدى طلبة المرحلة الثانوية.
2. إجراء دراسة تجريبية أثر برنامج تربيوي لخفض الغضب لدى طلبة جامعة الموصل.
3. إجراء دراسة عن التداخل المعرفي وعلاقته بسمات الشخصية.
4. إجراء دراسة تجريبية عن التداخل المعرفي لدى طلبة الجامعة

ثبت المصادر

أولاً: المصادر العربية

- ❖ أبو اسعد ، احمد ، عربيات احمد(٢٠١١): نظريات الارشاد النفسي و التربوي، ط ٢ ، عمان : دار الميسرة.
- ❖ أبو غزالة ، سميرة علي جعفر (٢٠١٠): فاعلية برنامج ارشادي (عقلاني انفعالي سلوكي) لادارة الغضب لدى عينة من تلاميذ المدرسة الإعدادية ، مجلة الارشاد النفسي ، مركز الارشاد النفسي ، العدد الرابع ة العشرين ، جامعة القاهرة .
- ❖ أبو الحجاج يوسف(٢٠١٠):كيف تسيطر على غضبك؟ لاتغضب، دار الكتاب العربي ، سوريا.
- ❖ أبو سليمة، نجلاء فتحى(٢٠١٠): إدارة الغضب وعلاقتها بالضبط الذاتي لدى طلاب الجامعة ، مجلة كلية التربية ، جامعة بور سعيد ، العدد (٨) المجلد(٤)ص ٤٣٥-٤٦٤.
- ❖ بركات، فاطمة سعيد احمد (٢٠٢٠): برنامج تدريسي لخفض ابعاد الغضب لدى المراهقين ذوي الإعاقة البصرية، مجلة الارشاد النفسي، العدد ٦٤، ج ١، ديسمبر (٢٠٢٠).
- ❖ بلوم ،بنيامين (١٩٨٣): تقييم تعليم الطالب التجمعي والتكوين ،ترجمة محمد أمين المفتي، دار ماكجروهيل للنشر.
- ❖ البهنساوي، احمد كمال عبدالوهاب(٢٠٢٠): الغضب والتعبير عن الذات كمنبئين بالافكار الالية المتربطة بالاكنتاب لدى عينة من طلاب الجامعة، جامعة أسبوط.
- ❖ التميمي ،محمود كاظم محمود (٢٠١٣) : منهجية كتابة البحوث والرسائل في العلوم التربوية والنفسية ، دار صفاء للنشر والتوزيع عمان ، الطبعة الاولى.
- ❖ حسين، طه عبد العظيم(٢٠٠٧):استراتيجيات تعديل السلوك للعاديين نوى الاحتياجات الخاصة ، دار الجامعة الجديدة للنشر ،الإسكندرية .
- ❖ الحموري، خالد عبدالله، العنزي سارة عبدالعزيز (٢٠١٨): استراتيجيات إدارة الغضب لدى طلبة الموهوبين، المجلة الدولية للأبحاث التربوية، جامعة الامارات، المجلد (٤٢)، العدد (١).
- ❖ الخالدي، هاني سليمان (٢٠١٨): القدرة التنبؤية للصلابة النفسية ببعدي الغضب (الحالة والسمة) لدة طلاب المرحلة الثانوية، مجلة العلوم التربوية والنفسية، المجلد ٩، العدد ٤ ديسمبر ٢٠١٨.

- ❖ خطاب ، كريمة سيد(٢٠٠٧): الأفكار اللاعقلانية وعلاقتها بالغضب ، مجلة دراسات الطفولة ، ١٠(٣٦)، ١٢٢ - ١٥٤ .
- ❖ ريشان، حامد قاسم ، طارق عبد الكاظم العذاري(٢٠١٢): اثر أسلوب السيكو دراما في خفض لدى طلبة المرحلة المتوسطة ، جامعة البصرة ، كلية التربية.
- ❖ الريماوي، عمر طال (٢٠١٦) : بناء وتصميم الاختبارات والمقاييس النفسية والتربوية، ط١، دار امجد للنشر والتوزيع، عمان .
- ❖ سفعان ، محمد احمد إبراهيم (٢٠٠٣): دراسات في علم النفس والصحة النفسية اضطراب انفعال الغضب الخلفية النظرية التشخيص ، العلاج القاهرة ، دار الكتاب الحديث.
- ❖ سمور، قاسم محمد عواد، محمد مصطفى (٢٠٠٤):الغضب كحالة وسمة لدى عينة من طلبة جامعة اليرموك وعلاقته ببعض المتغيرات ، مجلة العلوم التربوية قطر العدد(٥) .
- ❖ شوافقة ،سهيل (٢٠٠٩): إدارة الغضب ، عمان :جھينة للنشر والتوزيع .
- ❖ عبد الكريم ، صالحة محمد ، فاطمة صالح المرتجح (٢٠٢٠): الغضب وعلاقته ببعض المتغيرات لدى طلاب الجامعة ، المجلة الليبية العالمية، العدد الثامن و الاربعون .
- ❖ علام ، صلاح الدين محمود (٢٠١٥): القياس والتقويم التربوي والنفسي ،ط١، دار الفكر العربي للطبع والنشر ، القاهرة.
- ❖ علي، سماح فتحي محمد وآخرون(٢٠٢٠): إدارة الغضب وعلاقتها بالسعي وراء المساندة الاجتماعية لدى طالبات المرحلة الإعدادية، جامعة الزقازيق، كلية التربية، المجلة العربية للآداب والدراسات الإنسانية، المجلد الرابع- العدد (١٤).
- ❖ عيشور، نادية سعيد، عبد الرحمن برقوق وآخرون (٢٠١٧) : منهجية البحث العلمي في العلوم الاجتماعية، ط١، مؤسسة حسين، رأس الجبل للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر .
- ❖ القرارش، نجاه المبروك احمد (٢٠١٧): فاعلية فنيات تعديل السلوك في خفض الغضب لتحسين التواصل الاجتماعي لدى تلاميذ مرحلة الشق الثاني من مرحلة التعليم الأساسي، مجلة البحث العلمي في التربية العدد الثامن عشر لسنة ٢٠١٧ .
- ❖ كحلة ، الفت حسين (٢٠١٢):علم النفس العصبي ، مكتبة الانجلو المصرية.
- ❖ كيالي، سهام طه(١٩٩٨): الغضب المزدي وعلاجه ،(الطبعة الاولى) ،دمشق دار المعرفة.
- ❖ مجيد، سوس شاكر (٢٠١٤) : أسس بناء الاختبارات والمقاييس النفسية والتربوية، ط٣، مركز دبيونو لتعلم التفكير، عمان، الاردن .

- ❖ مخائيل ،امطارنيوس نايف (٢٠١٦): بناء الاختبارات والمقاييس النفسية والتربوية وتقنياتها ،ط١، دار الاعصار العلمي للنشر والتوزيع ،عمان - الاردن .
- ❖ مصطفى ، أسامة فارق(٢٠١١):مدخل الى الاضطرابات السلوكية والانفعالية ، دار الميسرة للنشر والتوزيع ، عمان ، الطبعة الأولى.
- ❖ المطيري، احمد مريد سعيد (٢٠١٦): مستوى إدارة الغضب لدى العيادات الاكاديمية في جامعة الكويت وعلاقتها بسلبيات اتخاذ القرار ، جامعة ال بيت قسم الإدارة التربوية و الأصول .
- ❖ مقدادي ، يوسف (٢٠١٥) : الارشاد النفسي ،الرياض قرطبة للنشر والتوزيع .
- ❖ ملحم ،سامي محمد (٢٠١٧): القياس والتقويم في التربية وعلم النفس ،ط٨ ،دار الميسرة للنشر والتوزيع والطباعة ،عمان.
- ❖ المنيزل ،عبد الله فلاح وعدنان يوسف العتوم (٢٠١٩): مناهج البحث في العلوم التربوية والنفسية ،ط١ ،دار الميسرة للنشر والتوزيع .
- ❖ وادي، منى محمد(٢٠١٦): مكونات انفعال الغضب وعلاقته بالتوافق الدراسي لدى تلاميذ المرحلة المتوسطة ، الجامعة الإسلامية بغزة كلية التربية قسم الارشاد.

ثانياً: المصادر الاجنبية:

- ❖ Johansen,T (2006):**predicting treatment out comes of an anger management treatment program using the stages of change medle, PH, D. , Adler school of professional psychology, united states llinois.**

Allegiance to Women Its Objectives and Nature in the Era of Prophecy

Hanan Mohammed Rashid
Dr. Dafar Abdul Razzaq
Thanoon
Assistant professor
University of Mosul- College
of Education Human Science

حنان محمد رشيد
د. ظفر عبدالرزاق ذنون جاسم
أستاذ مساعد
جامعة الموصل - كلية التربية للعلوم
الإنسانية

dr.dafar.abdulrazzaq@uomosul.edu.iq

تاريخ القبول

٢٠٢١/٩/٥

تاريخ الاستلام

٢٠٢١/٨/١٦

الكلمات المفتاحية: الحديث - دور - المعتقدات - المرأة

Keywords: Hadith - Role - Beliefs - Women

الملخص

تأتي أهمية بيعة النساء من خلال ثبوت البيعة بشكل عام في القرآن الكريم والسنة النبوية، ذُكرت بيعة النساء في كتب التاريخ والأنساب والسير والحديث والفقه والتفسير، وقد أعطى الإسلام دوراً كبيراً للنساء المبايعات من خلال مبايعتهن على جوانب عديدة تخص حياتهن الدينية والاجتماعية والسياسية. تناولت الدراسة إيضاح أهداف بيعة الرسول (صلى الله عليه وسلم) للنساء من خلال تحقيق شهادة التوحيد، وضم النساء إلى الدعوة الإسلامية، وإقرار مسؤولية المبايعة في الإسلام، كذلك بناء مجتمع مستقيم بأسس أخلاقية سليمة، وإقامة نظام حكم عادل بمشاركة النساء من خلال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وتناولت أيضاً التشابه والاختلاف بين بيعة النساء وبيعة الرجال من خلال عدة طرق أستعاض عنها الرسول (صلى الله عليه وسلم) عن مصافحة النساء منها: الكلام، ومبايعة النساء من فوق الرداء، والإتابة عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) في المبايعة، كذلك الامتحان والسؤال، وغمس الرسول (صلى الله عليه وسلم) والنساء أيديهم بإناء فيه ماء، وبيعات النساء الفردية والجماعية خلال عهد النبوة.

Abstract

The importance of the pledge of allegiance to women comes through the evidence of the pledge of allegiance in general in the Holy Qur'an and the Prophet's Sunnah. The pledge of allegiance to women is mentioned in the books of history, genealogy, biographies, hadith, jurisprudence and interpretation. Islam has given a great role to women pledged allegiance through their pledge of allegiance on many aspects of their religious, social and political life.

The study dealt with clarifying the objectives of the Messenger, may God's prayers and peace be upon him, pledge allegiance to women by achieving the testimony of monotheism, including women in the Islamic da'wah, and acknowledging the responsibility of allegiance in Islam, as well as building a straight society with sound moral foundations, and establishing a just system of governance with the participation of women through enjoining good and forbidding evil .

I also dealt with the similarities and differences between the pledge of allegiance to women and the pledge of men through several methods that the Messenger, may God bless him and grant him peace, substituted for shaking hands with women, including: speaking, swearing allegiance to women over the cloak, and deputizing the Messenger, may God's prayers and peace be upon him, in the pledge of allegiance, as well as testing and questioning, and immersing the Messenger, may God bless him and grant him peace May Allah, peace and blessings be upon him, and the women hold their hands in a bowl of water. In addition to mentioning women's individual and collective sales.

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.
بيعة النساء قائمة على عدة بنود تدور حول حق الله سبحانه على عباده بتوحيده وعدم الإشراف به سبحانه وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، والتخلي عن عادات ما قبل الإسلام والحفاظ على حق الناس والمجتمع من خلال نبذ السرقة والزنا والبهتان، وتؤكد أهداف البيعة على إستقلالية المرأة وهي نموذج في بيان حقوقها وواجباتها الدينية والأخلاقية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وتحملت الصحابية المبايعة إسوةً بالرجال مقتضيات البيعة التي هي عقد بين طرفين الحاكم والمحكوم، فكُنَّ يبايعنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم بشكل فردي أو جماعي، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبايع الرجال مصافحة أما النساء فبايعهن كلاماً وأستعاض بعدة طرق عن مصافحتهن.

وقد كان للبحث صعوبات منها:

١. تغافل بعض المصادر التاريخية عن ذكر بيعة النساء.
 ٢. تركيز المصادر على البيعة في فتح مكة، على الرغم أن هناك بيعات أخرى للنساء.
 ٣. عدم تركيز المصادر والدراسات على إستقلالية بيعة النساء عن بيعة الرجال.
- أعتمد البحث على العديد من المصادر والمراجع، منها: كتاب السير والمغازي لمحمد بن اسحاق المطلبي(ت١٥١هـ/٧٦٩م)، والسيرة النبوية لأبو محمد عبد الملك بن هشام الحميري البصري(ت٢١٨هـ/٨٣٣م)، وكتاب الطبقات لمحمد بن سعد(ت٢٣٠هـ/٨٤٤م)، وصحيح البخاري لمحمد بن اسماعيل البخاري(ت٢٥٦هـ/٨٦٩م)، كذلك كتاب الاصابة في معرفة الصحابة لأبن حجر العسقلاني(ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م)، وغيرها من الكتب التي أمدت موضوع البحث بمعلومات قيمة.

وقد تضمن البحث مقدمة وتمهيد، وأحتوى متن البحث على ثلاثة أقسام، ثم الخاتمة وأخيراً قائمة لمصادر ومراجع البحث.

الكلمات المفتاحية: بايع، طرق، المرأة .

التمهيد

بعث الله سبحانه وتعالى محمد صلى الله عليه وسلم، الذي بعثه الله عز وجل رحمة للعالمين ليخرج الناس من ظلمات العبودية لغير الله سبحانه إلى نور الإسلام وعزه، حيث كانت الجزيرة العربية قبل الإسلام تعيش حالة من التنازع بين قبائلها للحصول على المغانم، وكان ولاء الأفراد لعشيرتهم، في وسط هذه الفوضى بعث سبحانه وتعالى نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم لجميع البشر، قال عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾^(١)، بعث الله عز وجل رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم أُمِّي لينتقي عنه سوء الظن في تعليمه ما دعى إليه وليتلو عليهم القرآن الكريم ويطهرهم من دنس الكفر والذنوب^(٢)، عمل الرسول صلى الله عليه وسلم على تغيير تفكيرهم ونظرتهم للحياة وتحقيق سعادتهم في الدارين، الدنيا والآخرة، فالإسلام منذ إشراقه نوره حارب كل سبيل يدعو إلى التفرقة وأصبح الناس جميعاً أخوة في الدين لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾^(٣)، عرف العرب قبل الإسلام أنواع من المعاهدات مثل الإيلاف لحماية القوافل في الطرق التي تمر بها^(٤)، إلا أنها كانت لأغراض محدودة، لكن البيعة في الإسلام هي عهد وميثاق يشمل جوانب الحياة المختلفة، وقد كانت المرأة المسلمة في قلب الأحداث بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذ عليها ما أخذه على الرجال، كفل الإسلام حقوق المرأة ونالت في ظلها عزها وكرامتها، نظر الرسول صلى الله عليه وسلم في أمر البيعة ورآها تصلح لجميع طبقات المجتمع، فمن أهم أهداف البيعة هو تجديد قيم المجتمع بجانبها الروحي والمادي وفق التعاليم الإسلامية.

(١) سورة الجمعة: الآية: ٢.

(٢) أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، الجامع لإحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠٦م: ٤٥٢/٢٠-٤٥٣.

(٣) سورة الحجرات: الآية: ١٠.

(٤) محمد بن حبيب البغدادي، المنمق في أخبار قریش، صححه وعلق عليه: خورشيد أحمد فارق، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٥: ٤١.

أولاً: أهداف البيعة:

يمكن إجمال أهداف بيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم للنساء خلال عصر الرسالة بما يأتي:

١- تحقيق شهادة التوحيد:

من أهم أهداف البيعة هو أن يشهد المبايعون بشهادة التوحيد: لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله، لذا أول هدف أن تؤمن المبايعه بالله ولا تُشرك به شيئاً بالإخلاص بالقول والعمل لله تعالى، فالاعتقاد يجب أن يكون موافق للعمل وحرصت المبايعات على إجتناّب إبطال العمل الصالح، عن ابن أبي مليكة قال: (أدركت ثلاثين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلهم يخاف النفاق على نفسه، ما منهم أحدٌ يقول إنه على إيمان جبريل وميكائيل. ويُذكر عن الحسن قوله: ما خافه الا مؤمن، ولا أمنه الا منافق، وما يُحذر من الإصرار على النفاق والعصيان من غير توبة)^(١)، والمرأة المؤمنة يزيد إيمانها بالاعتقاد والقول والعمل ولا ينقص لقوله تعالى: ﴿وَزِدَادَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا﴾^(٢)، إيمانهم بالله تعالى يزداد تصديقاً بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم إذ وجدوا ما يخبرهم موافقاً لما في كتبهم^(٣).

تهدف بيعة الرسول صلى الله عليه وسلم للنساء إلى إمتثال المبايعه لأوامر الله عز وجل وإجتناّب نواهيه لتذوق حلاوة الإيمان، الحديث عن بيعة النساء في القرآن الكريم دلالة على إعلاء شأن المرأة ووجوب مبايعتها، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَايِعَنَّكَ عَلَىٰ أَنْ لَا يُسْرِكَنَّ بِاللَّهِ شَيْعًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْنَهُنَّ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُنَّ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٤)، ولم تكن البيعة مقتصرة على فئة أو عُمر معين فقد بايع الرسول صلى الله عليه وسلم النساء من مختلف الأعمار والفئات ومن قبائل متعددة، وأمر الله تعالى تستوجب مبايعة الرسول صلى الله عليه وسلم لجميع النساء بغض النظر عن مكانتهن الاجتماعية .

(١) أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري، صحيح البخاري، ط١، دار ابن كثير، دمشق، ٢٠٠٢م، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر، (دون رقم): ٢٢ .

(٢) سورة المدثر: الآية: ٣١ .

(٣) أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، زاد المسير في علم التفسير، ط١، المكتب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٢م: ١٤٨٩ .

(٤) سورة الممتحنة: الآية: ١٢ .

٢- ضم النساء إلى الدعوة الإسلامية:

كان للمرأة حضور مميز منذ بداية الدعوة، والصحابيات المبايعات كغيرهن من المؤمنات كان لهن دور مهم، فعند مبايعة الرسول صلى الله عليه وسلم المرأة وإعلانها الشهادة كَوْن لديها مهمة الدفاع عن الدعوة وتبليغ الرسالة، فأَم المؤمنين خديجة بنت خويلد (رضي الله عنها) أول من آمن بالله تعالى^(١)، وفتت إلى جانب الرسول صلى الله عليه وسلم ساندته وطمأنته عندما جاءه الوحي، لجأ النبي صلى الله عليه وسلم إلى زوجته خديجة (رضي الله عنها) دون أعمامه الذين كانوا من سادات مكة أو اصدقائه وعشيرته لأن أم المؤمنين (رضي الله عنها) كانت مصدر أمانه وأطمئنانه.

أما الصحابية الجليلة التي كان لها دور واضح ومهم عند هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة أسماء بنت أبي بكر الصديق (رضي الله عنهما)^(٢)، ذات النطاقين

(١) محمد بن اسحاق المطلبى، السير والمغازي، تحقيق: سهيل زكار، ط١، دار الفكر، د. م، ١٩٧٨م: ١٣٢؛ أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري البصري، السيرة النبوية، علق عليها وخرج احاديثها وصنع فهرسها: عمر عبد السلام تدمري، ط٣، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٠م: ٢٧٤/١.

(٢) أسماء بنت أبي بكر الصديق: هي أسماء بنت أبي بكر (عبدالله) بن أبي قحافة عثمان من بني تيم، ولدت قبل الهجرة بسبع وعشرين سنة وهي أسن من اختها لأبيها عائشة بنت أبي بكر، تزوجت الزبير بن العوام وهاجرت الى المدينة وهي حامل بعبدالله فولدته بقاء وكان اول مولود للمهاجرين في المدينة، وأولادها هم: عبدالله وعروة والمنذر وعاصم والمهاجر وخديجة الكبرى وام الحسن وعائشة، قيل أن الزبير طلق اسماء، ذلك أن الزبير ضربها فصاحت بابنها عبدالله، فأقبل إليها، فلما رآه أبوه قال: أمك طالق إن دخلت، فقال عبدالله: أتجعل أمي عرضة ليمينك؟! فدخل فخلصها منه، فبانث منه، وكانت (رضي الله عنها) لما تصدع، تضع يدها على رأسها وتقول: بذنبي وما يغفر الله أكثر، روت عن الرسول صلى الله عليه وسلم، ولما فرض عمر الفاروق الاعطية فرض لأسماء ألف درهم، توفيت سنة ثلاث وسبعين للهجرة بمكة المكرمة بعد أن قُتل ابنها عبدالله بن الزبير بعدة ايام، وقد بلغت مائة سنة لم يسقط لها سن ولم ينكر لها عقل، وهي آخر من توفي من المهاجرات (ينظر: محمد بن سعد بن منيع الزهري، الطبقات الكبير، تحقيق: علي محمد عمر، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة، ٢٠٠١م: ٢٣٧/١٠؛ أبو القاسم عبدالرحمن بن محمد بن اسحاق أبين منده الاصبهاني، المستخرج من كتب الناس

صنعت للنبي صلى الله عليه وسلم سفرة حين أراد الخروج إلى يثرب ولم تجد ما تشد به فشقت خمارها وشدت بنصفه السفرة أما النصف الثاني فانتطقت به، كانت أسماء (رضي الله عنها) تذهب إلى الغار وهي تحمل الطعام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأباها الصديق (رضي الله عنه) ولا تحفل بمخاطر هذا العمل فقد كان القرشيون مستنفرين يحاولون القبض على رسول الله صلى الله عليه وسلم، لكن المرأة القوية الشجاعة لا تخاف في الله احد، كذلك روت أسماء (رضي الله عنها): (لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم أتانا نفر من قريش منهم أبو جهل بن هشام فوقفوا على باب أبي بكر فخرجت إليهم، فقالوا: أين أبوك يا بنت أبي بكر؟ قلت: لا أدري والله أين أبي، فرفع أبو جهل يده وكان فاحشاً خبيثاً فطم خدي لطمة خرّ منها قرطي^(١))، الموقف الثاني لأسماء بنت أبي بكر (رضي الله عنهما) في الهجرة هو أن أبوها الصديق (رضي الله عنه) حمل معه كل أمواله وهي خمسة آلاف أو ستة آلاف فجاء جدها أبو قحافة وكان قد أصيب بالعمى، فقال: إن هذا قد فجعكم بماله ونفسه ويقصد أبو بكر الصديق، فقالت له أسماء بأن أباها قد ترك لهم خيراً كثيراً وجاءت بأحجار وجعلتهم في كوة البيت ثم وضعت عليها ثوباً، ثم أخذت بيده وقالت: يا أبت ضع يدك على هذا المال، فوضع يده عليه

والمستطرف من احوال الناس للمعرفة، حققه وقدم له وعلق عليه: عامر حسن صبري التميمي، د. ط، د. ن، البحرين، د. ت: ١٩٧/١؛ عزالدين ابن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق وتعليق: علي معوض وعادل أحمد الموجود، قدم له وقرّظه: محمد عبد المنعم البري وآخرون، ط ٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م: ٧/٧؛ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء، حقق نصوصه وخرّج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، ط ١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨١م: ٢/٢٨٧).

(١) أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي النمري، الاستيعاب، صححه وخرّج أحاديثه: عادل مرشد، ط ١، دار الأعلام، عمان، ٢٠٠٢م: ٨٧١-٨٧٢؛ ابن عساكر أبو القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبدالله الشافعي، تاريخ مدينة دمشق، دراسة وتحقيق: محبّ الدين أبي سعيد عمر بن غلامة العمروي، ط ١، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٨م: ١٢/٦٩؛ أحمد بن محمد القسطلاني، المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، تحقيق: صالح أحمد الشامي، ط ٢، المكتب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٤م: ١/٢٩٠.

وقال: أما إذا ترك لكم هذا. فنعم، ونقول أسماء: (ولا والله ما ترك لنا شيئاً ولكني أردت أن أسكن الشيخ)^(١).

٣- إقرار مسؤولية المبايعة في الإسلام:

أقرت بيعة الرسول صلى الله عليه وسلم للنساء عن مسؤولية المرأة الكاملة عن نفسها وإستقلالها بقراراتها، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كلكم راعٍ وكلكم مسؤولٌ عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راعٍ وهو مسؤولٌ عن رعيته والرجل راعٍ على أهل بيته وهو مسؤولٌ عنهم والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهي مسؤولة عنهم والعبد راعٍ على مال سيده وهو مسؤولٌ عنه، كلكم راعٍ و كلكم مسؤولٌ عن رعيته)^(٢)، كان للمرأة دور وحضور كبير منذ بزوغ فجر الإسلام، أخذ الرسول صلى الله عليه وسلم منها ما أخذته على الرجال منذ بداية الدعوة يؤكد على العدل وعدم التفرقة بين الرجال والنساء.

كان الرسول صلى الله عليه وسلم يستشير النساء ويأخذ برأيهن تأكيداً منه لدورهن في الدعوة، ففي يوم الحديبية سنة (٦هـ/٦٢٧م) أشتكى لأُم المؤمنين أم سلمة^(٣) من رفض

(١) شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، د. ط، دار الكتاب العربي، د. م، د. ت: ٣٢٧/١-٣٢٨؛ أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، راجعه وصححه: نعيم زرزور، د. ط، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت: ٥٢/٣.

(٢) أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق: أبو قتيبة نظر بن محمد الفارياي، ط١، دار طيبة، ٢٠٠٦م، رقم الحديث (١٨٢٩): ٨٨٦-٨٨٧؛ البخاري، صحيح، رقم الحديث (٧١٣٨): ١٧٦٤؛ أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني، سنن أبي داود، تحقيق وتخريج: شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل قره بللي، ط. خ، دار الرسالة العالمية، ٢٠٠٩م، رقم الحديث (٢٩٢٨): ٥٥٣/٤.

(٣) أم سلمة: هي هند بنت أبي أمية واسمه سُهيل زاد الرُّكْب بن المغيرة المخزومية، تزوجت عبدالله (أبو سلمة) بن عبد الأسد بن هلال المخزومي، هاجرت الى الحبشة والمدينة، واولادها هم: زينب وسلمة وعمر ودرة، توفي زوجها سنة اربع للهجرة، فتزوجها الرسول صلى الله عليه وسلم وضمها الى زوجاته أمهات المؤمنين، كانت ذات حُسن وجمال، توفيت (رضي الله عنها)، سنة ٥٩ وقيل ٦١ للهجرة وعمرها

الصحابة التحل من الإحرام والرجوع دون أن يدخلوا مكة^(١)، وأشارت عليه أن يخرج ولا يكلم أحداً منهم فينحر بدنه ويحلق شعره، لما رأى أصحاب الشجرة ذلك قاموا فنحروا وحلقوا وأطاعوا الرسول صلى الله عليه وسلم^(٢)، هذه الإشارة تدل على وعي وتفكر وبديهة عالية وحُسن تدارك الموقف من أم المؤمنين (رضي الله عنها) .

٨٤سنة، ودفنت في البقيع (ينظر: ابن سعد، الطبقات: ١٠/٨٥ ؛ أبو جعفر محمد بن حبيب ابن أمية بن عمرو الهاشمي البغدادي، المحبر، رواية: أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري، اعتنى بتصحيحه: إيلزه ليختن شتيتير، د. ط، دار الافاق الجديدة، بيروت، د. ت: ٨٣-٨٥ ؛ محب الدين أحمد بن عبدالله الطبري، السمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين، تحقيق ومراجعة وتعليق: محمد علي قطب، د. ط، دار الحديث، القاهرة، د. ت: ١٣٣ ؛ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، الاصابة في تمييز الصحابة، دراسة وتحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، قدّم له وقرّظه: محمد عبد المنعم البسري وآخرون، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥م: ٨/٣٤٢-٣٤٤).

(١) سبب الرفض أن الصحابة غضبوا من بنود صلح الحديبية التي من اهمها: وقف الحرب عشر سنوات، ورجوع المسلمين الى المدينة ولا يدخلون مكة الا السنة القادمة، وأن يرد الرسول صلى الله عليه وسلم من يأتيه مسلماً من قريش دون اذن أهله أما من جاء الى قريش ممن كان مع النبي صلى الله عليه وسلم فلا يُرد الى المسلمين، لهذه الشروط غضب الصحابة(رضوان الله عليهم) وقال الفاروق: علام نُعطي الذنبة في ديننا؟، ذلك أنهم أرادو دخول مكة واداء العمرة، لكن هذه الغزوة وشروطها اصبحت فتحاً مباركاً للمسلمين ودخلت اعداد كبيرة من قريش وغيرها في الاسلام(ينظر: ابن هشام، السيرة: ٣/٣٦٣ ؛ أبو الفتح محمد بن محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمرى، عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، تحقيق: محمد السعيد الخطراوي ومحي الدين مستو، د. ط، دار التراث، المدينة المنورة، د. ت: ١٦٧/٢ ؛ أبو الفداء ابن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، د. ط، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٩١م: ٤/١٦٨-١٦٩).

(٢) ابن هشام، السيرة: ٣/٢٦٥ ؛ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك)، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، ط٢، دار المعارف، مصر، د. ت: ٢/٦٣٧ .

٤- بناء مجتمع مستقيم بأسس أخلاقية سليمة:

هدفت البيعة وبشكل منظم ومستمر بناء مجتمع متوازن من جميع نواحي الحياة، فعمدت على تنمية أفراد المجتمع تنمية إنسانية سواء من الناحية الروحية والوجدانية والجسدية والعقلية، وفق أسلوب العهد والعقد بين المبايعين سواء كانوا رجالاً أو نساء وبين القائد الأول في الإسلام الرسول صلى الله عليه وسلم، فالمبادئ والقيم التي أكدت عليها البيعة خلقت لدى المجتمع ثقافة تربية، فالعهود التي قطعها المبايعات على أنفسهن: أن لا يشركن بالله، ولا يسرقن، ولا يزنين، ولا يقتلن أولادهن، ولا يأتين ببهتان، ولا يعصين رسول الله صلى الله عليه وسلم في معروف، كان بمحض إرادتهن والتزامهن بها يؤدي إلى صلاح المجتمع، وعلى نفس العهود بابع رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجال، عن عبادة بن الصامت قال: (قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في مجلس: تبايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف)^(١).

نلاحظ أن البيعة بما تضمنته من قيم ومبادئ كونت ثقافة عامة لأسلوب حياة المبايعات فهذه القيم أستقرت في فكرهن ومن ثمّ أنعكست على سلوكهن ضمن بيئتهن الخاصة والعامة، نقلت النساء من عهد ما قبل الإسلام الذي كان يقف على أنظمة وقوانين قبلية غير منظمة إلى عصر تتحقق فيه إنسانية المرأة، وتميزها عن المجتمعات الأخرى بإزالة الفوارق الطبقيّة وتحقيق العدالة في مبايعة الرسول صلى الله عليه وسلم النساء على ما بايع عليه أهل بيته زوجاته وبناته وأقربائه، عن أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) قالت: جاءت فاطمة بنت عتبة بن ربيعة تبايع النبي صلى الله عليه وسلم فأخذ عليها: (أن لا يشركن بالله شيئاً ولا يزنين)، قالت: فوضعت يدها على رأسها حياءً، فأعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأى منها، فقالت عائشة أفري أيتها المرأة، فوالله ما بايعنا إلا على هذا، قالت: فنعم إذاً، فبايعها بالآية)^(٢)، كانت فاطمة بنت عتبة امرأة حرة ذات لغة أصيلة فصيحة وأدبية شاعرة

(١) البخاري، صحيح، رقم الحديث (٧٢١٣): ١٧٨٢-١٧٨٣.

(٢) أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني الوائلي، مسند الامام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط واخرون، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٧م، رقم الحديث (٢٥١٧٥): ٩٥/٤٢؛ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، بتحرير الحافظين الجليلين: العراقي وأبن حجر، د. ط، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت، باب البيعة على الإسلام التي تسمى ببيعة النساء:

لكن هنا كان الحياء سيد الموقف وهذا دليل على فطرتها السليمة فأعجب الرسول صلى الله عليه وسلم بردة فعلها لأن الحياء من الإيمان ولا يجتمع حياء مع سوء خلق، روي عن الرسول صلى الله عليه وسلم قوله: (الإيمان بضع وسبعون شعبة. والحياء شعبة من الإيمان)^(١).

٥- إقامة نظام حكم عادل بمشاركة النساء:

أستمرت بيعة الرسول الله صلى الله عليه وسلم للنساء طوال العهد النبوي فمن أول يوم جاءه الوحي بالحق، أثبتت المرأة أنها على قدر مسؤوليتها المرحلة القادمة، فالبيعة تجيز للنساء المشاركة مع الرجال في القيام بشؤون الأمة، ولا يحل لرجل أو امرأة بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم نكث البيعة أو ترك ما وجب عليهم، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من بايع إماماً فأعطاه ثمرة قلبه وصفقة يده فليطعه ما أستطاع)^(٢)، البيعة في عنق جميع المسلمين، روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله: (من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة، مات ميتة جاهلية)^(٣)، من هنا كان على المرأة المسلمة أن تتعلم شؤون دينها كما يتعلم الرجل وأن تسلك كل السبل المشروعة الممكنة إلى التسلح بسلاح العلوم والوعي والتنبيه إلى مكامن الكيد وأساليبه لدى أعداء الإسلام الذين يترصدون به، حتى تستطيع أن تتهض بالعهد الذي قطعته على نفسها وتتفد عقد البيعة الذي في عنقها^(٤)، ونالت المبايعة شرف البيعة كما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾^(٥).

حضرت الصحابيات المبايعات في المحافل الأولى لقيام الدولة الإسلامية ليشاركن مع الرجال في العبء الثانية التي كانت بداية تكوين النظام الإسلامي، فلو تساعلنا ما ستكون فائدة حضور المرأتين للبيعة إذا لم يبايعهن الرسول صلى الله عليه وسلم، ولا نرى سبباً يدعو إلى

٣٧/٦ ؛ محمد يوسف الكاندهلوي، حياة الصحابة، حققه وضبط نصه وعلق عليه: بشار عواد معروف، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٩م: ٣٠٢/١.

(١) مسلم بن الحجاج، صحيح، رقم الحديث (٣٥): ٣٨ ؛ البخاري، صحيح، رقم الحديث (٢٤): ١٦ .

(٢) مسند الإمام أحمد، رقم الحديث (٦٨١٥): ٤١٦/١١-٤١٧ .

(٣) مسلم بن الحجاج، صحيح، رقم الحديث (١٨٥١): ٨٩٨ .

(٤) محمد سعيد رمضان البوطي، فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة

الراشدة، ط١٠، دار الفكر، بيروت، ١٩٩١م: ٤١٤-٤١٥ .

(٥) سورة الفتح: الآية: ١٠ .

استثنائهما من البيعة لأنه كما نعلم فالبيعة ثابتة في القرآن والسنة، كذلك ببيعة النساء في العقبة هي تأكيد على تغير النظرة للمرأة وتغير حالها للأفضل في ظل الإسلام، وإن كانت البيعة يوم العقبة هو تعهد الأنصار بحماية الرسول صلى الله عليه وسلم، والحماية مسؤولية الرجال، والمرأة غير مجبرة على الجهاد والقتال، لكن من واجبها حماية الدين بما تستطيع.

٦- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

في القرآن الكريم آيات كثيرة تحت على المسلمين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا يعتبر تكليفاً من الله عز وجل لعباده لنشر الرحمة والمحبة والتعاون بينهم، قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(١)، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده. فإن لم يستطع فبلسانه. فإن لم يستطع فبقلبه. وذلك أضعف الإيمان)^(٢)، على هذه القاعدة نشأت النساء في العهد النبوي، فكانوا خير أمة، لقوله عز وجل: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾^(٣)، كانت الصحابيات المبايعات (رضي الله عنهن) يعملن بهذه القاعدة، عن أبي سلمة أنه قال: (توضاً عبد الرحمن عند عائشة، فقالت: يا عبد الرحمن، أسبغ الوضوء، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ويلٌ للعراقيب^(٤) من النار)^(١)، وفي رواية: (ويلٌ للأعقاب من النار)^(٢)، أم

(١) سورة التوبة: الآية: ٧١ .

(٢) مسلم بن الحجاج، صحيح، رقم الحديث (٤٩): ٤١-٤٢ .

(٣) سورة آل عمران: الآية: ١١٠ .

(٤) العراقيب أو الأعقاب: العقب هو مؤخر القدم، الأبيض من أطناب المفاصل، وجمعه أعقاب، عاقبة كل شيء آخره ويقال جاء في عقب الشهر أي آخره، والتعقيب أن يأتي بشيء بعد آخر، وعقب الرجل أي ولده وولد ولده، والعقب والعقبى يختصان بالثواب، والعقوبة والمعاقبة والعقاب تختص بالعذاب، وجاء في الحديث الشريف أن يغسل مؤخر القدم عند الوضوء ولا يجوز التقصير في غسلها (ينظر: أبو القاسم الحسين محمد الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، د.ت: ٣٤٠-٣٤١ ؛ أحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، د. ط، مكتبة لبنان، د. ت: ١٨٦ ؛ أحمد بن محمد بن

المؤمنين عائشة(رضي الله عنها) العالمة لا تبخل بالعلم على من حولها، قدمت المبايعات صورة لامعة عن مكانة المرأة في الإسلام، ففهم هذه الأهداف بشكل صحيح سيعطينا إنطباعاتاً بمدى أهمية ما قدمته هؤلاء النسوة في مجالات الحياة المختلفة.

ثانياً: التشابه والاختلاف بين بيعة النساء وبيعة الرجال:

تختلف طريقة بيعة الرسول صلى الله عليه وسلم للنساء عن الرجال حيث كان الرسول صلى الله عليه وسلم يبايع الرجال مصافحةً وكلاماً أما النساء دون مصافحة، إلا أن الغاية واحدة وهي السمع والطاعة لله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وهذا لا يعني التقليل من شأن وأهمية بيعة النساء لأنه وإن اختلفت الصورة إلا أنها تُلزم المبايعة بشروط وعهود البيعة التي كانت لها دلالات حضارية توضح ما وصلت إليه المرأة في كنف الإسلام، يمكن أن نورد نقاط التشابه والاختلاف بين بيعة الرجال وبيعة النساء:

١ /التشابه: البيعة على الإسلام، وعلى السمع والطاعة، والنصرة والمنعة كما في العقبة الثانية، والإنفاق في سبيل الله، وعلى قدر الاستطاعة، إذ كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول للرجال والنساء على السواء عندما يبايعهم فيما أستطعتم^(٣)، كان الرجال والنساء يبايعون الرسول صلى الله عليه وسلم أكثر من مرة، روي عن سلمة أنه قال:(بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة، فقال لي: يا سلمة ألا تبايع؟ قلتُ: يا رسول الله قد بايعتُ في الأول، قال: وفي الثاني)^(٤)، هناك عدد من النساء بايعن مرتين مثل أم عمارة وسلمى بنت قيس وأسماء بنت يزيد، وتشترك النساء مع الرجال في مشروعية البيعة.

علي الفيومي المقرئ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، تحقيق: عبد العظيم الشناوي، ط٢، دار المعارف، القاهرة، د. ت: ٤١٩/٢).

(١) أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني أبن ماجة، سنن أبن ماجة، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، د. ط، مطبعة دار احياء الكتب العربية، د. ت، رقم الحديث(٤٥١): ١٥٤/١.

(٢) مسلم بن الحجاج، صحيح، رقم الحديث(٢٤٠): ١٢٨؛ مسند الإمام أحمد، رقم الحديث (٢٤١٢٣): ١٤٩/٤٠.

(٣) البخاري، صحيح، رقم الحديث(٧٢٠٢): ١٧٨٠؛ أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، الجامع الكبير، تحقيق: بشار عواد معروف، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٦م، رقم الحديث(١٥٩٣): ٢٤٥/٣.

(٤) البخاري، صحيح، رقم الحديث(٧٢٠٨): ١٧٨١؛ الطبري، تاريخ الرسل: ٦٣٣/٢؛ الذهبي، تاريخ الإسلام: ٣٨٦/٢.

٢ /الاختلاف: في كيفية البيعة إذ لا تتطلب بيعة النساء مصافحتهن باليد، والاختلاف في الحدود والأمور الموجبة عليهم فالمرأة غير مُلزَمة بالجهاد كالرجل، وجهاد المرأة حجها وطاعة زوجها، روي أن امرأة جاءت للنبي صلى الله عليه وسلم فقالت: (يا رسول الله، أنا وافدة النساء إليك: هذا الجهاد، كتبه الله على الرجال، فإن يصيبوا أُجروا، وإن قُتلوا كانوا أحياءً عند ربهم يُرزقون؛ ونحن معشر النساء نقوم عليهم، فما لنا من ذلك؟ فقال رسول صلى الله عليه وسلم: أبلغني من لقيت من النساء: أن طاعة الزوج واعترافاً بحقه يعدل ذلك، وقليل منكّن من يفعله^(١).

ثالثاً: طبيعة البيعة:

هناك طرق عديدة أستعاض عنها الرسول صلى الله عليه وسلم عن مصافحة النساء عند البيعة، وتتمثل بخمس طرق هي:

١- الكلام:

عن أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) قالت: (كان النبي صلى الله عليه وسلم يبايع النساء بالكلام بهذه الآية (لا يشركن بالله شيئاً) وما مست يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يد امرأة إلا امرأة يملكها)^(٢)، روي عن ام عمارة في العقبة الثانية قالت: (كانت الرجال تصفق على يدي رسول الله ليلة بيعة العقبة والعباس بن عبد المطلب أخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما بقيت أنا وام منيع نادى زوجي غزية بن عمرو: يا رسول الله هاتان امرأتان حضرتنا معنا تبايعانك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بايعتهما على ما بايعتكم عليه، إني لا أصافح النساء)^(٣)، عن أسماء بنت يزيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها وهي في نسوة لمبايعته، عندما (قالوا له: بايعنا يا رسول الله، فقال: لا أصافحك ولكن أخذ عليكن ما

(١) سنن أبْن ماجة، رقم الحديث (٢٩٠١): ٩٦٨/٢؛ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، المعجم الكبير، حققه وخرج احاديثه: حمدي عبد المجيد السلفي، د. ط، مكتبة أبْن تيمية، القاهرة، د. ت، رقم الحديث (١٠٧٠٢): ٣٥٥/١٠؛ الكاندهلوي، حياة الصحابة: ٢٢٥/٢ .

(٢) البخاري، صحيح، رقم الحديث (٧٢١٤): ١٧٨٣؛ الذهبي، تاريخ الإسلام: ٤٠٠/٢؛ محمد صديق حسن خان القنوجي البخاري، حسن الأسوة بما ثبت من الله ورسوله في النسوة، حققه وعلّق عليه: مصطفى سعيد الخن ومحيي الدين مستو، ط ٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨١م، باب ما ورد في مبايعة النساء: ٢٨٤ .

(٣) أبْن سعد، الطبقات: ١٠/١٠-١١ .

أخذ الله عليهن^(١)، وعنها أيضاً قالت: (دخلت أنا وخالتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلينا سوارين من ذهب فقال: أتوديان زكاته؟ قلنا: لا، قال: أفتحبان أن يسوركما الله سوارين من نار أديا زكاته)^(٢).

عن أميمة بنت رقيقة جاءت مع نسوة لمبايعة الرسول صلى الله عليه وسلم فقال لهم: (فيما أستطعتن وأطقتن. إني لا أصافح النساء)^(٣)، وعنها أيضاً قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله بايعنا وتعني أن يضافحن فقال: (إنما قلتي لمئة امرأة كقولي لامرأة واحدة)^(٤)، وفي فتح مكة لما جاءت النساء لمبايعة رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ عليهن القرآن وبايعهن، قالت له هند بنت عتبة^(٥): (يا رسول الله نماسحك، فقال: إني لا أصافح النساء إن قلتي لمئة امرأة، مثل قلتي لامرأة واحدة)^(٦)، من ذلك يتضح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يضافح النساء أبداً إلا من كانت تحل له، ويكتفي بأخذ العهد والميثاق

(١) مسند الإمام أحمد، رقم الحديث (٢٧٥٧٢): ٥٥٣/٤٥؛ الطبراني، المعجم الكبير، رقم الحديث (٤٣٧): ١٧٣/٢٤.

(٢) الطبراني، المعجم الكبير، رقم الحديث (٤٣١): ١٧٠/٢٤.

(٣) مسند الإمام أحمد، رقم الحديث (٢٧٠٠٨): ٥٥٨-٥٥٩/٤٤؛ سنن أبن ماجه، رقم الحديث (٢٨٧٤): ٩٥٩/٢.

(٤) الترمذي، الجامع الكبير، رقم الحديث (١٥٩٧): ٢٤٧/٣؛ أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، السنن الكبرى، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، أشرف عليه: شعيب الأرنؤوط، حققه وخرّج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، ط ١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠١م، رقم الحديث (٧٧٥٦): ١٨٢/٧.

(٥) هند بنت عتبة: هي هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف القرشية، كان زوجها حفص بن المغيرة بن عبد الله المخزومي، وولدت له أبنياً، ثم خلف عليها أبو سفيان بن حرب الأموي، وهي ام معاوية، أسلمت يوم الفتح وبايعت النبي صلى الله عليه وسلم، وكانت هند (رضي الله عنه) امرأة عاقلة جزلة، وشاعرة اديبية فصحية، لها أشعار عديدة، توفيت في خلافة عمر بن الخطاب (ينظر: أبن سعد، الطبقات: ٢٢٣/١٠؛ أبن الأثير، أسد الغابة: ٢٨١-٢٨٢/٧؛ زينب بنت علي بن حسين فواز العالمي، معجم أعلام النساء المسمى الدر المنثور في طبقات ربات الخدور، تحقيق: منى محمد زياد الخراط، ط ١، مكتبة التوبة، الرياض، ٢٠٠٠م: ٨٣٠).

(٦) موسى بن عقبة، المغازي، جمع ودراسة وتحقيق: محمد باقشيش أبو مالك، د. ط، د. ن، المغرب، ١٩٩٤م: ٢٧٩.

على المبايعات، عن عروة أن أم المؤمنين عائشة أخبرته عن بيعة النساء قالت: (ما مس رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده امرأة قط، إلا أن يأخذ عليها، فإذا أخذ عليها فأعطته، قال: أذهبي فقد بايعتك)^(١).

٢- مبايعة الرسول صلى الله عليه وسلم النساء من فوق رداء:

كان الرسول صلى الله عليه وسلم يبايع النساء وعلى يده ثوب، فكُنَّ يمسحن على يده، وأن النبي صلى الله عليه وسلم وضع على يده برداً قطرياً حين بايع النساء، فكان يبايعهن من وراء ثوب^(٢)، وفي رواية عن ابن سعد قال: (جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في الشمس وعليه ثوب أصفر قد قنّع به رأسه، فلما قام أنتهى إلى بعض الحجر فإذا بست نسوة فسلم عليهن وبايعهن وعلى يده ثوب أصفر)^(٣)، وفي رواية أخرى أن النساء لما جئن ليبايعن الرسول صلى الله عليه وسلم، بسط رداءه فوق يده وبايعهن من وراء الرداء، ورجعت بعض النسوة عن المبايعة لأنهن خشين شروطها فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: (إن في الجنة منكن وقبض أصابعه كأنه يقلل)^(٤).

٣- غمس الرسول صلى الله عليه وسلم والنساء أيديهم بإناء فيه ماء:

أتبع النبي صلى الله عليه وسلم هذه الطريقة في مبايعته للنساء، وهي أن يغمس الرسول صلى الله عليه وسلم يده الشريفة في إناء للماء ثم تغمس النساء أيديهن فيه وذلك في فتح مكة، ولما هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة كانت النساء قد أسلمن فدخلن عليه وقلن: (يا رسول الله إن رجالنا قد بايعوك وأنا نحب أن نبايعك، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدر من ماء فأدخل يده فيه ثم أعطاهن امرأة امرأة فكانت هذه يبعتهن)^(٥).

(١) مسلم بن الحجاج، صحيح، رقم الحديث (١٨٦٦): ٩٠٤ ؛ سنن أبي داود، رقم الحديث (٢٩٤١): ٥٦٤/٤.

(٢) موسى بن عقبة، المغازي: ٢٧٩ ؛ عماد الدين أبي الفداء اسماعيل بن عمر أبين كثير الدمشقي، تفسير أبين كثير المسمى تفسير القرآن العظيم، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٨م: ٣٠٥/٤-٣٠٦.

(٣) الطبقات: ٧/١٠.

(٤) أبين سعد، الطبقات: ٦/١٠.

(٥) موسى بن عقبة، المغازي: ٢٧٩ ؛ أبين سعد، الطبقات: ١١/١٠ ؛ الطبراني، المعجم الكبير، رقم الحديث (٣٧٦): ١٤٩/١٧ ؛ القرطبي، الجامع: ٤٢٥/٢٠.

٤- الإمتحان والسؤال:

عُرفت طريقة مبايعة الرسول صلى الله عليه وسلم بإمتحان المهاجرات من مكة إلى المدينة بعد صلح الحديبية على وفق الآية الكريمة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾^(١)، كان الإمتحان أن تحلف المرأة المهاجرة أنها هاجرت حباً لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم، ولم تخرج من بيتها ناشزة أو بغضاً لزوجها لأن المشركة إذا وقع خلاف مع زوجها تقول: والله لأهاجرن إلى محمد، أو طلباً لدنيا، وأن يشهدن أن لا اله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإذا حلفت المهاجرة لا ترد ويرد صداقها إلى زوجها، أمر الله عز وجل المؤمنين أن لا يرجعوا المؤمنات إلى الكفار لأنه لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن، وسمى الله سبحانه المهاجرات مؤمنات ذلك لتصديقهن بألسنتهن ونطقهن بكلمة الشهادة، ولم يظهر منهن ما ينافي ذلك، أو لأنه سيثبت إيمانهن بالإمتحان^(٢).

عن أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) قالت: (كانت المؤمنات، إذا هاجرن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، يمتحن بقول الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعَنَّكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ﴾ (المتحنة: ١٢) إلى آخر الآية، فمن أقر بهذا من المؤمنات، فقد أقر بالمحنة. كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أقرن بذلك من قولهن قال لهن رسول الله أنطلقن فقد بايعتكن ولا والله ما مست يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يد امرأة قط غير أنه يبايعهن بالكلام. والله ما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم على النساء قط إلا بما أمره الله تعالى وما مست كف رسول الله صلى الله عليه وسلم كف امرأة قط. وكان يقول لهن إذا أخذ عليهن قد بايعتكن كلاماً^(٣).

(١) سورة المتحنة: الآية: ١٠.

(٢) أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعلوم الأقاويل في وجوه التأويل، اعتنى به وخرج أحاديثه وعلق عليه: خليل مأمون شيحا، ط٣، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٩م: ١٠٩٩؛ ابن الجوزي، زاد المسير: ١٤٢٦-١٤٢٧؛ علي بن برهان الدين الحلبي الشافعي، السيرة الحلبية المسماة إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، تحقيق: أحمد طعمة حلبي، ط١، دار المعرفة، بيروت، ٢٠١٢م: ٩١/٣.

(٣) مسلم بن الحجاج، صحيح، رقم الحديث (١٨٦٦): ٩٠٣-٩٠٤؛ النسائي، السنن الكبرى، رقم الحديث (١١٥٢٢): ٢٩٧/١٠.

٥- الإنابة عن الرسول صلى الله عليه وسلم في المبايعة:

وآخر الطرق التي أتبعها الرسول صلى الله عليه وسلم في مبايعة النساء هي توكيل أحد الصحابة عنه لمبايعتهن، عن أم عطية قالت: (لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جمع نساء الأنصار في بيت، ثم بعث إليهن عمر بن الخطاب، قام على الباب فسلم، فردن عليه السلام، فقال: أنا رسول رسول الله إليكن. قلنا: مرحبا برسول الله ورسول رسول الله. قال: ثبايعن على أن لا تشركن بالله شيئاً ولا تزنين ولا تقتلن أولادكن، ولا تأتين ببهتان تفتريه بين أيديكن وأرجلكن ولا تعصينه في معروف. قلنا: نعم، فمددنا أيدينا من داخل البيت ومدّ يده من خارج البيت ثم قال: اللهم أشهد، وأمرنا بالعديد أن نخرج فيه العتق والحیض ونهى عن إتباع الجنائز ولا جمعة علينا، ونهينا عن النياحة^(١)).

وفي رواية أن الرسول صلى الله عليه وسلم حين فرغ من بيعة الرجال يوم فتح مكة كان على الصفا وعمر بن الخطاب (رضي الله عنه) أسفل منه، يبایع النساء نيابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٢)، عن جابر (رضي الله عنه) قال: (كنا يوم الحديبية ألفاً وأربعمائة، فبايعناه وعمر أخذ بيده تحت الشجرة، وهي سمرة^(٣)، نال الفاروق (رضي الله عنه) بعدله وزهده وصدقه وشدته بالحق، المكانة ليوكله رسول الله صلى الله عليه وسلم مبايعة النساء، وقيل أن النبي صلى الله عليه وسلم كلف امرأة وقفت على الصفا تبایع النساء^(٤)، عند الرجوع إلى بيعة الرضوان بالحديبية نلاحظ أن الرسول صلى الله عليه وسلم بايع نيابة عن عثمان بن عفان (رضي الله عنه) وكان قد أرسله إلى أهل مكة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن وضع يده الواحدة على الأخرى: (هذه لعثمان، هذه يد عثمان)^(٥)، الإنابة بالبيعة قد أتخذت

(١) مسند الإمام أحمد، رقم الحديث (٢٠٧٩٧): ٣٤/٣٩٤؛ برهان الدين، السيرة الحلبية: ٢٠٦/٣؛ أحمد خليل جمعة، بيعة النساء في القرآن والسيرة، ط١، دمشق، اليمامة، ٢٠٠٥م: ٩٨-٩٩.

(٢) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: عبدالله بن عبد المحسن التركي، ط١، دار هجر، القاهرة، ٢٠٠١م: ٥٩٦/٢٢؛ ابن عساکر، تاريخ دمشق: ١٨٠/٧٠.

(٣) مسلم بن الحجاج، صحيح، رقم الحديث (١٨٥٦): ٩٠٠؛ الطبري، تاريخ الرسل: ٦٣٢/٢؛ الذهبي، تاريخ الإسلام: ٣٨٤/٢.

(٤) القرطبي، الجامع: ٤٢٤/٢٠.

(٥) البخاري، صحيح، رقم الحديث (٣٦٩٨): ٩٠٩-٩١٠؛ الترمذي، الجامع الكبير، رقم الحديث (٣٧٠٦): ٧٤-٧٣/٦.

أكثر من مرة خلال العهد النبوي، وبالعكس من ذلك جاء قطبة بن قنادة السدوسي إلى الرسول صلى الله عليه وسلم لبياعته فقال: (أبايعك على نفسي وعلى الحويصلة)^(١)، فبائع نيابةً عن أبنته.

٦- بيعات النساء الفردية والجماعية:

تتابعت الصحابييات (رضي الله عنهن) لمبايعة الرسول صلى الله عليه وسلم، هذه البيعات كانت ذات طابعين هما: بيعات فردية أن تأتي المبايعة لوحدها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم لمبايعته على الشروط، وهناك بيعات جماعية أي أن مجموعة من النسوة يأتين للبيعة، وأحياناً تكون مع الرجال مثل بيعة العقبة وبيعة الرضوان، ويمكن أن نستشهد بعدة أمثلة على ذلك:

أ- بيعة النساء الفردية:

من النساء اللاتي بايعنَّ النبي صلى الله عليه وسلم بصورة فردية: عزة بنت خابل^(٢) أتت الرسول صلى الله عليه وسلم لتبايعه فأخذ عليها صلى الله عليه وسلم: (أن لا تزني ولا تسرقين ولا تؤذين فتبدين أو تخفين، قالت: أما الإيذاء المبدئي فقد عرفته وأما الإيذاء المخفي فلم أعرفه ولم أسأل عنه رسول الله، وقد وقع في نفسي أنه إفساد الولد فلا أفسد لي ولداً أبداً)، فلم تقصد لها ولداً حتى ماتت^(٣)، أما أم سنان الأسلمية قالت: (أنتيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعته على الإسلام، فنظر إلى يدي فقال: ما على إحداكن أن تغير أظفارها)^(٤)، المثال

(١) ابن الأثير، أسد الغابة: ٧٨/٧ ؛ العسقلاني، الاصابة: ٩٥/٨ .

(٢) عزة بنت خابل: وهي عزة بنت خابل (وقيل كامل) الخزاعية، صحابية مبايعة (ينظر: ابن الأثير، أسد الغابة: ١٩٣/٧ ؛ العسقلاني، الاصابة: ٢٣٨/٨-٢٣٩).

(٣) الطبراني، المعجم الكبير، رقم الحديث (٨٥٣): ٣٤١/٢٤-٣٤٢ .

(٤) ابن عبد البر، الاستيعاب: ٩٥٥ ؛ ابن الأثير، أسد الغابة: ٣٣٥/٧ ؛ العسقلاني، الاصابة: ٤١١/٨ .

الآخر هي السوداء بنت عاصم^(١) جاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم لتباعه فقال لها: (أنظقي فاخترني ثم تعالي حتى أبايعك)^(٢).

ب- بيعة النساء الجماعية:

هناك بيعات جماعية عديدة للنساء منها: عن عائشة بنت قدامة^(٣) أنها ذهبت مع أمها رائطة بنت سفيان^(٤) لمبايعة الرسول صلى الله عليه وسلم فقال لهن: (أبايعن علي أن لا تشركن بالله شيئاً ولا تسرقن ولا تزنيين ولا تقتلن أولادكن ولا تأتين ببهتان تفترينه بين أيديكن وأرجلكن ولا تعصينني في معروف، قالت: فأطرقن، فقال لهن الرسول صلى الله عليه وسلم: قلن فيما أستطعنن، فقلن: نعم فيما أستطعنا، فكانت عائشة تقول كما يقلن وأمها تقل لها: قولني نعم، فنقول)^(٥)، كذلك عقيلة بنت عبيد جاءت هي وأمها بريرة بنت الحارث مع مجموعة من النساء المهاجرات ليبايعن الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو ضارب عليه قبة بالأبطح

(١) سوداء بنت عاصم: هي سوداء بنت عاصم بن خالد بن صدّاد بن عبد الله بن قرط القرشية العدوية، قيل أنها السوداء أو السوداء الأسيديّة، ويمكن أن تكون هي نفسها أم عاصم السوداء (ينظر: ابن الأثير، أسد الغابة: ١٥٧/٧؛ العسقلاني، الاصابة: ١٩٥/٨؛ عمر رضا كحالة، أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، د. ط، مؤسسة الرسالة، بيروت، د. ت: ٢٦٧/٢).

(٢) الطبراني، المعجم الكبير، رقم الحديث (٧٧٠) و(٧٧١): ٣٠٣/٢٤؛ ابن عبد البر، الاستيعاب: ٩١٤.

(٣) عائشة بنت قدامة: هي عائشة بنت قدامة بن مطعون القرشية الجمحية، صحابية مبايعة تعد من أهل المدينة، وقال العسقلاني بأنها مكية لأن البيعة كانت بمكة (ينظر: ابن عبد البر، الاستيعاب: ٩٢١؛ موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي، التبيين في أنساب القرشيين، حققه وعلّق عليه: محمد نايف الدليمي، ط ١، منشورات المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٢م: ٢٩٩؛ العسقلاني، الاصابة: ٢٣٦/٨).

(٤) رائطة بنت سفيان: وهي رائطة (ريطة) بنت سفيان بن الحارث الخزاعية، زوجها قدامة بن مطعون، أسلمت وبايعت النبي صلى الله عليه وسلم (ينظر: ابن عبد البر، الاستيعاب: ٩٠٣؛ ابن الأثير، أسد الغابة: ١٠٦/٧).

(٥) مسند الإمام أحمد، رقم الحديث (٢٧٠٦٢): ٤٤/٤٤؛ الطبراني، المعجم الكبير، رقم الحديث (٨٥٧): ٣٤٤٣/٢٤-٣٤٤٤.

فأخذ عليهن شروط البيعة، فأقروا بذلك ولما بسطن أيديهن لمبايعته صلى الله عليه وسلم، قال: (إني لا أمس أيدي النساء)، واستغفر لهم وكانت تلك بيعتهم^(١).

كذلك أم عطية الانصارية^(٢) قالت: (بايعنا النبي صلى الله عليه وسلم فقرأ علينا ﴿أَنْ لَا يُشْرِكَنَّ بِاللَّهِ شَيْئًا﴾ ونهانا عن النياحة فقبضت امرأة يدها، فقالت: فلانة أسعدتني وأنا أريد أن أجزئها فلم يقل شيئاً فذهبت ثم رجعت، فما وفّت امرأة إلا أم سليم وأم العلاء وابنة أبي سبرة امرأة معاذ أو ابنة أبي سبرة وامرأة معاذ^(٣)، وعن عميرة بنت مسعود أنها دخلت على الرسول صلى الله عليه وسلم هي وأخواتها وكنّ خمساً لبياعته (فوجدنه وهو يأكل قديداً، فمضغ لهن قديداً ثم ناولهن إياها فقسمنها، فمضغت كل واحدة منهن قطعة، فلقين الله عز وجل ما وجدن في أفواههن خلوفاً، ولا اشتكين من أفواههن شيئاً)^(٤).

وروي عن أم عامر الأشهلية قولها: (جئتُ أنا ولبلى بنت الخطيم وحواء بنت يزيد بن السكن، فدخلنا عليه ونحن متلّعات بمروطنا بين المغرب والعشاء، فسلمت ونسبني فانتسبت ونسب صاحبتني فانتسبتا، فرحب بنا ثم قال: ما حاجتكن؟ قلنا: يا رسول الله جئنا نبأيعك على الإسلام فإنّ قد صدّقنا بك وشهدنا أنّ ما جئت به حقّ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الحمد لله الذي هدانا لهذا الذي كنا لنهتكم لولا أن هدانا الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني لا أصافح النساء، قولي لألف امرأة كقولي لامرأة واحدة)، كانت أم عامر تقول: (إنّا أول من بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم)، وفي رواية أن أول من

(١) الطبراني، رقم الحديث (٨٥٤): ٣٤٢/٢٤؛ أحمد بن عبدالله بن أحمد بن اسحاق بن مهران أبو نعيم الاصبهاني، معرفة الصحابة، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، د. ط، دار الوطن، د. ت: ٣٤٠٣-٣٤٠٤؛ العسقلاني، الاصابة: ٢٤١/٨.

(٢) أم عطية الأنصارية: وهي نسيبة بنت الحارث مشهورة بكنتيتها، أسلمت وبايعت الرسول صلى الله عليه وسلم وكانت من فضلاء الصحابيات لها مواقف مشرفة وشجاعة حيث كانت تغزو مع الرسول وتقاتل دفاعاً عن الدين، تعد في أهل البصرة فقد قدمت البصرة ونزلت في قصر بني خلف (ينظر: ابن الأثير، أسد الغابة: ٢٦٩/٧؛ العسقلاني، الاصابة: ٤٣٧/٨-٤٣٨).

(٣) مسند الإمام أحمد، رقم الحديث (٢٧٣٠٧): ٢٨٧/٤٥؛ البخاري، صحيح، رقم الحديث (٧٢١٥): ١٧٨٣.

(٤) أبو نعيم أحمد بن عبدالله الاصفهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، د. ط، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦م: ٧٠/٢؛ ابن الأثير، أسد الغابة: ٢٠٤/٧؛ العسقلاني، الاصابة: ٢٥١/٨.

بايع الرسول صلى الله عليه وسلم أم سعد بن معاذ، وأم عامر بنت يزيد^(١)، من المرجح أن أسماء أم عامر تقصد أنها أول من بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن هاجر إلى المدينة، من مجموعة النسوة اللاتي كنَّ معها، ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم بايع الكثير من النساء قبلها.

(١) ابن سعد، الطبقات: ١٠/١١-١٢؛ ابن عبد البر، الاستيعاب: ٩٥٧.

الخاتمة

١. أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بمبايعة النساء على التوحيد وعدم الشرك بالله عز وجل والرضا بحكم الله وشرائعه، كذلك البيعة على مكارم الأخلاق منها العفة والطهارة وعدم السرقة وعدم قتل الأولاد وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم، فهذه القيم والمبادئ تبني مجتمع سليم يقوم على دين الحق وطاعة الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم .
٢. بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء كلاماً دون مصافحتهن كالرجال، وهذا إقرار لمبدأ أساس في الدين الإسلامي بعدم جواز ملامسة الرجال النساء .
٣. كان الرسول صلى الله عليه وسلم يتعاهد صحابته الكرام نساءً ورجالاً بالبيعة وتربيتهم على المنهج النبوي الصحيح وتقوية إيمانهم للقيام بأعباء الدولة الأولى للإسلام بنفوس صافية وعقيدة صادقة .
٤. لم تُشر معظم المصادر التاريخية الى بيعة النساء بصورة واضحة كما لم تعطا الأهمية الكافية وأنها بيعة منفصلة عن بيعة الرجال حيث كان الحديث عن بيعتهن في متناول الحديث عن البيعات الشهيرة كالعقبة والرضوان وفتح مكة بينما نالت بيعة الرجال المكانة الأكبر .
٥. تعكس بيعة النساء الجوانب المشرقة والحضارية لحال النساء في الإسلام على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم.
٦. أستمرت بيعة النساء طوال العهد النبوي فكن يتعاهدن رسول الله صلى الله عليه وسلم على فترات متتالية وأماكن مختلفة أفراداً وجماعات .

ثبت المصادر

أولاً: المصادر

- ❖ ابن إسحاق، محمد بن إسحاق المطلبي (ت ١٥١هـ/٧٦٩م): السير والمغازي، تحقيق: سهيل زكار، د. م، دار الفكر، الطبعة الأولى: ١٩٧٨م.
- ❖ ابن الأثير، عزالدين أبي الحسن علي بن محمد الجزري (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م): أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق وتعليق: علي معوض وعادل أحمد الموجود، قدّم له وقّظّه: محمد عبد المنعم البري وآخرون، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية: ٢٠٠٣م.
- ❖ ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي (ت ٥٩٧هـ/١٢٠١م): زاد المسير في علم التفسير، بيروت، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى: ٢٠٠٢م.
- ❖ ابن حبيب، أبو جعفر محمد بن حبيب ابن أمية بن عمرو الهاشمي البغدادي (ت ٢٤٥هـ/٨٥٩م): المنق في أخبار قريش، صححه وعلق عليه: خورشيد احمد فاروق، بيروت، عالم الكتب، الطبعة الأولى: ١٩٨٥.
- ❖ ابن حبيب، أبو جعفر محمد بن حبيب ابن أمية بن عمرو الهاشمي البغدادي (ت ٢٤٥هـ/٨٥٩م): المحبر، أعتنى بتصحيحه: إيلزه ليختن شنتير، بيروت، دار الافاق الجديدة، د. ط: د. ت.
- ❖ ابن حنبل، أبو عبدالله احمد بن محمد بن حنبل الشيباني الوائلي (ت ٢٤١هـ/٨٥٥م): مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى: ١٩٩٧م.
- ❖ ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع الزهري (ت ٢٣٠هـ/٨٤٤م): الطبقات الكبير، تحقيق: علي محمد عمر، القاهرة، مكتبة الخانجي، الطبعة الأولى: ٢٠٠١م.
- ❖ ابن سيد الناس، أبو الفتح محمد بن محمد بن محمد اليعمري (ت ٧٣٤هـ/١٣٣٤م): عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، تحقيق: محمد السعيد الخطراوي ومحي الدين مستو، المدينة المنورة، دار التراث، د. ط: د. ت.
- ❖ ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله القرطبي النمري (ت ٤٦٣هـ/١٠٧١م): الاستيعاب، صححه وخرّج احاديثه: عادل مرشد، عمان، دار الأعلام، الطبعة الأولى: ٢٠٠٢م.
- ❖ ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبدالله الشافعي (ت ٥٧١هـ/١١٧٦م): تاريخ مدينة دمشق، دراسة وتحقيق: محبّ الدين أبي سعيد عمر بن غلامه العمروي، بيروت، دار الفكر، الطبعة الأولى: ١٩٩٨م.

بيعة النساء أهدافها وطبيعتها في عهد النبوة حنان محمد و د. ظفر عبدالرزاق

- ❖ ابن عقبة، موسى(ت ١٤١هـ/٧٥٨م): المغازي، جمع ودراسة وتحقيق: محمد باقشيش أبو مالك، د. ن، المغرب، د. ط: ١٩٩٤م.
- ❖ ابن قدامة، موفق الدين أبو محمد عبدالله بن أحمد بن محمد المقدسي(ت ٦٢٠هـ/١٢٢٣م): التبيين في أنساب القرشيين، حققه وعلق عليه: محمد نايف الدليمي، منشورات المجمع العلمي العراقي، الطبعة الأولى: ١٩٨٢م.
- ❖ ابن كثير، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر دمشقي(ت ٧٧٤هـ/١٣٧٣م): البداية والنهاية، بيروت، مكتبة المعارف، د. ط: ١٩٩١م.
- ❖ ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني(ت ٢٧٥هـ/٨٨٩م): سنن ابن ماجة، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة دار إحياء الكتب العربية، د. ط: د. ت.
- ❖ ابن منده، أبو القاسم عبدالرحمن بن محمد بن إسحاق الأصبهاني(ت ٤٧٠هـ/١٠٧٧م): المستخرج من كتب الناس والمستطرف من أحوال الناس للمعرفة، حققه وقدم له وعلق عليه: عامر حسن صبري التميمي، البحرين، د. ن، د. ط: د. ت.
- ❖ ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري البصري(ت ٢١٨هـ/٨٣٣م): السيرة النبوية، علق عليها وخرج أحاديثها وصنع فهرسها: عمر عبد السلام تدمري، بيروت، دار الكتاب العربي، الطبعة الثالثة: ١٩٩٠م.
- ❖ أبو داود، سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني(ت ٢٧٥هـ/٨٨٨م): سنن أبي داود، تحقيق وتخريج: شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل قره بللي، د. م، دار الرسالة العالمية، طبعة خاصة: ٢٠٠٩م.
- ❖ أبو نعيم الاصبهاني، أحمد بن عبدالله بن أحمد بن إسحاق بن مهران(ت ٤٣٠هـ/١٠١٣م): حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، بيروت، دار الفكر، د. ط: ١٩٩٦م.
- ❖ أبو نعيم الاصبهاني، أحمد بن عبدالله بن أحمد بن إسحاق بن مهران(ت ٤٣٠هـ/١٠١٣م): معرفة الصحابة، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، د. م، دار الوطن، د. ط: د. ت.
- ❖ البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل(ت ٢٥٦هـ/٨٦٩م): صحيح البخاري، دمشق، دار ابن كثير، الطبعة الأولى: ٢٠٠٢م.
- ❖ الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى(ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م): الجامع الكبير، تحقيق: بشار عواد معروف، بيروت، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى: ١٩٩٦م.
- ❖ تفسير ابن كثير المسمى تفسير القرآن العظيم، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية: ٢٠٠٨م.

- ❖ الحلبي، علي بن برهان الدين الشافعي (ت ١٠٤٤هـ/١٦٣٥م): السيرة الحلبية المسماة إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، تحقيق: احمد طعمة حلبي، بيروت، دار المعرفة، الطبعة الأولى: ٢٠١٢م.
- ❖ الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ/١٣٧٤م): تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، د. م، دار الكتاب العربي، د. ط: د. ت.
- ❖ الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ/١٣٧٤م): سير أعلام النبلاء، حقق نصوصه وخرّج أحاديثه وعلّق عليه: شعيب الأرنؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى: ١٩٨١م.
- ❖ الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت ٦٦٠هـ/١٢٦١م): مختار الصحاح، د. م، مكتبة لبنان، د. ط: د. ت.
- ❖ الراغب الاصفهاني، أبو القاسم الحسين محمد (ت ٥٠٢هـ/١١٠٨م): المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد سيد كيلاني، بيروت، دار المعرفة، د. ط: د. ت.
- ❖ الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد (ت ٥٣٨هـ/١١٤٣م): تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أعتنى به وخرّج أحاديثه وعلّق عليه: خليل مأمون شيحا، بيروت، دار المعرفة، الطبعة الثالثة: ٢٠٠٩م.
- ❖ الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد (ت ٣٦٠هـ/٩١٨م): المعجم الكبير، حققه وخرج أحاديثه: حمدي عبد المجيد السلفي، القاهرة، مكتبة ابن تيمية، د. ط: د. ت.
- ❖ الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ/٩٢٣م): تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مصر، دار المعارف، الطبعة الثانية: د. ت.
- ❖ الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ/٩٢٣م): تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: عبدالله بن عبد المحسن التركي، القاهرة، دار هجر، الطبعة الأولى: ٢٠٠١م.
- ❖ العسقلاني، شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م): الاصابة في تمييز الصحابة، دراسة وتحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوّض، قدّم له وقَرّظه: محمد عبد المنعم البسري وآخرون، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى: ١٩٩٥م.

بيعة النساء أهدافها وطبيعتها في عهد النبوة حنان محمد و د. ظفر عبدالرزاق

- ❖ القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت ٦٧١هـ/١٢٧٣م): الجامع لإحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى: ٢٠٠٦م.
- ❖ القسطلاني، أحمد بن محمد (ت ٩٢٣هـ/١٥١٧م): المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، تحقيق: صالح احمد الشامي، بيروت، المكتب الاسلامي، الطبعة الثانية: ٢٠٠٤م .
- ❖ القنوجي، أبو الطيب صديق بن حسن بن علي الحسيني البخاري (ت ١٣٠٧هـ/١٨٩٠م): حسن الأسوة بما ثبت من الله ورسوله في النسوة، حققه وعلّق عليه: مصطفى سعيد الخن ومحبي الدين مستو، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية: ١٩٨١م .
- ❖ الكاندهلوي، محمد يوسف (ت ١٣٨٤هـ/١٩٦٥م): حياة الصحابة، حققه وضبط نصه وعلّق عليه: بشار عواد معروف، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى: ١٩٩٩م.
- ❖ محب الدين الطبري، أحمد بن عبدالله (ت ٦٩٤هـ/١٢٩٥م): السمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين، تحقيق ومراجعة وتعليق: محمد علي قطب، القاهرة، دار الحديث، د. ط: د. ت.
- ❖ مسلم بن الحجاج، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ/٨٧٤م): صحيح مسلم، تحقيق: أبو قتيبة نظر بن محمد الفاريابي، دار طيبة، الطبعة الأولى: ٢٠٠٦م.
- ❖ المقرئ، أحمد بن محمد بن علي الفيومي (ت ٧٧٠هـ/١٣٦٨م): المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، تحقيق: عبد العظيم الشناوي، القاهرة، دار المعارف، الطبعة الثانية: د. ت.
- ❖ النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب (ت ٣٠٣هـ/٩١٥م): السنن الكبرى، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، أشرف عليه: شعيب الأرنؤوط، حققه وخرّج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى: ٢٠٠١م .
- ❖ الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر (ت ٨٠٧هـ/١٤٠٥م): مجمع الزوائد ومنبع الفوائد بتحرير الحافظين الجليلين: العراقي وأبن حجر، بيروت، دار الكتاب العربي، د. ط: د.

ثانياً: المراجع

- ❖ البوطي، محمد سعيد رمضان: فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة، بيروت، دار الفكر، الطبعة العاشرة: ١٩٩١م.
- ❖ جمعة، أحمد خليل: بيعة النساء في القرآن والسيرة، دمشق، اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى: ٢٠٠٥م.
- ❖ العالمي، زينب بنت علي بن حسين فواز: معجم أعلام النساء المسمى الدر المنثور في طبقات ربّات الخدور، تحقيق: منى محمد زياد الخراط، الرياض، مكتبة التوبة، الطبعة الأولى: ٢٠٠٠م.
- ❖ كحالة، عمر رضا: أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، بيروت، مؤسسة الرسالة، د. ط. د. ت.

العلوم التي اشتهرت بها أسرة عمرو بن حزم... شيماء نافع ود. نهال خليل

العلوم التي اشتهرت بها أسرة عمرو بن حزم بن زيد الخزرجي

The sciences for which the family of Amr bin Hazm bin Zaid Al-Khazraji was famous

Shaima Nafeh sadiq

شيماء نافع صديق

Dr. Nihal Khalil Al-Sharabi

د. نهال خليل الشرابي

Professor

أستاذ

University of Mosul- College
of Education Human Science

جامعة الموصل - كلية التربية للعلوم
الإنسانية

nafeashima@gmail.com

تاريخ القبول
٢٠٢١/٩/٢٠

تاريخ الاستلام
٢٠٢١/٨/٢٣

الكلمات المفتاحية: العلوم - عمرو بن حزم - سيرة عمرو - حلقة آل حزم

Keywords: Science - Amro bin Hazm - Biography of Amro - Al Hazm Circle

الملخص

تعد هذه الاسرة من الاسر التي نشأت في بيوت الانتصار اتسمت بالعلم والمعرفة فكانوا رواة للحديث الشريف والسير والمغازي وتقلدوا المناصب الادارية منها ولاية عمرو بن حزم على نجران وبعث معه كتاب نبوي فيه الكثير من الاحكام ومقدار الصدقات والديات ومن بعده ابناءؤه واحفاده فكان لهم دور كبير في تولي قضاء المدينة وايضا في مسالة جمع وتدوين الحديث في عصر الخليفة عمر بن عبد العزيز الذي امر أحد ابناء هذه الاسرة بجمع الحديث من الرواة وامتازت هذه الاسرة بحلقة لهم في المسجد سميت حلقة (ال حزم) فكانوا يفقهون الناس بتعاليم الدين الاسلامي من خلالها.

Abstract

This family was considered one of the families that grew up in the homes of the Ansar and was characterized by science and knowledge, so they were narrators of the noble hadith, the biography and the Maghazis, and they held administrative positions, including the mandate of Amr bin Hazm on Najran. Madinah district and also in the matter of collecting and transcribing hadith in the era of Caliph Omar bin Abdul Aziz, who ordered one of the sons of this family to collect hadith from the narrators.

المقدمة

تميز ابناء اسرة عمرو بن حزم بالعلم والمعرفة حيث نشأ ابناء هذه الاسرة نشأة علمية ودينية تمثلت بعمرو بن حزم واسرته التي كانت تعرف بالرقية قبل دخولهم الاسلام فعندما دخلوا الاسلام سمح لهم النبي بان يستمروا برقاهاهم كذلك عرفوا بحلقة كانت تنسب لهم في المسجد تعرف بحلقة ال حزم حيث كانوا يعلمون الناس تعاليم الدين الاسلامي ايضا عرفوا بالقضاء فكان اغلب ابنائها قضاة للمدينة وتميزوا ايضا في رواية الاحاديث والسير والمغازي فكان عمرو بن حزم ممن روى الحديث عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم وبعثه النبي (ﷺ) لولاية نجران فكان لهذه الاسرة الدور الكبير في نشر تعاليم الدين الاسلامي.

رواية الحديث والسيرة النبوية لأسرة عمرو بن حزم بن زيد الخزرجي.

أ- دور أسرة عمرو بن حزم في رواية ونقل الحديث النبوي الشريف:

يعد الحديث النبوي الشريف من العلوم النقلية التي اشتهرت بها أسرة عمرو بن حزم، فكان لهم دور كبير في رواية الحديث ونقله، فقد تنوعت الأحاديث في مضامينها، فمنها الديني والاجتماعي والاقتصادي والسياسي^(١).

فعلم الحديث: هو علم يشمل اقوال النبي (ﷺ) وأفعاله ورواياته بضبطها وتحريروا ألفاظها، حيث بدأ التدوين للحديث في مطلع القرن الثاني الهجري فكان تدوينه دون نظام أو ترتيب، ففي العصر الأموي ازداد الاهتمام بالعلوم الشرعية حيث أمر الخليفة عمر بن عبد العزيز أن يدون الحديث بشكل منظم ومرتب^(٢) فبعث إلى عامله في المدينة وهو أبو بكر بن محمد بن حزم "أن انظر ما كان من حديث رسول الله (ﷺ) وسننه فأكتبه فإني خفت دروس العلم وذهاب العلماء"^(٣)، ومنذ ذلك الحين بدأ اهتمام المسلمين بتدوين الأحاديث النبوية الشريفة وظهر الكثيرون ممن دونوا الحديث، ولقد عرف أن لأسرة عمرو بن حزم حلقة في المسجد^(٤)، ويبدو أن هذه الحلقة كانت خاصة بهم لتعليم الشرائع الدينية فيها كون ابنائها كلهم فقهاء ورواة للحديث.

وممن روى الحديث من صحابة رسول الله (ﷺ) من هذه الأسرة هو:

١- عمرو بن حزم

سماعه وتلاميذه

وهو أحد صحابة النبي (ﷺ) حيث روى الحديث عنه^(٥) وروى عنه النضر بن عبد الله السلمي، وزيايد بن نعيم، وابنه محمد، وأمراته سودة بنت حارثة^(٦).

(١) ابن خلدون، تاريخ: ٥٥٠/١.

(٢) محمد بن محمد الماتريدي، تفسير الماتريدي، تحقيق: مجدي باسوم، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م: ٦٢/١.

(٣) ابن سعد، الطبقات: ٢/٢٩٥؛ الصلابي، الدولة الأموية: ٢/٢٦٩؛ حمادة، أعلام السيرة: ٣/١.

(٤) ابن عبد البر، التمهيد: ١٥٥/١٧.

(٥) أبو الحسين عبد الباقي ابن قانع، معجم الصحابة، تحقيق: صلاح بن سالم المصراطي، ط١، مكتبة الغرباء الاثرية، المدينة المنورة، ١٤١٨هـ: ٢/٢٠٠؛ الأصبهاني، معرفة الصحابة: ٤/١٩٨١؛ المزي، تهذيب الكمال: ٢٩/٣٨٩؛ العسقلاني، تهذيب التهذيب: ٨/٢٠؛ العيني، مغاني الاخير: ٣/١١٩.

(٦) الأصبهاني، معرفة الصحابة: ٤/١٩٨٠؛ ابن عبد البر، الاستيعاب: ٣/١١٧٣؛ ابن سناك، تاريخ دمشق: ٤٥/٤٧١؛ الذهبي، تاريخ الاسلام: ٤/١٤٦.

رواياته:

عن زياد بن نعيم ابن حزم، أما عمرو أو عمارة بن حزم، أنّ النبي (ﷺ) رآه متكئاً على قبر فقال له: "انزل من القبر لا تؤذي صاحب القبر ولا يؤذيك"^(١).
ووفد عمرو بن حزم على الخليفة معاوية بن أبي سفيان فقال له "سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: إنّ الله لم يسترح عبداً رعيته إلا هو سائله عنها"^(٢) وقد روى لعمرو بن العاص حديثاً "يقتل عماراً الفئة الباغية"^(٣).

٢ - أخوة

أ - عمارة بن حزم

سماعه وتلاميذه

روى عن النبي (ﷺ) حديثاً وروى عن أبي بن كعب وغيره وروى عنه أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم^(٤).

رواياته:

عن عبد الله بن أبي بكر، عن يحيى بن عبد الله وعن عمارة بن حزم قال حدثني أبي بن كعب "أنّ رسول الله (ﷺ) بعثه مُصدقاً، فذكر نحو حديث أبي وزاد فيه، قال عمارة "وقد وليت صدقاتهم في زمن معاوية، فأخذت من ذلك الرجل ثلاثين حقة لألف وخمس مائة بغير عليه"^(٥).

وعن عمارة بن حزم قال "رأني رسول الله (ﷺ) جالساً على قبر وقال في مكان آخر إنّ ابن حزم أما عمرو أو عمارة" قال: رأني رسول الله (ﷺ) وأنا متكئ على قبر فقال "انزل من القبر لا تؤذي صاحب القبر ولا يؤذيك"^(٦).

(١) بن حنبل، مسند الإمام أحمد: ٤٧٥/٣٩؛ ابن كثير، جامع المسانيد والسنن الهادي لاقوم

سنن، تحقيق: عبد الملك بن عبد الله الدهيش، ط٢، دار خضر للطباعة، بيروت،

١٩٩٨م: ٢٩٦/٦؛ ابن الأثير: أسد الغابة: ٢٠٢/٤.

(٢) أبو يعلى أحمد الموصلي، مسند أبي يعلى، تحقيق: حسين سليم اسد، ط١، دار المأمون

للتراث، دمشق، ١٩٨٤م: ١٢١/١٣؛ العسقلاني، تهذيب التهذيب: ٢١/٨.

(٣) ابن كثير، جامع المسانيد: ٨١/٩؛ النيسابوري شرق المصطفى: ٦١/٦؛ ابن الأثير، أسد

الغابة: ٢٠٢/٤؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة: ٥١٢/٤.

(٤) ابن حبان، الثقات: ٢٤١/٥؛ أبو الفداء الحنفي، الثقات: ٢٥٩/٧؛ ابن منظور، مختصر:

١٩٩/١٨.

(٥) بن حنبل، مسند أحمد: ٢٠٣/٣٥.

(٦) المصدر نفسه: ٤٧٥/٣٩؛ ابن كثير، جامع المسانيد: ٢٩٦/٦.

ب- أولاده

١- محمد بن عمرو بن حزم

سماعه وتلاميذه

روى الحديث عن أبيه وعمرو بن العاص وغيرهم (رضي الله عنهم) وروى عنه ابنه أبو بكر، وعمرو بن أفلح وغيرهم^(١).

رواياته

حدثنا عبد الله بن مسلمة عن مالك بن محمد بن عمارة بن عمرو بن حزم عن محمد بن ابراهيم عن أم ولد لإبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف بأنها جاءت تسأل أم سلمة زوجة النبي (ﷺ) فقالت "إني امرأة أطيل ذيلي وأمشي في المكان القذر فقالت أم سلمة، قال رسول الله (ﷺ): يطهره ما بعده"^(٢).

٢- عمارة بن عمرو بن حزم

سماعه وتلاميذه

روى عمارة بن عمرو بن حزم عن عبد الله بن عمرو، وأبي بن كعب وروى عنه أبو حازم الاعرج، ويحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة^(٣).

رواياته:

قال عمارة بن حزم، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، إن الرسول محمد (ﷺ) قال "يوشك أن يأتي زمان تغربل فيه الناس غريلة وتبقى حثالة من الناس قد مَرَجَت عهودهم

(١) ابن ابي حاتم، الجرح والتعديل: ٢١٢/٧؛ الذهبي، تاريخ الاسلام: ٢٢٣/٥؛ الخرجي، خلاصة: ٣٥٣/١.

(٢) أبو داوود سليمان بن اسحاق، سنن ابي داوود، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، (د.ت): ١٠٤/١؛ الخطابي، معالم السنن: ١١٨/١؛ محمد بن عيسى الترمذي، الجامع الكبير = سنن الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ١٩٩٨م: ٢٠٩/١.

(٣) ابن عساکر، تاريخ دمشق: ٣١٧/٤٣؛ المزي، تهذيب الكمال: ٢٥٥/٢١؛ الذهبي، الكاشف: ٥٤/٢؛ السخاوي، التحفة اللطيفة: ٣١٣/٢؛ الخرجي، خلاصة: ٢٨٠/١.

واماناتهم واختلفوا فكانوا هكذا^(١) فشبك بين أصابعه فقالوا له يا رسول الله كيف بنا فقال
"تأخذون ما تعرفون وتذرون ما تتكرون، وتقبلون على أمر خاصتكم، وتذرون أمر عامتكم"^(٢).
ت- احفاده

١- أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم

ذكرت المصادر التاريخية الجهود التي قام بها أبو بكر بن حزم في مسألة تدوين
الحديث وجمعه حيث ذكر أنّ الخليفة عمر بن عبد العزيز أوكل إلى أبي بكر بن حزم أن يبدأ
بجمع الحديث ويدونه، لخوف الخليفة على هذا العلم من أن يرفع، فقام أبو بكر بن حزم بجمع
الأحاديث الموجودة عند أهل المدينة وبدأ بعمره بنت عبد الرحمن التي روت الحديث عن
السيدة عائشة (رضي الله عنها) زوجة النبي (ﷺ)^(٣).

سماعه وتلاميذه

روى عن عباد بن تميم، وعبد الله بن قيس بن مخزومة، وسلمان الأغر، وعمرو بن
سليم الزرقني، وغيرهم كثير، وروى عن خالته عمرة بنت عبد الرحمن وروى عنه ابنه محمد
وعبد الله، وافلح بن حميد والمسعودي، والاوزاعي وآخرون^(٤).

رواياته:

عن يزيد بن الهاد، عن أبي بكر بن محمد بن حزم عن عباد بن تميم عن عبد الله
بن زيد أنه سمع الرسول (ﷺ) يقول "ما بين منبري وبيتي روضة من رياض الجنة"^(٥).

(١) أبو داود، سنن: ١٢٣/٤؛ الطحاوي، شرح مشكل الآثار، تحقيق: شعيب الأرنؤوط،
ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٩٤هـ: ٢١٧/٣؛ الطبراني، المعجم الكبير: ١٠/١٣؛ ابن
عساکر، تاريخ دمشق: ٣١٨/٤٣.

(٢) ابن البيع، المستدرک: ١٧١/٢؛ السيوطي، الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى جامع
الصغير، تحقيق: يوسف النبهاني، ط١، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٣م: ٤١٠/٣.

(٣) الفسوي، المعرفة والتاريخ: ٦٤٥/١.

(٤) مسلم بن الحجاج القشيري، الكنى والاسماء، تحقيق: عبد الرحيم محمد القشيري، ط١،
الجامعة الاسلامية، المدينة المنورة، ١٩٨٤م: ١٣٥/١؛ الذهبي، تاريخ الاسلام: ٥١١/٧؛
ابن كثير، البداية والنهاية: ٩٠/٥؛ السيوطي، طبقات الحفاظ، ط١، دار الكتب العلمية،
بيروت، ١٤٠٣هـ: ٩١/١؛ الخزرجي، خلاصة: ٤٤٥/١.

(٥) ابن حنبل، مسند أحمد: ٣٨٥/٢٦؛ مسلم، المسند الصحيح، المختصر بنقل العدل عن
العدل إلى رسول الله (ﷺ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي،
بيروت، (د.ت): ١٠١٠/٢؛ ابن خيثمة، التاريخ الكبير: ٣٧/١-٢٥٨؛ الطحاوي، شرح
مشكل: ٣٢٠/٧.

وعن الزهري عن أبي بكر بن حزم وعن أبيه وجده أنّ النبي (ﷺ) كتب إلى أهل المدينة "إلّا يَمِسُ القرآنُ إلّا طاهراً ولا طلاق قبل نكاح، ولا عتاق حتى يباع"^(١).

أ- عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم.

سماعه وتلاميذه

سمع من الزهري، وأنس بن مالك، وعروة بن الزبير وغيره من المشايخ الكبار، وروى عنه مالك بن أنس، والثوري، والزهري وغيرهم^(٢).

رواياته

عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم عن أبيه عن عمرو بن سليم الزرقني قال بأنه أخبره أبو حميد الساعدي بأنهم قالوا "يا رسول الله كيف نصلي عليك؟ فقال: قولوا: اللهم صل على محمد وازواجه الطاهرين وذريته كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وازواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم، انك حميد مجيد"^(٣).

(١) مالك، الموطأ: ٢/٢٧٨؛ أبو محمد عبد الله الدارمي، سنن الدارمي، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، ط١، دار المغني، السعودية، ٢٠٠٠م: ٣/١٤٥٥؛ ابن خيثمة، التاريخ الكبير: ٢/٦٨٥؛ الطبراني، المعجم الكبير: ١٢/٣١٣.

(٢) البخاري، التاريخ الكبير: ٥/٥٤؛ ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل: ٥/١٧؛ السخاوي، التحفة اللطيفة: ٢/٢٣؛ السيوطي، اسعاف المبتأ: ١/١٥؛ الخزرجي، خلاصة: ١/١٩٢؛ فاروق بن محمود بن حسن حمادة، أعلام السيرة النبوية في القرن الثاني الهجري، مجمع الملك فهد، المدينة المنورة، (د.ت): ١/١١؛ أكرم بن محمد الفالوجي الاثري، المعجم الصغير لرواة الإمام ابن جرير الطبري، تقديم: علي حسن عبد الحميد الأثري، الدار الأثرية، الأردن، (د.ت): ٢/٦٨١؛ محمود ياسين أحمد التكريتي، عبد الله بن ابي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الانصاري (ت: ١٣٠-١٣٥هـ/٧٤٧-٧٥٢م) وكتابه التاريخية في السيرة والمغازي مجلة آداب الرافدين، جامعة الموصل، كلية الآداب، ٦ع، ١٩٧٥م: ١٦٢.

(٣) ابن مالك، موطأ: ١/١٦٥؛ ابن حنبل، مسند أحمد: ٣٩/١٣؛ البخاري، صحيح: ٤/١٤٦؛ مسلم، صحيح: ١/٣٠٦؛ ابي داود، سنن: ١/٢٥٧؛ النسائي، السنن الكبرى: ٢/٧٦.

ب- محمد بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم

سماعه وتلاميذه

روى الحديث عن أبيه وعن عمرة بنت عبد الرحمن وروى عنه السفينان، وشعبه^(١).

رواياته:

عن محمد بن أبي بكر بن حزم، عن أبيه، عن أبي النضر السلمي، قال رسول الله (ﷺ) "لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فيحتسبهم إلا كانوا له جنة من النار"^(٢).
وعن محمد بن أبي بكر بن حزم عن أبيه وعن عبد الرحمن بن عثمان وعن زيد بن خالد الجهني قال: قال رسول الله (ﷺ) "خير الشهادة من شهد بها صاحبها قيل أن يسألها"^(٣).
وعن محمد بن أبي بكر بن حزم عن أبيه وعن عمرة بنت عبد الرحمن وعن عائشة (رضي الله عنها)، قالت: قال الرسول (ﷺ) "أفيلوا على نوي الهيئات عنراتهم إلا حداً من حدود الله"^(٤).

١- عبد الملك بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم

سماعه وتلاميذه

روى الحديث عن أبيه وعمه عبد الله، ويحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن^(٥) وروى عنه، شريح بن النعمان، وعبد الله بن صالح العجلي، وابن وهب وابن اسحاق^(٦).

رواياته

عن عبد الملك بن محمد بن أبي بكر بن حزم عن أبيه وجده أن عمرو بن حزم قال "كتب رسول الله (ﷺ) لجنادة بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد (ﷺ) لجنادة وقومه

(١) ابن الأثير، جامع الأصول: ٨٧٣/١٢؛ السخاوي، التحفة اللطيفة: ٤٦٣/٢؛ السيوطي،

اسعاف المبطل: ٢٥/١؛ الخزرجي، خلاصة: ٣٢٩/١.

(٢) مالك، الموطأ: ٣٣٠/٢؛ ابن عبد البر، الاستنكار: ٧٧/٣؛ التمهيد لما في الموطأ: ٨٦/١٣.

(٣) ابن حنبل، المسند: ٢٩٤/٢٨.

(٤) البيهقي، السنن: ٣٤٨/٣.

(٥) البخاري، التاريخ الكبير: ٤٣٢/٥؛ ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل: ٣٦٩/٥؛ ابن حبان،

الثقات: ١١٠/٧؛ الدار قطن، المؤلف والمختلف، تحقيق: موفق بن عبدالله بن عبد

القادر، ط١، الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٦م: ٧٠٨/٢؛ الذهبي، تاريخ الاسلام:

١٣٦/١١؛ الخزرجي، خلاصة: ٢٤٣/١.

(٦) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ١٥٥/١٢؛ الذهبي، تاريخ الاسلام: ٢٥٠/١١؛ أبو

الفداء الحنفي، الثقات: ٤٦٤/٦.

ومن اتبعه بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وإطاعة الله ورسوله، وأعطاء من المغنم الخمس، وفارق المشركين فإن له ذمة الله وذمة محمد^(١) قال عبد الملك بن محمد بن حزم عن عبد الله بن أبي بكر، عن عمره عن عائشة (رضي الله عنها) قالت قال رسول الله (ﷺ) "تؤخذ صدقات أهل البادية على مياهم بأفئنتهم"^(٢).

٢- عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم

سماعه وتلاميذه

روى الحديث عن أبيه محمد وروى عنه الواقدي، ويحيى بن حسان، وعطاف بن

خالد^(٣).

رواياته:

قال عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن حزم عن أبيه، وعن عمرة وعن عائشة

(ﷺ) قالت: قال رسول الله (ﷺ) "أقبلوا ذوي الهيئات عثراتكم"^(٤).

ب- السّير والمغازي

نعرف السّيرة لغة: بأنها أخذت من سار، يسير، وتعني الحالة أو الطريقة أو الهدى

أو المنهاج الذي يسير عليه الإنسان، حيث يقال سار فيهم سيرة حسنة، أو سار على هديه^(٥).

(١) ابن كثير، جامع المسانيد: ٢/٢٠٩.

(٢) البيهقي، السنن الكبرى: ٤/١٨٥.

(٣) البخاري، التاريخ الكبير: ٥/٣٤٤؛ ابن حبان، الثقات: ٨/٣٧٢؛ المزي، تهذيب الكمال:

١٧/٣٨٤؛ الذهبي، الكاشف: ١/٦٢٢؛ العسقلاني، لسان الميزان، تحقيق: دائرة المعارف

النظامية، الهند، ط٢، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٩٧١م: ٧/٢٨٤؛ الخزرجي، خلاصة:

١/٢٣٤.

(٤) النسائي، السنن: ٦/٤٦٨؛ الذهبي، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق: علي محمد

البخاري، ط١، دار المعرفة، بيروت، ١٩٦٣م: ٢/٥٨٦.

(٥) نشوان بن سعيد الحميري، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحقيق: حسين بن

عبد الله العمري وآخر، ط١، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩٩: ٥/٣٢٩٠؛ محمد بن

عبد الله بن مالك الجبائي، اكمال الاعلام بتتليث الكلام، تحقيق: سعد بن حمدان

الغامدي، ط١، جامعة ام القرى، مكة المكرمة، ١٩٨٤م: ٢/٣١٨؛ الزبيدي، تاج العروس:

٩/٣٦٤.

أمّا تعريف السيرة إصطلاحاً: فهي ذكر أحداث حياة الرسول (ﷺ) من مولده إلى وفاته وكلّ ما يتعلّق بذلك من شخوص ووقائع مع مراعاة الترتيب الزمني لها (١).

امتازت مرحلة تدوين السيرة النبوية بالسند المتصل بالصحابة الذين شاركوا النبي (ﷺ) في تفاصيل أيامه ومواقفه فلم تدون في تلك الفترة بل بقيت شفوية (٢) والسبب في ذلك أنّ الصحابة الذين عاصروا النبي كانوا شاهدين على تلك الأحداث، وأيضاً هم جزء من تلك الأحداث فلم تكن هناك حاجة في كتابة وتدوين السيرة، ولكن بوفاة الصحابة (رضي الله عنهم) وظهور التابعين الذين لم يشهدوا وقائع الرسول (ﷺ) هنا بدأت الحاجة لتدوين السيرة النبوية التي لم يشهدها التابعون، فكان كلُّ ما عرف عن السيرة يتمُّ نقله شفاهاً عن طريق الصحابة (٣).

فكانت الأنتظار متجهة صوب المدينة والسبب يعود لوجود العلماء هناك من ابناء الصحابة حيث نقل عنهم الكثير، وعُد كبار التابعين الذين دونوا للسيرة واصبحوا أحد مصادرها المهمة هم ابناء الصحابة (٤) وقد أخذت السيرة النبوية مصادرها من القرآن الكريم، وكتب الحديث النبوي (٥).

وأنّ الغرض من دراسة السيرة النبوية هو أن يتصوّر المسلم حقيقة حياة النبي (ﷺ) لفهم شخصيته، وحياته الشخصية، لذا جعله الله قدوة حسنة للإنسانية جمعاء (٦). ويرز من أسرة عمرو بن حزم أحد أحفاده وهو عبد الله بن أبي بكر حيث تميّزت هذه الأسرة بالعلم والمعرفة ورواية الحديث، فتعدّ أحد مصادر السيرة النبوية الشريفة وأحد أعلامها، فكان من أوائل الرواة للحاديث التي تتعلّق بسيرة النبي (ﷺ) فقد عدّه الذهبي من أصحاب المغازي

(١) زين الدين أبو عبد الله محمد الرازي، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط٥، الدار النموذجية، بيروت، ١٩٩٩م: ١/١٥٩؛ مجد الدين أبو طاهر محمد الفيروزبادي، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط٨، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠٥م: ١/٤١٢؛ ايوب بن موسى أبو البقاء، الكليات، تحقيق: عدنان درويش وآخر، مؤسسة الرسالة، (د.ت): ١/٥١٤.

(٢) ابن هشام، السيرة: ٥؛ عبد اللطيف، أوائل المؤلفين في السيرة النبوية، (د.م) (د.ت): ١/١٥.

(٣) ينظر: البوطي، فقه السيرة: ١/١٧.

(٤) ينظر: عبد اللطيف، أوائل المؤلفين: ١/١٦.

(٥) ينظر: الطهطاوي، نهاية الايجاز: ١/٤؛ البوطي، فقه السيرة: ١١/١٩.

(٦) ينظر: سليمان الندوي الحسيني، الرسالة المحمدية، ط١، دار ابن كثير، دمشق، ١٤٢٣هـ: ١/١٧٨.

فكلُّ الأحاديث التي جمعها عُدَّت النواة الأولى التي اعتمدها كتاب السيرة^(١)، فكانت زوجته فاطمة بنت عمارة راوية للحديث فقد روت عن عمرة بن عبد الرحمن^(*) وعن السيدة عائشة أم المؤمنين وأحدى زوجات النبي (ﷺ) فكانت أحدى مصادرهِ، ولقد نقل عنه روايات السيرة النبوية ابن اسحاق الواقدي وأكثرُوا منها حيث اشتملت على كلِّ ما روي في حياة الرسول (ﷺ) من بدء حياته إلى وفاته ثم أخبار حروب الردة^(٢).

فقد روى الحديث عن أنس بن مالك، وعروة بن الزبير، وطائفة كبيرة من العلماء، وروى عنه الكثير من الأئمة والعلماء منهم الزهري، والسقيانان، ومعمر بن راشد وغيرهم كثير، وهو أحد الثقات، كثير الحديث في السير والمغازي وبالرغم من كثرة مروياته إلا أنه لم يصلنا كتاب وأحد فيه تأليفه في المغازي والسير^(٣).

ت- رقية أسرة عمرو بن حزم الخزرجي

تُعرف الرقية لغةً: هي بضم الراء، حصد، أخذ من مادة الراء والقاف والحرف المعتل، ومعنى (رقى)، وهي الارتفاع والصعود اي رقى الشيء رقياً وارتفاعاً، وترقى صعوداً^(٤). والرقية اصطلاحاً: هي العوذة، بضم العين ما يرقى به من الدعاء لطلب الشفاء وهي الوسيلة التي يصعد بها المريض، ويتحول من المرض إلى الشفاء، ورقاني رقياً إذا قام بالتنقيط في عودته^(٥).

(١) ينظر: حمادة، أعلام السيرة: ١/١٣٠.

(*) عمرة بنت عبد الرحمن: هي عمرة بنت اسعد بن زرارة بن ثعلبة بن غنم من بني النجار روت الحديث عن السيدة عائشة (رضي الله عنها) وروى عنها الكثير منهم عبد الله بن ابي بكر وزوجته فاطمة، وغيرهم، تربت في حجر السيدة عائشة (رضي الله عنها) هي واخواتها. ينظر: ابن سعد، الطبقات: ٨/٣٥٠؛ الخزرجي، خلاصة تذهيب: ١/٤٩٤؛ الزركلي، الاعلام: ٥/٧٢.

(٢) الواقدي، المغازي: ٢٣؛ عبد اللطيف، السيرة النبوية: ١/٢٨؛ حمادة، أعلام السيرة: ٥/١.

(٣) ينظر: حمادة، أعلام السيرة: ١/١٢.

(٤) الطبري، التفسير: ١٧/٧٣؛ أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٩٧٩م: ٢/٤٢٦؛ ابن منظور، لسان العرب ١٤/٣٣١؛ سعدي أبو حبيب، القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً، ط٢، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٣م: ١/١٥٢؛ فادي أحمد أبو دواية، آيات الرقية الشرعية (دراسة قرآنية موضوعية)، رسالة منشورة، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية، غزة، ٢٠١٢م: ٢.

(٥) بن سيدة المرسي، المخصّص، تحقيق: خليل ابراهيم جفال، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٦م: ٤/٢١؛ ابن الأثير، النهاية: ٢/٢٥٤.

ولقد عرفت الرقية قبل الإسلام، فبقدم النبي (ﷺ) للمدينة كانت الرقى يعالج بها المرضى وفيها الكثير من كلام الشرك (١).

ورد عن جابر بن عبد الله (رضي الله عنه) قائلاً "تهى رسول الله (ﷺ) عن الرقى فجاء آل عمرو بن حزم إلى رسول الله (ﷺ) فقالوا يا رسول الله، أنه كان عندنا رقية نرقي بها من العقرب وانك نهيت عن الرقى، قال: فعرضوها علي، فقال: ما أرى بأساً من استطاع أن ينفع أخاه فلينفعه" (٢) ولقد جوّز العلماء الرقية بشرط أن تكون بكلام الله وبالقُرآن الكريم آياته وأسمائه وصفاته، من دون إشراك أو سحر أو تعاويذ (٣)، فعن عمران بن الحصين عن النبي (ﷺ) قال: "لا رقية إلا من عين" (٤).

ولقد كان لأسرة عمرو بن حزم رقية خاصة بهم من اللدغة، فيذكر ابن عساكر، عن سهل بن أبي حنمة قال لدغ رجلٌ منا بحرة الأفاعي، فدعي له عمرو بن حزم برقية، فأبى أن يرقيه حتى جاء النبي (ﷺ) فاستأذنه فقال اعرضها عليّ فعرضها عليه فأذن له فيها (٥). وعن جابر أنّ عمرو بن حزم دُعي ليرقي امرأة في المدينة لدغتها حية فرفض ذلك، فلما سمع النبي (ﷺ) استدعاه، فقال له عمرو بن حزم أنه قد نهينا عن الرقية، فطلب النبي (ﷺ) أن يقرأها عليه، فلما سمعها، قال (ﷺ) "لا بأس بها إنّما هي موثيق فارق بها" (٦).

(١) أبو محمد عبد الله بن وهب، الجامع في الحديث لابن وهب، تحقيق: مصطفى حسن أبو الخير، ط ١، دار ابن الجوزي، الرياض، ١٩٩٥م: ١/٧٧٨.

(٢) أبو سليمان محمد بن محمد الخطابي، معالم السنن، ط ١، المطبعة العلمية، حلب، ١٩٣٢م: ٣/١٠١.

(٣) ابن حنبل، مسند أحمد: ٤/٢٦٢؛ محمد اسماعيل البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله (ﷺ) وسننه وإيامه صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير الناصر، ط ١، دار طوق النجاة (د.م): ٧/١٢٦؛ معالم السنن: ٤/٢٢٦؛ سليمان بن عبد الله بن محمد، تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، تحقيق: زهير شاويش، ط ١، المكتب الاسلامي، بيروت، ٢٠٠٢م: ١/١٣٢.

(٤) ابن عبد البر، التمهيد: ٢٣/١٥٨.

(٥) تاريخ دمشق: ٣٤/٤٢٣؛ ابن الجوزي، زاد المعاد في هدي خير العباد، ط ٢٧، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٤م: ٤/١٧٠.

(٦) ابن وهب، الجامع في الحديث: ١/٧٧٩.

وتبين من هذا الحديث أنّ الرقية التي كانت ترقى بها هذه الأسرة هي كلام ليس فيه شرك بالله، فلو كان فيه إشراك بالله لما سمح لهذه الأسرة أن ترقى بها. وايضاً عرفت هذه الأسرة برقيتها من الحمى حيث عرض عمارة بن حزم رقيه على النبي (ﷺ) فأذن بها (١). حدثنا مالك بن يحيى بن سعيد، وعن سليمان بن يسار أنّ عروة بن الزبير حدثه عن الرسول (ﷺ) أنه دخل على أم سلمة في بيتها فرأى عندها صبياً يبكي، فسأل عن سبب بكائه فقالوا له إنّ العين أصابته، فقال لهم الرسول (ﷺ) بأن يسترقوا له من العين (٢). ويذكر أنّ خالدة بنت أنس وهي والدة عمرو بن حزم كانت ترقى فعن ابن ادريس عن محمد بن عمارة بن أبي بكر بن حزم " إنّ خالدة بنت أنس أم بني حزم الساعدية جاءت إلى النبي (ﷺ) فعرضت عليه الرقى فأمر بها (٣)."

يتبين من الحديث أنّ خالدة أم عمرو بن حزم أيضاً كانت راقية قبل الإسلام، ولأسرة عمرو بن حزم رقية خاصة بهم عرفوا بها فلما دخول في الإسلام، عرضوا الرقية التي كانوا يرقون بها الناس قبل دخولهم الإسلام، فلم يجد الرسول (ﷺ) فيها شرك لذلك فقد سمح لهم بأن يستمروا بالرقية ومساعدة الناس في ذلك، ويبدو أنّ الرقية التي استخدمتها هذه الأسرة كلمات ليس فيها شرك فلو كان فيها شرك لما سمح لهم النبي (ﷺ).

ث - القضاء

القضاء لغة: أخذت من قضى، يقضى، قضاء، وهو الحكم والفصل والقضاء هو عمل يختص به القاضي (٤).

والقضاء اصطلاحاً: هو اظهار حكم الشرع في الحوادث، فيمن تجب عليه (٥).

- (١) أبو الحسن علي ابن بطال، شرح صحيح البخاري، تحقيق: أبو تميم ياسر بن ابراهيم، ط٢، مكتبة الرشد، الرياض، ٢٠٠٣: ٤٣٢/٩؛ ابن عبد البر، الاستذكار: ٤٠٦/٨؛ العسقلاني، فتح الباري: ١٧٣/١٠؛ الزرقاني، شرح: ٥٢١/٤.
- (٢) ابن عبد البر، الاستذكار: ٤٠٤/٨.
- (٣) الأصبهاني، معرفة الصحابة: ٣٣٢٠/٦؛ ابن عبد البر، الاستيعاب: ١٨١٦/٤؛ ابن الأثير، أسد الغابة: ٧٩/٧؛ المزني، تهذيب الكمال: ١٦٢/٣٥؛ العسقلاني، تهذيب التهذيب: ٤١٢/١٢.
- (٤) الجوهرى، الصحاح: ٢٤٦٣/٦.
- (٥) ابن فارس، مجمل اللغة: ٧٥٧/١؛ أبو هلال الحسن بن عبد الله الحسن العسكري، الفروق اللغوية، تحقيق: محمد ابراهيم سليم، دار العلم، القاهرة، (د.ت): ١٩٠/١.

وهناك صفات على القاضي أنّ يتحلّى بها حيث ذُكر عن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قال: "ينبغي أن يكون في القاضي خصال ثلاث، لا بضائع، ولا يضارع ولا يتبع المطامع" (١) ولقد اشتهرت أسرة عمرو بن حزم بالقضاء فكان ابنائها قضاة، وهذا دليل على حكمة ورجاحة عقل ابنائها لذلك المنصب قال الله تعالى: ﴿ وَفَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾ (٢).
وهنا جاءت كلمة قضي بمعنى أمر ربك أن لا نعبد سواه، ففصل في الحكم بين عباده وأمرهم بعبادته (٣).

أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم

هو أحد قضاة المدينة في زمن الخلافة الأموية حيث اختاره الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز لقضاء المدينة بعد أن عزل عبد الرحمن بن يزيد بن حارثة، وبقي على قضاء المدينة في زمن الخليفة الوليد وسليمان بن عبد الملك (٤)، فعن مالك بن أنس، قال "وولي أبو بكر قضاء المدينة فقيل له ماذا أصنع عندما يختلف القوم قال لهم أبو بكر، يا ابن أخي إذا وجدت أهل المدينة على أمر مستجمعين عليه، فلاشك أنه الحق" (٥).
ومما يذكر عن أبي بكر بن حزم قال مالك: قال ربيعة "رأيت أبا بكر بن حزم إذا كان قاضياً يستند إلى عمود وعنده حرس، معهم سياط وما عنده أحد من الناس يقضي بينهم" (٦).
وهذه دلالة على زهده وعدله في القضاء فلذلك ابقاه الخلفاء الأمويون على قضاء المدينة ولما توسموا فيه من نزاهة وعدل وأمر بالمعروف فهذه الصفات أهلته لمنصب القضاء.

وذكر عن صفاته أنه كان "يؤم الناس بالمدينة فكان إذا أمر بآية رحمة أو آية فيها ذكر النار، سمع خلفه جلبة، فصلّى ذات يوم، فلما سمعها أخذ المقصورة، ثم قال شامت

(١) وكيع، أخبار القضاة: ٧٠/١.

(٢) سورة الاسراء، الآية: ٢٣.

(٣) الطبري، التفسير: ٥٤٢/٢.

(٤) ابن سعد، الطبقات: ١٢٥/١؛ ابن خيثمة، التاريخ الكبير: ٦٥/٢؛ وكيع، أخبار القضاة:

١٤١/١؛ ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل: ٥٢١/١؛ الاثري، المعجم الصغير: ٦٨٢/٢؛

الصلاحي، الدولة الأموية: ٣٤٧/٢.

(٥) الفسوي، المعرفة والتاريخ: ٤٤٣/١.

(٦) ابن خياط، تاريخ: ٣٢٤/١؛ ابن خيثمة، التاريخ الكبير: ٢٧٥/٢؛ وكيع، أخبار القضاة:

١٤٥/١.

الوجوه الم تسمع قولَ الله تبارك وتعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (١) قال ابن أبي ذئب: فقلت له: لقد افلحت أمة يكون أمامهم فقير" (٢).

محمد بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم

وهو أحد قضاة المدينة (٣)، في زمن الخلافة الأموية، حيث عينه الخليفة الأموي الوليد بن يزيد على قضاء المدينة (٤)، ويذكر الطبري أنّ مالك بن أنس قال "كان محمد بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم على قضاء المدينة، فكان إذا قضى بالقضاء مخالفاً للحديث ورجع إلى منزله قال له أخوه عبد الله بن أبي بكر، وكان رجلاً صالحاً أي أخي قضيت اليوم في كذا وكذا بكذا وكذا فيقول له محمد: نعم أي أخي فيقول له عبد الله: فأين الحديث أي أخي، عز الحدي أن يقضى به، فيقول محمد أيهاه فأين العمل" (٥) وكان يقي بين الناس في المسجد (٦)، توفي سنة (١٢٣هـ/٧٤٩م) (٧).

أبو طوالة

وهو عبد الله بن عبد الرحمن بن معمر بن حزم أحد قضاة المدينة في العصر الأموي حيث استخلفه الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز سنة (٩٩-١٠١هـ/٧١٧-٧١٩م) على قضاء المدينة فكان يقضي بين الناس في مسجد رسول الله (ﷺ) (٨).

(١) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٤.

(٢) وكيع، أخبار القضاة: ١/١٤٥.

(٣) العيني، مغاني الاخير: ٣/٥٣٩؛ السيوطي،

(٤) ابن خياط، تاريخ: ١/٣٦٦؛ ابن خيثمة، التاريخ الكبير: ١/١٧٥.

(٥) تاريخ: ١١/٦٤٩.

(٦) ابن سعد، الطبقات: ١/٢٨٢؛ السيوطي، اسعاف المبطأ: ١/٢٥.

(٧) ابن سعد، الطبقات: ١/٢٨٣؛ ابن الأثير، الكامل: ٥/٣٥.

(٨) ابن سعد، الطبقات: ١/٢٨٤؛ ابن خياط، تاريخ: ١/٣٢٤؛ ابن حبان، الثقات: ٥/٣٢؛

وكيع، أخبار القضاة: ١/١٤٧؛ ابن عساكر، تاريخ: ٢٩/٣٢٩؛ السخاوي، التحفة اللطيفة:

١/٥١؛ الذهبي، تاريخ الاسلام: ٨/٤٦٤؛ الاثري، المعجم الصغير: ١/٣١٤.

الخاتمة

- ١- تقلدت هذه الأسرة مناصب إدارية كبيرة منها ولاية عمرو بن حزم لنجران في اليمن، أما أولاده وأحفاده فقد تقلدوا منصب ولاية المدينة المنورة، بالإضافة لكون هذه الأسرة أكثر ابنائها كانوا قضاة.
 - ٢- عرفت هذه الأسرة برواية وتدوين الحديث النبوي الشريف فضلاً عن الروايات في السير والمغازي.
 - ٣- كان لهذه الأسرة حلقة علمية يتدارسون فيها الأحاديث والأمور الفقهية في المسجد عرفت بحلقة (آل حزم).
 - ٤- تميّزت هذه الأسرة بالرقية، حيث كانوا يرقون بها الناس، وعندما جاء الإسلام دخلوا فيه سمح لهم الرسول محمد (ﷺ) بالاستمرار بهذه الرقية.
- وفي الختام أسأل الله العزيز القدير، أنْ أكون قد وفقت في إبراز دور أسرة عمرو بن حزم الخزرجي، وما قدمته هذه الأسرة من خدمات جليلة للإسلام، فإن اصبنا فتوفيق من الله، وإن أخطأنا فلنا العذر، لأنّ الكمال لله وحده، ومنه نستمدُّ التوفيق والسداد.

ثبت المصادر

أولاً: المصادر

- ❖ ابن أبي حاتم، أبو محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر (ت: ٩٣٨/هـ ٣٢٧م). الجرح والتعديل، ط١، حيدر أباد، طبع مجلس دائرة المعارف العثمانية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٥٢م.
- ❖ ابن أبي خيثمة، أبو بكر أحمد (ت: ٢٧٩/هـ ٨٩٢م). التاريخ الكبير = المعروف بتاريخ ابن خيثمة - السفر الثاني والسطر الثالث، تحقيق: صلاح بن فتحي هلال، ط١، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٦م.
- ❖ ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم بن محمد (ت: ٦٣٠/هـ ١٢٣٢م). أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: علي محمد معوض وآخر، ط١، دار الكتب العلمية، (د.م)، ١٩٩٤م.
- ❖ ابن البطال، أبو الحسن علي (ت: ٤٤٩/هـ ١٠٥٧م). شرح صحيح البخاري لابن بطال، تحقيق: أبو تميم ياسر بن حاتم، ط٢، مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، ٢٠٠٣م.
- ❖ ابن البيع، أبو عبدالله الحاكم محمد بن عبدالله (ت: ٤٠٥/هـ ١٠١٤م). المستدرک علی الصحیحین، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠م.
- ❖ ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي (ت: ٥٩٧/هـ ١٢٠٠م). زاد المعاد في هدي خير العباد، ط٢٧، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٤م.
- ❖ ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان بن معاذ بن معبد (ت: ٣٥٤/هـ ٩٦٥م). الثقات، مراقبة: محمد عبد المعيد خان، ط١، دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، الدكن، ١٩٧٣م.
- ❖ ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد (ت: ٨٥٢/هـ ٤٤٨م).
- ❖ ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد (ت: ٨٥٢/هـ ٤٤٨م). الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخر، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥م.

العلوم التي اشتهرت بها أسرة عمرو بن حزم... شيماء نافع ود. نهال خليل

- ❖ ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد (ت: ٨٥٢هـ/٤٤٨م). تهذيب التهذيب، ط١، دائرة المعارف النظامية، الهند، ١٣٢٦هـ.
- ❖ ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد (ت: ٨٥٢هـ/٤٤٨م). لسان الميزان، تحقيق: دائرة المعارف النظامية، ط٢، الهند، مؤسس الاعلمي، بيروت، ١٩٧١.
- ❖ ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد (ت: ٨٥٢هـ/٤٤٨م). فتح الباري شرح صحيح البخاري، صححه: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩.
- ❖ ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد (ت: ٢٤١هـ/٨٥٥م). المسند، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، ط١، مؤسسة الرسالة، (د.م)، ٢٠٠١م.
- ❖ ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد (ت: ٨٠٨هـ/٤٠٥م). ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، ط٢، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨م.
- ❖ ابن سعد، أبو عبد الله محمد (ت: ٢٣٠هـ/٨٤٤م). الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠م.
- ❖ ابن عبد البر، أبو عمرو يوسف بن عبد الله بن محمد (ت: ٤٦٣هـ/١٠٧٠م). الأستذكار، تحقيق: سالم محمد عطا وآخر، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م.
- ❖ ابن عبد البر، أبو عمرو يوسف بن عبد الله بن محمد (ت: ٤٦٣هـ/١٠٧٠م). الإستيعاب في معرفة الصحابة، تحقيق: علي محمد الجاوي، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢.
- ❖ ابن عبد البر، أبو عمرو يوسف بن عبد الله بن محمد (ت: ٤٦٣هـ/١٠٧٠م). التمهيد لما في الموطأ من المعاني والاسانيد، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي وآخر، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٣٨٧هـ.
- ❖ ابن عساکر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت: ٥٧١هـ/١١٧٦م). تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة (د.م)، ١٩٩٥م.
- ❖ ابن قانع، أبو الحسين عبد الباقي (ت: ٣٥١هـ/٩٦٢م). معجم الصحابة، تحقيق: صلاح بن سالم المصراطي، ط١، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، ١٤١٨هـ.
- ❖ ابن كثير، أبو الفداء اسماعيل بن عمر القرشي (ت: ٧٧٤هـ/٣٧٢م). البداية والنهاية، تحقيق: علي شبري، ط١، دار إحياء التراث العربي، (د.م)، ١٩٨٨م.

- ❖ ابن كثير، أبو الفداء اسماعيل بن عمر القرشي (ت: ٧٧٤هـ/١٣٧٢م). جامع المسانيد والسنن الهادي لأقوم سنن، تحقيق: عبد الملك بن عبد الله الدهيش، ط٢، دار خضر للطباعة، بيروت، ١٩٩٨م.
- ❖ ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم جمال الدين الأنصاري (ت: ٧١١هـ/١٣١١م). لسان العرب، ط٣، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ.
- ❖ ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم جمال الدين الأنصاري (ت: ٧١١هـ/١٣١١م). مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، تحقيق: رومية النحاس وآخرون، ط١، دار الفكر للطباعة، دمشق، ١٩٨٤م.
- ❖ ابن هشام، أبو محمد عبد الملك (ت: ٢١٣هـ/٨٢٨م). السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، ط٢، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٩٩٥م.
- ❖ ابن وهب، أبو محمد عبدالله بن مسلم المصري (ت: ١٩٧هـ/٨١٢م). الجامع في الحديث لأبن وهب، تحقيق: مصطفى حسن حسين محمد أبو الخير، ط١، دار أبن الجوزي، الرياض، ١٩٩٥م.
- ❖ ابن يونس، أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد المصري (ت: ٣٤٧هـ/٩٥٨م). تاريخ ابن يونس المصري، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م.
- ❖ أبو داوود، سليمان بن اسحاق (ت: ٢٧٥هـ/٨٨٨م). سنن أبي داوود، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، (د.ت).
- ❖ أبو يعلى، أحمد بن علي بن المثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال (ت: ٣٠٧هـ/٩١٩م). مسند أبي يعلى، تحقيق: حسين سليم اسد، ط١، دار المأمون للتراث، دمشق، ١٩٨٤م.
- ❖ الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله (ت: ٤٣٠هـ/١٠٣٨م). معرفة الصحابة، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، ط١، دار الوطن، الرياض، ١٩٨٨م.
- ❖ البكري، مغطاي بن قليج بن عبد الله (ت: ٧٦٢هـ/١٣٦٠م). إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: أبو عبد الرحمن عادل بن محمد وآخر، ط١، الفاروق الحديثة، ٢٠٠١م.
- ❖ البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي الخسروجدي (ت: ٤٥٨هـ/١٠٦٥م). السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م.

العلوم التي اشتهرت بها أسرة عمرو بن حزم... شيماء نافع ود. نهال خليل

- ❖ الترمذي، ابو عيسى محمد بن عيسى بن الضحاك (ت: ٢٧٩هـ/٨٩٢م). سنن الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨م.
- ❖ الجوهري، أبو نصر اسماعيل بن حماد الفارابي (ت: ٣٩٣هـ/١٠٠٢م). الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور العطار، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م.
- ❖ الحميري، نشوان بن سعيد اليميني (ت: ٥٧٣هـ/ ١١٧٧م). شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحقيق: حسين بن عبدالله العمري، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩٩م.
- ❖ الحنفي، ابو الفداء زين الدين قاسم (ت: ٨٧٩هـ/٤٧٤م). الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة، تحقيق: شادي بن محمد بن سالم ال نعمان، ط١، مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة، صنعاء، ٢٠١١م.
- ❖ الخزرجي، أحمد بن عبدالله بن أبي الخير (ت: ٨١٢هـ/٤٠٩م). خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: عبد الفتاح ابو غدة، ط٥، مكتب المطبوعات الإسلامية، دار البشائر، حلب، حلب، ١٤١٦هـ.
- ❖ الخطابي، أبو سليمان أحمد (ت: ٣٨٨هـ/٩٩٨م). معالم السنن، شرح سنن ابي داؤد، ط١، المطبعة العلمية، حلب، ١٩٣٢م.
- ❖ الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب (ت: ٤٦٣هـ/١٠٧٠م). تاريخ بغداد، تحقيق: بشار عواد معروف، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٢٣م.
- ❖ الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد باعثمان بن قايماز (ت: ٧٤٨هـ/١٣٤٧م). تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: بشار عواد معروف، ط١، دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٣م.
- ❖ الزبيدي، ابو الفيض محمد بن محمد عبد الحسيني (١٢٠٥هـ/١٧٩٠م). تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المؤلفين، دار الهداية، (د.م) (د.ت).
- ❖ الزرقاوي، أبو عبدالله محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن شهاب الدين بن محمد (ت: ١١٢٢هـ/١٧١٠م). شرح الزرقاوي على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، ط١، دار الكتب العلمية، (د.م)، ١٩٩٦م.

- ❖ السخاوي، أبو الخير شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد (ت: ٩٠٢هـ/١٤٩٦م). التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، ط١، الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣م.
- ❖ السيوطي، صلاح الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت: ٩١١هـ/١٥٠٥م). إسعاف المبتطأ برجال الموطن، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، (د.ت).
- ❖ السيوطي، صلاح الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت: ٩١١هـ/١٥٠٥م). الفتح الكبير في ضمّ الزيادة إلى جامع الصغير، تحقيق: يوسف النبهاني، ط١، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٣م.
- ❖ السيوطي، صلاح الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت: ٩١١هـ/١٥٠٥م). حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، ط١، دار احياء الكتب العربية، مصر، ١٩٦٧.
- ❖ السيوطي، صلاح الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت: ٩١١هـ/١٥٠٥م). طبقات الحفاظ، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ.
- ❖ الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب (٣٦٠هـ/٩٧٠م). المعجم الكبير للطبراني، تحقيق: سعد بن عبدالله الحميد، ط١، (د.م)، ٢٠٠٩م.
- ❖ الطبري، ابو جعفر محمد بن جرير بن يزيد (ت: ٣١٠هـ/٩٢١م) جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط١، مؤسسة الرسالة، (د.م)، ٢٠٠٠م
- ❖ الطحاوي، أبو جعفر أحمد بن محمد (ت: ٣٢١هـ/٩٣٣م). شرح مشكل الآثار، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط١، مؤسسة الرسالة (د.م)، ١٤٩٤هـ.
- ❖ الفسوي، أبو يوسف يعقوب بن سفيان بن جوان (ت: ٢٧٧هـ/٨٩٠م). المعرفة والتاريخ، تحقيق: أكرم ضياء العمري، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨١م.
- ❖ الفيروز آبادي، مجد الدين ابو طاهر محمد بن يعقوب (ت: ٨١٧هـ/١٤١٤م). القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط٨، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠٥م.
- ❖ القشيري، مسلم بن الحجاج (ت: ٢٦١هـ/٨٧٤م). الكنى والأسماء، تحقيق: عبد الرحيم محمد القشيري، ط١، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٩٨٤م.

- ❖ القشيري، مسلم بن الحجاج (ت: ٢٦١هـ/٨٧٤م). صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت).
- ❖ الكفوي، أيوب بن موسى الحيني (ت: ١٠٩٤هـ/١٦٨٢م). الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش وآخر، مؤسسة الرسالة، بيروت، (د.ت).
- ❖ الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود (ت: ٣٣٣هـ/٩٤٤م). تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة، تحقيق: مجدي باسلوم، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م.
- ❖ المزني، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف (ت: ٧٤٢هـ/١٣٤١م). تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: بشار عواد معروف، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٠م.
- ❖ النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي (ت: ٣٠٣هـ/٩١٤م). السنن الكبرى، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠١م.
- ❖ النيسابوري، عبد الملك بن محمد (ت: ٤٠٧هـ/١٠١٦م). شرف المصطفى، ط١، دار البشائر الإسلامية، مكة، ١٤٢٤هـ.
- ❖ وكيع، أبو بكر محمد بن خلف (ت: ٣٠٦هـ/٩١٨م). أخبار القضاة، تحقيق: عبد العزيز مصطفى المراغي، ط١، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٩٤٧م.

ثانياً: المراجع

- ❖ أبو حبيب، سعدي. القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً، ط٢، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٨م.
- ❖ الأثري، اكرم بن محمد الفالوجي. المعجم الصغير، تقديم: علي حسن عبد الحميد الأثري، الدار الأثرية، الاردن، (د.ت).
- ❖ البوطي، محمد سعيد رمضان. فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة، ط٢٥، دار الفكر، دمشق، ١٤٢٦هـ.
- ❖ حمادة، فاروق بن محمود بن حسن. أبو حبيب، سعدي. اعلام السيرة في القرن الثاني الهجري، مجمع الملك فهد للطباعة، المدينة المنورة، (د.ت).
- ❖ الزركلي، خير الدين بن محمد بن محمد بن علي خير الدين بن محمود. الأعلام، ط١٥، دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م.
- ❖ الصلابي، علي محمد محمد. الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الإنهيار، ط٢، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٨م.

- ❖ عبد اللطيف، عبد الشافي محمد. اوائل المؤلفين في السيرة النبوية (د.م) (د.ت).
- ❖ الندوي، علي أبو الحسن بن عبد الحي. الرسالة المحمدية، ط١، دار، ابن كثير، دمشق، ١٤٢٣هـ.

ثالثاً: البحوث والمقالات

- ❖ محمود ياسين أحمد التكريتي، عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري (ت: ١٣٠-١٣٥هـ/٧٤٧-٧٥٢م) وكتابه التاريخية في السيرة والمغازي مجلة آداب الرافدين، جامعة الموصل، كلية الآداب، ع٦، ١٩٧٥م.

أثر استراتيجية DRTA في تحليل النصوص الأدبية... ونورا علي و د. أبي إبراهيم

أثر استراتيجية DRTA في تحليل النصوص الأدبية لدى طالبات الصف الرابع الإعدادي

Noora Ali Hamza

نورا علي حمزة

Dr. Obi Ibrahim Hussein

د. أبي إبراهيم حسين

Assistant Professor

أستاذ مساعد

University of Mosul- College

of Education for Human

جامعة الموصل - كلية التربية للعلوم

Sciences

الانسانية

Obay.ibrahim@uomosul.edu.iq

تاريخ القبول

تاريخ الاستلام

٢٠٢١/٩/٢١

٢٠٢١/٨/٢٤

الكلمات المفتاحية: استراتيجية DRTA - التحليل - النصوص الأدبية - إعدادية حمص -

وإعدادية التحرير

Keywords: DRTA strategy - analysis - literary texts - Homs high school - and editorial high school

المخلص

يهدف البحث للتعرف على أثر استراتيجية DRTA في تحليل النصوص الأدبية وتنمية الإبداع الجاد لدى طالبات الصف الرابع الإعدادي. ولتحقيق هدف البحث، وضع الباحثان فرضية للتعرف على أثر استراتيجية DRTA في تحليل النصوص الأدبية لدى طالبات الصف الرابع الإعدادي، وهي تتعلق بمتوسطي طالبات المجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة في اختبار تحليل النصوص الأدبية. أما عينة البحث فقد تم اختيارها عشوائياً من مجتمع البحث، وتكونت من طالبات الصف الرابع الإعدادي (إعدادية حمص للبنات) و(إعدادية التحرير للبنات)، في مدينة الموصل للكورس الثاني من العام الدراسي (٢٠٢٠ - ٢٠٢١)، وقد بلغ عدد العينة (٦٥) طالبة وتوزعت إلى مجموعتين تجريبية وضابطة، بواقع (٣٠) للمجموعة التجريبية التي درست وفق استراتيجية DRTA و(٣٥) للمجموعة الضابطة التي درست بالطريقة الاعتيادية.

واستعمل الباحثان المنهج التجريبي وأجريت عملية التكافؤ بين أفراد مجموعتي البحث في عدد من المتغيرات التي شملت: العمر بالأشهر، درجة اللغة العربية للكورس الأول، حاصل الذكاء، والتحصيل العلمي للآباء والأمهات. وتم بناء أداة اختبار لتحليل النصوص الأدبية بوصفه أداة للبحث. وبعد تهيئة الخطط التدريسية والأداة طبق الباحثان التجربة إلكترونياً وذلك عن طريق المنصات التعليمية في الكورس الثاني للعام الدراسي (٢٠٢٠ - ٢٠٢١)

وأمتدت من (٢٢ / ٤ / ٢٠٢١ الى ١٥ / ٦ / ٢٠٢١)، واستمرت كورساً كاملاً، وتم تطبيق اختبار تحليل النصوص الأدبية ١٥ / ٦ / ٢٠٢١ على مجموعتي البحث، وبعد جمع البيانات وتحليلها إحصائياً أظهرت النتائج ما يأتي : وجود فرق دال احصائياً ولصالح المجموعة التجريبية اللاتي درسن وفق استراتيجية (DRTA) على المجموعة الضابطة اللاتي درسن وفق الطريقة الاعتيادية في قدرتهن على تحليل النصوص الادبية .

Abstract

The research aims to identify the impact of the DRTA strategy on analyzing literary texts and developing serious creativity among fourth year middle school students. To achieve the goal of the research, the researcher developed a hypothesis to identify the effect of the DRTA strategy in analyzing literary texts for the fourth year middle school students, and it relates to the average of the experimental group and the control group in the literary text analysis test. As for the research sample, it was randomly selected from the research community and it consisted of students of the fourth preparatory grade (Homs Preparatory School for Girls) and (Al-Tahrir Preparatory School for Girls) in the city of Mosul for the second course of the academic year (2020-2021), and the sample number reached (65) students and distributed It was divided into two experimental and control groups, with (30) for the experimental group that studied according to the DRTA strategy, and (35) for the control group that studied in the usual way.

The researcher used the experimental method and conducted the parity process between the members of the two research groups in a number of variables, which included: age in months, the degree of the Arabic language for the first course, intelligence quotient, and the educational attainment of parents.

To achieve the goal of the research, it was required to build a test tool to analyze literary texts as a research tool. After preparing the teaching plans and the tool, the researcher applied the experiment electronically through the educational platforms in the second course of the academic year (2020-2021) and extended from 4/22/2021 to 6/15/2021 and continued for a full course, and the literary text analysis test was applied 6/15/ 2021 on the two research groups, and after data collection and statistical analysis, the results showed the following: There is a statistically significant difference in favor of the

experimental group who studied according to the DRTA strategy over the control group who studied according to the usual method in their ability to analyze literary texts. In light of the results of the research, the researcher came out with a number of conclusions, including that the (DRTA) strategy had a role in improving and raising the ability of fourth-grade literary students to analyze literary texts and create serious creativity.

الفصل الأول

التعريف بالبحث

- مشكلة البحث :

يعدّ الأدب واحداً من أشكال التعبير عما يجول بداخل الإنسان والنفس البشرية منها : العواطف، الأفكار، الأحاسيس، الخواطر التي تدور في عقل الإنسان، فإن الأدب هو الذي فتح للإنسان باب المقدرة على التعبير عن ما يدور بداخله، وبالرغم من جمال الأدب وتأثيره في حياتنا إلا أن تدريسه في المدارس يسير على نمط تقليدي، وذلك من ناحية استخدام طرائق تدريس تقليدية، أو استعمال أسلوب يعتمد على التلقين والحفظ .

فالغاية من تدريس الأدب والنصوص تتمثل في تقريب القيم الجمالية والمعرفية التي تحتوي عليها النصوص إلى ذهن الطلاب، وتحفزهم على الكشف عنها وتعلم اللغة من خلالها، إلا أن النصوص الأدبية في المدارس الثانوية لم تحقق تلك الغاية، ولم تلق عناية المدرسين في تدريسه ولا في المقدرة على تحليل النصوص . وكما إن المنتبغ إلى تدريس هذه المادة يلاحظ مستوى ضعف الطلاب تجاه النص الأدبي الذي يقدم لهم، ويلاحظ تعثرهم في فهم وتدوق النص أدى إلى إضعاف روح الإبداع والتذوق الأدبي لدى الطلاب، و قراءة النص الأدبي أصبحت شكلية لا تتعدى أن تكون مجرد قراءة عادية يغلب عليها التحليل السطحي للنص (الوائلي : ٢٠٠٤، ٤٤).

وأيضاً يشير عدد من المختصين إلى أن درس الأدب لم ينجح في غرس حب الادب عند الطلاب، وفي تكوين المهارات اللغوية وتنميتها لديهم، وأيضاً قد اخفق في تكوين الذوق الأدبي (احمد: ١٩٨٨، ١١) . فإن درس الادب يتيح فرصة للطلاب لكي يخفف من أقال المواد العلمية الصارمة التي تستند للتعريف والقوانين (الركابي : ٢٠٠٥، ١٠) .

ومن خلال ما مر بالباحثين من خبرات خلال دراستهما، فضلاً عن حواراتهما مع الكثير من الذين يتصدرون لتدريس اللغة العربية، لاحظنا أن الطريقة الاعتيادية هي الطريقة السائدة في لتدريس اللغة العربية لطلبة الصف الرابع الأدبي، حيث إنها تتطلب شرحاً وتفسيراً ونقداً وتحليلاً فضلاً عن الحفظ . ولقد لاحظ الباحثان من خلال ما اطلعنا عليه من دراسات سابقة، بالإضافة الى آراء بعض الاختصاصيين التربويين الذين يعملون في ميدان التعليم، إلى عدم اكرتاث الطلبة لهذه المادة والميل السلبي لها وعدم التوجه نحوها .

وبذلك يمكن تحديد مشكلة البحث بالسؤال الاتي :

ما أثر استراتيجية DRTA في تحليل النصوص الادبية لدى طالبات الصف الرابع الاعدادي؟

- هدف البحث :

يهدف البحث الحالي الى التعرف على أثر استراتيجية DRTA في تحليل النصوص الادبية وتنمية الابداع الجاد لدى طالبات الصف الرابع الاعدادي .

- فرضيات البحث :

لا يوجد فرق ذي دلالة احصائية عند مستوى (٠,٠٥) بين متوسطي طالبات المجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة في اختبار تحليل النصوص الادبية .

- حدود البحث :

يتحدد البحث الحالي بـ :

١- طالبات الصف الرابع الادبي في المدارس الاعدادية الصباحية في مدينة الموصل في الجانب الأيسر ٢٠٢٠-٢٠٢١ .

٢- الكورس الثاني من العام الدراسي ٢٠٢٠ - ٢٠٢١ .

٣- الموضوعات المقررة في كتاب الادب والنصوص (بعد الحذوفات الواردة من وزارة التربية العراقية) طبعة سنة ٢٠٢٠ .

- تحديد المصطلحات :

أولاً : الاستراتيجية :

لقد عرفها الكبيسي بـ: بانها " تحركات المُدرس داخل الصف وأفعاله التي يقوم بها، والتي تحدث بشكل منظم ومتسلسل، واستعماله لمهارات التدريس كالحوية والنشاط والحركة داخل الفصل، وتعبير طبقات الصوت أثناء التحدث والاشارات " (الكبيسي: ٢٠٠٨، ١١٨) .

التعريف الاجرائي للاستراتيجية : هي مجموعة الوسائل والخطط التي يعتمدها الباحثان بالاتفاق مع مدرسة المادة في تدريس طالبات المجموعة التجريبية لموضوعات الادب والنصوص للصف الرابع الادبي .

ثانياً: توجيه التفكير خلال القراءة (DRTA) .

لقد عرفها الشمري بـ: بانها "استراتيجية متعددة الجوانب تشجع على القراءة النشطة وزيادة الفهم، وهي تتضمن عملياً (التنبؤ، والقراءة، والاثبات) " (الشمري: ٢٠١١، ١٤٣) .

التعريف الاجرائي لاستراتيجية (DRTA) : هي استراتيجية توجيه التفكير خلال القراءة التي تمكن طالبات الصف الرابع الاعدادي (المجموعة التجريبية) من تحديد غاياتهم من القراءة واستخلاص المعلومات واستيعابها واتخاذ القرارات اعتماداً على المعلومات المستمدة من القراءة .

ثالثاً : التحليل :

لقد عرفها البرقعاعي بـ : بأنها " هي قدرة الطلاب عينة البحث على التعرف على عناصر النص الادبي (موضوع الاختبار) من خلال تجزئته وتعيين أهم الافكار فيه والعلاقات التي تربطها مع بعضها " (البرقعاعي : ٢٠١٣، ٤٢٢) .

التعريف الاجرائي للتحليل : هو قدرة طالبات الصف الرابع الاعدادي على تحليل النص الادبي والكشف عن العناصر التي يتركب منها والعلاقة التي بينهم وتوضيح الافكار والمعاني.

رابعاً : النصوص الادبية :

لقد عرفها غزوان بـ : بأنها "تركيب فني من كلمات منتقاة من اللغة العربية لها أصول صرفية ونحوية وتتوصف بجماليتها اللغوية والتعبيرية التي تميزها عن غيرها من الكلمات " (غزوان : ٢٠٠١، ٦٢) .

التعريف الاجرائي للنصوص الادبية : وهي عبارة عن نصوص شعرية او نثرية من الادب، التي يمكن اتخاذها لتمارين طلبة عينة البحث على التحليل ومعرفة قدرتهم على التحليل، وذلك لما تحتويه من جمال فني وافكار مترابطة لها اصول نحوية وصرفية وبلاغية التي تنمي قدرات طالبات الصف الرابع الاعدادي في الادب والنصوص .

الفصل الثاني

الإطار نظري والدراسات السابقة

يتضمن قسمين :

- القسم الاول: إطاراً نظرياً لمتغيرات البحث المستقلة والتابعة .
- القسم الثاني: الدراسات السابقة التي اطلع عليها الباحثان.

القسم الاول : الاطار النظري

ان العلم الواسع والمادة الدراسية لتدريس اللغة العربية يحتاج لطرائق تدريس حديثة لايصالها الى عقول المتعلمين (زيتون : ٢٠٠٣، ٩)، فمن هذه الناحية قد جاءت أهمية طرائق التدريس وأساليبها واستراتيجياتها و قد أصبحت ركناً أساسياً من أركان العملية التعليمية، ومما زاد اهتمام التربويين فيها هو لما لها دوراً كبيراً لمعالجة المواقف الضعيفة للمتعلمين وللمنهج الدراسي (عوض : ٢٠٠٣، ٨٤) .

فالاستراتيجيات التعليمية تعمل على زيادة دافعية المتعلم وإثارتها لاستقبال المعلومات، وتؤدي به الى توجيه المعلومات نحو المتغيرات، فتشمل الطرائق والوسائل والاجراءات المتاحة التي يستخدمها المعلم على الطريقة الاستقرائية والاستنتاجية والتلقينية (قطامي : ٢٠١٦، ٤٥). وتتوضح أهمية الاستراتيجية في التعليم من ناحية تعميق وتفعيل طرائق التدريس، وتحويل المعلومات لمعارف عند استعمال الاستراتيجيات (الخرزاعلة : ٢٠١١، ٢٥٩). ولقد زادت الحاجة لتوظيف عدد من الاستراتيجيات والوسائل التربوية الحديثة في سبيل تطوير مهارات الطلاب على التفكير والنقد (الفيفي : ٢٠١٧، ٢) .

فتعد استراتيجية (DRTA) احدى استراتيجيات فهم المقروء التي تساعد المتعلم قبل القراءة وفي اثنائها وبعدها، فقبل القراءة يقوم المدرس بعرض عنوان الدرس ثم يطلب من الطلاب توقع ما سيدور عليه النص، أما اثناء القراءة فيحاول الطلاب التحقق من صحة ما توقعوه،باحثين عن ادلة تدعم توقعهم، واما بعد القراءة يطبق المتعلمون ما تعلموه من مهارات على نصوص جديدة حيث تكون من نوع النصوص التي تم تدريسهم عليها أثناء الدرس (عبد الجواد: ٢٠١٧، ٩٠) .

فتكمن اهمية استراتيجية (DRTA) أنها تقوم على دمج الطلاب بسياق اجتماعي يدور حول النص المقروء، وهناك أهمية أخرى للاستراتيجية بالنسبة للمتعلم وهي أنها لا تحتاج منه إلى قدر كبير من النمو المهني، مقارنة مع الاستراتيجيات الاخرى التي تتسم بدرجة أعلى من التعقيد، وأيضاً تدرب الطلاب على جراءة التفكير في النص المقروء ونقده والتنبؤ به من خلال اثبات نتائج تنبؤاتهم (الحمداني : ٢٠٢٠، ١١-١٢).

تعد اللغة لأية أمة الرابط التاريخي الذي يشد أبنائها إليها ويعزز في نفوسهم شرف الانتماء (الدليمي والواللي: ٢٠٠٥، ١). فإن اللغة تُعد منهجاً للتفكير ونظاماً للاتصال والتعبير، فكل مجتمع بشري له ثقافة تكمن في لغته وذلك بما تحويه من فنون وآداب، فلا حضارة إنسانية دون نهضة لغوية (مدكور: ٢٠٠٧، ١٥).

ففي كل فرع من فروع العربية وظائف ومهمات، فالقواعد النحوية تعصم الطلاب من الأخطاء، وذلك يؤدي الى فهم المعنى فهماً سليماً، والقواعد الصرفية تقوم بالبحث بأبنية الكلمات حيث يترتب من خلالها فهم المعاني، والقواعد البلاغية توضح معالم الجمال في الأسلوب، والإملاء يعين رسم الحروف والكلمات رسماً صحيحاً، والتعبير والقراءة والنصوص الأدبية تساعد على زيادة الألفاظ والأساليب لدى الطلاب (سمك: ١٩٧٥، ٥٦).

وان دراسة النص الأدبي وتحليله وتدوقه وفهم تراكيبه هو الغاية التي يسعى اليها النقد الادبي في تاريخه، فبعد أن كان سابقاً ملاحظات مختصرة تصدر عن الذوق (الجبوري: ١٩٨٣، ١٥). فالتحليل الادبي هو قراءة نقدية تحليلية، حيث أنها تعتمد على جملة من العناصر منها: الإثارة - العاطفة - الأسلوب - الأحكام والقيم، فمهما يكن أمر التحليل وفق هذه العناصر فهو تحليل يحتاج الى تدقيق علمي في كل عناصره (ساسي: ١٩٩٦، ٢١٤). ومن أهمية التحليل أنه يساعد على تمكن الطلاب من تذوق النصوص الأدبية، تذوقاً يقوم على الإحاطة والنقد والتأمل، لمعرفة مواطن الجمال في النص الأدبي، وأن التحليل يخدم القراءة عن طريق الحرص في قراءة النص، من ناحية جودة الأداء والنطق السليم وتمثيل المعاني والفهم (التميمي: ٢٠٠١، ٨)، فالتحليل يساعد الطالب على أن يكون نشيطاً، فيشعر بقيمة الأدب في حياته، ومن ثم يصبح قادراً على استعمال ألفاظ اللغة بوضوح في التعبير والتفكير (شحاتة: ١٩٩٣، ١٨١).

القسم الثاني : الدراسات السابقة .

اطلع الباحثان على العديد من الدراسات السابقة التي لها علاقة بمتغيرات البحث

المستقلة والتابعة، فقد قاما بتقسيمهم الى محورين هما :

المحور الاول : الدراسات المتعلقة باستراتيجية (DRTA)

١- المطيري ٢٠١٥ : ((فاعلية برنامج تدريبي مقترح قائم على استراتيجية (DRTA)

في تنمية مهارات الفهم القرائي والاتجاه نحو القراءة لدى بعض المتعلمين الكبار))

اجريت الدراسة في (السعودية) في جامعة المجمعة بالرياض، وهدفت الدراسة الى التعرف على فاعلية برنامج تدريبي مقترح قائم على استراتيجية (DRTA) في تنمية مهارات الفهم القرائي والاتجاه نحو القراءة لدى بعض المتعلمين الكبار، وتكونت عينة الدراسة (٣٠) متعلماً من المتعلمين المدرجين بأحد فصول تعليم الكبار بالرياض، بواقع (١٥) التي درست حسب استراتيجية (DRTA) والمجموعة الثانية (١٥) التي درست بالطريقة التقليدية ، وقد طبق الباحث عليهم تجربة البحث، ولتحقيق البحث اعد الباحث اختباراً تحصيلياً لقياس تحصيل المتعلمين الكبار في الجانب المعرفي لمهارات الفهم القرائي وفقاً لاستراتيجية (DRTA)، واعد ايضا مقياساً لقياس اتجاه المتعلمين نحو القراءة، وتم جمع البيانات فتوصلت الدراسة الى أنه:

١- يوجد فرق دال احصائيا بين المجموعتين التجريبية والضابطة في اختبار الفهم القرائي القبلي.

٢- يوجد فرق دال احصائيا بين المجموعتين التجريبية والضابطة في اختبار الفهم القرائي البعدي .

٣- يوجد فرق دال احصائيا بين درجات المجموعة التجريبية في اختبار الفهم القرائي القبلي والبعدي .

٤- يوجد فرق دال احصائيا بين الطريقة التقليدية والبرنامج القائم على إستراتيجية الفهم القرائي لدى المتعلمين الكبار .

٢- الحوامدة والبلهد ٢٠١٦ : ((فاعلية استراتيجية القراءة الموجهة في تحسين بعض

مهارات فهم المقروء لدى طلاب الصف السادس الابتدائي))

اجريت الدراسة في (السعودية) في جامعة اليرموك، وهدفت الدراسة الى التعرف على فاعلية استراتيجية القراءة الموجهة في تحسين بعض مهارات فهم المقروء لدى طلاب الصف السادس الابتدائي في منطقة الجوف مقارنة بالطريقة الاعتيادية، وتكونت عينة الدراسة الكلي من (٨٤) طالبا وبواقع (٤١) طالباً للمجموعة التجريبية التي درست وفق

أثر استراتيجية DRTA في تحليل النصوص الأدبية... ونورا علي و د. د. أبي إبراهيم

استراتيجية (DRTA)، والمجموعة الثانية (٤٣) طالباً التي درست بالطريقة التقليدية، ولتحقيق هدف البحث اعد الباحث اختباراً لمهارات فهم المقروء المكون من (٣٠ فقرة)، وبعد جمع البيانات توصلت الدراسة الى : وجود فرق ذي دلالة احصائية عند مستوى الدلالة الاحصائية (٠,٠٥) بين المتوسطين الحسابيين لعينتي البحث ويعزى لصالح المجموعة التجريبية التي خضع أفرادها للتدريس باستخدام القراءة الموجهة (DRTA) .

المحور الثاني : الدراسات المتعلقة بتحليل النصوص الادبية

١- البرقعاوي ٢٠١٠ : ((فاعلية مهارات التفكير الابداعي في تحليل النصوص الادبية والاحتفاظ بها لدى طلاب المرحلة الثانوية))

اجريت الدراسة في (العراق) في جامعة بابل، هدفت الدراسة الى التعرف على فاعلية مهارات التفكير الابداعي في تحليل النصوص الادبية والاحتفاظ بها لدى طلاب المرحلة الثانوية، وتكونت عينة الدراسة الكلي (٦٢) طالباً وواقع (٣١) طالباً للمجموعة التجريبية التي درست الادب والنصوص باستعمال مهارات التفكير الابداعي، والمجموعة الثانية (٣١) طالباً التي درست الادب والنصوص بالطريقة التقليدية، ولتحقيق هدف البحث اعد الباحث اداة موحدة لقياس التحصيل في تحليل النصوص الادبية من خلال عرض نص ادبي على الطلاب لتحليله، وبعد جمع البيانات توصلت الدراسة الى : وجود فرق ذي دلالة احصائية عند مستوى (٠,٠٥) بين متوسط تحصيل درجات طلاب المجموعة التجريبية الذين يدرسون تحليل النصوص الادبية باستعمال مهارات التفكير الابداعي ومتوسط تحصيل درجات طلاب المجموعة الضابطة الذين يدرسون تحليل النصوص الادبية بالطريقة التقليدية ولصالح المجموعة التجريبية .

٢- الزويني والربيعي ٢٠١١ : ((مستوى طلاب قسم اللغة العربية كلية الآداب في تحليل النصوص الادبية))

اجريت الدراسة في (العراق) في جامعة بابل، هدفت الدراسة الى التعرف على مستوى طلاب قسم اللغة العربية كلية الآداب في تحليل النصوص الادبية، وتكونت عينة الدراسة الكلي (٤٠) طالباً وطالبة وواقع (١٤) طالب و(٢٦) طالبة، ولتحقيق هدف البحث اعد الباحثان اختباراً تحصيلياً للتعرف على مستوى الطلاب في تحليل النصوص الادبية من خلال عرض نص ادبي على الطلاب لتحليله، وبعد جمع البيانات توصلت الدراسة الى انخفاض مستوى طلبة المرحلة الرابعة في قسم اللغة العربية / كلية الآداب في تحليل النصوص الادبية .

- التصميم التجريبي :

اعتمد الباحثان التصميم التجريبي ذا المجموعتين المتكافئتين ذات الاختبار القبلي والاختبار البعدي كونه يتلاءم وظروف البحث الحالي الذي يعتمد على مجموعتين احدهما تجريبية تدرس على وفق استراتيجية (DRTA) والمجموعة الثانية الضابطة التي تدرس على وفق الطريقة التقليدية .

الفصل الثالث

إجراءات البحث

- تحديد مجتمع البحث :

وقد تحدد مجتمع البحث بطالبات الصف الرابع الاديبي في المدارس الاعدادية الصباحية في مدينة الموصل الجانب الايسر للعام الدراسي (٢٠٢٠-٢٠٢١) والبالغ عددهن (٥٧) مدرسة وذلك بموجب كتاب تسهيل المهمة الصادر من المديرية العامة لتربية نينوى ذي العدد (٣/٧ /١٤٧٦) الصادر بتاريخ (١٩/٤/٢٠٢١) الملحق (٢) .

- اختيار عينة البحث :

اختر الباحثان بصورة عشوائية (اعدادية حمص للبنات) و(اعدادية التحرير للبنات)، وهما احدى المدارس التابعة للمديرية العامة لتربية نينوى لتطبيق تجربتهما وذلك للاسباب الآتية :

١- ابداء ادارة المدرستين ومدرسات مادة اللغة العربية فيهما استعدادهن للتعاون مع الباحثان، وتقديمهن التسهيلات اللازمة لاجراء تجربة البحث وتذليل الصعوبات التي قد تعترض عملية تطبيق التجربة .

٢- رغبة ادارة المدرسة في تطبيق الطرائق الحديثة في التدريس والافكار الجديدة .

٣- وقوع المدرستين في مناطق قريبة من بعضها في مدينة الموصل، وذلك يضمن تجانس العينة وتقارب المستوى الاجتماعي والثقافي للعينة مما يسهل تكافؤ المجموعتين .

وبعد ان حدد الباحثان المدرستين اللتين ستطبق فيهما التجربة، اختار الباحثان اعدادية حمص للبنات التي ستدرس باستراتيجية (DRTA) لتمثل المجموعة التجريبية، واعدادية التحرير للبنات التي ستدرس بالطريقة التقليدية لتمثل المجموعة الضابطة .

ولا بد من الاشارة ان عدد طالبات مجموعتي البحث بلغ (١١٥) طالبة بواقع (٥٥) طالبة في المجموعة التجريبية و (٦٠) طالبة في المجموعة الضابطة، فقد استبعد الباحثان (٢٥) طالبة من المجموعة التجريبية، و(٢٥) طالبة من المجموعة الضابطة وذلك للاسباب الآتية :-اولاً : يتكوّن من طالبات راسبات من العام الدراسي (٢٠١٩ - ٢٠٢٠) فكان سبب استبعاد الطالبات الراسبات لأنهن يمتلكن خبرات سابقة عن الموضوعات التي سيتم تدريسها في التجربة، حيث ان تلك الخبرات ستؤثر بدقة نتائج البحث والامر الذي ادى بالباحثان الى استبعادهن من النتائج فقط، حيث انهما ابقيا عليهن في الصف وخضعن للتجربة للحفاظ على النظام الدراسي في المدرسة فبلغ عدد المستبعدات من المجموعة التجريبية (٩ طالبات) ومن المجموعة الضابطة (٩ طالبات)، وثانياً: منهن من يستخدمن نظام الانتساب الذي اصدرته وزارة التربية العراقية الذي يتيح لهن عدم الاستمرار في الدوام فقط اجراء الامتحانات النهائية

لنهاية الكورس فبلغ عددهن من المجموعة التجريبية (٦ طالبات) ومن المجموعة الضابطة (٧ طالبات)، وثالثاً : يتكوّن من الطالبات المنقطعات عن الدراسة حيث إنهن لم يدخلن إلى مواقع المنصات التعليمية الالكترونية وبلغ عدد الطالبات المنقطعات عن الدراسة في المجموعة التجريبية (١٠ طالبات) و في المجموعة الضابطة (٩ طالبات) . وقد استقر عدد أفراد البحث في المجموعتين (٦٥) طالبة بواقع (٣٠) طالبة في المجموعة التجريبية و (٣٥) طالبة في المجموعة الضابطة ويوضح الجدول (١) الآتي ذلك :

الجدول (١)

عدد طالبات المجموعة التجريبية والضابطة قبل الاستبعاد وبعده

عدد الطالبات بعد الاستبعاد	عدد الطالبات المستبعدات	عدد الطالبات قبل الاستبعاد	المدرسة	المجموعة
٣٠	٢٥	٥٥	اعدادية حمص للبنات	التجريبية
٣٥	٢٥	٦٠	اعدادية التحرير للبنات	الضابطة
٦٥	٥٠	١١٠	المجموع	

- تكافؤ مجموعتي البحث :

على الرغم من أن أفراد عينة البحث من مدرستين متقاربتين بالموقع الجغرافي، فقد يكون بينهم رابط اقتصادي واجتماعي متشابه لحد ما، الا ان الباحثين حرصا قبل الشروع بتنفيذ التجربة على اجراء عملية التكافؤ بين مجموعتي البحث احصائياً في عدد من المتغيرات التي قد تؤثر على المتغيرات التابعة على حساب المتغير المستقل، وقد حصل الباحثان على المعلومات لاغراض التكافؤ بين المجموعتين عن طريق السجلات الرسمية والبطاقات المدرسية فضلاً عن استمارة معلومات وزعت على الطالبات من قبل الباحثين، وتم تثبيت البيانات الخاصة بالتكافؤ بين المجموعتين في الملاحق، وهذه المتغيرات هي :

١- العمر الزمني للطالبات بالشهور :

حصل الباحثان على البيانات الخاصة باعمار عينة البحث من سجل القيد العام لكل اعدادية وبالتعاون مع ادارة المدرسة، وتم حسابها بالشهور الى يوم (٢٠ / ٤ / ٢٠٢١) أي قبل موعد تنفيذ التجربة، وتم استخراج المتوسط الحسابي والانحراف المعياري وتطبيق الاختبار التائي لعينتين مستقلتين كما مبين في الجدول (٢) :

الجدول (٢)

نتائج الاختبار التائي لأفراد مجموعتي البحث لمتغير العمر الزمني

الدلالة	القيمة التائية		الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	حجم العينة	المجموعة
	الجدولية	المحسوبة				
متكافئتين	(١,٩٩٩)	٠,٤٢٧	٧,٠٨٤١٤	١٩٩,٢٣٣٣	٣٠	التجريبية
	(٦٣)(٠,٠٥)		٦,٨٢٧٦٥	١٩٩,٩٧١٤	٣٥	الضابطة

يتضح من الجدول أعلاه ان القيمة التائية المحسوبة (٠,٤٢٧) وهي اصغر من القيمة الجدولية البالغة (١,٩٩٩) عند مستوى دلالة (٠,٠٥) ودرجة حرية (٦٣)، وهذا يعني انه لا يوجد فرق ذي دلالة إحصائية بين متوسط مجموعتي البحث، وبذلك فإن المجموعتين متكافئتان في هذا المتغير .

٢- درجة مادة اللغة العربية للكورس الاول :

لتحقيق التكافؤ لهذا المتغير حصل الباحثان على درجات الطالبات لمادة اللغة العربية للكورس الاول من وثيقة الطالبة المدرسية من ادارة المدرسة، وتم استخراج المتوسط الحسابي والانحراف المعياري وتطبيق الاختبار التائي لعينتين مستقلتين كما مبين في الجدول (٣) .

الجدول (٣)

نتائج الاختبار التائي لأفراد مجموعتي البحث في متغير درجة مادة اللغة العربية للكورس

الاول

الدلالة	القيمة التائية		الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	حجم العينة	المجموعة
	الجدولية	المحسوبة				
متكافئتين	(١,٩٩٩)	٠,٥٨١	١٠,٥٣٦٢٥	٦٨,٥٦٦٧	٣٠	التجريبية
	(٦٣)(٠,٠٥)		١٣,١٦٩٦٧	٦٦,٨٢٨٦	٣٥	الضابطة

يتضح من الجدول اعلاه ان القيمة التائية المحسوبة والبالغة (٠,٥٨١) اصغر من القيمة الجدولية البالغة (١,٩٩٩) عند مستوى دلالة (٠,٠٥) ودرجة حرية (٦٣)، وهذا يعني انه لا يوجد فرق ذي دلالة احصائية بين متوسط مجموعتي البحث، بذلك فان المجموعتين متكافئتان في هذا المتغير .

٣- حاصل الذكاء :

تكشف اختبارات الذكاء عن المستوى العقلي للطالب، وذلك من خلال اداء مهمات عقلية يفترض انها تمثل الوظائف التي ينطوي عليها الذكاء (ميخائيل : ١٩٩٦، ٢٤٥). فطبق الباحثان اختبار رافن (Raven) للمصفوفات المتتابعة على افراد عينة البحث يوم

الثلاثاء (٢٠ / ٤ / ٢٠٢١)، وبعد اجراء الاختبار وتفرغ البيانات لمجموعتا البحث تم حساب المتوسط الحسابي والانحراف المعياري له كما موضح في الجدول (٤) .

الجدول (٤)

نتائج الاختبار الثاني لافراد مجموعتي البحث في متغير حاصل الذكاء

الدلالة	القيمة التائية		الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	حجم العينة	المجموعة
	الجدولية	المحسوبة				
متكافئتين	(١,٩٩٩)	٠,٧١١	٣,٣٤٦١٢	٩١,٩٠٠٠	٣٠	التجريبية
	(٦٣)(٠,٠٥)		٤,٤١١٢٢	٩١,٢٠٠٠	٣٥	الضابطة

يتضح من الجدول ان القيمة التائية المحسوبة والبالغة (٠,٧١١) هي اصغر من القيمة الجدولية البالغة (١,٩٩٩) عند مستوى دلالة (٠,٠٥) ودرجة الحرية (٦٣)، وهذا يعني انه لا يوجد فرق ذي دلالة احصائية بين متوسط مجموعتي البحث، بذلك فان المجموعتين متكافئتان في هذا المتغير .

٤- التحصيل التعليمي للآباء :

حصل الباحثان على البيانات المتعلقة بالتحصيل التعليمي للآباء لافراد العينة من البطاقة المدرسية لمجموعتي البحث ومن الطالبات انفسهن من خلال استمارة وزعت عليهن من قبل الباحثين لجمع المعلومات، وقد صنف الباحثان تلك البيانات الى ثلاث فئات (ابتدائية فما دون، ثانوية ومعهد، جامعية وعليا)، وتم تطبيق اختبار مربع كاي X^2 وادرجت النتائج كما مبين في الجدول (٥) .

الجدول (٥)

نتيجة اختبار مربع كاي X^2 للتحصيل التعليمي لآباء لافراد مجموعتي البحث

الدلالة	قيمة مربع كاي		جامعية فما فوق	ثانوية	ابتدائية فما دون	المجموعة
	الجدولية	المحسوبة				
متكافئتين	٥,٩٩	٠,٢٣٠	١٢	١١	٧	التجريبية
	(٢)(٠,٠٥)		١٣	١٢	١٠	الضابطة

يتضح من الجدول اعلاه ان قيمة مربع كاي المحسوبة (٠,٢٣٠) هي اقل من القيمة الجدولية لمربع كاي البالغة (٥,٩٩) عند مستوى دلالة (٠,٠٥) ودرجة حرية (٢)، وهذا يعني انه لا يوجد فرق ذو دلالة احصائية بين متوسط مجموعتي البحث، بذلك فان المجموعتين متكافئتين في هذا المتغير .

٥- التحصيل التعليمي للأمهات :

حصل الباحثان على البيانات المتعلقة بالتحصيل التعليمي للأمهات لافراد العينة من البطاقة المدرسية لمجموعتي البحث ومن الطالبات انفسهن من خلال استمارة وزعت عليهن من قبل الباحثين لجمع المعلومات، وقد صنف الباحثان تلك البيانات الى ثلاث فئات (ابتدائية فما دون، ثانوية ومعهد، جامعية وعليا)، وتم تطبيق اختبار مربع كاي X^2 ودرجت النتائج كما مبين في الجدول (٦) .

الجدول (٦)

نتيجة اختبار مربع كاي X^2 للتحصيل التعليمي للامهات لافراد مجموعتي البحث

الدالة	قيمة مربع كاي		جامعية فما فوق	ثانوية	ابتدائية فما دون	المجموعة
	الجدولية	المحسوبة				
متكافئتين	٥,٩٩	١,٥٠٦	١٠	١١	٩	التجريبية
	(٢)(٠,٠٥)		١٤	١٥	٦	الضابطة

يتضح من الجدول اعلاه ان قيمة مربع كاي المحسوبة (١,٥٠٦) هي اقل من القيمة الجدولية لمربع كاي البالغة (٥,٩٩) عند مستوى دلالة (٠,٠٥) ودرجة حرية (٢)، وهذا يعني انه لا يوجد فرق ذو دلالة احصائية بين متوسط مجموعتي البحث، بذلك فإن المجموعتين متكافئتين في هذا المتغير .

- مستلزمات البحث :

لاجل تنفيذ تجربة البحث تطلب تهيئة عدد من الخطط التدريسية لافراد مجموعتي البحث على وفق استراتيجية (DRTA) وذلك على وفق الخطوات التالية :

١- تحليل المادة العلمية (الادب والنصوص) :

بعد ان تم تحديد المادة العلمية من قبل الباحثين بالموضوعات الادبية من الكتاب المدرسي المقرر لمادة اللغة العربية للعام الدراسي (٢٠٢٠-٢٠٢١) للكورس الثاني، فقد حلل الباحثان المحتوى المقرر الى عدد الصفحات للدروس المحددة وعدد الحصص والنصوص الادبية التي تضمنتها الوحدة، وذلك بعد الاعتماد على قرار وزارة التربية العراقية في تكيف مناهج المراحل الغير منتهية للصف الرابع الادبي كما موضح في الجدول (٧) :

الجدول (٧)

تحليل كتاب اللغة العربية (النصوص الأدبية) المقرر للصف

الرابع الإلبي للكورس الثاني للعام الدراسي (٢٠٢٠ - ٢٠٢١)

ت	الوحدة	الموضوعات	الصفحات	الحصص	النصوص الأدبية
١	الأولى	الإيثار الدرع الحصينة	٣	٢	الخنساء
٢	الثالثة	الإعلام سلاح وقوة	٣	٢	حسان بن ثابت
٣	السادسة	الإسلام وحرية المعتقد	٤	٣	النثر في صدر الإسلام الخطابة والرسائل

٢- اعداد الخطط التدريسية :

اعد الباحثان خططا تدريسية لمجموعتي البحث الضابطة والتجريبية، وذلك بحسب خطوات الاستراتيجية المعدة لهذا الغرض، بالإضافة الى الطريقة الاعتيادية للمجموعة الضابطة، وللتحقق من صلاحية الخطط التدريسية تم عرضها على مجموعة من ذوي الاختصاص والخبرة في مجال اللغة العربية وطرائق تدريسها ، فمن خلال ملاحظاتهم القيمة عدل الباحثان على الخطط واصبحت جاهزة للتطبيق على افراد العينة .

- أداة البحث :

ان اداة البحث هي الوسيلة التي يجمع الباحث البيانات و من خلالها يتم الاجابة عن اسئلة البحث او اختيار فرضياته، ويطلق عليها بوسائل القياس كالاستبانة والمقابلة والملاحظة والاختبار (حسن : ٢٠١١ ، ٥٤)، ولكي يتحقق هدف البحث الحالي تطلب بناء اداة وهي:

أ- اختبار تحليل النصوص الأدبية :

قام الباحثان باختبار ثلاثة نصوص ادبية وعرضها على مجموعة من الخبراء والمختصين وذلك لاختيار احدهم ليكون اختباراً بعدياً لمعرفة قدرة طالبات الصف الرابع الإلبي على تحليل النصوص الأدبية، فقد وقع الاختيار على النص الاول (الراحة في التغيير) لأحمد أمين، ليكون اختباراً يطبق بعد انتهاء تنفيذ التجربة .

- التطبيق الاستطلاعي لاختبار تحليل النصوص الأدبية :

من اجل التعرف على وضوح التعليمات وزمن الاجابة والكشف عن جوانب الضعف فيه من حيث الصياغة وسهولة استيعابها وامكانية الاجابة بدون التباس، فقد طبق الباحثان الاختبار على عينة تتألف من (٣٥) طالبة من طالبات الصف الرابع الإلبي في (اعدادية بلقيس للبنات)، اذ حسب الباحثان متوسط زمن الاختبار من خلال تقدير وقت اجابة اول (٥) طالبات وآخر (٥) طالبات، حيث بلغ معدل الزمن المستغرق في اختبار تحليل النصوص

الأدبية (٤٥) دقيقة، وقد كان الاختبار واضحاً . وقد تم حساب الخصائص السايكومترية الآتية :

*قوة التمييز :

لقياس القوة التمييزية للاختبار تم استخراج المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لكل فقرة من فقرات الاختبار ولكل من الفئتين العليا والدنيا، وتم تطبيق الاختبار التائي لعينتين مستقلتين وبلغت القيمة التائية المحسوبة بين (٢,٥٥٤ - ٩,١٠٨) وهي أكبر من القيمة الجدولية (٢,١٠١) عند مستوى دلالة (٠,٠٥) ودرجة حرية (١٨)، وهذا يعني ان جميع القيم التائية دالة احصائياً والفقرات مميزة .

*صدق الاتساق الداخلي :

للتحقق من صدق الاتساق الداخلي للاختبار فقد استفاد الباحثان من درجات العينة الاستطلاعية ككل، فتم تطبيق معامل ارتباط بيرسون بين فقرات الاختبار مع درجة الاختبار الكلي، ثم طبق الاختبار التائي الخاص بمعامل ارتباط وكانت القيمة التائية المحسوبة بين (٥,٣٧٦ - ٢,٢٦٥) وهي قيمة اعلى من القيمة الجدولية (٢,١٠١) عند مستوى دلالة (٠,٠٥) ودرجة حرية (١٨) .

- تصحيح وثبات الاختبار :

تم تصحيح الاختبار وفقاً لمفتاح التصحيح للاختبار تحليل النص الادبي الذي اعتمدته الباحثان وهو معيار للعيساوي (العيساوي : ٢٠٠٥، ٩٢ - ٩٤)، ولتحقيق الحيادية وعدم الانحياز عند تصحيح الاختبار، قام الباحثان بتصحيح الاختبار بنفسيهما واتفقا مع مدرستا مادة اللغة العربية لكلا المجموعتين لتصحيح الاختبار ايضاً، وقد تم استخدام معامل ارتباط بيرسون لقياس الثبات بين التصحيحين وقد بلغت (٠,٧٨) ويشير العيساوي الى انه يجب ان يتراوح معامل الارتباط للاختبار الثابت بين (٠,٧٠ - ٠,٩٠) وبذلك تم التثبيت من ثبات الاختبار .

- تطبيق الاختبار :

بعد التأكد من قوة تمييز الاختبار وبيان الاتساق الداخلي و استخراج ثبات الاختبار، تم تطبيق الاختبار على عينة البحث في الثلاثاء ١٥ / ٦ / ٢٠٢١ على مجموعتي البحث التجريبية والضابطة .

- تنفيذ التجربة :

بعد ان تم اختيار عينة البحث وتم تحديد مجموعتي البحث التجريبية والضابطة، ونكافئهما في عدد من المتغيرات، بالاضافة الى اعداد الخطط التدريسية احدهما على وفق استراتيجية (DRTA) للمجموعة التجريبية، والاخرى بالطريقة الاعتيادية للمجموعة الضابطة،

كما تم ضبط السلامتين الداخلية والخارجية، والاتفاق مع مدرستي مادة اللغة العربية حول تنفيذ التجربة، نفذ الباحثان التجربة يوم الاثنين (٢٦ / ٤ / ٢٠٢١) في الكورس الثاني للعام الدراسي (٢٠٢٠ - ٢٠٢١) .

الفصل الرابع

عرض النتائج وتفسيرها

- النتائج المتعلقة بالفرضية الصفرية الاولى :

" لا يوجد فرق ذو دلالة احصائية عند مستوى (٠,٠٥) بين متوسطي طالبات المجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة في اختبار تحليل النصوص الادبية " .
للتحقق من هذه الفرضية استخرج الباحثان المتوسط الحسابي والانحراف المعياري للمجموعتين، وطبقا للاختبار التائي لعينتين مستقلتين، وأدرجت البيانات في الجدول (٨).

الجدول (٨)

نتيجة الاختبار التائي لمتوسط درجات الطالبات بين المجموعتين الضابطة والتجريبية في قدرتهن على تحليل النصوص الادبية

الدلالة	القيمة التائية		الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	العدد	المجموعة
	الجدولية	المحسوبة				
دال لصالح المجموعة التجريبية	١,٩٩٩	٤,٨٢٦	٨,٩١٣٧٠	٧٥,١٦٦٧	٣٠	تجريبية
	(٦٣)(٠,٠٥)		٩,٧٤٤٩٠	٦٣,٩١٤٣	٣٥	ضابطة

فيتضح من الجدول اعلاه ان القيمة التائية المحسوبة (٤,٨٢٦) اكبر من القيمة التائية الجدولية (١,٩٩٩) عند مستوى دلالة (٠,٠٥) ودرجة حرية (٦٣)، وهذا يدل على وجود فرق دال احصائيا ولصالح المجموعة التجريبية اللاتي درسن وفق استراتيجية (DRTA) على المجموعة الضابطة اللاتي درسن وفق الطريقة الاعتيادية في قدرتهن على تحليل النصوص الادبية، واتفقت هذه الدراسة مع دراسة البرقعاوي (٢٠١٠) و دراسة حمادي وعلوان (٢٠١٦). يعزو الباحثان هذه النتيجة ان استراتيجية (DRTA) ساهمت في رفع قدرات الطالبات على تحليل النصوص الادبية، بالاضافة لاعتمادها على المبادئ الرئيسة للفهم المتدرج للفكرة او للنص، وذلك يدفع الطالبات في التفكير بمحتوى النص ويهيأهم لتكوين الافكار وطرح الاسئلة والتباحث بها فيما بينهن،بالاضافة الى تشجيعهن على تقديم التوقعات والتنبؤات والعبر المستوحاة من النص، فذلك كله يهيئهن للاجابة عن اسئلة المدرسة المطروحة التي لها صلة بتحليل النص وفهمه، وهل تطابقت مع توقعاتهن الاولية عنها، وهذا الامر قد زاد من حصيلة الطالبات الادبية ومكنهن من تلخيص النص وتقبل الراي الاخر والافصاح عن ارائهن، وممارسة ثقافة الحوار والبحث عن مضامين النص والغوص في اعماقه .

الاستنتاجات والتوصيات والمقترحات

الاستنتاجات :

- ١- ان استراتيجية (DRTA) كان لها دور في تحسن ورفع قدرة طالبات الصف الرابع الاديبي على تحليل النصوص الادبية والابداع الجاد .
- ٢- امكانية تطبيق استراتيجية (DRTA) على طلاب الصف الرابع الاديبي في تدريسهم مادة الادب والنصوص .

التوصيات :

- ١- التأكيد على مدرسي ومدرسات اللغة العربية على حث طلبتهم للتفاعل مع النص وذلك عند تدريسهم لموضوعات الادب والنصوص .
- ٢- فتح دورات تأهيلية وتطويرية للمدرسات والمدرسين في وزارة التربية لتزويدهم بالاستراتيجيات الحديثة للتدريس ومنها استراتيجية (DRTA) .

المقترحات :

- ١- اثر استراتيجية (DRTA) في الادب والنصوص وتنمية التدوق الاديبي لدى طالبات الصف الرابع الاديبي .
- ٢- اثر استراتيجية (DRTA) في تنمية مهارات التفكير الناقد لدى طالبات الصف الرابع الاديبي في تحليل النصوص الادبية .

ثبت المصادر

- ❖ احمد، محمد عبد القادر، طرق تعليم اللغة العربية، طبعة ٥، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة - مصر، ١٩٨٨ .
- ❖ البرقاوي، جلال عزيز فرمان البرقاوي، فاعلية مهارات التفكير الابداعي في تحليل النصوص الادبية والاحتفاظ بها لدى طلاب المرحلة الثانوية، مجلة كلية التربية الاساسية، جامعة بابل، عدد ٤، ٢٠١٠ .
- ❖ التميمي، ضياء عبد الله، قياس مستوى التدفق الادبي لدى طلبة اقسام اللغة العربية في كليات التربية في محافظة بغداد، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية ابن رشد، جامعة بغداد، ٢٠٠١ .
- ❖ الجبوري، يحيى، تأثير الدراسات الأسلوبية في تحليل النصوص الادبية، من كتاب النصوص الادبية، دراسة وتحليل، أصدره قسم اللغة العربية في كلية الانسانيات، جامعة قطر، دار قطري بن الفجاءة، ١٩٨٣ .
- ❖ حسن، فارس مطشر، مستوى طلبة قسم اللغة العربية في تحليل النصوص الادبية وعلاقته بتحصيلهم في مادة النحو، مجلة كلية التربية للعلوم التربوية والانسانية، عدد ٤٥، ٢٠١٩ .
- ❖ الحمداني، مهند سالم محمود الحميدان، أثر ثلاث استراتيجيات قائمة على فهم المقروء في تحصيل طلاب الصف الخامس الادبي في مادة الادب والنصوص وتنمية أبداعهم الجاد، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية للعلوم الانسانية، جامعة تكريت، ٢٠٢٠ .
- ❖ الحوامدة، محمد فؤاد وفيصل حمود البليهد، فاعلية استراتيجية القراءة الموجهة في تحسين بعض مهارات فهم المقروء لدى طلاب الصف السادس الابتدائي، مجلة العلوم التربوية، المجلد ٤٣، عدد ١، السعودية، ٢٠١٦ .
- ❖ الخزاعلة، محمد سلمان فياض وآخرون، طرائق التدريس الفعال، طبعة ١، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان - الاردن، ٢٠١١ .
- ❖ الدليمي، طه علي وسعاد عبد الكريم الوائلي، اتجاهات حديثة في تدريس اللغة العربية، طبعة ١، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، اربد - الاردن، ٢٠٠٥ .
- ❖ الركابي، جودت، طرق تدريس اللغة العربية، دار الفكر المعاصر، بيروت - لبنان، ٢٠٠٥ .
- ❖ الزويني، ابتسام صاحب موسى ونياً ثامر خليل الربيعي، مستوى طلاب قسم اللغة العربية كلية الاداب في تحليل النصوص الادبية، مجلة كلية التربية الاساسية، جامعة بابل، عدد ٥، ٢٠١١ .

- ❖ زيتون، حسن حسين، استراتيجيات التدريس رؤية معاصرة لطرق التعلم والتعليم، طبعة ١، دار عالم الكتب، القاهرة - مصر، ٢٠٠٣ .
- ❖ ساسي، عمار، تحليل النص الادبي ومبدأ ربط النحو بالبلاغة، مجلة اللغة والادب، عدد ٨، جامعة الجزائر، الجزائر، ١٩٩٦ .
- ❖ سمك، محمد صالح، فن التدريس للغة العربية وانطباعاتها المسلكية وانماطها العلمية، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة - مصر، ١٩٧٥ .
- ❖ شحاته، حسن، تعليم اللغة العربية بين النظرية والتطبيق، طبعة ١، مطبعة الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٣ .
- ❖ عبد الجواد، شيماء السيد محمد، استخدام نشاط التفكير الموجه في القراءة (DRTA) في تنمية مهارات فهم المقروء العامة والنوعية لدى طلاب الصف الثاني الاعدادي، مجلة كلية التربية، جامعة الاسكندرية، ٢٠١٧ .
- ❖ عوض، فايزة السيد محمد، الاتجاهات الحديثة في تعليم القراءة وتنمية ميولها، ايرباك للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، ٢٠٠٣ .
- ❖ العيساوي، سيف طارق حسين، مستوى طلبة قسم اللغة العربية في كلية التربية الاساسية في تحليل النصوص الادبية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بابل، كلية التربية الاساسية، ٢٠٠٥ .
- ❖ الفيفي، عافية يحيى، دليل المعلمة في تطبيق أبرز استراتيجيات التعليم والتعلم، وزارة التعليم، المملكة العربية السعودية، ٢٠١٧ .
- ❖ قطامي، يوسف، استراتيجيات التعلم والتعليم المعرفية، طبعة ٢، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان - الاردن، ٢٠١٦ .
- ❖ مذكور، علي احمد، طرق تدريس اللغة العربية، ط١، دار المسيرة، عمان - الاردن، ٢٠٠٧ .
- ❖ المطيري، فرج بن فيصل، فاعلية برنامج مقترح قائم على استراتيجية (DRTA) في تنمية مهارات الفهم القرائي والاتجاه نحو القراءة لدى المتعلمين الكبار، مجلة القراءة والمعرفة، عدد ١٦١، دار المنظومة، الجمعية المصرية للقراءة والمعرفة، ٢٠١٥ .
- ❖ ميخائيل، امطانيوس، اختبارات الذكاء والشخصية، جزء ١، طبعة ١، منشورات جامعة دمشق، سوريا، ١٩٩٦ .
- ❖ الوائلي، سعاد عبد الكريم، طرائق تدريس الادب والبلاغة والتعبير بين النظرية والتطبيق، طبعة ١، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان - الاردن، ٢٠٠٤ .

Human factors and their impact on the movement of goods and their prices in the first Abbasid era
(132-247 A.H. / 750-862 A.D.)

Riyad Ahmed Abdel
Mohamed Al-Mawla
Dr. Saad Ramadan
Mohammed al-Jubouri
Assistant Professor
University of Mosul- College
of Education for Human
Sciences

رياض أحمد عبد محمد المولى
د. سعد رمضان محمد الجبوري
أستاذ مساعد
جامعة الموصل - كلية التربية للعلوم
الانسانية

ryad37595@gmail.com

تاريخ القبول

٢٠٢١/٩/٢٠

تاريخ الاستلام

٢٠٢١/٨/٢٢

الكلمات المفتاحية: العوامل البشرية - السلع والبضائع - العصر العباسي الأول

Keywords: Human factors - commodities and merchandise - the first Abbasid era

الملخص

تناول البحث أهم العوامل البشرية ودورها في التأثير على حركة السلع والبضائع في العصر العباسي الأول (١٣٢-٢٤٧هـ / ٧٥٠-٨٦٢ م) الذي شهد نشاطاً اقتصادياً مزدهراً في تلك الحقبة، إلا أنه تأثر بعوامل عدة، وفي مقدمتها الحروب والفتن والاضطرابات، وعوامل أخرى أثرت في حركة البضائع مما تسبب في ندرة هذه السلع والبضائع في السوق مما أدى إلى ارتفاع أسعارها. كما لعبت العلاقات التجارية دوراً إيجابياً انعكس على تنوع السلع والبضائع في أسواق بغداد في تلك الفترة، واستقبلت بغداد التجار من جميع الجهات. فضلاً عن أن هناك عوامل اقتصادية لعبت أيضاً دوراً متذبذباً بين ما هو إيجابي وما هو سلبي أثرت بشكل أو باخر على السلع والبضائع وأسعارها. ومثال ذلك ما حصل بين الخليفة الأمين وأخيه المأمون فارتفعت الأسعار ارتفاعاً شديداً في تلك الفترة. و كان لسوء الإدارة المالية للدولة تأثيراً كبيراً جداً على حركة السلع والبضائع في تلك الفترة. وشهدت الأسعار صعوداً وهبوطاً بين حكم خليفة وآخر، إذ كانت مستقرة وثابتة في خلافة أبي جعفر المنصور، لكنها ارتفعت في عهد الخليفة هارون الرشيد. وكذلك البذخ والاسراف في الإنفاق، الأمر الذي لعب دوراً مهماً في التأثير على السلع والبضائع وأسعارها في تلك الفترة. كما أشرنا إلى الرقابة المالية والأزمات الاقتصادية ودورها في الأسعار واستقرارها من خلال معالجة الأزمات الاقتصادية التي لعبت دوراً سلبياً في ارتفاع الأسعار، مما أدى إلى تدخل مؤسسات الخلافة العباسية واتخاذ الإجراءات اللازمة.

Abstract

The research dealt with the most important human factors and their role in influencing the movement of goods and merchandise in the first Abbasid era which witnessed a prosperous economic activity in that era but it was not far from the impact of these factors foremost of which are wars strife and disturbances and the factors affected the movement of goods Which caused a scarcity of these goods and merchandise in the market which caused an increase in their prices. Trade relations also played a positive role which was reflected in the diversity of goods and merchandise in Baghdad markets in that period and Baghdad accepted merchants from all sides. In addition to the fact that other factors and the economic in particular also played a vacillating role between what is positive and what is negative. The poor financial management of the state had a very big impact on the movement of goods and merchandise in that period. Prices witnessed a rise and fall between the size of one caliph and another it was stable and constant in the caliphate of Abu Jaafar al-Mansur but it was elevated during the period of Caliph Harun al-Rashid. As well as extravagance extravagance and extravagance in spending which played an important role in influencing goods and merchandise and their prices in that period. We also referred to financial control and economic crises and their rol on prices and their stability by addressing the economic crises that played a negative role in the rise in prices which led to the intervention of the Abbasid Caliphate institutions and taking measurestoaddressst .

المقدمة

شهد العصر العباسي الاول نشاطا اقتصاديا مزدهرا في تلك الفترة والذي اثرت بشكل او باخر على حركة السلع والبضائع واسعارها خلال العصر العباسي الاول فقد تناول البحث العوامل المؤثرة على حركة السلع والبضائع واسعارها ومن المؤكد ان بعض هذه العوامل تركت اثرا ايجابيا في حين ان عوامل اخرى تركت أثر سلبيا وهذا ما سنوضحه من خلال ذكرنا لأبرز واهم هذه العوامل وأثرها البارز في التأثير على حركة السلع والبضائع مما سينعكس سلبا او ايجابا على اسعار السلع والبضائع.

وفي مقدمتها العوامل البشرية والتي أدت دوراً بارزاً في التأثير على حركة السلع والبضائع واسعارها في تلك الفترة فكثيرا ما تعرضت الخلافة العباسية لحركات وفتن داخلية وخارجية حددت سير القوافل التجارية وعرضت التجار للأخطار مما صعب عملية نقل هذه السلع والبضائع سواء كان ذلك برا او بحرا. فكانت الحروب ايضا لها أثر واضح في ذلك وما دار بين الخليفة الامين والمأمون دليل واضح لما حصل من نقص للسلع والبضائع في اسواق بغداد مما ادى لارتفاع الاسعار. اما العلاقات التجارية للخلافة العباسية مع البلدان الاخرى فكانت وتيرتها تختلف من خليفة الى اخر فهي ليست بذلك التطور والتواصل في عهد الخليفة ابو جعفر المنصور الا انها تطورت بشكل كبير وواسع في زمن الخليفة هارون الرشيد. وتناول البحث العوامل الاقتصادية وأثرها على حركة السلع والبضائع واسعارها من خلال سوء الادارة المالية في التعامل مع السلع والبضائع واسعارها فضلا عن البذخ والاسراف للخلفاء العباسيين في الانفاق وايضا الرقابة على المالية والازمات الاقتصادية.

أ - العوامل السياسية والعلاقات التجارية:

كان للحركات والفتن الداخلية والخارجية اثراً بالغ في التأثير على حركة السلع والبضائع وأسعارها في العصر العباسي الاول وفي مقدمتها الحروب ومنها على سبيل المثال الحرب التي نشبت بين الخليفة الامين وأخيه المأمون والتي امتدت (١٩٣-١٩٨هـ / ٨٠٨-٨١٣م) والتي انتهت بمقتل الخليفة الامين، ففي اثناء الحرب نفذت الاموال التي كانت في خزينة الدولة مما اضطر الخليفة الامين من اجل تأمين مرتبات الجند وإدامة استمرارها، عمل على ضرب اواني الذهب والفضة التي يمتلكها وجعلها نقوداً^(١)، لغرض ايجاد سيولة نقدية ورافق ذلك خروج الزط في البصرة مستغلين هذه الحرب ، كما شهدت البصرة العديد من الحركات والفتن الداخلية ومنها حركة (الزط)^(٢) التي اوقفت حركة نقل السلع والبضائع مما اضر ذلك بالتجارة فحالت هذه الحركة دون وصول المؤن الواردة من الهند الى الصين عن طريق البصرة الى بغداد، فالزط انتهزوا فرصة الصراع بين الامين والمأمون فاستولوا على طريق البصرة فقطعوه عن بغداد واخذوا يتعرضون للقوافل التجارية ويسلبونها.

وقد اشار البلاذري^(٣) لذلك بقوله " وكان الناس في بعض ايام المأمون قد تحاموا الاجتياز بهم وانقطع عن بغداد جميع ما كان يحمل اليها من السفن " ولم يقتصر نشاط الزط في البصرة بل امتد الى البحرين واليمامة واتضح ذلك من الحملات المتعاقبة التي كان يرسلها الخليفة المأمون (١٩٨-٢١٨هـ/٨١٣-٨٣٣م) والتي ابتدأت من (٢٠٤هـ-١١٩م) لمحاربتهم في البصرة والبحرين واليمامة^(٤)، الا انه لم يظفر بهم لان الزط اتبعوا في حروبهم طريقة التفرق بقواربهم السريعة في البطائح و الأهوار والمستنقعات مما يصعب ملاحقتهم فيها^(٥)، وقد

(١) ابن الأثير، عز الدين ابي الحسن علي بن محمد، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر

عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، (بيروت : د.ت)، ٢٧/٥.

(٢) الزط: اسم معرب لشعب هندي قديم يميل لونه الى السواد والسمره النحاسية القاتمة،

وموطنها الاصلي بلاد السند والسواحل الممتدة غربي الهند، هاجروا تحت ظروف

واسباب مختلفة الى ايران والخليج العربي والى جزيرة مدغشقر، والساحل الشرقي

الافريقي، ولما انتشر الاسلام في تلك الجبهات، اسلم الزط وانظموا الى قبائل بني

حنظلة، احمد مختار العبادي، حركة الزط في العصر العباسي، ٢٣٤-٢٣٧.

(٣) أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري، فتوح البلدان، دار ومكتبة الهلال،(بيروت:

١٩٨٨م)، ٣٨٦.

(٤) ابن عبد الحق عبد المؤمن البغدادي، مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع،

تحقيق: علي محمد البناحيوي، (القاهرة: ١٩٥٤م)، ٣/٣٦٦.

(٥) ابن سيده، علي بن اسماعيل، المخصص، (بيروت: د.ت)، ٣/٣٦٩.

العوامل البشرية وأثرها على حركة السلع والبضائع... رياض أحمد و د. سعد رمضان

استمر امرهم هذا حتى سنة (٢١٩هـ/٨٣٤م) عندما لجأ الخليفة المعتصم (٢١٨-٢٢٨هـ/٨٣٣-٨٤١م) بحكم تجاربه العسكرية في محاربتهم الى وضع خطة عسكرية تتفق وطبيعة هذه المناطق فأخذ حركتهم في اوائل سنة (٢٢٠هـ-٨٣٥م) بعد ان عاثوا فساداً وتخريباً وشلوا حركة التجارة في العراق ومنطقة الخليج العربي^(١).

اما فيما يخص الاتفاقيات السياسية والتجارية فقد اولها الخلفاء العباسيون اهتمامهم بأرسالهم البعث والسفارات الى الدول الاجنبية ولا سيما مع الهند والصين لتأمين التبادل التجاري، ففي سنة (١٣٩هـ-٧٥٦م) وصلت الى الصين سفارة عربية مكونة من خمس وعشرين شخصاً^(٢). وقد ادى تفاهم العباسيين مع الصين الى فتح اسواق الشرق الاقصى امام تجارة متبادلة غنية^(٣)، وقد ازدادت العلاقة مع الصين في عصر الخليفة هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ/٧٨٦-٨٠٨م) بسبب حالة الترف التي ظهرت في المجتمع العباسي^(٤)، الا ان العلاقات التجارية للدولة العباسية مع الصين كانت قد بدأت منذ عهد الخليفة ابو جعفر المنصور (١٣٦-١٨٥هـ) (٧٥٣-٧٥٧م) ثم مرت بعهد الخليفة هارون الرشيد (١٧٠-١٩٤هـ / ٧٨٦-٨٠٨م) والذي بذل جهوداً كبيراً لتنشيط العلاقات التجارية بين دولته والصين، فقد بعث وفد لغرض تشجيع حكومة الصين على استمرار ارسال بضائعها وتجاريتها الى اسواق بغداد^(٥)، وقد ذكر الدوري لنا ان الخليفة هارون الرشيد ارسل ثلاث سفارات الى الصين وصل احداها سنة (١٨٢هـ/٧٩٨م)^(٦). اما السفارات الاخرى لم تذكر المصادر شيء عنها .

وقد حرص ملوك الهند على تبادل السفارات والوفود مع خلفاء بني العباس فقد ذكرت الروايات التاريخية ان احد ملوك الهند (لم يذكر اسمه) ارسل الى الخليفة هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ / ٧٨٦-٨٠٨م) وفدا حمل هدايا كان من ضمنها سيوف قلعية وكلاب سيورية فضلاً عن الثياب وقد اعجب الخليفة اعجاباً شديداً بالكلاب السيورية فأكرم الوفد وامر لهم

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ٣٦٩.

(٢) توفيق سلطان اليزيكي، دراسات في النظم العربية الاسلامية، (الموصل: ١٩٨٨م)، ٢٩٤.

(٣) محمد سهيل طقوش، تاريخ الدولة العباسية، (بيروت: ١٩٦٠م)، ٣١-٣٢.

(٤) الدوري، عبد العزيز، العصر العباسي الاول، دراسة في التاريخ السياسي والاداري، والمالي (بيروت: ١٩٧٠م)، ١٠٤.

(٥) فليبي، عبد الله، هارون الرشيد، ترجمة، عبد الفتاح السرنجاوي، جمعية الثقافة الاسلامية (القاهرة: ١٩٨٤م)، ٦٠.

(٦) الدوري، العصر العباسي الاول، ١٤٨-١٤٩.

بجوائز ثمينة^(١). وقد ارسل ايضاً احد ملوك الهند ويدعى (دهما) الى الخليفة المأمون (١٩٨-٢١٨ هـ / ٨١٣-٨٣٣م) هدية ثمينة من كتاب يصف فيه مملكته وعظم خزائنه والاشادة بمكانة المأمون وعمله^(٢)، وقد نشأت علاقات مصاهرة نتج عنها جيل عرف بـ (البياسرة)^(٣)، وجاءت نتيجة استقرار عدد من التجار العرب في الهند، فقد نشطت طلائع التجار العرب في العصر العباسي الى الهند فجابوا سواحلها الشرقية والغربية بل انهم وصلوا الى سومطرة وجزائر والارخبيل^(٤).

وكان التجار الهنود المتجهون الى العراق قد اتخذوا من مدينة البصرة مقراً لهم والتي كانت من اهم المراكز التجارية التي قصدها التجار الهنود^(٥) كونها تقع على الخليج العربي . وقد كان ملوك الهند مولعين بأنواع واصناف كثيرة من البضائع كالتومور والثياب والزجاج المحكم والاقداح والكاسات التي تصنع في العراق والتي حملت الى بلادهم والتي كانت تمتاز بالجودة في صناعتها فضلاً عن جلب البضائع التي تحتاجها اسواق بغداد. وقد نشأة علاقات تجارية واسعة بين بلاد ما وراء النهر ومركز الخلافة العباسية في بغداد فقد كان النشاط التجاري بين العراق وبلاد ما وراء النهر (سمرقند ، بخارى ، فرغانة ، طشقند ، خوارزم ، مرو ، ترمذ) كبيراً جداً وقد اتضح ذلك من خلال اقامة المحطات التجارية على الطريق التجاري الذي يصل من العراق الى اواسط اسيا، فضلاً عن وجود الجالية العراقية في سمرقند، لذلك فقد كانت تجارات كل من سمرقند وبخاري تصل من والى العراق^(٦).

وكانت القراطيس في مقدمة البضائع التي كانت تأتي من سمرقند الى العراق، وكانت هذه القراطيس شائعة الاستعمال في العراق والشام والمغرب العربي^(٧).

-
- (١) الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٨، ١٠٤.
- (٢) ابن دحية، ابو الخطاب عمر بن الحسن، النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس، تحقيق: المحامي عباس العزاوي (بغداد: ١٩٤٦م) ٥١-٥٣.
- (٣) المسعودي، مروج الذهب، دار الكتب العربية، بيروت، ١/١٧٨.
- (٤) الدوري، العصر العباسي الاول، ١٤٨.
- (٥) محمد حسين الزبيدي، العراق في العصر البويهي، دار النهضة، (القاهرة: ١٩٦٩م)، ١٦٩.
- (٦) ناجي معروف، المدخل في تاريخ الحضارة، مطبعة العالمي (بغداد: ١٩٦٠م)، ٧.
- (٧) جورج، يعقوب، اثر الشرق في الغرب خاصة في العصور الوسطى، ترجمة: فؤاد حسين (القاهرة: ١٩٤٦م) ٣٧-٣٨.

وقد وفد الكثير من اهل بلاد ما وراء النهر واستقروا في بغداد لغرض العمل بالتجارة او الصناعة وقد افردت لهم اسواق خاصة ببغداد بل وعدت هذه الاسواق من أحسن الاسواق في بغداد^(١). ومما ساعد على ازدهار التجارة بين بغداد وبلاد ما وراء النهر هو ان قوافل الحجاج كانت تتوجه من بخارى الى بغداد قاصدة مكة المكرمة فكانت هذه القوافل تحمل معها اعداد كبيرة من التجار فتجري عمليات واسعة بين اهل بغداد وهذه القوافل^(٢).

اما العلاقات التجارية مع الغرب فقد كان للخلافة العباسية علاقات تجارية مع روسيا وكانت القوافل التجارية متصلة من خوارزم الى بلغار، ومن بلغار الى خوارزم فكان الكثير من المسلمين يذهبون الى مدينة بلغار اما بطريق (اتل) برا او في قوارب بصعود نهر الفولكا وكان التجار يعاملون معاملة حسنة بسبب كون البلغار قد دخلوا بعضهم في الاسلام^(٣).

وقد يتجه التجار مباشرة الى بغداد وهم من الروس (من جنس الصقالبة) وكان هؤلاء التجار يحملون معهم مختلف البضائع ومنها السيوف والجلود وبعد خروجهم من بحر جرجان يركبون الابل الى بغداد وهناك يتظاهرون انهم نصارى فيدفعون الجزية^(٤)، وقد كان في مدينة بلغار جالية اسلامية فضلاً عن جامع ومعمل لسك النقود وباسم الخلفاء العباسيين وعلى طرازهم^(٥).

اما العلاقات العباسية البيزنطية فنستطيع القول بانها كانت تتأرجح بين مد وجزر وسلم وحرب بين الدولتين لذا كانت العلاقات التجارية بيت هاتين الدولتين مرهونة بحالة السلم والحرب ويمكن ان نعزو اسباب الحروب التي وقعت بين الطرفين الى اسباب اقتصادية واخرى سياسية، فكان التنافس في السيطرة على الطرق التجارية التي تتصل بالشرق الاقصى كان

(١) اليعقوبي، أحمد بن إسحاق (أبي يعقوب) بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت: ١٤٢٢ هـ)، ٤٠-٤١.

(٢) المسري، حسين علي، تجارة العراق في العصر العباسي، (الكويت: ١٩٨٢)، ٢٧٥-٢٧٦.

(٣) الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي، معجم البلدان، دار صادر، ط٢، (بيروت: ١٩٩٥ م) ٣٦٧/٢-٣٦٨.

(٤) ابن خردادبة، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري، المسالك والممالك، دار الغرب الإسلامي ١٩٩٢ م، ١٥٤.

(٥) مورسي لومبارد، الإسلام في عظمته الاولى من القرن الثامن عشر الى القرن الحادي عشر، ترجمة: ياسين الحافظ (بيروت: ١٩٧٧ م)، ١٩٨.

سبباً في النزاع بين بغداد والقسطنطينية^(١)، وقد ذكرت الروايات التاريخية انه على الرغم من الحروب التي حدثت بين الدولتين الا انه كانت هناك علاقات تجارية بين الدولتين فعلى اثر توقيع الاتفاق بين الخليفة هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ / ٧٨٦-٨٠٨م) والامبراطورة ايرين في سنة (١٦٥هـ/٧٨١-٧٨٢م) قدم وفد اخر من بيزنطة الى مقر الخلافة العباسية في بغداد حاملاً الجزية والهدايا الى الخليفة المهدي (١٥٨-١٦٩هـ / ٧٧٥-٧٨٦م) فكانت هذه الجزية عبارة عن اربع وستين الف دينار بيزنطي والفين وخمسمائة دينار عربي ويبدو ان وجود هذه الدنانير هو دليل على وجود تبادل تجاري سبقت هذه السفارة^(٢).

وعلى ما يبدو ان السفارات والوفود التي تنقلت بين بغداد والقسطنطينية ادت دوراً كبيراً في دعم النشاط التجاري وتفعيله بين الدولتين الا ان وصول الامبراطور نقفور الى عرش الامبراطورية البيزنطية ادى الى اندلاع الحرب بين الدولتين وقد تمكن الخليفة هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ / ٧٨٦-٨٠٨م) من اخضاع نقفور^(٣)، بل واشترط عليه ان يقوم بسك النقود ويكتب على احد وجهيها اسمه والثاني الامين والمأمون ففعل نقفور وارسل النقود^(٤).

اما عن العلاقات التجارية بين الخلافة العباسية و(شارلمان) ملك الفرنجة فقد ذكر ان هذه العلاقة كانت موجودة وهي لا تتعدى أكثر من علاقات بعض الافراد الفرنجة الذين دخلوا الى البلاد الاسلامية وبالمقابل فقد دخل المسلمون الى الامبراطورية الكارولنجية اي ان ما كان يحدث هو دخول بعض الافراد بدوافع تجارية فسرت على انها تبادل للسفراء بين خليفة المسلمين هارون الرشيد وملك الفرنجة شارلمان^(٥).

في حين ذهب البعض الى وجود علاقات دبلوماسية بين الدولتين وقد ذكر ماجد عبد المنعم ان الملك البيبين الثالث ملك الفرنجة (٧٥١-٧٦٨م) قد بعث بسفارات عدة الى بغداد وجدت ترحيباً من الخليفة ابو جعفر المنصور وربما ان المنصور لم يكن راغباً في ايجاد

(١) فازاليف، بيزنطة والاسلام، ملحق بكتاب نورمان بينز، الامبراطورية البيزنطية، ٣٨٧-٣٨٨.

(٢) الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر، تاريخ الرسل والملوك، ط٢، دار التراث (بيروت: ١٣٨٧هـ)، ٨/١٤٥.

(٣) المسعودي، ابو الحسن علي بن الحسين، التنبيه والاشراف، تحقيق، عبد الله اسماعيل الصاوي، (بغداد: ١٩٣٨م)، ٤٢.

(٤) الكرمل، انستانس، النقود العربية وعلم النميات، (القاهرة: ١٩٧٦م)، ٩٣.

(٥) خدوري، مجيد، الصلات الدبلوماسية بين الرشيد شارلمان، مطبعة الفيض الاسلامية (بغداد: ١٩٣٩)، ٥.

العوامل البشرية وأثرها على حركة السلع والبضائع... رياض أحمد و د. سعد رمضان

علاقات او تطوير هذه العلاقات مع دولة كافرة لكن العداء الذي كان بين العباسيين والامويين والرغبة في استرداد الاندلس فضلا عن العداء الذي كان بين الخلافة العباسية والروم دعت هذه الامور مجتمعة الخليفة المنصور الى الترحيب بهذه السفارات ان صحت (١). وقد وفدت سفارات اخرى ارسلها شارلمان الى الخليفة هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣ هـ / ٧٨٦-٨٠٨ م) وقد وصلت السفارة في شهر رجب سنة (١٨٦ هـ / ٨٠٢ م) برئاسة شخص يهودي يدعى (اسحق) وقد حملت هذه السفارة هدايا الى الخليفة هارون الرشيد كان من ضمنها فيل (٢).

وقد ابدى شارلمان رغبة كبيرة في اقامة علاقات الود والتفاهم مع الخلافة العباسية بل انه اخذ يلقي اللوم على الطبيعة التي جعلت فاصلاً بينه وبين الدولة العباسية وقد ظهر ذلك اثناء حديث مع مبعوث الخليفة هارون الرشيد، وقد كان شارلمان يقوم وبشكل مستمر بأرسال الهدايا الى الخليفة هارون الرشيد وربما كان يسعى ايضاً فضلاً عن تحقيق الود والتفاهم مع الخليفة هارون الرشيد اقامة نوع من الدعاية التجارية للبضائع التي تنتج في بلاده (٣).

ولم يكن للصراع القائم بين الامبراطورية الكارولنجية ومسلمي الاندلس في المغرب والصراع العباسي اثرا كبير في اعاقه التبادل بين الشرق والغرب بل كانت للعلاقات بين الرشيد وشارلمان وتبادل الغارات بينهما اثر كبير في انتعاش العلاقات التجارية بين الامبراطورية الكارولنجية والشرق (٤)، وربما كان شارلمان يسعى لتحقيق رفاهية شعبية من خلال الاتصال التجاري بالدولة الاسلامية وتحقيق ازدهار اقتصادي كبير يشاطره في ذلك القائمون على امور المسلمين في الخلافة العباسية (٥)، لذلك من المؤكد ان الاتفاقيات السياسية او التجارية وعقد الهدن بين الدولة العباسية ودول اخرى ترك اثرا ايجابيا في استقرار وثبات الاسعار فضلا عن وفرة اموال طائلة الى الدولة العباسية عن طريق الاموال التي كانت تدفع بشكل جزية كلها امور ساهمت في استقرار الاسواق وثبات الاسعار على العكس من الحروب والفتن فإنها تركت اثارا سلبية على الاسعار واستقرارها بسبب مخاطر الطريق والتي ادت بلا شك الى ارتفاع الاسعار بشكل فاحش.

-
- (١) عبد المنعم، ماجد، العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، مكتبة الجامعة العربية (بيروت: ١٩٦٦م) ٦٧٤.
 - (٢) خدوري، الصلات الدبلوماسية، ٥٥.
 - (٣) المسري، تجارة العراق، ٨٣٨.
 - (٤) عاشور، سعيد عبد الفتاح ومحمد سعيد، النهضة الاوروبية في العصور الوسطى، (القاهرة: ١٩٥٦)، ٧٥.
 - (٥) المسري، تجارة العراق، ٣٤٢.

ب - العوامل الاقتصادية:

١ - سوء الإدارة المالية:

تمتعت الدولة العباسية في بداية عهدها بإدارة مالية جيدة، كان من نتائجها وفرة الاموال في خزينة الدولة، اذ تميز عصرها الاول بالتوازن بين الايرادات والنفقات، بل كان على الدوام هناك فائض من الاموال في بيت المال. فقد بدأت مالية الدولة في النمو في عهد الخليفة ابو العباس السفاح (١٣٢-١٣٦هـ/٧٥٠-٧٥٤م)، فقد بلغ مقدار ما خلفه من الاموال خمسة ملايين و(٢٠٠) مليون درهم^(١).

ثم اتى بعده الخليفة ابو جعفر المنصور الذي كان يمتلك حنكة في السياسة المالية والذي استطاع ان يقتصد في النفقات رغم كثرتها، وان يوفر الاموال الكثيرة في بيت المال، فقد بلغ مقدار ما خلفه (٦٠٠) مليون درهم و(١٤) مليون دينار^(٢)، حيث ذكر الجهشيارى^(٣) انه خلف من الاموال عند وفاته (٩٦٠) مليون درهم .

وبعد مجيء الخليفة المهدي الى الخلافة فإنه توسع في سياسة الانفاق التي ادت الى انفاق جميع الاموال التي وفرها له والده (الخليفة ابو جعفر المنصور) في بيوت الاموال، فضلاً عن صرفه ما كان يرد بيت المال من الامصار والاقاليم المختلفة، وقد ذكر المسعودي^(٤) ذلك في قوله ((بسط يده في العطاء فأذهب جميع ما خلفه المنصور، وهو ستمائة الف درهم واربعة عشر الف دينار، سوى ما جباه في ايامه))، الى درجة ان بيت المال كاد يفرغ تماما من الاموال^(٥)، الا انه مع ذلك فإنه ترك في بيت المال ما يزيد على (٢٧) مليون دينار^(٦) او ما يعادل (١٨٩) مليون درهم عند وفاته^(٧).

(١) القاضي الرشيد، ابو الحسن احمد بن الزبير، الذخائر والتحف، التراث العربي،(الكويت،

١٩٥٩م)، ٩٧.

(٢) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ٢٢٢/٣.

(٣) المصدر نفسه، ٢٢٢/٣.

(٤) المصدر نفسه، ٢٢٧/٣.

(٥) المصدر نفسه، ٢٢٧/٣.

(٦) القاضي الرشيد، الذخائر والتحف، ٢١٣.

(٧) اذا تمكنا بتحويل مبلغ الدنانير الى دراهم حسب سعر العرف السائد في عصره وهو

سبعة دراهم للدینار الواحد فيكون مقدار المبلغ بالدرهم هو (١٨٩٠٠٠٠٠٠) درهم،

الامالي والدرهم والنوادر، القالي، ابو عبيد البكري، (القاهرة: د.ت)، ٤٠.

وعد عصر الخليفة هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ/٧٨٦-٨٠٨م) عصر الازدهار للدولة ووصولها الى أوج عظمتها وقوتها في جميع المجالات، من خلال سياسته المالية الحكيمة والرصينة^(١)، في ان يوفر الاموال وقد ذكر الطبري^(٢) ذلك بقوله ((و كان يقتفي اثار المنصور، ويطيب العمل بها الا في بذل المال فإنه لم ير خليفة قبل كان اعطى منه للمال، ثم المأمون من بعده)). فقد وفر من الاموال ما لم يوفره خليفة اخر، اذ ترك ملياري درهم وخلف في بيت المال (٤٨) مليون دينار و(٩٠٠) مليون درهم^(٣). اما الخليفة الامين (١٩٤-١٩٨هـ) (٨٠٩-٨١٣م) فقد انفق جميع ما تركه والده (الخليفة هارون الرشيد)، لاغداقه في الكرم والصلوات والهدايا^(٤)، وما وزعه من الاموال في حربه مع اخيه المأمون لكسب الانتصار والمؤيدين، فكان يفرق الاموال بغير حساب^(٥). وكان للحرب التي استمرت أكثر من عام ونصف العام نتائج مالية سيئة اذ انها ((خربت الديار، وغت الاثار، وغلت الاسعار، وهدمت المنازل واحرقت الدينار، وانتهبت الاموال))^(٦) فأصاب اقتصاد الدولة بحالة من الشلل لعدة سنوات^(٧).

وعندما نفذت الاموال اضطر الى اخراج انية الفضة والذهب سراً وسكها نقداً^(٨)، لإنفاقها على الجيش، وقد دفعته الحاجة الى الاموال الى التفتيش عن وسائل بديلة لزيادة الواردات، فعمد الى اموال الاغنياء واصحاب الودائع والذخائر من المسلمين وغيرهم، حتى هرب هؤلاء الى بلدان اخرى^(٩)، وحين اشتد عليه الحاجة الى الاموال، ولم يبق عنده ما يدفعه للجند باع ما بخزائنه سراً، وفرقه ارزاقاً على جنده، ثم لم يبق معه ما يعطيهم^(١٠).

اما الخليفة المأمون (١٩٨-٢١٨هـ / ٨١٤-٨٣٣م) فقد عانى من العجز المالي في فترة حكمه الاولى بسبب خلو خزينة الدولة من الاموال وكثرة النفقات التي صرفها في

(١) الجهشيارى، الوزراء والكتاب: ١٩٩.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك: ٣٤٧/٨.

(٣) الجهشيارى، الوزراء والكتاب: ٢٨٨؛ القاضي الرشيد، الذخائر والتحف: ٢١٣.

(٤) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ٤١٠/٥.

(٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٣٦٥/٨.

(٦) المسعودي، مروج الذهب، ٢٨٩/٣؛ ابن الأثير الكامل في التاريخ: ٣٩٣-٣٩٧.

(٧) ضيف الله يحيى الزهراني، النفقات، وادارتها في الدولة العباسية، (د.م. د.ت): ٨٦.

(٨) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر: ٢٩٢/٣؛ ابن الاثير الكامل في التاريخ:

٣٩٣/٥.

(٩) المسعودي، مروج الذهب، ٢٩٥/٣؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك: ٤٦٣/٨.

(١٠) المسعودي، مروج الذهب، ٢٩٦/٣؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ: ٣٩٧/٥.

الاصلاح والتسعير بعد الحرب والخراب الذي لحق ببغداد والمدن المجاورة لها، فاضطر الى استئدانة مبلغ عشرة ملايين درهم، لو لا مجيء خراج فارس ووصله قبل ان يأخذ القرض^(١)، كما ونفذت الاموال وهو في طريقه لقتال الروم، فشكا الى اخيه المعتصم قلة المال عنده فأمدته من خراج بلاد الشام ومصر^(٢).

ثم اتبع سياسة إدارية ومالية وزراعية حكيمة حين عاد الى بغداد، فأبدى اهتماماً بالغاً في الشؤون المالية وأشرف على الامور ورقابتها بنفسه^(٣)، فنمت ثروة البلاد، حتى اصبحت موارده المالية تزيد عن نفقاتها بمبالغ طائلة^(٤).

اما الخليفة المعتصم (٢١٨-٢٢٧هـ / ٨٣٣-٨٤٢م) فقد اقتفى سيرة اخيه الخليفة المأمون فسار على سياسته ونهجه في احكامه ونظامه، الا لم يبلغ بالدولة ما بلغته في عهد الخليفة المأمون من القوة المالية ووفرة الايرادات، فقد بلغ ما تركه في بيت المال ثمانية مليون دينار، وثمانية مليون درهم^(٥)، والسبب في ذلك يعود الى كثرة النفقات في عهده بسبب كثرة الجند ودخول العنصر التركي الى الجيش العباسي للجند النظامي، وتزايد اعدادهم، وبسبب كثرة الحملات العسكرية^(٦). اما عهد الخليفة المتوكل (٢٣٢-٢٤٧هـ / ٧٤٧-٨٦١م) فقد تميز بظهور العجز في موازنة الدولة وزيادة مصروفاتها على وارداتها، والسبب يرجع الى اسراف الخليفة وبذخه وكثرة انفاقه للأموال على العمارة وبناء القصور في سامراء. والعطايا والجوائز.

٣- البذخ والاسراف في الانفاق:

لقد تبيننت واتضحت مظاهر الاسراف والبذخ في الانفاق وحياة الترف التي عاشها الخلفاء العباسيون من خلال القصور التي بناها الخلفاء وأنفقوا على بنائها اموالاً طائلة. فقد

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك: ٦٥٣/٨.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٦٥٣/٨؛ ابن الاثير، الكامل: ٦/٩.

(٣) خولة عيسى صالح، الرقابة الادارية والمالية في الدولة العربية الاسلامية، بيت الحكمة (بغداد: ٢٠٠١): ٧٣-٧٤.

(٤) ابن قدامة، قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي، الخراج وصناعة الكتابة، ط١، دار الرشيد للنشر، (بغداد: ١٩٨١م)، ٢٣٦: ٢٤٩.

(٥) المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي، التنبيه والاشراف، تصحيح: عبد الله إسماعيل الصاوي: دار الصاوي (بيروت: ١٩٦٥): ٣٠٧.

(٦) ذكر الطبري عن كثرة النفقات العسكرية في عصره بقوله ((و لم يكن بالنفقة على شيء اسمع منه بالنفقة على الحرب))، الطبري، تاريخ، مصدر سابق: ١٢١/٩.

العوامل البشرية وأثرها على حركة السلع والبضائع... رياض أحمد و د. سعد رمضان

بلغت قيمة المنشآت العمرانية التي بناها الخليفة ابو جعفر المنصور (١٣٦-١٥٨هـ / ٧٤٩-٧٥٣م) (١٠) ملايين دينار و(٨٣) الف درهم^(١). وبنى الخليفة المهدي (١٥٧-١٦٩هـ / ٧٥٧-٧٧٥م) عيسا باذ وبنى منتزهاً وانفق عليها (٥٠) مليون درهم من بيت مال المسلمين^(٢)، كما وعرف عن الخليفة هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ / ٧٨٦-٨٠٨م) واولاده الأمين والمأمون والمعتمد حبهم واهتمامهم بالعمارة وصرفهم الاموال الطائلة في هذا الجانب، فقد صنعت للخليفة الامين (١٩٣-١٩٨هـ) (٨٠٨-٨١٣م) خمس طراقات في دجلة، وهي سفن على صورة الاسد والفيل والعقاب والحية والفرس، وانفق عليه مالاً عظيماً وذكر ان مقدار ما انفق على بناء واحدة منها، بلغ ثلاثة مليون درهم^(٣) وبنى لها منازل بالخيزرانية ببغداد انفق عليها (٢٠) مليون درهم^(٤)، اما الخليفة المتوكل (٢٣٢-٢٤٧هـ / ٨٤٦-٨٦١م) فعد من اكثر الخلفاء اسرافاً وتبذيراً فقد عرف عنه شغفه ببناء القصور، اذ بنى جملة من القصور في سامراء بلغ عددها نحو (١٩) قصر^(٥)، بلغ مجموع ما انفق على بنائها (٣٠٠) مليون درهم^(٦) او نحو ذلك^(٧)، وذكر المسعودي^(٨) ان الخليفة المتوكل انفق على ثلاثة قصور (١٠٠) مليون درهم^(٩)، وانفق على شق القناة التي تحمل المياه الى قصوره ولم يكمل بنائها (٢٠٠) الف دينار.

ومن مظاهر البذخ والاسراف ايضاً حفلات الزواج والختان والولائم، فقد ظهر الاسراف بشكل كبير، فتعد وليمه زفاف هارون الرشيد على السيدة زبيدة من اكبر الولائم لكثرة ما هدر فيها من اموال، وقدرت النفقة من بيت المال من غير ما انفق الرشيد من ماله بحوالي

(١) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ٧٣/١-٧٤.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك: ١٤٦/٨-١٦٢.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل، ٥٠٩/٨-٥١١؛ ابن الاثير، الكامل: ٤١٠/٥-٤١١.

(٤) المصدر نفسه، ٤٦٦/٨؛ المصدر نفسه: ٣٩٧/٥.

(٥) الشابشتي، ابو الحسن علي بن محمد، الديارات، تحقيق: كوركيس عواد، ط٣، دار الرائد العربي، (بيروت: ١٩٨٦م): ٢٣٠.

(٦) القيرواني، ابو اسحاق ابراهيم بن علي، زهرة الآداب وثمر الألباب، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط٤، دار الجيل (بيروت: ١٩٧٢م): ٢٣١/١.

(٧) النويري، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين، نهاية الارب في فنون الادب، ط١، دار الكتب والوثائق القومية، (القاهرة: ١٤٢٣ هـ): ٤٠٦/١.

(٨) الطبري، تاريخ: ٢١٢/٩.

(٩) المسعودي، مروج الذهب: ٣٨٧/٤.

(٥٥) مليون درهم^(١)، وبلغت قيمة صدق بوران بنت الحسن بن سهل على الخليفة المأمون (١٩٨-٢١٨ هـ / ٨٣١-٨٣٣ م) (١٠٠) الف دينار وخمسة ملايين درهم^(٢)، وقد ما انفق على حفلة زفافها نحو (٣٧-٣٥) مليون درهم^(٣). وقيل (٥٠) مليون درهم^(٤)، او ما يعادل اربعة ملايين^(٥) ولقد كانت حفلات الختان لا تقل بذخاً واسرافاً عند خلفاء بني العباس فقد كانت نفقات ختان المعتز بن المتوكل قد بلغت (٨٦،٥٠٠،٠٠٠) درهم^(٦). وكان الاسراف واضحاً ايضاً في الهدايا التي انعم بها بعض الخلفاء على زوجاتهم وقادتهم وجوارهم ومحظياتهم وغلماهم وسمرائهم ويبدو من كثرتها وشدة اهتمام الدولة بها، انها كانت تضرب نقوداً خاصة لهذا الغرض^(٧). فقد اعطى الخليفة المهدي شاعراً (٤٠) ألف درهم مقابل اربعة ابيات من الشعر في وصف جارية، واعطى اعرابياً (١٠٠) الف درهم مقابل تفسيره لكلمتين، واعطى ادبياً (٣٠) الف دينار لمدحه^(٨)، كما انه اعطى اعرابياً خمسمائة الف درهم مقابل ضيافة له في الصحراء ووهب شاعراً (٥٠) الف دينار، وأحد جلسائه (١٠٠) الف دينار يقضي دينه ويعيش بالباقي منه^(٩). واعطى الخليفة الهادي احد الشعراء (١٣٠) الف درهم^(١٠)، واعطى الخليفة هارون الرشيد جواريه في ليلة (١٢) مليون درهم، وأهدى زوجته زبيدة (٣٠٠) الف دينار من الذهب الذي جاءه من مصر^(١١).

وقد انفق الخليفة الامين على غلماهم وجلسائه وخدمه الاموال الكثيرة في مجالس متزهاته ومواضع خلواته ولهوه ما تجاوز به حدود المعقول^(١٢)، واعطى الخليفة المأمون

(١) القاضي الرشيد، الذخائر والتحف، ٩١-٩٢؛ الشابشتي، الديارات: ١٠٠.

(٢) الشابشتي، الديارات: ٣٧.

(٣) المصدر نفسه: ١٥٧.

(٤) الطبري، تاريخ: ٦٠٨/٨.

(٥) الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي، ثمار القلوب، دار

المعارف القاهرة: ١١٦.

(٦) القاضي الرشيد: الذخائر والتحف، ١١٩.

(٧) المصدر نفسه: ٣٨-٣٩-١١٦.

(٨) الطبري، تاريخ: ١٨٥-٢١٥/٨.

(٩) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري، البداية والنهاية، دار

الفكر ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦ م: ١٠/١٢٩-١٥٤.

(١٠) المصدر نفسه: ١٥٩/١٠.

(١١) المصدر نفسه: ١٠/٢١٦-٢١٩-٢٢٠.

(١٢) الطبري، تاريخ: ٥٠٩/٨-٥١١.

الحسن بن سهيل حسين انصرف الى بغداد خراج سنة لإقليم فارس وكور الاحواز، واقطعته منطقة الصلح^(١). لهذا يتضح من خلال استعراضنا للأرقام والمبالغ التي انفقت من قبل خلفاء بني العباس في العديد من المجالات ان هناك اموالا ضخمة تم صرفها وبالتالي فان ذلك يودي الى ارتفاع في الاسعار بسبب كثرة الطلب وبالتالي ارتفاع الثمن وقد تركت هذه الاموال اثارا سلبية على الاسعار واستقرارها.

٤ - الرقابة المالية والازمات الاقتصادية:

ارتبطت الرقابة المالية ارتباطا وثيقا بمفهوم الازمات الاقتصادية^(٢) والتي بدأت منذ وقت مبكر والشيء المهم والذي لا بد من ذكره ان القرآن الكريم قد اشار الى الازمات الاقتصادية ففي قوله تعالى اشار الى ذلك: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَعْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرَوْهُ فِي سُنْبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا نَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾﴾^(٣).

فعندما جاء الاسلام وضع اسسا صحيحة لقيام نظام اقتصادي قائم على توازن يحقق مصلحة الناس في حياتهم فقد اهتم الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا، فعند هجرته من مكة الى المدينة وبعد انتهائه من بناء المسجد اسس سوقاً اسلامية تخص المسلمين نظيفة وخالية من الربا والاستغلال بدليل قوله (صلى الله عليه وسلم) ((هذا سوقكم فلا ينقص ولا يضرين عليه خراج))^(٤)، وكان وقت الازمات الاقتصادية يتبع في سلوكه النقشف (صلى الله عليه وسلم).

(١) الطبري، تاريخ : ٦٠٨/٨.

(٢) الازمة الاقتصادية: الشدة - القحط ومنه القول المأثور أشتدي أزمة تنفرجي ويقال الأزمة في الحديث: السنة المجدبة، ويقال ان الشدة اذا تتابعت انعرجت، وفي الحديث ان قريش اصابتهم أزمة شديدة، وكان ابو طالب ذا عيال وشاهد الأزمة ؛ وتعرف بأنها اضطراب فجائي يطرأ على التوازن الاقتصادي في قطر او عدة اقطار وتنشأ عن الاضطراب الناشئ عن اختلال التوازن بين الانتاج والاستهلاك. ابن منظور، لسان العرب، ١٨٥/٨-١٨٦؛ حسن النجفي، القاموس الاقتصادي: ٨٩.

(٣) سورة يوسف، آية: ٤٦-٤٧.

(٤) ابن ماجة، ابو عبد الله بن يزيد الربيعي القزويني، سنن ابن ماجة، رقم الحديث،

وسلم). ولعل ان أخطر ما يواجه الجماعات والافراد هو الازمات الاقتصادية لأنها تهدد النظام السياسي والاجتماعي في الوقت نفسه، فالأزمة الاقتصادية بأبسط تعاريفها، هي مرحلة من مراحل الدورة الاقتصادية التي يختل فيها التوازن من الانتاج والاستهلاك وتتميز بوجود فائض من السلع التي لا تجد من يشتريها، وانخفاض الاسعار وزيادة عدد العاطلين عن العمل وانكماش التجارة الداخلية والخارجية وتعدد حالات الافلاس^(١). وهنا لا بد لنا من معرفة الية معالجة الدولة الاسلامية للازمات الاقتصادية وتحديداً المالية منها سيما في العصر العباسي الاول وأثر هذه الاليات على استقرار الاسعار وشهد العصر العباسي الاول تحولات اقتصادية كبيرة ما بين ازدهار ورفاة وأزمات هددت كيان الدولة وتمثلت معالجة هذه الازمات ببيان الاجراءات العامة التي اتخذتها الدولة العباسية في معالجة هذه الازمات في ذلك العصر والتي من الممكن الاستفادة منها في الوقت الحاضر لأنها مبنية على اسس فقهية ووجهات نظر اسلامية صحيحة لحل هذه الازمات. وقد ظهرت اجراءات الخلافة في معالجة هذه الازمات المالية والتي ظهرت منذ بداية تأسيس الدولة الاسلامية والتي شهدت ظهور العديد من الدواوين وخاصة الدواوين الخاصة بالمال كديوان الخراج وديوان بيت المال، ثم ازداد عددها مع توسع الدولة ومؤسساتها وظهرت الحاجة الى زيادة في الرقابة المالية وتنظيم امور الواردات والنفقات، فظهرت دواوين النفقات والضياح السلطانية والمصادرات وغيرها^(٢).

أ- ديوان بيت المال :

تطور النظام الرقابي للدولة بزيادة هذه الدواوين فتخذا تسلسل وظيفي هرمي الشكل ينتهي بالسلطة العليا المتمثلة بالخليفة والوزير. فقد اضطلع ديوان بيت المال^(٣)، بالمهمة الاولى وهي الاشراف على الواردات والنفقات وضبطها ضبطاً دقيقاً بوصفه الجهة المسؤولة عن تحقيق الموازنة المالية للدولة، فهو بمثابة البنك المركزي او وزارة المالية للدولة المعاصرة في وقتنا الحاضر وكان مقره العام في مركز الخلافة وله فروع في سائر الولايات كما كانت جميع الكتب الصادرة الى الدواوين ذات العلاقة بالنواهي المالية كأوامر صرف من ولي الامر تمر به وتثبت فيه قبل ان تصل الى تلك الدواوين، وكذلك الكتب لمواجهة من نفس الدواوين الى

(١) مجموعة باحثين، معجم العلوم الاجتماعية، البيئة العامة لكتاب، (القاهرة: ١٩٧٥م): ٢٨.

(٢) حسام قوام السامرائي، المؤسسات الادارية في الدولة العباسية، (دمشق: د. ت)، ١٩٧١: ١٩٤.

(٣) اسس في عهد ابو بكر الصديق ثم تطور في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنهم لما كثرة اموال الفتوح، الفلقشندي، صبح الاعشى: ٤٧٠-٤٧١.

العوامل البشرية وأثرها على حركة السلع والبضائع... رياض أحمد و د. سعد رمضان

ولي الامر، فسجلات بيت المال كانت تحتوي جميع ما يرد الدولة من اموال وجميع ما ينفق بحيث يمكن الاعتماد عليها في تحديد ميزانية الدولة ومعرفة معدل النمو والتدهور الاقتصادي في الدولة^(١).

ب - ديوان الخراج :

بينما كانت مهمة ديوان الخراج^(٢)، مراقبة عمال الخراج وما يجمع من اموال وكشف حالات الخطأ والتزوير والاختلاس التي قد تحدث من عمال الخراج وما يجمع فقد كانت اراضي الخراج تسجل وفق كشوفات خاصة بهذا الديوان وكذلك مساحتها وغلاتها السنوية وتكون نسخة من هذه السجلات في دواوين الخراج الفرعية في كل اقليم^(٣)،

ج - ديوان النفقات :

وكانت مهمة ديوان النفقات^(٤) الاشراف على نفقات دار الخلافة ونفقات الدواوين الاخرى لمنع اصحاب الدواوين من التصرف بإيرادات دواوينهم حتى في مجال النفقات الخاصة لكل ديوان فكل تفاصيل النفقات تثبت في هذا الديوان^(٥).

د - ديوان الازمة :

ولتنظيم عمل هذه الدواوين ومراقبتها اوجد ديوان سمي (بديوان الازمة)^(٦)، الذي اختص بضبط جميع حسابات الدولة وذلك بمراقبة جميع حسابات الدواوين، اذ كان لهذه الديوان موظف خاص في كل ديوان يشرف على عمل القائمين عليه سمي (زام الديوان)^(٧)، مهمته ضبط حسابات الديوان الذي كلف لمراقبته ورفعها الى رئيس الديوان الذي يرفعه بدوره الى الخليفة^(٨)، ونتيجة لتطور الجهاز الرقابي للدولة العباسية وزيادة الضبط من هذا الجهاز استحدث ديوان زمام الازمة لمراقبة ديوان الازمة، ومعلوم ان اي جهاز رقابي لا ينجح ولا

(١) خولة عيسى صالح، الرقابة الادارية: ٢٢٩-٢٣١.

(٢) اسس في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، توفيق سلطان البيوزيكي، دراسات في النظم العربية الاسلامية، جامعة الموصل، ١٩٨٨: ١١٥.

(٣) حسام السامرائي، المؤسسات الادارية: ١٩٥.

(٤) من ضمن الدواوين التي اسست في العصر الاموي، توفيق البيوزيكي، دراسات في النظم: ١١٩.

(٥) ابو الحسن الهلال بن المحسن الصابئي، الوزراء وتحفة الامراء في تاريخ الوزراء، تحقيق: عبد الستار احمد فواج، (القاهرة: ٢٠٠٣): ١٥، ٢٧.

(٦) اسسه الخليفة العباسي المهدي سنة ١٦٢ هـ، الطبري، تاريخ الرسل والملوك: ١٦٧/٨.

(٧) الطبري، تاريخ الرسل والملوك: ١٦٧/٨.

(٨) حسين فلاح الكساسبة، المؤسسات الادارية في مركز الخلافة العباسية: ١٩٦.

تتحقق اهدافه الا بوجود رجال مؤهلين لهذه المهمة ثقاة علماء بأحوال الشريعة ذو خبرة في امور الحسابات والصنائع، لذلك قد كان لكل ديوان من الدواوين مجموعة من الرجال لكل منهم مهمة خاصة يتعاونون فيما بينهم من اجل ادارة امور الديوان^(١). كما كان هناك منصب اخر لا يقل دوره في الامور الرقابية عن الدواوين وهو منصب المحتسب^(٢)، فقد لعب المحتسب دوراً كبيراً في تسيير النظام الرقابي في الدولة فقد اسندت اليه مسؤوليات كبيرة ومتعددة في النواحي كافة، اذ كانت مراقبة الاسعار في الاسواق والصارفة من المهام المنوطة له لمنع الخلل الذي يحدث كالربا وتزييف النقود والغش في الاسواق فعليه ان يتجسس عليهم فان عثر على من يراي قام بمعاقبته وطرده من السوق^(٣)، فلم يكن بمقدور شخص المحتسب بمفرده القيام بكل الاعمال المناطة اليه لذلك فقد كان يستعين ببعض الرجال الموثوق فيهم ليكونون له عيوناً في الاسواق يطلق عليهم العرفاء^(٤)، فكل عريف يكون من الثقة في اهل ضعته ليكون عالماً في صنعته وعارفاً في اساليب الغش والتدليس فيها^(٥)، كما كان للمحتسب نواب على الحدود والموانئ التي تدخل فيها البضائع ليعلم ما يدخل ويخرج من البلاد فضلا عن الغلمان والذين هم لمتابعة الشرطة يستخدمهم في تنفيذ اوامره على المخالفين^(٦)، وكذلك يقوم المحتسب لمراقبة البيوع الفاسدة والعقود التي تخالف الاسلام^(٧)، فضلا عن المهمات الاجتماعية والدينية الاخرى، لذلك نلاحظ قوى الجهاز الرقابي الدقيق في الدولة والذي حافظ على النظام الاقتصادي ومستوى الاسعار حتى نهاية العصر العباسي الاول.

(١) الجهشباري، الوزراء والكتاب، ١٦٦؛ حسام السامرائي، المؤسسات الادارية، ١٩٦: ١٩٧.

(٢) الحسبة: هي امر بالمعروف اذا ظهر تركه ونهي عن المنكر اذا اظهر فعله، الحسبة هي وظيفة دينية تقوم على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، الماوردي أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، الاحكام السلطانية، دار الحديث، القاهرة: ٣٦٢.

(٣) ابن بسام، محمد بن احمد المحتسب سامرائي، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، مطبعة المعارف، (بغداد: ١٩٦٨): ٧٤.

(٤) المصدر نفسه: ١٠٥.

(٥) حسام السامرائي، المؤسسات الادارية: ٢٢٩.

(٦) المصدر نفسه.

(٧) الماوردي، الاحكام السلطانية: ٣٨٠.

الخاتمة

نستنتج مما سبق ان اثر العوامل البشرية كان كبيرا على السلع والبضائع واسعارها فالعوامل السياسية كان لها الاثر البالغ على السلع والبضائع واسعارها في تلك الفترة فكما اضطربت الاوضاع السياسية وظهرت الفتن والحروب سواء منها الداخلية او الخارجية شهدت الاسعار ارتفاعا فاحشا كما حدث ذلك اثناء الحرب التي نشأت بين الخليفة الامين واخاه الخليفة المأمون. اما العلاقات التجارية كان لها الاثر البالغ في تحديد حركة السلع والبضائع واسعارها فكما زاد تبادل السلع والبضائع بشكل منتظم وبدون معوقات انعكس ذلك على استقرار اسعار السلع والبضائع.

اما العوامل الاقتصادية فهي الاخرى اسهمت بشكل مباشر او غير مباشر في تحديد اسعار السلع والبضائع فسوء الادارة المالية للدولة مهم جدا فاذا كانت السياسة الادارية ناجحة وسليمة فذلك سينعكس على اسعار السلع والبضائع مما يؤدي الى استقرارها وثباتها اما اذا كان عكس ذلك فسيكون ذا اثر سلبي مسببا ارتفاع الاسعار وعدم استقرارها. فضلا عن البذخ والاسراف في الانفاق فذلك يوتر سلبا على الاسعار فالإنفاق المبالغ فيه من قبل الدولة سيتسبب بأزمات اقتصادية فكثرة الانفاق سودي الى التضخم فترتفع اسعار السلع والبضائع في الاسواق.

فضلا عن الرقابة المالية ودورها الاساس في متابعة السلع والاسعار في الاسواق والمحافظة على استقرارها وثباتها لعدم حدوث الازمات الاقتصادية التي ستوتر على الاسعار وعدم استقرارها.

ثبّت المصادر

- ❖ ابن الأثير، عز الدين ابي الحسن علي بن محمد، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، (بيروت: د.ت).
- ❖ ابن بسام، محمد بن احمد المحتسب سامرائي، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، مطبعة المعارف، (بغداد: ١٩٦٨).
- ❖ ابن خردادبة، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري، المسالك والممالك، دار الغرب الإسلامي ١٩٩٢ م.
- ❖ ابن دحية، ابو الخطاب عمر بن الحسن، النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس، تحقيق: المحامي عباس العزاوي (بغداد: ١٩٤٦ م).
- ❖ ابن سيده، علي بن اسماعيل، المخصص، (بيروت: د.ت).
- ❖ ابن عبد الحق عبد المؤمن البغدادي، مرصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع، تحقيق: علي محمد البنحاي، (القاهرة: ١٩٥٤ م).
- ❖ ابن قدامة، قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي، الخراج وصناعة الكتابة، ط١، دار الرشيد للنشر، (بغداد: ١٩٨١ م).
- ❖ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري، البداية والنهاية، دار الفكر ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦ م.
- ❖ ابن ماجه، ابو عبد الله بن يزيد الربيعي القزويني، سنن ابن ماجه، رقم الحديث، (٢٢٣٣).
- ❖ ابن منظور، لسان العرب، ١٨٥/٨-١٨٦؛ حسن النجفي، القاموس الاقتصادي: ٨٩.
- ❖ ابو الحسن الهلال بن المحسن الصابئي، الوزراء وتحفة الامراء في تاريخ الوزراء، تحقيق: عبد الستار احمد فواج، (القاهرة: ٢٠٠٣).
- ❖ أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري، فتوح البلدان، دار ومكتبة الهلال، (بيروت: ١٩٨٨ م).
- ❖ احمد مختار العبادي، حركة الزط في العصر العباسي.
- ❖ اسس في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، توفيق سلطان البيوزيكي، دراسات في النظم العربية الاسلامية، جامعة الموصل، ١٩٨٨.
- ❖ اسسه الخليفة العباسي المهدي سنة ١٦٢ هـ، الطبري، تاريخ الرسل والملوك: ١٦٧/٨.
- ❖ الامالي والدراهم والنوادر، القالي، ابو عبيد البكري، (القاهرة: د.ت).
- ❖ البلاذري، فتوح البلدان، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت ٢٧٩ هـ)، دار ومكتبة الهلال - بيروت، ١٩٨٨ م.
- ❖ توفيق سلطان البيوزيكي، دراسات في النظم العربية الاسلامية، (الموصل: ١٩٨٨ م).

العوامل البشرية وأثرها على حركة السلع والبضائع... رياض أحمد و د. سعد رمضان

- ❖ الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي، ثمار القلوب، دار المعارف القاهرة.
- ❖ الجهشياري، الوزراء والكتاب، محمد بن عبدوس، القاهرة، دار الصاوي، ١٩٣٨ .
- ❖ جورج، يعقوب، اثر الشرق في الغرب خاصة في العصور الوسطى، ترجمة: فؤاد حسين (القاهرة: ١٩٤٦م).
- ❖ حسام قوام السامرائي، المؤسسات الادارية في الدولة العباسية، (دمشق: د. ت)، ١٩٧١ .
- ❖ حسين فلاح الكساسبة، المؤسسات الادارية في مركز الخلافة العباسية.
- ❖ الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي، معجم البلدان، دار صادر، ط٢، (بيروت : ١٩٩٥ م) .
- ❖ خدوري، الصلات الدبلوماسية.
- ❖ خدوري، مجيد، الصلات الدبلوماسية بين الرشيد شارلمان، مطبعة الفيض الاسلامية (بغداد: ١٩٣٩).
- ❖ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد.
- ❖ خولة عيسى صالح، الرقابة الادارية والمالية في الدولة العربية الاسلامية، بيت الحكمة (بغداد: ٢٠٠١).
- ❖ الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٨.
- ❖ الدوري، عبد العزيز، العصر العباسي الاول، دراسة في التاريخ السياسي والاداري، والمالي (بيروت: ١٩٧٠م).
- ❖ الشابشتي، ابو الحسن علي بن محمد، الديارات، تحقيق: كوركيس عواد، ط٣، دار الرائد العربي، (بيروت: ١٩٨٦م).
- ❖ ضيف الله يحيى الزهراني، النفقات، وادارتها في الدولة العباسية، (دم: د. ت).
- ❖ الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملّي، أبو جعفر، تاريخ الرسل والملوك، ط٢، دار التراث (بيروت : ١٣٨٧ هـ).
- ❖ عاشور، سعيد عبد الفتاح ومحمد سعيد، النهضة الاوروبية في العصور الوسطى، (القاهرة: ١٩٥٦).
- ❖ عبد المنعم، ماجد، العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، مكتبة الجامعة العربية (بيروت: ١٩٦٦ م) .
- ❖ فزاليف، بيزنطة والاسلام، ملحق بكتاب نورمان بينز، الامبراطورية البيزنطية.
- ❖ فليبي، عبد الله، هارون الرشيد، ترجمة، عبد الفتاح السرنجاوي، جمعية الثقافة الاسلامية (القاهرة: ١٩٨٤م).
- ❖ القاضي الرشيد، ابو الحسن احمد بن الزبير، الذخائر والتحف، التراث العربي، (الكويت، ١٩٥٩م).

- ❖ الفلفشندي، صبح الأعشى في كتابة الإنشا (ط. دار الكتب)؛ أحمد بن علي بن أحمد الفزاري .
- ❖ القيرواني، ابو اسحاق ابراهيم بن علي، زهرة الآداب وثمر الألباب، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط٤، دار الجيل (بيروت: ١٩٧٢م).
- ❖ الكرمل، انستانس، النقود العربية وعلم النميات، (القاهرة: ١٩٧٦م).
- ❖ الماوردي أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، الاحكام السلطانية، دار الحديث، القاهرة.
- ❖ مجموعة باحثين، معجم العلوم الاجتماعية، البيئة العامة لكتاب، (القاهرة: ١٩٧٥م).
- ❖ محمد حسين الزبيدي، العراق في العصر البويهي، دار النهضة، (القاهرة: ١٩٦٩م).
- ❖ محمد سهيل طقوش، تاريخ الدولة العباسية، (بيروت: ١٩٦٠م).
- ❖ المسري، حسين علي، تجارة العراق في العصر العباسي، (الكويت: ١٩٨٢).
- ❖ المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي، التتبيه والاشراف، تصحيح: عبد الله إسماعيل الصاوي : دار الصاوي (بيروت: ١٩٦٥).
- ❖ المسعودي، ابو الحسن علي بن الحسين، التتبية والاشراف، تحقيق، عبد الله اسماعيل الصاوي، (بغداد: ١٩٣٨م).
- ❖ من ضمن الدواوين التي اسست في العصر الاموي، توفيق اليزيكي، دراسات في النظم.
- ❖ مورسي لومبارد، الإسلام في عظمته الاولى من القرن الثمن عشر الى القرن الحادي عشر، ترجمة: ياسين الحافظ (بيروت: ١٩٧٧م).
- ❖ ناجي معروف، المدخل في تاريخ الحضارة، مطبعة العالمي (بغداد: ١٩٦٠م).
- ❖ النويري، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين، نهاية الارب في فنون الادب، ط١، دار الكتب والوثائق القومية، (القاهرة: ١٤٢٣ هـ).
- ❖ اليعقوبي، أحمد بن إسحاق (أبي يعقوب) بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت: ١٤٢٢ هـ).

Suggested criteria for selecting graduates of the College of Education in the light of future global changes in the teaching profession from the point of view of teachers and supervisors.

Ali Yassin Taha
Dr. Saddam Mohammed
Hamid
Professor
University of Mosul - College
of Education for Human
Sciences - Department of
Educational and Psychological
Sciences

علي ياسين طه
د. صدام محمد حميد
أستاذ
جامعة الموصل - كلية التربية للعلوم
الانسانية - قسم العلوم التربوية والنفسية

Dr.saddam1999@gmail.com

تاريخ القبول

٢٠٢١/٩/٢٠

تاريخ الاستلام

٢٠٢١/٨/٢٣

الكلمات المفتاحية: معايير - التغيرات المستقبلية - مهارات التدريس - المشرفين

Keywords: Standards - future changes - teaching skills - supervisors

المخلص

يهدف البحث الحالي إلى وضع معايير مقترحة لانتقاء خريجي كلية التربية في ضوء التغيرات المستقبلية العالمية لمهنة التدريس من وجهة نظر التدريسيين والمشرفين الاختصاص ، تكونت العينة من التدريسيين من كليات التربية للعلوم الانسانية والتربية الصرفة والتربية للبنات في جامعة الموصل والمشرفين الاختصاص في مديرية الاشراف التربوي مديرية تربية محافظة نينوى (٢٠٢٠ - ٢٠٢١) وبلغ عددها (٣١٢) ككل من تدريسيين ومشرفين اختصاص وواقع (١٩٠) تدريسي وتدرسية و(١١٧) مشرف ومشرفة ، أعد الباحثان أداة البحث المعايير المقترحة والتي تكونت من (٨٨) معياراً موزعة إلى سبع مجالات هي : (المجال الأول الصفات الشخصية أ لكلا الجنسين) مكون من (١٦) معياراً والمجال الثاني الصفات الشخصية ب- للمدرسات) مكون من (٥) معايير والمجال الثالث الضوابط مكون من (٢٢) معياراً والمجال الرابع التطبيق (مهارات التدريس) مكون من (١٠) معايير والمجال الخامس المعلومات النظرية والمعرفية اثناء التدريس المصغر مكون من (١٦) معيارا والمجال السادس الثقافية الرقمية مكون من (١٠) معايير والمجال السابع القدرات القيادية مكون من (٩) معايير بصيغتها النهائية وقد تم التحقق من صدقها وثباتها وقوة تمييز المعايير ، طبق الباحثان الاداة (المعايير المقترحة على عينة المشرفين الاختصاص يوم (٢٠٢١/١/١٠) واستمرت الى يوم (٢٠٢١/١/١٤) اما عينة التدريسيين طبقها يوم (٢٠٢١/١/١٩) واستمر التطبيق الى يوم

(٢٠٢١/٢/٢) ، وبعد جمع البيانات وتحليلها إحصائية باستخدام معادلة ألفاكرونباخ (a- Cronbach) ومعادلة التمييز واختبار (z - test) لعينتين مستقلتين ، أظهرت النتائج ما يأتي:

١- أن النسب المتحققة نسب جيدة وحسب وجهة نظر افراد عينة البحث فقد حاز المجال الأول على اعلى النسب ثم المجال السابع ويله المجال الرابع ثم المجال الخامس وبعد ذلك المجال السادس ثم المجال الثالث أما المجال الثاني فقد جاء اخر المجالات من حيث النسب التي حاز عليها وحسب وجهة نظر افراد العينة ككل .

٢- أن النسب المتحققة لكل مجال من المجالات هي نسب جيدة وحسب وجهة نظر افراد عينة البحث فقد حاز المجال الاول على اعلى النسب ثم المجال السابع ويله المجال الرابع ثم المجال الخامس وبعد ذلك المجال الثالث ثم المجال السادس اما المجال الثاني فقد جاء آخر المجالات من حيث النسب التي حاز عليها وحسب متغير التخصص الانساني .

٣- لا يوجد فرق ذو دلالة إحصائية بين وجهتي نظر الاساتذة في التخصصين العلمي والانساني في المعايير المقترحة لانتقاء المدرسين لمهنة التدريس مستقبلا .

Abstract

The current research aims to set proposed criteria for selecting graduates of the College of Education in the light of the global future changes of the teaching profession from the point of view of the teachers and supervisors specialization. Nineveh for the academic year (2020-2021) and its members totaled (312), as a whole, of teachers and supervisors, with a total of (195) male and female teachers, and (117) supervisors. Domains are: (The first field is personal qualities A- (for both sexes) consisting of (16) standards, the second field is personal qualities B- (for female teachers) consisting of (5) standards, and the third field is controls consisting of (22) standards and the fourth field is application (teaching skills It is made up of (10) standards, the fifth domain consists of theoretical and cognitive information during micro-teaching, it consists of (16) standards, the sixth domain is digital culture, it consists of (10) standards, and the seventh domain is leadership abilities composed of (9) criteria in its formula The final and its validity, stability and strength of criteria were verified. The researchers applied the tool (suggested criteria) to the sample of supervisors, specialization on (10/1/2021) and continued until (14/1/2021), while the sample of teachers applied it on (19/1/ 2021) and the application continued until the day (2/2/2021), and after data collection and statistical analysis using the alpha-Cronbach equation, discrimination equation and z-test for two independent samples, the results showed the following:

1- The achieved ratios are good ratios and according to the viewpoint of the members of the research sample, the first field has the highest percentages, then the seventh field, followed by the fourth, then the fifth, and then the sixth, then the third. As for the second field, the last fields in terms of the percentages it obtained According to the viewpoint of the sample members as a whole.

2- The percentages achieved for each of the fields are good, and according to the viewpoint of the research sample members, the first field got the highest percentages, then the seventh field, followed by the fourth field, then the field

3-The fifth, and then the third field, then the sixth field. As for the second field, it came the last of the journals in terms of the percentages it obtained and according to the variable of human specialization. There is no statistically significant difference between the views of professors in the scientific and humanitarian specializations in the proposed crileria for selecting teachers for the teaching profession in the future.

اولاً- مشكلة البحث .

تعد مهنة التدريس ام المهن جميعا واعظمها ذلك انه جميع المهن الاخرى من اطباء ومهندسين وعلماء وغيرها تعجن وتصنع بين ايدي اصحاب مهنة التدريس وعلى ذلك فأن عملية اختيار هؤلاء المدرسين عملية ليست بالهينة واليسيرة بل انها عملية غاية في التعقيد والخطورة .

ان عملية انتقاء وتوظيف المدرس لمزاولة مهنة التدريس بدون خضوعهم لمعايير وشروط علمية وشخصية ومهنية دقيقة تؤدي الى تدني جودة وكفاءة العملية التعليمية وتدني مستوى مخرجاتها، اذ تؤكد العديد من الدراسات العالمية ارتباط الممارسات التدريسية للمدرسين بتطبيق نظام معايير وشروط الانتقاء لمزاولة مهنة التدريس ، كما واكدت الدراسة الدولية والتي اجرتها وكالة الطاقة الدولية IEA (2013) وبمشاركة (٢٢٠٠٠) مدرس من (١٧) دولة حول العالم وضمت (٥٠٠) مؤسسة تعليمية وتتبع (٧٥٠) برنامج تعليمي، وجدت ان جميع الانظمة التعليمية التربوية والتي حققت مستويات تعليمية عالية في الاختبارات الدولية كانت تطبق نظام الترخيص المهني كشرط ومعيار اساسي لانتقاء افضل العناصر لمزاولة مهنة التدريس.

(الغثير، ٢٠٢٠ : ١٩٩-٢٠٠)

فالنقص في الصفات والخصائص والمعايير والمتطلبات التي تطلبها مهنة التدريس سواء كان في سياسة القبول او القصور في برامج الاعداد ومعايير وشروط اختيار المدرس لمهنة التدريس سيؤدي الى خلل واضطراب في العملية التعليمية ومخرجاتها. (احمد، ٢٠٠٧ : ١٦-١٧)

كذلك ما شهده ويشهده العالم مؤخرا بسبب جائحة كورونا والاثار التي ترتبت عليها والتي فرضت على العالم في جميع مفاصله ومجالاته تغيرات جذرية في كيفية التعاطي والتعامل مع هكذا متغيرات طارئة على جميع الاصعدة سواء كان منها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والرياضية وكذلك قطاع التعليم الذي اخذ نصيبه من هذه الجائحة والتي فرضت عليه تغيرات في طرق التعامل والتواصل ما بين المدرس والطالب والادارة وفرضت على المدرس اسلوب جديد في التواصل مع طلبته وعملية اقبال المعلومات الا وهو التعليم عن بعد (التعليم الالكتروني) وعلى ذلك كان لا بد من ادخال هكذا معايير وشروط في عملية انتقاء المدرسين لمهنة التدريس وتزويد سوق العمل بمراد بشرية مؤهلة في مختلف التخصصات العلمية. مما سبق اعلاه تتبلور مشكلة البحث الحالي في الاجابة عن السؤال الآتي:

"معايير مقترحة لانتقاء خريجي كلية التربية في ضوء التغيرات المستقبلية العالمية

لمهنة التدريس من وجهة نظر التدريسيين والمشرفين الاختصاص"؟

ثانياً- أهمية البحث .

ان الفلسفة الاسلامية وضعت صفات وسمات للمدرس منها النية الخالصة الصافية في اداء واجباته ومهامه وان يحمل هم الامة ويتفاعل مع قضايا امته فضلا عن كونه قدوة لغيره لما له تأثير على غيره من الطلبة والمجتمع وان يكون المدرس معطاء ولا ينتظر الثناء من الاخرين لكي يقوم بعمله على اتم وجه فهو ركن اساس في العملية والتربوية . (ابو ورد، ٢٠٠٤ : ٥-٦)

كان للتربية دور مهم في حياة الامم ولزال فهي أداة المجتمع في المحافظة على مقوماته الاساسية من اساليب الحياة وانماط التفكير المختلفة ، وعلى هذا الاساس يتضح ان التربية عمل انساني وان مادتها هي الانسان ، وهي عملية اجتماعية تتعامل مع فرد في مجتمع تنقل اليه معارف ومهارات ومعتقدات يؤمن بها ولغة الجماعة التي ينتمي اليها ، فالتربية تعنى بسلوكه وتطوره ولكن ليس بمعزل عن جماعته لان الذات الانسانية لا تتكون الا في مجتمع انساني ويقدر ما يتوافر للتربية من وضوح وعمق في المفاهيم والاسس التي تستند اليها تكون قوتها وفعلها في حياة الامم واتجاهات الافراد وفي العلاقات المختلفة ومجالات العمل المتعددة . فالتربية وسيلة وهدف وغاية تبدأ مع الحياة وهي مؤسسة الثقافة التي بها يمكن تغيير عقول الطلبة وتجديدها بوجود مدرس ضمن مواصفات ومعايير علمية مدروسة.

(عامر ، ٢٠٠٨ : ٥٥-٥٦)

لقد حظيت التربية والمعلم على حدا سواء بأهمية كبيرة بوصفها الرسالة الاساسية والمسؤولية الرئيسة للأنبياء قال (ﷺ): «رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» (البقرة/١٢٩) وهي تشكل محور الحياة الاجتماعية برمتها . والعملية التربوية هي التي تضمن بقاء المجتمع وتحافظ على سلامته وعلى هذا مكانة تسمو التربية على كونها مجرد مؤسسة اجتماعية، بل هي فلسفة تشكيل المجتمع ومحور الاحداث والمجريات الاجتماعية جميعها . (علم الهدى، ٢٠١١ : ١٨٢)

إذا استقرأنا تاريخ الفكر التربوي محاولين معرفة هدف التربية عبر تاريخ الإنسانية، نجد أن فلاسفة اليونان قد انصبحت عنايتهم في مجال الأخلاق على جمال السلوك سواء للفرد أم للمجتمع، فأفلاطون لما كتب في "جمهوريته" عن النظام الذي اختاره للمدينة الفاضلة، بين أن الهدف من التربية هو أن يصبح الفرد عضواً صالحاً في المجتمع في إطار غاية كبرى هي نجاح المجتمع وسعادته . (الحديدي، ٢٠١٨ : ٢٠)

لذا فالدور الذي يشغله المدرس في التربية والتعليم لإدامة عجلة التنمية والتطور للبلدان، اذ تشغل مهنة التدريس أهمية كبرى في عملية اعداد الاجيال القادمة وترسيخ المبادئ والقيم في فكر وسلوك وميول واتجاه ايجابي للأجيال، ان مهنة التدريس من ارقى وأشرف وارفع

المهن الإنسانية وانها مهنة الانبياء والرسول، لذا فان عملية اختيار المتقدمين لمهنة التدريس ليس بالأمر اليسير واليهين بل لا بد ان يكون على قدر واهمية هذه المهنة من وضع معايير وشروط والتي على وزارة التربية العمل على وفق هذه المعايير من السيرة الذاتية للمدرس المرشح لمهنة التدريس والسمعة الحسنة والصفات الحميدة وان يتمتع المدرسون المرشحون الملتحقين بمهنة التدريس بذكاء عالي وقدرة على التعامل الانساني ويتمتع بذكاء اجتماعي فضلا عن العلمية وصفات وسمات شخصية وبدنية وصحية ومهارات لغوية من النطق وثناء المفردات. (نعيمة، ٢٠١١ : ٧٣-٧٤)

ومن السمات والخصائص الشخصية للمدرس المرشح لمهنة التدريس ان يكون حسن المظهر الخارجي واعتدال الحركة وبشاشه الوجه وسلامة الجسم والحواس من اي اعتلال وسلامة النطق وثناء المفردات والتميز بالذكاء والفظنة والابتكار والتجديد، وحسن التصرف واستخدام السياسة المناسبة في المواقف المختلفة وان يكونوا المدرسين على قدر عالي من تحمل المسؤولية وحسن التعامل مع الاخرين والتعاون معهم، وان يكونوا قذوة حسنة للأخرين في افعالهم قبل اقوالهم وان يتسموا بالمرونة والموضوعية والصراحة والصدق والعطف وتقبل النقد من الاخرين. (العمرى، ٢٠١٢ : ٤٩)

يتبوؤ المدرس مكان الصدارة بين اركان العملية التعليمية التي يتوقف عليها نجاح التربية في بلوغ غايتها وبعد الحلقة الأقوى في عملية التربية والتعليم، وهو المحرك أو المتوج لأية جهود تصب في إصلاح أو تطوير التعليم، ومن هنا بدأت الأصوات تتعالى لإعادة النظر في مؤسسات إعداد المدرسين ومحاولة إصلاحها والرقى بمناهجها، وتقوية آليات التدريس والتدريب فيها لتحقيق أهدافها في إعداد المدرسين الأكفاء القادرين على مواجهة التغيرات السريعة والمتلاحقة في ميدان التعليم لذا أصبحت عملية تقييم أداء كليات التربية وأقسامها من أهم الموضوعات التي تواجه إداراتها للوصول إلى مخرجات قادرة على تحقيق أهداف المجتمع بالمستوى المأمول، وهناك العديد من البحوث والدراسات التي اجريت في مجال التربية والتعليم حاولت التأكيد على مجموعة من الصفات والسمات الاساسية في المدرس الفعال والناجح في مهنة التدريس، فلا بد من توافرها في المدرسين من التمکن من الموضوعات العلمية الدراسية التي يدرسونها وحبهم وميلهم لمهنة التدريس والتمتع بثقافة عامة واسعة. (العمرى، ٢٠١٢ : ٤٥)

اذ تشكل منظومة المعايير والمتطلبات اهمية خاصة ومحكات ومؤشرات تحدد خطوط التماس بين الجودة والريادة في عمليات اختيار وانتقاء المدرسين وتشكل المشروع المهني المستقبلي للمدرسين والبوصلة التي يسترشد بها المدرسون لضبط سلوكهم الصفي وتحقيق الجودة في ادائهم على وفق المقاييس المهنية، وتختلف ملامح المدرسين المطلوب تكوينهم او

اختيارهم باختلاف فلسفة النظام التعليمي وحاجة المجتمع والادوار والمهام المتوقع القيام بها من قبل المدرسين المرشحين. (جرار ووهبه، ٢٠٠٩ : ٧١)

ويؤكد الادغم (٢٠٠٣) على اهمية تفعيل دور المقابلة الشخصية كشرط ومعيار اساسي في عملية انتقاء مدرسي المستقبل وان تتم المقابلة من قبل اساتذة متخصصين وذوي خبرة واسعة في مجال التربية واختيار المدرسين وتستههدف المقابلة الشخصية تحديد المظاهر والصفات الجسمية والتأكد من خلو المتقدمين من الامراض والعاهات الجسدية وكذلك التعرف على السمات والخصائص الشخصية للمتقدمين مثل سلامة ووضوح مخارج الحروف والالفاظ والطلاقة اللفظية وسلامة حواسهم، وقدرة المتقدمين على عرض افكارهم بوضوح وتناسق والتعرف على ثقة المتقدمين بأنفسهم وعدم تردددهم في طرح وقول اراءهم الخاصة والتعرف على قدراتهم القيادية ودرجة مرونتهم وقدرتهم على التأثير في الاخرين وقدرتهم على مد جسور التواصل مع الاخرين والتعاون معهم، اذ تلعب المقابلة الشخصية دوراً رئيساً في عملية انتقاء المدرسين وتحديد مدى مناسبة المتقدمين لمزاولة مهنة التدريس. المشار اليه في (العمرى، ٢٠١٢ : ٤٣)

لقد جاء في اللائحة التنفيذية في الباب السابع من قانون التعليم المصري رقم (١٥٥) لعام (٢٠٠٧) والتي تم اصدارها في نيسان (٢٠١٣) والتي تمثلت بأهم وابرز المواد المتعلقة بالمدرسين ومعايير اختيارهم وتوظيفهم في مهنة التدريس فقد جاء في المادة الثالثة من اللائحة والتي تؤكد على اهم المعايير الواجب توفرها في المدرسين لكي يتم تعيينه وتثبيتته بمهنة التدريس فنصت على انه يكون التقدير لمدى ثبوت وصلاحيه المدرس لمهنة التدريس وذلك وفقاً للمعايير التي حددتها هذه اللائحة من قانون التعليم وهذه المعايير هي اداء المدرس في العمل بمهنة التدريس بإتقان واخلاص سواء من كم العمل او كفاءته ومن المعايير الاخرى حسن المظهر للمدرس والسمة الطيبة والاخلاق الحسنة من انه قدوة لطلبته وللمجتمع، وكذلك السمات الشخصية وخلوه من الامراض والعاهات الجسمية وان يتمتع بقدرات عقلية عالية وذكاء، وان يمتلك مهارات الاتصال والقدرة على التواصل مع الطلبة والادارة واولياء امور الطلبة وكذلك التواصل مع البيئة الاجتماعية المحيطة في المدرسة، وان يتمتع بالاحترام والتقدير المتبادل مع شرائح وافراد المجتمع وان يكون متعاوناً ومحباً للعمل الجماعي، وان يجتاز اختبارات ودورات التنمية المهنية للمدرسين ويحصل على شهادة الصلاحيه لمزاولة مهنة التدريس والتي تمنحها الاكاديمية المهنية للمدرسين، وان يكون حاصل على مؤهل تربوي عالي مناسب بكالوريوس او ماجستير من كليات التربية. (محمد واسماعيل، ٢٠١٨ : ٨٨)

وتتمثل الشروط والمعايير المهنية للمدرسين لمزاولة مهنة التدريس وفقاً لمستوى الخبرة التربوية لديهم وهناك نوعان من المعايير المهنية للمدرسين معايير مهنية عامة تشترط على

جميع المدرسين المرشحين كالكفاءة والمعرفة والفهم والمهارات بينما المعايير الخاصة فهي معايير خاصة بالتخصص الدراسي ومدى المام كل مدرس بمادة تخصصه والتي سيقوم بتدريسها مستقبلاً. (غانم، ٢٠١١ : ١٣)

كما وينص القانون والتشريع الأمريكي على انه يجب على المدرسين المرشحين لمهنة التدريس ان يكونوا على درجة كبيرة من الكفاءة والعلمية في المادة التخصصية وان يكونوا مؤهلين تأهيلاً عالياً للغاية وان يجتاز الاختبارات الخاصة لكل ولاية والخاصة بمهنة التدريس وان يكونوا حاصلين على شهادة رخصة لمزاولة مهنة التدريس، وان يكون المدرس المرشح للمهنة يمتلك على الاقل درجة البكالوريوس وان يتمتع بالقدرة على اجتياز الاختبارات الاكاديمية والمهنية والشخصية التي تعقدها الولاية الخاصة بالمدرسين المرشحين لمهنة التدريس، وان يكمل تخصصاً علمياً أكاديمياً معادلاً للدراسات العليا وذلك من اجل الحصول على وظيفة في التدريس من مرحلة الروضة الى المرحلة الثانوية. (محمد واسماعيل، ٢٠١٨ : ٩٦)

ان الألمان يرون انهم قد هزموا فرنسا واستطاعوا توحيد المانيا الشرقية والغربية عن طريق التربية والمدرس اما في الصين فأنهم يقولون ان في التربية والمدرس نستطيع ان نملك ما لا يملكه الاخرين وليس ما يملكه الاخرين اما اليابانيون فيرون ان تقدمهم وتطورهم وكل ما وصلت اليه اليابان فأنه نتيجة النظام التعليمي التربوي والمدرس، اما في امريكا فيعتقدون بأنه لو قامت قوة او جهة معينة بعرض وتقديم عملية تربوية تعليمية واداء تعليمي قليل الجودة فهذا يدعوا الى قيام حرب. (احمد، ٢٠٠٧ : ١٦-١٧)

لذلك جاء البحث الحالي لاقتراح اهم وابرز المعايير والشروط الواجب توفرها في مدرسو المستقبل قبل التحاقهم بمهنة التدريس وذلك من وجهة نظر التدريسيين القائمين على اعداد المدرسين في كليات التربية في جامعة الموصل مثل كلية التربية للعلوم الانسانية وكلية التربية للعلوم الصرفة وكلية التربية للبنات فضلاً عن المشرفين الاختصاصيين القائمين على متابعه اداء واحتياجات ومتطلبات المدرسين بعد تخرجهم والبدء بالتحاقهم بمهنة التدريس وتقييم ادايتهم وكفاءتهم المهنية، اذ يعد هؤلاء التدريسيين في مجال اعداد المدرسين والمشرفون الاختصاصيون هم الحلقة الاهم والابرز من اجل الاطلاع والتعرف على المعايير والمواصفات المطلوبة لشغل مهنة التدريس والواجب توفرها في مدرسي المستقبل وبناء الاجيال القادمة ومستقبل البلد والمجتمع وعلى كافة الاصعدة، وذلك لأهمية كليات التربية المتفرد في تزويد المؤسسات التعليمية بالمدرسين والمدرسات والتي يقع على عاتقهم مسؤولية تربية وتعليم أجيال المستقبل الذي يحتاجها المجتمع للتطوير والتفوق ومساعدة المؤسسات التعليمية في كل الجوانب المتعلقة بمخرجات التعلم وجودة التعليم، والتركيز على اكتساب الطلبة مدى واسع من

المهارات والمعارف التي تنمي شخصياتهم بشمولية وتؤهلهم في حياتهم العلمية والمهنية في جميع المجالات.

لذا تكمن أهمية البحث فيما يأتي :

١- انتقاء المدرسين والمدرسات الذين سيلتحقون بمهنة التدريس مستقبلا على وفق معايير وضوابط مدروسة.

٢- مهنة التدريس في بناء الامة وقيادة المجتمع نحو التقدم والتطور والرفاهية لكل ابناءه .

٣- تحمل كليات التربية المسؤولية في انتقاء الطلبة المتقدمين للدراسة فيها لتكون مخرجاتها بالمستوى المطلوب مستقبلا وبما يواكب التطورات العالمية المستقبلية من مخرجات .

ثالثاً- هدف البحث .

يهدف البحث الحالي الى وضع معايير مقترحة لانتقاء خريجي كلية التربية في ضوء التغيرات المستقبلية العالمية لمهنة التدريس من وجهة نظر التدريسيين والمشرفين الاختصاص وذلك من خلال الاجابة عن الاسئلة الآتية :

١- "ما نسبة المعايير المقترحة لانتقاء المدرسين والمدرسات في ضوء التغيرات العالمية لمهنة التدريس من وجهة نظر التدريسيين والمشرفين الاختصاص ككل ؟"

٢- "ما نسبة المعايير المقترحة لانتقاء المدرسين والمدرسات في ضوء التغيرات العالمية لمهنة التدريس من وجهة نظر التدريسيين والمشرفين الاختصاص تبعا لمتغير التخصص العلمي(العلميات، والانسانيات)؟"

٣- "هل هناك فرق ذو دلالة احصائية عند مستوى دلالة(0.05) بين متوسطي درجات افراد عينة البحث لانتقاء المدرسين والمدرسات في ضوء التغيرات العالمية لمهنة التدريس من وجهة نظر التدريسيين والمشرفين الاختصاص تبعا لمتغير التخصص العلمي (العلميات، والانسانيات)؟"

رابعاً- حدود البحث : تحدد البحث الحالي بما يأتي :

١- استبانة المعايير المقترحة لانتقاء المدرسين والمدرسات لمهنة التدريس .

٢- التدريسيين والتدريسيات في كليات التربية(للعلوم الانسانية وللعلوم الصرفة وللبنات) في جامعة الموصل والمشرفين الاختصاص في مديرية الاشراف التربوي/ نينوى .

٣- السنة الدراسية (٢٠٢٠-٢٠٢١) .

خامساً- تحديد المصطلحات .

١- المعايير عرفها كل من .

- السبع وآخرون (٢٠١٠) بأنها: "عبارة عن مستويات ومقاييس وشروط معينة تسعى للوصول اليها من اجل ان نقيس الواقع الحقيقي في ضوء هذه المستويات والمقاييس وذلك من

اجل معرفة مدى اقتراب الواقع من هذه المستويات والمقاييس ". (السبع وآخرون، ٢٠١٠ : ١٠٢)

- **الحربي والمنيع (٢٠١٥)** بأنها: "مجموعة من الشروط والمتطلبات والواجب ان يتصف بها كل من يرغب بالانتساب الى مهنة التدريس وممارستها والتي يتم تثبيت المدرسين المرشحين في مهنة التدريس عن طريق النقاط المكتسبة والمجمعة على وفق هذه الشروط والمتطلبات وخلال مدة زمنية محددة ". (الحربي والمنيع، ٢٠١٥ : ١٩٦)

- **نادي (٢٠١٦)** بأنها: "عبارة عن تلك الابعاد والشروط والمقاييس والتي تحدد المستوى النوعي للأشياء او الاوضاع ". (نادي، ٢٠١٦ : ٢٥)

- **يعرفها الباحثان المعايير نظرياً بأنها:**

" مجموعة من ضوابط وشروط ومواصفات شخصية وعلمية وجسدية واخلاقية وتكنولوجية نسعى الى ان يتصف بها من يمتحن مهنة التدريس من المدرسين والمدارس مستقبلاً ".

٢-المدرس عرفهم كل من :

- **مهاني (٢٠١٠)** بأنه: "الشخص الكفوء والمؤهل تأهيلاً عالياً أكاديمياً وتربوياً من اجل القيام بمهامه وادواره اثناء ممارسته لمهنة التدريس واذ يعد قائداً تربوياً يواكب ويساير التغيير والتجديد الذي يحدث في مهنة التدريس والعملية التعليمية من اجل العمل على بناء شخصيات الطلبة على اسس تربوية وعلمية سليمة ويشجع على خصائص الانسان الصالح للطلبة ولمجتمعهم ". (مهاني، ٢٠١٠ : ١٠)

- **السبحي وآخرون (٢٠١٦)** بأنه : "المدرس الذين لديه من المهارات والقدرات اللازمة للإفادة من تقنية المعلومات في عملية اثناء العملية التعليمية بتوليد المعارف وانتاجها وتوظيفها وتنمية الوجدان وتكوين نظام جديد من القيم الاخلاقية والعمل على تقديم نوعية جديدة من التعليم وذلك من اجل مساعدته على التعامل الفعال مع تحديات وتغيرات المجتمع والتي يتطلبها ويفرضها مجتمع المعرفة ". (السبحي وآخرون ، ٢٠١٦ : ٣٦٥)

- **يعرف الباحثان المدرس نظرياً:** العنصر والركن الاساس في العملية التعليمية والمنظم لبيئة ومناخ الصف في الموقف التعليمي والموجه الاول لتنمية دوافع وميول الطلبة والمشكل لاتجاه الطلبة الايجابي وهو المثير للجانب الوجداني من ابتهاج وحماس وتسامح واحترام ومودة وألفة.

٣- مهنة التدريس عرفها كل من :

- **ابو الشيخ (٢٠١٣)** بأنها: "عملية اجتماعية انتقائية تتواصل وتتفاعل فيها جميع عناصر العملية التعليمية التربوية من اداريين وموظفين ومشرفين ومدرسين وطلبة وتستهدف نمو وتطوير الطلبة وتلبية رغباتهم وخصائصهم واختيار المعارف والمعلومات والانشطة

والاجراءات والتي تتناسب مع الطلبة كلا حسب مرحلته العمرية ". (ابو الشيخ، ٢٠١٣ : ١٢٦)

٤- المشرف الاختصاص عرفه كل من :

- **العبد الله (٢٠١٥)** بأنه: " احد الكوادر التربوية والتعليمية والمؤهلة تأهيلاً عالياً من اجل متابعة اداء وعمل اعضاء الهيئة التدريسية في مجال التربية والاشراف عليها وتقييمها وتقويمها اثناء الخدمة والعمل على تطوير قدراتهم المهنية والعملية من اجل تحسين وتطوير مستوى الطلبة والعملية التعليمية واختيار وتعديل الاهداف التربوية ومناهج التعليم وطرائق التدريس وتقويم التعليم ". (العبد الله، ٢٠١٥ : ١٣٨)

- **قطاف (٢٠١٧)** بأنه: " شخص مسؤول ومشرف عن سير العملية التعليمية ومتابعة المدرسون والوقوف على مستويات الطلبة فضلاً عن انه مربٍ واعون ومتفهم وذوي بصيرة وهو احد اعضاء جماعة متكاملة تنمي روح الفريق الواحد وتشجع على العمل التشاركي التشاوري ويتقن مهارات الاتصال الفعال مع الادارة والمدرسون والطلبة فضلاً عن المجتمع المحيط ويحرصون دوماً على بقاء قنوات الاتصال مفتوحة في جميع الاتجاهات ويعملون على تحقيق الترابط والتناسق المتكامل بين المدرسين ويؤكدون على فتح مجالات الحوار والنقاش الهادف والمثمر من اجل التأثير في سلوكياتهم واستثارة ما لديهم من طاقات ومهارات وانماط التفكير المبدع ودفعهم الى الانجاز المتميز من خلال التأثير والاقناع والتحفيز بعيدا عن اسلوب الاجبار والتسلط ". (قطاف، ٢٠١٧ : ١٩-٢٠)

- **يعرف الباحثان المشرف الاختصاص نظرياً** بأنه: "الشخص المسؤول عن متابعة وتقييم اداء المدرسون ومستويات العملية التعليمية وخططها الدراسية وكيفية استخدام كل ما له علاقة بالعملية التعليمية والمنهج الدراسي فضلاً عن متابعة مستويات الطلبة وكيفية احداث التغيير في العملية التعليمية واركانها عن طريق الممارسة ".

٥- التحديات المستقبلية عرفها كل من:

- **السليطي (٢٠١٥)** بأنها: "جميع المتغيرات والتطورات العالمية المتسارعة والمتلاحقة وذات البعد العالمي الحديث والتمثلة بمتطلبات العصر كالتقدم العلمي والمعرفي والتكنولوجي ومتغيرات قضية العولمة وتحدياتها وما يرتبط بها من قضايا ومشكلات عالمية ".

(السليطي، ٢٠١٥ : ٦٣٦)

- **يوسف (٢٠٢٠)** بأنها : "التحديات والصعوبات والتغيرات التي تؤثر على مجتمعاتنا وفي جميع المجالات والنواحي التعليمية والتربوية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية والتي تؤثر على سلوكيات الافراد ونمط حياة وثقافة وحضارة المجتمع ما ينعكس على الانظمة

التعليمية ومؤسساتها وما ينتج عن ذلك من تغيير من مهام وادوار ووظائف جديدة في المجتمع ومهنة التدريس والمدرسين ". (يوسف، ٢٠٢٠ : ١١٢)

- عرفها الباحثان نظرياً بأنها: "مجموعة من التحديات والتطورات التي تواجه التعليم ومهنة التدريس حالياً ومستقبلاً نتيجة التحولات والتغيرات المحلية والاقليمية والعالمية والتي تؤثر على العملية التعليمية برمتها ومهنة التدريس وتتطلب من القائمين على التعليم ومهنة التدريس مواجهتها ببعض الاستراتيجيات الادارية والتنظيمية من اجل الحد منها فضلاً عن انقاء المدرسين على وفق معايير للمتقدمين لامتحان مهنة التدريس والتأقلم مع تلك التحديات وبما يخدم المهنة مثل التقدم المعرفي والثورة التكنولوجية والعولمة وتداخل الثقافات وجائحة كورونا مؤخراً".

الخلفية النظرية ودراسات سابقة.

نظراً لأهمية مهنة التدريس كمهنة واهميتها وتأثيرها على المجتمع والاجيال الناشئة فلا بد على كليات التربية المسؤولة عن اعداد المدرس في عملية اختيار الطالب المدرس توفر العديد من المعايير والمواصفات الشخصية والمهنية والثقافية والاجتماعية وذلك من اجل ان يقوموا بدورهم السليم بعد التخرج من مرحلة الاعداد الى ميدان العمل، حيث تعد عمليات اختيار الطالب المدرس في كليات التربية ركن الزاوية الاساس من اجل تخريج جيل متمكن وكفوء من المدرسين ومؤهّل تأهيلاً على اعلى المستويات ، اذ اصبح الاهتمام بالتعليم ومهنة التدريس وتقدمه وتطوره والفائدة التي يقدمها التعليم للمجتمعات والبلدان هي من احد ابرز واهم المعايير والتي تميز بين مختلف المجتمعات المتقدمة والمتطورة والنامية والمتخلفة ومن هنا تأتي اهمية المدرس ومكانته في منظومة العملية التعليمية لكونه الركيزة والدعائم الاساسية والمهمة لتطور وتقدم التعليم في اي مجتمع حيث لا بد من زيادة الاهتمام بعمليات اختيار الطالب المدرس واعداده الاعداد العلمي والتربوي والمهني السليم والتي تساعد المدرس من اجل القيام بأدواره ووظائفه في العملية التعليمية التربوية. (هاشم وعباس، ٢٠١٩ : ٤٥١)

- تكمن اهمية مهنة التدريس في:

- ١- انها رسالة بالغة الاهمية وبأنها تعبر عن رسالة المجتمع وتنميته وتطوره.
- ٢- يخصص لقطاع التربية والتعليم ومهنة التدريس الجزء الاكبر من ميزانيات الدول بسبب التأثير الكبير لهذا القطاع على المجالات والقطاعات الاخرى وكذلك ما تدره من عوائد اقتصادية ومادية هذه المجالات بسبب التعليم ومهنة التدريس.

٣- يخصص لها عدد كبير من القوة البشرية والمتمثلة بالمدرسين والمدرسات من اجل استثمارهم بشكل يعطي افضل العوائد والنتائج على المجتمع من اجل تحقيق اهدافه ومن اجل تنميته وتطويره.

٤- تعمل مهنة التدريس على اعداد الافراد بشكل يجعل منهم مواطنين صالحين وتؤهلهم وتطورهم من اجل القيام بأدوارهم في المجتمع وان نوع المواطنين يتوقف على نوع التربية التي يتلقونها وان اهم العوامل واكثرها تأثيرا في التربية هم نوعية المدرسين ودرجة مسؤوليتهم ومدى التزامهم بهذه المسؤولية. (ابن أعر، ٢٠١٩ : ٤١)

- من اخلاقيات مهنة التدريس كلاتي :

١- ان المدرس يعمل في مهنة ذات قدسية ورسالة خاصة فعليه ان يستشعر مكانتها وعظمتها وان يقدرها ويعتز بها وان يكون مخلصا في الانتماء في العمل لهذه المهنة مع ذاته ومع الطلبة والمجتمع.

٢- الحرص الدائم على منفعة الناس والمجتمع بتبيان الطرق والسبل السليمة والصحيحة والحث على اتباعها وان يبذل المدرس الجهد في التربية والتعليم والتوجيه.

٣- ان المدرس هو موضع ثقة واحترام وتقدير لما له من مكانة لا سيما في المجتمع فعليه العمل دوما على البقاء في هذه المكانة والعمل على ترسيخها.

٤- توفير الدعم المناسب للمدرسين ولكافة العاملين في مهنة التدريس.

٥- الاحترام والثقة المتبادلة بين الزملاء المدرسين والادارة المدرسية والقيادات التعليمية واحترام التخصصات المختلفة تعد هي الاساس الذي يحكم العلاقة بين المدرسين والادارة وجميع العاملين في العملية التعليمية ومهنة التدريس. (البشري، ٢٠١١ : ٢١١-٢١٢)

يسعى كل نظام تربوي على ان يكون مدرسيه من افضل المدرسين ويتمتعون بمواصفات جيدة ومرغوبة وتتفق اغلب النظم التعليمية العالمية على مجموعة من المواصفات التي يجب على المدرسين الاتصاف بها ومنها ما يأتي:

١- ان المدرسون اصحاب رسالة يسعون الى تحقيقها من خلال عمله في مهنة التدريس، فهم يمتلكون هوية انسانية ووطنية ومنظومة قيم يكونوا بموجبها مثالا وقدوة للطلبة والمجتمع يحتذى بهم في السلوك والالتزام بالعمل والتحلي بالصبر والحلم والحكمة والتواضع وتقبل النقد والرأي الاخر ويقدر ثقافة الحوار.

٢- ان يمتلك المدرسون فلسفة تربوية واضحة توجه سلوكهم التربوي وان لا تتعارض مع فلسفة الدولة والنظام التعليمي.

٣- ان يكون المدرسون مؤهلون تأهيلاً متكاملًا من النواحي الاكاديمية العلمية والتربوية والمهنية.

٤- ان يمتلك المدرسون معرفة كبيرة بخصائص الطلبة ونموهم وتعلمهم وكيفية التعامل معهم وان يستثمروا هذه المعرفة لكي يطوروا ثقة الطلبة بأنفسهم وتنمية طاقاتهم الابداعية وتوجيههم نحو مصادر المعرفة واجراء البحوث وكتابة التقارير العلمية والتشجيع على الحوار البناء والنقد الذاتي والاندماج النشط في العملية التعليمية وحل المشكلات.

٥- ان يتمتع المدرسون بمجموعة من المهارات الحياتية مثل استخدام الحاسوب وتقنيات الاتصال والمعلومات ومهارات التواصل ومهارات البحوث الاجرائية وكفايات في العلاقات الانسانية وعلى مختلف مستوى علاقاتهم والتمتع بالعدالة الاجتماعية وحقوق الانسان والمواطنة الصالحة واتقان اللغة الام ولغة اجنبية واحدة عالمية على الاقل قراءة وكتابة ومحادثة.

٦- ان يتمتع المدرسون بالصفات والمهارات القيادية والتي تمكنهم من اداء عملهم بكفاءة ونجاح كبير والتمتع بمهارات التعامل الناجح مع جميع المساهمين والمشاركين في العملية التعليمية التربوية. (توق، بله، ٢٠١٥ : ٤)

من اهم وابرز المعايير والصفات والخصائص والتي تلعب دوراً كبيراً في عملية اختيار وانتقاء المدرسين في النقاط التالية:

١- السلامة الجسمية وصحة الجسم وخلو المدرسين المرشحين من العاهات والامراض والتي تجعل من المدرسين موضع عدم الاحترام من طلبته والتعرض للتعليق على عاهته ومرضه وكذلك عدم اصابتهم بأمراض معدية الامر الذي يشكل عائقاً في عملية تأدية ادوارهم ومهامهم في العملية التعليمية.

٢- ان يتسم المدرسون المرشحون بالثبات والاتزان الانفعالي والنفسي وقوة ضبط النفس وعدم الاندفاع وان لا يكونوا سريعى الغضب.

٣- القدرة على التعبير والطلاقة اللفظية والتي تساعد المدرسون على التوضيح والتفسير للطلبة واداء العملية التعليمية بكفاءة عالية.

٤- ان يكون لدى المدرسين المرشحون الميل والرغبة لممارسة مهنة التدريس وتأدية رسالة التعليم الامر الذي يشكل دافعا لبذل الجهد والعمل والنشاط.

٥- قدرة المدرسين المرشحين على التواصل مع الاخرين والقدرة على الريادة الاجتماعية والتوجيه واقامة علاقات اجتماعية ومهنية والقدرة على المبادرة والتأثير في الاخرين والرغبة للعمل معهم.

٦- الاتسام بالذكاء والفتنة وسعة الافق الامر الذي يساعد المدرسين على تبسيط المحتوى العلمي للطلبة ونقل الخبرات التربوية وبما يتناسب مع المستوى العقلي للطلبة.

(السبحي وآخرون ، ٢٠١٦ : ٣٨١-٣٨٢)

اذ رفعت الولايات المتحدة الامريكية شعار لا اطفال بدون تعليم في عام (٢٠٠١) ويعني هذا الشعار اتاحة الفرص التعليمية المتساوية لجميع الاطفال بغض النظر عن الجنسية والثقافة والدين والعرق او اللون او حتى الاختلاف في القدرات وذلك من خلال مدرس مؤهل وكفوء مهتم برعاية وتعليم طلبته يستطيع من تمكين طلبته من النجاح وتحقيق الاهداف المنشودة رغم تباينهم واختلافهم في كل شيء، ومن اجل الوصل الى هكذا مدرس فقد وضعت الولايات المتحدة الامريكية معايير وشروط صارمة قبل دخول الطلبة الى كليات التربية ومؤسسات اعداد المدرسين مروراً بمرحلة الاعداد الحديث والمتطور وصولاً الى مرحلة الالتحاق بممارسة مهنة التدريس، اذ ان لكل ولاية امريكية معايير وشروط معينة لممارسة مهنة التدريس ولا يحق للمدرس الذي حقق متطلبات وشروط ومعايير مهنة التدريس في ولاية معينة التدريس في ولاية اخرى الا اذا حقق متطلبات وشروط مهنة التدريس الخاصة بتلك الولاية. (الانصاري، ٢٠١٩ : ٢٤٦)

تختلف معايير وشروط ومتطلبات ومراحل الاختيار القبول بشكل شاسع وكبير على مستوى هناك عدة شروط ومعايير يجب توفرها في المدرسين المرشحين لمهنة التدريس في اليابان ومنها ما يأتي:

- ١- ان يكونوا المرشحين خريجي مؤسسات وكليات تعليمية معتمدة ومعترف بها من قبل وزارة التربية والثقافة والرياضة والعلوم والتكنولوجيا (MEXT).
- ٢- ان يكون المرشحين قد اتموا التدريب الميداني (Field Training) التربية العملية وواقع اربع ساعات معتمدة من التدريب العملي اسبوعياً بالنسبة لمدرسي المرحلة الابتدائية، وواقع ساعتان معتمدة من التدريب العملي اسبوعياً بالنسبة لمدرسي المرحلة المتوسطة والثانوية.
- ٣- ان يجتاز المرشحين وينجح اختبارات تأهيل المدرسين (Teacher Qualification Examination) والذي تعقده الولاية وتتكون هذه الاختبارات من جزأين حيث يسمح للمدرس المرشح والذي اجتاز الجزء الاول من الاختبارات ان يتقدم للجزء او القسم الثاني من هذه الاختبارات وتضم هذه الاختبارات تقييم للمعرفة الاكاديمية للمدرس المرشح من اجل اختبار مدى كفاءته وملائمته لمزاولة مهنة التدريس وتتضمن هذه الاختبارات ايضاً اختبارات تحريرية ومقابلات شخصية واختبارات للمهارات العملية فضلاً عن الفحوصات البدنية والجسدية والصحية. (شريب والمصري، ٢٠١٧ : ٣٤١)

اما في فنلندا فتعد مهنة التدريس من المهن الاكثر تميزاً وشيوعاً بين الشباب الفنلنديين وذلك حسب استطلاع الرأي لخريجي المدارس الاعدادية اذ تعد عملية الحصول على وظيفة مدرس في مدرسة اساسية في فنلندا هي عملية تنافسية ومعقدة للغاية حيث ان الافضل

والامع هم فقط من يستطيعون حجز مقعد لهم في مهنة التدريس وتحقيق احلامهم.
(Salberg,2016:4)

- شروط توظيف المدرسين في كندا:

يتم اختيار وتوظيف المدرسين في كندا عن طريق السلطات التعليمية المحلية في كل مقاطعة وتحدد المرتبات المالية وذلك من خلال التفاوض مع الاتحادات المحلية للمدرسين ويتم تثبيت المدرسين الجدد على وفق سنوات الخبرة ومستوى التعليم بالنسبة للمدرس، اما شروط التوظيف للمدرسين هي ما يأتي:

- ١- يتطلب التوظيف لمهنة التدريس درجة جامعية اولى مع عاما كاملا في ممارسة المهنة .
- ٢- اجتياز نظام تأهيل المدرسين الجدد (Induction) والذي كان سابقا اختبارات تأهيل المدرس (Teacher Qualifying Test).
- ٣- ان يكون المدرس المرشح للتوظيف حاصلًا على شهادة من كلية أونتااريو للمعلمين والتي تمنح شهادات في ادارة وتدعيم المعايير المهنية لمهنة التدريس.

٤- ان يكون المدرس المرشح منضم الى اتحاد المعلمين.(غانم وجمال الدين، ٢٠١٦: ٢١-٢٢)

٣- تجربة ماليزيا :

تهتم ماليزيا بانتقاء أفضل المتقدمين للعمل في مهنة التدريس وتشتترط أن يكونوا المدرسين المرشحين من خريجي البرامج الأكاديمية المعتمدة من قبل هيئة التقييم والاعتماد الماليزية (MQA) (Malaysian Qualification Agency) حتى يمكن الترخيص للمدرسين المرشحين للعمل في مجال التدريس، ثم يواصل المدرسون المرشحون بعد التحاقهم بالعمل لمزاولة مهنة التدريس حضور الدورات والبرامج التدريبية التي تنفذها وزارة التربية والتعليم لرفع مستوى معارفهم وقدراتهم ومهاراتهم في كافة الجوانب الأكاديمية والمهنية والإدارية.

٤- تجربة فرنسا :

من اجل منح شهادة الترخيص لمزاولة مهنة التدريس في فرنسا يجب على المدرسين المرشحين اولا الحصول على الدرجة الجامعية الأولى، ومن ثم اجتياز سلسلة من الامتحانات والاختبارات في مجال التخصص الاكاديمي وفي مجال التخطيط للتدريس، اما المدرسين المرشحين والذين اجتازوا الامتحانات بنجاح يكونوا مؤهلون للتدريب بأجر لمدة عام وفي نهاية هذا العام يتم اخضاعهم لاختبارات اللجنة المركزية والمشرفة على المدرسين ولا يتم منح الترخيص لمزاولة مهنة التدريس للمدرسين المرشحين الا بعد استيفاءهم لجميع هذه المتطلبات والشروط. (شريب والمصري، ٢٠١٧ : ٣٤٣)

١- دراسة (Dunton 2001)

اجريت هذه الدراسة في الولايات المتحدة الامريكية في ولاية فرجينيا وهدفت الى تحديد ما يبحث عنه مديرو المدارس الثانوية عند اختيار وتوظيف المهنيين والمدرسين التقنيين والأهمية النسبية لتلك المعايير وما إذا كانت عوامل معينة (مثل حجم منطقة المدرسة - وحجم المجتمع - وسنوات الخبرة كمدير) تؤثر عليهم وعلى آراءهم تجاه عملية الاختيار وقد تم إرسال الاستطلاعات (استبانة المعايير) بالبريد إلى (١٦٠) مديراً وتم الرد على (١٤٦) منهم مما ينتج عنه معدل استجابة (٩١٪)، وقد تم استخدام الوسائل الاحصائية مثل اختبار (t-test) لمجموعتين او عينتين وتحليلات الانحدار القياسي للإجابة على أسئلة البحث. وتوصلت الدراسة الى النتائج الآتية :

١- ان أكثر معايير التوظيف المرغوبة التي ذكرها المديرون (حسب الأهمية) كانت الحماس وقدرة المدرسين المرشحين على التواصل بشكل فعال.

٢- ان اكثر المعايير المرغوبة ايضاً كانت تلك التي تركز على الطالب ومعتقدات المدرسين المرشحين حول إدارة الصف الدراسي ومعرفتهم بمجموعة متنوعة من استراتيجيات وطرائق التدريس. (Dunton 2001)

٢- دراسة الحربي والمنيع (٢٠١٥) .

اجريت هذه الدراسة في المملكة العربية السعودية وقد هدفت الى وضع تصور مقترح للترخيص لمزاولة مهنة التدريس في المملكة العربية السعودية وحدد الباحث ثلاثة اهداف من اجل تحقيق الهدف الاساس من الدراسة وهذه الاهداف هي تحديد المعايير والشروط العالمية لنظام الترخيص لمزاولة مهنة التدريس ومن ثم تقديم تصور مقترح لنظام الترخيص لمزاولة مهنة التدريس في السعودية ومن ثم التحقق من مدى صحة التصور المقترح وذلك من وجهة نظر الاختصاصيين، وتكون مجتمع الدراسة من الدول التي تطبق نظام الترخيص كشرط ومعيار اساسي لمزاولة مهنة التدريس في نظامها التعليمي العام وذات مرتبة عالية ومتقدمة عالميا في تصنيف البلدان الافضل تعليميا حسب تصنيف منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية (OECD) (٢٠٠٩)، اما عينة الدراسة فقد تم اختيارها بالطريقة العمدية وتكونت من (٦) دول وهي الولايات المتحدة الامريكية وانجلترا وسنغافورة واليابان واستراليا وكندا، وقد تم اختيار هذه الدول بناءً على تميز وفعالية نظام الترخيص لمزاولة مهنة التدريس فيها وعراقة انظمتها التعليمية، اما اداة الدراسة فقد قام الباحث بوضع قائمة للمواصفات المعيارية مبنية على خبرات الدول الست وقد تم اختيار هذه القائمة على وفق اسلوب علمي واشتملت القائمة على

المعايير المقترحة للتصور المقترح واهداف التصور المقترح والهيكل التنظيمي لنظام الترخيص وكذلك انواع الترخيص المقترحة وشروطها ومتطلباتها، وقد توصلت الدراسة للنتائج الآتية:

١- ان هذه الدول ركزت على معايير السمات الشخصية والمعرفية والمهنية للمدرسين المرشحين مثل قدرة المدرسين على التأثير الفعال على الطلبة والتطوير المستمر لقدراتهم المهنية وقدرتهم على تقويم الطلبة واعداد الدروس والتعاون مع المجتمع والعمل على مصلحة الطلبة .

٢- الاهتمام والرعاية بالطلبة والتحلي بالأخلاق والآداب العامة ليكونوا قدوة للطلبة وتسخير العلم والمعرفة لمساعدتهم .

٣- الاهتمام بتطوير انفسهم باستمرار والعمل على التحسين المستمر لمهنة التدريس.

وقد تم وضع التصور المقترح للترخيص لمزاولة مهنة التدريس في المملكة العربية السعودية وفي ضوء معايير وشروط الترخيص لمهنة التدريس بالاستفادة من خبرات الدول المتقدمة في مجال معايير وشروط مزاولة مهنة التدريس. (الحري والمنيع : ٢٠١٥)

٣- دراسة الجميل (٢٠١٧) .

اجريت هذه الدراسة في المملكة العربية السعودية ، وهدفت إلى التعرف على المعايير الواجب توفرها فيمن يرغب في مزاولة مهنة التعليم، وتحديد أهمية تلك المعايير وترتيبها ترتيباً تنازلياً والتعرف على درجة موافقة الأكاديميين في تفعيلها من قبل الجهات المسؤولة عن المدرسين، وللإجابة عن السؤال الرئيس والأسئلة الفرعية، قام الباحث ببناء أداة الدراسة (استبانة المعايير) وتكونت أداة الدراسة من (١٣) معياراً، ومن ثم تطبيق الاستبانة على عينة الدراسة من الأكاديميين والبالغ عددهم (٣١٥) أكاديمياً عن طريق الاستبانة الالكترونية بواسطة برنامج (Google Drive)، تم اختيار جميع مجتمع الدراسة من خمس جامعات في المملكة العربية السعودية هي: جامعة أم القرى، جامعة طيبة، جامعة الملك سعود، جامعة الملك فيصل، جامعة الملك خالد، وقد تم تحليل اجابات عينة الدراسة اعتماداً على برنامج (SPSS) باستخدام معامل الثبات ألفا كرونباخ والمتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية ، وقد توصلت الدراسة الى النتائج الآتية :

ان هناك تسع معايير من اصل (١٣) معيار تحظى بموافقة وقبول الاكاديميين من اجل تفعيلها في عملية انتقاء واختيار المدرسين وتعيينهم وهذه المعايير هي ما يأتي مرتبة ترتيباً تنازلياً:

١- ان يكون المدرس المرشح حاصلًا على البكالوريوس مع التأهيل التربوي كحد ادنى من احدى الجامعات المحلية او العالمية المعتمدة من قبل وزارة التعليم.

٢- ان يتجاوز المدرس المرشح المقابلة الفردية والتي تثبت خلو المرشح من عيوب النطق وسلامة التفكير وكذلك الخلو من العيوب الجسدية والتي تؤثر على ادائه في مهنة التدريس.

- ٣- ان لا يكون قد صدر في حق المرشح حكما في قضية اخلاقية .
- ٤- ان لا يكون قد فصل من مهنة التدريس سابقا لأسباب تأديبيه.
- ٥- ان يجتاز المرشح الاختبارات الوطنية والتي يقيّمها مركز القياس الوطني ونسبة لا تقل عن (٥٥%) وتضمن هذه الاختبارات تمكن المرشح من القدرات العقلية والكفايات المعرفية والتربوية والتي تمكن المدرس المرشح من السيطرة على المعرفة النظرية والتطبيقية في التدريس.
- ٦- ان يرفق المرشح تقريراً طبياً حديثاً من احدى المستشفيات الحكومية المعتمدة والتي تثبت خلوه من الامراض والتي يمكن ان تؤثر على ادائه في عمله بمهنة التدريس.
- ٧- ان يجتاز المدرس المرشح الاختبار العملي والتعامل مع التكنولوجيا الحديثة.
- ٨- ان لا يقل معدل المدرس المرشح عن جيد جدا في درجة البكالوريوس. (الجميل : ٢٠١٧)

٤- دراسة مزهر (٢٠١٧) .

اجريت هذه الدراسة في فلسطين وهدفت الى التعرف على عمليات انتقاء واختيار وتعيين المعلمين في وزارة التربية والتعليم العالي وما هي اهم المعايير والشروط الشخصية والمهنية والثقافية والاجتماعية الواجب توفرها في المرشحين لمزاولة مهنة التدريس وذلك من اجل قيامهم بأدوارهم ومهامهم التربوية والعلمية المطلوبة، وقد اعتمدت هذه الدراسة على نصوص قانون الخدمة المدني الفلسطيني رقم (٤ لسنة ١٩٩٨) وبيان اسسه واحكامه ومسترشدين بالقوانين الوظيفية المقارنة الاخرى والمبادئ القانونية والآراء الفقهية والاحكام القضائية الخاصة بالتعليم وتعيين المدرسين، وقد توصلت الدراسة الى ما يأتي :

١- ان وزارة التربية والتعليم العالي تتبع الشروط المنصوص عليها والتي جاءت في قانون الخدمة المدنية (رقم ٤ سنة ١٩٩٨) واللائحة التنفيذية والمتمثلة اولا بإعلان الحاجة الى معلمين وان يكون المتقدمين حاصلين على الدرجة الجامعية الاولى وبمعدل لا يقل عن (٦٥%) او ان يكونوا حاصلين على الدبلوم المتوسط مع الشامل او دبلوم معلمين وبمعدل لا يقل عن (٦٥%) ايضا.

٢- اجراء امتحانات تحريرية للمتقدمين فضلا عن المقابلة الشخصية وقد قسمت هذه الشروط الى درجات حيث ان الامتحان التحريري وضعت له (٥٠) علامة وللمؤهل العلمي (١٠) علامات تبدأ من الدبلوم المتوسط او دبلوم المعلمين وله ثلاث علامات وتنتهي بالدكتوراه ولها (١٠) ، ولمعدل المؤهل العلمي (١٠) علامات تبدأ من الجيد وله (٧) علامات وتنتهي بالممتاز وله (٩-١٠) علامات.

٣- ان خبرات العمل كمعلم فخصصت لها (١٥) علامة اما المقابلة الشخصية فلها ايضا (١٥) علامة، وتوجد شروط ومعايير تنفرد بها وزارة التربية والتعليم العالي في تعيين المعلمين نظرا لخصوصية وظيفة مهنة التدريس.

٤- ان المعايير والشروط المتبعة في عملية انتقاء المعلمين في وزارة التربية والتعليم الفلسطينية غير كافية لاختيار العناصر ذات الكفاءة والجدارة لشغل مهنة التدريس. (مزهري : ٢٠١٧)

ثالثاً- مؤشرات ودلالات من الدراسات السابقة :

بعد استعراض الدراسات السابقة ارتأى الباحثان اجراء موازنة في المؤشرات والدلالات التي استخلصتها من تلك الدراسات لغرض للإفادة منها وتوظيفها في البحث الحالي ولاسيما في الجوانب الاجرائية المتمثلة في الاتي :

- ١- الهدف .
 - ٢- العينة .
 - ٣- أدوات البحث .
 - ٤- الوسائل الاحصائية .
- ١- الهدف :

تباينت الدراسات السابقة من حيث اهدافها فدراسة دونتون (٢٠٠١) هدفت الى تحديد ما يبحث عنه مديرو المدارس الثانوية عند اختيار وتوظيف المهنيين والمدرسين التقنيين والأهمية النسبية لتلك المعايير وما إذا كانت عوامل معينة (مثل حجم منطقة المدرسة - وحجم المجتمع - وسنوات الخبرة كمدير) تؤثر عليهم وعلى آراءهم تجاه عملية الاختيار، اما دراسة الحربي والمنيع (٢٠١٥) فهذهت الى تحديد المعايير والشروط العالمية لنظام الترخيص لمزاولة مهنة التدريس ومن ثم تقديم تصور مقترح لنظام الترخيص لمزاولة مهنة التدريس ومن ثم التحقق من مدى صحة التصور المقترح وذلك من وجهة نظر الاختصاصيين، ودراسة الجميل (٢٠١٧) فهذهت إلى التعرف على المعايير الواجب توفرها فيمن يرغب في مزاولة مهنة التعليم، وتحديد أهمية تلك المعايير وترتيبها ترتيباً تنازلياً والتعرف على درجة موافقة الأكاديميين في تفعيلها من قبل الجهات المسؤولة عن المدرسين، واخيرا دراسة مزهر (٢٠١٧) فهذهت الى التعرف على عمليات انتقاء واختيار وتعيين المعلمين في وزارة التربية والتعليم العالي وما هي اهم المعايير والشروط الشخصية والمهنية والثقافية والاجتماعية الواجب توفرها في المرشحين لمزاولة مهنة التدريس .

اما البحث الحالي فسيستهدف وضع معايير مقترحة لانتقاء خريجي كلية التربية في ضوء التغيرات المستقبلية العالمية لمهنة التدريس من وجهة نظر التدريسيين والمشرفين الاختصاص.

٢- العينة والاداة :

تباينت عينة الدراسات السابقة من حيث عيناتها لكنها اتفقت اغلبها على الاداة وكما هو موضح في الجدول (١) .

الجدول (١)

عينات الدراسات السابقة من حيث عدد أفرادها والجنس والاداة

ت	اسم الدراسة والسنة	عدد أفراد العينة	الجنس	الاداة وعدد المجالات والفقرات
١	دونتون (٢٠٠١)	(١٤٦)	مدير	(استبانة المعايير) لتوظيف المهنيين المدرسين التقنيين
٢	الحربي والمنيع (٢٠١٥)	(٦)	دول	استبانة المعايير والشروط العلمية في ضوء الخبرات العالمية المعاصرة على وفق تصنيف منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية (OECD)
٣	الجميل ٢٠١٧	(٣١٥)	أكاديميا ذكور واناث	(استبانة المعايير) عدد (١٣) معيارا
٤	مزه ٢٠١٧	اعتمدت نصوص قانون الخدمة المدني الفلسطيني رقم (٤ لسنة ١٩٩٨)
	البحث الحالي	٣١٢	تدريسيين ومشرفين اختصاص ذكور واناث	الاستبانة (معايير مقترحة) عدد المعايير ككل (٨٨) معيارا موزعة الى مجلاتها (٧) بعد تميز الفقرات

٣- الوسائل الاحصائية :

تنوعت الوسائل الاحصائية التي استعملت في الدراسات السابقة كاختبار (t-test) لعينتين مستقلتين ومتربطتين وتحليل الانحدار القياسي ومعامل الفاكرونباخ والمتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية ، فضلاً عن برنامج الحقيبة الاحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS) اما البحث الحالي فستستعمل معامل الفاكرونباخ ، والاوزان النسبية واختبار (z-test) لعينتين مستقلتين، ومعادلة التمييز .

رابعاً- مدى الافادة من الدراسات السابقة :

بعد استعراض الدراسات السابقة افاد الباحثان منها في عدة جوانب هي :

- ١- اختيار منهجية البحث المناسبة وهي منهج البحث الوصفي .
- ٢- تحديد مجتمع البحث واختيار العينة .
- ٣- الاطلاع على المصادر والادبيات السابقة التي تخص موضوع البحث .
- ٤- اعداد أداة البحث المتمثلة في (معايير مقترحة).
- ٥- تحديد الوسائل الاحصائية المناسبة لإجراءات البحث ومناقشة النتائج وتفسيرها .
- ٦- موازنة نتائج البحث الحالي بنتائج الدراسات السابقة .

منهجية البحث واجراءاته .

اولاً- تحديد مجتمع البحث واختيار عينته :

أ- مجتمع البحث Research Population .

يقصد بمجتمع البحث الأفراد أو الأشياء أو الأشخاص جميعهم الذين يشكلون موضوع مشكلة البحث اي مفردات الظاهرة جميعها التي يدرسها الباحث. (عبيدات وآخرون، ٢٠١٣ :٩٦)

وتكون مجتمع البحث من تدريسي كليات (التربية للعلوم الانسانية، والتربية للعلوم الصرفة والتربية للبنات) في جامعة الموصل والمشرفين الاختصاص في مديرية تربية محافظة نينوى للسنة الدراسية (٢٠٢٠ - ٢٠٢١) وكما يبين الجدول (٢).

الجدول (٢)

مجتمع البحث الحالي

المجموع	الشهادة			اللقب العلمي				المجموع	اناث	ذكور	كلية التربية
	بكالوريوس	ماجستير	دكتوراه	مدرس مساعد	مدرس	استاذ مساعد	استاذ				
٢٥٢	—	٦٥	١٨٧	٣٧	٨٧	٩٨	٣٠	٢٥٢	٩٤	١٥٨	للعلوم الانسانية
٢٧٤	—	١٢٦	١٤٨	٥١	١٤٦	٦١	١٦	٢٧٤	١٣٤	١٤٠	للعلوم الصرفة
١٣٠	—	٥٧	٧٣	٣٨	٤٨	٣٠	١٤	١٣٠	٨٥	٤٥	للبنات
١٥٥	١٢٩	١٦	١٠	٨	٢٠	١	—	١٥٥	٥٥	١٠٠	مديرية الاشراف التربوي / الاختصاص
٨١١	١٢٩	٢٦٤	٤١٨	١٣٤	٣٠١	١٩٠	٦٠	٨١١	٣٦٨	٤٤٣	المجموع

ثانياً- عينة البحث Research Sample :

العينة عبارة عن جزء من مجتمع الدراسة . (العتوم، ٢٠٠٤ :٢٧) يختارها الباحث لإجراء الدراسة عليها على وفق قواعد خاصة لكي تمثل المجتمع تمثيلاً صحيحاً . (الوادي والزعبي، ٢٠١١ :٢٤٣)، اختار الباحثان عشوائياً افراد العينة . وكما هو مبين في الجدول (٣) .

الجدول (٣)

عينة البحث الحالي من التدريسيين والمشرفين الاختصاص

المجموع الكلي	الاناث (الكلي)	ذكور (الكلي)	بكالوريوس		ماجستير		دكتوراه		المتغيرات	
			الاناث	ذكور	الاناث	ذكور	الاناث	ذكور	الاناث	العلميات
١٠٣	٢٥	٦٨	-	-	١٥	١٠	٢٠	٥٨	العلميات	التدريسيين
٩٢	٣٩	٥٣	-	-	١٣	٦	٢٦	٤٧	الانسانيات	
٥٢	٩	٤٣	٧	٣٧	٢	٤	-	٢	العلميات	المشرفين التربويين/الاختصاص
٦٥	١٧	٤٨	١٥	٤١	١	٤	١	٣	الانسانيات	
٣١٢	١٠٠	٢١٢	٢٢	٧٨	٣١	٢٤	٤٧	١١٠		المجموع ككل

ثالثاً- أداة البحث (المعايير المقترحة) .

عادة ما يتم تحديد الاداة بحسب طبيعة البحث ومستلزماته، ولما كان البحث الحالي يهدف الى التعرف على معايير مقترحة لانتقاء المدرسين والمدرسات في ضوء بعض المتغيرات لمهنة التدريس من وجهة نظر التدريسيين والمشرفين الاختصاص ، ونظراً لسعة انتشار عينة البحث فقد اعتمد الباحثان الاستبانة في جمع البيانات لتحقيق هدف بحثهم بوصفها (المعايير) من الادوات التي تسمح للمستجيب الاجابة بحرية وصراحة. (وجيه، ٢٠٠٢: ١٧١)

وقد تكونت الاستبانة في الدراسات الوصفية الوسيطة العلمية الوحيدة المتيسرة للمستفتين لمتغيرات مختارة ومرتبطة بعناية . (فان دالين، ١٩٨٧: ٣٩) لذا تطلب البحث الحالي اعداد أداة لتحقيق هدفه والتحقق من تساؤلاته وهي مقياس المعايير المقترحة. وفيما يأتي توضيح لإعداد الأداة:

١- صدق الاداة (المعايير المقترحة) . هو قدرة الاداة على قياس ما اعدت لقياسه فعلا وبعد الاختبار الصادق من الشروط المهمة الواجب توفرها في أداة جمع البيانات . (عباس وآخرون، ٢٠١١: ٢٦١) هناك انواع عدة من الصدق إذ اعتمد الباحثان الصدق الظاهري للثبث من صدق الاستبانة ، اذ اشار (Able (1972 الى أن افضل وسيلة للتأكد من الصدق الظاهري هي ان يقوم عدد من الخبراء المختصين بتقرير صلاحية الفقرات او العبارات للصفة المراد قياسها. (Able، 1972:p.555)، فقد عرض الباحثان الاداة (الاستبانة) الى المحكمين وبلغ عددهم (٢٠) محكماً من تخصص العلوم التربوية والنفسية .

وقد اعتمد الباحثان نسبة اتفاق بلغت (٨٨%) فاكتر من اتفاق المحكمين معياراً لقبول الفقرة وهذا ما ذهب اليه (بلوم) إذ عدَّ نسبة الاتفاق البالغة (٧٥%) فاكتر دليلاً على الصدق الظاهري للاستبانة (بلوم، ١٩٧٣: ١٢٦). وقد اخذ الباحثان بأراء السادة المحكمين جميعها وحذف الفقرات التي لم تحصل على نسبة الاتفاق واصبحت الاداة بصيغتها النهائية.

الجدول (٤)

يوضح عدد الفقرات بصيغتها الاولية والمستبعدة والنهائية لاستبانة (المعايير)

ت	معايير	عدد المعايير	
		بصيغتها الاولية	المستبعدة/وتسلسلها النهائية
١	الصفات الشخصية أ- (لكلا الجنسين)	١٩	١ معيار (١٨)
٢	الصفات الشخصية ب- (للمدرسات)	٦	١ معيار (٤)
٣	ضوابط التوظيف والمقابلة	٢٤	٢ معيار (٢٣، ٢٠)
٤	التطبيق (مهارات التدريس)	١٠	—
٥	المعلومات النظرية والمعرفية اثناء التدريس المصغر	١٧	١ معيار (٩)
٦	الثقافة الرقمية	١٠	—
٧	القدرات القيادية	١٠	١ معيار (١٠)
	المجموع	٩٦	٦

٢- قوة تمييز الفقرات .

تشير القوة التمييزية للفقرة إلى مدى قدرتها على تمييز الفروق الفردية بين الافراد الذين يملكون الصفة التي يقيسها الاختبار او يعرفون الاجابة والذين لا يملكون الصفة المقاسة او لا يعرفون الاجابة الصحيحة لكل فقرة من فقرات الاختبار. (كوافحة، ٢٠١٠: ١٥٠٠)

لاستخراج معاملات القوة التمييزية لها وللحكم على مدى صلاحية استبانة المعايير المقترحة حلل الباحثان إحصائياً فقرات الاستبانة باختيار عينة استطلاعية من مجتمع البحث مكونة من (80) تدريسياً ومشرفاً اختصاصياً من مجتمع البحث وبعد ترتيب الاستمارات تنازلياً من الأعلى إلى الأدنى قسم الباحثان الاستمارات على مجموعتين الاولى العليا والبالغة (21.6) تم تقريبها الى (22) معياراً تقريباً والثانية الدنيا والبالغة (21.6) تم تقريبها الى (22) معياراً ايضاً ، تراوح (0.31-0.77) والفقرات المقبولة هي التي تزيد درجة تمييزها على (0.20). (الظاهر، ٢٠٠٢: ١٢٩-١٣٠) مما يعني أن فقرات استبانة المعايير المقترحة

جميعها تعد مقبولة من حيث مستوى تمييزها عدا الفقرتين (٢٠١) وهي غير مميزة من معايير (الصفات الشخصية لكلا الجنسين) وبهذا تكونت الاداة بصيغتها النهائية عند تطبيق الاداة على عينة البحث (٨٨) معياراً.

٣- ثبات الاداة .

يعني ثبات الأداة ان يعطي الاختبار نتائج متماثلة او متقاربة في قياسه لمظهر ما من مظاهر السلوك اذا ما استعمل ذلك المقياس اكثر من مرة او بطرائق اخرى ، وتبدو قيمة ثبات الاختبار في قدرته على الكشف عن الفرق في الاداء بين الافراد . (الروسان، ٢٠١٦ :٣٢)

هناك عدة طرق لقياس الثبات وقد اعتمد الباحثان طريقة الفا كرونباخ للتحقق من ثبات الأداة عند عينة التدريسيين والمشرفين الاختصاص إذ طبقها على (20) تدريسي وتدرسية من مجتمع البحث إذ بلغ معامل ثبات الفا كرونباخ (0.95) مما يدل على ان الاداة تتصف بثبات عالٍ عند عينة التدريسيين. اما ثبات الأداة عند عينة المشرفين الاختصاص إذ طبقها الباحثان على (20) مشرفاً من مجتمع البحث إذ بلغ معامل ثبات الفا كرونباخ (0.96.9) مما يؤكد ان المقياس يتمتع بمعامل ثبات عالٍ، اذ اكد Allon & Thomas اذا حصل المقياس على نسبة ثبات (0.85) فهي نسبة ثبات عالية. (Allon & Thomas, 2004: 437) وهناك مصادر اخرى ترى ان الاختبار جيداً اذا ثبات عالٍ إذا بلغ معامل ثباته (0.75) فأكثر . (سمارة وآخرون، ١٩٨٩: ١٢٠) مما يدل على ان الاداة تتصف بثبات عالٍ عند عينة المشرفين الاختصاص. وبذلك أصبحت الاستبانة (المعايير المقترحة) جاهزة للتطبيق بصيغتها النهائية.

رابعاً- تطبيق أداة البحث .

طبق الباحثان الأداة (المعايير المقترحة) وذلك من خلالها اخذ اراء افراد عينة البحث من التدريسيين والمشرفين الاختصاص اذ طبقها يوم الاحد الموافق (٢٠٢١/١/١٠) واستمرت الى يوم الخميس الموافق (٢٠٢١/١/١٤) على المشرفين الاختصاص اما عينة التدريسيين فقد طبقا يوم الثلاثاء الموافق (٢٠٢١/١/١٩) واستمر التطبيق الى يوم الثلاثاء الموافق (٢٠٢١/٢/٢) على أفراد عينة البحث .

خامساً- تصحيح أداة البحث .

صححت أداة البحث فيما يتعلق بمعايير انتقاء المدرسين والمدرسات لمهنة التدريس وكالاتي:

بما أن الاداة هي لقياس وجهات نظر التدريسيين والمشرفين الاختصاص وحسب وجهة نظرهم اذ تكونت المعايير من (88) معياراً ذو بدائل خمس وهي: موافق عليها بدرجة

(كبيرة جداً، وكبيرة، ومتوسطة، وقليلة، وقليلة جداً) ودرجته الكلية تتراوح بين (88- 440) درجة بمتوسط فرضي والبالغ (264) درجة.

سادساً- الوسائل الإحصائية استعمل الباحثان الوسائل الإحصائية الآتية :

- ١ - معادلة التمييز: استعملت لإيجاد تمييز فقرات الاختبار.
- ٢ - معادلة ألفا - كرونباخ (α - cronbach) لإيجاد ثبات اداة (المعايير)
- ٣ - اختبار (z-test) لعينتين مستقلتين لأغراض تحليل نتائج البحث.

عرض نتائج البحث ومناقشتها :

بعد جمع البيانات من أفراد عينة البحث وتحليلها إحصائياً ومناقشتها في ضوء تساؤلات

البحث وعلى النحو الآتي:

- النتائج المتعلقة بالسؤال الأول:

"ما نسبة معايير مقترحة لانتقاء خريجي كلية التربية في ضوء التغيرات المستقبلية العالمية

لمهنة التدريس من وجهة نظر التدريسيين والمشرفين الاختصاص ككل ؟"

للإجابة عن هذا السؤال استخرج الباحثان درجة الحدة والوزن النسبي وترتيبها

وعرضت في الجدول (٥) الآتي:

الجدول (٥)

حدة الفقرات وأوزانها النسبية لأفراد عينة البحث ككل

ت	الفقرات	عينة البحث ككل (٣١٢)	
		درجة الحدة	الوزن النسبي
	الصفات الشخصية أ- (لكلا الجنسين)		
١	الثقة بالنفس	4.608	0.921
٢	سرعة التصرف بإخلاص في المواقف الحرجة بذكاء	4.288	0.857
٣	القدرة على التناحر مع الآخرين	4.333	0.866
٤	الصدق في التعامل	4.669	0.933
٥	الحلم والتأدب العام	4.407	0.881
٦	استشعار المسؤولية في مواجهة سلوكيات بعض الطلبة	4.163	0.832
٧	لغة الجسد والاشارات	3.923	0.784

ت	الفقرات	عينة البحث ككل (٣١٢)	
		درجة الحدة	الوزن النسبي
٨	وضوح الصوت والنطق السليم ووضوح اللفظ العام	4.506	0.901
٩	النقد البناء عند محاوره الآخرين	4.032	0.806
١٠	الرغبة بمهنة التدريس	4.586	0.917
١١	الموضوعية في التعامل	4.166	0.833
١٢	الصبر والحكمة في التعامل	4.233	0.846
١٣	المواظبة والمحافظة على المواعيد	4.464	0.892
١٤	القدرة على اتخاذ القرار الصحيح	4.240	0.848
١٥	تمييز الخصائص والقدرات الفردية	4.019	0.803
١٦	حسن التصرف في المواقف التربوية مثل تشاجر الطلبة مع بعضهم البعض	4.083	0.816
	الكلية	4.295	0.859
ت	الصفات الشخصية ب- (للمدرسات)		
١	ارتداء ملابس محتشمة	4.660	0.932
٢	التصرف بحكمة وحنان	4.198	0.839
٣	التبرج المنافي للقيم التربوية	2.413	0.482
٤	نبرة الصوت المناسبة للمدرسات	3.919	0.783
٥	حركات الايماءات والايحاءات	3.506	0.701
	الكلية	3.7392	0.747
ت	معايير ضوابط التوظيف والمقابلة		
١	احتساب معدل الثانوية العامة	3.541	0.708
٢	احتساب الدرجة العلمية في المؤهل العلمي الجامعي بمواد التخصص الدقيق	4.240	0.848
٣	احتساب المعدل العام في المؤهل العلمي الجامعي	4.173	0.834
٤	وضع نقاط محددة لأقدمية التخرج الجامعي	4.038	0.807
٥	اجراء اختبار تحريري للمتقدمين للتوظيف	3.961	0.792
٦	يمثل اختبار التوظيف المرحلة الفاصلة لقبول المتقدم أو عدم قبوله للمنافسة	3.705	0.741

عينة البحث ككل (٣١٢)			الفقرات	ت
الترتيب	الوزن النسبي	درجة الحدة		
5	0.826	4.131	إجراء مقابلة شخصية للناجحين في اختبار التوظيف ومعايير	٧
6	0.821	4.105	اجراء الفحص الطبي للجسم	٨
4	0.832	4.160	اجراء الفحص الطبي للنظر	٩
3	0.833	4.166	احتساب سنوات الخبرة (للذين كانوا محاضرين سابقا)	١٠
10	0.782	3.913	اختبار اللغة الانكليزية في التخصصات العلمية كونهم سيدرسون المناهج الدراسية العلمية التي يحتوى على مصطلحات ومفاهيم باللغة الانكليزية	١١
18	0.744	3.721	يتضمن اختبار التوظيف أسئلة تربوية يخصص لها ثلث درجة الاختبار	١٢
12	0.769	3.849	جميع أسئلة الاختبار في مجال الاختصاص العلمي للمؤهل للتوظيف للتدريس	١٣
19	0.731	3.657	تضمين الاختبار عدد محدود من الأسئلة الثقافية العامة	١٤
22	0.701	3.506	جميع أسئلة الاختبار تكون من نوع الاختيار من متعدد	١٥
20	0.726	3.634	توحيد أسئلة الاختبار لجميع المتقدمين من حملة شهادة الدبلوم العالي والبيكالوريوس كلاً في مجال تخصصه العلمي	١٦
13	0.766	3.833	درجة النجاح في الاختبار التنافسي لوظيفة مهنة التدريس (٦٠%) من مجموع درجات الاختبار الكلي	١٧
16	0.75	3.75	اعطاء المقابلة الشخصية نسبة كبيرة من نقاط التوظيف	١٨
11	0.777	3.887	اختبار القدرة على التصرف في المواقف الصعبة	١٩
15	0.758	3.794	تتضمن المقابلة الشخصية اسئلة ثقافية متنوعة	٢٠

ت	الفقرات	عينة البحث ككل (٣١٢)	
		درجة الحدة	الوزن النسبي
٢١	الاطلاع على درجة السلوك في المدرسة الثانوية	3.807	0.761
٢٢	معرفة المبادئ الأساسية لأخلاقيات مهنة للتدريس	4.044	0.808
	الكلية	3.891	0.777
ت	التطبيق (مهارات التدريس)		
١	الاثارة والتنوع في أنماط التهيئة الحافزة للدرس	4.112	0.822
٢	عرضه لموضوعات الدرس بشكل منطقي ومتسلسل	4.224	0.844
٣	ربطه لموضوعات الدرس بالبيئة التعليمية والأحداث الجارية	4.125	0.825
٤	توظيف تقنيات التدريس المناسبة	4.134	0.826
٥	اعتماده التساؤل وتتبع الأسئلة ومستوياتها	4.134	0.826
٦	اعتماد مبدأ أنواع التغذية الراجعة الفورية والمؤجلة في الدرس	4.028	0.805
٧	توجيه الطلبة للتعاون في حل المشكلات وأداء المهمات	4.038	0.807
٨	امتلاكه روح المبادرة والابتكار	4.028	0.805
٩	اعتماد أساليب تقييمية بنائية متنوعة الخاصة بمهارات التدريس	4.086	0.817
١٠	قدرته على تلخيص موضوعات الدرس على شكل خرائط ذهنية	4.121	0.824
	الكلية	4.103	0.820
ت	معايير المعلومات النظرية والمعرفية اثناء التدريس المصغر		
١	أنواع الأهداف التربوية حسب تصنيفاتها	3.977	0.795
٢	أنواع الأهداف التربوية من حيث سلوكياتها	3.932	0.786
٣	خطوات تطوير الأهداف التربوية السلوكية	3.913	0.782
٤	المكونات البنائية للأهداف السلوكية	3.919	0.783

عينة البحث ككل (٣١٢)			الفقرات	ت
الترتيب	الوزن النسبي	درجة الحدة		
11	0.791	3.955	اشتقاق عبارات الأهداف من تحليل بيئة الدرس	٥
9	0.8	4	توظيف الأهداف التربوية الإدراكية المناسبة للتعليم	٦
8	0.813	4.067	توظيف الأهداف التربوية الوجدانية المناسبة للتعليم	٧
15	0.775	3.875	توظيف الأهداف التربوية النفس حركية المناسبة للتعليم	٨
3	0.830	4.153	استعمال الأهداف التربوية والسلوكية في التدريس	٩
4	0.824	4.121	طبيعة المنهج الدراسي بمفهومه الحديث بجوانبه المعرفية والوجدانية والمهارية	١٠
7	0.817	4.089	يبني طرائق واستراتيجيات التدريس الحديثة	١١
6	0.821	4.108	القدرة على توظيف الأساليب المناسبة للموقف التعليمي	١٢
5	0.823	4.115	معرفة أهمية التقنيات التربوية في مجال التدريس	١٣
2	0.845	4.227	مهارات الاتصال والتواصل ومهارات التدريس	١٤
1	0.846	4.233	امتلاكه معرفة نظرية بمهارات التدريس	١٥
7	0.817	4.086	امتلاكه معرفة في القياس والتقييم للجانب المعرفي	١٦
	0.809	4.048	الكلي	
			معايير الثقافية الرقمية	ت
2	0.818	4.092	يمتلك معلومات عن الثقافة الرقمية	١
6	0.806	4.032	لديه القدرة على توظيف البرمجيات في التدريس	٢
1	0.819	4.099	يمتلك مهارات حاسوبية في برامج (word) و (Excel) و (power point)	٣
10	0.780	3.903	يستطيع انشاء منصات علمية يوظفها في العملية التعليمية	٤
3	0.812	4.060	يستطيع توصيل المعلومات عن بعد باستخدام التقنيات الرقمية	٥
4	0.810	4.051	لديه امكانية على صياغة الاسئلة الاختبارية الكترونيا	٦

ت	عينة البحث ككل (٣١٢)		
	الترتيب	الوزن النسبي	درجة الحدة
٧	7	0.805	4.028
٨	9	0.790	3.951
٩	5	0.809	4.048
١٠	8	0.80	4
		0.804	4.02
			الكلية
ت	معايير القدرات القيادية		
١	5	0.853	4.266
٢	8	0.811	4.057
٣	6	0.846	4.233
٤	3	0.875	4.375
٥	1	0.910	4.551
٦	7	0.844	4.221
٧	9	0.808	4.044
٨	4	0.855	4.278
٩	2	0.878	4.394
		0.852	4.26
			الكلية

يتضح من الجدول (٥) ان النسب المتحققة لكل مجال من المجالات والبالغة (0.859)، (0.747، 0.777، 0.820، 0.809، 0.804، 0.852) على التوالي وهي نسب جيدة وحسب وجهة نظر افراد عينة البحث في المعايير المقترحة لانتقاء المدرسين لمهنة التدريس مستقبلا فقد حاز المجال الاول على اعلى النسب ثم المجال السابع ويليها المجال الرابع ثم المجال الخامس وبعد ذلك المجال السادس ثم المجال الثالث اما المجال الثاني فقد جاء اخر المجالات من حيث النسب التي حاز عليها وحسب وجهة نظر افراد عينة البحث ككل واتفقت هذه النتيجة مع دراسة دونتون (٢٠٠١) في عدد من معايير ودراسة الجميل (٢٠١٧) .

يعزو الباحثان هذه النتيجة الى ان اغلب افراد عينة البحث من التدريسيين والمشرفين الاختصاص يرون ان هذه المعايير مهمة جدا ويجب الاخذ بها لإتقاء المدرسين الذين سيلتحقون بمهنة التدريس مستقبلا وفرز من هو اصلح واكفأ لهذه المهنة وتأتي هذه الاهمية من مكانتها التي يجب ان تتبؤ الصدارة من بين المهن الاخرى، وارتكاز المهن الأخرى عليها كونها الاساس الرصين لتعليم الاجيال العلم والمعرفة فضلاً عن ذلك تعد هذه المهنة طريق ذو مفترقين اما طريق العلم والتنمية والتطور والرفي والرشاء والسعادة لجميع ابناء المجتمع او طريق الفشل والجهل والتخلف في جميع مجالات الحياة العلمية والتنمية والثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية فضلاً عن ذلك سيادة الخرافات والدجل والشعوذة نتيجة فقدان الاساس العلمي في المؤسسات التعليمية لا سيما الدراسية الاساسية الابتدائية والثانوية والسبب الرئيس لذلك هو عدم الاعتماد على معايير علمية مدروسة لانتقاء المدرسين خريجي كليات التربية وبجميع التخصصات العلمية وتبني التعينات العشوائية ودون تخطيط مسبق فضلاً عن المحسوبة والتدخلات في التعينات من اطراف ليس لها أي علاقة بالعملية التعليمية وهذا ما ولد الخلل في اغلب المدارس وضعف مخرجات العملية التعليمية مما سبب فشل واضح في الحياة الاجتماعية وفي اغلب مؤسسات الدولة للأسف .

- النتائج المتعلقة بالسؤال الثاني :

"ما نسبة معايير مقترحة لانتقاء خريجي كلية التربية في ضوء التغيرات المستقبلية العالمية لمهنة التدريس من وجهة نظر التدريسيين والمشرفين الاختصاص تبعا لمتغير التخصص العلمي(العلميات، والانسانيات)؟" للإجابة عن هذا السؤال استخرج الباحثان درجة الحدة والوزن النسبي وترتيبها وعرضت في الجدول (٦) الاتي:

الجدول(٦)

حده الفقرات وأوزانها النسبية لأفراد عينة البحث تبعا لمتغير التخصص العلمي

ت	المعايير	العلميات(١٥٥)		
		الحدة	الوزن النسبي	الترتيب
ت	الصفات الشخصية أ- (لكلا الجنسين)			
١	الثقة بالنفس	4.619	0.923	2
٢	سرعة التصرف بإخلاص في المواقف الحرجة بذكاء	4.335	0.867	7
٣	القدرة على التحاور مع الآخرين	4.329	0.865	8
٤	الصدق في التعامل	4.625	0.925	1

العلميات (١٥٥)			المعايير	ت
الترتيب	الوزن النسبي	الحدة		
6	0.886	4.432	الحلم والتأدب العام	٥
11	0.833	4.167	استشعار المسؤولية في مواجهة سلوكيات بعض الطلبة	٦
16	0.783	3.916	لغة الجسد والاشارات	٧
4	0.90	4.503	وضوح الصوت والنطق السليم ووضوح اللفظ العام	٨
14	0.809	4.045	النقد البناء عند محاوره الاخرين	٩
3	0.918	4.593	الرغبة بمهنة التدريس	١٠
12	0.830	4.154	الموضوعية في التعامل	١١
10	0.838	4.193	الصبر والحكمة في التعامل	١٢
5	0.892	4.464	المواظبة والمحافظة على المواعيد	١٣
9	0.856	4.283	القدرة على اتخاذ القرار الصحيح	١٤
15	0.807	4.038	تمييز الخصائص والقدرات الفردية	١٥
13	0.812	4.064	حسن التصرف في المواقف التربوية مثل تشاجر الطلبة مع بعضهم البعض	١٦
	0.859	4.298	الكلي	
			الصفات الشخصية ب- (للمدرسات)	ت
1	0.932	4.664	ارتداء ملابس محتشمة	١
2	0.834	4.174	التصرف بحكمة وحنان	٢
5	0.487	2.43	التبرج المنافي للقيم التربوية	٣
3	0.798	3.993	نبرة الصوت المناسبة للمدرسات	٤
4	0.718	3.593	حركات الایماءات والایحاءات	٥
	0.754	3.770	الكلي	
			معايير ضوابط التوظيف والمقابلة	ت
19	0.699	3.496	احتساب معدل الثانوية العامة	١
1	0.865	4.329	احتساب الدرجة العلمية في المؤهل العلمي	٢

العلميات (١٥٥)			المعايير	ت
الترتيب	الوزن النسبي	الحدة		
			الجامعي بمواد التخصص الدقيق	
2	0.851	4.258	احتساب المعدل العام في المؤهل العلمي الجامعي	٣
3	0.825	4.129	وضع نقاط محددة لأقدمية التخرج الجامعي	٤
8	0.788	3.941	اجراء اختبار تحريري للمتقدمين للتوظيف	٥
15	0.734	3.670	يمثل اختبار التوظيف المرحلة الفاصلة لقبول المتقدم أو عدم قبوله للمنافسة	٦
6	0.815	4.077	إجراء مقابلة شخصية للناجحين في اختبار التوظيف ومعاييره	٧
5	0.820	4.103	اجراء الفحص الطبي للجسم	٨
4	0.824	4.122	اجراء الفحص الطبي للنظر	٩
3	0.837	4.187	احتساب سنوات الخبرة (للذين كانوا محاضرين سابقا)	١٠
7	0.792	3.96	اختبار اللغة الانكليزية في التخصصات العلمية كونهم سيدرسون المناهج الدراسية العلمية التي يحتوى على مصطلحات ومفاهيم باللغة الانكليزية	١١
16	0.732	3.664	يتضمن اختبار التوظيف أسئلة تربوية يخصص لها ثلث درجة الاختبار	١٢
11	0.756	3.780	جميع أسئلة الاختبار في مجال الاختصاص العلمي للمؤهل للتوظيف للتدريس	١٣
18	0.713	3.567	تضمن الاختبار عدد محدود من الأسئلة الثقافية العامة	١٤
17	0.717	3.587	جميع أسئلة الاختبار تكون من نوع الاختيار من متعدد	١٥
17	0.717	3.587	توحيد أسئلة الاختبار لجميع المتقدمين من	١٦

العلميات (١٥٥)			المعايير	ت
الترتيب	الوزن النسبي	الحدة		
			حملة شهادة الدبلوم العالي والبكالوريوس كل في مجال تخصصه العلمي	
10	0.769	3.845	درجة النجاح في الاختبار التنافسي لوظيفة مهنة التدريس (٦٠%) من مجموع درجات الاختبار الكلي	١٧
14	0.736	3.683	اعطاء المقابلة الشخصية نسبة كبيرة من نقاط التوظيف	١٨
9	0.774	3.870	اختبار القدرة على التصرف في المواقف الصعبة	١٩
12	0.752	3.761	تتضمن المقابلة الشخصية اسئلة ثقافية متنوعة	٢٠
13	0.748	3.741	الاطلاع على درجة السلوك في المدرسة الثانوية	٢١
5	0.820	4.103	معرفة المبادئ الأساسية لأخلاقيات مهنة للتدريس	٢٢
	0.776	3.884	الكلي	
			التطبيق (مهارات التدريس)	ت
5	0.828	4.141	الاثارة والتنوع في أنماط التهيئة الحافزة للدريس	١
1	0.845	4.225	عرضه لموضوعات الدرس بشكل منطقي ومتسلسل	٢
4	0.830	4.154	ربطه لموضوعات الدرس بالبيئة التعليمية والأحداث الجارية	٣
6	0.818	4.090	توظيف تقنيات التدريس المناسبة	٤
2	0.834	4.174	اعتماده التساؤل وتتنوع الأسئلة ومستوياتها	٥
9	0.809	4.045	اعتماد مبدأ انواع التغذية الراجعة الفورية والمؤجلة في الدرس	٦
7	0.814	4.070	توجيه الطلبة للتعاون في حل المشكلات	٧

العلميات (١٥٥)			المعايير	ت
الترتيب	الوزن النسبي	الحدة		
			وأداء المهمات	
8	0.811	4.058	امتلاكه روح المبادرة والابتكار	٨
6	0.818	4.090	اعتماد أساليب تقويمية بنائية متنوعة الخاصة بمهارات التدريس	٩
3	0.833	4.167	قدرته على تلخيص موضوعات الدرس على شكل خرائط ذهنية	١٠
	0.824	4.121	الكلي	
			معايير المعلومات النظرية والمعرفية اثناء التدريس المصغر	ت
11	0.802	4.012	أنواع الأهداف التربوية حسب تصنيفاتها	١
13	0.793	3.967	أنواع الأهداف التربوية من حيث سلوكياتها	٢
15	0.785	3.929	خطوات تطوير الأهداف التربوية السلوكية	٣
14	0.787	3.935	المكونات البنائية للأهداف السلوكية	٤
12	0.794	3.974	اشتقاق عبارات الأهداف من تحليل بيئة الدرس	٥
10	0.807	4.038	توظيف الأهداف التربوية الإدراكية المناسبة للتعليم	٦
8	0.820	4.103	توظيف الأهداف التربوية الوجدانية المناسبة للتعليم	٧
16	0.781	3.909	توظيف الأهداف التربوية النفس حركية المناسبة للتعليم	٨
3	0.84	4.2	استعمال الأهداف التربوية والسلوكية في التدريس	٩
4	0.834	4.174	طبيعة المنهج الدراسي بمفهومه الحديث بجوانبه المعرفية والوجدانية والمهارية	١٠
9	0.818	4.090	يبنى طرائق واستراتيجيات التدريس الحديثة	١١
6	0.828	4.141	القدرة على توظيف الأساليب المناسبة	١٢

العلميات (١٥٥)			المعايير	ت
الترتيب	الوزن النسبي	الحدة		
			للموقف التعليمي	
5	0.833	4.167	معرفة أهمية التقنيات التربوية في مجال التدريس	١٣
2	0.850	4.251	مهارات الاتصال والتواصل ومهارات التدريس	١٤
1	0.854	4.270	امتلاكه معرفة نظرية بمهارات التدريس	١٥
7	0.824	4.122	امتلاكه معرفة في القياس والتقويم للجانب المعرفي	١٦
	0.816	4.080	الكلي	
			معايير الثقافة الرقمية	ت
2	0.832	4.161	يملك معلومات عن الثقافة الرقمية	١
5	0.818	4.090	لديه القدرة على توظيف البرمجيات في التدريس	٢
1	0.854	4.270	يملك مهارات حاسوبية في برامج (word) و (Excel) و (power point)	٣
7	0.807	4.038	يستطيع انشاء منصات علمية يوظفها في العملية التعليمية	٤
3	0.830	4.154	يستطيع توصيل المعلومات عن بعد باستخدام التقنيات الرقمية	٥
3	0.830	4.154	لديه امكانية على صياغة الاسئلة الاختبارية الكترونيا	٦
5	0.818	4.090	يملك القدرة على تصحيح اختبارات الكترونية	٧
8	0.796	3.980	يوظف المعلومات المنشورة في الشبكة العنكبوتية في العملية التعليمية	٨
4	0.827	4.135	يستطيع استخدام المكتبة العلمية الالكترونية في العملية التعليمية والثقافية	٩
6	0.814	4.070	يتابع الاوامر والتعليمات الكترونيا والإجابة	١٠

ت	المعايير	العلميات (١٥٥)	
		الحدة	الوزن النسبي
	عنها		
	الكلي	4.11	0.822
ت	معايير القدرات القيادية		
١	القدرة على التعامل مع المواقف المختلفة مثل تعرضه من قبل اخر بالشتم والسب	4.296	0.859
٢	القدرة على تصور الاهداف القريبة والبعيدة المدى	4.070	0.814
٣	اتخاذ القرارات المناسبة في الاوقات المناسبة	4.270	0.854
٤	القدرة على توجيه الاخرين بشكل مؤثر	4.374	0.874
٥	الشعور بالمسؤولية في عمله	4.567	0.913
٦	التصرف بحسب ما يفترض وبشكل موضوعي ومناسب	4.251	0.850
٧	يستطيع مع ما استجد من مواقف	4.051	0.810
٨	استيعاب الاخرين وتفهم دوافعهم	4.264	0.852
٩	التسامح والايجابية في التعامل مع زملائه	4.387	0.877
	الكلي	4.281	0.856

يتضح من الجدول (٦) ان النسب المتحققة لكل مجال من المجالات والبالغة (0.859)، (0.754، 0.776، 0.828، 0.816، 0.822، 0.856) على التوالي وهي نسب جيدة وحسب وجهة نظر افراد عينة البحث في المعايير المقترحة لانتقاء المدرسين لمهنة التدريس مستقبلا فقد حاز المجال الاول على اعلى النسب ثم المجال السابع ويله المجال الرابع ثم المجال السادس وبعد ذلك المجال الخامس ثم المجال الثالث اما المجال الثاني فقد جاء اخر المجالات من حيث النسب التي حاز عليها وحسب وجهة نظر افراد عينة البحث في التخصص العلمي اتفقت هذه النتائج دراسة الحربي والمنيع (٢٠١٥) .

يعزو الباحثان هذه النتيجة الى ان اغلب افراد عينة البحث من التدريسيين والمشرفين الاختصاص في التخصص العلمي يرون ان هذه المعايير مهمة جدا ويجب اعتمادها لإتقاء المدرسين الذين سيلتحقون بمهنة التدريس مستقبلاً إذ يتفق الباحثون والمربون في المجال

التربوي والتعليمي على ان المدرس هو الركن الرئيس لنجاح وتقدم وتطور اي نظام تربوي وتنمية المجتمع لأنه هو الذي يهيئ لهذا النجاح من خلال ادواره ومهامه التي يقدمها ، لذا فان عملية اختيار المتقدمين لمهنة التدريس مستقبلا ليس بالأمر اليسير واليهين بل لا بد ان يكون على قدر المسؤولية لهذه المهنة من حيث السيرة العلمية في مجال تخصصه ومشهود له بالتميز خلال سنوات الدراسة الجامعية فضلاً عن السمعة الحسنة والصفات الحميدة وان يتمتع المدرس المرشح الذي سيلتحق بمهنة التدريس مستقبلاً وان يمتلك ذكاء عالي وعلمي وقدرة على التعامل مع المعلومات العلمية بذكاء متميز فالمدرس هو العنصر الذي يتوقف نجاح العملية التعليمية وبلوغ اهدافها ومقاصدها على نشاط وفعالية واداء المدرس .

الجدول(٧)

حدة الفقرات وأوزانها النسبية لأفراد عينة البحث تبعا لمتغير التخصص العلمي

ت	المعايير	الانساني(١٥٧)	
		الحدة	الوزن النسبي
	الصفات الشخصية أ- (لكلا الجنسين)		
١	الثقة بالنفس	4.598	0.919
٢	سرعة التصرف بإخلاص في المواقف الحرجة بذكاء	4.242	0.848
٣	القدرة على التحاور مع الآخرين	4.337	0.867
٤	الصدق في التعامل	4.713	0.942
٥	الحلم والتأدب العام	4.382	0.876
٦	استشعار المسؤولية في مواجهة سلوكيات بعض الطلبة	4.159	0.831
٧	لغة الجسد والاشارات	3.929	0.785
٨	وضوح الصوت والنطق السليم ووضوح اللفظ العام	4.509	0.901
٩	النقد البناء عند محاوره الآخرين	4.019	0.803
١٠	الرغبة بمهنة التدريس	4.579	0.915
١١	الموضوعية في التعامل	4.178	0.835
١٢	الصبر والحكمة في التعامل	4.273	0.854
١٣	المواظبة والمحافظة على المواعيد	4.464	0.892
١٤	القدرة على اتخاذ القرار الصحيح	4.1974	0.839
١٥	تميز الخصائص والقدرات الفردية	4	0.80

الانساني (١٥٧)			المعايير	ت
الترتيب	الوزن النسبي	الحدة		
13	0.820	4.101	حسن التصرف في المواقف التربوية مثل تشاجر الطلبة مع بعضهم البعض	١٦
	0.858	4.29	الكلية	
			الصفات الشخصية ب- (للمدرسات)	ت
1	0.931	4.656	ارتداء ملابس محتشمة	١
2	0.844	4.222	التصرف بحكمة وحنان	٢
5	0.477	2.388	التبرج المنافي للقيم التربوية	٣
3	0.769	3.847	نبرة الصوت المناسبة للمدرسات	٤
4	0.684	3.420	حركات الايماءات والايحاءات	٥
	0.741	3.706	الكلية	
			معايير ضوابط التوظيف والمقابلة	ت
21	0.717	3.585	احتساب معدل الثانوية العامة	١
3	0.830	4.152	احتساب الدرجة العلمية في المؤهل العلمي الجامعي بمواد التخصص الدقيق	٢
6	0.817	4.089	احتساب المعدل العام في المؤهل العلمي الجامعي	٣
9	0.789	3.949	وضع نقاط محددة لأقدمية التخرج الجامعي	٤
8	0.796	3.980	اجراء اختبار تحريري للمتقدمين للتوظيف	٥
19	0.747	3.738	يمثل اختبار التوظيف المرحلة الفاصلة لقبول المتقدم أو عدم قبوله للمنافسة	٦
2	0.836	4.184	إجراء مقابلة شخصية للناجحين في اختبار التوظيف ومعاييره	٧
5	0.821	4.108	اجراء الفحص الطبي للجسم	٨
1	0.839	4.197	اجراء الفحص الطبي للنظر	٩
4	0.829	4.146	احتساب سنوات الخبرة (للذين كانوا محاضرين سابقا)	١٠
13	0.773	3.866	اختبار اللغة الانكليزية في التخصصات العلمية كونهم سيدرسون المناهج الدراسية العلمية التي يحتوى على مصطلحات ومفاهيم باللغة الانكليزية	١١

ت	المعايير	الانساني (١٥٧)	
		الحدة	الوزن النسبي
١٢	يتضمن اختبار التوظيف أسئلة تربوية يخصص لها ثلث درجة الاختبار	3.777	0.755
١٣	جميع أسئلة الاختبار في مجال الاختصاص العلمي للمؤهل للتوظيف للتدريس	3.917	0.783
١٤	تضمن الاختبار عدد محدود من الأسئلة الثقافية العامة	3.745	0.749
١٥	جميع أسئلة الاختبار تكون من نوع الاختيار من متعدد	3.426	0.685
١٦	توحيد أسئلة الاختبار لجميع المتقدمين من حملة شهادة الدبلوم العالي والباكالوريوس كل في مجال تخصصه العلمي	3.681	0.736
١٧	درجة النجاح في الاختبار التنافسي لوظيفة مهنة التدريس (٦٠%) من مجموع درجات الاختبار الكلي	3.821	0.764
١٨	اعطاء المقابلة الشخصية نسبة كبيرة من نقاط التوظيف	3.815	0.763
١٩	اختبار القدرة على التصرف في المواقف الصعبة	3.904	0.780
٢٠	تتضمن المقابلة الشخصية اسئلة ثقافية متنوعة	3.828	0.765
٢١	الاطلاع على درجة السلوك في المدرسة الثانوية	3.872	0.774
٢٢	معرفة المبادئ الأساسية لأخلاقيات مهنة للتدريس	3.987	0.797
	الكلي	3.898	0.779
ت	التطبيق (مهارات التدريس)		
١	الاثارة والتنوع في أنماط التهيئة الحافزة للدرس	4.082	0.816
٢	عرضه لموضوعات الدرس بشكل منطقي ومتسلسل	4.222	0.844
٣	ربطه لموضوعات الدرس بالبيئة التعليمية والأحداث الجارية	4.095	0.819
٤	توظيف تقنيات التدريس المناسبة	4.178	0.835
٥	اعتماده التساؤل وتبويب الأسئلة ومستوياتها	4.095	0.819

الانساني (١٥٧)			المعايير	ت
الترتيب	الوزن النسبي	الحدة		
6	0.802	4.012	اعتماد مبدأ انواع التغذية الراجعة الفورية والمؤجلة في الدرس	٦
7	0.801	4.006	توجيه الطلبة للتعاون في حل المشكلات وأداء المهمات	٧
8	0.80	4	امتلاكه روح المبادرة والابتكار	٨
4	0.816	4.082	اعتماد أساليب تقييمية بنائية متنوعة الخاصة بمهارات التدريس	٩
5	0.815	4.076	قدرته على تلخيص موضوعات الدرس على شكل خرائط ذهنية	١٠
	0.816	4.08	الكلية	
			معايير المعلومات النظرية والمعرفية اثناء التدريس المصغر	ت
11	0.788	3.942	أنواع الأهداف التربوية حسب تصنيفاتها	١
14	0.779	3.898	أنواع الأهداف التربوية من حيث سلوكياتها	٢
14	0.779	3.898	خطوات تطوير الأهداف التربوية السلوكية	٣
13	0.780	3.904	المكونات البنائية للأهداف السلوكية	٤
12	0.787	3.936	اشتقاق عبارات الأهداف من تحليل بيئة الدرس	٥
10	0.792	3.961	توظيف الأهداف التربوية الإدراكية المناسبة للتعليم	٦
9	0.806	4.031	توظيف الأهداف التربوية الوجدانية المناسبة للتعليم	٧
15	0.768	3.840	توظيف الأهداف التربوية النفس حركية المناسبة للتعليم	٨
3	0.821	4.108	استعمال الأهداف التربوية والسلوكية في التدريس	٩
6	0.814	4.070	طبيعة المنهج الدراسي بمفهومه الحديث بجوانبه المعرفية والوجدانية والمهارية	١٠
4	0.817	4.089	يبنى طرائق واستراتيجيات التدريس الحديثة	١١
5	0.815	4.076	القدرة على توظيف الأساليب المناسبة للموقف التعليمي	١٢

الانساني (١٥٧)			المعايير	ت
الترتيب	الوزن النسبي	الحدة		
7	0.812	4.063	معرفة أهمية التقنيات التربوية في مجال التدريس	١٣
1	0.840	4.203	مهارات الاتصال والتواصل ومهارات التدريس	١٤
2	0.839	4.197	امتلاكه معرفة نظرية بمهارات التدريس	١٥
8	0.810	4.050	امتلاكه معرفة في القياس والتقويم للجانب المعرفي	١٦
	0.803	4.016	الكلية	
			معايير الثقافية الرقمية	ت
1	0.805	4.025	يملك معلومات عن الثقافة الرقمية	١
2	0.794	3.974	لديه القدرة على توظيف البرمجيات في التدريس	٢
6	0.785	3.929	يملك مهارات حاسوبية في برامج (word) و (Excel) و (power point)	٣
8	0.754	3.770	يستطيع انشاء منصات علمية يوظفها في العملية التعليمية	٤
3	0.793	3.968	يستطيع توصيل المعلومات عن بعد باستخدام التقنيات الرقمية	٥
5	0.789	3.949	لديه امكانية على صياغة الاسئلة الاختبارية الكترونيا	٦
3	0.793	3.968	يملك القدرة على تصحيح اختبارات الكترونية	٧
7	0.784	3.923	يوظف المعلومات المنشورة في الشبكة العنكبوتية في العملية التعليمية	٨
4	0.792	3.961	يستطيع استخدام المكتبة العلمية الالكترونية في العملية التعليمية والثقافية	٩
6	0.785	3.929	يتابع الاوامر والتعليمات الكترونيا والإجابة عنها	١٠
	0.787	3.939	الكلية	
			معايير القدرات القيادية	ت
5	0.847	4.235	القدرة على التعامل مع المواقف المختلفة مثل تعرضه من قبل اخر بالشم والسب	١
7	0.808	4.044	القدرة على تصور الاهداف القريبة والبعيدة المدى	٢
6	0.839	4.197	اتخاذ القرارات المناسبة في الاوقات المناسبة	٣

ت	المعايير	الانساني (١٥٧)	
		الحدة	الوزن النسبي
٤	القدرة على توجيه الآخرين بشكل مؤثر	4.375	0.875
٥	الشعور بالمسؤولية في عمله	4.535	0.907
٦	التصرف بحسب ما يفترض وبشكل موضوعي ومناسب	4.191	0.838
٧	يستطيع مع ما استجد من مواقف	4.038	0.807
٨	استيعاب الآخرين وتفهم دوافعهم	4.292	0.858
٩	التسامح والايجابية في التعامل مع زملائه	4.401	0.880
	الكلية	4.256	0.851

يتضح من الجدول (٧) ان النسب المتحققة لكل مجال من المجالات والبالغة (0.858، 0.741، 0.779، 0.816، 0.803، 0.851، 0.787) على التوالي وهي نسب جيدة وحسب وجهة نظر افراد عينة البحث في المعايير المقترحة لانتقاء المدرسين لمهنة التدريس مستقبلا فقد حاز المجال الاول على اعلى النسب ثم المجال السابع ويليها المجال الرابع ثم المجال الخامس وبعد ذلك المجال الثالث ثم المجال السادس اما المجال الثاني فقد جاء اخر المجالات من حيث النسب التي حاز عليها وحسب وجهة نظر افراد عينة البحث في التخصص الانساني واتفقت هذه النتائج مع دراسة الحربي والمنيع (٢٠١٥) ودراسة الجميل (٢٠١٧) .

يعزو الباحثان هذه النتيجة الى ان اغلب افراد عينة البحث من التدريسيين والمشرفين الاختصاص في التخصص الانساني يرون ان هذه المعايير ضرورية لامتحان انبل المهن واشرفها على الاطلاق كونها تعد مهنة الانبياء والصالحين بل هي ام المهن عبر التاريخ الانساني ، كون مهنة التدريس تنبوء مكانة بارزة وكبيرة في المجتمعات التي ترغب وتسعى الى التقدم والتطور فالآثار المترتبة عليها الايجابية منها والسلبية يعود على المجتمع بأكمله واجيال ناشئة متعددة على عكس المهن الاخرى والتي يقتصر تأثيرها على مجموعة من الافراد او جزءا من المجتمع لذا على المدرس ان يمتلك الثقافة العلمية والاجتماعية وكيفية التعامل مع طلبته والتواصل الانساني معهم الى جنب الخبرة العلمية لها دوراً كبيراً واسباباً في شروط ومعايير اختيار المدرس ومحاولة اختيار افضلهم .

- النتائج المتعلقة بالسؤال الثالث :

"هل هناك فرق ذو دلالة احصائية عند مستوى دلالة (0.05) بين متوسطي درجات افراد عينة البحث لانتقاء المدرسين والمدرسات في ضوء التغيرات العالمية لمهنة التدريس من وجهة

نظر التدريسيين والمشرفين الاختصاص تبعاً لمتغير التخصص العلمي (العلميات، والانسانيات)؟ للإجابة عن هذا السؤال استخرج الباحثان النسبة المئوية للمعايير المقترحة والقيمة الزائفة المحسوبة والجدولية وعرضت في الجدول (٨) الآتي:

جدول (٨) النسبة المئوية للمعايير والقيمة الزائفة المحسوبة والجدولية تبعاً لمتغير التخصص العلمي (العلميات، والانسانيات)

القيمة الزائفة		النسبة	العدد	التخصص
الجدولية	المحسوبة			
1.96	0.167	0.798	155	العلمي
		0.790	157	الانساني

يتبين من الجدول (٨) لا يوجد فرق ذو دلالة احصائية بين وجهتي نظر الاساتذة في التخصصين العلمي والانساني في المعايير المقترحة لانتقاء المدرسين لمهنة التدريس مستقبلاً، اذ يرون كلا التخصصين اهمية الاخذ واعتماد هذه المعايير في انتقاء المدرسين لمهنة التدريس مستقبلاً وحسب وجهة نظرهم .

يعزو الباحثان هذه النتيجة ومن خلال وجهة نظر المتخصصين في المجال العلمي والانساني الاهتمام المتزايد بمهنة التدريس واهميتها فقد اولت الانظمة التعليمية العالمية المتطورة مسألة وضع معايير وشروط لمن يرغب بالالتحاق وممارسة مهنة التدريس من خريجي كليات التربية ذلك ان الادوار والمهام الجديدة المطلوبة من المدرسين في ظل عصر التكنولوجيا والمعلومات والتطورات المتسارعة في التخصصين العلمي والانساني وبالتالي لا بد من اختيار افضل المتقدمين لامتحان مهنة التدريس في المستقبل وذلك لمواجهة هذه التطورات ومواكبتها وتأدية مهامهم وادوارهم بهمة وكفاءة عالية ولتكون مخرجات العملية التعليمية - التعليمية يمكن الاعتماد عليها في المستقبل لقيادة المجتمع الى مصافي الدول المتطورة او كأقل تقدير الاكتفاء الذاتي لمتطلبات الحياة الاجتماعية للمجتمع وتلبية جميع ما يحتاجه المجتمع .

الاستنتاجات والتوصيات والمقترحات

الاستنتاجات : في ضوء النتائج التي توصل إليها البحث الحالي استنتج الباحثان ما يأتي :

١- حققت المعايير المقترحة لانتقاء المدرسين والمدرسات لمهنة التدريس نسب جيدة جدا من خلال وجهات نظر التدريسيين والمشرفين الاختصاص .

٢- حققت المعايير تطابق وجهات نظر التدريسيين والمشرفين الاختصاص في انتقاء المدرسين والمدرسات لمهنة التدريس .

٣- كان هناك اجماع في وجهات النظر من قبل نظر التدريسيين والمشرفين الاختصاص على تطبيق وتبني المعايير المقترحة لانتقاء المدرسين والمدرسات لمهنة التدريس مستقبلا.

التوصيات : في ضوء النتائج التي اسفر عنها البحث الحالي يوصي الباحثان بما يأتي :

١- التأكيد على وزارة التربية العراقية تطبيق المعايير المقترحة لمهنة التدريس عند تعيين المدرسين والمدرسات وانتقائهم لها مستقبلاً.

٢- على كليات التربية في الجامعات العراقية ترصين مخرجاتها من الطلبة الخريجين ضمن برامج عالمية ومدروسة بشكل علمي .

٣- على كليات التربية في الجامعات العراقية وضع معايير علمية وفي ضوء الاتجاهات العالمية الحديثة لانتقاء طلبتها الذين ينون الدراسة فيها من خريجي الدراسة الثانوية والاعدادية.

٤- التأكيد على وزارة التربية العراقية وضع معايير علمية لتقييم المدرسين والمدرسات اثناء الخدمة وفي ضوء الاتجاهات العالمية الحديثة لترصين الدراسة في المراحل الدراسية كافة .

٥- عقد الدورات والندوات والمؤتمرات التربوية العلمية وبشكل دوري لمستجدات ومعايير الدول المتقدمة لانتقاء المدرسين والمدرسات لمهنة التدريس ومناقشتها من قبل الجهات المسؤولة .

المقترحات : استكمالاً لهذا البحث يقترح الباحثان اجراء البحوث المستقبلية الآتية :

١- معايير مقترحة لانتقاء الطلبة الخريجين من الدراسة الثانوية والاعدادية عند التحاقهم في كليات التربية ضوء التغيرات المستقبلية العالمية الحديثة من وجهة نظر التدريسيين والمشرفين الاختصاص .

٢- معايير مقترحة لتقييم المدرسين والمدرسات اثناء الخدمة ضوء التغيرات المستقبلية العالمية الحديثة من وجهة نظر التدريسيين والمشرفين الاختصاص .

٣- معايير مقترحة لانتقاء لجنة الخدمة العامة المسؤولة عن تعيينات المدرسين والمدرسات في ضوء التغيرات المستقبلية العالمية الحديثة من وجهة نظر التدريسيين والمشرفين الاختصاص .

ثبت المصادر

أولاً: المصادر العربية

- ❖ ابن أعمار، هاجر (٢٠١٩) اتجاهات طلبة المدارس العليا للأساتذة نحو مهنة التدريس دراسة ميدانية بالمدرسة العليا للأساتذة - بوسعادة - المسيلة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ، جامعة محمد بوضياف _ المسيلة، الجزائر.
- ❖ ابو الشيخ، عطية اسماعيل (٢٠١٣) معتقدات معلمي اللغة العربية في المدارس الحكومية حول مهنة التدريس وعلاقتها بمهارات التدريس لديهم في الاردن، مجلة الفتح، مج ٩، ع ٥٣، ص ص ١١٧-١٣٧، العراق.
- ❖ ابو ورد، ايهاب محمد (٢٠٠٤) اعداد المعلم في الفكر التربوي الاسلامي، بحوث ومراجع ودراسات تربوية واجتماعية، ورقة بحثية، الاردن. Iabward@hotmail.com
- ❖ احمد، فلوح (٢٠٠٧) مواصفات أساتذة التعليم الثانوي من وجهة نظر التلاميذ - دراسة مقارنة بين الجنس والتخصص الدراسي والمستوى التعليمي، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران، الجزائر.
- ❖ الانصاري، سامر محمد (٢٠١٩) إعداد المعلم وتطوره مهنيًا في ضوء بعض الخبرات العالمية، المجلة العربية للنشر العلمي (AJSP)، ع ١٤، الاردن.
- ❖ البشري، قدرية محمد(٢٠١١)اخلاقيات مهنة التعليم، دار الخليج للنشر والتوزيع، ط١، عمان ، الاردن.
- ❖ توق، محي الدين، وفكتور بله (٢٠١٥) تطوير سياسات المعلمين في الوطن العربي، البرنامج العربي للارتقاء بالمعلمين معرفيا ومهنيا، الكسو (ALECSO) الاردن.
- ❖ جرار، سمير، ونخلة وهبه(٢٠٠٩) الاتجاهات العالمية في ضمان جودة اعداد المعلمين والمعلمات وفي الترخيص للمهنة والترقي بها، الكتاب السنوي للهيئة اللبنانية للعلوم التربوية، مج ع ك٦، ص ٣٧-٩٧، لبنان.
- ❖ الجميل، عبد الله حمود (٢٠١٧) المعايير العلمية اللازمة لتمهين التعليم من وجهة نظر الاكاديميين في المملكة العربية السعودية، دراسات العلوم التربوية، مؤتمر كلية العلوم التربوية "مؤتمر التعليم العالي في الوطن العربي " عدد خاص، جامعة حائل، المملكة العربية السعودية.
- ❖ الحديدي، صدام محمد (٢٠١٨) مناهج منظومة القيم بين النظرية والتطبيق، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع ودار الاعصار العلمي للنشر والتوزيع، ط (١) عمان ، الاردن.

- ❖ الحربي، سلطان بن علي بن خلف، ومنيع بن عبد العزيز المنيع (٢٠١٥) تصور مقترح لنظام رخصة التدريس لمعلمي التعليم العام في المملكة العربية السعودية في ضوء الخبرات العالمية، دراسات عربية في التربية وعلم النفس (ASEP)، مج ٥، ع ٦١، ج ٢، ص ص ١٩٣-٢٣٧، مصر.
- ❖ الروسان، فاروق (٢٠١٦) اساليب القياس والتشخيص في التربية الخاصة، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، الاردن.
- ❖ السبحي، عبد الحي بن احمد، وآخرون (٢٠١٦) انموذج مقترح لبرنامج اعداد معلم المستقبل بكليات التربية بجامعة المملكة العربية السعودية في ضوء معايير الجودة الشاملة، مجلة كلية التربية، جامعة الازهر، مج ٣٥، ع ١٧١، ج ٤، ص ص ٣٥٩-٤١٢، القاهرة - مصر.
- ❖ السبع، سعاد، وأخران (٢٠١٠) تقويم برامج اعداد معلم اللغة العربية في كلية التربية بجامعة صنعاء في ضوء معايير الجودة الشاملة، المجلة العربية لضمان جودة التعليم الجامعي، جامعة العلوم والتكنولوجيا، مج ٣، ع ٥، ص ص ٩٦-١٣٠، اليمن.
- ❖ السليطي، ظبية سعيد فرج (٢٠١٥) تصور مقترح لمهارات معلم القراءة في ضوء متطلبات القرن الحادي والعشرين في المدارس المستقلة بدولة قطر، مجلة كلية التربية، جامعة الازهر، مج ٣٤، ع ١٦٤، ج ٣، ص ص ٦٣١-٦٩١، القاهرة، مصر.
- ❖ سماره، عزيز، ومحمد عبد القادر ابراهيم وعصام النمر (١٩٨٩) مبادئ القياس والتقويم في التربية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط (٢)، عمان، الاردن.
- ❖ شريز، رنده عيد، ومروان وليد المصري (٢٠١٧) تصور مقترح لتطوير عملية الترخيص لمزاولة مهنة التعليم بفلسطين في ضوء بعض التجارب الاقليمية والعالمية المعاصرة، مجلة جامعة الاقصى - سلسلة العلوم الانسانية، مج ٢١، ع ١، ص ص ٣٢١-٣٥٩، فلسطين.
- ❖ عامر، طارق عبد الرؤوف محمد (٢٠٠٨) أصول التربية " الاجتماعية - الثقافية - الاقتصادية"، ط ١، عمان، الاردن.
- ❖ العبد الله، هادي كطفان (٢٠١٥) تقويم مدرسي الفيزياء في ضوء معايير (NSTA) من وجهة نظر مشرفي الاختصاص، مجلة كلية التربية الاساسية للعلوم التربوية والانسانية، جامعة بابل، ع ٢٠، ص ص ١٣٦-١٤٨، العراق.
- ❖ عبيدات، ذوقان وعبد الرحمن عدس وكايد عبد الحق (٢٠١٣) البحث العلمي مفهومه وأدواته وأساليبه، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، الاردن.

- ❖ علم الهدى، جميلة (٢٠١١) النظرية الاسلامية في التربية والتعليم، مركز الحضارة لتنمية الفكر الاسلامي، ط (١)، النجف ، العراق.
- ❖ العمري، مهرة سعدي جاري (٢٠١٢) درجة ملاءمة برامج الدبلوم التربوي بكلية التربية بجامعة ام القرى لاحتياجات الدراسات، جامعة ام القرى ، المملكة العربية السعودية.
- ❖ غانم، احمد محمد، ونجوى يوسف جمال الدين (٢٠١٦) الخبرة الكندية في الترخيص لمزاولة المهن التعليمية وامكانية الاستفادة منها في مصر،مجلة الادارة التربوية، ع ١١ ، مصر.
- ❖ غانم، تقيده سيد احمد (٢٠١١) رخصة المعلم: معايير مقترحة، المركز القومي للبحوث التربوية والتنمية، اعداد معايير للحصول على رخصة مزاولة مهنة التدريس في مصر، مصر.
- ❖ الغنبر، نهى بنت سليمان حمد (٢٠٢٠) معوقات تطبيق الرخصة المهنية لمعلم التعليم العام في المملكة العربية السعودية، المجلة العلمية للعلوم التربوية والصحة النفسية، مج ٢ ، ع ٣ ، ص ص ١٩٥-٢٤٠، مصر.
- ❖ فان دالين، ديو يولديب (١٩٨٧) مناهج البحث التربوية وعلم النفس، ترجمة محمد نبيل واخرون، ط٣، مطبعة الانجلو المصرية، القاهرة .
- ❖ قطاف، حياة (٢٠١٧) دور المشرف التربوي في تحسين الاداء التدريسي للمعلم في المرحلة الابتدائية - دراسة ميدانية لبعض المقاطعات بولاية المسيلة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف-المسيلة، الجزائر.
- ❖ كوافحة، تيسير مفلح (٢٠١٠) القياس والتقييم واساليب القياس والتشخيص في التربية الخاصة، دار المسيرة للنشر والتوزيع، ط (٣)، عمان _ الاردن.
- ❖ محمد، محمد ناجح محمد، و اسماعيل ،محمد السيد محمد (٢٠١٨) المتطلبات التشريعية لتطوير اعداد المعلم في مصر على ضوء الاتجاهات المعاصرة، المجلة التربوية ، جامعة سوهاج، ع ٥٤ ، مصر.
- ❖ مزهر، وليد عبد الرحمن (٢٠١٧) آليات تعيين المعلمين في وزارة التربية والتعليم العالي ومقترحات تطويرها، مجلة جامعة الاقصى ، سلسلة العلوم الانسانية - مج ٢١ ، ع ٢ ، ص ص ١٤٢-١٧٢، فلسطين.
- ❖ مهاني، رندة نمر توفيق (٢٠١٠) دور المعلم المساند في تحسين العملية التعليمية من وجهة نظر المعلمين الدائمين في مدارس وكالة الغوث الدولية في محافظات غزة، كلية التربية، الجامعة الاسلامية، غزة ، فلسطين.

- ❖ نادي، هبه عادل عباس (٢٠١٦) تقويم برامج اعداد معلم التكنولوجيا في الجامعات الفلسطينية في ضوء معايير الانكيت : جامعتي النجاح وفلسطين التقنية / حالة دراسية، كلية الدراسات العليا - جامعة النجاح الوطنية، نابلس ، فلسطين.
- ❖ نعيمة، سوفي (٢٠١١) الاستراتيجيات المعتمدة من طرف الاستاذ داخل الصف ودورها في تنمية القدرة على التحكم في حل المشكلات الرياضية لدى تلاميذ الطور المتوسط، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، الجزائر.
- ❖ هاشم، ميثم عبد الكاظم، وعباس ،حيدر جليل (٢٠١٩) معايير اختيار واعداد المعلمين في كليات التربية الاساسية، مجلة كلية التربية الاساسية، المؤتمر العلمي التاسع عشر(عدد خاص)، الجامعة المستنصرية ، العراق.
- ❖ الوادي، محمود حسين وعلي فلاح الزعبي (٢٠١١) اساليب البحث العلمي مدخل منهجي تطبيقي، دار المناهج للنشر، عمان ،الاردن.
- ❖ وجيه، محجوب (٢٠٠٢) البحث العلمي ومناهجه، دار الكتب للطباعة والنشر، بغداد.
- ❖ يوسف، فاطمة مصطفى سويلم (٢٠٢٠) المعلم العصري وتحديات القرن الواحد والعشرين، مجلة العلوم التربوية والنفسية(AJSRP)،مج ٤، ع ١٩، ص ص١١٠-١٣٠، السعودية.

ثانياً: المصادر الأجنبية

- ❖ Able,E(1972)Essentials of Educational measurement, 2nd,prentice-Hall ,New Jersey.p555
- ❖ Allon, C. & Thomas, d. (2004) Strategies for effective teaching, Printed in New York, USA.
- ❖ Dunton, James, (2001) Selection Criteria Used by High School Principals in Virginia When Hiring First-Year Career and Technical Education Teachers, University of Virginia, Blacksburg _ Virginia, USA.
- ❖ <http://www.qou.edu/home/sciResearch/researchersPages/nafzAyoub>.
- ❖ Salberg, Passi (2016) The secret of success in Finland: Preparing Teachers, Translated by Al-Bayan Center for Studies and Planning, Iraq.

التحليل الجغرافي للمتغيرات الاجتماعية والاقتصادية المتعلقة بظاهرة الطلاق في

محافظة صلاح الدين لعام ٢٠٢٠

Geographical analysis of social and economic variables related to divorce in Salah al-Din Governorate for the year 2020

Dr. Ahmed Dhaher Khasara

د. أحمد ظاهر خسارة حسين الدوري

Hussein ALdoury

مدرس

Teacher

The Directorate General

المديرية العامة لتربية محافظة صلاح

Education in Salah Al-Din AL

Department of Education

الدين - قسم تربية الدور

dour

alduryahmed87@yahoo.com

تاريخ القبول

تاريخ الاستلام

٢٠٢٢/١/٢٣

٢٠٢١/١٢/١٢

الكلمات المفتاحية: الطلاق - الطلاق الخام - الحالة الزوجية - المتغيرات الاقتصادية - المتغيرات الاجتماعية

Keywords: Divorce - rough divorce - marital status - economic variables - social variables

الملخص

يعد الطلاق من أخطر الظواهر التي يمكن أن يتعرض لها أي مجتمع في العالم، بوصفها سببا جوهريا في تفويض دعائم الأسرة وتشتت أفرادها التي تمثل النواة واللبنة الاولى في أي مجتمع بشري، وبالتالي يترتب على ذلك اختلال كبير في نظام المجتمع أن تقشي حالة الانفصال والتفريق في المحيط الاجتماعي دفع الباحث للتحري عن هذه الإشكالية والبحث عن مسبباتها تحت مسمى (التحليل الجغرافي للمتغيرات الاجتماعية والاقتصادية المتعلقة بظاهرة الطلاق في محافظة صلاح الدين لعام ٢٠٢٠) ولكون هذه المتغيرات في سمتها البارزة هي متغيرات شخصية لذا ارتأت الدراسة الى استيفاء المعلومات الخاصة بأسباب الطلاق من خلال توزيع استمارة استبيان قوامها (٣٦٧) استمارة والتي مثلت نسبة (٥٥%) من مجتمع الدراسة وزعت بطريقة عشوائية فضلا عن تقصي المعلومات بهذا الشأن وتأكيدا من مكاتب مجموعة من المحامين المختصين في القضايا المدنية ، وقد بينت الدراسة ان المتغيرات الاجتماعية المتمثلة (بسوء المعاملة ، وعدم الانجاب و تدخل الاهل ، وعدم التفاهم والانسجام ، والخيانة الزوجية ، وعوامل اخرى) كان لها الاثر الاكبر في حالات الاطلاق اذ سجلت نسبة الطلاق بفعل هذه العوامل مجتمعة (٥٦,٩%) من مجمل حالات الطلاق في المحافظة ، فيما سجلت نسبة تأثير المتغيرات الاقتصادية المتمثلة ب (انخفاض مستوى الدخل، عدم انفاق الزوج، البطالة، عدم امتلاك مسكن) على ظاهرة الطلاق (٤٣,١%) من مجمل حالات الطلاق في منطقة الدراسة .

Abstract

Divorce is one of the most dangerous phenomena that any society in the world can be exposed to, as it is a fundamental reason for undermining the foundations of the family and dispersing its members, which represent the nucleus and the first building block in any human society, and consequently, a major imbalance in the system of society

The spread of the state of separation and separation in the social environment prompted the researcher to investigate this problem and search for its causes under the name (Geographical Analysis of the Social and Economic Variables Related to the Divorce Phenomenon in Salah Al-Din Governorate for the year 2020). Concerning the causes of divorce through the distribution of a questionnaire consisting of (367) forms, which represented a percentage (5%) of the study population, distributed in a random manner, as well as the investigation of information in this regard and its confirmation from

The offices of a group of lawyers specialized in the civil judge, and the study showed that the social variables represented (bad worker, childlessness, parental interference, lack of understanding and harmony, marital infidelity, and other factors) had the greatest impact in divorce cases, as the divorce rate was recorded due to these factors Combined (56.9%) of the total divorce cases in the governorate, while the impact of the economic variables represented by (low income level, husband's lack of spending, unemployment, lack of housing) on the phenomenon of divorce was recorded (43.1%) of the total divorce cases. in the study area.

المقدمة

إن الطلاق هو حالة حتمية لاحتدام الخلافات بين الزوجين نتيجة لفشلهم في توفير الحد الأدنى من التفاهم بينهما مما يؤدي إلى انفصام عرى المودة والتأزر وبالتالي استحالة الحياة الزوجية حينها يلجا أحد الطرفين أو كلاهما إلى الطلاق الذي يعد مخرجاً وحلاً لزوجين تعذر عليهما الاستمرار في الزواج .

مما لا شك فيه ان فشل استمرار الحياة الزوجية التي تنتهي بالطلاق ترتبط بمنظومة عوامل يتحدد بها سلوك الافراد وعلاقاتهم الاجتماعية والاسرية ومن هذه العوامل ما يكون ذات انطباع شخصي يقترن بالأحوال النفسية والذاتية ومنها ما يكون خارج ارادة الفرد نتيجة ظروف مجتمعية ، وان ما أفرزته التغيرات الاقتصادية والتنمية والاجتماعية في العراق ومنه منطقة الدراسة في ظل الأحداث المتوالية لاسيما بعد احداث الاحتلال عام ٢٠٠٣ مجموعة متغيرات رمت بثقلها على كاهل النسيج المجتمعي فالمنتبغ للأوضاع الاقتصادية بين الفترة ٢٠٠٣ الى ٢٠٢٠ يجد ان هناك صعوبات مستجدة ظهرت في ساحة العائلة العراقية لعل اهمها الشروخ الكبيرة بين فئات المجتمع تتمثل بتباين فرص العمل وما يرتبط بها من مدخولات اقتصادية وتكنولوجيا الاتصالات جعلت من الصعوبة التأقلم معها فضلا عن المتغيرات الاجتماعية متمثلة بانحلال العادات والتقاليد وتباين المستويات التعليمية والانفتاح الاجتماعي وعوامل اخرى ادت الى اتساع مساحة ظاهرة الطلاق داخل المجتمعات العراقية بشكل يثير القلق .

تشكل الخصائص الاجتماعية والاقتصادية لكل من الرجل والمرأة حاضنة تبنى عليها طبيعة العلاقة الزوجية المستقبلية ، من أجل تقديم صورة جلية وواضحة، وإعطاء تفسير وتحليل شمولي لهذه المتغيرات، فقد قُسمت الدراسة الى مقدمة شملت على الاطار النظري للبحث من مشكلة وفرضية واهداف ومنهجية ، وثلاث مباحث م تقدم المبحث الاول في الكشف عن حجم الظاهرة وبيان تباينها المكاني ، فيما اهتم المبحث الثاني بدراسة المتغيرات الجغرافية الاجتماعية المؤثرة على ظاهرة الطلاق والمبحث الثالث اهتم بدراسة المتغيرات الاقتصادية وتأثيرها على ظاهرة الطلاق ، من اجل الوصول الى كنه الحقيقة العلمية تم استيفاء المعلومات عن المطلقين من خلال توزيع استمارة استبيان قوامها (٣٦٧) مطلق ومطلقة والتي تمثل نسبة (٥%) من مجتمع الدراسة ، والتي جمعت من مكاتب مجموعة من المحامين المختصين في القضايا المدنية . واختتمت الدراسة بأهم ما توصلت اليه من استنتاجات ومقترحات للحد من تقشي معلات الطلاق .

أولاً : مشكلة الدراسة :

لاشك أن قضية الطلاق كقضية اجتماعية نفسية تعاني منها معظم المجتمعات البشرية على اختلاف درجة تقدمها العلمي ورفيها الاجتماعي، وتكمن خطورتها في ما تتركه من آثار تؤدي إلى تصدع الأسرة وانهيار مقوماتها، وتسهم في عرقلة تقدم المجتمع وتطويره، لأن الأسرة هي اللبنة الأولى للمجتمع . ومن الواضح ان انتشار ظاهرة الطلاق في مجتمعنا المعاصر باتت تشكل هاجساً مقلقاً نظراً لارتفاع معدلاتها لأسباب مختلفة اجتماعياً واقتصادياً. وعلى هذا يمكن صياغة مشكلة الدراسة بالتساؤلات التالية :

١- ما هو حجم معدلات ظاهرة الطلاق ؟ وما هي ابعادها المكانية في منطقة الدراسة ؟

٢- ما هي المتغيرات الاقتصادية المؤثرة على ظاهرة الطلاق ؟

٣- ما هي المتغيرات الاجتماعية المؤثرة على ظاهرة الطلاق ؟

ثانياً : فرضية الدراسة:

على ضوء ما جاءت به مشكلة الدراسة من تساؤلات فأن فرضية الدراسة تنص على ما يأتي ان هناك تباين في معدلات الطلاق في منطقة الدراسة تبعاً لوحدها الادارية وان هذا التباين ناتج عن مجموعة من المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية لعل اهمها (مستوى الدخل ، والمسكن ، والبطالة ، وسوء المعاملة ، وعدم الانجاب و تدخل الاهل ، وعدم التفاهم والانسجام ، وعوامل اخرى)

ثالثاً : هدف الدراسة :

جاءت الدراسة هادفة في البحث عن اهم المتغيرات الجغرافية التي تقف وراء تسارع حالات الطلاق في مجتمع الدراسة والتي انبثق عنها مجموعة من الاهداف تمثلت في :

١- التعرف عن حجم الظاهرة في منطقة الدراسة والكشف عن تباينها المكاني .

٢- تهدف الدراسة في الكشف عن المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية التي تقف وراء ظاهرة الطلاق ومعرفة مدى تأثير كل منها .

٣- محاولة وضع الحلول والمقترحات الناجحة للحد من مشكلة الطلاق في مجتمع منطقة الدراسة .

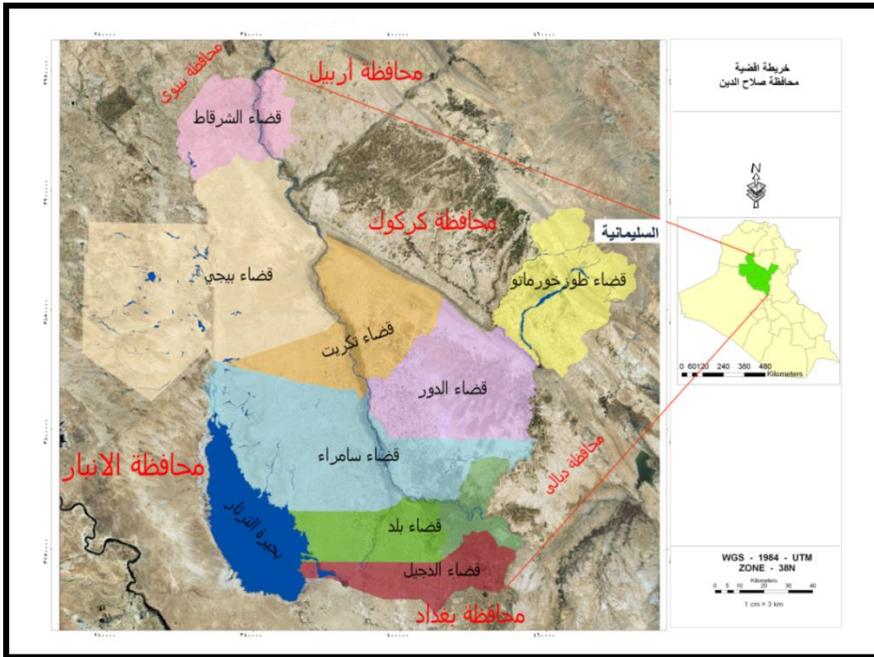
رابعاً : منهجية الدراسة :

اتبعت الدراسة منهج التحليل الكمي ومنهج دراسة الحالة، فضلا عن المنهج السلوكي الذي يعتمد على تحليل البيانات والمعلومات الجغرافية المتعلقة بظاهرة الطلاق في المحافظة بغية الكشف عن أسباب الظاهرة وتباينها على مستوى الوحدات الإدارية في المحافظة .

خامساً : حدود منطقة الدراسة :

تتمثل حدود منطقة الدراسة المكانية بمحافظة صلاح الدين التي تقع في القسم الأوسط من العراق في المنطقة الأنتقالية ما بين أقليم السهل الرسوبي والجزيرة والمنطقة شبه الجبلية . حيث تتحصر المحافظة بين دائرتي عرض (١ ، ٦٧ ، ٣٣) - (٨ ، ٧٣ ، ٣٥) شمالاً وبين خطي طول (٨ ، ٤٩ ، ٤٢) - (٢ ، ٦٤ ، ٤٤) شرقاً .

أما حدودها الإدارية فتحدها من الشمال محافظات (نينوى وأربيل وكركوك)، ومن الشرق محافظتي (السليمانية وديالى) ومن الجنوب محافظة (بغداد) ومن الغرب محافظتي (نينوى والانبار)، بمساحة بلغت (٢٤٠٧٥) كم^٢ وتمثل بذلك نسبة مقدارها (٥,٦%) من مجموع مساحة العراق ينظر الخريطة رقم (١) التي توضح موقع منطقة الدراسة بالنسبة للعراق والتي اعتمد في تصميمها على خريطة العراق الإدارية^(١).



الخريطة (١)

موقع منطقة الدراسة بحسب الوحدات الادارية بالنسبة للعراق

المصدر: وزارة الموارد المائية ، الهيئة العامة للمساحة ، خريطة العراق الإدارية لسنة ٢٠٠٧م بمقياس رسم ١ / ١٠٠٠٠٠٠ وبرنامج Arc Gis 10.3

(١) وزارة التخطيط والتعاون الإنمائي ، الجهاز المركزي للإحصاء وتكنولوجيا المعلومات، المجموعة السنوية لعامي ٢٠٠٦/٢٠٠٧، ص ٢١.

المبحث الاول

التوزيع الجغرافي لظاهرة الطلاق في محافظة صلاح الدين لعام ٢٠٢٠

تأتي أهمية دراسة التباين المكاني لظاهرة الطلاق كأحد الظواهر الاجتماعية في كشفها عن التغيرات الاجتماعية والاقتصادية المؤثرة على ظاهرة الطلاق وتباينها في منطقة الدراسة مستندة الى تباين الوحدات الادارية من حيث حجوم سكانها واطوارهم الاقتصادية والاجتماعية ، لذا استكشف الدراسة في مبحثها هذا التوزيع المكاني لحالات الطلاق بحسب الوحدات الادارية لمنطقة الدراسة وفق التوزيع العددي والنسبي ، كذلك معرفة طبيعة التوزيع من خلال استخراج معدلات الطلاق الخام ومعدلات الطلاق المعدل بالاعتماد على ما تم الحصول عليه من بيانات عن الظاهرة من الجهات الرسمية ذات العلاقة .

أولاً : التوزيع العددي والنسبي لحالات الطلاق لعام ٢٠٢٠

يتضح من خلال تحليل معطيات الجدول (١) والخريطة (٢) ان حالات الطلاق في منطقة الدراسة بلغت (٥٢٦٧) حالة لعام ٢٠٢٠ تباينت في توزيعها بين الوحدات الادارية والتي تراوحت ما بين اعلى قيمها في قضاء سامراء والتي سجلت (٦٥٩) حالة طلاق وبنسبة (١٢,٥%) من مجمع حالات الطلاق في المحافظة ، واطل نسبة في ناحية دجلة والبالغة (١,٣%) بواقع (٦٨) حالة طلاق ، وان هذا التباين ناتج عن تفاعل عدة عوامل ديموغرافية واقتصادية واجتماعية لعل اهمها حجم السكان، ومتوسط عمر الزواج الأول، عدد الأطفال، وتباين المستويات التعليمية، البطالة، امتلاك سكن، مستوى الدخل ، فضلاً عن الاعراف والعادات والتقاليد التي باتت تختلف من مجتمع لآخر وعوامل أخرى، ويمكن ابراز هذا التباين من خلال توزيعه الى اربعة مستويات حسب طريقة الفئات المتساوية .

المستوى الأول: ويضم الوحدات الإدارية ذات الأهمية النسبية المرتفعة جدا والتي تتراوح نسبها بين ٩,٧% - ١٢,٥% ويشتمل على خمسة وحدات ادارية هي مركز قضاء سامراء (١٢,٥%) وقضاء الشرفاط (١١,٤%)، ومركز قضاء بيجي بنسبة (١١,٢%) ومركز قضاء الطوز (١٠,٣%) ، ثم قضاء لدجيل بنسبة (١٠,٢%) وذلك لارتفاع أحجام سكانها اذ تشكل نسبة حجوم سكانها مجتمعة (٥٢,٧%) من اجمالي سكان منطقة الدراسة اضافة الى ذلك ما طرأ على الظروف الاجتماعية والاقتصادية من متغيرات ساهمت في ضعف الاواصر الاجتماعية كالانفتاح الاجتماعي وانتشار وسائل التواصل وارتفاع معدلات البطالة واختلال العادات والتقاليد وعوامل اخرى .

المستوى الثاني: ويشمل الوحدات الإدارية ذات الأهمية النسبية العالية ، والتي تتراوح بين ٦,٨% - ٩,٦%، ويضم وحدتين إدارية هي مركز قضاء بلد بنسبة (٩,٨%) ومركز قضاء تكريت والذي سجل (٩,٤%) من مجموع حالات الطلاق في منطقة الدراسة ويعزى

ذلك ربما الى تسجيل اغلب حالات الطلاق والزواج داخل المحاكم المختصة كما هو الحال في قضاء تكريت مركز المحافظة فضلاً عن العوامل سابقة الذكر .
المستوى الثالث: يقع ضمن هذا المستوى الوحدات الإدارية ذات الأهمية النسبية المتوسطة وتتراوح أهميتها النسبية ٣,٧% - ٦,٧%، وتضم وحدة إدارية واحدة وهي قضاء الدور والذي بلغت نسبته (٦,٤%) من مجموع حالات الطلاق في المحافظة .

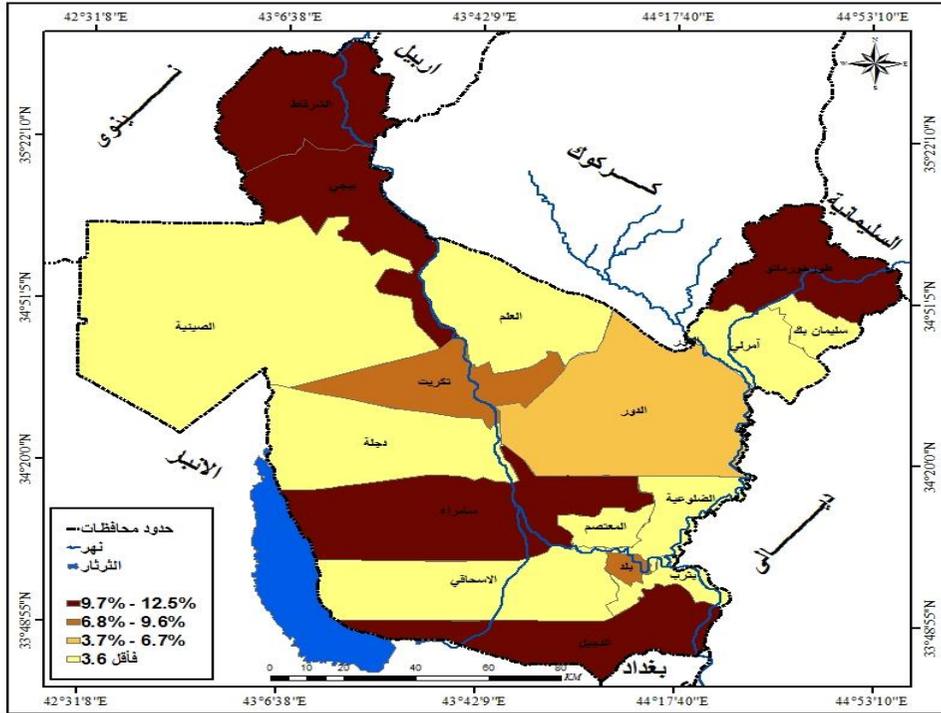
الجدول (١)

التوزيع المكاني لحالات الطلاق في محافظة صلاح الدين حسب الوحدات الإدارية

لعامين (٢٠٢٠)

النسبة %	عدد الحالات الطلاق لعام ٢٠٢٠	الوحدة الإدارية
٩,٤	٤٩٨	تكريت
٢,٩	١٥٣	العلم
١٠,٣	٥٣٧	طوز
١,٥	٧٩	أمري
١,٦	٨٥	سليمان بك
١٢,٥	٦٥٩	سامراء
١,٣	٦٨	دجلة
١,٨	٩٦	المعتصم
٩,٨	٥١٦	بلد
٣	١٥٨	يثرب
٢,٥	١٣٤	الضلعوية
١,٦	٨٥	الإسحافي
١١,٢	٥٧٩	بيجي
٢,٧	١٤٣	الصينية
٦,٤	٣٣٧	الدور
١١,٤	٦٠٤	الشرقاط
١٠,٢	٥٣٦	الدجيل
١٠٠	٥٢٦٧	المجموع

المصدر: محكمة استئناف صلاح الدين، بيانات عن حالات الطلاق في محافظة صلاح الدين لعام ٢٠٢٠ (غير منشورة).



الخريطة (٢)

التوزيع النسبي لحالات الطلاق في محافظة صلاح الدين لعام ٢٠٢٠

المصدر: بالاعتماد على الجدول (١).

المستوى الرابع: يمثل هذا المستوى الوحدات الإدارية ذات الأهمية النسبية المنخفضة، والتي تقل أهميتها النسبية ٣,٦% فأقل وتضم تسع وحدات إدارية هي نواحي (بثرب ٣%, العلم ٢,٩%, الصنيية ٢,٧%, الضلوعية ٢,٥%, المعتصم ١,٨%, سليمان بيك ١,٦%, الإسحاق ١,٦%, امرلي ١,٥%, دجلة ١,٣%) ويعول ذلك الى نسبة سكان هذه الوحدات فضلا عن عزوف المطلقين عن تسجيل حالات الطلاق في المحاكم المختصة .

ثانياً : معدل الطلاق الخام لعام ٢٠٢٠

يعد من ابسط انواع مقاييس الطلاق واكثرها استعمالاً لأغراض التحليل والمقارنة وهو يشير الى عدد وقائع الطلاق منسوبا الى اجمالي أعداد السكان في مدة زمنية معينة^(١)(*) وعلى الرغم من سهولة وبساطة حساب معدلات الطلاق الخام الا انه يعاني من بعض

(١) فوزي عيد سهاونة ، موسى عبودة سمحة ، جغرافية السكان ، ط٢ ، دار وائل للنشر والتوزيع ، عمان ، ٢٠٠٧ ، ص٤٧ .

(*) معدل الطلاق الخام = عدد حالات الطلاق في سنة ما/ عدد السكان الكلي في تلك السنة

القصور لأنه يحسب إجمالي عدد السكان في حين ليس كل السكان له المقدرة في أن يؤثر في حالات الطلاق إذ يشمل الافراد الذين هم دون سن الزواج فضلاً عن المطلقين والمطلقات والمترملين والمترملات^(١).

وبالنظر الى معطيات الجدول (٢) والخريطة (٣) يتبين ان معدل الطلاق الخام في منطقة الدراسة بلغ (٣,٢) بالآلاف لعام ٢٠٢٠ في حين بلغ معدل الطلاق الخام على مستوى العراق (٢,٨) بالآلاف اما على مستوى الوحدات الادارية فقد انتظمت تحت اربع مستويات متباينة وهي كالتالي :

المستوى الأول: ويضم الوحدات الإدارية ذات معدلات الطلاق الخام المرتفعة جداً، والتي لا يقل معدل الطلاق الخام فيها عن (٥ بالآلاف)، وتمثله وحدتين إداريتين هي مركز قضاء

الجدول (٢)

معدل الطلاق الخام في محافظة صلاح الدين حسب الوحدات الإدارية لعام ٢٠٢٠

المعدل بالآلاف	حالات الطلاق	عدد السكان	الوحدات الادارية
٢,٥	٤٩٨	١٩٤٨٤٠	تكريت
٢,٤	١٥٣	٦١٥١٣	العلم
٤,٣	٥٣٧	١٢٥٣٠٨	طوز
١,٦	٧٩	٤٧٥٨١	آمرلي
٢,٩	٨٥	٢٨٩٩٩	سليمان بك
٣	٦٥٩	٢١٦٦٩٥	سامراء
٣,٦	٦٨	١٨٩١١	دجلة
٥,١	٩٦	١٨٨١٩	المعتصم
٦,١	٥١٦	٨٤٩٠٨	بلد
١,٩	١٥٨	٨٣١٥١	يثراب
١,٩	١٣٤	٦٩٢١٤	الصلوعية
١,٦	٨٥	٥٠٥٢٦	الإسحاقى
٣,١	٥٧٩	١٨٧٣٦٩	بيجي
٣,٥	١٤٣	٤٠١٣٣	الصينية
٤,٦	٣٣٧	٧٢٨٩٦	الدور
٢,٧	٦٠٤	٢٢٢٩٨٨	الشرقاط
٤,٧	٥٣٦	١١٢٥٨٦	الدجيل
٣,٢	٥٢٦٧	١٦٣٦٤٣٧	المحافظة

المصدر: ١- وزارة التخطيط والتعاون الإنمائي، الجهاز المركزي للإحصاء، بيانات خاصة بمحافظة صلاح الدين (غير منشورة).

(١) عبد الحسين زيني وعبد الحليم القيسي ورفيق العلي، الإحصاء السكاني، ط١، دار الكتب للطباعة والنشر، بغداد، ١٩٨٠، ص٣٢٨

السكان المتزوجون في هذه الاقضية (٣١% ، ٣٦,٥% ، ٢٧,٥%) على التوالي من مجموع السكان الكلي فضلاً عن عوامل اقتصادية واجتماعية سيتم ذكرها لاحقاً .

المستوى الثالث: ويمثل الوحدات الإدارية ذات معدلات الطلاق الخام المتوسطة، وتتراوح معدلاتها بين (٣,٧) بالآلف و (٢,٦) بالآلف، ويقع ضمن هذا المستوى ست وحدات ادارية هي كل من دجلة (٣,٦) بالآلف وناحية الصينية (٣,٥) بالآلف ومركز قضاء بيجي (٣,١) بالآلف و مركز قضاء سامراء (٣) بالآلف وناحية سليمان بيك (٢,٩) بالآلف وقضاء الشرقاط (٢,٧) بالآلف .

المستوى الرابع: ويضم الوحدات الإدارية ذات معدلات الطلاق الخام المنخفضة وبمعدل (٢,٥) بالآلف فأقل، ويشمل على ست وحدات ادارية هي كلا من (تكريت ، العلم ، يثرب ، الضلوعية ، وأمربي ، الاسحافي) والتي بلغت معدلات الطلاق الخام فيها (٢,٥) ، (٢,٤) ، (١,٩) ، (١,٦) ، (١,٦) ، (١,٦) بالآلف على الترتيب .

المبحث الثاني

المتغيرات الاجتماعية المؤثرة في ظاهرة الطلاق لعام ٢٠٢٠

لا شك ان قضية الطلاق قضية اجتماعية معقدة لذا تكون الاسباب الاجتماعية من اهم العوامل المؤدية اليها نظراً لارتباطها الوثيق بالجانب الاجتماعي بشكل اكبر ، اذ غالباً ما ينتج عن احد متغيراتها شروخ وتصدع يززعق بنية الاسرة وبالتالي يفضي الامر الى الطلاق^(١) على ضوء ما تم بحثه تبين ان اهم العوامل الاجتماعية المسببة للطلاق كانت (عدم التفاهم ، الزواج المبكر ، تدخل الاهل ، سوء المعاملة ، الخيانة الزوجية ، وعوامل اخرى) وقبل الولوج في دراسة هذه المتغيرات كل على حدى سندرسها مجتمعة بغية تحليلها والكشف عن ابعادها المكانية مقارنة مع المتغيرات الاقتصادية المؤدية للطلاق .

فمن خلال تحليل معطيات الجداول (٣) والخريطة (٤) اتضح لنا أن العوامل الاجتماعية سابقة الذكر بلغت نسبة تأثيرها على الطلاق (٥٦,٦%) من مجموع حالات اطلاق وهذا ما يبرهن انحلال عقد العادات والتقاليد والمجتمعية والدينية السامية نتيجة ما طرأ على المجتمعات العراقية من تطورات اجتماعية واقتصادية وسياسية اثرت على نسيج المجتمع العراقي عامة ومنطقة الدراسة خاصة^(٢) .

اما على مستوى الوحدات الادارية لمنطقة الدراسة فيتضح ان هنالك تباين في تأثير هذه العوامل مجتمعة على ظاهرة الطلاق ويمكن ابراز هذا التباين من خلال تقسيمه الى اربعة مستويات وهي :

المستوى الاول : والذي يمثل الوحدات التي تكون فيها حالات الطلاق مرتفعة جداً والتي تراوحت معدلاتها ما بين (٣,٨% - ٤,٦%) ويقع ضمن هذا المستوى سبعة وحدات ادارية وهي كل من (مركز قضاء تكريت ٤,٦% ، قضاء الشرقاط ٤,٦% ، مركز قضاء بلد ٤,٤% ، مركز قضاء الطوز ٤,٣% ، قضاء الدجيل ٤,٣% ، مركز قضاء سامراء ٤,١% ، قضاء بيجي ٣,٨%) ، ويعزى ذلك الى ان هذه الوحدات تمثل مراكز النقل السكاني في المحافظة والذي يؤدي الى ارتفاع معدلات الزواج فيها مما يصاحبه ارتفاع في معدلات الطلاق ذا

(١) انتصار ابراهيم حسين الموسوي ، صبرية علي حسين العبيدي ، المتغيرات الجغرافية المتعلقة بظاهرة الطلاق في محافظة القادسية (بحث منشور) مجلة اداب البصرة ، العدد ٨٦ ، ٢٠١٨ ، ص ٣٦٣ .

(٢) عامر عبد الوهاب علي ، تنامي ظاهرة الطلاق في العراق وسبل مواجهتها شرعاً ، بحث منشور ، مجلة الجامعة العراقية ، العدد ٢/٤٠ ، ٢٠١٥ ، ص ٣٤١ .

سجلت نسبة الطلاق في هذه الوحدات مجتمعة (٧٤,٨%) من مجموع حالات الطلاق في عموم المحافظة .

الجدول (٣)

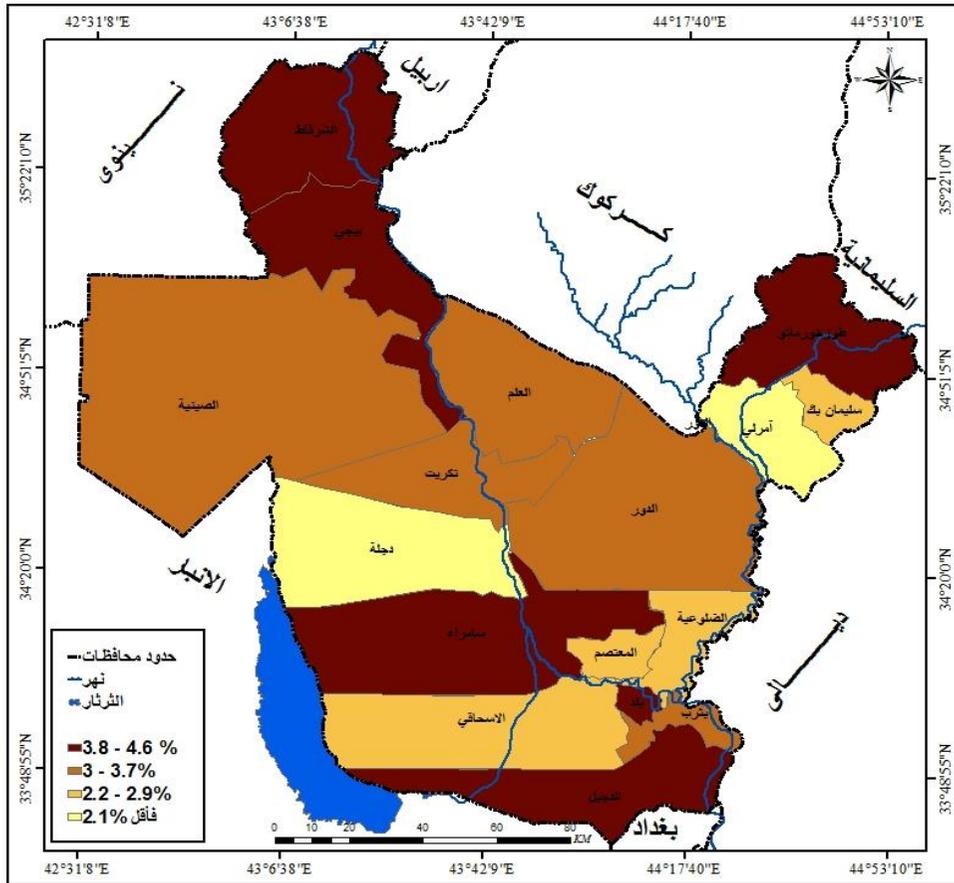
المتغيرات الاجتماعية المؤثرة في ظاهرة الطلاق

الوحدات الإدارية	سوء المعاملة %	الزواج المبكر %	عدم الانجاب %	تدخل الالهل %	عدم التفاهم %	الخيانة الزوجية %	اخرى %	المجموع %
تكريت	١٤,٣	٧,١	١٠,٧	٧,١	١٠,٧	٣,٦	٧,١	٤,٦
العلم	١١,١	١٦,٦	١١,١	١٦,٦	١١,١	—	٥,٥	٣,٥
طوز	١٠,٧	٧,١	١٤,٧	١	٧,١	٣,٦	١٤,٣	٤,٣
أمري	٨,٣	—	—	١٦,٦	٨,٣	٨,٣	٨,٣	١,٦
سليمان بك	—	١٥,٤	٧,٧	٧,٧	١٥,٤	—	١٥,٤	٢,١
سامراء	٦,١	٩,١	٦,١	١٢,١	٣	٦,١	٣	٤,١
دجلة	٩,١	١٨,٢	٩,١	—	١٨,٢	٥,١	—	١,٩
المعتصم	٧,١	٧,١	١٤,٢	٢١,٤	٧,١	—	١٤,٢	٢,٧
بلد	١٠	٦,٦	٣,٣	٦,٦	١٣,٣	٦,٦	٦,٦	٤,٤
يثرى	٩,٥	٩,٥	٤,٧	٩,٥	١٤,٣	—	٤,٧	٣
الضلوعية	٦,٢	٦,٢	١٨,٧	٦,٢	١٢,٥	٤,٢	—	٢,٦
الإسحاقى	١٥,٣	—	١٥,٣	٧,٧	١٥,٣	—	٧,٧	٢,٢
بيجي	٩,٦	٣,٢	٣,١	٦,٤	٩,٦	٦,٤	٦,٤	٣,٨
الصينية	٥,٩	١١,٧	١٧,٦	١١,٧	١٠,٦	—	١١,٧	٣
الدور	—	٤	٢	٢٠	١٦	٤	٤	٣,٧
الشرقاط	٣,٣	١٦,٦	٦,٦	٦,٦	١٠	٣,٣	١٠	٤,٦
الدجيل	٧,٤	١١,١	٣,٧	١٤,٨	١١,١	٧,٤	٣,٧	٤,٣
المحافظة	١٣,٨	١٥,٣	١٤,٤	١٧,٧	١٩,١	٧,٦	١١,٩	٥٦,٩

المصدر : بالاعتماد على الملحق (٣)

المستوى الثاني : ينطوي تحت هذا المستوى اربعة وحدات ادارية والتي تتراوح نسب تأثير المتغيرات الاجتماعية في الطلاق ما بين (٣% - ٣,٧%) وتمثلت هذه الوحدات بد قضاء الدور ، ناحية العلم ، ناحية يثرى ، ناحية الصينية) اذ سجلت نسبها (٣,٧% ، ٣,٥% ، ٣% ، ٣% على التوالي من مجموع حالات الطلاق

المستوى الثالث : يقع ضمن هذا المستوى الوحدات الادارية التي تتخفف فيها حالات الطلاق بنسب تتراوح ما بين (٢,٢% - ٢,٩%) وتمثله اربعة وحدات هي (ناحية المعتصم ٢,٧% ، ناحية الضلوعية ٢,٦% ، ناحية الاسحاقى ٢,٢% ، ناحية سليمان بيك ٢,١%) ويمكن ارجاع هذا الانخفاض الى بنية السكان التي لازالت تحافظ على عاداتها وتقاليدها مما جعل تأثير العوامل الاجتماعية على معدلات الطلاق فيها قليل نسبياً .



الخريطة (٤)

معدل الطلاق الخام في محافظة صلاح الدين لعام ٢٠٢٠

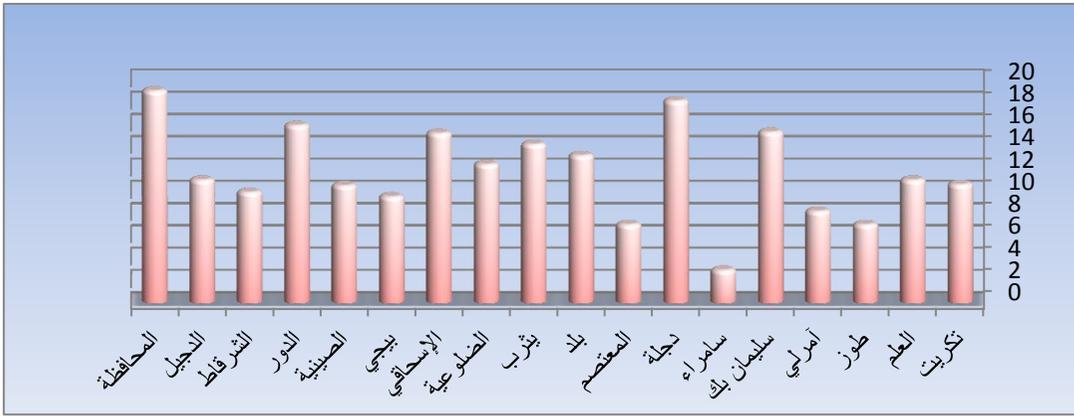
المصدر: بالاعتماد على الجدول (٣)

المستوى الرابع : ويضم الوحدات ذات النسب المنخفضة جداً والتي تكون نسب الطلاق فيها نتيجة العوامل الاجتماعية (٢٠,١ % فأقل) وتمثله وحدتان اداريتان هما ناحية دجلة بنسبة (١٠,٩%) وناحية امرلي بنسبة (١٠,٦%) ويعود ذلك الى انخفاض معدل الطلاق فيهما البالغة (١٠,٣% ، ١٠,٥%) لكل منهما من مجموع حالات الطلاق في المحافظة .ويمكن القول إن الأسباب الاجتماعية المؤدية إلى الطلاق كان لها الأثر الكبير والبارز في منطقة الدراسة ويمكن ابراز اهمية كل من هذه العوامل ومعرفة تباينها المكاني وهي على النحو التالي :

- عدم التفاهم والانسجام -

إن عدم التفاهم والانسجام بين الزوج والزوجة، يعد واحداً من الاسباب الرئيسية لوقوع الطلاق اذ ان عدم الانسجام على المستوى العلمي والثقافي وتوافق الشخصية والطباع والتجانس في

السلوك والعاطفة وعدم ادراكهم للأمور التي ينبغي مراعاتها في التعامل، كل هذا يعمل اثارة المشاكل والخلافات بين الزوجين وبالتالي حل الرابطة الزوجية^(١) ومن خلال استيفاء المعلومات عن دعوى الطلاق المسجلة في محكمة صلاح الدين شعبة الباحث الاجتماعي ومكاتب المحامين المختصين تبين ان دافع عدم التفاهم والانسجام بين الزوجين قد تصدر العوامل الاجتماعية الاخرى بنسبة (١٩،١%) من مجموع هذه العوامل ويمكن ان نبرر ذلك بان هذا السبب هو الانسب والاسلم للمطلقين للحفاظ على سمعتهما من العوامل الاخرى عند حدوث الطلاق ، كما يوضح لنا الجدول السابق (٣) والشكل (١) ان هناك تباين في نسب الطلاق نتيجة عدم التفاهم والانسجام بين الوحدات الادارية في منطقة الدراسة ، اذ سجلت الوحدات الادارية (ناحية دجلة ، قضاء الدور ، ناحية سليمان بيك ، ناحية الاسحاقي) اعلى



الشكل (١)

التوزيع النسبي لحالات الطلاق نتيجة عدم التفاهم والانسجام بين الزوجين

المصدر : بالاعتماد على الجدول (٣)

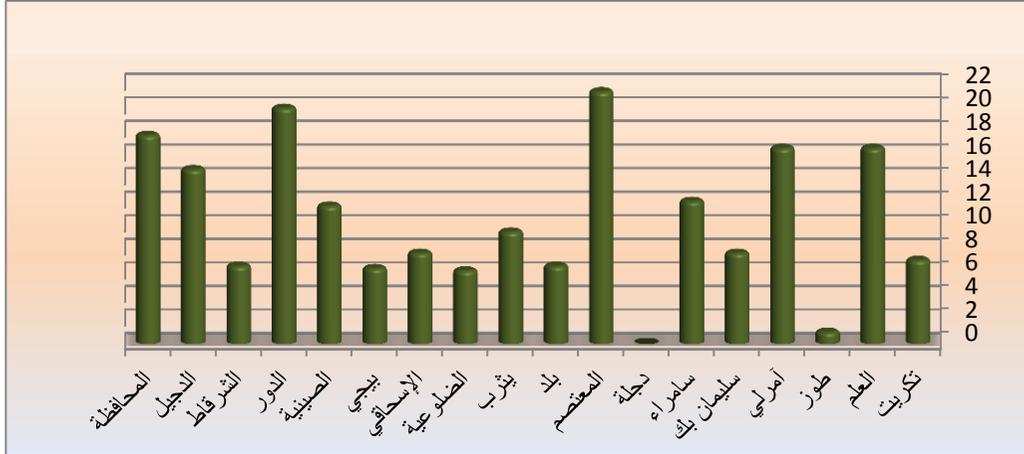
نسب الطلاق بفعل عدم التفاهم بين الزوجين والتي بلغت (١٨،١% ، ١٦% ، ١٥،٤% ، ١٥،٣%) ويعود ذلك الى الطبيعة الاجتماعية المنغلقة للسكان التي يسود فيها زواج الاقارب لذلك فهم يجتهدون في الحفاظ على سمعتهم وان كانت اسباب الانفصال غير ذلك ، فيما سجلت الوحدات الادارية (مركز قضاء بيجي ، ناحية امرلي ، قضاء الطوز ، ناحية المعتصم ، مركز قضاء سامراء) اقل نسب الطلاق نتيجة هذا الدافع اذ سجلت (٩،٦% ، ٨،٣% ، ٧،١% ، ٧،١% ، ٣%) على الترتيب ويعزى ذلك بفعل عوامل اجتماعية واقتصادية اخرى

(١) عبد العظيم المشيخص ، الانحرافات الاجتماعية مشكلات وحلول ، ط١ ، دار الهادي للطباعة والنشر ، بيروت ، ٢٠٠٥ ، ص ١١٠

٢- تدخل الاهل :-

اثبتت الدراسة أن هذا السبب هو العامل الأكثر تكراراً بعد عامل عدم التفاهم والانسجام بين الزوجين، إذ حصل على الترتيب الثاني من بين العوامل الاجتماعية بواقع (٣٧) حالة طلاق من مجموع حالات الطلاق في منطقة الدراسة وبوزن مؤوي (١٧,٧%) إذ ان تدخل الاهل سواء كان من أهل الزوج او اهل الزوجة في الامور الخاصة باختلاف وجهات النظر وتعصب كل طرف لرأيه يكون سببا في ازدياد المشاكل ، ويتعاضم دور تدخل الاهل لارتباطه بعدد من المسببات لعل ابرزها السكن المشترك اذ يضطر الزوجين بفعل عوامل اقتصادية السكن مع اهلهم مما يجعلهم على اتصال مباشر معهم والتدخل في صغير الامور وكبيرها وبالتالي تكون الحياة الزوجية ارض خصبة لنشوب المشاكل والخلافات . فضلاً عن ما يبوح به الزوج والزوجة من اسرار الى اهلهم بغية رشدهم مما يفتح الباب لتدخل الأهل، وتفاقم الإشكالية نتيجة تمسك ومكابرة كل طرف بأرائه وفقدان الأهل للدور الإرشادي المناط بهم والإصرار على دور الوصاية وفرض الآراء الغير مبررة التي تؤدي بالتالي لحدوث الطلاق^(١) ، ويتضح لنا من استقراء بيانات الجدول السابق والشكل (٢) بأن الطلاق نتيجة تدخل الاهل في حياة الزوجين سجل تبايناً واضحاً بين الوحدات الادارية لمنطقة الدراسة ، اذ جاءت ناحية المعتصم في مقدمة الوحدات الادارية بنسبة (٢١,٤%) تلتها ناحية العلم بنسبة (١٦,٦%) ثم ناحية امرلي بالمرتبة الثالثة بنسبة (١٦,٦%) وذلك يعود طبيعة السكان الريفية التي يسود فيها زواج البدائل أي زوجة مكان زوجة دون مهر مما يجعل الحياة الزوجية ارض خصبة لتدخل الاهل ، فيما سجلت اقل نسب الطلاق بسبب تدخل الاهل في ناحية الضلوعية بنسبة (٦,٢%) ومركز قضاء الطوز بنسبة (٣,٦%) ، اما بقية الوحدات فاندرجت بين هذين المستويين .

(١) هيثم فيصل علي ، سرمد جاسم محمد، الابعاد الاجتماعية والثقافية لظاهرة الطلاق ، دراسة ميدانية في مدينة بغداد ، مجلة اداب الفراهيدي ، العدد ٢٦ ، ٢٠١٦ و ص٤٥٧



الشكل (٢)

التوزيع النسبي لحالات الطلاق نتيجة تدخل الالهل بين الزوجين

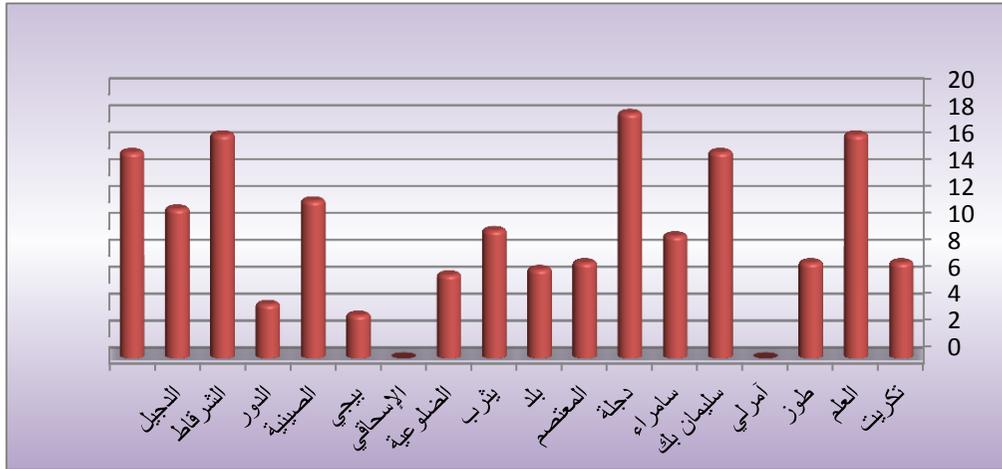
المصدر : بالاعتماد على الجدول (٣)

٣- الزواج المبكر :-

يعد واحداً من الأسباب الرئيسية لانتشار ظاهرة الطلاق، فالذين يتزوجون في أعمار صغيرة غالباً ما يفقدون إلى النضج النفسي والاجتماعي الكامل بمتطلبات الحياة وتحمل اعباء ومسئوليات الزواج لكونهم لازالوا في مرحلة المراهقة التي يكثر فيها الانفعال والغضب والتسرع في اتخاذ القرارات وعدم القدرة على مواجهة الصعوبات التي تواجههم في حياتهم وعجزهم في التكيف مع العديد من المواقف الاجتماعية المختلفة بسبب عدم امتلاكهم الخبرة في فهم الطرف الاخر وعدم الاستقلال بالرأي مما يولد حودث خلافات تنتهي بالطلاق (١) اذ تبين من خلال استنباط المعلومات عن طريق الدراسة الميدانية والمقابلة الشخصية الموضحة في الجدول (٣) والشكل (٣) ان نسبة المطلقين بسبب الزواج المبكر في منطقة الدراسة بلغت (١٥،٣%) من بين الاسباب المؤدية للطلاق تباينت بين الوحدات الادرية اذ شغل كل من الوحدات (ناحية دجلة ، قضاء الشرفاط ، ناحية العلم ، ناحية سليمان بيك) المراتب الاولى في حالات الطلاق بسبب الزواج المبكر اذ بلغت نسبها (١٨،٢% ، ١٦،٧% ، ١٦،٦% ، ١٥،٤%) على الترتيب وهذا يعود الى الطبيعة الريفية للسكان التي تشجع لظاهرة الزواج المبكر مع انخفاض متطلبات الزواج المالية ، فيما سجلت اقل مستويات

(١) علي عبد راجب ، مشكلات اجتماعية معاصرة ، ط٢، دلتا للنشر والتوزيع ، الكويت، ١٩٩٤ ،

حالات الطلاق بفعل الزواج المبكر في الوحدات (مركز قضاء تكريت ، مركز قضاء الطوز ، مركز قضاء بلد ، ناحية الضلوعية ، قضاء بيجي ، قضاء الدور) والتي سجلت نسبتها (٧،١% ، ٧،١% ، ٦،٦% ، ٦،٢% ، ٣،٢% ، ٤،٠%) على التوالي ويعزى ذلك الى تأخر سن الزواج في هذه الوحدات وهذا يعود الى امرين مهمين الاول هو طموح الشاب للحصول على الشهادة الجامعية او امتلاك فرصة عمل كما هو في المراكز الحضرية والثاني يتعلق بالظروف الاقتصادية تتمثل بعدم امتلاك مصاريف الزواج او مسكن او أي دخل شهري كما هو في الوحدات ذات الطابع الريفي .



الشكل (٣)

التوزيع النسبي لحالات الطلاق نتيجة الزواج المبكر

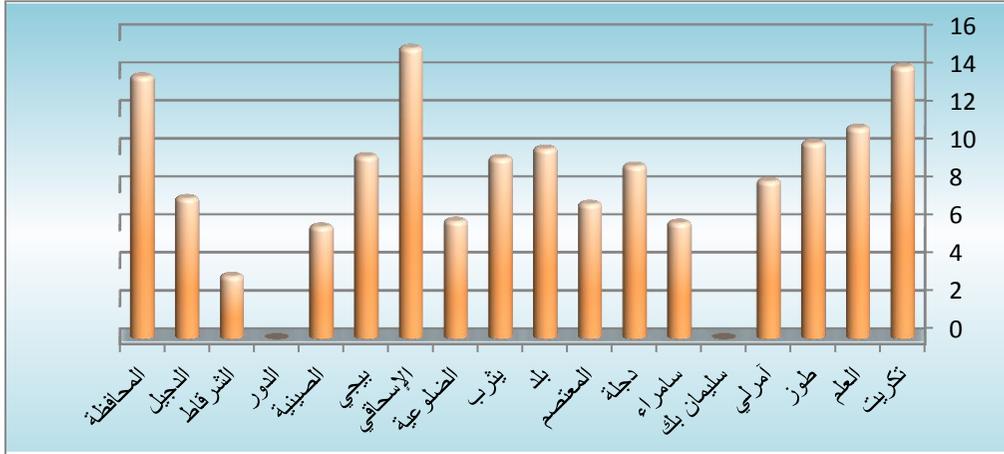
المصدر : بالاعتماد على الجدول (٣)

٤- سوء المعاملة :-

يعد العنف الاسري الموجه ضد الزوجة والاطفال موضوعاً جديراً بالاهتمام من قبل الباحثين والمختصين الذي ظهر حديثاً بشكل لافت للنظر في مجتمعنا والذي ترجع اسبابه الى حدة الظروف التي يمر بها المجتمع العراقي بصورة عامة^(١) فتدني المستوى المعيشي وتفشي الفقر والبطالة واستباحة المسكرات والمخدرات وهشاشة الوضع القانوني والسياسي وصعوبة توفير الزوج متطلبات العائلة مما يجعله في اشد حالات التوتر النفسي الذي ينعكس بسوء معاملة زوجته والاولاد، ونتيجة استمرار حالات الضرب والاهانة والتقصير والاهمال للواجبات

(١) دانيال محسن بشار اثر العوامل الاقتصادية والاجتماعية على ظاهرة الطلاق في مدينة الصدر لعام ٢٠١٤ (دراسة تحليلية سكانية) ، مجلة المستنصرية للدراسات العربية والدولية ، العدد ٦٠ ،

يدفع الزوجة الى التمرد والعصيان ثم حدوث الطلاق^(١) ومن خلال استنتاجات الدراسة الميدانية المبوية في الجدول السابق والشكل (٤) تبين ان نسبة المطلقين نتيجة سوء المعاملة بلغت (١٣,٨%) من مجمل حالات الطلاق في عموم المحافظة ، استحوذت ناحية الاسحاقي على المرتبة الاولى بنسبة (١٥,٣%) تلاها بالمرتبة الثانية مركز قضاء.



الشكل (٤)

التوزيع النسبي لحالات الطلاق نتيجة سوء المعاملة

المصدر : بالاعتماد على الجدول (٣)

تكريت بنسبة (١٤,٣%) ثم مركز قضاء الطوز بنسبة (١١,١%) اما بقية الوحدات فتدرجت نسبها ما بين (١٠,٧%) في ناحية العلم و (٣,٣%) في قضاء الشرقاط ، فيما لم تسجل أي حالة في قضاء الدور وناحية سليمان بيك .

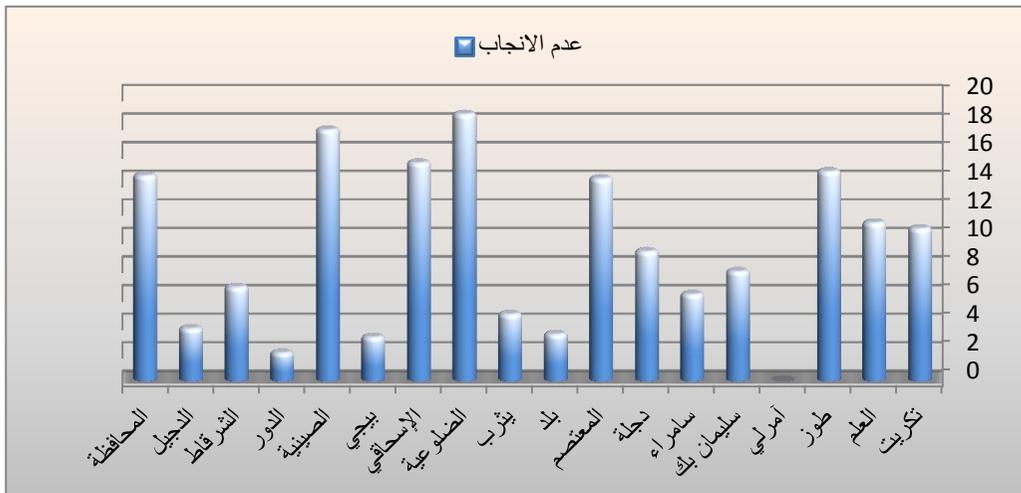
٥- عدم الانجاب :-

يعتبر وجود الأطفال عاملاً هاماً في ديمومة الحياة الزوجية واستقرارها والحفاظ عليها من الانهيار، اذ ان وجود الاطفال يزيد من الترابط بين الزوجين ويشعرهما بالمسؤولية، كما يجعل كلا الطرفين أكثر مرونة في معالجة المشاكل الزوجية التي تعترضهما دون اللجوء إلى الطلاق وذلك خوفاً على اطفالهم من الضياع، والعكس صحيح فعدم القدرة على الأنجاب يفتح مجالاً واسعاً للاختلاف والصراع بين الزوجين^(٢)، فكثيراً من الأزواج لا يستطيعون

(١) انتظار ابراهيم حسين الموسوي ، صبرية علي حسين العبيدي ،مصدر سابق ، ص٣٦٨.

(٢) هناء جاسم السبعوي و الطلاق واسبابه في مدينة الموصل ، بحث منشور في مجلة اضاءات موصلية ، العدد٧٤ ، ٢٠١٣ ، ص١٤.

الاستغناء عن الأطفال فيكون عقم الزوجة مسوغا للبحث عن زواج اخر وسببا لطلاق ولقد ثبتت من الدراسات الاجتماعية إن هناك علاقة عكسية بين عدم وجود الأطفال وارتفاع معدلات الطلاق^(١) ، وهذا ما اكدته الدراسة اذ ان ما نسبته (١٤،٤%) من حالات الطلاق في منطقة الدراسة حدثت بسبب العقم او تأخر الانجاب ، اما على مستوى الوحدات الادارية فكان النصيب الاكبر لكل من (ناحية الضلوعية ، ناحية الصينية ، ناحية الاسحافي ، مركز قضاء الطوز ، ناحية المعتمصم) اذ بلغت نسبها (١٨،٧% ، ١٧،٦% ، ١٥،٣% ، ١٤،٧% ، ١٤،٢%) على الترتيب ، فيما سجل اقل نسب الطلاق بفعل عدم الانجاب في الاقضية (الدجيل ، بلد ، بيجي ، الدور) والتي سجلت نسبها (٣،٧% ، ٣،٣% ، ٣،١% ، ٢%) على التوالي من بين الوحدات الادارية .



الشكل (٥)

التوزيع النسبي لحالات الطلاق نتيجة عدم الانجاب

المصدر : بالاعتماد على الجدول (٣)

٦- الخيانة الزوجية :-

ان من الأسباب التي يمكن أن تسبب بواعث الطلاق هي الخيانة الزوجية المعبرة عن اقامة احد الزوجين بعلاقة مشبوهة مع افراد اخرين والتي غالبا تنتهي بطلاق اذ انها من الممارسات التي لا تتقبل في اغلب صورها العفو والصفح وعادة ما تحدث الخيانة الزوجية بفعل عوامل ومسببات لها لعل اهمها ما تم ذكره ومما زاد من شيوع هذه الظاهرة المشبوهة هو اتساع مساحة استخدام شبكات التواصل الاجتماعي والموبايل والذي كان له تأثيرا سلبيا في ازدياد

(١) عبد العظيم المشيخ، الانحرافات الاجتماعية مشكلات وحلول ، مصدر سابق ،ص١١٢

الشكوك بين المتزوجين وخصوصاً في حالة انعدام المصارحة والثقة بينهما مما يؤدي حدوث المشاكل والتخاصم التي تنتهي بالطلاق^(١) ومن خلا معطيات الجدول سابق (٣) والشكل (٦) يتبين ان نسبة حالات الطلاق نتيجة الخيانة الزوجية بلغت (٧,٦%) من مجموع حالات الطلاق ، سجلت اعلى نسبة في ناحية امرلي بلغت (٨,٣%) تلاها قضاء الدجيل (٧,٤%) ثم قضاء بلد بنسبة (٦,٦%) ثم قضاء سامراء (٦,١%) ، فيما لم تسجل الوحدات (العلم ، سلمان بيك ، المعتصم ، يثرب ، الاسحاقى ، الصينية) أي نسبة تذكر .

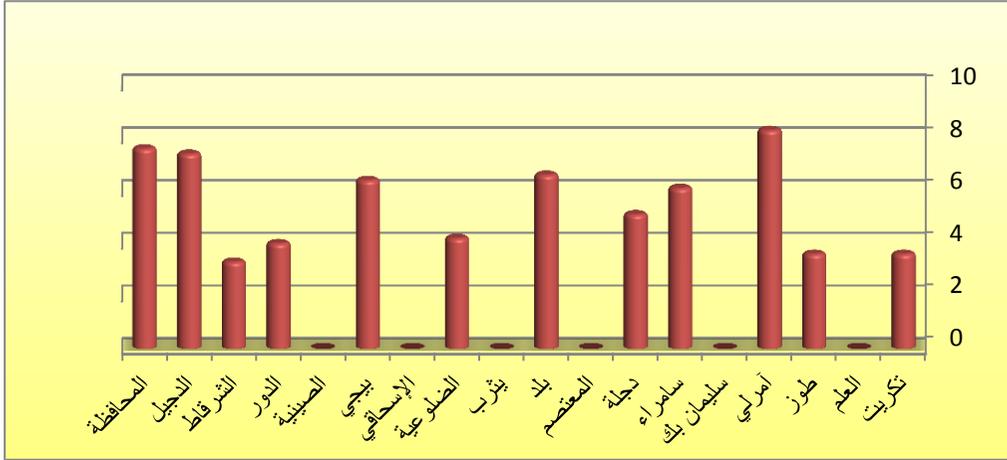
٧- عوامل اخرى (**): -

تعد ظاهرة الطلاق ظاهرة اجتماعية معقدة تعدد وتتشابك العوامل والمسببات لحدوثها فهناك الكثير من العوامل الثانوية التي تضاف الى العوامل الرئيسة سابقة الذكر والتي تقضي الى الطلاق وان كانت تأثيرها بنسب قليلة نسبياً ، فتعدد الزوجات مثلاً يؤدي في بعض حالاته الى ميول عواطف الزوج الى احد زوجاته مما يولد عند الاخرى عدم الرضا ومن ثم حدوث المشاكل التي تسبب الطلاق^(٢) .

(١) حسين علون ابراهيم السامرائي ،التباين المكاني لطالبي ظاهرة الطلاق في قضاء سامراء ومسبباته ، بحث منشور ، مجلة سر من رأى ، المجلد ١٣ ، العدد ٤٦ ، ٢٠١٦ ، ص ٤٢ .

(**) نظراً لتعدد العوامل الاجتماعية المؤثرة على الطلاق تم تحديد مجموعة منها ذات التأثير القليل نسبياً في اطار واحد وذلك لتوخي الدقة في تحليل النتائج وتمثل العوامل الاخرى بـ(تعدد الزوجات ، فارق العمر ، عمل المرأة ، واستخدام وسائل التواصل والانترنت ، الحالة الصحية ، الفارق في المستوى العلمي).

(٢) ذكرى جميل محمد حسين ، الطلاق في ضوء تأثير الحرب والحصار الاقتصادي في العراق، رسالة ماجستير (غير منشورة)، مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٩٠، ص ٦٣.



الشكل (٦)

التوزيع النسبي لحالات الطلاق نتيجة الخيانة الزوجية

المصدر : بالاعتماد على الجدول (٣)

كذلك الحال عندما يحدث الزواج مع وجود فارق في العمر بين الزوجين فيكون اختلاف في التطلعات والرؤى والسلوكيات الامر الذي ينتهي بالطلاق ، كذلك من الاسباب المؤدية للطلاق المستوى العلمي اذ يلعب المستوى التعليمي دورا مهما في استمرار الحياة الزوجية، فالتوافق في المستوى التعليمي أثر في التوافق الاجتماعي والنفسي، لذلك أكدت كثير من البحوث أن حالات الطلاق تنخفض بارتفاع المستويات التعليمية وتحدث بنسب أكبر كلما انخفضت تلك المستويات^(١) ، فضلاً عن عامل الاهمال والتقصير من قبل احد الزوجين في القيام بواجباته الاسرية الذي ينتج بفعل عوامل صحية بسبب مرض احد الزوجين او عوامل ذاتية ناتجة عدم القابلة والقدرة او عدم الفهم وسوء التدبير لما ينوط لهما من واجبات ، جميع هذه عوامل جعلت اثرت في ارتفاع معدلات الطلاق في الوقت الحاضر .

من خلال معطيات الجدول السابق (٣) والشكل (٧) يتبين ان نسبة (١١,٩%) من حالات الطلاق في منطقة الدراسة كانت نتيجة هذه العوامل ، سجلت اعلى نسبة في ناحية سليمان بيك (١٥,٤%) تلاها مركز قضاء الطوز بنسبة (١٤,٣%) ثم ناحية المعتمص بنسبة (١٤,٢%) فيما تراوحت بقية الوحدات ما بين (١١,٧%) في ناحية الصينية و (٣%) في مركز قضاء سامراء .

(١) باسم عبد العزيز عمر العثمان ، سعد عكموش نجم الصلخي ، الخصائص الاقتصادية لحالات الطلاق في محافظة البصرة لعام ٢٠١٣ ، بحث منشور ، مجلة دراسات البصرة ، العدد ٢٢ ، ٢٠١٦ ،



الشكل (٧)

التوزيع النسبي لحالات الطلاق نتيجة الخيانة الزوجية

المصدر : بالاعتماد على الجدول (٣)

المبحث الثالث

المتغيرات الاقتصادية المؤثرة على الطلاق لعام ٢٠٢٠

يتمخض عن الاسباب الاقتصادية دوافع كبيرة تؤثر في استقامة الحياة الزوجية واستقرارها اذا ان عدم قدرة الزوج عن تلبية حاجات أسرته ومتطلباتها من مسكن ومأكل وصحة وتعليم وكل ما يتعلق بالنفقات المالية^(١) يجعل الأسرة في محل مشاحنات وصراعات مستمرة الامر الذي ينتج عنه حدوث الطلاق ، فقد يتضامن انخفاض الدخل الفردي مع كثرة عدد الأطفال وعدم ملكية السكن أو إن السكن إيجار، مع البطالة فتكون الحالة النفسية أكثر قلقاً وتؤدي إلى الطلاق^(٢) من خلال الاطلاع على دعاوى الطلاق المسجلة في محكمة استئناف صلاح الدين تبين ان اهم الاسباب الاقتصادية المؤدية للطلاق تركزت في (انخفاض مستوى الدخل ، عدم انفاق الزوج ، البطالة ، عدم املاك مسكن) ، وقد بينت الدراسة الميدانية المبوية في الجدول (٤) والموضحة في الخريطة (٥) ان العوامل الاقتصادية المذكورة اعلاه كان لها تأثير بنسبة (٤٣،١%) على حالات الطلاق في منطقة الدراسة لعام ٢٠٢٠ توزعت هذه النسبة بشكل متباين بين وحداتها الادارية الذي يمكن ابرازه بأربع مستويات وهي كالتالي :-

المستوى الاول : وتمثله الوحدات التي تكون نسب الطلاق بفعل العوامل الاقتصادية عالية ويضم وحدتين اداريتين هما (مركز قضاء سامراء بنسبة (٤،٩%) ومركز قضاء بيجي بنسبة (٤،٦%) فعن مركز قضاء سامراء فبالرغم من سمتها البارزة في كونها مركز للأنشطة الاقتصادية لا ان كثافة السكان وتوقف عمليات التنمية الاقتصادية خلال سنوات جعل منها تنصدر الوحدات الادارية في انخفاض مستوى الدخل^(٣) اما عن مركز قضاء بيجي فالأمر يعود الى ما خلفه احتلال (داعش) الذي اثر بشكل كبير في انتكاس الحياة الاقتصادية في القضاء .

المستوى الثاني : يقع ضمن هذا المستوى الوحدات الادارية التي تتراوح نسب الطلاق نتيجة متغيرات اقتصادية بين (٣% - ٣،٩%) ويضم خمسة وحدات هي (مركز قضاء بلد ، قضاء الشرقاط ، مركز قضاء الطوز ، مركز قضاء تكريت ، قضاء الدجيل) والتي بلغت نسب الطلاق فيها (٣،٨% ، ٣،٥% ، ٣،٢% ، ٣% ، ٣%) وهذا يعود الى الكثافة السكانية في

(١) حسين علون ابراهيم السامرائي ، مصدر سابق ، ص ٣٨.

(٢) سليم القيسي ، قبلان المجالي ، اسباب الطلاق في محافظة الكرك - الاردن ص ١٨٧.

(٣) حسين علاوي محمد العيساوي ، التباين المكاني لظاهرة الفقر في محافظة صلاح الدين لعام ٢٠١٣، رسالة ماجستير ، كلية التربية ، جامعة تكريت ، ٢٠١٥ ، ص ٧٦.

الجدول (٤)

المتغيرات الاقتصادية المؤثرة في ظاهرة الطلاق

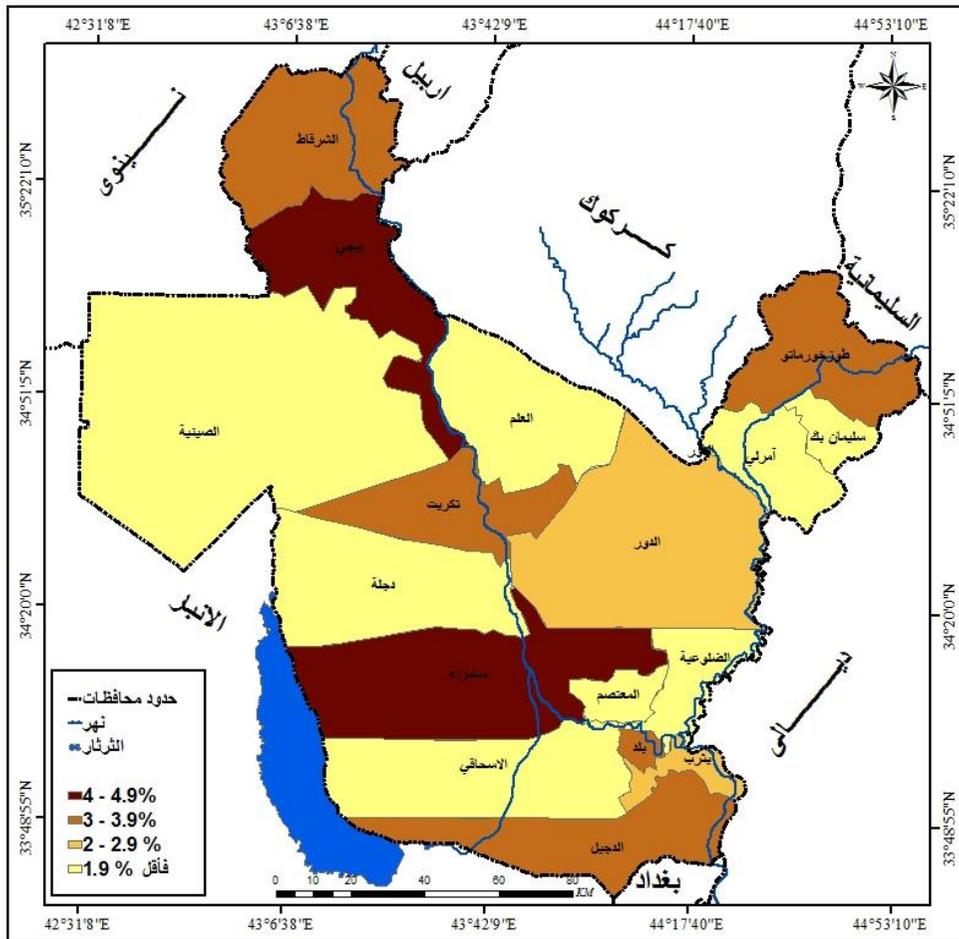
الوحدات الإدارية	انخفاض مستوى الدخل	عدم انفاق الزوج	البطالة	عدم امتلاك مسكن	المجموع %
تكريت	١٠,٧	٧,١	١٠,٧	٧,١	٣
العلم	١١,١	--	١١,١	٥,٥	١,٤
طوز	١٧,٨	٣,٥	١٠,٧	١٠,٧	٣,٢
أمرلي	٨,٣	١٦,٦	١٦,٦	٨,٣	١,٦
سليمان بك	١٥,٤	٧,٧	١٥,٤	--	١,٤
سامراء	١٢,١	١٨,٢	١٢,١	١٢,١	٤,٩
دجلة	٩,١	--	١٨,٢	٩,١	١,١
المعتصم	٧,١	٧,١	١٤,٣	٧,١	١,١
بلد	١٣,٣	١,٠	١٣,٣	١,٠	٣,٨
يثر ب	١٤,٢	٩,٥	١٩	٤,٧	٢,٧
الضلعوية	١١,٧	١١,٧	١١,٧	٥,٨	١,٧
الإسحاقى	٧,٧	١٥,٣	٧,٧	٧,٧	١,٤
بيجي	١٩,٣	٩,٦	١٦,١	٩,٦	٤,٦
الصينية	١١,٧	٥,٨	١٧,٦	--	١,٦
الدور	٨,٣	١٢,٥	١٦,٦	٤,٢	٢,٧
الشرقاظ	١٦,٦	٦,٦	١٣,٣	٦,٧	٣,٥
الدجيل	١٤,٨	٧,٤	١١,١	٧,٤	٣
المحافظة	٣٠,٤	٢٣,٤	٢٩,١	١٧,١	٤٣,١

المصدر : ملحق رقم (٣)

هذه الوحدات اذ يلاحظ جميعها تمثل مراكز الثقل السكاني في المحافظة الذي يشهد بدوره تباين في المستويات الاقتصادية .

المستوى الثالث : ينطوي تحت هذا المستوى وحدتين اداريتين هما (ناحية يثر ب ، وقضاء الدور) والتي بلغت نسبة الطلاق فيهما نتيجة الظروف الاقتصادية (٢,٧%) لكل منهما .

المستوى الرابع : ويضم الوحدات ذات النسب المنخفضة التي تقل عن (١,٩%) وهي كل من النواحي (الضلعوية ١,٧% ، امرلي ١,٦% ، الصينية ١,٦% ، العلم ١,٣% ، سليمان بيك ١,٣% ، الاسحاقى ١,٤% ، دجلة ١,١% ، المعتصم ١,١%) من مجمل حالات الطلاق بفعل العوامل الاقتصادية .



الخريطة (٣)

معدل الطلاق الخام في محافظة صلاح الدين لعام ٢٠٢٠

المصدر: بالاعتماد على الجدول (٢)

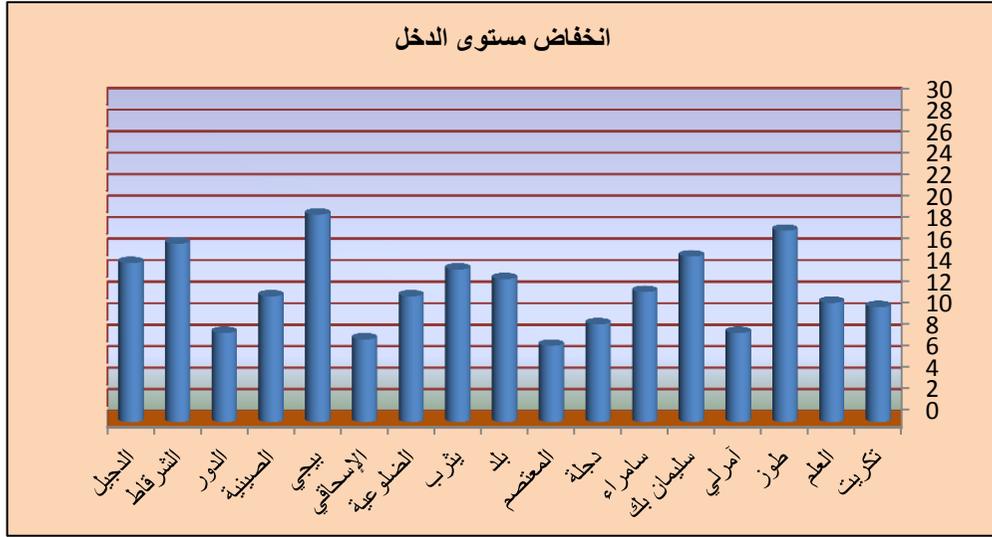
١- انخفاض مستوى الدخل :-

يعد الدخل الشهري معيار الرفاه المعيشي للأسرة ومن المؤشرات المعتمدة من قبل كثير من الدارسين للدلالة على الوضع الاقتصادي فهو الحد الفاصل لحل جميع الخلافات العائلية التي تكون بسبب العجز المالي فالدخل الشهري من أكثر العوامل الاقتصادية علاقة بالظواهر الاجتماعية ومن ضمنها الطلاق^(١) إذ ان عدم كفاية الدخل الشهري يعني فشل الأسرة في

(١) حسين سردار محمد علي الزنكنة ، التباين المكاني لظاهرة الطلاق في مدينة كركوك لعام ٢٠١٨

و رسالة ماجستير (غير منشورة) ، كلية التربية ، جامعة تكريت ، ٢٠١٩ ، ص١٤٨

تحقيق استقرارها الاقتصادي وبالتالي تعرضها إلى خطر التفكك بسبب المشكلات المستمرة والصراعات داخل الأسرة مما يؤدي لحدوث الطلاق^(١) ولقد اشارت الدراسات السابقة بأن هناك علاقة ترابطية عكسية لحالات الطلاق بالدخل الشهري، فكلما يقل الدخل ترتفع حالات الطلاق ولا سيما إذا ما ارتبط ذلك بعدم تملك الأسرة لدار سكنية، إذ ترتفع الصعوبات الاقتصادية للأسرة وقيام المنازعات الأسرية وظهور المشاكل الزوجية، وتفكك الأسر وانهارها^(٢) ومن جانب اخر قد يؤدي ارتفاع مستوى الدخل الى قدرة الزوج في البحث عن زوج اخر أي تعدد الزوجات الامر الذي يسبب الغيرة وعدم القبول من الزوجة الاولى وتبدأ الخلافات التي يتمخض عنها تفكك البناء الاسري ومن ثم الطلاق^(٣).



الشكل (٨)

التوزيع النسبي لحالات الطلاق نتيجة انخفاض مستوى الدخل

المصدر : بالاعتماد على الجدول (٤)

وتشير البيانات الواردة في الجدول السابق (٤) والشكل (٨) ان انخفاض الدخل الشهري جاء في مقدمة المتغيرات الاقتصادية المسببة لحالات الطلاق في منطقة الدراسة اذ سجلت نسبة

(١) قيصر علي محمد خلف العزاوي ، التباين المكاني لظاهرة الطلاق في محافظة صلاح الدين للأعوام ١٩٨٧-١٩٩٧-٢٠١٢ ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، كلية التربية ، جامعة تكريت ، ٢٠١٣ ، ص٩٦.

(٢) باسم عبد العزيز عمر العثمان ، سعد عكموش نجم الصلخي ، مصدر سابق ، ص١٠٣.

(٣) علياء شكري ، علم الاجتماع العائلي ، ط٢ ، دار المسيرة للنشر والتوزيع ، عمان ٢٠١٢ ، ص٧٩.

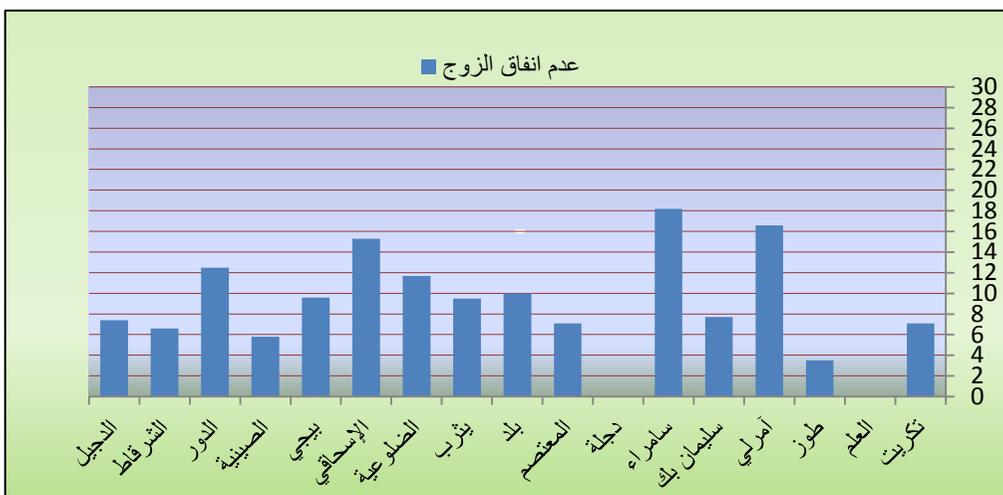
(٣٠،٤%) من مجموع حالات الطلاق نتيجة العوامل الاقتصادية ، اما بالنسبة عن التوزيع المكاني لاثّر هذا العامل على مستوى الوحدات الادارية فيظهر ان اعلى نسبة طلاق نتيجة انخفاض مستوى الدخل جاءت في مركز قضاء بيجي بنسبة (١٩،٣%) من مجموع حالات الطلاق بفعل العوامل الاقتصادية في القضاء وهذا يعود الى الاثار التي خلفها احتلال داعش اذ اغلب الاسر فقدت ممتلكاتها ، تلاه بالمرتبة الثانية مركز قضاء الطوز بنسبة (١٧،٨%) ثم قضاء الشرفاط بنسبة (١٦،٦%) الامر الذي يعود الى ان غالبية سكان القضاء يمتنون الزراعة ، اما اقل نسب الطلاق نتيجة هذا العامل فكانت في الوحدات (ناحية امرلي ، قضاء الدور ، ناحية الاسحاق ، ناحية المعنصم) والتي بلغت النسب فيها (٨،٣% ، ٨،٣% ، ٧،٧% ، ٧،١%) لكل منها على الترتيب ويرى الباحث ان هذا يعود الى انخفاض نسب الطلاق مقارنة مع الوحدات الاخر ، اما بقية الوحدات فتباينت بين نسب هاتين المجموعتين .

٢- عدم انفاق الزوج :

ان من المتغيرات الاقتصادية التي قد تعصف بكيان الاسرة هو عدم انفاق الزوج الذي قد يأخذ اكثر من شكل فقد يكون السبب الاول في عدم انفاق الزوج على اسرته هو عدم قدرته على تلبية مستلزمات الاسرة المادية نتيجة قلة دخله الشهري او بسبب البطالة^(١)، او قد يكون ناتج عن بخل الزوج ، او نتيجة اسراف بعض الزوجات في طلباتهن التي تكون فوق طاقة الزوج ، مما ينتج عن هذا ضغوطاً نفسية تؤدي بدورها الى حدوث مشاكل وخلافات قد تنتهي بالطلاق^(٢) ، يتبين ان نسبة الطلاق بهذا السبب بلغت (٢٣،٤%) من مجموع حالات الطلاق بسبب العوامل الاقتصادية ، وقد شهدت الوحدات الادارية لمنطقة الدراسة تبايناً واضحاً في نسب الطلاق بفعل هذا العامل وذلك لارتباطه بأطباع الفرد الشخصية وبالرجوع الى الجدول (٤) والشكل (٩) يتبين ان مركز قضاء سامراء جاء بالمرتبة الاولى بنسبة (١٨،٢%) تلاه بالمرتبة الثانية ناحية امرلي بنسبة (١٦،٦%) ثم ناحية

(١) عامر عبد الوهاب علي ، مصدر مسابق ، ص٣٤٥ .

(٢) انتظار ابراهيم حسين الموسوي، صبرية علي حسين العبيدي ، مصدر سابق، ص٣٧٠ .



الشكل (٩)

التوزيع النسبي لحالات الطلاق نتيجة عدم اتفاق الزوج

المصدر : بالاعتماد على الجدول (٤)

الإسحاقي (١٥,٣%) وبعدها جاء قضاء الدور بنسبة (١٢,٥%) بالمقابل فقد سجل ادني نسب الطلاق نتيجة عدم اتفاق الزوج في ناحية الصينة وقضاء الشرقاط ومركز قضاء الطوز بنسبة (٥,٨% ، ٦,٦% ، ٣,٥%) لكل منهما فيما لم تسجل ناحية العلم وناحية دجلة أي نسبة تذكر .

٣- بطالة الزوج :-

تعد البطالة من اهم الاسباب الاقتصادية اذ يتولد عنها مشاكل نفسية واجتماعية واقتصادية تنقل كاهل الاسرة اذ يتعرض رب الاسرة العاطل عن العمل الى مواقف وضغوطات مستمرة تزيد من شدة الاحباط والتوتر والعنف فعدم قدرته على تلبية احتياجات أسرته من مأكّل وملبس وسكن وصحة وتعليم تجعل منه في محل فشل وتقصير وحالة نفسية غير مستقرة (١) ، اضافة الى مكوثه في البيت لفترة طويلة تدفعه الى تفريغ تلك الضغوطات والتوتر اتجاه افراد أسرته وعلى الخصوص الزوجة مما ينتج مشكلات وصراعات تقضي الى الطلاق ، من خلال تتبع بيانات الجدول المذكور انفاً والشكل (١٠) يتبين ان حالات الطلاق نتيجة بطالة الزوج

(١) صبرية علي حسين، حيدر سعدي محمد ، التحليل المكاني للخصائص الديموغرافية والاجتماعية والاقتصادية للمطلقين في محافظة القادسية ، بحث منشور ، مجلة البحوث الجغرافية ، العدد ٣٠ ، ٢٠٠٩ ، ص ١٨٢ .

بلغت نسبتها (٢٩،١%) من مجمل حالات الطلاق بفعل المتغيرات الاقتصادية ، اما على صعيد الوحدات الادارية فكان النصيب الاكبر في كل من الوحدات (ناحية يثرب ، ناحية دجلة ، ناحية الصينية ، ناحية امرلي ، قضاء الدور) والتي بلغت نسب الطلاق بسبب بطالة الزوج فيها (١٩% ، ١٨،٢% ، ١٧،٦% ، ١٦،٦% ، ١٦،٦%) ويمكن تعليل ذلك في كون هذه الوحدات ذات طابع ريفي تعتمد في مواردها الاقتصادية على الزراعة باستثناء قضاء الدور الذي يقع بين مركزين تجاريين تكريت وسامراء مما جعل من نشاطه الاقتصادي يعتمد على رواتب الموظفين بالدرجة الاساس ، فيما سجلت الوحدات الادارية (مركز قضاء تكريت ، ناحية الاسحافي ، قضاء الطوز) اقل نسب الطلاق نتيجة بطالة الزوج والبالغة (١٠،٧% ، ١٠،٧% ، ٧،٧%) ، ويعزى ذلك الى ان مركز قضائي تكريت والطوز تمثل مراكز اقتصادية في المحافظة اما ناحية الاسحافي فقد يعود الامر الى ما يشوب عينة الدراسة التي لا تمثل المجتمع تمثيلا حقيقيا ، اما عن بقية الوحدات فقد اندرجت نسبها ما بين هذه الوحدات .



الشكل (١٠)

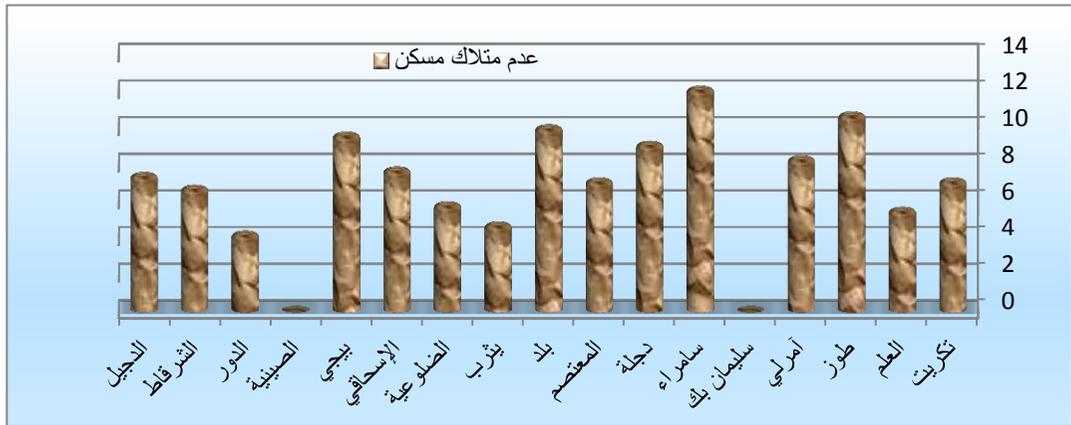
التوزيع النسبي لحالات الطلاق نتيجة بطالة الزوج

المصدر: بالاعتماد على الجدول (٤)

٤- عدم امتلاك مسكن :

تعد مشكلة السكن من المشاكل الاقتصادية العائقة امام الزواج في الوقت الحاضر اذ ان الكثير من الاسر تشتترط ان على المقبلين للزواج ان يكون له مسكن مستقل ، فيما يكون الامر اصعب بعد الزواج اذ تسعى الزوجة جاهدة في ان يكون لها مسكن خاص بها وخاصة بعد ما يحدث من مشكلات وخلافات نتيجة تدخل الاهل في حياة الزوجين كما مر ذكره انفاً وبالمقابل فأن عدم قدرة الزوج على توفير ذلك المسكن نتيجة ظروف اقتصادية يزيد من حدة

التوترات بين الزوجين مما يفتح باباً من ابواب التفريق ، اذ سجلت نسبة حالات الطلاق لهذا السبب (١٧،١%) من مجموع حالات الطلاق نتيجة العوامل الاقتصادية ، اما على مستوى الوحدات الادارية فقد تصدر كل من (قضاء سامراء ، قضاء الطوز ، قضاء بيجي) الوحدات الادارية من حيث نسب الطلاق بسبب عدم امتلاك وحدة سكنية وبالغلة (١٢،١) % ، (١٠،٧% ، ٩،٦%) على التوالي كما موضح في الجدول السابق (٤) والشكل (١١) وذلك لكونها تمثل مراكز الثقل السكاني التي تكون فيها قيم الوحدات السكنية مرتفعة نسبياً ، فيما سجلت الوحدات (قضاء الدور ، ناحية يثرب ، ناحية العلم) اقل النسب حالات الطلاق نتيجة عدم توفر مسكن خاص اذ سجلت نسبها (٤،٢% ، ٤،٧% ، ٥،٥%) على الترتيب ، اما بقية الوحدات فتراوحت نسبها بين هاتين المجموعتين.



الشكل (١١)

التوزيع النسبي لحالات الطلاق نتيجة عدم امتلاك مسكن

المصدر : بالاعتماد على الجدول (٤)

الاستنتاجات والمقترحات

الاستنتاجات :

- في ضوء ما سبق ذكره من خلال الدراسة والتحليل لظاهرة الطلاق في محافظة صلاح الدين، وما يتعلق بها من خصائص ومتغيرات توصلت الدراسة إلى جملة من النتائج الآتية :
- ١- بينت الدراسة ان حالات الطلاق في محافظة صلاح الدين لعام ٢٠٢٠ بلغت (٥٢٦٧) حالة طلاق تباينت بين وحداتها الادارية اذ استحوذت مراكز الاقضية في (مركز قضاء سامراء ، ومركز قضاء بيجي ، وقضاء الشرقاط) على المراتب الاولى بنسب بلغت (١٢،٥% ، ١١،٢% ، ١١،٤%) على التوالي فيما سجلت اقل نسب الطلاق في النواحي (امرلي ، سلمان بيك ، دجلة ، المعتمص ، الاسحافي) والتي بلغ وزنها المئوي (١،٥% ، ١،٦% ، ١،٨% ، ١،٩% ، ١،٦%) لكل منها على الترتيب ، ويعول ذلك في طبيعة الحال الى تباين الكثافة السكانية بين الوحدات الادارية .
 - ٢- كشفت الدراسة ان معدل الطلاق الخام في محافظة صلاح الدين لعام ٢٠٢٠ بلغ حوالي (٣،٢) بالألف، وهناك تباين مكاني لهذا المعدل في الوحدات الإدارية في المحافظة تراوح بين (١،٦) بالألف في ناحيتي امرلي والاسحافي و (٦،١) بالألف في مركز قضاء بلد .
 - ٣- بينت الدراسة ان المتغيرات الاجتماعية المتمثلة (بسوء العاملة ، وعدم الانجاب و تدخل الاهل ، وعدم التفاهم والانسجام ، والخيانة الزوجية ، وعوامل اخرى) كان لها الاثر الاكبر في حالات الاطلاق اذ سجلت نسبة الطلاق بفعل هذه العوامل مجتمعة (٥٦،٩%) من مجمل حالات الطلاق في المحافظة ، كانت اعلى نسبة طلاق منها بسبب عدم التفاهم والانسجام بين الزوجية بنسبة (١٩،١%) وبالمرتبة الثانية جاء عامل تدخل الاهل بنسبة (١٧،٧%) ثم سبب الزواج المبكر بنسبة (١٥،٣%) تلاه عامل عدم الانجاب بنسبة (١٤،٤%) واقل عامل كان نتيجة الخيانة الزوجية بنسبة (٧،٦%) من مجموع حالات الاطلاق نتيجة العوامل الاجتماعية .
 - ٤- كما استنتجت الدراسة ان نسبة تأثير المتغيرات الاقتصادية على ظاهرة الطلاق في منطقة الدراسة بلغت (٤٣،١%) من مجمل حالات الطلاق ، جاء في مقدمة هذه العوامل انخفاض مستوى الدخل اذ بلغت نسبة الاطلاق لهذا السبب (٣٠،٤%) جاء بعده عامل بطالة الزوج والبالغة نسبة الطلاق فيه (٢٩،١%) وبالمرتبة الثالثة جاء سبب عدم انفاق الزوج بنسبة (٢٣،٤%) واقل نسبة طلاق كانت نتيجة عدم امتلاك سكن وبنسبة (١٧،١%) من مجموع حالات الطلاق بفعل العوامل الاقتصادية .

المقترحات :-

ويعد دراستنا لهذا الموضوع وفي ضوء النتائج التي تمخضت عنها يمكن ان نورد بعض المقترحات، والتي نأمل أن يكون من شأنها ولو بشكل جزئي في الحد من ظاهرة الطلاق في منطقة الدراسة وهي :

١- العمل على تفعيل دور المؤسسات الدينية والاعلامية من خلال عقد المؤتمرات والخطب الدينية في حث الاسر واولياء الامور في توعية المتزوجين عن مخاطر الطلاق وتجنب المشكلات الاسرية المؤدية اليه والتعامل معها بما يناسبها من مستوى حضاري وثقافي وتوضح دور الزوج والزوجة في الحياة الاسرية ومعرفة الحقوق والواجبات لكل منهم ، كذلك الابتعاد عن الزواج المبكر والاجباري .

٢- دعم وتوسيع نشاط وزارتي الاسكان والعمل والشؤون الاجتماعية لما لها من دور كبير وفعال في القضاء على الكثير من المشاكل والتي يكون لها علاقه كبيره في حدوث حالات الطلاق و منها حل مشكله البطالة وتوفير السكن للمتزوجين .

٣- العمل على تفعيل دور المؤسسات الدينية والثقافية والتربوية في وضع المناهج التي تعنى بالأسرة وتدريبها في وزارتي التربية والتعليم مما لها اهمية في غرس القيم والمبادئ الانسانية التي تقي الاسرة والمجتمع من التفكك ومعرفة الاساليب لمواجهة الصعاب والمشكلات التي قد تعصف بالأسرة .

٤- ضرورة الاهتمام بقاعدة البيانات عن حالات الطلاق في المحاكم المختصة لتتضمن جميع المعلومات الدقيقة ومن ضمنها ذكر اسباب الطلاق لما لها من اهمية تخدم الباحثين واصحاب القرار في وضع الحلول المناسبة في الحد من هذه الاسباب المؤدية للطلاق .

٥- زيادة وعي محامو الاحوال الشخصية في دورهم الانساني والديني في حل بعض النزاعات بين الزوجين التي لا تستوجب وقوع الطلاق .

ثبت المصادر

- ❖ الابعاد الاجتماعية والثقافية لظاهرة الطلاق ، علي ، هيثم فيصل ، سرمد جاسم محمد، دراسة ميدانية في مدينة بغداد ، مجلة اداب الفراهيدي ، العدد ٢٦ ، ٢٠١٦ .
- ❖ اثر العوامل الاقتصادية والاجتماعية على ظاهرة الطلاق في مدينة الصدر لعام ٢٠١٤ (دراسة تحليلية سكانية) ، بشار ، دانيال محسن ، ، مجلة المستنصرية للدراسات العربية والدولية ، العدد ٦٠ ، ٢٠١٤ .
- ❖ الإحصاء السكاني، زيني ، عبد الحسين، عبد الحليم القيسي، دار الكتب للطباعة والنشر، بغداد، ط١٩٨٠، ١
- ❖ اسباب الطلاق في محافظة الكرك ، القيسي، سليم ، قبلان المجالي ،-الاردن .
- ❖ الانحرافات الاجتماعية ومشكلات وحلول ، المشيخص ، عبد العظيم ، دار الهادي للطباعة والنشر ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٥
- ❖ التباين المكاني لطالبي ظاهرة الطلاق في قضاء سامراء ومسيباته ، السامرائي ، حسين علون ابراهيم ، بحث منشور ، مجلة سر من رأى ، المجلد ١٣ ، العدد ٤٦ ، ٢٠١٦ .
- ❖ التباين المكاني لظاهرة الطلاق في محافظة صلاح الدين للأعوام ١٩٨٧-١٩٩٧-٢٠١٢ ، العزاوي ، قيصر علي محمد خلف ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، كلية التربية ، جامعة تكريت ، ٢٠١٣ .
- ❖ التباين المكاني لظاهرة الطلاق في مدينة كركوك لعام ٢٠١٨ ، الزنكنة ، حسين سردار محمد علي ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، كلية التربية ، جامعة تكريت ، ٢٠١٩ .
- ❖ التحليل المكاني للخصائص الديموغرافية والاجتماعية والاقتصادية للمطلقين في محافظة القادسية ، حسين ، صبرية علي ، حيدر سعدي محمد ، بحث منشور و مجلة البحوث الجغرافية ، العدد ٣٠ ، ٢٠٠٩ .
- ❖ تنامي ظاهرة الطلاق في العراق وسبل مواجهتها شرعاً ، علي ، عامر عبد الوهاب ، بحث منشور ، مجلة الجامعة العراقية ، العدد ٤٠/٢ ، ٢٠١٥ .
- ❖ جغرافية السكان ، سهاونة ، فوزي عيد، موسى عبودة ، دار وائل للنشر والتوزيع ، عمان ، ط٢ ، ٢٠٠٧ .
- ❖ الخصائص الاقتصادية لحالات الطلاق في محافظة البصرة لعام ٢٠١٣ ، العثمان ، باسم عبد العزيز عمر ، سعد عكموش نجم الصلحي ، بحث منشور ، مجلة دراسات البصرة ، العدد ٢٢ ، ٢٠١٦ .
- ❖ الطلاق في ضوء تأثير الحرب والحصار الاقتصادي في العراق، حسين ، ذكرى جميل محمد ، رسالة ماجستير (غير منشورة)، مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٩٠ .

- ❖ الطلاق واسبابه في مدينة الموصل ، السبعوي ، هناء جاسم ، بحث منشور في مجلة اضاءات موصلية ، العدد ٧٤ ، ٢٠١٣ .
- ❖ علم الاجتماع العائلي ، شكري ، علياء ، دار المسيرة للنشر والتوزيع ، عمان ، ط ٢ ، ٢٠١٢ .
- ❖ المتغيرات الجغرافية المتعلقة بظاهرة الطلاق في محافظة القادسية ، الموسوي ، انتصار ابراهيم حسين ، صديرة علي حسين العبيدي ، (بحث منشور) مجلة آداب البصرة ، العدد ٨٦ ، ٢٠١٨ .
- ❖ مشكلات اجتماعية معاصرة ، راغب ، علي عبد ، مجموعة دلتا للنشر والتوزيع ، الكويت ، ط ٢ ، ١٩٩٤ .
- ❖ وزارة التخطيط والتعاون الإنمائي ، الجهاز المركزي للإحصاء وتكنولوجيا المعلومات ، المجموعة السنوية لعامي ٢٠٠٦/٢٠٠٧ .
- ❖ وزارة التخطيط والتعاون الإنمائي ، الجهاز المركزي للإحصاء ، بيانات خاصة بمحافظة صلاح الدين لعام ٢٠٢٠ (غير منشورة).
- ❖ وزارة العدل ، محكمة استئناف صلاح الدين ، بيانات عن حالات الطلاق في محافظة صلاح الدين لعام ٢٠٢٠ (غير منشورة).

الملاحق

الملحق (١)

المسح الميداني خاصة بأجراء البحث الموسوم بـ(المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية المتعلقة بظاهرة الطلاق في محافظة صلاح الدين لعام ٢٠٢٠) يقوم به الباحث (أحمد ظاهر خسارة حسين) متعهداً بأن تكون هذه البيانات سرية دون ذكر الاسماء وهي مخصصة لأغراض البحث العلمي ونكون شاكرين تعاونكم معنا :

ملاحظة :- وضع علامة (√) على الاجابة الصحيحة

أولاً: المحافظة () القضاء () الناحية ()

ثانياً :- المتغيرات الاجتماعية المؤثرة على الطلاق :

١. الفارق في المستوى التعليمي ()

٢. الزواج المبكر ()

٣- عدم الانجاب (العقم) ()

٤- تدخل الاهل والاقارب ()

٥- عدم التوافق بين الزوجين ()

٦- الخيانة الزوجية ()

٧- عوامل اخرى () تتمثل بـ (تعدد الزوجات ، فارق العمر ، عمل

المرأة ، الحالة الصحية ، سوء معاملة الزوج)

ثالثاً: المتغيرات الاقتصادية المؤثرة على الطلاق

١- انخفاض مستوى الدخل الشهري ()

٢- عدم انفاق الزوج ()

٣- البطالة ()

٤- عدم توفر مسكن ()

الملحق (٢)

عدد الاستثمارات الموزعة لعام ٢٠١٢ حسب الوحدات الإدارية والبيئة

حجم العينة	حالات الطلاق	الوحدة الإدارية
٢٨	٤٩٨	تكريت
١٨	١٥٣	العلم
٢٨	٥٣٧	طوز
١٢	٧٩	آمرلي
١٣	٨٥	سليمان بك
٣٣	٦٥٩	سامراء
١١	٦٨	دجلة
١٤	٩٦	المعتصم
٣٠	٥١٦	بلد
٢١	١٥٨	يثرب
١٧	١٣٤	الضلوعية
١٣	٨٥	الإسحافي
٣١	٥٧٩	بيجي
١٧	١٤٣	الصينية
٢٤	٣٣٧	الدور
٣٠	٦٠٤	الشرقاط
٢٧	٥٣٦	الدجيل
٣٦٧	٥٢٦٧	المحافظة

المصدر : الدراسة الميدانية

الملحق (٣)

المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية المؤثرة على ظاهرة الطلاق في محافظة صلاح الدين لعام ٢٠٢٠

المتغيرات الاقتصادية						المتغيرات الاجتماعية							الوحدات الإدارية	
المجموع الكلي	المجموع	عدم امتلاك مسكن	البطالة	عدم انفاق الزوج	مستوى الدخل	المجموع	اخرى	الخيانة الزوجية	عدم التوافق	تدخل الاهل	عدم الانجاب	الزواج المبكر		سوء المعاملة
٢٨	١١	٢	٢	٤	٣	١٧	٢	١	٣	٢	٣	٢	٤	تكريت
١٨	٥	١	٢	--	٢	١٣	١	--	٢	٣	٢	٣	٢	العلم
٢٨	١٢	٣	٣	١	٥	١٦	٤	١	٢	١	٣	٢	٣	طوز
١٢	٦	١	٢	٢	١	٦	١	١	١	٢	--	--	١	أمري
١٣	٥	--	٢	١	٢	٨	٢	--	٢	١	١	٢	--	سليمان بك
٣٣	١٨	٤	٤	٦	٤	١٥	١	٢	١	٤	٢	٣	٢	سامراء
١١	٤	٢	١	--	١	٧	--	١	٢	--	١	٢	١	دجلة
١٤	٤	--	٢	١	١	١٠	٢	--	١	٣	٢	١	١	المعتصم
٣٠	١٤	٤	٣	٣	٤	١٦	٢	٢	٤	٢	١	٢	٣	بلد
٢١	١٠	١	٤	٢	٣	١١	١	--	٣	٢	١	٢	٢	يثرى
١٧	٧	١	٢	٢	٢	١٠	--	١	٢	١	٣	١	١	الضلوعية
١٣	٥	١	١	٢	١	٨	١	--	٢	١	٢	--	٢	الإسحاقى
٣١	١٧	٣	٥	٣	٦	١٤	٢	٢	٣	٢	١	١	٣	بيجي
١٧	٦	--	٣	١	٢	١١	٢	--	٢	١	٣	٢	١	الصينية
٢٤	١٠	١	٤	٣	٢	١٤	١	١	٤	٥	٢	١	--	الدور
٣٠	١٣	٢	٤	٢	٥	١٧	٢	٢	٣	٢	٢	٥	١	الشرقاط
٢٧	١١	٢	٣	٢	٤	١٦	١	٢	٣	٤	١	٣	٢	الدجيل
٣٦٧	١٥٨	٢٨	٤٦	٣٦	٤٨	٢٠٩	٢٥	١٦	٤٠	٣٧	٣٠	٣٢	٢٩	المحافظة

المصدر : الدراسة الميدانية

مدينة لوشة Loja الأندلسية ٩٢ - ٨٩١ هـ / ٧١٠-١٤٨٦ م

The Andalusian city of Loja 92-891 A.H. / 710-1486 A.D.

Dr. Jasim Yaseen Al-Derweesh
professor

د. جاسم ياسين الدرويش
أستاذ

Dr. Hussein Jabbar Al-Eliawi
professor
University of Basrah- College
of Education for Human
Sciences-

د. حسين جبار العليوي
أستاذ
جامعة البصرة- كلية التربية للعلوم
الإنسانية

phassim2@yahoo.com

تاريخ القبول

٢٠٢٢/١/٢٣

تاريخ الاستلام

٢٠٢١/١٢/٢٢

الكلمات المفتاحية: لوشة - نهر شنيل - بنو مناد - أبو علي العطار

Keywords: Loja - Shanil River – Banu Manad - Abu Ali al-Attar

الملخص

تقع مدينة لوشة إلى الجنوب من قرطبة وإلى الشمال الغربي من غرناطة، يشقها نهر شنيل من الجنوب إلى الشمال، ويمتد بسيطها على طول سفح جبل شلير أو جبل الثلج، وُصفت المدينة بحسن طبيعتها ووفرة المياه بها ووفرة إنتاجها من الزيتون والكروم والزروع، فتحتها المسلمون سنة ٩٢ هـ / ٧١٠ م واستوطنتها العديد من القبائل العربية .

أولتها حكومة قرطبة اهتماماً خاصاً لاسيما بعد أن استولى عليها ابن حفصون وعلى عدد من مناطقها، فأعدت بناءها وتحصينها، وقد وقف الأهالي إلى جانب حكومة قرطبة ضده حتى تمكنوا من التخلص من نفوذه، وخلال عصر الطوائف كانت لوشة ضمن أملاك بني مناد الصنهاجيين، وخلال العصرين المرابطي والموحدي قلت أهميتها بسبب تحول الاهتمام إلى إشبيلية ثم تراجع دور قرطبة، وخلال عصر بني الأحمر تحولت المدينة إلى ثغر، وساهم أهلها في الدفاع عنها ضد هجمات مملكة قشتالة حتى سقوطها سنة ٨٩١ هـ / ١٤٨٦ م.

Abstract

The city of Lousha is located to the south of Cordoba and to the northwest of Granada, Chenil River passes through the city from south to north, and its simplicity extends along the foot of Gil Schlier or the Snow Mountain. Muslims conquered it in year 92 A.H. / 710 A.D., and it was settled by many Arab tribes.

The Cordoba government gave it special treatment , especially after Ibn Hafsun seized it and a number of its areas, so it rebuilt and fortified it. The people stood by the Cordoba government against him until they were able to get rid of his control.

During the era of Altawaef, Lusha was owned by BanuMunadSanhajis, during the Almoravid and Almohad eras, its importance decreased due to the shift of interest to Seville and then the decline of the role of Cordoba, and during the era of Bani al-Ahmar, the city turned into gap city, Its people participated in defending it against the attacks of the Kingdom of Castile until its fall in the year 891 A.H. / 1486 A.D.

المقدمة

عندما دخل المسلمون إلى الأندلس أقاموا حضارة واسعة عريضة شملت معظم ربوعها، ومنذ أيام الفتح وحيث ما حلوا كانوا يقيمون تجمعات تمدنية وبينون المدن والحصون ويعيدون الحياة إلى الغابر منها، ومن هنا تأتي أهمية دراسة المدن الأندلسية، إذ أنها لم تكن وليدة الفتح بل ساهمت ظروف عدة في إحيائها وتشبيدها وتوسيعها، وهذا الأمر ينطبق على مدينة لوثة، فعلى الرغم من أن المسلمين نزلوها منذ أيام الفتح الأولى إلا أن دورها كمركز إداري لم يظهر إلا بعد بنائها سنة ٢٨٠ هـ/٨٩٣ م، واستمرت المدينة تسهم مع من جاورها من المدن في رسم أحداث البلاد حتى سقوطها بيد النصارى سنة ٨٩١ هـ/١٤٨٦ م .

وقد تطلبت مادة البحث تقسيمه إلى ثلاثة مباحث فسلطنا الضوء في الأول على الجغرافية التاريخية لما لموقعها وطبيعتها الجغرافية من أثر على الأحداث التاريخية التي مرت بها، ثم تناولنا في المبحث الثاني تاريخها السياسي والإداري بدءاً من الفتح حتى السقوط، وختمنا البحث بإسهامات أهلها في مجالات العلوم المختلفة في المبحث الثالث .

أولاً : الجغرافية التاريخية لمدينة لوشة Loja

لوشة مدينة بالأندلس تلفظ ((بالفتح ثم السكون، وشين معجمة))^(١)، وتقع إلى الجنوب من قرطبة Corodoba وإلى الشمال الغربي من غرناطة Granada، قال ياقوت : ((مدينة بالأندلس غربي البيرة قبل قرطبة منحرفة يسيراً))^(٢)، وهي اليوم على الطريق الممتد بين إشبيلية Sevilla وغرناطة^(٣).

ذهبت بعض المصادر إلى أنها من أعمال كورة البيرة Elvira^(٤)، فيما ذهب آخرون أنها من أعمال غرناطة^(٥)، وكلا القولين صحيح إذ أن الخلاف حول أن لوشة ضمن البيرة أم غرناطة هو خلاف ترتيب زمني لا خلاف مكاني، إذ كانت غرناطة مدينة صغيرة تابعة إلى كورة البيرة فلما خربت البيرة في أحداث الفتنة التي أعقبت سقوط الخلافة الأموية في الأندلس عُمرت غرناطة وضمت جميع مناطق البيرة وغلب اسمها عليها، فذكر الإدريسي ((ومدينة اغرناطة محدثة من أيام الثوار بالأندلس، وإنما كانت المدينة المقصودة البيرة فخلت وانتقل أهلها منها إلى اغرناطة))^(٦)، وإلى ذلك أيضاً أشار الحميري بقوله : ((وكانت حاضرة البيرة من قواعد الأندلس الجليلة والأمصار النبيلة فخربت في الفتنة وانفصل أهلها إلى مدينة غرناطة فهي اليوم قاعدة كورها))^(٧)، فيما أشار ابن الخطيب إلى أن الانتقال من البيرة إلى غرناطة كان بعد سنة ٤٠٠ هـ / ١٠٠٩ م بقوله : ((ولم تزل الأيام تخيف ساكنها، والعفاء يتبوأ مساكنها، والفتن الإسلامية تجوس أماكنها، حتى شملها الخراب، وتقسّم قاطنها الاغتراب، وكلّ الذي فوق التراب تراب، وانتقل أهلها مدة أيام الفتنة البربرية سنة أربعمائة من الهجرة، فما

(١) ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ٢٥٢ .

(٢) الأندلس من معجم البلدان، ص ٢٥٢ .

(٣) عنان، الآثار الأندلسية الباقية، ص ٢٣٥ .

(٤) العذري، ترصيع الأخبار، ص ٨٩ ؛ القزويني، آثار البلاد، ص ٥٠٢ ؛ الحميري،

الروض المعطار، ص ٥١٣ ؛ ابن الخطيب، اللحة البدرية، ص ١٨ ؛

(٥) أبو الفداء، تقويم البلدان، ص ١٦٨ ؛ شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص ٣٢٠ ؛ القلقشندي،

صبح الأعشى، ٢١٤/٥ ؛ المقري، نفح الطيب، ١/١٤٨ .

(٦) نزهة المشتاق، ٥٦٩/٢ .

(٧) الروض المعطار، ص ٢٨ .

بعدها، ولجأوا إلى مدينة غرناطة، فصارت حاضرة الصّقع، وأمّ المصر، ...^(١)، ويُرجح أن تكون البيرة هي المكان نفسه الذي تقوم عليه غرناطة الحديثة^(٢).

أما المسافات فإن بينها وبين البيرة ثلاثين ميلاً^(٣)، وبينها وبين قرطبة عشرون فرسخاً^(٤) وبينها وبين غرناطة عشرة فراسخ^(٥)، فيما أشار الإدريسي إلى أن بينها وبين غرناطة على النهر خمسة وعشرين ميلاً^(٦)، وقيل إنها على مرحلة^(٧) من غرناطة^(٨).

أما تسميتها فإن لفظة لوشة أسبانية تعني بلاط مربعة، وتعني أيضاً فخ لصيد العصافير^(٩)، ولعل المعنى الثاني الأقرب إليها نظراً لطبيعتها - كما سنرى - المكتظة بالجبال والأنهار والأشجار، وحكى مؤلف مجهول في هذا المعنى رواية أقرب إلى الأسطورة قال: إن في قرية بالقرب من لوشة ((أقسام عالية عليها عقبان تعشعش ولا يعلم قدمها هناك، وهي لا تترك في سائر القرى دجاجة ولا براكا، ولا تضر أهل تلك القرية التي هي بها ساكنة، فإذا حصرها الثلج، منعها من السرح في طلب قوتها صاحت من ألم الجوع صياحاً عظيماً ولا تقدم على إيذاء جيرانها في طيورهم وهي تسرح أمامها حتى يطرح لها أهل القرية ما تأكله بأيديهم))^(١٠)، وبسبب جمال لوشة وتميزها فقد أسماها ابن الخطيب ببنت غرناطة وفتية غرناطة اعتزازاً بها إذ هي مسقط رأسه^(١١)، كما أطلقت عليها الملكة إيزابيلا^(١٢) اسم الزهرة بين الأشواك^(١).

(١) الإحاطة، ١٤/١ .

(٢) الطويل، مملكة غرناطة، ص ٥٥ .

(٣) الحميري، الروض المعطار، ص ٥١٣ ؛ والميل يساوي ٢ كم، ينظر : هنتس، المكايل والأوزان الإسلامية، ص ٩٥ .

(٤) الفرسخ يساوي ٦ كم، ينظر : هنتس، المكايل والأوزان الإسلامية، ص ٩٤ .

(٥) ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ٣٥٢ .

(٦) نزهة المشتاق، ٥٧٠/٢ .

(٧) المرحلة تساوي أربعة وعشرون ميلاً أو ثمانية فراسخ، ينظر : الشربيني، مغني المحتاج إلى معرفة ألقاب المنهاج، ٥٢١/١ .

(٨) أبو الفدا، تقويم البلدان، ص ١٦٨ ؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ٢١٤/٥ .

(٩) دوزي، تكملة المعجم العربية، ٢٨٧/٩ .

(١٠) تاريخ الأندلس، ص ٦٧ .

(١١) الإحاطة، ٢١٩/١ .

(١٢) إيزابيلا بنت الملك خوان الثاني ملك قشتالة تزوجت من ابن عمها فرناندو الارجوني وعلى اثر ذلك اتحدت قشتالة وأراغون واعتلت مع زوجها العرش الاسباني وعلى يدهما كانت

وتضم مدينة لوشة المدينة القديمة بمبانيها وأزقتها ثم البسيط المحيط بها، والمدينة القديمة لا تختلف عن مثيلاتها الإسلامية من مدن العصور الوسطى حيث المسالك الضيقة والمتوية وبعضها مغلقة في آخرها وقد صممت لأغراض دفاعية يساعدها على صد غارات الأعداء وصعوبة اقتحامها فضلاً عن أنها تحمي السكان من حرارة الصيف وشدة الرياح^(٢)، وقد وصف ابن الخطيب لوشة وأزقتها بقوله: ((إلا أن داخلها حرج الأزقة، وأحوال أهلها مائلة إلى الرقة، وأزقتها قذرة، وأسباب التطوّف بها متعذرة،...))^(٣)، وبنيت بعض مبانيها على السطح فوق ريوه صخرية عالية فيما بُني البعض الآخر في منخفض الوادي، وأطلال هذه المدينة القديمة مائلة إلى اليوم حيث قلعة المدينة وبقايا بناء يُظن أنه بقايا المسجد وفيه ثلاثة عقود على صفيين ولا يحتوي على نقوش أو كتابات وقد عفي عليها الخراب، كما يقوم فيها بناء خرب كبير ذو فناء أندلسي قديم وهو على طابقين في كل منهما عدة غرف يُظن أنها من مرافق القصبه الأندلسية القديمة، وفي وسط المدينة تقوم الكنيسة التي بُنيت فوق موضع المسجد القديم، وتضم القصبه القلعة والقصر والمسجد الجامع^(٤).

أما بسيطها المحيط بها فهو يمتد على سفوح الجبال القريبة منها وأشهرها جبل شلير^(٥) وفيه كثير من الحصون والقرى، وقد أثنى ابن سعيد في وصفه لبسيطها بقوله: ((بينها وبين غرناطة مرحلة من أحسن المراحل بين أنهارٍ وظلال أشجارٍ في بساط ممتد تبارك الله الذي أبداه بديعاً في حسنه... فلو كانَ للنديا عروس من أرضها لكانَ ذلكَ الموضع))^(٦)، كما قال المقرئ عن لوشة وبسيطها: ((وهذا القطر ضخم ينضاف إليه من الحصون والقرى كثير،

نهاية الوجود الإسلامي في الأندلس وكانت وفاتها سنة ٩١٠ هـ / ١٥٠٤ م، ينظر: عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ١٨٠/٥ وما بعدها .

(١) . Wikipedia.org، مقالة عن لوشة الأندلسية .

(٢) الموسوي، العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدينة العربية الإسلامية، ص ٢٢٨ .

(٣) معيار الاختيار، ص ١٢٦ .

(٤) عنان، الآثار الأندلسية الباقية، ص ٢٣٥-٢٣٧ .

(٥) جبل شلير ويسمى جبل الثلج ويدعى الآن سيرانيفادا، وهو يتصل بجبال رية ويلتصق بالجزيرة الخضراء، طوله يومان ولا ارتفاعه فإن الثلج لا ينفك عنه صيفاً ولا شتاءً، ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٦٩/٢؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٣٩؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٣٤٣؛ حتاملة، أبيبيرا، ص ٥٠ .

(٦) المغرب في حلى المغرب، ١٥٧/٢ .

وقاعدته لوشة))^(١)، وهذا البسيط يشقه نهر شنيل من الجنوب إلى الشمال وهو غربي غرناطة وعلى ضفتيه مسافة أربعين ميلاً ((بين بساتين وقرى وضيع كثيرة البيوت والعلالي وأبراج الحمام وغير ذلك من المباني، وينتهي فحصها إلى لوشة))^(٢)، وأشار أبو الفدا إلى أن المسافة بين غرناطة ولوشة مرحلة بين البساتين والرياض^(٣)، كما وصف ابن الخطيب بسيط لوشة بقوله : ((مرأى بهيج، ومنظر يروق ويهيج، ونهر سيال، وغصن مياد، وجنات وعيون، ولذات لا تمطل بها ديون، وجداول تنتضح بها الجوانح، ومحاسن يشغل بها عن وكره السائح، ونعم يذكر بها المانع المانع، ما شئت من رجا يدور، ونطف تشفى بها الصدور، وصيد ووقود، وأعناب كما زانت اللبات عقود، وأرانب تحسبهم أيقاظا وهم رقود، إلى معدن الملح، ومعصر الزيت، والخضر المتكفلة بخصب البيت، والمرافق التي لا تحصر إلا بعد الكيت، والخارج الذي عضد مسحة الملاحة، بجدوى الفلاحة))^(٤) .

ونص ابن الخطيب أعلاه فائق الأهمية في وصف الحياة الاقتصادية لمدينة لوشة، فهو يشير إلى وفرة مياهها المتدفقة من العيون التي مصدرها الجبل المجاور والتي تشتغل من قبل السكان في تدوير الارحاء التي تستخدم في طحن الحبوب وبعضها للسقي ورفع المياه إلى البساتين التي اكتظت بأشجار الزيتون إلى جنبها معاصر الزيت، فضلاً عن وفرة الثروة الحيوانية لاسيما الطيور التي جذبت السياح وأهل البلد للنزهة والصيد، كما أشار إلى معدن الملح الذي يعد ثروة معدنية استغله أهالي لوشة لمنافعهم .

كما ينبت على سفح جبل شلير الأعشاب التي تستخدم في صناعة العقاقير الطبية وشكل أحد موارد المنطقة الاقتصادية، وقد أشار القلقشندي إلى ذلك بقوله : وبجبل شلير ((عقاقير الهند وعشب يستعمل في الأدوية، يعرفها الشجّارون لا توجد في الهند ولا في غيره))^(٥)، كما ذكر الزهري أن في بعض أعمالها ينتج الحرير بقوله : ((ويجلب الحرير من بعض أعمالها))^(٦) أي أنه يدخل في تجارة المنطقة

ومن معالمها غار في جبل عند لوشة فيه رجال أموات أشاع الناس هناك أنهم أصحاب الكهف الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم، وربما أشاعوا ذلك لجذب السياح إليهم والانتفاع منهم، وقد زار هذا الكهف الرحالة الإدريسي وسجل ملاحظته عنه نافياً أن يكونوا هم أصحاب

(١) نفع الطيب، ١/١٤٨؛ ينظر أيضاً: ابن الخطيب، الإحاطة، ١/٢٠٤ .

(٢) ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ٤/٢٢٨؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ٥/٢٠٨ .

(٣) تقويم البلدان، ص ١٦٨؛ ينظر أيضاً: المقري، نفع الطيب، ١/١٤٨ .

(٤) معيار الاختيار، ١٢٥-١٢٦ .

(٥) صبح الأعشى، ٥/٢٠٩ .

(٦) الجغرافية، ص ٩٦ .

الكهف بقوله : ((ووهم أهل الأندلس في أصحاب الرقيم حين زعموا أن أصحاب الكهف هم الشهداء الذين هم في مدينة لوشة، قال المؤلف : رأيت القوم في هذا الكهف عام عشرة وخمس مائة فنزلنا إليهم على فم بئر عميقة نحواً من قامة وزائد ثم مشينا فيه في سرب فيه ظلمة خطوات قلائل ثم اتسع الغار فألفينا هناك الموتى وهم رقود على جنوبهم وعددهم سبعة وعند أرجلهم كلب ملثو وقد ذهب لحمه وجلده وبقيت عظامه في فقارته كما هي في الحياة ولا يعلم أحد في أي زمن دخلوا هذا الكهف أو أدخلوا إليه، وأول رجل يلقى منهم له خلق عظيم وله رأس كبير وأهل الأندلس يقولون إن هؤلاء القوم الذين في هذا الكهف موتى هم أصحاب الكهف))^(١) .

ثانياً : التاريخ السياسي لمدينة لوشة

لم ترد في المصادر المتوفرة لدينا إشارة مباشرة عن كيفية فتح المسلمين مدينة لوشة أو تاريخ ذلك، إلا أنه على ما يبدو أنها فتحت أثناء فتح المسلمين لكورة البيرة وقرطبة وذلك لأنها تقع إلى الجنوب من قرطبة وغرب البيرة فمن غير المعقول أن تسير الجيوش إلى قرطبة أو البيرة دون أن تمر في لوشة أو بعض منها، فعندما تمكن طارق بن زياد من هزيمة ملك القوط الغربيين Vialgoths لوزريق في معركة وادي لكة^(٢) Rio Cuadalete في شوال من سنة ٩٢ هـ / ٧١٠ م اتجه إلى إشبيلية Sevilla فتمكن من فتحها ثم اتجه إلى مدينة إستجة Ecija^(٣) التي تجمع فيها قسم من الجيش القوطي، وبعد هزيمتهم قرر التقدم والزحف مباشرة إلى طليطلة Tolodo عاصمة القوط الغربيين، وقبل أن يشرع أرسل فرقاً من جيشه لفتح بعض

(١) نزهة المشتاق، ٨٠٣/٢ ؛ ينظر أيضاً : العذري، ترصيع الأخبار، ص ٩٢-٩٣ ؛ الزهري، الجغرافية، ص ٩٥ ؛ القزويني، آثار البلاد، ص ٥٠٢ ؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٢٧١ ؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص ٦٨ .

(٢) مدينة أندلسية من كورة شذونة، ينظر : الحميري، الروض المعطار، ص ٥١١ .

(٣) مدينة أندلسية قديمة تقع بين القبلية والغرب من قرطبة، ينظر : ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٦ ؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٥٣ .

المناطق التي تجمع فيها القوط وهي: قرطبة^(١) والبيرة ومالقة Malaga^(٢) وتدمير Tudmir^(٣).

أما بالنسبة للجيش المتجه نحو البيرة فتمكنوا من فتح مدينتها ثم فتحوا غرناطة Granada ثم مضوا إلى تدمير^(٤)، ويمكن القول إن ذلك كان في أواخر سنة ٩٢ هـ / ٧١٠ م، لأن معركة وادي لكة التي انهزم فيها القوط كما قال المقرئ: ((كانت الملاقاة يوم الأحد لليلتين بقيتا من شهر رمضان، فاتصلت الحرب بينهم إلى يوم الأحد لخمس خلون من شوال بعد تنمة ثمانية أيام، ...))^(٥)، وكان فتح قرطبة في شوال من السنة نفسها^(٦)، ولما كان طارق في طليطلة أوائل سنة ٩٣ هـ / ٧١١ م^(٧)، فهذا يعني أن دخول لوثة في حكم المسلمين كان في المدة بين شوال وذي الحجة من سنة ٩٢ هـ / ٧١٠ م، وذلك بحكم قربها من إستجة التي انطلقت منها جيوش المسلمين لفتح كورة البيرة.

تعد خصوبة أرض لوثة ووفرة المياه فيها وصلاحيتها للزراعة فضلاً عن أشجار الزيتون والمراعي عامل جذب للسكنى فيها، وليس لدينا تفاصيل كثيرة عن القبائل العربية التي استوطنت في لوثة وبسيطها وتاريخ ذلك ولكن هناك بعض الإشارات من خلال تراجم الشخصيات البارزة في لوثة التي ذكرت أن أوليتهم من لوثة وهي إشارة يفهم منها أنهم استوطنوها في وقت مبكر نذكر منهم:

-
- (١) وهي قاعدة وعاصمة الأندلس لحقبة طويلة تقع على نهر الوادي الكبير، ينظر: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٦-٢٧؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٤٥٦-٤٥٧.
- (٢) وهي كورة كبيرة في الأندلس تقع بين القبلة والشرق من قرطبة، ينظر: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٥؛ ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ٤٠.
- (٣) لمزيد من التفاصيل ينظر: مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص ١٩؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١١/٢؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ١٨/١-١٩.
- (٤) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص ٢٢-٢٣؛ ابن الخطيب، اللحة البدرية، ص ١٦.
- (٥) نوح الطيب، ٢٥٩/١؛ ينظر أيضاً: ابن عذاري، البيان المغرب، ٨/٢.
- (٦) ابن عذاري، البيان المغرب، ٩/٢-١٠؛ المقرئ، نوح الطيب، ١٢/٣.
- (٧) الحميري، الروض المعطار، ص ٣٩٤.

قبيلة يحصب اليمنية^(١) التي نزل لوشة جماعة كان لهم حضور فيها^(٢)، والراجح أن ذلك كان في عصر الفتح لأن أعداداً كبيرة من يحصب صاحبوا عملية الفتح^(٣)، كما سكنها جماعة من قبيلة الصدف^(٤) الحضرمية اليمنية^(٥)، وكان دخول هذه القبيلة إلى الأندلس على دفعتين الأولى مع القائد موسى بن نصير والأخرى مع بلج بن بشر القشيري^(٦)، فالراجح أن نزولهم لوشة كان في وقت مبكر، وهناك إشارة إلى أن عدداً من أفراد مذحج^(٧) نزلوها أيضاً^(٨)، كما نزلها في وقت مبكر عدد من أبناء قبيلة المعافر^(٩) اليمنية، وأول من نزلها هم ولد عقبة بن نعيم المعافري الداخل إلى الأندلس حيث نزلوا في قرية شنكب من عمل لوشة^(١٠)، كما نزلها أعداد من موالي بني أمية وأغلب هؤلاء الذين دخلوا الأندلس مع بلج القشيري^(١١)، ومن أشهرهم بني خالد وهم موالي الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) ولهم جبل

(١) وهم نسبة إلى يحصب بن مالك بن زيد بن غوث بن سعد الحميري، ينظر: ابن حزم، جهرة أنساب العرب، ص ٤٣٥.

(٢) ابن الأبار، التكملة، ٢/٢٦؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ٢/١٧٤، ٣/٢٩٣.

(٣) طه، الفتح والاستقرار، ص ٢٠٦.

(٤) هو الصدف بن أسلم بن زيد بن مالك بن حضرموت، ينظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٤٦١.

(٥) ابن الأبار، التكملة، ٣/١١٠، ٤/١٤٣، ٤/٥٥.

(٦) طه، الفتح والاستقرار، ص ٢٠١؛ وبلج بن بشر القشيري هو الذي عبر إلى الأندلس بجند الشام بعد هزيمتهم إمام البربر وتمكن بعد ذلك من الاستيلاء على السلطة فيها، وكانت ولايته فيها أحد عشر شهراً وتوفي سنة ١٢٤ هـ/٧٤١ م، ينظر: ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٦٥، ٦٨، ٧٠.

(٧) مذحج هو مالك بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ، ينظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٣٩٧.

(٨) ابن الأبار، التكملة، ١/٣٦٢.

(٩) المعافر نسبة إلى يعفر بن الحارث بن مالك بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ، ينظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٤١٨.

(١٠) ابن الخطيب، الإحاطة، ٣/٤٠٠.

(١١) طه، الفتح والاستقرار، ص ٢٢٢.

يعرف بجبل أبي خالد مطل على لوثة، قال ابن الخطيب : ((كان لهم ظهور هنالك، وفيهم أعلام وفضلاء))^(١) .

ويبدو أن مدينة لوثة Loja عاشت هادئة بعيدة عن الأحداث التي الكبيرة حتى منتصف القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي ولعل ذلك راجع إلى قربها من قرطبة وقوة الدولة وحكامها آنذاك فضلاً عن أن الأضواء كانت تسلط على الحواضر الكبرى، فكانت البيرة هي قصبة الكورة وإليها يقصد العمال والولاة^(٢) .

إلا أن عهد الأمير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الثاني (٢٧٥-٣٠٠ هـ/٨٨٨-٩١٢ م) شهد العديد من التمردات والفتن الداخلية، وقد وصف ابن الأثير عهده بقوله : ((وفي أيامه امتلأت الأندلس بالفتن، وصار في كل جهة متغلب ولم تزل كذلك طول ولايته))^(٣) .

ويبدو أن الحركات قد استفحلت في معظم مناطق الأندلس ولم تبق قاصرة على المناطق الجبلية، بل تجاوزها إلى القواعد والمدن الكبيرة مثل إشبيلية^(٤) وبطليوس Badajoz^(٥) وجيان Jaen والبيرة وقيرة Cabra ولورقة Lorca ومرسية Murcia وغيرها، ومن أشهر حركات التمرد التي شهدتها المنطقة هي حركة عمر بن حفصون^(٦) وكانت بدايتها من حصن ببشتر Bobastro في إقليم رية Rejio والتف حوله جماعة من المولدين مستغلاً حالة الانفلات الأمني الذي ساد في عهد الأمير عبد الله بن محمد (٢٧٥-٣٠٠ هـ/٨٨٨-٩١٢ م) فاستولى على مناطق واسعة من كورة البيرة وشذونة Sidonia وجيان، وأشار ابن الخطيب إلى أن ابن حفصون ((اتسع نظره حتى تملك كورة رية، والخضراء، والبيرة، إلى بسطة، وأبده،

(١) الإحاطة، ٢٢٩/١ .

(٢) ينظر مثلاً : ابن الأبار، الحلة السرياء، ١ / ١٥٦، ١٦١، ٢٤١ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١٠٥/٢، ١٠٩، ١٦٣، ١٨٢ .

(٣) الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٢٠٩ .

(٤) مدينة أندلسية قديمة تبعد عن قرطبة ثمانين ميلاً، ينظر : الحميري، الروض المعطار، ص ٥٨ ؛ أبو الفداء، تقويم البلدان، ص ١٧٤-١٧٥ .

(٥) مدينة تقع غرب الأندلس تبعد عن ماردة أربعين ميلاً، ينظر : الحميري، الروض المعطار، ص ٩٣ .

(٦) عمر بن حفصون كان من المولدين ثار بالأندلس بإقليم رية سنة ٢٦٧ هـ/٨٨٠ م واستمرت ثورته حتى عهد الناصر إذ تمكن من القضاء عليه، وكانت وفاته سنة ٣٠٥ هـ / ٩١٧ م، ينظر : ابن حيان، المقتبس، (للحقة ٢٧٥-٣٠٠ هـ / ٨٨٨-٩١٢ م) ص ٧٢-٧٧ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١٠٤/٢ وما بعدها ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٣٢/٢-٣٥ .

وبياسة، وقيرة، إلى حصن بلي المطل على قرطبة، وأشرق الخلافة بريقها، (...))^(١)، وهذا يعني أن نفوذه امتد إلى مدينة لوشة .

وفي سنة ٢٧٦ هـ/ ٨٨٩ م تمكن الأمير عبد الله من هزيمة ابن حفصون مما أجبره على الاعتراف بذنبه وعقد الصلح مع الأمير، إلا أن ابن حفصون لم يلتزم بذلك فقد نقض الصلح سنة ٢٧٩ هـ/ ٨٩٢ م وأخذ يوسع نفوذه جنوباً، وهو ما دفع الأمير عبد الله إلى إرسال ولده الأمير مطرف على رأس جيش تمكن خلاله من هزيمة ابن حفصون في معقله بقلعة ببشتر إلا أنه لم يتمكن من تعقبه، عندها حاول الأمير المطرف فرض حصار عليه لمنعه من التمدد جنوباً باتجاه غرناطة، فعمل على مهاجمة مدينة لوشة وتحصينها وشحنها بالجيش وترك عليها أحد قواده وهو إدريس بن عبد الله عاملاً عليها الذي وطد الطاعة فيها^(٢)، وبذلك أصبحت مدينة لوشة مركزاً تنطلق منه جيوش الإمارة الأموية لمهاجمة ابن حفصون .

ففي سنة ٢٩١ هـ/ ٩٠٣ م خرج جيش الإمارة بقيادة الأمير أبان بن الأمير عبد الله نحو مناطق ابن حفصون من الشمال فيما أوعز إلى قائده أحمد بن محمد بن أبي عبدة ليهاجم ابن حفصون من لوشة جنوباً، وقد تمكن جيش الإمارة من هزيمة ابن حفصون وأسر أعداداً كبيرة من قواته وقتل أعداداً أخرى وقد أرسل الأسرى ورؤوس القتلى إلى مدينة لوشة^(٣)، ويتضح من الأحداث أعلاه أن أهل لوشة كان لهم دور كبير في مقارعة ابن حفصون بنصرتهم جيش حكومة قرطبة، وبعد ذلك لم تشهد مدينة لوشة أحداثاً كبيرة طيلة عهد عبد الرحمن الثالث الناصر ما يعني استقامة الأمور بها .

كما يبدو أن قبضة حكومة قرطبة استمرت بعد ذلك لعدم ذكر المصادر أحداثاً مهمة وقعت فيها واستمر ولاء الناس وطاعتهم، ففي سنة ٣٦٠ هـ/ ٩٧٠ م استقبل الخليفة الحكم المستنصر بالله (٣٥٠-٣٦٦ هـ/ ٩٦١-٩٧٦ م) وفود أهل الأندلس الذين قدموا عليه لمشاهدة

(١) الإحاطة، ٢٦/٤ .

(٢) ابن حيان، المقتبس، (للحقب ٢٧٥-٣٠٠ هـ / ٨٨٨-٩١٢ م)، ص ١٣٠ - ١٣١ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/ ١٢٤ .

(٣) ابن حيان، المقتبس، (للحقب ٢٧٥-٣٠٠ هـ / ٨٨٨-٩١٢ م)، ص ١٦٢ - ١٦٣ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/ ١٤٠-١٤١ .

وفد المغرب من زناتة^(١) في بلاط الخليفة وكان في مقدمتهم وفد أهل لوشة^(٢) .
 وبعد سقوط الدولة العامرية وظهور في الأندلس ما يسمى بالفتنة^(٣) في بداية القرن
 الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي وما تلاها من سقوط الخلافة الأموية سنة ٤٢٢ هـ/
 ١٠٣٠ م بدأ عصر جديد في الأندلس أطلق عليه المؤرخون عصر دويلات الطوائف
 Taifas, Los (٤٢٢-٤٨٤ هـ/ ١٠٣٠-١٠٩١ م) وأحسن وصف لهذا جاء على لسان ابن
 الخطيب إذ قال : ((نقول وبالله الاستعانة ومنه الحول والقوة ذهب أهل الأندلس من الانشقاق،
 والانشعاب، والافتراق إلى حيث لم يذهب كثير من أهل الأقطار، مع امتيازها بالمحل القريب
 والخطة المجاورة لعباد الصليب، ليس لأحدهم في الخلافة إرث، ولا في الإمارة سبب، ولا في
 الفروسية نسب، ولا في شروط الإمامة مكتسب، اقتطعوا الأقطار واقتسموا المدائن الكبار،
 وجبوا العملات والأمصار، وجندوا الجنود، وقدموا القضاة، وانتحلوا الألقاب، وكتبت عنهم
 الكتاب الأعلام، وأنشدهم الشعراء، ودونت بأسمائهم الدواوين، وشهدت بوجود حقهم الشهود،
 ووقفت بأبوابهم العلماء، وتوسلت إليهم الفضلاء، وهم ما بين محبوب، وبريري محبوب، ومجدد
 غير محبوب، وغفل ليس في السراة بمحسوب، ما منهم من يرضى أن يسمى ثائراً، ولا لحرب
 الحق مغايراً، وقصارى أحدهم يقول : أقيم على ما بيدي، حتى يتعين من يستحق الخروج به
 إليه، ولو جاءه عمر بن عبد العزيز لم يقبل عليه، ولا لقي خيراً لديه، ولكنهم استوفوا في ذلك
 أجالا وأعماراً، وخلفوا آثاراً، وإن كانوا لم يبالوا اغتراراً، من معتمد، ومعتضد، ومرتضى،
 وموفق، ومستكفي، ومستظهر، ومستعين، ومنصور، وناصر، ومتوكل))^(٤) .

(١) ينظر التفاصيل عن استقبال وفد زناتة ومعهم جعفر بن علي بن حمدون في الأندلس :
 ابن حيان، المقتبس (للحقة ٣٦٠-٣٦٤ هـ / ٩٧٠-٩٧٤ م) ص ٥٦-٥٧ ؛ ابن عذاري،
 البيان المغرب، ٢/٢٤٢-٢٤٣ .

(٢) ابن حيان، المقتبس (للحقة ٣٦٠-٣٦٤ هـ / ٩٧٠-٩٧٤ م) ص ٥٧ .

(٣) يقصد بالفتنة هي المدة التي تلت سقوط الدولة العامرية سنة ٣٩٩ هـ/ ١٠٠٨ م حتى
 نهاية الخلافة الأموية في الأندلس سنة ٤٢٢ هـ / ١٠٣٠ م، ينظر : العذري، ترصيع الأخبار،
 ص ١٦ ؛ المراكشي، المعجب، ص ٧١ ؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ١/ ١٥٥ ؛
 ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/ ٢٥٣ .

(٤) أعمال الأعلام، ٢/ ١٣٩-١٤٠ .

وهكذا انقسمت الأندلس إلى دويلات فكانت مدينة لوشة من نصيب بني مناد الصنهاجيين ^(١) الذين حكموا المنطقة للمدة من ٤٠٣ - ٤٨٣ هـ / ١٠١٢ - ١٠٩٠ م ^(٢)، وقد امتدت حدود دولتهم إلى جيان وبسطة Baza وإستجة وما تحت أقسام قرطبة ^(٣) وبذلك فقد أصبحت لوشة ومنطقتها ضمن دولتهم .

وفي أواخر عهد أميرها حبوس بن باديس (٤٢٩-٤٦٧ هـ / ١٠٣٧-١٠٧٤ م) رابع حكام بني زيري في غرناطة أخذ عمال المناطق التابعة له يتدخلون في شؤون الدولة وذلك بسبب إطلاق يد وزرائه في الحكم، ففي وزارة الناية ^(٤) الذي وصفه ابن بلقين (بأنه الحاكم دون السلطان) ^(٥) تأمر صاحب باغة Priego وصاحب قبيرة وصاحب وادي أش Guadix على الإيقاع بالناية، فعلاً تمكنوا من قتله ^(٦)، وذلك يدل على تنامي نفوذ أولئك الولاة في مناطقهم، وامتدت حالة التمرد إلى مدينة لوشة في عهد عبد الله بن بلقين (٤٦٧ - ٤٨٣ هـ / ١٠٧٤ - ١٠٩٠ م) إذ ضعفت دولة بني مناد الصنهاجيين في غرناطة وتكالب عليها بقية دويلات الطوائف ^(٧)، فضلاً عن عمال المدن والحصون التابعة لها .

فقد ثار مؤمل ^(٨) أحد عبيد باديس على الأمير عبد الله بن بلقين في لوشة، وهناك روايتان عن هذه الثورة، ذكر الأولى الأمير عبد الله في مذكراته، إذ أشار إلى أنه عندما رأى

(١) ينظر عن نسب بني مناد في غرناطة : ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٤٩٥ ؛ ابن خلدون، العبر، ٢٣٨/٦ ؛ الفلقشندي، نهاية الأرب، ص ٣١٧ .

(٢) ينظر التفاصيل عن دولة بني مناد : عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ١٢٠/٢ - ١٤٦ .

(٣) ابن بلقين، التبيان، ص ٣٤، ١٣٧ ؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ٢٣٨/١ ؛ أعمال الأعلام، ٢١١/٢ ؛ الطويل، مملكة غرناطة، ص ١٤٦ .

(٤) كان الناية عبداً للمعتضد بن عباد واتهم بالتآمر عليه ففر إلى حبوس بن باديس الذي قرّبه وحظي عنده حتى استوزره بعد مقتل وزيره اليهودي يوسف بن نغالة، ينظر : ابن بلقين، التبيان، ص ٣٥-٣٦ .

(٥) التبيان، ص ٤٤ .

(٦) ابن بلقين، التبيان، ص ٤٦-٤٧ .

(٧) ينظر المزيد عن حالة دولة بني مناد أيام عبد الله بن بلقين : ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢١٢/٢ - ٢١٤ ؛ الطويل، مملكة غرناطة، ص ١٧١-١٧٧ ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ١٤٢/٢ - ١٤٦ .

(٨) مؤمل أحد عبيد باديس بن حبوس كان ذو دهاء وفطنة فقرّبه الأمير عبد الله بن بلقين، ولما دخل يوسف بن تاشفين الأندلس نصح مؤمل الأمير عبد الله بخلع نفسه فرفض الأمير

كثرة الثورات عليه في أطراف دولته وعجز قواده عن القيام بمهامهم عمل على اعتقال عدد منهم مما أثار حفيظتهم ومن بينهم صاحب المدينة لبيب الخصي، وكان مؤملاً خارج غرناطة فلما علم بما جرى خاف على نفسه فقصد لوشة واتفق مع عاملها واجتمع بجند لوشة وأوهمهم بأنه لجأ إليهم للتخلص من يرثين النصارى الذين استحوذوا على غرناطة ومقدراتها، كما خاطب أمراء الطوائف في الأندلس للوقوف إلى جانبه ضد الأمير عبد الله بن بلقين، إلا أنه لم يجبه أحد، ولما يئس من نصرتهم أرسل إلى يوسف بن تاشفين (١) أمير المرابطين Almoravides, Los للقيام بدعوته، كما أرسل إلى عمال المدن والحصون الآخرين التابعين لغرناطة بالخروج معه، إلا أنهم شكوا بنيته فأرسلوا إلى غرناطة للاطلاع على حقيقة الوضع فأخبرهم الأمير عبد الله فعلموا أنه مخالف وطلبوا من الأمير عبد الله بن بلقين العون لمنزلته، فأرسل إليه الأمير يدعوه إلى الطاعة ويحذره سوء العاقبة، فلما يئس منه أرسل إليه جيشاً تمكن من دخول لوشة والقبض على مؤملاً ومن معه، ثم استشار الفقهاء فأفتى فريق منهم بقتلهم وأفتى آخرون بغير ذلك فأثر الأمير البقاء عليهم مع سجنهم (٢).

أما الرواية الثانية فذكرها ابن الخطيب قال: إن مؤملاً أشار على الأمير عبد الله بالخروج إلى يوسف بن تاشفين متى قرب من غرناطة، فغضب عليه الأمير عبد الله ففر إلى لوشة فملكها ودعا ليوسف بن تاشفين فيها، فكان ذلك من أدعى الأسباب للأخير بمهاجمة غرناطة، عندها بادر الأمير عبد الله بإرسال جيشه إلى لوشة وتغلب على مؤملاً وساقه إلى غرناطة وسجنه، ولما علم ابن تاشفين بذلك أرسل إلى الأمير عبد الله بإطلاق سراحه فأطلقه إذ لم يسعه مخالفته (٣).

عبد الله وغضب عليه مما اضطره إلى الفرار إلى لوشة وهناك دعا للمرابطين إلا أن الأمير عبد الله أرسل إليه من قبض عليه وسجنه ثم عفا عنه، وكانت وفته سنة ٤٩٢ هـ/١٠٩٨ م، ينظر: ابن الخطيب، الإحاطة، ٢٥١/٣-٢٥٣.

(١) يوسف بن تاشفين أمير المرابطين ومؤسس دولتهم التي وطد أركانها، وكان له دور كبير في فتح بعض مناطق المغرب ومن ثم الأندلس إذ عبر إليها بجيش كبير بعد استجد الأندلسيين به، وتمكن من إلحاق هزيمة كبيرة بقوات مملكة قشتالة بقيادة الفونسو السادس في معركة الزلاقة سنة ٤٧٩ هـ/ ١٠٨٦ م، بعدها قام بتوحيد الأندلس تحت حكمه، وتوفي سنة ٥٠٠ هـ/ ١١٠٦ م، ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٤٦٨/٣-٤٧٦؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ١٣٦-١٥٦.

(٢) التبيان، ص ١٣٦ - ١٣٨؛ ينظر أيضاً: الطويل، مملكة غرناطة، ص ١٧٦.

(٣) الإحاطة، ٢٥٢/٣-٢٥٣.

ومن كلا الروائيتين يتبين أن معارضة قامت في غرناطة ضد الأمير عبد الله بن بلقين أخذت تنادي بخلة وطاعة المرابطين لما رأوا أن الرياح تجري لصالحهم في الأندلس عسى أن ينالوا لديهم حظوة، وفعلاً حدث ذلك، إذ أشار ابن الخطيب إلى أن يوسف بن تاشفين عندما دخل غرناطة ((قَدَمَ مَوْمَلاً عَلَى مُسْتَخْلَصِهِ وَجَعَلَ بِيَدِهِ مِفْتَاحَ قَصْرِهِ، فَنَالَ مَا شَاءَ مِنْ مَالٍ وَحِظْوَةٍ، وَاقْتَتَى مَا أَرَادَ مِنْ صَامِتٍ وَذَخِيرَةٍ... رَزَقَهُ اللهُ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ، أَيَّامَ حَيَاتِهِ، مَنْزِلَةً لَطِيفَةً وَدَرَجَةً رَفِيعَةً))^(١).

وكان دخول يوسف بن تاشفين إلى غرناطة في رجب من سنة ٤٨٤ هـ/١٠٩١ م^(٢)، والراجح أن مدينة لوثة ومدن غرب غرناطة دخلت في حوزة المرابطين قبل هذا التاريخ بقليل، إذ أشار الأمير عبد الله إلى أن يوسف بن تاشفين أرسل إلى جميع حصون الغرب التابعين لدولته رسائل جاء فيها: ((أما بعد : فقد " جَاءَ الْحَقُّ وَرَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا " (٣) إن لم تطوعونا " فَأَذْنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ " (٤)، وإن خطابه لم يرد على معقل إلا وألقى بيده، وقام أهله على إخراج قائدهم، حتى تناثرت المعقل كلها كانتنثار العقد،...، وقلت : لا طاقة لي بجميع أهل البلاد إذ غدروا وخرجوا عن الطاعة))^(٥).

ويبدو أن مدينة لوثة ظلت تابعة إلى أمراء البيت المرابطي في غرناطة وكان فيها يحيى بن علي بن غانية^(٦) حتى سنة ٥٤٣ هـ/ ١١٤٨ م، وعلى الرغم من عدم ورود نص مباشر إلا أن المفاوضات التي جرت بين يحيى بن غانية والموحدين Almohades, Los حول تسليم قرطبة لهم كانت في إستجة ثم اتفق الطرفان على أن يسلم ابن غانية قرطبة

(١) الإحاطة، ٢٥٣/٣.

(٢) ابن الخطيب، الإحاطة، ٣٠٦/٤.

(٣) من الآية ٨١ من سورة الإسراء.

(٤) من الآية ٢٧٩ من سورة البقرة.

(٥) التبيان، ص ١٤٨.

(٦) ابن الخطيب، للمحة البدرية، ص ٢٠، هو يحيى بن علي بن غانية من قبيلة مسوفة البربرية، وغانية أمه، كان رجلاً صالحاً عارفاً بالفقه والحديث، ومع هذا كان فارساً شجاعاً، أرسله الأمير المرابطي علي بن يوسف بن تاشفين إلى الأندلس وتمكن من توطيد الأمور فيها، فعينه والياً على بنسبية ثم على قرطبة، وكانت وفاته في حدود سنة ٥٤٢ هـ/١١٤٧ م، ينظر : المراكشي، المعجب، ص ١٩٦ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٤٠-٤١ ؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ٣٠١/٤.

وقرمونة Carmona إلى الموحدين^(١)، وجغرافياً فإن لوثة تقع قرب إستجة^(٢) ما يعني أنها دخلت في حوزة الموحدين في سنة ٥٤٣ هـ / ١١٤٨ م، وقد أشار ابن الخطيب إلى ذلك صراحة عند ذكره لوثة يحيى بن غانية في غرناطة، إذ ذكر أن فلوج العليج مولى ابن غانية انتقل بعد وفاة مولاة إلى حصن بني بشير إلا أنه ما لبث أن غادر الحصن مخلفاً عليه رجلاً يدعى ابن مالك ولحق بأخي مولاة إسحاق بن محمد بن غانية الذي قبض عليه وقتله، فلما بلغ ذاع خبر مقتله بادر الموحدون الذين كانوا بلوثة بالاستيلاء على الحصن^(٣)، ولما كانت وفاة يحيى بن غانية في غرناطة في شعبان سنة ٥٤٣ هـ / ١١٤٨ م^(٤) فهذا يعني أن دخول الموحدين إلى لوثة قبل ذلك التاريخ .

وفي الحقبة الأولى من العهد الموحي لم تشر المصادر التي بين أيدينا إلى أحداث وقعت فيها أو إلى ولايتها ولعلها كانت تابعة إلى ولاية الموحدين في غرناطة، ولكن بعد هزيمة الموحدين في موقعة العقاب سنة ٦٠٩ هـ / ١٢١٢ م^(٥) دخلت دولتهم في مرحلة من الضعف والانحلال، فشب صراع داخلي على السلطة بين أسرة بني عبد المؤمن، وفي الأندلس تحفزت القوى المحلية للانفراد بالسلطة في مختلف المناطق والثورة على الموحدين على نفس الصورة التي جرت في أواخر عهد المرابطين، وبخصوص لوثة فقد تأثرت بما جرى من منافسات بين أبناء بني عبد المؤمن، فتولى حكم الدولة الموحدية بعد وفاة الخليفة الناصر (٥٩٥-٦١٠ هـ / ١١٩٨-١٢١٣ م) ابنه المستنصر بالله^(٦) الذي حكم حتى سنة ٦٢٠ هـ / ١٢٢٣ م إذ توفي فجأة فبايع أهل مراكش عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن (٦٢٠-٦٢١ هـ / ١٢٢٣-١٢٢٤ م) بالخلافة فعارض بيعته ابن أخيه أبو محمد عبد الله بن يعقوب المنصور الذي كان والياً على مرسية Murcia بالأندلس فدعا أشياخ الموحدين إلى بيعته فتم له ذلك في سنة ٦٢١ هـ / ١٢٢٤ م وتلقب بالعدل (٦٢١-٦٢٤ هـ / ١٢٢٤-١٢٢٦ م) وسار إلى إشبيلية وأخذ في تدبير الأمور، فأصبح للدولة الموحدية خليفتان أحدهما في مراكش والآخر في إشبيلية، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، ذلك أن ابن عمّ العدل أبو محمد عبد الله بن محمد

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٤١ .

(٢) ينظر الخارطة .

(٣) الإحاطة، ٢١٧/٤ .

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٤٢ ؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ٣٠٢/٤ .

(٥) ينظر التفاصيل عن موقعة العقاب : ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٢٦٣-٢٦٥ .

(٦) تولى الخلافة في الدولة الموحدية للمدة (٦١٠-٦٢٠ هـ / ١٢١٣-١٢٢٣ م)، ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ٢٤١-٢٤٣ .

بن يوسف بن عبد المؤمن المعروف بالبياسي خلع بيعة العادل ودعا لنفسه خليفة للموحدين وأطاعه أهل جيان وأبدة Ubeda وبياسة Baeza^(١)، والراجح أن لوثة قد دخلت هي الأخرى في طاعة البياسي طيلة مدة حكمه، وقد أشار ابن عذاري إلى ذلك بقوله : ((قام عبد الله البياسي بالأندلس وكان العادل ولاء قرطبة، فخلع دعوة العادل، وخرج عن طاعة الموحدين، واستعان بالنصارى عليهم ودلهم على عورات تلك البلاد وأدخلهم قيجاطة Quesada^(٢) وغيرها من بلاد المسلمين، فتملكوا الأموال وقتلوا الرجال وسبوا الحريم والأولاد، ثم دخل بهم حصن باجة ولوثة وغيرها من الحصون الإسلامية،...))^(٣) .

فيما أشار الحميري إلى أن البياسي استعان بالنصارى للسيطرة على العديد من المناطق جنوب قرطبة بقوله : ((كان عبد الله صاحب بياسة من بني عبد المؤمن وهو المعروف بالبياسي استدعى عدو الدين لما نزل عليه العادل ببياسة، فحاصره فأقلع عنه دون شيء، فلما لم يجد في المسلمين كبير إعانة استدعى النصارى فوصلوا إليه، فسلم إلى ألفنش بياسة وجازى أهلها شرّ الجزاء، بعد ما آووه ونصروه، فأخرجهم منها وسار مع الفنش ليأخذ معاقل الإسلام باسمه، فدخل قيجاطة من عمل جيان بالسيف، فقتل العدو فيها خلقاً كثيراً وأسر آخرين، وكان حديثها شنيعاً تنفر منه القلوب والأسماع، ثم نهض أيضاً ومعه العدو إلى لوثة من عمل غرناطة، فاعتصم أهلها بسورها الحصين وقاتلوا أشد القتال، وأسمعوه ما أهاج غيظه، فلما تمكن منها سلط عليهم عدوهم في الدين ففتكوا بهم أشد الفتك، ثم ساروا إلى بيغو (باغة) هذه فأطال مع الفنش حصارها إلى أن دخل البلد بعد شدة وصالحه أهل القلعة، وما زال أمره يقوى إلى أن احتوى على قرطبة ومالقة وكثير من معاقل هاتين القاعدتين وبلادهما،...))^(٤) .

ثم قرر البياسي بعد أن فرض سيطرته على معظم مناطق الأندلس الوسطى، أن يستولي على إشبيلية ويقضي على منافسه نهائياً، فخرج بقواته صوبها سنة ٦٢٣ هـ/١٢٢٦ م فاستعد الجيش الموحدى للقائه ونشبت معركة هُزم فيها البياسي، ومزق جيشه، وارتد إلى قرطبة الذين

(١) الحميري، الروض المعطار، ص ١٢١ .

(٢) قيجاطة مدينة أندلسية من أعمال مدينة جيان، ينظر : الحميري، الروض المعطار، ص ٤٨٨ .

(٣) البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٢٧١ .

(٤) الروض المعطار، ص ١٢٢ .

ثاروا عليه وقتلوه في نفس السنة أعلاه^(١)، وهذا يعني أن لوشة عادت مرة أخرى إلى نفوذ الموحيدين، وقد أشار المقري إلى ذلك بقوله : ((ودخل العدو لوشة سنة اثنتين وعشرين وستمائة، مع السيد أبي محمد البياسي في الفتنة التي كانت بينه وبين العادل، فعاتوا فيها أشد العيث، ثم ردها المسلمون))^(٢) .

ولكن اضطراب الأمور في الدولة الموحدية أدى إلى قيام ثورات عديدة في الأندلس، ويقدر ما يتعلق الأمر بلوشة فإن أشهرها تلك التي قادها محمد بن يوسف بن هود الجذامي^(٣) ومحمد بن يوسف بن الأحمر^(٤)، وكان الأول قد ثار على الموحيدين سنة ٦٢٥ هـ/١٢٢٧ م في شرق الأندلس وسرعان ما تمكن من السيطرة على معظم مناطق الأندلس في الوسط والشرق كما حاول مدّ نفوذه إلى الغرب الأندلسي وغدا أكبر الثوار الذي سيوحد الأندلس على يديه ، وقد علق ابن الخطيب على ذلك بقوله : ((وصرح له تملك الأندلس، وأطاعته سبته، وملك رباط الفتح))^(٥)، كما ذكر ابن أبي زرع أنه في سنة ٦٢٨ هـ/١٢٣٠ م ملك الأندلس ابن هود ولم يبق للموحيدين فيها أمرٌ ولا نهى^(٦)، وعلى هذا فإن لوشة كانت ضمن نفوذه .

إلا أن الذي خطف من ابن هود آماله هو ظهور الثائر الآخر من بني نصر وهو محمد بن يوسف بن الأحمر الملقب بالغالب بالله الذي يرجع نسب عائلته كسادة على حصن

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحيدين، ص ٢٧١ ؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ٢٧٤ .

(٢) نفح الطيب، ٤/٤٦١ .

(٣) وهو من سلالة بني هود حكام سرقسطة ملك مرسية وقرطبة وإشبيلية وغرناطة ومالقة والمرية بعد انقراض دولة الموحيدين وأعلن الخطبة العباسية، وكانت وفاته سنة ٦٣٥ هـ/١٢٣٧م، ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحيدين، ص ٢٨٨-٢٨٩ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢/٢٤٦-٢٥٠ ؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص ٢٦٤-٢٦٦ .

(٤) محمد بن يوسف بن الأحمر النصري من سلالة الصحابي سعد بن عبادة الأنصاري ظهر في أواخر الدولة الموحدية في الأندلس وخضعت له العديد من المعازل الجنوبية ومنها غرناطة، وأخذ سلطانه يتسع بعد وفاة ابن هود، وتمكن من تكوين مملكة له وراثية استمرت حتى نهاية الإسلام في الأندلس، وكانت وفاته سنة ٦٧١ هـ/١٢٧٢ م، ينظر : ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحيدين، ص ٢٩٦ ؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ٣/٢ وما بعدها ؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص ٢٦٧-٢٦٩ .

(٥) أعمال الأعلام، ٢/٢٤٨ ؛ ينظر أيضاً : الإحاطة، ٢/٧٦ .

(٦) الأنيس المطرب، ص ٢٧٥ .

أرجونة Arjona^(١) الواقعة على مقربة من نهر الوادي الكبير Rio Guadalquivir، وكان لبني نصر في تلك المنطقة عصبية ووجاهة، فلما اضطرت الأمور في الدولة الموحدية وظهر ابن هود في شرق الأندلس، لاحت لمحمد بن يوسف بن الأحمر فرصة الظهور، فدعا لنفسه وبويع أولاً في أرجونة موطن أسرته وأنصاره وفي المناطق القريبة منها وذلك سنة ٦٢٩ هـ/ ١٢٣١ م^(٢).

ومن أرجونة أخذ ابن الأحمر يوسع نفوذه، ففي سنة ٦٣٠ هـ/ ١٢٣٢ م تمكن من الدخول إلى مدينة جيان وقرطبة وبعض مناطق غرب الأندلس^(٣) ثم أطاعته أهالي مدينتي بسطة ووادي آش^(٤)، وهذا يعني أن لوثة قد أصبحت ضمن مناطق نفوذه، وهكذا قوى أمره وأخذ يتطلع إلى الاستيلاء على القواعد الجنوبية، وأراد أن يستظل بلواء سلطة إسلامية مرموقة، فدعا أولاً للأمير أبي زكريا الحفصي^(٥) صاحب إفريقية، وتلقى منه بعض العون، ولكنه عاد فخطب للخليفة العباسي المستنصر بالله^(٦) (٧).

ويبدو أن ابن هود شعر بخطورة هذه الحركة التي يضطلع بها منافسه الجديد، فأخذ يتأهب لمواجهة والقضاء على حركته، كما أن ابن الأحمر كان مستعداً لمواجهة ابن هود لكي يكون هو على رئاسة الأندلس، وقد تأهب الطرفان للمواجهة العسكرية، وحشد كل منهما ما استطاع من قواته، وحدث الصدام على مقربة من إشبيلية، وانتهت المعركة بهزيمة ابن هود وانتصار ابن الأحمر سنة ٦٣١ هـ/ ١٢٣٣ م^(٨).

- (١) بلد ناحية جيان بالأندلس، ينظر: ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ٢٥.
- (٢) ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٢٩٦.
- (٣) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ٢٧٥-٢٧٦؛ ابن الخطيب، اللحة البدرية، ص ٣١؛ ابن خلدون، العبر، ٦/٣٩٥-٣٩٦.
- (٤) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٤/٤١٥.
- (٥) هو أبو زكريا يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص عمر الهنتاتي بويع له بالخلافة في الدولة الحفصية سنة ٦١٨ هـ/ ١٢٢١ م وتوفي سنة ٦٤٩ هـ/ ١٢٥١ م، ينظر: ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ص ١٢٥-١٢٧.
- (٦) تولى الخليفة المستنصر بالله الدولة العباسية للمدة من ٦٢٣-٦٤٠ هـ/ ١٢٢٦-١٢٤٢ م، ينظر: السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٥٤٤-٥٤٨.
- (٧) ابن الخطيب، اللحة البدرية، ص ٣١؛ ابن خلدون، العبر، ٤/٢١٨؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٤/٤٣٢-٤٣١.
- (٨) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ٢٧٦.

إلا أن الأمور قد تغيرت فيما بعد، إذ أدرك الطرفان خطر الحرب فيما بينهما، وأن المستفيد الوحيد من ذلك هم النصارى المتمثلون بمملكة قشتالة، لذا عقد الصلح بينهما في سنة ٦٣١ هـ/ ١٢٣٣ م، وكان من نتائج هذا الصلح أن يعترف ابن الأحمر بطاعة ابن هود مقابل أن يقره الأخير على جيان وأرجونة وبركونة Porcuna وأحوازها^(١) وقرطبة وقرمونة^(٢)، ولكن سقوط قرطبة بيد النصارى سنة ٦٣٣ هـ/ ١٢٣٥ م^(٣)، دفعت ابن الأحمر إلى الزحف نحو غرناطة ودخلها سنة ٦٣٥ هـ/ ١٢٣٧ م واتخذها قاعدة لملكه^(٤)، وبذلك غدت المنطقة من جيان إلى غرناطة تحت نفوذه بما فيها مدينة لوشة، وقد حدد عنان سلطان مملكة بني الأحمر عند قيامها بقوله : كانت مملكة غرناطة عند قيامها في أواسط القرن السابع الهجري تشمل القسم الجنوبي من الأندلس القديمة، وتمتد فيما وراء نهر الوادي الكبير إلى الجنوب، حتى شاطئ البحر الأبيض المتوسط ومضيق جبل طارق، ويحدها من الشمال ولايات جيان وقرطبة وإشبيلية، ومن الشرق ولاية مرسية وشاطئ البحر المتوسط الممتد منها إلى الجنوب، ومن الغرب ولاية قانس Cadiz^(٥) .

وفي ظل دولة بني الأحمر تحولت مدينة لوشة إلى ثغر ما تطلب إقامة وسائل الدفاع عنها لحمايتها من هجمات النصارى المجاورين لها، وقد وصفها ابن الخطيب في أيامه بقوله : ((وأسباب التطوف بها متعذرة، ومنازلها لنزائل الجند نازلة، وعيون العدو لثغرها الشنيب مغازلة))^(٦) .

ففي سنة ٧١٩ هـ/ ١٣١٩ م حشد ملوك أسبانيا النصرانية قواتهم وقرروا استئصال المسلمين من جزيرة الأندلس وأعدوا لذلك جيوشاً من البر والبحر لقطع الإمدادات من المغرب وسارت معهم قوات انكليزية ذات نزعة صليبية، فكتب سلطان غرناطة أبو الوليد إسماعيل بن فرج بن الأحمر (٧١٣-٧٢٥ هـ/ ١٣١٣-١٣٢٤ م) إلى سلطان المرينيين أبي سعيد عثمان بن أبي

(١) ابن أبي زرع، الأنييس المطرب، ص ٢٧٦ ؛ ابن خلدون، العبر، ٢١٧/٤ ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٤١٦/٤ .

(٢) ابن أبي زرع، الأنييس المطرب، ص ٢٧٥ .

(٣) ينظر عن سقوط قرطبة : الحميري، الروض المعطار، ص ٤٥٩ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٣٣١ ؛ ابن أبي زرع، الأنييس المطرب، ص ٢٦٧ ؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص ٢٦٦ ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٤١٨-٤٢٥ .

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٣٤٢-٣٤٤ ؛ ابن خلدون، العبر، ٢١٧/٤ ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٤٣٠/٤ .

(٥) دولة الإسلام في الأندلس، ٥٥/٥ .

(٦) معيار الاختيار، ص ١٢٦ .

يوسف بن عبد الحق المريني (٧١٠ - ٧٣١ هـ / ١٣١٠-١٣٣٠ م) يستتجده فتقاعس أول الأمر فلما رأى تكالب الجيوش الصليبية على المسلمين انجده بقائه الشيخ أبو سعيد عثمان بن أبي العلاء، فتقدمت جيوش النصارى وعسكروا على طول وادي نهر شنيل من بسيط لوشة، وبدأت المعركة بمناوشات ، فخرجت سرية من فرسان قشتالة نحو أرض المسلمين فاعترضهم جماعة من فرسان الأندلس ثم فروا أمامهم فتبعوهم فلما توسطوا لوشة كرز عليهم المسلمون فاستأصلوهم فكان أول نصر للمسلمين ، ثم أرسل إليهم الشيخ أبو سعيد مجموعة من فرسان المسلمين فيهم أمير لوشة أبو المكارم ريان بن عبد المؤمن واستطاعوا هزيمة الجيش القشتالي وحلفائه على ضفاف نهر شنيل وغنموا منهم أموالاً طائلة وقتلوا منهم خمسين ألفاً وقيل ستين ألفاً^(١) .

شهدت المرحلة الأخيرة من حياة سلطنة غرناطة (٨٦٨ هـ ٨٩٧ هـ / ١٤٦٣-١٤٩١ م) استفحال الصراع الأسري بين حكام بني الأحمر حتى صفت إلى السلطان أبي الحسن علي بن سعد بن الأحمر الذي طال حكمه للمدة (٨٦٨-٨٨٧ هـ / ١٤٦٣-١٤٨٢ م)، وقد وصفه مؤلف مجهول وهو معاصر له بالقول : ((...، وانقضت أعلام الفئنة وخمدت نارها ودانت له جميع بلاد الأندلس ولم يبق له فيها معاند وهو مع ذلك يغزو بلاد الروم المرة بعد المرة حتى غزا غزوات كثيرة وأظهر الأحكام ونظر في مصالح الحُصُون ونمى الجيش فهابته النصارى وصالحته براً وبحراً وكثر الخير وانبسطن الأرزاق ورخصت الأسعار وانتشر الأمن في جميع بلاد الأندلس وشملتهم العافية في تلك المدة وضربت سكة جديدة طيبة))^(٢)، وأضاف : إلا أن السلطان بعد حادثة السيل الذي تعرضت له غرناطة سنة ٨٨٣ هـ / ١٤٧٨ م^(٣) ((اشتغل بالذات والإنهماك في الشهورات واللَّهُو بالنساء المطربات وركن إلى الرِّاحة والغفلات وضيع الجند وأسقط كثيراً من نجدة الفرسان ونقل المغارم وكثر الضرائب في البلدان ومكس الأسواق ونهب الأموال وشح بالعباء إلى غير ذلك من الأمور التي لا يثبت معها الملك))^(٤) .

وفي المقابل شهدت العلاقات بين مملكتي قشتالة وأراغون تطوراً مهماً كان له أسوأ الأثر على مستقبل مسلمي الأندلس، ففي سنة ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م تزوجت إيزابيلا بنت خوان الثاني ملك قشتالة وأخت الملك هنري الرابع (٨٥٩-٨٧٩ هـ / ١٤٥٤-١٤٧٤ م) من فرناندو بن

(١) النويري، نهاية الأرب، ٣١٢/٣٢-٣١٤ ؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ٢٠٧/١-٢٠٨ ؛

عان، دولة الإسلام في الأندلس، ١١٨/٥ .

(٢) نبذة العصر، ص ٣٦-٣٧ .

(٣) ينظر التفاصيل عن حادثة السيل : مؤلف مجهول، نبذة العصر، ص ٤١-٤٥ .

(٤) نبذة العصر، ص ٤٥ .

خوان الثاني ملك أراغون (٨٦٣-٨٨٤ هـ / ١٤٥٨-١٤٧٩ م)، وعندما توفي هنري الرابع بدون وريث للعرش توجت أخته إيزابيلا لعرش قشتالة، كما ورث فرناندو الأراغوني أباه عند وفاته، فكان ثمرة ذلك الزواج أن اتحدت المملكتان قشتالة وأراغون^(١)، ولُقبا بالملكين الكاثوليكين^(٢).

في الوقت نفسه حصل تطور خطير على الساحة السياسية في غرناطة هو الفرقة التي حدثت بين السلطان أبي الحسن وولديه أبي عبد الله محمد (الصغير) وأبي الحجاج يوسف، ويرجع سبب ذلك إلى أن السلطان كان قد تزوج من ابنة عمّه عائشة الحرة^(٣) فأولدها ولديه أعلاه، ثم تزوج من فتاة نصرانية تدعى ثريا^(٤) وأولدها ابنه سعد ونصر فأوغرت صدره على ولديه من عائشة فاعتقلهما مع أمهما إلا أنهما تمكنا من الفرار والتغلب على السلطة في غرناطة وترجع أبو عبد الله الصغير على عرش غرناطة أواخر سنة ٨٨٧ هـ / ١٤٨٢ م، وكان السلطان أبو الحسن وقت فرار الأميرة وولديها في لوثة للدفاع عنها، إلا أنه اضطر إلى تجميع أنصاره مكوناً منهم قوة بلغت خمسمائة شخص زحف بها نحو مدينة غرناطة حيث ابنه أبو عبد الله الصغير، وتمكن مع رجاله من تسلق أسوار مدينة غرناطة وخاض معركة عنيفة مع أنصار ابنه قتل فيها الكثير من أتباعه مما اضطره إلى التراجع والهرب إلى مالقة^(٥) حيث أخوه أبو عبد الله محمد بن سعد المعروف بالزغل^(٦).

(١) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ١٨٢/٥؛ الكتاني، انبعاث الإسلام في الأندلس، ص

٤٩ .

(٢) الكتاني، انبعاث الإسلام في الأندلس، ص ٤٩ .

(٣) وهي عائشة بنت الأمير محمد الأيسر ابنة عمّ السلطان أبي الحسن علي بن سعد النصرى تزوجها سنة ٨٥٧ هـ / ١٤٥٣ م وتوفيت في حدود سنة ٨٩٧ هـ / ١٤٩١ م، ينظر : الدرويش، أعلام نساء الأندلس، ص ١٩٣-١٩٦ .

(٤) وهي جارية رومية كان اسمها إيزابيلا أخذت أسيرة في إحدى المعارك وألحقت وصيفة بقصر الحمراء فاعتنقت الإسلام وتسمت بثريا وكانت حسناء فتعلق بها السلطان وتزوجها وأولدها اثنين هما سعد ونصر، وبعد سقوط غرناطة لم تغادر الأندلس فقد تنصرت هي وولديها، ينظر : الدرويش، أعلام نساء الأندلس، ص ٩٠-٩١، وذكر إيرفنج أن اسمها فاطمة ولقبها الزوراء وهي مسيحية بالولادة ابنة القائد سانشو أكزيمنس دي سولي، أخبار سقوط غرناطة، ص ٩٦

(٥) إيرفنج، أخبار سقوط غرناطة، ص ٩٧-٩٨ .

(٦) المقرئ، نفع الطيب، ٥١٤/٤؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٢٠٢/٥ .

وقد اعتمد النصارى ذلك الانقسام الذي تزامن مع انقضاء مدة الهدنة التي عقدها السلطان مع قشتالة بمهاجمة أراضي مملكة غرناطة فاستولوا على مدينة الحمة وذلك سنة ٨٨٧ هـ / ١٤٨٢ م^(١)، ثم قام الملك القشتالي بمهاجمة مدينة لوشة القريبة من الحمة إذ أن هاتين المدينتين تمهدان الطريق إلى غرناطة .

وبخصوص الأحداث الأخيرة التي أدت إلى سقوط مدينة لوشة هناك روايتان للأحداث الأولى مصدرها مؤلف مجهول مسلم معاصر لتلك الأحداث وهو صاحب كتاب نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر، والثانية نصرانية مصدرها رجل دين نصراني معاصر للأحداث يدعى أنطونيو آغابيدا استقى واشنطن إيرفنج معلوماته منه^(٢) .

وحسب الرواية المسلمة، ففي السابع والعشرين من جمادى الأولى سنة ٨٨٧ هـ / ١٤٨٢ م خرج الملك القشتالي إلى لوشة ونزل عليها، وكانت حامية المدينة تحت قيادة أحد رجالاتها وهو الشيخ علي العطار (والد مريم زوجة أبي عبد الله الصغير) وكان رغم شيخوخته يعد من أبرع فرسان العصر، كما سارع السلطان أبو الحسن لنجدة لوشة وتمكنوا من صد النصارى وهزيمتهم بعد خسائر فادحة، وقد سمي صاحب كتاب نبذة العصر المعاصر للأحداث هذه المعركة بمعركة لوشة العظيمة وعلق عليها قائلاً : ((خرج صاحب قشتالة بمحلة عظيمة وقصد مدينة لوشة فنزل عليها بمحلته وكان قد اجتمع فيها جملة من نجدة رجال غرناطة حين سمعوا بخروجه إليها فلما قرب من البلد خرج إليه الرجال والفرسان فقاتلوه قتالاً شديداً وردوه على أعقابهم وقتلوا كثيراً من النصارى وأخذوا لهم من تلك العدة التي قربوا بها من الأنفاط وغير ذلك من عدة الحرب، ثم إن الأمير أبا الحسن أمدهم بقائد من غرناطة يقود جيشاً من الفرسان في تلك الليلة فاشتدت عند ذلك عصبية المسلمين وقويت قلوبهم، فلما أصبح الصباح ورأى النصارى الزيادة في جيش المسلمين مع ما نالهم من أول الليل من الهزيمة والقتل وأخذ العدة داخلهم الرعب واشتد خوفهم فأخذوا في الإرتحال عنهم فخرج إليهم المسلمون فقاتلهم قتالاً شديداً فانهزم النصارى وتركوا كثيراً من أحييتهم وأمتعتهم وأطعمتهم وآلة حربهم وتركوا من الدقيق شيئاً كثيراً فاحتوى المسلمون على جميع ذلك كله وأنصرف العدو مهزوماً مفلولاً إلى بلده ففرح المسلمون بذلك فرحاً عظيماً وكان ذلك في السابع والعشرين من جمادى الأولى من عام سبعة وثمانين وثمان مئة))^(٣) .

(١) مؤلف مجهول، نبذة العصر، ص ٥٤-٥٦؛ إيرفنج، أخبار سقوط غرناطة، ص ٩٩ .

(٢) ينظر : أخبار سقوط غرناطة، ص ٤٩ .

(٣) نبذة العصر، ٥٧-٦٠؛ ينظر أيضاً : المقري، نفح الطيب، ٤/٥١٤ .

أما الرواية النصرانية فذكرت أن الملك القشتالي غادر قرطبة في نهاية حزيران وحط رحاله حول مدينة الأقصى (لوشنكا - لوثة) ووزع قواته على شاطئ نهر أكرنيل (شنيل) وبين حقول الزيتون ولكن صعوبة الأرض التي تتخللها الوديان العميقة جعل تلك القوات منفصلة لا يمكن معونة بعضهم البعض، وكانت الأقصى (لوثة) تحت زعامة الشيخ العجوز أبو علي العطار وهو في التسعين من عمره ولكنه كان شاب الروح والحركة، فعمل على مهاجمة فرسان اسبانيا الذين اندفعوا للقائه ففر أمامهم بعد وضع كمين لهم، فلما ابتعدوا عن مخيمهم كَرَّ راجعاً عليهم وخرج الكمين مما أوقع بهم خسائر كبيرة مقتل بعض قادتهم وقد أدرك الملك القشتالي خطأ موقعه، فقرر الانسحاب لحين وصول تعزيزات أخرى له من قرطبة، وفي هذا الأثناء انتهب علي العطار الفرصة فهاجم الجيش المنسحب مما أشاع الذعر والفوضى بين صفوفه وكاد الملك أن يحاصر بسبب شدة ضربات الجند المسلمين الذين استولوا على العديد من قطع المدفعية التي تركها الجيش القشتالي في المعركة، واستمر علي العطار يتعقبهم حتى أبعدهم عن لوثة (١) .

وفي صفر من سنة ٨٨٨ هـ/١٤٨٣ م استطاع السلطان أبو الحسن هزيمة النصارى في موقعة مالقة وقتل وأسر أعداداً كبيرة منهم (٢)، وكان صدى هذا النصر كبيراً وارتفعت شعبية السلطان أبو الحسن بين الناس فيما عيب على أبي عبد الله الصغير خنوعه، لهذا قرر الأخير القيام بعمل ضد النصارى يعيد إليه شعبيته، وذلك لأن مكانة أي حاكم آنذاك تقاس بمدى انتصاره على النصارى وصد هجماتهم (٣) .

وفي ربيع الثاني من سنة ٨٨٨ هـ/١٤٨٣ م أسر الأمير أبو عبد الله الصغير أمير غرناطة ، ونحن هنا أيضاً أمام روايتين إسلامية ونصرانية، والرواية الإسلامية مقتضبة وخالية من التفاصيل فيما أسهبت الرواية النصرانية مبتهجة بتحقيق النصر، وملخص الرواية الإسلامية أن الأمير أبا عبد الله الصغير خرج بأهل غرناطة وهاجم مناطق النصارى ورجع محملاً بالغنائم وعندما وصل بجيشه إلى اللسانة (٤) خرج عليهم كمين من النصارى فانهزم المسلمون وتبعهم النصارى قتلاً وأسراً وكان من بين الأسرى الأمير نفسه ولم يعرفوه إلا بعد ذلك فحملوه إلى ملك قشتالة الذي أكرمه وعظمه ورأى أنه سيصل به إلى ما يأمله من أخذ

(١) إيرفنج، أخبار سقوط غرناطة، ص ٩٩-١٠٣ .

(٢) مؤلف مجهول، نبذة العصر، ص ٦٢-٦٥؛ المقرئ، نفح الطيب، ٥١٤/٤ .

(٣) إيرفنج، أخبار سقوط غرناطة، ص ١٢٠ .

(٤) اللسانة وهو حصن يقع بالقرب من كورة قبيرة، ينظر: ابن الخطيب، الإحاطة، ٢٣/١ .

بلاد الأندلس، وأضاف صاحب الرواية أن ((أشنع ما كانَ فيها - أي معركة اللسانة- أسر الأمير أبي عبد الله مُحَمَّد بن عليٍّ لِأَنَّهُ كَانَ سَبِبا فِي هَلَاكِ الوَطَنِ)) (١) .

أما الرواية النصرانية والتي يرويها رجل الدين المتعصب آغايبدا فذكرت أن الأمير أبا عبد الله الصغير كان صهراً لأبي علي العطار قائد لوشة، فاتصل به وأعلمه ضرورة القيام بعمل يوازي ما حققه والده في مالقة، فقال له صهره علي العطار أن العدو في حالة ضعف بسبب الهزائم التي مني بها أمام لوشة ثم مالقة لذا فإن الأبواب مفتوحة أمامهم حتى قرطبة، فشكل الأمير قوة من سبعمائة فارس وتسعة آلاف راجل وعندما وصل إلى لوشة انضمت إليه قوة من فرسان صهره علي العطار ثم انطلقت القوات مخترقة الحدود من بلاد النصارى ففوجئوا باستعدادات عدوهم الكاملة وجرت معركة حامية بين الوديان والشعاب تلقى خلالها الجيش القشتالي المزيد من الامدادات مما اضطر الجيش الإسلامي إلى الانسحاب المنظم إلا أنهم عند شاطئ أحد الأنهار وكان الماء فيه يجري بقوة ففر المشاة وبقي الأمير أبو عبد الله مع قلة من فرسانه يقاتلون ثم أحاط به الجنود النصارى وهم لا يعرفونه فعرض عليهم مبلغاً من المال لقاء ولكن أحدهم أراد إمساكه فقتله الأمير عندها جاء أحد قادة الجيش القشتالي فقال له أحد الجنود نحن نريد أن نأسر عربياً يبدو أنه ذو منصب عال وهو يعرض علينا فدية، فقال الأمير : أنا استسلم لهذا الفارس، فنقلوه إلى الخلف واستمر الجيش القشتالي يضغط والجيش الإسلامي يتراجع فوضياً حتى وصلوا إلى نهر شنيل عند مدينة الأقصى (لوشة)، عندها وقف الشيخ علي العطار على حدود النهر يدافع عنها وعن مدينته لوشة وبسبب تدافع الجند النصارى وانسحاب المشاة المسلمين فقد جرح الشيخ علي العطار فعرضوا عليه الاستسلام فرفض فتلقى ضربة ألقته في النهر واختفت جثته مع التيار، وهكذا بأسر الأمير أبا عبد الله الصغير ومقتل القائد علي العطار فقد الجيش الإسلامي كل حماسة فكانوا بين منهزم وقتيل وغريق وأسير (٢)

استغل الملك القشتالي حالة الفوضى التي حلت في صفوف المسلمين وحالة الزهو التي تمتع بها جيشه فهاجم العديد من الحصون والمدن المحيطة بغرناطة، ففي الغرب استولى على

(١) مؤلف مجهول، نبذة العصر، ص ٦٥-٦٧ ؛ ينظر أيضاً : المقري، فنج الطيب،

٥١٥/٤ .

(٢) إيرفنج، أخبار سقوط غرناطة، ص ١٢٠-١٣١ .

حصن قرطمة ^(١) ودكوين سنة ٨٩٠ هـ/١٤٨٥ م، وفي السنة نفسها استولى على رنדה Ronda ^(٢) ثم حصن قنبييل ^(٣) وما جاوره من الحصون ^(٤) .

وكان الأمير أبو الحسن قد طعن في السن وأعياه المرض فتنازل لأخيه أبي عبد الله الزغل حاكم مالقة ^(٥)، وفي محاولة من ملكي قشتالة تعميق الانشقاق بين أقطاب السلطة في غرناطة أفرجا بعد ذلك عن أبي عبد الله الصغير بعد أن أخذوا عليه المواثيق بتبعيته لهم مع جزية سنوية ^(٦) .

وعندما أطلق سراح أبي عبد الله الصغير كان عمه أبو عبد الله الزغل يُحکم سيطرته على غرناطة ويطمع بالسيطرة على جميع ما تبقى من الأندلس لنفسه، فعمد الصغير إلى التوجه إلى شرق الأندلس ودخل حصن بلش Velez بمساعدة قوة من النصارى وأعلن نفسه ملكاً، وأخذ يبث دعوته، ويشيد بمزايا الصلح المعقود مع ملكي قشتالة، وأنه يضمن للمسلمين الاستقرار والسلم، وأنه يُطبق في سائر الأنحاء التي تدخل في طاعته ^(٧) ، وقد علق مؤلف مجهول المعاصر للأحداث على ذلك بقوله : ((استولى العدو على حصن صالحية من حصون بلش ثم إن العدو دمره الله سرح الأمير أبا عبد الله مُحَمَّد بن عَلِيّ إلى بعض حصون الشرقية ووعده بالصلح إن أطاعه الشعب فقامت بدعوته تلك الحُصُون طمَعاً بالصلح وبالبقاء في الحُصُون)) ^(٨) .

وهكذا أصبح لغرناطة حاكمين من بني الأحمر استقر أبو عبد الله الصغير في المناطق الشرقية، فيما يحكم عمه أبو الله الزغل غرناطة ومالقة والمرية Almeria ^(٩)، وفيما كانت نار

(١) مدينة بالأندلس غربي قرطبة وهي من أعمال رية، ينظر : ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ٢٢٣ .

(٢) رنדה معقل حصين بالأندلس وهي من أعمال تاكرنا، ينظر : ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ١٣٢ .

(٣) حصن قنبييل وهو حصن يقع بالقرب من حصن روضة إلى الغرب من قرطبة، ينظر : ابن الخطيب، الإحاطة، ٥٥٤/٤ .

(٤) مؤلف مجهول، نبذة العصر، ص ٦٨، ٧٠، ٧٥ .

(٥) المقرئ، نفع الطيب، ٥١٥/٤ .

(٦) مؤلف مجهول، نبذة العصر، ص ٧٦ ؛ إيرفنج، أخبار سقوط غرناطة، ص ١٣٥ ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٢٠٤/٥-٢٠٥ .

(٧) المقرئ، نفع الطيب، ٥١٦/٤ ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٢٠٨/٥ .

(٨) نبذة العصر، ص ٧٦ .

(٩) مؤلف مجهول، نبذة العصر، ص ٧٨ ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٢٠٩/٥ .

الفترة قائمة بين الخصمين كانت جيوش قشتالة قد استولت على العديد من المدن والحصون وأخذت تُضيق الخناق على غرناطة (١) .

وأشار مؤلف مجهول إلى أن صلحاً وقع بين الأمير أبي عبد الله الصغير وعمه أبي عبد الله الصغير على أن يسلم إلى عمه الحكم ويكون هو تابع له وأرسل إلى أنصاره في غرناطة يعلمهم بالصلح مع عمه وغادر حصون الشرقية إلى لوشة وذلك جماد الأولى سنة ٨٩١ هـ/١٤٨٦ م (٢)، وأشار المقرئ إلى الصلح قائلاً: ((بأن العم يكون له الملك، وابن أخيه تحت إيلته بلوشة أو بأي المواضع أحب، ويكونون يداً واحدة على عدو الدين)) (٣) .

وما كاد الأمير أبو عبد الله الصغير يستقر في لوشة حتى جاء الملك القشتالي بجيش عظيم وضرب عليها الحصار، وهنا انقسمت الرواية الإسلامية على وجهين، فمؤلف مجهول الذي كان معاصراً للأحداث أشار إلى أن أهالي لوشة عندما حصل بينهم الأمير أبو عبد الله الصغير وحاصرهم الملك القشتالي تحصنوا وقاتلوا مع أميرهم فلما رأوا أن لا طاقة لهم بالعدو طلبوا الأمان ((وَأَنْقُضُوا عَلَى أَنْ يَخْرُجُوا مُؤْمِنِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ وَخِيْلِهِمْ وَسِلَاحِهِمْ وَدَوَابِهِمْ وَجَمِيعَ مَا يَقْدِرُونَ عَلَى حَمَلِهِ، فَأَجَابَهُمُ الْعَدُو لَذَلِكَ وَوَفَى لَهُمْ بِهِ فَأَخَذُوا فِي إِخْلَاءِ الْبِلَادِ وَوَصَلُوا إِلَى غرناطة بِمَا مَعَهُمْ، وَكَانَ اسْتِيْلَاءُ الْعَدُو عَلَى مَدِينَةِ لوشة فِي السَّادِسِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى مِنْ عَامِ إِحْدَى وَتِسْعِينَ وَثَمَانِ مِئَةٍ، وَلَمْ يَسِرْ صَاحِبُ قِشْتَالَةَ الْأَمِيرِ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ بَلْ حَبَسَهُ عِنْدَهُ لِيَسْتَأْصَلَ بِهِ بَقِيَّةَ الْأَنْدَلُسِ)) (٤)، وحسب هذه الرواية فإن الأمير أبا عبد الله الصغير أسر للمرة الثانية في لوشة .

فيما ذكر المقرئ رواية تتهم فيها الأمير أبو عبد الله الصغير بالتواطؤ مع ملك قشتالة لتسليم لوشة، إذ قال: ((...، وبينما هم كذلك، إذا بصاحب قشتالة قد خرج بجند عظيم ومحلة قوية وعدد وعُدد، ونازل لوشة حيث السلطان أبو عبد الله الذي كان أسيراً، وضيق بها الحصار، وكان قد دخلها جماعة من أهل البيازين بنية الجهاد ولمعاوضة وليهم، وخاف أهل غرناطة وسواها من أن يكون ذلك حيلة، فلم يأت لنصرته غير البيازين، واشتد عليهم الحصار، وكثرت الأقاويل، وصرحت الألسن بأن ذلك باتفاق بين السلطان المأسور وصاحب قشتالة، ودخل على أهل لوشة في ريبهم، وخافوا من الاستئصال، فطلبوا الأمان في أموالهم

(١) ينظر التفاصيل: مؤلف مجهول، نبذة العصر، ص ٧٩ - ٨٤؛ عنان، دولة الإسلام

في الأندلس، ٢١٣/٥-٢١٤ .

(٢) نبذة العصر، ص ٧٧-٧٨ .

(٣) نفع الطيب، ٥١٧/٥ .

(٤) نبذة العصر، ص ٧٩-٨٠ .

وأفسهم وأهليهم، فوفى لهم صاحب قشتالة بذلك، وأخذ البلد في السادس والعشرين لجمادى الأولى سنة إحدى وتسعين وثمانمائة،...، وهاجر أهل لوشة إلى غرناطة، وبقي السلطان أبو عبد الله الذي كان مأسوراً مع النصراني في لوشة، فصرح عند ذلك أهل غرناطة بأنه ما جاء للوشة إلا ليدخل إليها العدو الكافر، ويجعلها فداءً له، وقيل: إنه سرح له حينئذ ابنه إذ كان مرهوناً في الفداء، وكثر القيل والقال بينهم وبين أهل البيازين في ذلك، وظهر ما كان كامناً في القلوب، ثم رجع صاحب قشتالة إلى بلاده ومعه السلطان المذكور))^(١).

أما الرواية النصرانية فلا تختلف كثيراً في مضمونها عن رواية صاحب نبذة العصر إلا أنها أكثر تفصيلاً، فأشارت إلى أنه عندما حاصر الملك القشتالي لوشة كان أبو عبد الله الصغير فيها، وقد وقع في ورطة في موقفه بين رعيته التي تطالبه بالدفاع عن مدينتهم لوشة وبين تعهداته لملك قشتالة بأن يكون خاضعاً له، ثم اختار المقاومة ومقاتلة النصارى، فلبس درعه وانطلق يقاتل مع أربع مائة فارس وأربعة آلاف رجل بكل شجاعة حتى وصل إلى الصفوف الأمامية فأصيب بجروح مما اضطر للانسحاب جريماً إلى داخل مدينة لوشة، ومع ذلك لم يتغير الموقف فقد استمر المقاتلون المسلمون يقاتلون بكل ضراوة وسقطت الدماء من الطرفين لأن الجميع يدرك أهمية لوشة ومحيطها بالنسبة لغرناطة، وفي هذا الأثناء جاءت تعزيزات إلى الجانب النصراني متمثلة بقوات انكليزية، فاختلفت العمائم بالخوذ الصليبية بصراع عنيف يداً بيد، إلا أن الكفة بدأت تميل لصالح الجيش النصراني بسبب فقدان المسلمين للعديد من قادتهم مما اضطرهم لنقل القتال إلى داخل المدينة بين بيوتها وشوارعها، عندها دخل الجيش النصراني إلى ضواحي لوشة بمساعدة وقوة الجيش الانكليزي الذي جرح قائده وهو ولي العرش في المعركة، ثم عملوا على نصب المدفعية في ضواحي لوشة وأخذوا يطلقون نيرانها على أحياء المدينة، وقد وصفت الرواية النصرانية حالة أهالي لوشة آنذاك بالقول: ((...، وفي لحظات مثل هذا اليأس كان الكثير من العرب يخرجون من الأسوار نحو ضواحي المدينة، ويهاجمون النصارى بالعصي والفؤوس والسيوف والهراوات عسى أن يبعدهم عن مراكز الضرب والتهديم للمدينة بدون أي مخطط أو تفكير على أمل أنه إذا مات المهاجم هكذا فعوضه الجنة بدل أن ينفق تحت الهدم والردم، واستمر هذا المشهد لمدة يومين بلياليهما، دفعت أهل الحل والعقد في المدينة إلى الشعور باستحالة وعبثية المقاومة، فملكهم عاجز، ومعظم قادة جيشهم بين جريح أو قتيل، وحصونهم لا تزيد عن أنها صارت أنقاضاً، فمثلاً دفعوا بأبي عبد الله أن يدافع ويهاجم صاروا الآن يدفعونه للتسليم))^(٢).

(١) نفع الطيب، ٥١٧/٤-٥١٨.

(٢) إيرفنج، أخبار سقوط غرناطة، ص ٢١٢-٢١٧.

وكانت شروط تسليم مدينة لوشة حسب الرواية النصرانية هي :

- ١- تسليم المدينة مع كل النصارى الأسرى فيها .
 - ٢- إخلاؤها من السكان الذين يمكنهم أخذ ما يقدرن على حملة نحو إفريقية، والذي يختار منهم أن يبقى في اسبانيا عليه أن يبقى في مدن محددة مثل : قشتالة وأراغون وبلنسية Valencia، على أن يكون خولا للملك فرناند الذي يستطيع أن يعامله كيف يشاء ولا عهد له عليه ولا ذمة .
 - ٣- أما الأمير أبو عبد الله الصغير فلن يحاسب على نكته بقسمه السابق أمام الملك إذا سلم كل مملكة غرناطة للملك، شرط أن تسلم هذه المملكة خالية من سيطرة الزغل (١) .
- وقد علق إيرفنج على هذه الشروط قائلاً : ((وهكذا خرج محاربو هذا الحصن الشامخ نحو ذل الاستسلام الذي كانوا يرفضونه كل هذه المدة الطويلة بشرف وأباء، وهم يشيعون بصراخ حريمهم وأطفالهم المتجهين نحو المنفى خارج بلادهم)) (٢)، وهكذا سقطت المدينة بيد ملك قشتالة مدعوماً بقوات انكليزية صليبية في ٢٦ جماد الأولى سنة ٨٩١ هـ/ مايو ١٤٨٦ م .
- وقد علق عنان على موقف الأمير أبي عبد الله الصغير بقوله : إننا نرى على ضوء الرواية الإسلامية، أن موقف أبي عبد الله من حوادث لوشة، كان موقفاً مريباً، والواقع أنه كان يبذل جل جهده للدعوة إلى قضيته، وإلى مقاومة عمه ونزعه عن العرش، وكان يمزج الدعوة لنفسه بالدعوة لملك قشتالة، ويشيد بمزايا الصلح المعقود معه، ولم يكن خافياً أنه يستظل بمظاهرة النصارى وتأييدهم، وأنه غدا آلة في يد ملك قشتالة يعمل بوحيه وتوجيهه، ولما غادر ملك قشتالة مدينة لوشة أخذ معه أبا عبد الله إما أسيراً أو أنه سار معه ليستمد عونه في تنفيذ خطته للاستيلاء على عرش غرناطة، وهي خطة يؤيدها ملك قشتالة ويشجعها، لأنها تخدم أغراضه ومطامعه في القضاء على تلك المملكة الصغيرة التي مزقتها الحرب الأهلية (٣) .
- ونحن نرى أن ذهاب الأمير أبي عبد الله الصغير إلى لوشة يثير بعض الشكوك، صحيح أن لوشة مقر أصهاره، إلا أن توقيت ذهابه إليها بعد اتفائه مع عمه ثم محاصرة الملك القشتالي لها ربما أراد منها ثمن فداء لابنه الذي كان رهينة في قشتالة منذ أن أفرج عنه .

ثالثاً : الحركة الفكرية في مدينة لوشة

حكم المسلمون مدينة لوشة مدة ثمانية قرون ٩٢ - ٨٩١ هـ / ٧١٠-١٤٨٦ م أقاموا فيها حضارة تألفت فيها إسهامات أهلها في معظم ميادين الحياة السياسية والعسكرية والفكرية، فهي

(١) إيرفنج، أخبار سقوط غرناطة، ص ٢١٧ ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٢١٠/٥ .

(٢) أخبار سقوط غرناطة، ص ٢١٧ .

(٣) دولة الإسلام في الأندلس، ٢١٠/٥ .

بلد الوزير لسان الدين الخطيب^(١) الذي لعب دوراً في سياسة بني الأحمر مدة من الزمن كما له إسهامات كبيرة في التاريخ والأدب وأسرته عريقة في مدينة لوشة، كما أنجبت لوشة الشيخ المجاهد الكبير أبو علي العطار الذي وصفته الرواية النصرانية بالقول كانت: ((الأقصى - لوشة - تحت حكم السيد العربي الهرم والد زوجة أبي عبد الله النصري أبو علي العطار الذي كان الأسيان يسمونه الآتار عدو النصارى الذي شاب شعره وهو يحاربهم منذ نشأته على هذه الحدود، والتي كان اسمه فقط كافياً لإشاعة الذعر بين الصليبيين فيها ... فهو خبير في استراتيجيات القتال))^(٢)، وقد مرّ الكلام عن دوره العسكري، وسنعرض هنا لإسهامات أهلها الفكرية في مجالات العلوم المختلفة، نذكر منهم :

- أحمد بن عبد الله بن عبد المنعم الهاشمي الطنجالي يكنى (أبو جعفر)، من أهل لوشة وولي القضاء بها كان له قراءة في الطب وهو والد الطبيبة والشاعرة أم الحسن بنت أحمد الطنجالية، توفي في طاعون سنة ٧٥٠ هـ/١٣٤٩ م^(٣).

- أحمد بن علي بن يوسف الأنصاري يكنى (أبو العباس) سكن لوشة وولي الصلاة والخطبة بجامعها، كان محدثاً زاهداً متصوفاً، أسره الجيش القشتالي عندما دخل لوشة أثناء حركة الديباسي، ثم تخلص من الأسر، وتوفي سنة ٦٢٤ هـ/١٢٢٦ م^(٤).

- أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أحمد المكنى (أبو جعفر)، من أهل لوشة، ويعرف بالسكان، اشتهر بعلم القراءات، وتولى الخطابة بلوشة، وتوفي بالطاعون سنة ٧٥٠ هـ/١٣٤٩ م^(٥).

- أحمد بن محمد بن أحمد بن مكي يكنى (أبو جعفر)، من أهل لوشة، كان عالماً بالقراءات القرآنية والحديث والعربية، وكانت له حلقة لتدريس الحديث بلوشة، أسر أثناء حركة الديباسي عندما دخل النصارى لوشة، وتوفي في الأسر سنة ٦٢٤ هـ/١٢٢٦ م^(٦).

- أم الحسن بنت أحمد الطنجالية : الطنجالية هي نسبة الطنجاليين وهم هاشميون ينتسبون إلى أولاد جعفر بن عقيل بن أبي طالب^(٧)، فهي عربية هاشمية كانت تسكن لوشة

(١) لم نترجم لابن الخطيب هنا لأنه نشأ في غرناطة واكتفينا بذكر آبائه .

(٢) إيرفنج، أخبار سقوط غرناطة، ص ١٠١ .

(٣) ابن حجر، الدرر الكامنة، ٢١٥/١ .

(٤) ابن الابار، التكملة، ١٠١/١ ؛ ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، ٥٢١/١ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ١٨٢/٤٥ .

(٥) ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، ٩٩/١ ؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ٩٣/١ .

(٦) ابن الابار، التكملة، ١٠٢/١ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ١٨٢/٤٥ .

(٧) النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص ١٩٧ ؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ٢٩٧/١ .

وكان والدها قاضياً هناك^(١) ووصف بأنه كان خطيباً^(٢) .

أفرد لها ابن الخطيب ترجمة بقوله كانت ((نبيلة حسبية، تحيد قراءة القرآن، وتشارك فنون من الطب، وتنظم أبياتاً من الشعر))^(٣)، وقد وصف شعرها بقوله إنها ((ثالثة حمدة)^(٤) وولادة^(٥)، وفاضلة الأدب المجادة، تقلدت المحاسن من قبل ولادة، وأولدت أباكار الأفكار قبل سن الولادة، ونشأت في حجر أبيها، لا يدخر عنها تدريجاً ولا سهماً، حتى نهض إدراكها، وظهر في المعرفة حراكها، ودرّسها الطب، ففهمت أغراضه، وعلمت أسبابه وأعراضه، وفي ذكر شعرها، لما قدم أبوها من المغرب، وحدث بخبرها المغرب، توجه بعض الصدور إلى اختبارها، ومطالعة أخبارها، فاستتبّل أغراضها واستحسنها، واستطرف لسنها، وسألها عن الخط، وهو أكسندُ بضاعة جُلبت، وأشحّ دُرّة حُلبت، فأنشدته من نظمها :

الخط ليس له في العلم فائدة وإنما هو تزيين بقرطاس
والدرس سؤلي لا أبغي له بدلا بقدر علم الفتى يسمو على الناس
ومن شعرها أيضا :

إن قيل من الناس ربّ فضيلة حاز العلا والمجد منه أصيل
فأقول رضوان وحيد زمانه إن الزمان بمثله لبخيل^(٦)

مما تقدم يتبين أن أم الحسن الطنجالية كانت برعت في علوم عدة، منها القرآن إذ كانت تحيد قراءة القرآن، كما كانت بارعة في الطب، إذ أخذت ذلك عن والدها الذي درسها الطب

(١) ابن الخطيب، الإحاطة، ٤٣٠/١ ؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ٢١٥/١ .

(٢) النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص ١٩٨ ؛ ابن بطوطة، الرحلة، ص ٢٩٥ .

(٣) الإحاطة، ٤٣٠/١ .

(٤) هي حمدة بنت زياد المؤدب الوادي أشية شاعرة اندلسية يرجع نسبها إلى عوف بن لؤي من قريش، وهي من شعراء القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، ينظر : الدرويش، أعلام نساء الأندلس، ص ١٢١-١٢٤ .

(٥) هي ولادة بنت الخليفة محمد المستكفي بن عبد الرحمن بن عبيد الله بن الناصر لدين الله الأموي ولدت في حوالي ٣٨٦ هـ/ ٩٩٦ م وتولى أبوها الخلافة في أحداث الفتنة التي عاصرت نهاية الدولة العامرية، وهي أديبة وشاعرة، ولها مع الشاعر ابن زيدون الأندلسي الكثير من المساجلات، وتوفيت سنة ٤٨٤ هـ/ ١٠٩١ م، ينظر : الدرويش، أعلام نساء الأندلس، ص ٣٢٧-٣٣٧ .

(٦) ابن الخطيب، الإحاطة ٤٣٠ / ١ - ٤٣١ ؛ ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب، ٤١٠/٢ .

حتى أصبح لها باع فيه، وقد وصفها ابن حجر بالطيبية^(١)، فضلاً عن أنها كانت شاعرة أديبة تقول الشعر حتى وصفها ابن الخطيب بحصافة حمدة بنت زياد وولادة بنت المستكفي، وعلى الرغم من أن شعرها لم يصل إلينا إلا النادر القليل، وقد قلل أحد الباحثين من شاعريتها بقوله: ((إن الروح العلمية وشهرتها كطيبة وقارئة للقرآن طغت على شخصيتها، فوقف المؤرخون عند هذه الجوانب من شخصيتها، وغفلوا عن شعرها شأنها في ذلك شأن كثير من العلماء الذين ينظمون شيئاً من الشعر لا يُلتفت إليه لأنه صادر عن قلب عالم لا قلب شاعر))^(٢).

أما عن تاريخ وفاتها فلم تشر إليه المصادر، وقد اختلف في وفاة والدها، فالنباهي ذكر أن أباها القاضي أبا عبد الله الطنجالي توفي في سنة ٧٥٣ هـ/١٣٥٢ م ففجع به والده الخطيب أبي جعفر^(٣)، وهذا يعني أن والدها كان حياً آنذاك، فيما أشار ابن حجر إلى أن القاضي أبا جعفر الطنجالي والد أم الحسن توفي سنة ٧٥٠ هـ/١٣٤٩ م، وهذا يعني أنها كانت حية في منتصف القرن الثامن الهجري.

- سعيد بن عبد الله بن سعيد بن علي بن أحمد السلماني الجد الأقرب لابن الخطيب، كان فقيهاً أديباً له معرفة بالحساب وذا حظ وتلاوة، كان ساكناً لوشة ثم اختلف مع بني الطنجالي الهاشميين فذهب إلى غرناطة وصاهر أميرها أبو عبد الله محمد بن محمد بن يوسف النصري (٦٧١ - ٧٠١ هـ/١٢٧٢-١٣٠١ م) ونال عنده حظوة، وكانت وفاته سنة ٦٨٣ هـ/١٢٨٤ م^(٤).

- سعيد بن علي بن أحمد السلماني، وهو الجد الأعلى لابن الخطيب، وهم يعرفون ببني سلمان استقروا بعد الفتح بقرطبة ثم غادروها بعد هجرة الرض^(٥) سنة ٢٠٢ هـ/٨١٧ م إلى طليطلة، وعند سقوط طليطلة بيد النصارى سنة ٤٧٨ هـ/١٠٨٥ م غادروها إلى لوشة، وكان أول من نزلها منهم سعيد بن علي السلماني فتولى سعيد الخطابة بجامع لوشة فعرف أبناؤه من بعده ببني الخطيب، وكان من أهل العلم والصلاح، وكان له برج يسكن فيه على الطريق بين لوشة وغرناطة، وكان حسن الصوت فعندما يتلو القرآن ليلاً لا يتمالك المارون على الطريق

(١) الدرر الكامنة، ١/ ٢١٥.

(٢) الشريفي، المرأة في الشعر الأندلسي، ص ١٠٠.

(٣) تاريخ قضاة الأندلس، ص ١٩٨.

(٤) ابن الخطيب، الإحاطة، ٨/١، ٢٩٥/٣؛ المقري، أزهار الرياض، ١٨٧.

(٥) الرض محلة بقرطبة متصلة بقصر الإمارة وكانت فيه وقعة ضد الأمير الحكم بن هشام سنة ٢٠٢ هـ/٨١٧ م، ينظر: ابن حيان، المقتبس (للحقة ١٨٠-٢٣٢ هـ/٧٦٦-٨٤٦ م)، ص ١٤٠.

إلا للإصغاء إلى تلاوته، توفي سنة ٦٢٣ هـ/١٢٢٦ م عندما تغلب النصارى على لوشة أثناء حركة البياسي (١).

- عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن مالك المعافري يكنى (أبو محمد)، من أهل لوشة ثم سكن غرناطة، وصفه ابن الخطيب بقوله: كان (كثير الصنائع، جزل المواهب، عظيم المكارم، على سنن عظماء الملوك، وأخلاق السادة الكرام، لم ير بعده مثله في رجال الأندلس، ذاكرا للفقهاء والحديث، بارعا في الأدب، شاعرا مجيدا وكاتباً بليغاً، حلو الكتابة والشعر، هشاً مع وقار، ليّناً على مضاء، عالي الهمة، كثير الخدم والأهل) توفي سنة ٥١٨ هـ/١١٢٤ م (٢).

- عبد القدوس بن عبد الصمد بن محمد بن غياث الصدفي يكنى (أبو الحسن) من أهل لوشة، كان يروي صحيح البخاري في الأندلس (٣)، توفي أخوه عبد الوهاب بن عبد الصمد سنة ٥٨٦ هـ/١١٩٠ م (٤)، فهو من أبناء القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي.

- عبد الله بن الجبير بن عثمان بن عيسى بن الجبير اليحصبي يكنى (أبو محمد)، من أهل لوشة، كان أديباً وشاعراً من بيت نباهة وأدب، كما له رواية في الحديث عارفاً بالنحو والأدب واللغات، خدم في شببته بني عباد، توفي سنة ٥١٨ هـ/١١٢٤ م (٥).

- عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن أحمد بن علي السلمي والد ابن الخطيب، يكنى (أبو محمد)، من أهل لوشة، وكان مفتياً فيها (٦)، ووصفه ابن الخطيب بقوله: ((كان، رحمه الله، فذاً في حسن الشكل والأبهة، وطلاقة اللسان، ونصاعة الظرف، وحضور الجواب، وطيب المجالسة، وثقوب الفهم، مشاراً إليه في الحلاوة وعذوبة الفكاهة، واسترسال الانبساط، مغنياً في ميدان الدعابة، جزلاً، مهيباً، صارماً، متجنّداً، رائق الخصل ركضاً وثقافة، وعدواً وسباحة وشطرنجاً، حافظاً للمثل واللغة، أخبارياً، مضطلعاً بالتاريخ، ناظماً نائراً، جميل البزة، فاره المركب، مليح الشببة)) (٧)، وكان له شعر، ومنه قوله:

عليك بالصمت فكم ناطق ... كلامه أدى إلى كلمه

(١) ابن الخطيب، الإحاطة، ٨/١ مقدمة المحقق، ٢٩٤/٣؛ المقري، أزهار الرياض، ١٨٧/١.

(٢) الإحاطة، ٣/٤٠٠-٤٠٢.

(٣) ابن الأبار، التكملة، ٣/١٤٣.

(٤) ابن الأبار، التكملة، ٣/١١٠.

(٥) ابن الأبار، التكملة، ٢/٢٥٢؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ٣/٢٩٣.

(٦) المقري، أزهار الرياض، ١/١٨٦.

(٧) الإحاطة، ٣/٢٩٥.

إن لسان المرء أهدى إلى ... غرته والله من خصمه

يرى صغير الجرم مستضعفا ... وجرمه أكبر من جرمه (١)

توفي سنة ٧٤١ هـ / ١٣٤٠ م (٢) .

- عبد الوهاب بن عبد الصمد بن محمد بن غياث الصدي يكنى (أبو محمد) من أهل لوشة، اشتهر بعلم الحديث والقراءات، وتولى القضاء، ثم سكن في آخر عمره مالقة، وتوفي سنة ٥٨٦ هـ / ١١٩٠ م (٣) .

- محمد بن أحمد العكي يكنى (أبو عبد الله) ويعرف بابن الأصلع من أهل لوشة، اشتهر بالحديث روى عنه ابنه أحمد بن محمد العكي (٤) المتوفى سنة ٦٢٤ هـ / ١٢٢٦ م (٥)، فهو من أبناء القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي .

- محمد بن أحمد بن يوسف بن أحمد بن عمر بن يوسف بن علي بن خالد بن عبد الرحمن بن حميد الهاشمي الطنجالي، من أهل لوشة ثم سكن مالقة، قال عنه ابن الخطيب : ((بيتهم نبيه إلى هاشمية النبي، وهم ببلدنا لوشة أشراف، وكانت لهم فيها ثروة وثورة اجتنها الدهر ببعض طوارقه في أبواب المغالبات، ويمت سلفنا إليهم بصحبة ومصاهرة)) توفي سنة ٧٢٤ هـ / ١٣٢٣ م (٦) .

- محمد بن عبد الرحمن المذحجي يكنى (أبو عبد الله) من أهل لوشة، كان محدثاً وفقهياً ومشاوراً، انتقل إلى غرناطة وتوفي بها قبل سنة ٥٤٠ هـ / ١١٤٥ م (٧) .

- محمد بن عبد المولى المكنى (أبو عبد الله)، وصفه ابن سعيد بالعالم القاضي، وقال عنه : ((يكفي لوشة من الفخر أن كان منها هذا السيد الفاضل فهو في كل مكرمة وفضيلة كامل نشأ على درس علوم الشريعة فورد منها في أعذب شريعة وترقى إلى خطة القضاء ببليده فأقام، عزه بين أهله وولده)) (٨) .

(١) ابن الخطيب، الإحاطة، ٢٩٧/٣ .

(٢) ابن الخطيب، الإحاطة، ٢٩٨/٣؛ المقري، أزهار الرياض، ١٨٧/١؛ نفع الطيب، ٨/٦ .

(٣) ابن الأبار، التكملة، ١١٠/٣ .

(٤) ابن الأبار، التكملة، ٢، ٧٠ .

(٥) ابن الأبار، التكملة، ١٠٢/١ .

(٦) الإحاطة، ١٨٦/٣ - ١٨٧ .

(٧) ابن الأبار، التكملة، ٣٦٢/١ .

(٨) المغرب في حلى المغرب، ١٥٨/٢ .

- محمد بن عيسى بن عثمان اليحصبي يكنى أبا عمرو ويعرف بابن الجبير، من أهل لوشة، كان محدثاً وأديباً وله شعر، ومنه قوله :

لو لم يكن لي أباء أسود بهم ... ولم تثبت رجال الغرب لي شرفاً
ولم أنل عند ملك العُصْر منزلة ... لَكَانَ فِي سَيِّبَوَيْهِ الْفَخْرُ لِي وَكفا
فكيف علم ومجد قد جمعتهما ... وكل مختلق في مثل ذَا وقفا
وكانت وفاته سنة ٥٥٩ هـ/ ١١٦٣ م (١) .

- محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن محمد بن علي بن محمد اللّوشي اليحصبي يكنى (أبو عبد الله)، ويعرف باللوشي، من أهل لوشة وقرأ العلم بها، وصفه ابن الخطيب بقوله : ((شاعر مفلق، وشهاب في أفق البلاغة متألق، طيق مفاصل الكلام بحسام لسانه، وقلد نحور الكلام ما يزري بجواهر الملوك من إحسانه، ونشأ في حجور الدولة النصرية مددلاً بمتاته، متقلبا في العز في أفانينه وأشتاته، إذ لسلفه الذمام الذي صفت منه الحياض والحمام، والوداد الذي قصرت عنه الأنداد، والسابقة التي أزرى بخبرها العيان، وشهدت بها أرجونة وجيان، محير ثمره الطيب، وله همّة عالية، بعيدة المرمى، كريمة المنتمى، حملته بأخرة على الانقباض والازدياء والزهد في الازدياد والاستكثار، والاقتصاد والاقْتِصَار، فعطف على انتجاع غلته، والتزام محلته، ومباشرة فلاحه صان بها وجهه، ووقاه الدهر حقه ونجمه، واحتجبت عقائل بيانه لهذا العهد وتقتعت، وراودتها النفس فتمتعت)) (٢)، ومن شعره قوله :

سيخطب قس العزم في منبر السرى ... وهل في الدنيا يوم المسير أطيق؟
وأقطع زند الهجر والقطع حقه ... فما زال طيب العمر عني يريق
توفي سنة ٧٥٢ هـ/ ١٣٥١ م (٣) .

- محمد بن يوسف بن خلصون يكنى (أبو القاسم)، من أهل روضة (٤) سكن لوشة، اشتهر بالتصوف وله نظر في الطب، وصفه ابن الخطيب بقوله : ((كان من جلة المشيخة وأعلام الحكمة، فاضلاً، منقطع القرين في المعرفة بالعلوم العقلية، متبحراً في الإلهيات، إماماً في طريقة الصّوفية، من أهل المقامات والأحوال، كاتباً بليغاً، شاعراً مجيداً، كثير الحلاوة والطلاوة، قائماً على القرآن، فقيهاً أصولياً، عظيم التخلق، جميل العشرة، انتقل من حصن

(١) ابن الأبار، التكملة، ٢٦/٢ .

(٢) الإحاطة، ١٧٥/٢ .

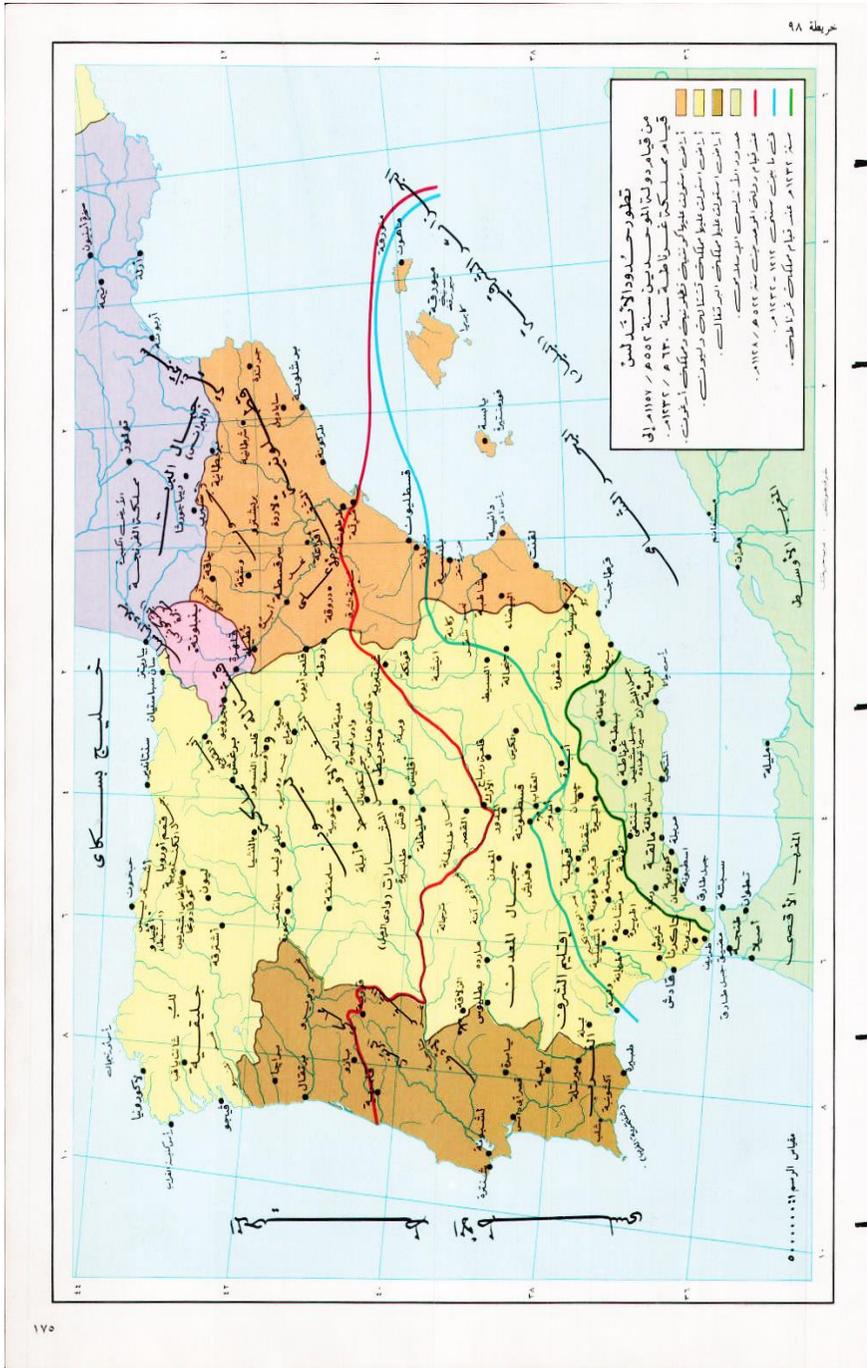
(٣) ابن الخطيب، الإحاطة، ١٧٥/٢ .

(٤) وهو حصن بين المغرب والقبلة من شريش، ينظر : ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ١٣٣ .

روطة إلى الخطابة والإمامة بلوشة، كثير الدؤوب على النَّظر والخلوة، مقصودا من منتحلي ما لديه ضرورة، لم يتزوج، وتمالأت عليه طائفة ممن شأنها الغصّ من مثله، فانزعج من لوشة إلى مالقة، فتحزّف بها بصناعة الطّب، إلى حين وفاته^(١) وله عدة مؤلفات منها كتاب المحبة، وكتاب وصف السلوك إلى ملك الملوك^(٢)، وهو معاصر لابن الخطيب، فهو من أبناء القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي .

(١) الإحاطة، ١٩٤/٣ .

(٢) ابن الخطيب، الإحاطة، ١٩٤/٣ .



خارطة الأندلس، عن مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، ص ١٧٥ .

الخاتمة

تقع مدينة لوشة إلى الجنوب من قرطبة وإلى الشمال الغربي من غرناطة، يشقها نهر شنيل من الجنوب إلى الشمال، ويمتد بسيطها على طول سفح جبل شلير أو جبل الثلج، وُصفت المدينة بحسن طبيعتها ووفرة المياه بها ووفرة إنتاجها من الزيتون والكروم والزروع، فتحتها المسلمون سنة ٩٢ هـ / ٧١٠ م واستوطنتها العديد من القبائل العربية .

أولتها حكومة قرطبة اهتماماً خاصاً لاسيما بعد أن استولى عليها ابن حفصون وعلى عدد من مناطقها، فأعدت بناءها وتحصينها، وقد وقف الأهالي إلى جانب حكومة قرطبة ضده حتى تمكنوا من التخلص من نفوذه، وخلال عهد الطوائف كانت لوشة ضمن أملاك بني مناد الصنهاجيين، وخلال العصرين المرابطي والموحدي قلت أهميتها بسبب تحول الاهتمام إلى إشبيلية ثم تراجع دور قرطبة، وخلال عصر بني الأحمر تحولت المدينة إلى ثغر، وساهم أهلها في الدفاع عنها ضد هجمات مملكة قشتالة حتى سقوطها سنة ٨٩١ هـ / ١٤٨٦ م، وعلى طول ثمانية قرون أسهم أهلها في الحركة الفكرية في الأندلس في مختلف فنون العلم والمعرفة .

ثبت المصادر

أولاً : المصادر الأولية

- ❖ ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت ٦٥٨هـ / ١٢٥٩م): التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة، بيروت، ١٩٩٥ م .
- ❖ ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت ٦٥٨هـ / ١٢٥٩م): الحلة السيرة، تحقيق حسين مؤنس، ط٢، مصر ١٩٨٥ م .
- ❖ ابن الأثير، علي بن أبي الكرم بن عبد الكريم الجزري (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م): الأندلس من الكامل في التاريخ، جمعه وحقق نصوصه جاسم ياسين الدرويش، ط١، دمشق، ٢٠١٥م .
- ❖ الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحميري الحسني (ت ٥٦٠هـ / ١١٦٤م): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٩م .
- ❖ ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي (ت ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م): رحلة ابن بطوطة، الرباط، ١٤١٧هـ .
- ❖ ابن بلقين، عبد الله (ت ٤٨٨هـ / ١٠٩٥م) : مذكرات الأمير عبد الله المسمى بكتاب التبيان، تحقيق أ . ليفي بروفنسال، القاهرة، ١٩٥٥ م .
- ❖ ابن الجزري، شمس الدين محمد بن محمد بن يوسف (ت ٨٣٣هـ / ١٤٢٩م): غاية النهاية في طبقات القراء، مكتبة ابن تيمية، عني بنشره ج. برجستراسر، ١٣٥١هـ .
- ❖ ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني (ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م): الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق محمد عبد المعيد خان، ط٢، مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد، الهند، ١٩٧٢ م .
- ❖ ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت ٤٥٦هـ / ١٠٦٣م): جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد المنعم خليل إبراهيم، ط٤، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٧م .
- ❖ الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت : حوالي ٧١٠هـ / ١٣١٠م): الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، ط٢، بيروت، ١٩٨٠ م .
- ❖ ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف (ت ٤٦٩هـ / ١٠٧٦م): المقتبس من أنباء أهل الأندلس، (للحقب ١٨٠-٢٣٢هـ / ٧٩٦-٨٤٦م) تحقيق: محمود علي مكي، ط١، الرياض، ٢٠٠٣ م .
- ❖ المقتبس (للحقب ٢٧٥-٣٠٠هـ / ٨٨٨-٩١٢م)، تحقيق: إسماعيل العربي، ط١، منشورات دار الآفاق الجديدة، المغرب، ١٩٩٠ م .

- ❖ المقتبس (للحقة ٣٦٠-٣٦٤هـ / ٩٧٠-٩٧٤م)، تحقيق: عبد الرحمن الحجي، بيروت، ١٩٦٥ م.
- ❖ ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد التلمساني (ت ٧٧٦هـ / ١٣٧٤م): الإحاطة في أخبار غرناطة، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤ هـ.
- ❖ ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد التلمساني (ت ٧٧٦هـ / ١٣٧٤م): أعمال الأعلام في من بويغ قبل الاحتلام من ملوك الإسلام المسمى بتاريخ اسبانيا الإسلامية، تحقيق سيد كسروي حسن، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣ م.
- ❖ ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد التلمساني (ت ٧٧٦هـ / ١٣٧٤م): ربحانة الكتاب ونجعة المنتاب، تحقيق محمد عبد الله عنان، ط١، بيروت، ١٩٨٠ م.
- ❖ ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد التلمساني (ت ٧٧٦هـ / ١٣٧٤م): معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤٢٣ هـ.
- ❖ ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد التلمساني (ت ٧٧٦هـ / ١٣٧٤م): اللحة البدرية في الدولة النصرية، صححه ووضع فهرسه ونشره، محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٤٧ هـ.
- ❖ ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م): تاريخ ابن خلدون المسمى العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تحقيق خليل شحادة، ط٢، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨ م.
- ❖ ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢م): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، لبنان، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٩ م.
- ❖ ابن أبي دينار، محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني (ت ١١١٠هـ / ١٦٩٨م): المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ط١، تونس ١٢٨٦ م.
- ❖ الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م): تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٣ م.
- ❖ ابن أبي زرع، أبو الحسن علي بن عبد الله (كان حيا سنة ٧٢٦هـ / ١٣٢٥م): الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٢ م.
- ❖ الزهري، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ت بعد ٥٤١هـ / ١١٥٤م): كتاب الجغرافية، اعتنى بتحقيقه محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد.
- ❖ ابن سعيد، علي بن موسى (ت ٦٧٣هـ / ١٢٧٤م أو ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م): المغرب في حلّى المغرب، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ج ٢، ١٩٥٥ م.

- ❖ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م): تاريخ الخلفاء، تحقيق: إبراهيم صالح، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٨م .
- ❖ الشربيني، شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب (ت ٩٧٧هـ/١٥٧٠م): مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٤م .
- ❖ شيخ الربوة، أبو عبد الله محمد بن أبي طالب الأنصاري (ت ٧٢٧هـ / ١٣٢٦م): نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٩٨م .
- ❖ ابن عبد الملك المراكشي، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك (ت ٧٠٣هـ / ١٣٠٣م): الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، السفر الخامس، تحقيق: إحسان عباس، بيروت ١٩٦٥م .
- ❖ ابن عذاري المراكشي، أبو العباس أحمد بن محمد (ت بعد ٧١٢هـ / ١٣١٢م): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة ج.س كولان وإليني بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ١٩٥١م ؛ ج٢، والجزء الخاص بالموحدين تحقيق محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥م .
- ❖ العذري، أحمد بن عمر بن أنس (ت ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م): نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، تحقيق عبد العزيز الأهواني، منشورات معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، د.ت.
- ❖ ابن غالب، محمد بن أيوب بن غالب البلنسي (ت ٥٧١هـ / ١١٧٥م): قطعة من كتاب فرحة الأنفس عن كور الأندلس ومدنها بعد الأربعمئة، تحقيق لطفي عبد البديع، مجلة معهد المخطوطات العربية، القاهرة ١٩٥٦م .
- ❖ أبو الفدا، عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر (ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م): تقويم البلدان، دار الطباعة السلطانية، باريس، ١٨٤٠م .
- ❖ ابن فضل الله العمري، شهاب الدين أحمد بن يحيى القرشي العدوي (ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٩م): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ١٤٢٣ هـ .
- ❖ الفزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م) : آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، ١٩٦٩م .
- ❖ القلقشندي، أحمد بن علي الفزاري (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م): صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب العلمية، بيروت .
- ❖ القلقشندي، أحمد بن علي الفزاري (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م): نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق إبراهيم الإبياري، ط ٢، بيروت، ١٩٨٠م .

- ❖ مجهول، مؤلف (ت القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي): أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم، مجريط، ١٨٦٧ م .
- ❖ مجهول، مؤلف (ت في حدود ٨٩٥هـ/١٤٨٩م): تاريخ الأندلس، تحقيق عبد القادر بويابة، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٧م، والنسخة الأخرى بتحقيق لويس مولينا، بعنوان ذكر بلاد الأندلس، مدريد، ١٩٨٣ م .
- ❖ مؤلف مجهول (كان حياً سنة ٨٩٧ هـ / ١٤٩١م): نبذة العصر في انقضاء دولة بني نصر، تحقيق محمد رضوان الدية، دار حسان، دمشق، ١٤٠٤ هـ .
- ❖ المراكشي، عبد الواحد بن علي (ت ٦٤٧هـ/١٢٤٩م) : المعجب في تلخيص أخبار المغرب، وضع حواشيه خليل عمران المنصور، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥ م .
- ❖ المقري ، شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني (ت : ١٠٤١ هـ / ١٦٣١م) : أذهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد العظيم شلبي، القاهرة، ١٩٣٩ م .
- ❖ المقري ، شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني (ت : ١٠٤١ هـ / ١٦٣١م) : نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٨ م .
- ❖ النباهي، أبو الحسن علي بن عبد الله الجذامي المالقي الأندلسي (ت ٧٩٢ هـ/١٣٨٩م): تاريخ قضاة الأندلس المسماة المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٣ م .
- ❖ النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٢ هـ/١٣٣١م): نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ١٤٢٣ هـ .
- ❖ ياقوت، شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله الرومي البغدادي الحموي (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م): الأندلس من معجم البلدان، حققه وعلق عليه جاسم ياسين الدرويش، ط١، البصرة ٢٠١٢ م .

ثانياً : المراجع الحديثة

- ❖ إيرفنج، واشنطن : أخبار سقوط غرناطة، ترجمة هادي يحيى نصري، مؤسسة الانتشار العربي، ط١، بيروت، ٢٠٠٢م .
- ❖ حتاملة، محمد عبدة : أيبيريا قبل مجيء العرب المسلمين، عمان، ١٩٩٦ م .
- ❖ الدرويش، جاسم ياسين : أعلام نساء الأندلس، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٧م .

- ❖ دوزي، رينهرت: تكملة المعاجم العربية، نقله إلى العربية محمد سليم النعيمي وجمال الخياط، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، ٢٠٠٠ م .
- ❖ الشريف، علي مطشر : المرأة في الشعر الأندلسي في عهد بني الأحمر، دراسة موضوعية فنية، رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية، كلية التربية، جامعة البصرة، ٢٠٠٠ م .
- ❖ طه، عبد الواحد ذنون: الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال إفريقيا والأندلس، منشورات وزارة الثقافة والأعلام، بغداد، ١٩٨٢ م .
- ❖ الطويل، مريم قاس : مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر ٤٠٣-٤٨٣ هـ / ١٠١٢-١٠٩٠م، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٤ م .
- ❖ عنان، محمد عبد الله : الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال دراسة تاريخية أثرية، ط٢، القاهرة، ١٩٩٧م.
- ❖ عنان، محمد عبد الله: دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج ١، ٢، ٥ ط الرابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م، ج ٣، ٤، ط ٢، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م .
- ❖ الكتاني، علي بن محمد المنتصر : انبعاث الإسلام في الأندلس، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥ م .
- ❖ الموسوي، مصطفى عباس: العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨٢ م .
- ❖ مؤنس، حسين : أطلس التاريخ الإسلامي، ط١، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٤ م .
- ❖ هنتس، فالتر : المكابيل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المترى، ترجمه عن الألمانية كامل العسلي، عمّان ١٩٧٠م .
- ❖ Wikipedia.org، مقالة عن لوثة الأندلسية .

اعتراض ابن الوردي (ت ٧٤٩هـ) ابن مالك واستدراكه عليه

Ibn al-Wardi (D. 749 A.H.) objected to Ibn Malik and corrected him

Abeer Ahmed Ibrahim
Dr. Abdul Salam Mari Jassim
Assistant Professor
University of Mosul - College
of Education for Human
Sciences - Department of
Arabic Language

عبير أحمد إبراهيم
د. عبدالسلام مرعي جاسم
أستاذ مساعد
جامعة الموصل - كلية التربية للعلوم
الإنسانية - قسم اللغة العربية

abeerah588@gmail.com

abdulsalammarie@gmail.com

تاريخ القبول

٢٠٢٢/١/٢٣

تاريخ الاستلام

٢٠٢١/١٢/٢٢

الكلمات المفتاحية: اعتراض - استدراك - ابن الوردي - تحرير الخصاصة.

Keywords: Objection - Reconciliation - Ibn Al-Wardi - Liberation of privacy.

المخلص

حاولت هذه الدراسة الكشف عن المواضع التي اعترض فيها ابن الوردي على ابن مالك في شرحه للألفية في كتابه (تحرير الخصاصة في تيسير الخلاصة)، لما في ذلك من أهمية في إبراز قيمة هذا الشرح بين شروح الألفية الأخرى؛ لأن ابن الوردي لم يكن شارحاً لأبيات الألفية موضعاً لعبارات النظم فحسب، بل كان في مواضع من كتابه ناقداً لعبارات ابن مالك.

ولقد جاء هذا البحث عرضاً مفصلاً لصور ذلك النقد، مع بيان موقف عددٍ من شراح الألفية الآخرين، وبيان من جاء رأيه موافقاً لرأي ابن الوردي من عبارة ابن مالك، أو مخالفاً، أو معنّزاً لابن مالك، فقد كان ابن الوردي في اعتراضه ونقده يأتي بنصّ فيه موضع الاعتراض وقد يتبع ذلك باقتراح نظمٍ بدل نظم الألفية الذي يعترض عليه وهذا أت من كون ابن الوردي ذا ثقافةٍ أدبية رقيقة؛ فهو الأديب الشاعر، فضلاً عن النحوي، وقد لا يأتي بنظمٍ بديلٍ عنه، كما أوضح البحث أنواع ذلك النقد في صورٍ مختلفة وقفت عليها الدراسة.

Abstract

This study attempted to reveal the places in which Ibn al-Wardi objected to Ibn Malik in his explanation of the millennium in his book (Tahrir al-Khasasa fi Tayseer al-Khulasa), due to its importance in highlighting the value of this explanation among the other commentaries of the millennium. Because Ibn al-Wardi was not only an explainer of the verses of the millennium clarifying the phrases of the systems, but he was in places in his book criticizing the phrases of Ibn Malik.

This research came in a detailed presentation of the images of that criticism, with a statement of the position of a number of other millennium commentators, and a statement of those whose opinion came in agreement with the opinion of Ibn Al-Wardi from the phrase of Ibn Malik, or in disagreement, or apologizing to Ibn Malik. The subject of the objection, and this may be followed by proposing systems instead of the millennium systems that he objects to, and this comes from the fact that Ibn Al-Wardi has a high literary culture. He is the literary poet in addition to the grammarian, and he may not come up with an alternative system for it, as the research clarified the types of that criticism in different forms that the study stood on.

الاستدراك على أبيات الألفية والاعتراض:

تعددت مواقف ابن الوردی من ابن مالك، فوقف منه تارة موقف المعترض، وتارة موقف الناقد لعبارته أو بيته، أو مضمون المعلومة النحوية التي يعرضها ومستدرکاً عليه، وغير ذلك ممّا وقفنا عليه في هذا الصدد، والاستدراكات: "هي زيادة على كلام العلماء، أو هي مزيد بيان لما أوهم من كلام السابقين، دعل إليها وضوح الأدلة واستكمالها والاستقراء الجيد"^(١)، وأما الاعتراض يمكن أن يُقصد به: "ردّ كلام النحويين، وإقامة الدليل على ما يقابله"^(٢) وليس القصد منه تتبّع الأخطاء لذاتها، وإنما بيان الصواب بالدليل.

أولاً: الاستدراك على البيت مع إعطاء بديل:

فقد نقد ابن الوردی أبيات الألفية واستدرك عليها وأخذ نقده لها ثلاثة أشكال، فتارة ينقد البيت لما يشتمل عليه من قصور في أداء المعلومة النحوية، ويقدم مع ذلك بديلاً لتنظيم البيت يشتمل على ما رآه فيه من قصور، وتارة أخرى ينقد البيت لا لقصور فيه، بل لفوات معنى حسن خلا عنه ويقدم أيضاً بديلاً له يكمل هذا الجانب، وعلى النحو الآتي:

١- إتمام البيت:

أ- إتمام ما خلا منه البيت من حكم نحوي:

نقد ابن الوردی ما رأى في بيت ابن مالك من قصور فنّبه عليه وقدم له بديلاً، من ذلك:

-إعراب الفعل المضارع المعتل:

قال ابن مالك^(٣):

وَالرَّفْعُ فِيهِمَا أَنْوَاعٌ وَأَحْذَفُ جَازِمًا ثَلَاثُهُنَّ تَقْضِي حُكْمًا لِأَزْمَا

قال الشارح: "ولو كان الشيخ رحمه الله قال نحو هذا البيت:

وَالرَّفْعُ فِيهِمَا أَنْوَاعٌ وَالْكَلُّ أَحْذَفُ جَزْمًا وَقَدْ صَحَّحَهُ بَعْضُ السَّلَفِ

لكان أكثر فائدة فإنّ بعض العرب يُجري المعتلّ مجرى الصحيح"^(٤).

الفعل المضارع المعتلّ بأقسامه الثلاثة المعتلّ (بالألف والياء والواو) يُحذف منه حرف العلة عند الجزم، إلا أنّ بعض العرب أجرى المعتلّ مجرى الصحيح فأبقى فيه حرف

(١) الاعتراض النحوي عند ابن مالك واجتهاداته، د. ناصر محمد آل قميشان: ١٩

(٢) المصدر السابق: ١٨.

(٣) ألفية ابن مالك في النحو والصرف، أبو عبدالله محمد بن مالك: ١٢.

(٤) تحرير الخصاصة في تيسير الخلاصة، أبو حفص عمر بن المظفر، زين الدين ابن الوردی: ١٢٣.

العلة فجاء تعديل الشارح لبيت الألفية لما فيه من قصور في التعبير عن هذه الحالة النحوية والإعرابية، واستشهد الشارح بعدد من الشواهد منها^(١):

قراءة^(٢) في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ﴾ [يوسف: ٩٠] ومن الشعر:

ولا ترضاها ولا تملق^(٣)

هجوت زياناً ثم جئت معتذراً

من هجو زيان لم تهجو ولم تدع^(٤)

ألم يأتيك والأنباء تنمي

بما لاقت لبون بني زياد^(٥)

فثبت حرف العلة في هذه الشواهد مع أنها مجزومة.

ويبدو أن ابن مالك (ت: ٦٧٢هـ) يشير إلى أصل الحكم النحوي في هذه الصور الذي

بُني على الكثير الشائع من كلام العرب، لذا نجد أن ثمة توجيهات متعددة للقراءة تعود بها إلى التطابق مع القاعدة التي نصَّ عليها ابن مالك في بيته، فوجهت: أن (من) يجوز أن تكون موصولة بمنزلة الذي يتقي وحمل الفعل المضارع المعطوف (يصبر) على المعنى فجزم؛ "لأن (من) إذا كانت بمنزلة (الذي) فكأنما هو بمنزلة الجزاء الجازم"^(٦)، وتوجيه (يصبر) بتسكين الراء عند ابن هشام^(٧) (ت: ٧٦١هـ) والأزهري^(٨) (ت: ١٩٠٥هـ) هو إما لكرهه توالي أربع حركات من الباء والراء من (يصبر) والفاء والهمزة من (فإن)، أو على الوصل بنية الوقف أو على العطف على المعنى؛ لأن (من) الموصولة بمعنى الشرطية في العموم والإبهام، والدليل على هذا صلاحية (من) وما هي بمنزلته لدخول الفاء في جوابهما عند

(١) المصدر نفسه: ١٢٣-١٢٤.

(٢) قبل وابن كثير بإثبات ياء (يتقي) وصلًا ووقفًا، ينظر: حجة القراءات، أبو زرعة عبدالرحمن بن زنجلة: ٣٦٤، وإتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، أحمد بن محمد البنا: ١٥٣/٢.

(٣) قائله رؤية، ينظر: ملحقات ديوانه: ١٧٩، وصدرة: إذا العجوز غضبت فطلق.

(٤) قاله أبو عمرو بن العلاء، ينظر: المقاصد النحوية في شرح واهد شروح الألفية، محمود بن أحمد، بدر الدين العيني: ٢٥٧، ومعجم شواهد العربية، عبدالسلام محمد هارون: ٢٩٧.

(٥) قيس بن زهير العبسي، شعر قيس بن زهير: ٢٩، والرواية: ألم يُبْلَغَكَ.

(٦) حجة القراءات: ٣٦٥.

(٧) ينظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، أبو محمد عبدالله بن يوسف، جمال الدين ابن هشام الأنصاري: ٨٠/١، ٨٩.

(٨) ينظر: شرح التصريح: ٨٨/١-٨٩.

الشرط^(١)، فيقال: الذي يأتيني فله درهم، ومن يأتيني فله درهم، فضلاً عن ورود قراءة أخرى بجزم الفعل (يتق)^(٢).

وأما الشواهد الشعرية فقد قال ابن خالويه في بقاء حروف العلة: "وإنما يجوز إثباتها مع الجازم في ضرورة الشاعر"^(٣)، وكذلك جعل ابن عصفور^(٤) (ت: ٦٦٩هـ) والسيوطي^(٥) (ت: ٩١١هـ)، الشاهد الثاني (لم تهجو... والثالث (ألم يأتيك... من الضرورة، ومن شراح الألفية المرادي^(٦) (ت: ٧٤٩هـ) جعل الشاهد الثالث من الضرورة، وبين الأشموني: جواز أن يكون حرف العلة حذف منها ثم أشبعت الحركات الفتحة في الأول فصارت ألفاً، والكسرة في الثاني فصارت ياءً، والضممة في الثالث فصارت واوا^(٧)، ولم يرد لغير ابن الوردى نقد لابن مالك على هذا البيت^(٨).

ب- إتمام ما خلا منه البيت من مذهب نحوي:

كان استدراك الشارح في هذا القسم مراداً منه ذكر مذهب نحوي في مسألة معينة لم يشتمل عليه بيت الألفية، فيضمنه الشارح بنظمه، وجاء هذا الانتقاد في المواضع الآتية:

أ- إبدال المضمير من ضمير الحاضر:

قال ابن مالك^(٩):

وَمِنْ ضَمِيرِ الْحَاضِرِ الظَّاهِرِ لَا تُبْدِلُهُ إِلَّا مَا إِحَاطَةٌ جَلَا
أَوْ اقْتَضَى بَعْضًا أَوْ اشْتَمَلَا كَأَنَّكَ ابْتِهَاجَكَ اسْتِمَالَا

(١) ينظر: حجة القراءات: ٣٦٥، وشرح التصريح: ٨٩/١.

(٢) ينظر: الحجة للقراء السبعة، أبو علي الحسن بن عبدالغفار الفارسي: ٤/٤٤٧-٤٤٨، والبحر المحيط في تفسير القرآن العظيم، أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي: ٢٣٠/١٦.

(٣) الحجة في القراءات السبع، ابن خالويه: ١٩٩.

(٤) ينظر: ضرائر الشعر، أبو الحسن علي بن مؤمن، المعروف بابن عصفور: ٣٤-٣٥.

(٥) ينظر: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين السيوطي: ١/١٧٩.

(٦) ينظر: توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، ابن أم قاسم المرادي: ٣٥١.

(٧) شرح الأشموني: ٨٤/١.

(٨) ينظر: منهج السالك في الكلام على ألفية ابن مالك، أبو حيان الأندلسي: ١/٥٠، وشرح

ابن عقيل على ألفية ابن مالك، عبدالله بن عبدالرحمن، بهاء الدين بن عقيل: ١/٩٢،

وشرح المكودي، أبو زيد عبدالرحمن بن علي المكودي: ٢٠، والبهجة المرضية، جلال

الدين السيوطي: ١/٤٠.

(٩) ألفية ابن مالك: ٤٢.

قال الشارح: "ويؤهم قوله: ومن ضمير الحاضر الظاهر لا تبدله.... البيت أنه يجوز إبدال المضمَر من ضمير الحاضر، وليس كذلك؛ فإنَّ المضمَر لا يبدل منه أصلاً، فلو قال بدل البيت والذي بعده نحو:

ولا يجيء ذو الكلِّ بعد مضمِرٍ لحاضرٍ إن لم يُحِط في الأكثرِ
والمقتضي بعضاً أو اشتمالاً بعد ضميرٍ حاضرٍ توالاً

لحصل التنبية على مذهب الأخفش^(١)، وزال التوهم، وكان أتمَّ من وجوه تظهر بالتأمل، وأقرب إلى كلامه في العمدة^(٢) فإنه قال فيها: ويتبع بدل البعض والاشتمال ضمير الحاضر كثيراً، ولا يتبعها غالباً بدل الكلِّ إلا وهو بمعنى كلِّ^(٣).

وثمة أمران نلحظهما في كلام الشارح هنا الأول: أنه أقام استدراكه على أن في البيتين قصوراً عن الإشارة إلى مذهب الأخفش (ت: ٢١٥هـ) في المسألة فلم يكن الأمر المستدرك قضية نحوية عامة كما رأيناها يفعل في كثير من استدراكاته الأخرى، بل هو مذهبٌ نحوي بعينه، والثاني: أنه نبه على أن للناظم إشارة في غير الألفية إلى ما أغفله فيها. وإبدال الظاهر من المضمَر، قسمان:

الأول: أن يكون الضمير لغائب فهذا يجوز إبداله مطلقاً^(٤).

الثاني: إذا كان الضمير لحاضر (متكلم أو مخاطب)، فالجواز مشروط بكونه بدل كلِّ من كلِّ مع إفادة الشمول والإحاطة، وهو شرط ابن مالك الذي ورد في الألفية، واستشهد له ابن الوردي^(٥) بقول الشاعر^(٦):

بكمُّ الأكابر والأصاغر فخرنا أبداً بذاك نزالُ مُعترفينا

فأبدل الظاهر (الأكابر والأصاغر) من الضمير في (بكم)؛ لأنَّ الكلام أفاد الإحاطة^(٧).

(١) ينظر: شرح جمل الزجاجي، أبو الحسن علي بن مؤمن، المعروف بابن عصفور:

٢٦٢/١، وشرح الرضي لكافية ابن الحاجب: ١/١٠٨٩.

(٢) شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ، محمد جمال الدين بن مالك: ٥٧٨.

(٣) تحرير الخصاصة: ٥٣١-٥٣٢.

(٤) ينظر: شرح جمل الزجاجي: ١/٢٦١، وشرح المفصل، يعيش موفق الدين بن علي،

المعروف بابن يعيش: ٧٠/٣، وتوضيح المقاصد: ١٠٤٤.

(٥) تحرير الخصاصة: ٥٣٠.

(٦) لرجل من طيء، ينظر: شرح عمدة الحافظ: ٥٨٨، والمعجم المفصل في شواهد العربية،

إميل بديع يعقوب: ٨١/٨.

(٧) ينظر: شرح عمدة الحافظ: ٥٨٨.

أما إذا خلا من الجانبين فمنعه جمهور البصريين^(١)، وأجازه قطرب^(٢) في الاستثناء، وأجازه الأخفش^(٣) والكوفيون^(٤)، وهو ما أراد الشارح التنبيه عليه في استدراكه هنا، وأن يشتمل بيت الألفية على ذكره بخاصة أن ابن مالك تابعهم فيه، لذا وجدنا ابن الوردى يشير إلى هذا متعجباً ويقول: "وعجبٌ منه يستشهد لمذهب الأخفش ويؤيده، ولم ينبه عليه في الخلاصة"^(٥) وشاهد ابن مالك^(٦) تأييداً لمذهب الأخفش والكوفيين أورده الشارح بقوله: "ويشهد له قول ذي الرمة"^(٧):

وشوواء تعدو بي إلى صارخ الوغى بمستلثم مثل الفنيق المرجل^(٨)

فأبدل الظاهر (مستلثم) من ضمير الحاضر ياء المتكلم المجرورة في (بي)، ولم يفد الإحاطة. ويؤيد استدراك الشارح قول ابن مالك في غير الألفية: "لا يبدل مضمراً من مضمراً ولا من ظاهر، وما أوهم ذلك جعل توكيداً"^(٩) نحو: (رأيتك إيّاك)، ونحو: (رأيتُ زيداً إيّاه)، وهي عند البصريين بدل، وعند الكوفيين توكيد، وحكم ابن مالك بصحة قول الكوفيين^(١٠)، لأنّ ضمير النصب المنفصل من ضمير النصب المتصل نحو: (رأيتُك إيّاك) هو كنسبة ضمير الرفع المنفصل من ضمير الرفع المتصل، نحو: (فعلتُ أنتَ)، وهذا مُجمَع على أنّه توكيد، فكذلك المنصوب، فالتفريق بينهما تحكّم لا دليل عليه^(١١).

- (١) ينظر: شرح المفصل: ٧٠/٣، وهمع الهوامع: ٢١٨/٥، وحاشية الصبان على شرح الأشموني، أبو العرفان علي بن محمد الصبان: ١٩١/٣.
- (٢) ينظر: ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيان الأندلسي: ١٩٦٥، وتوضيح المقاصد: ١٠٤٦، وهمع الهوامع: ٢١٨/٥.
- (٣) ينظر: شرح جمل الزجاجي: ٢٦٢/١، وشرح الرضي للكافية: ١٠٨٩/١، والمقاصد الشافية: ٢١٠/٥.
- (٤) ينظر: شرح الكافية الشافية، أبو عبدالله محمد بن مالك: ١٢٨٤، وارتشاف الضرب: ١٩٦٥، وهمع الهوامع: ٢١٨/٥.
- (٥) تحرير الخصاصة: ٥٣١.
- (٦) ينظر: شرح الكافية الشافية: ١٢٨٤.
- (٧) ديوان ذي الرمة: ٢٢٩، وفيه المُدجّل بدل المرجل.
- (٨) ينظر: تحرير الخصاصة: ٥٣٠-٥٣١.
- (٩) شرح التسهيل، محمد بن عبدالله، ابن مالك: ٣٢٩/٣.
- (١٠) ينظر: شرح التسهيل: ٣٣٢/٣، وشرح التصريح: ١٩٧/٢.
- (١١) ينظر: المصدر نفسه: ٣٣١-٣٣٢/٣.

واختلف موقف الشراح من بيت الألفية فذكر ابن الناظم^(١) وابن هشام^(٢) مذهب الأخفش من دون نقد لابن مالك، وفهم الشاطبي^(٣) (ت: ٩٠٧هـ) منه تأييد ابن مالك لمذهب البصريين هنا في الألفية، وإن قال في غير الألفية بقول الكوفيين، في حين نصّ السيوطي^(٤) والأزهري^(٥) كلاهما على مخالفة مذهب الأخفش.

٢- تقييد إطلاق في البيت:

سار الشارح هنا على النحو نفسه الذي رأيناه قبلاً، فقد قيّد إطلاقات البيت، ثمّ قدّم بديلاً عنه فيأتي نظم الشارح متضمناً لذلك المقيد، ومن هذه المواضع:

أ- في باب الابتداء:

علق الشارح على قول ابن مالك^(٦):

كَذَا إِذَا مَا الْفِعْلُ كَانَ الْخَيْرَ أَوْ قُصِدَ اسْتِعْمَالُهُ مُنْهَصِرًا

فقال: "ومنها [يريد موانع تقديم الخبر] كون الخبر فعلاً والمبتدأ مفرداً والفعل مسنداً إلى ضميره، ك(زيد قام)، فلو تئى أو جُمع جاز تقديمه، كقاما أخواك، قاموا إخوتك. ويؤهم كلام الشيخ أنّ مثل هذا لا يجوز أن يصدق عليه أنّ الفعل فيه خبر، فلو قال بدل البيت نحو:

أَوْ كَانَ فَعْلٌ خَيْرٌ كَابْنِي قَرَأَ أَوْ قُصِدَ اسْتِعْمَالُهُ مُنْهَصِرًا

لكان أوضح؛ لأنّ التمثيل بابني قرأ، المبتدأ فيه مفرد والفعل مسند إلى ضميره^(٧).

ونقد الشارح للناظم وتعديله للبيت قائم على ما في كلام ابن مالك من إطلاق لمنع التقديم، فالبيت في نظره يؤهم امتناع تقديم كل خير كان فعلاً، وليس كذلك، بل يمتنع تقديم الخبر إذا كان فعلاً وفاعله ضمير مستتر^(٨)؛ لأنّ الجملة ستتحول إلى فعلية، فإن كان فاعله ضميراً بارزاً، أو اسماً ظاهراً جاز تقديمه مثل: الزيدان قاما، الزيدون قاموا على التقديم فيه

(١) ينظر: شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك، أبو عبدالله محمد بن محمد بن مالك، بدر

الدين ابن الناظم: ٣٩٧-٣٩٨.

(٢) ينظر: أوضح المسالك: ٤٠٧/٣.

(٣) ينظر: المقاصد الشافية: ٢١٤/٥.

(٤) ينظر: البهجة المرضية: ٨٥/٢.

(٥) ينظر: شرح التصريح: ١٩٩/٢.

(٦) ألفية ابن مالك: ١٦.

(٧) تحرير الخصاصة: ١٧٥-١٧٦.

(٨) ينظر: شرح جمل الزجاجي: ٣٣٧/١، وهمع الهوامع: ٣٣/٢.

والتأخير^(١)، وهو لا يمتنع وإن جرى على لغة اكلوني البراغيث، "لأنّ تقديم الخبر أكثر في الكلام من تلك اللغة، والحمل على الأكثر راجح"^(٢)، ممّا دعا الشارح إلى النص على صورة الاستثناء فيما اقترحه وجاء به من تعديل إلاّ أنّه لم يلتفت إلى ما يلزم على جواز التقديم في غير الصورة المذكورة من جري الكلام على لغة اكلوني البراغيث، وهو ما اعتذر عنه الشاطبي لابن مالك فقال: "يعتذر عن الناظم في نحو: الزيدان قاما، بأن يقال: لعلّه أخذ فيه بمذهب الأكثر"^(٣)، وهو اعتذار في حقيقته راجع ومستند إلى نصّ ابن مالك على هذا الحكم نفسه من الكثرة والقلّة، وهو مذهب الأخفش^(٤) والمبرد^(٥) (ت: ٥٢٨٥هـ)، ومنعه باقي البصريين^(٦)، وما أخذه الشارح هنا على البيت قد رآه غيره وقدّ من شراح الألفية الآخرين^(٧).

٣- استدراك لتحسين البيت:

فتجد الشارح يستدرك بنظمه على عبارة الناظم في مسألة، ويذكر العلة لذلك بأنّه من باب الأكمل، وقد يُتبعه بالتنبيه على ورودها عند الناظم في غير الألفية، ويتّضح ذلك فيما يأتي:

-الحاق هاء السكت:

قال الناظم^(٨):

وَوَصَلُهَا بِغَيْرِ تَحْرِيكِ بِنَا أَدِيمَ شَدًّا فِي الْمُدَامِ اسْتَحْسِنَا

وقال الشارح عن هاء السكت: "ويجوز وصلها بكلّ متحرك حركة بناء لا تشبه إعراباً، فلا تلحق حركة إعراب كدال سعيد، وميم يعلم، ولا عارض بناء، كاسم (لا)، ومنادى ضمّ، وعددٍ مركب، ولا ماضياً وإن أُديمت حركته ولزم بناؤه؛ لشبهه بالمضارع في وقوعه حالاً، وغيرها، ويردُّ على الشيخ.

(١) ينظر: شرح الأشموني: ٢٨٣/١.

(٢) شرح التسهيل: ٢٩٨/١، وتوضيح المقاصد: ٤٨٢.

(٣) المقاصد الشافية: ٧٠/٢.

(٤) ينظر: ارتشاف الضرب: ١١٠٤، والتذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، أبو حيان الأندلسي: ٣٣٩/٣.

(٥) ينظر: المقتضب، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد: ١٢٨/٤، وارتشاف الضرب: ١١٠٤.

(٦) ينظر: ارتشاف الضرب: ١١٠٤، والمقاصد الشافية: ٧٠/٢.

(٧) منهج السالك: ١٥٩/١، وتوضيح المقاصد: ٤٨٢، وأوضح المسالك: ٢٠٨/١، وشرح المكودي: ٥١، والبهجة المرضية: ٩١/١.

(٨) ألفية ابن مالك: ٦٢.

وأما قول الراجز^(١):

يا رَبِّ يَوْمٍ لِي لَا أَظْلَلُهُ أُرْمَضُ مِنْ تَحْتِ وَأُضْحَى مِنْ عَلَهُ

فشاذ. وكان يمكن الشيخ أن يقول بدل البيت فراراً ممّا ورد من صعوبة اللفظ نحو:

ووصلها أجزّ بتحريك بنا لم يُشبهه إعراباً سوى ما وهُنا^(٢)

وهاء السكت: "هاء ساكنة تُلحق في الوقف لبيان الحركة أو حرف، نحو: ما هية،

ها هُنا"^(٣). ويجوز أن تُوصل بما كانت حركته حركة بناء مُدام أي لازم مثل (كيف)، وما

كانت حركة بنائه غير مدامٍ مثل قبلُ وبعُد، أو كانت حركته حركة إعراب نحو (سعيد)

و(يعلم)، فهذان يشدّ وصلها بهما^(٤).

ونقد الشارح فيه جانبان:

الأول: رأى أنّ الفعل الماضي يرد على ابن مالك، إذ إنه يدخل في البناء المُدام الذي

يُستحسن الوقف عليه بهاء السكت، والناظر في كلام النحاة يجد أنّ فيه:

- المنع عند سيبويه والجمهور^(٥)، قال سيبويه: "وأما أحمرٌ ونحوه، إذا قلت رأيتُ أحمرَ، لم

تُلحق الهاء، لأنّ هذا الآخرَ حرفٌ إعرابٍ يدخله الرفع والنصب... وكذلك الأفعال، نحو ظنّ

وضربَ، لما كانت اللامُ قد تَصَرَّفَتْ حتّى يدخلها الرفع والنصب والجزم، شُبِّهت بأحمر"^(٦)،

فيكون الوقفُ عليه بالسكون وليس بالهاء؛ والعلة أنّ آخره هو الذي يُعرب في المضارع^(٧).

_الجواز مطلقاً^(٨)؛ لأنّه مبني بحركة بناء لازمة.

(١) قائله أبو ثروان، ينظر: المقاصد النحوية: ٢٠٦٢، والدرر اللوامع في شرح جمع الجوامع،

أحمد بن الأمين الشنقيطي: ١/١٧٢.

(٢) تحرير الخصاصة: ٧٢٠-٧٢١.

(٣) الإيضاح في شرح المفصل، أبو عمرو عثمان بن عمر، المعروف بابن الحاجب:

٢/٢٨٢، ومغني اللبيب عن كتب الأعراب، ابن هشام الأنصاري: ٤/٣١٢.

(٤) ينظر: شرح ابن الناظم: ٥٧٧، وشرح ابن عقيل: ٤/١٥٠، وهمع الهوامع: ٦/٢١٨.

(٥) ينظر: ارتشاف الضرب: ٨٢٢، وهمع الهوامع: ٦/٢١٩.

(٦) الكتاب، سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر: ٤/١٦٤.

(٧) ينظر: الكتاب: ٤/١٦٤، والمقاصد الشافية: ٨/١٠٧.

(٨) ينظر: ارتشاف الضرب: ٨٢٢، وشرح التصريح: ٢/٦٣٧.

-التفصیل^(١): فتلحق الهاء عند أمن اللبس اللازم نحو: قعد، فتقول: قعدَه، ويمتنع إن حصل لبس نحو: ضربَه؛ لأنَّ يلتبس بما كانت الهاء فيه مفعولاً. إذن ليست المسألة ممَّا أجمع عليه حتى يدخل منه الشارح إلى بيت الناظم ناقدًا.

الثاني: صعوبة بيت الألفية؛ لذا جاء بنظم بدلاً عنه ضمنه ما رأى بيت الناظم قصر عنه (لم يُشبهه إعرابًا...)، وقد نقد المرادي^(٢) البيت بما نقده به ابن الوردی ثمَّ اعتذر عنه بأنه استثناء في الكافية الشافية، فقال^(٣):

ووصلُ ذي الهاءِ أجزُ بكلِّ ما
حرُّك تحريكِ بناءٍ لزمًا
ما لم يكنِ المبنيَ فعلاً ماضيًا
.....

وردَ الشاطبي أيضًا على الاعتراض بأنَّ: "حركة الإعراب لا تلحقها الهاء في الوقف، ولا يُحتاج إلى التنبية عليها؛ لأنَّ تخصيصه حركة البناء بالذكر يعطي خروج حركة الإعراب عن هذا الحكم"^(٤)، ثمَّ أضاف: "فإدًا وجه العبارة أنَّ لو قال: ووصلها بتحريك بناءٍ غيرِ مدام. لكن يعتذر عنه"^(٥) ثمَّ خلَّص إلى: "أنَّه قصد بغير تحريك البناء المستدام الحركتين، حركة الإعراب وحركة البناء غير المدام، فيريد أنَّ وصلها بحركة الإعراب وحركة البناء غير المدام شاذًّا"^(٦)، ولم يأتِ مثل هذا النقد عند عددٍ من شُرَّاح الألفية^(٧).

ب- الاعتراض على البيت من دون إعطاء بديل:

اعترض ابن الوردی في عدد من المواضع على ابن مالك، وقد تنوعت تلك الاعتراضات، فمنها اعتراض يقتضي تخصيصًا لعبارة الناظم أو اعتراضًا على احتمال العبارة، وهي على التفصیل الآتي:

١- **تخصيص العام:** وقف الشارح عند عدد من أبيات الألفية ونقد ما في بعض ألفاظها من إطلاق عام تناول ما لا وجه لدخوله في الحكم النحوي الذي يعرض له البيت، ومن وقاته تلك:

(٧) ينظر: شرح التصريح: ٦٣٧/٢، وهمع الهوامع: ٢١٩/٦،.

(٨) ينظر: توضيح المقاصد: ١٤٨٩.

(٩) شرح الكافية الشافية: ١٩٩٧.

(١) المقاصد الشافية: ١٠٢/٨-١٠٣.

(٢) المصدر السابق: ١٠٣/٨.

(٦) المصدر السابق: ١٠٣/٨.

(٧) ينظر: شرح ابن الناظم: ٥٧٧، وأوضح المسالك: ٣٥١/٤، وشرح ابن عقيل: ١٥٠/٤،

وشرح المكودي: ٣٦٠، وشرح التصريح: ٦٣٧/٢، والبهجة المرضية: ٢٦٢/٢.

-علامات الاسم: في شرحه علامات الاسم في قول ابن مالك:

بِالْجَرِّ وَالتَّنْوِينِ وَالتَّنَادِ وَأَلْ وَمُسْتَنْدٍ لِلِاسْمِ تَمْيِيزٌ حَصَلُ^(١)

اعترض ابن الوردي على ما أطلقه ابن مالك في علامة الجر، فقال: "ويعرف الاسم بجره بحرف جرّ أو إضافة، كانتفعت بغلامك. ولا نقول بالجرّ كما قال الشيخ ليحترز من نحو: عجبْتُ من أنْ تفعل"^(٢).

فلم يوافق عبارة الناظم في تعميم(الجرّ)؛ إذ قد يدخل فيه ما أورده من المثال السابق من الجرّ بالموضع، ويبدو أنّ الناظم عمّم(الجرّ)؛ ليدخل فيه الجرّ بالحرف والإضافة^(٣) والتبعية^(٤)، وأمّا مثال الشارح فخارج عن كلام الناظم؛ لأنّ المفهوم من كون الجرّ علامةً للاسم يلزم منه كون هذه العلامة ظاهرةً ليحصل به التمييز للاسم من غيره، فالجرّ في مثاله لا وجود له لفظاً فكيف يكون علامةً ويُعترض به؟، قال الشاطبي: "وقولهم: (نعم السير على بُسّ العَيْر) ... وما أشبه ذلك فقليلٌ من كثيرٍ، وأيضاً هو خارجٌ عن كلام الناظم حيثُ قال: (بالجرّ) ولم يقلْ بحروف الجرّ، والجرّ مفقودٌ في هذه الشواهد وإنْ وُجِدَتْ أدواته إلا أنْ يقال: إنّه أراد بحروف الجرّ، لكنْ حذف المضاف، فهذا خلاف الظاهر فلا يُدعى إلاً بدليل"^(٥).

-التنوين، قال الشارح: "ويعرف بتنوينه تنوين صرف، كرجلٍ. أو تنكير: كصه، أو تعويض: كحينئذٍ. أو مقابلة: كأذرعَاتٍ. ولا نقول كقوله: بالتنوين؛ ليحترز من تنوين الترنم، كقوله^(١):

أَقْبَى النَّوْمِ عَادِلٌ وَالْعِتَابَيْنِ وَقَوْلِي إِنْ أَصَبْتُ لَقَدْ أَصَابَنْ

إذ هذا يلحق الاسم وغيره"^(٧).

وممن اعترض على ابن مالك في هذا أبو حيان في قوله: "وقوله التنوين هذا ليس بجيد؛ لأنّ التنوين على سبعة أقسام: تنوين التمكين، وتنوين التذكير، وتنوين المقابلة، وتنوين

(١) ألفية ابن مالك: ٩.

(٢) تحرير الخصاصة: ١٠٣.

(٣) ينظر: توضيح المقاصد: ٢٦٧، وأوضح المسالك: ١٣/١، وشرح الأشموني: ١٢/١.

(٤) ينظر: منهج السالك: ٧/١، وشرح ابن عقيل: ٢٤/١، وشرح المكودي: ٨.

(٥) المقاصد الشافية: ٤٤/١.

(٦) قائله جرير، ديوان جرير: ٥٨ وفيه العتابا، وأصابا.

(٧) تحرير الخصاصة: ١٠٤.

العوض، وتتوین المقابلة، وتتوین الاضطرار، والتتوین الغالي^(١)، ثُمَّ بَيَّنَّ أَنَّ تَتْوِينَ التَّرْتِمِ والغالي، لا يختص بالفعل، بل يشترك فيها الاسم والفعل والحرف^(٢).

ونلاحظ أَنَّ الناظم في غير الألفية قَيَّدَ التتوین بقوله: "وتتوینه في غير روي^(٣)"، وعممه هنا للاختصار، أو جرياً على الغالب من الحكم والحالة، وهو ما نصَّ عليه الشاطبي بقوله: "ولا يُعترض على الناظم بذلك، لأنه يُبنى في التتوین على الغالب في الكلام، والغالب في الكلام ما اختصَّ بالاسم فاكتفى به"^(٤)، فابن مالك وإن عمَّ التتوین، فإنَّ تَتْوِينَ التَّرْتِمِ والغالي هما من القليل والمختصَّ بالشعر، وتسمية هذين بالتتوین من باب المجاز^(٥)؛ لأنَّهما نونٌ بدليل ثبوتهما في الوقف، وحذفهما في الوصل بخلاف التتوین المختصَّ بالاسم، كما أشار إليه عددٌ من شُراح الألفية^(٦).

- النداء، قال الشارح: "يعرف بنداؤه، كيا مُكرمان. ولا نقول كقوله: بالنداء؛ إذ قد يباشر

النداء الفعل، كقراءة الكسائي^(٧): ﴿الْأَيْسَجْدُوا ۝٢٥﴾ [النمل: ٢٥] والحرف مثل: ﴿يَلَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ ۝٧٣﴾ [النساء: ٧٣]^(٨).

ويبدو أَنَّ ابن مالك عمَّ النداء؛ ليشمل أقسام المنادى من معربٍ ومبني، وأما اعتراض الشارح، فلا يلام الناظم بسببه؛ لأنَّه احترز منه فلم يقل حرف النداء؛ لأنَّ (يا) قد تدخل على الفعل والحرف كما قال في غير الألفية^(٩)، ووافقه الشارح في هذا واستشهد بقراءة الكسائي على دخول (يا) النداء على الفعل؛ إذ قرئ بتخفيف اللام دون تشديد في (ألا) وهي

(١) منهج السالك: ٧/١.

(٢) ينظر: المصدر السابق: ٧/١.

(٣) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، ابن مالك: ٣، وشرح التسهيل: ١٠/١.

(٤) المقاصد الشافية: ٤٥/١.

(٥) ينظر: أوضح المسالك: ١٩/١، وشرح الأشموني: ١٦/١.

(٦) ينظر: شرح ابن الناظم: ٨، وتوضيح المقاصد: ٢٨٣، وأوضح المسالك: ١٩/١، والبهجة

المرضية: ١١/١.

(٧) ينظر: الحجة للقراء السبعة: ٣٨٣/٥، وحجة القراءات: ٥٢٦، وإتحاف فضلاء البشر:

٣٢٥/٢.

(٨) تحرير الخصاصة: ١٠٤.

(٩) ينظر: شرح التسهيل: ١٠/١.

للتنبيه، والياء بعدها للنداء^(١)، ودخولها على الحرف في الآية السابقة (يا ليتني)، فنداء الفعل والحرف لا يصح؛ لأنّ النداء يُطلب به الإقبال، "والمقبل إنّما يكون اسمًا، ولأنّ المنادى مفعول، والمفعولية لا تليق بغير الاسم"^(٢)، والناظم هنا في موضع اختصار؛ بدليل أنّه في غير الألفية قال: "ويعتبر الاسم. بندائه"^(٣).

- **التعريف ب(أل)**، قال الشارح: "ويعرف بتعريفه، ولا نقول كما قال: ب(أل)؛ لئلا تدخل (أل) بمعنى الذي؛ إذ لا تختص بالاسم، بل قد تدخل على المضارع كقوله"^(٤):

ما أنت بالحكم الترضى حكومتُهُ^(٥)

وهذا الاعتراض قد سكت عنه عددٌ من شراح الألفية فلم ينظروا إليه^(٦)، في حين فصل أبو حيان في مثل ما اعترض به ابن الوردي، فقال: "وقوله "أل" ليس بجيدٍ لأنها قُسمت إلى عهدية في شخص أو جنس، وإلى حضور وللغلبة وللمح الصفة، وإلى موصولةٍ وزائدة"^(٧)، وزاد أبو حيان أيضًا أنّ هذه الأنواع لا تدخل على الاسم إلا الموصولة في اختيار الناظم، وأنّه أطلق الكلام في مكان التقييد^(٨)، ويمكن الجواب عن هذا بأنّ الناظم في موضع نظم واختصار، لذا قال: "بتعريفه"^(٩) في غير الألفية، يؤيده موافقة أبي حيان للناظم في غير الألفية فقد بين أنّ هذا يشمل أنواع التعريف "سواء أكان بالأداة الألف واللام، أو بالإضافة، أو الإضمار والعلمية والإشارة"^(١٠)، فضلًا عن أنّ دخولها على الفعل عند ابن مالك، وإن قال

(١) ينظر: حجة القراءات: ٥٢٦، والدر المصون في علم الكتاب المكنون، أبو العباس أحمد بن يوسف، المعروف بالسمين الحلبي: ٥٩٨/٨.

(٢) شرح التسهيل: ١١/١، وينظر: شرح ابن الناظم: ٩، وتوضيح المقاصد: ٢٧٥، والمقاصد الشافية: ٤٥-٤٦، وشرح الأشموني: ٢٢/١.

(٣) تسهيل الفوائد: ٣، وينظر: شرح التسهيل: ١٠/١.

(٤) نسب للفرزدق، وليس في ديوان الفرزدق، ينظر: المقاصد النحوية: ١٧٤، وخزانة الأدب ولُبُّ باب لسان العرب، عبدالقادر بن عمر البغدادي: ٣٢/١، وشرح الشواهد الشعرية في أمّات الكتب النحوية، محمد حسن شرّاب: ٢١٦/٢.

(٥) تحرير الخصاصة: ١٠٥.

(٦) ينظر: شرح ابن الناظم: ٩، وشرح ابن عقيل: ٢٩/١، وشرح المكودي: ٨.

(٧) منهج السالك: ٨/١.

(٨) ينظر: منهج السالك: ٨/١.

(٩) تسهيل الفوائد: ٣.

(١٠) التذليل والتكميل: ٥٣/١.

بجوازه في الاختيار، وقد جاء ذلك في ضرورة الشعر^(١)، فإنه نصّ على أنّ هذا الدخول قليل، وأما دخولها على الاسم والاختصاص به فهو مشهور وكثير^(٢).

٢- اعتراض احتمال العبارة:

وقف ابن الوردى على عدد من ألفاظ الألفية وبين أنها قابلة لغير محمل واحد، ممّا يتيح النقد والاعتراض وتقديم البديل الأوفق، من ذلك:

-تمييز كنايات العدد:

قال الشارح: "وأكثر ما يقع تمييز كأَيٍّ مجرورًا بِمِن، مثل: ﴿وَكَايِّنَ مِّن نَّيِّبٍ﴾ ﴿١٦﴾ ﴿أَلْ﴾ عمران: ١٤٦] والمفهوم من كلام الشيخ دون ابنه جواز وصل (من) بتمييز كذا، ويوهّم قوله: كَمَّ كَأَيِّنَ وَكَذَا....

أنّ كذا لها صدر الكلام كما لكم وكأَيِّن وليس كذلك"^(٣).

ويتناول اعتراض ابن الوردى قول ابن مالك في الألفية^(٤):

كَمَّ كَأَيِّنَ وَكَذَا وَيُنْتَصِبُ تَمْيِيزُ ذَيْنِ أَوْ بِهِ صِلَ مِنْ تُصِبُ

وفي اعتراضه جانبان:

دخول (من) على تمييز كذا، وأنّ (كذا) لها صدر الكلام كسائر أخواتها من أسماء الكنايات، ولا يخفى أنّ الشارح فهم ذلك من تشبيه الناظم (كأَيِّنَ وكذا) ب(كَمَّ)، ويجدر بنا أن نمرّ سريعاً بأحكام هذه الأدوات لكي يتبيّن الاعتراض بجلاء:

فـ(كَمَّ) نوعان: استقهامية وخبرية^(٥) وهي كناية عن العدد، وبسيطة عند البصريين^(٦) ومركبة من كاف التشبيه و(ما) التي حذف ألفها لكثرة الاستعمال عند الكوفيين^(٧)، وهي اسم مبهم مفتقر إلى تمييز وهو مفرد عند

(١) ينظر: شرح التسهيل: ١/٢٠١-٢٠٣، ومنهج السالك: ٨/١.

(٢) ينظر: المقاصد الشافية: ٤٧/١.

(٣) تحرير الخصاصة: ٦٧٠.

(٤) ألفية ابن مالك: ٥٣.

(٥) ينظر: الأصول في النحو، أبو بكر محمد بن سهل بن السراج: ٣١٥/١، والجنى الداني في حروف المعاني، الحسن ابن أم قاسم المرادي: ٢٦١، ومغني اللبيب: ٤١/٣.

(٦) ينظر: الكتاب: ١٧٠/٢، والإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، أبو البركات بن الأنباري: ٢٥٦-٢٥٧ مسألة ٤٢، وائتلاف النصرة في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة، عبداللطيف بن أبي بكر الزبيدي: ٤١.

(٧) ينظر: معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء: ٤٦٦/١، والتبيين عن مذاهب النحويين البصريين، أبو البقاء العكبري: ٤٢٣، والإنصاف: ٢٥٦ مسألة ٤٢.

البصريين^(١)، وأجاز الكوفيون أن يكون جمعًا مطلقًا^(٢)، وعند الأخفش أن الاستفهام إذا كان عن جمع يجوز كون التمييز جمعًا، وإلا فلا^(٣)، وهو منصوب^(٤)، ويجوز جرّه بـ(من) مقدّرة إذا دخل على (كم) حرف جرّ^(٥)، وهي تلزم صدر الكلام^(٦).

كأين: اسم وكناية عن العدد، وهي مركبة^(٧) من (كاف التشبيه) و(أيّ) المنونة، وتشابه (كم) الخبرية في التكثر وقد تكون للاستفهام نادرًا^(٨)، ولزوم التصدير^(٩)، وتمييزها مجرور غالبًا بـ(من) ظاهرة^(١٠)، ويجوز نصبه^(١١).

وأما (كذا) التي كانت محلّ اعتراض الشارح على الناظم فيها فنكون اسمًا وكناية عن العدد مثل كم، وهي مركبة من كاف التشبيه و(ذا) اسم إشارة^(١٢)، وليس لها صدر الكلام^(١٣)، وتمييزها مفرد منصوب لا يجوز جرّه بـ(من) خلافًا للكوفيين^(١٤)، ولا يستعملونها غالبًا إلا وهي معطوفة^(١٥).

- (١) ينظر: الكتاب: ١٥٩/٢، وشرح جمل الزجاجي: ١٤١/٢، وارتشاف الضرب: ٧٧٩.
- (٢) ينظر: ارتشاف الضرب: ٧٧٩، ومغني اللبيب: ٤٦/٣، وشرح التصريح: ٤٧٤/٢.
- (٣) ينظر: الأصول: ٣١٧/١، وهمع الهوامع: ٧٨/٤.
- (٤) ينظر: شرح الكافية الشافية: ١٧٠٥، وأوضح المسالك: ٢٦٧/٤.
- (٥) ينظر: الكتاب: ١٦٠/٢، وشرح التسهيل: ٤١٩/٢، وهمع الهوامع: ٧٨/٤.
- (٦) ينظر: ارتشاف الضرب: ٧٧٩، وشرح التصريح: ٤٧٧/٢.
- (٧) ينظر: مغني اللبيب: ٥٠/٣، وشرح الرضي للكافية: ٣٧٧/٢.
- (٨) ينظر: المقرب، أبو الحسن علي بن مؤمن، المعروف بابن عصفور: ٣١٣/١، وشرح التسهيل: ٤٢٣/٢، وشرح الرضي للكافية: ٣٩٦/٢، وهمع الهوامع: ٣٨٨/٤.
- (٩) ينظر: ارتشاف الضرب: ٧٩١، وشرح ابن عقيل: ٧٠/٤.
- (١٠) مغني اللبيب: ٥٢/٣، وشرح المكودي: ٣٠٩، وهمع الهوامع: ٨٣/٤.
- (١١) ينظر: الكتاب: ١٧٠/٢، وأوضح المسالك: ٢٧٩/٤.
- (١٢) ينظر: ارتشاف الضرب: ٧٨٩، ومغني اللبيب: ٥٧/٣، وهمع الهوامع: ٣٩٠/٤.
- (١٣) ينظر: الكتاب: ١٧٠/٢، وشرح كتاب سيبويه، أبو سعيد الحسن بن عبدالله السيرافي: ٤٩٤/٢، وشرح جمل الزجاجي: ١٤٩-١٥٠.
- (١٤) ينظر: توضيح المقاصد: ١٣٤٤، وشرح التصريح: ٤٧٨/٢، وهمع الهوامع: ٨٦/٤.
- (١٥) ينظر: الكتاب: ١٧٠/٢، وشرح التصريح: ٤٧٨/٢.

فنتبين بعد هذا أنّ الشارح في اعتراضه فهم ذلك من تشبيه ابن مالك (كأين وكذا) بـ(كم)، وقد علم أنّ (كأين وكذا) تتفق في مشابهة (كم) في التكثر والافتقار إلى مميّز، وأنّ (كأين) توافق (كم) في لزوم الصدر، وأمّا (كذا) فتخالف (كم) بأنّ تمييزها لا يُجرّ بـ(من) وقد نصّ ابن مالك عليه^(١)، ولا تلزم صدر الكلام وهو ما أشار إليه عددٌ من شراح الألفية^(٢).

(١) ينظر: شرح التسهيل: ٤٢٣/٢.

(٢) ينظر: شرح ابن الناظم: ٥٢٩، وأوضح المسالك: ٢٨٠/٤، وشرح ابن عقيل: ٧٠/٤، والبهجة المرضية: ١٨٨/٢.

الخاتمة

- بعد هذه الوقفات مع مواضع نقد ابن الوردي لعبارات ابن مالك في الألفية، يمكن إجمال أهم النتائج فيما يلي:
- اعترض ابن الوردي على عددٍ من عبارات ابن مالك في شرحه، لكنّه كان مُجلاً لابن مالك فكثيراً ما يقول: لو قال الشيخ بدل البيت كذا.
 - اعترض الشارح جاء في نوعين رئيسين: اعتراض مع تقديم نظم بديل، والثاني اعتراض من دون تقديم البديل، وكان لتقافته الأدبية والشعرية أثرٌ في النوع الأول.
 - ليست جميع اعتراضات الشارح تعبّر عن قصورٍ في نظم الألفية؛ بل كان عددٌ منها يُرادُ منه التنبيه على حكم أو مذهب نحوي لم يأت في النظم، وعددٌ آخر من باب الأحسن والأكمل.
 - تنوّعت مواقف الشراح الآخرين، فعددٌ من اعتراضات الشارح وجدنا غيره قد سكت عنها، وعددٌ منها جاء موافقاً لما قاله ابن الوردي وآخر مخالفاً.
 - عددٌ من اعتراضات الشارح، يمكن ردّها بأنّ ابن مالك في الألفية في موضع نظم واختصار؛ ودليل ذلك أنّه في غير الألفية جاء بعبارةٍ توافق ما أراده ابن الوردي في اعتراضه.

ثُبَّتِ المصادر

- ❖ ائتلاف النصر في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة، عبداللطيف بن أبي بكر الزبيدي (ت: ٨٠٢هـ)، تحقيق: طارق الجنابي، عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية، ط١، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
- ❖ إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، أحمد بن محمد البنا (ت: ١١١٧هـ)، تحقيق: شعبان محمد إسماعيل، عالم الكتب، بيروت، ومكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط١، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
- ❖ ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ)، تحقيق: رجب عثمان محمد، ومراجعة: رمضان عبدالنواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، د. ط، د. ت.
- ❖ الأصول في النحو، أبو بكر محمد بن سهل بن السراج البغدادي (ت: ٣١٦هـ)، تحقيق: د. عبدالحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط٣، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.
- ❖ الاعتراض النحوي عند ابن مالك واجتهاداته، د. ناصر محمد آل قميشان، دار الكتب الوطنية، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث- الإمارات العربية المتحدة، ط١، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.
- ❖ ألفية ابن مالك في النحو والصرف، أبو عبدالله محمد بن عبدالله، جمال الدين ابن مالك (ت: ٦٧٢هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، د. ط، د. ت.
- ❖ الإتيان في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، أبو البركات بن الأنباري (ت: ٥٧٧هـ)، تحقيق ودراسة: جودة محمد جودة، وراجعته: د. رمضان عبدالنواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، د. ت.
- ❖ أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، أبو محمد عبدالله جمال الدين بن يوسف بن هشام الأنصاري (ت: ٧٦١هـ)، ومعه كتاب عدة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك، محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الفكر، بيروت- لبنان، د. ط، د. ت.
- ❖ الإيضاح في شرح المفصل، أبو عمرو عثمان بن عمر، المعروف بابن الحاجب (ت: ٦٤٦هـ)، تحقيق: د. موسى بناي العلي، إحياء التراث الإسلامي، د. ط، د. ت.
- ❖ البحر المحيط في تفسير القرآن العظيم، أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ)، تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، مركز هجر، ط١، ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م.

- ❖ البهجة المرضية، جلال الدين السيوطي، المعلق: مصطفى الحسيني الدشتي، مطبعة مهر- قم، د. ط، د. ت.
- ❖ التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين، أبو البقاء العكبري (ت: ٦١٦هـ)، تحقيق ودراسة: عبدالرحمن بن سليمان العثيمين، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- ❖ تحرير الخصاصة في تيسير الخُلاصة، أبو حفص عمر بن مظفر، زين الدين ابن الوردي (ت: ٧٤٩هـ)، مكتبة الرشد، الرياض- المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- ❖ التذيل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، أبو حيان الأندلسي، تحقيق: حسن هندأوي، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- ❖ تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، ابن مالك، تحقيق: محمد كامل بركات، دار الكاتب العربي، د. ط، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.
- ❖ توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، ابن أم قاسم المرادي (٧٤٩هـ)، تحقيق: عبدالرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- ❖ الجنى الداني في حروف المعاني، الحسن بن قاسم المرادي (ت: ٧٤٩هـ)، تحقيق: فخرالدين قباوة، ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- ❖ حاشية الصبان على شرح الأشموني، محمد بن علي الصبان، ومعه شرح الشواهد للعيني، تحقيق: طه عبدالرؤوف سعد، المكتبة التوقيفية، د. ط، د. ت.
- ❖ حجة القراءات، أبو زرعة عبدالرحمن بن محمد بن زنجلة، تحقيق: سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٥، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- ❖ الحجة في القراءات السبع، ابن خالويه، تحقيق وشرح: د. عبدالعال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- ❖ الحجة للقراء السبعة، أبو علي الحسن بن عبدالغفار الفارسي (ت: ٣٧٧هـ)، حققه: بدر الدين قهوجي، وبشير جويجاني، راجعه ودققه: عبدالعزيز رباح وأحمد يوسف الدقاق، دار المأمون للتراث، د. ط، د. ت.

- ❖ خزانة الأدب ولبّ أبواب لسان العرب، عبدالقادر بن عمر البغدادي (ت: ١٠٩٣هـ)، تحقيق وشرح: عبدالسلام محمد هارون، مطبعة المدني، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٤، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- ❖ الدر المصون في علم الكتاب المكنون، أبو العباس أحمد بن يوسف، شهاب الدين المعروف بالسّمين الحلبي (ت: ٧٥٦هـ)، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، د. ط، د. ت.
- ❖ الدرر اللوامع في شرح جمع الجوامع، أحمد بن الأمين الشنقيطي (ت: ١٣٣١هـ)، وضع حواشيه: باسل محمد عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
- ❖ ديوان جرير، دار بيروت، بيروت، د. ط، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- ❖ ديوان ذي الرمة، اعتنى به وشرح غريبه: عبدالرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- ❖ ديوان رؤية بن العجاج، اعتنى بتصحيحه وترتيبه: وليم بن الورد البروسي، دار ابن قتيبة، الكويت، د. ط، د. ت.
- ❖ ديوان الفرزدق، شرحه وضبطه وقدم له: أ. علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- ❖ شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، عبدالله بهاء الدين بن عبدالرحمن بن عبدالله بن عقيل (ت: ٧٦٩هـ)، ومعه منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل، محمد محيي الدين عبدالحميد، مؤسسة الرسالة، دمشق-سوريا، ط١، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.
- ❖ شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك، أبو عبدالله محمد بدر الدين ابن الإمام محمد جمال الدين ابن مالك، (ت: ٦٨٦هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- ❖ شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، المسمّى (منهج السالك إلى ألفية ابن مالك)، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط٢، د. ت.
- ❖ شرح التسهيل، محمد جمال الدين بن عبدالله ابن مالك، (ت: ٦٧٢هـ)، تحقيق: عبدالرحمن السيد، ومحمد بدوي المختون، هجر، ط١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

- ❖ شرح التصريح على التوضيح، أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو، خالد ابن عبدالله الأزهرى، (ت: ٩٠٥هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السّود، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- ❖ شرح جمل الزجاجي، أبو الحسن عليّ بن مؤمن بن محمد الإشبيلي، المعروف بابن عصفور (٦٦٩هـ)، قدّم له ووضع هوامشه وفهارسه: فواز الشّعار، إشراف: د. إميل يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- ❖ شرح الرضي لكافية ابن الحاجب، دراسة وتحقيق: د. حسن بن محمد الحفظي، ود. يحيى بشير المصري، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤١٤ - ١٤١٧هـ، ١٩٩٣ - ١٩٩٦م.
- ❖ شرح عمدة الحافظ وعدّة اللافظ، محمد جمال الدين ابن مالك (ت: ٦٧٢هـ)، تحقيق: عبدالرحمن الدوري، مطبعة العاني، بغداد، د. ط، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.
- ❖ شرح الشواهد الشعرية في أمّات الكتب النحوية، محمد بن محمد حسن شرّاب، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧م.
- ❖ شرح الكافية الشافية، أبو عبدالله محمد جمال الدين بن عبدالله ابن مالك الأندلسي، تحقيق: عبدالمنعم أحمد هريدي، دار المأمون للتراث، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- ❖ شرح كتاب سيبويه، الحسن بن عبدالله المرزبان، أبو سعيد السّيرافيّ (ت: ٣٦٨هـ)، تحقيق: أحمد حسن مهدي، وعلي سيّد علي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- ❖ شرح المفصل، يعيش موفّق الدين بن عليّ بن يعيش، المعروف بابن يعيش (ت: ٦٤٣هـ)، صحّحه وعلّق على حواشيه: مشيخة الأزهر، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، د. ط، د. ت.
- ❖ شرح المكودي، أبو زيد عبدالرحمن بن علي بن صالح المكودي، تحقيق: عبدالحميد هنداوي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، د. ط، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م.
- ❖ شعر قيس بن زهير، عادل جاسم البياتي، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، د. ط، د. ت.

- ❖ ضرائر الشعر، أبو الحسن علي بن مؤمن بن محمد الاشبيلي، المعروف بابن عصفور (ت: ٦٦٩هـ)، وضع حواشيه: خليل عمران المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.
- ❖ الكتاب، سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م..
- ❖ معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء(ت: ٢٠٧هـ)، عالم الكتب، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.
- ❖ معجم شواهد العربية، عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ٢٠٠٢م.
- ❖ المعجم المفصل في شواهد العربية، إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.
- ❖ مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ابن هشام الأنصاري، تحقيق: عبداللطيف محمد الخطيب، السلسلة التراثية(٢١)، الكويت، ط١، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.
- ❖ المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي(ت: ٧٩٠هـ)، تحقيق: عبدالرحمن بن سليمان العثيمين، وآخرون، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٧م.
- ❖ المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية، محمود بن أحمد، بدر الدين العيني (ت: ٨٥٥هـ)، تحقيق: علي محمد فاخر، وآخرون، دار السلام، القاهرة- مصر، ط١، ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م.
- ❖ المقتضب، أبو العباس محمد بن يزيد المبرّد(ت: ٢٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبدالخالق عزيمة، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ط٣، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.
- ❖ المقرب، علي بن مؤمن، المعروف بابن عصفور(ت: ٦٦٩هـ)، تحقيق: أحمد عبدالستار الجواري، وعبدالله الجبوري، ط١، ١٣٩٢هـ- ١٩٧٢م.
- ❖ منهج السالك في الكلام على ألفية ابن مالك، أبو حيان أثير الدين محمد بن يوسف الأندلسي(ت: ٧٤٥هـ)، تحقيق: علي محمد فاخر، وآخرون، دار الطباعة المحمدية، ط١، ١٤٣٥هـ- ٢٠١٣م.

❖ همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين السيوطي، (ت: ٩١١هـ)، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، وعبدالعال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ط، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

قمة هلسنكي ٣٠ تموز - ٢ آب ١٩٧٥ وأثرها على العلاقات الامريكية - السوفيتية

The Helsinki Summit 30 July-2 August 1975 and its impact on US-Soviet Relations

Dr. Muntaha Sabri Maula

د. منتهى صبري مولى المنصوري

Almansory

أستاذ مساعد

Assistant professor

University of Basrah / College
of Education for Women

جامعة البصرة- كلية التربية للبنات

muntaha.almansory@gmail.com

تاريخ القبول

تاريخ الاستلام

٢٠٢٢/١/٢٣

٢٠٢١/١٢/١٢

الكلمات المفتاحية: هلسنكي - الانفراج الامريكي - السوفيتي ١٩٧٥ - فورد - بريجنيف

١٩٧٥

Keywords: Helsinki- US-Soviet detente 1975- Ford -Brezhnev 1975- international accord.

الملخص

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ، ونتيجة لمؤتمر بوتسدام، تم تقسيم أوروبا بين الشرق والغرب واندلعت الحرب الباردة. هذا التطور كان له عواقب على دول أوروبا الشرقية، والتي وقعت في نهاية المطاف تحت التأثير الكلي للاتحاد السوفيتي. وأوروبا الغربية تحت التأثير الامريكي، خاصة بعد تأسيس الاحلاف العسكرية للكتلتين "حلف وارسو" عام ١٩٥٥ م والذي كان الرد السوفيتي على إنشاء التحالف العسكري الغربي "الناتو" حلف شمال الأطلسي، الذي سعى للحد من تأثير الكتلة الشرقية فكرياً وعسكرياً .

وهكذا استمرت السياسة بين الدولتين في تنافس مستمر حتى نهاية الستينات من القرن العشرين اذا تحولت السياسة الخارجية للولايات المتحدة الامريكية نحو الوفاق الدولي، لاسيما مع سياسة الانفتاح السوفيتي نحو السلام أيضاً والذي تكال بعقد عدة قمم امريكية - سوفيتية أخرها قمة فلاديفستوك ١٩٧٤ والتي تقرر من خلالها عقد مؤتمر الامن الاوربي لمناقشة كافة قضايا الامن الاوربي في مدينة هلسنكي عام ١٩٧٥ .

Abstract

After the end of World War II, and as a result of the Potsdam Conference, Europe was divided between East and West and the Cold War broke out. This development had consequences for the countries of Eastern Europe, which eventually fell under the total influence of the Soviet Union. Western Europe is under American influence, especially after the establishment of the military alliances of the two blocs, the “Warsaw Pact” in 1955 AD, which was the Soviet response to the establishment of the Western military alliance “NATO,” the North Atlantic Treaty Organization, which sought to limit the influence of the Eastern bloc ideologically and militarily. Thus, the policy between the two countries would continue in constant competition until the end of the sixties of the twentieth century if the foreign policy of the United States of America turned towards international accord, especially with the policy of Soviet openness towards peace as well, which culminated in the holding of several American-Soviet summits, the last of which was the 1974 Vladivostok Summit, through which it was decided to hold The European Security Conference to discuss all European security issues in Helsinki in 1975.

المقدمة

خَلَّقت الحرب العالمية الثانية دوامة من انعدام الثقة بين الكتلتين الغربية والشرقية كان من الممكن أن ينتهي الأمر بسهولة في إي وقت إلى صراع نووي عالمي، والذي كان يدلل على وشك حدوث تلك الحرب الازمات التي برزت خلال مطلع الستينات من القرن العشرين منها أزمة خليج الخنازير عام ١٩٦١ وازمة الصواريخ الكوبية في عام ١٩٦٢^(١)، وبالعودة إلى الأزمتين الكوبيتين العالميتين اللتين حدثتا عامي ١٩٦١ و ١٩٦٢ نجد أن الحرب العالمية الثالثة على وشك الحدوث لولا تداركها من الجانبين بعد أن وصلا الى التساوي في الاسحة النووية^(٢).

وعلى الرغم من تلك الازمات فقد شهدت نهاية الستينات من القرن العشرين انفتاح دولي وانفراج عالمي بين الدولتين الامريكية والسوفيتية، لاسيما بعد وصول (ريتشارد نيكسون **Richard Nixو**)^(٣) الى الحكم في الولايات المتحدة الامريكية والمعروف بسياسة الانفراج

(١) حاول الرئيس الامريكي اسقاط حكوة كاسترو الكوبية من خلال تدريب المعارضة الكوبية وبمساعدة قوات امريكية من خلال انزال المعارضة في خليج كوتشينوس غربي ترينداد كونه اقل عدد للسكان الا ان كوبا ادركت من خلال عملاتها السريين المخطط الامريكي وافشلت المخطط الامريكي، الامر الذي دفع كاسترو للتقارب مع الاتحاد السوفيتي من خلال نشر الصواريخ السوفيتية في كوبا عام ١٩٦٢ والتي كانت موجهة نحو فلوريدا مما ادى الى بروز ازمة امريكية - سوفيتية جديدة حول كوبا / للمزيد حول الازمتين يراجع :

FRUS X - Foreign Relations of the United States 1961-1963 Volume X
Cuba, 1961-1962. US Department of State
<http://www.fas.org/irp/ops/policy/docs/frusX/index.html>

(2) Alexander Zhebit, : “Looking back at Helsinki –forty years later” in
Revista Estudios Políticos, Vol. 6 / N.2,2013 , PP. 578-608.

(٣) ريتشارد مل نيكسون: الرئيس السادس والثلاثون للولايات المتحدة الأمريكية ولد ١٩١٣. دخل في الخدمة العسكرية برتبة ضابط تجهيزات بحرية في أثناء الحرب العالمية الثانية، وفي ٩ تشرين الثاني ١٩٦٩. أنتخب رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية، حكم للمدة (١٩٦٩ - ١٩٧٤)، وعلى الرغم من عدائه للشيوعية، إلا أن سياسته الخارجية تميزت بالانفراج السياسي مع الإتحاد السوفيتي والصين، جاءت استقالته بعد فضيحة ووترغيت في آب ١٩٧٤، توفي عام ١٩٩٤: للمزيد ينظر:

Whitcomb John, Real Live at the White House ,New York,2000,
P.38

الدولي مع الاتحاد السوفيتي. وتسلم (ليونيد بريجنيف Leonid Brezhnev)^(١) منصب الامين العام للحزب الشيوعي الذي هو الآخر سعى للتقارب مع الجانب الامريكي وذلك لعدة اسباب منها .

أولاً: وصول الاتحاد السوفيتي مع الولايات المتحدة إلى المساواة في السلاح نووي . فقد اعترف وزير الخارجية الامريكي هنري كيسنجر Henry Kissinger^(٢) بذلك بقوله، "في أواخر الستينيات أصبح من الواضح أن الاتحاد السوفيتي حقق نوعاً من التكافؤ التقريبي مع الولايات المتحدة في السلاح النووي"^(٣) .

ثانياً: الركود الاقتصادي العالمي، جعل الإنفاق العسكري الاستثنائي عبئاً على التجارة الاقتصادية المحتملة لكلا القوتين . بحسب السفير السوفيتي لدى الولايات المتحدة، أناتولي دوبرينين Anatoliy. Dobrynin^(٤)، قائلاً كان الاقتصاد السوفيتي راكداً فأخذ يسعى

(١) ليونيد أيليش بريجنيف: سياسي سوفيتي ولد عام ١٩٠٦، أنهى دراسته عام ١٩٢٧، وفي عام ١٩٣١. أنتسب إلى الحزب الشيوعي في موسكو، وفي عام ١٩٦٠ شغل منصب رئيس سكرتارية مجلس السوفيت الأعلى . أصبح السكرتير الأول للجنة المركزية للحزب الشيوعي للمدة (١٩٦٦ - ١٩٧٧) : للمزيد من التفاصيل ينظر: إبراهيم سعد الدين، كيسنجر والصراع في الشرق الأوسط، بيروت، ١٩٧٥، ص ٩.

Leonid Brezhnev, Leonid Brezhnev, Pages from His Life, Elsevier, 2014, P.222

(٢) هنري الفريد كيسنجر: سياسي أمريكي. ولد عام ١٩٢٣ في ألمانيا من أبوين يهوديين، هاجرت عائلته إلى نيويورك في أميركا، بسبب إبادة هتلر لليهود. أكمل دراسته في جامعة هارفارد ونال شهادة العلوم السياسية عام ١٩٥٠، عينه نيكسون مستشاراً للأمن القومي الأمريكي للمدة (١٩٦٩ - ١٩٧٣) ثم وزيراً للخارجية للمدة (١٩٧٤ - ١٩٧٧): روجرز باركنسن، موسوعة الحرب الحديثة، ج ١، ت. سمير عبد الرحيم الجليبي، بغداد، ١٩٩٠، ص ٣٤١.

(3) Kissinger, "Détente with the Soviet Union," Speech, Senate Foreign Relations Committee, Washington, D.C., 19 September 1974, 513.; Gaddis, The Cold War, 212

(٤) اناتولي دوبرينين : دبلوماسي وسياسي سوفيتي، ولد عام ١٩١٩، التحق بمعهد الطيران وبعد تخرجه عمل في المصنع التجريبي، التحق بكلية الدبلوماسية العليا عام ١٩٤٤، عمل بعد تخرجه في وزارة الخارجية، عام ١٩٥٧ عين سكرتير عام لهيئة الأمم المتحدة . عاد بعدها ليرأس الشؤون الخارجية لبلاده في امريكا، عينه خروشوف سفيراً للاتحاد السوفيتي في

للتبادل التجاري مع الغرب وبالمثل، الولايات المتحدة رحبت بالفرص التجارية مع الاتحاد السوفياتي^(١).

ثالثاً: كانت كل قوة عظمى تجد صعوبة في السيطرة على حلفائها فقد لاحظ دوبرينين أنه بحلول عام ١٩٧٠ كانت "القوى الغربية الكبرى بقيادة الغرب تسعى لسياسة أكثر استقلالية مثل فرنسا"^(٢)، كما أصبحت دول مثل تركيا واليونان على استعداد لتحدي الولايات المتحدة الأمريكية وبالمثل، كان السوفييت يواجهون تصدعات في تحالفهم. كما أدى سحق التمرد في تشيكوسلوفاكيا من قبل السوفيت إلى احتجاجات في دول حلف وارسو مثل رومانيا ويوغوسلافيا. لهذه الأسباب، وافق كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي على أن المزيد من العلاقات الطبيعية ستكون في مصلحتهم. ولكن ربما يكون السبب الأكثر إلحاحاً لمتابعة تحسين العلاقات من خلال الانفراج كان اتفاق القوى العظمى على أن الحرب النووية أصبحت خطرًا غير مقبول^(٣).

ويعد أن نجحت الدولتان في عقد عدد من اللقاءات الناجحة منها قمة موسكو عام ١٩٧٢ التي انتهت بعقد اتفاقية الحد من الاسلحة الاستراتيجية SALT1 وتحديد موعد لعقد مؤتمر الامن الاوربي^(٤)، واصل الطرفان نجاحهم بعقد قمة واشنطن ١٩٧٣ والتي حددت كمية

الولايات المتحدة في أثناء الأزمة الكوبية ١٩٦٢، واستمر في منصبه ٢٤ سنة حتى عام ١٩٨٦ للمزيد ينظر:

Wikipedia, the free encyclopedia , Cited in: <http://en.wikipedia.org>

(1) Thomas, The Helsinki Effect, 45; Mieczkowski, Gerald Ford and the Challenges of the 1970s, 282.

(2) -Dobrynin, In Confidence: America's Ambassador to Six Cold War Presidents, 194; Mieczkowski, Gerald Ford and the Challenge of the 1970s, 277.

(3) -kissinger, "Détente with the Soviet Union," Speech, Senate Foreign Relations Committee, Washington, D.C ., 19 September 1974, 512.; issinger, "Moral Foundation of Foreign Policy," Speech, Upper Midwest Council, Minneapolis, Minnesota, 15 July 1975, 165

(٤) بدأت سياسة الوفاق الدولي بالمفاوضات السرية عام ١٩٦٩ وانتهت بعقد القمة في ٢٢-

٢٩ ايار ١٩٧٢ التي شملت عدة قضايا اهمها قضية برلين التي انتهت بالفشل دون حل وقضية جنوب شرق اسيا التي تقرر عقد مؤتمر حول حرب فيتنام وقضية الشرق الاوسط

وانتهت ايضا بالفشل عدا قضية الحد من الاسلحة الاستراتيجية التي انتهت بعقد اتفاقية SALT1 التي قيدت الصواريخ البالستية الهجومية والدفاعية لكلا الدولتين وغيرها من

ونوعية الاسلحة للطرفين في جميع انحاء العالم، كما تطرق الجانبان لعدد من القضايا منها مؤتمر الامن الاوربي^(١)، فضلاً عن ذلك كان لمؤتمر الامن الاوربي جزء من مفاوضات قمة موسكو ١٩٧٤ فقد اوضح الجانبان في ختام القمة، أنه بعد مناقشة تطور الوضع في أوروبا، لاحظ كلا الجانبين بارتياح عميق التقدم الملموس نحو إقامة علاقات سلام وحسن الجوار والتعاون في القارة الأوروبية. ورحب الجانبان بالإسهام الكبير الذي يقدمه مؤتمر الأمن والتعاون في أوروبا في هذه العملية المفيدة. وإعلنوا أنهم يعدون أنه تم إحراز تقدم كبير بالفعل في المؤتمر بشأن العديد من المسائل المهمة. وأشار الى أنهما سيبدلان جهودهما لإيجاد حلول مقبولة لجميع للمشاكل المتبقية^(٢).

أخيراً وخلال قمة فلاديفستوك المنعقدة في تشرين الثاني ١٩٧٤ تقرر تشكيل لجنة مؤتمر الأمن والتعاون في أوروبا (Conference on Security and Cooperation in Europe (CSCE) التي ستعرف أيضاً باسم اتفاقيات هلسنكي، بما في ذلك "... مسألة الحدود" و "تبادل المراقبين في المناورات للقوات في أوروبا"^(٣) كما وعد فورد بأنه سيلتقي

الاسلحة للمزيد حول قمة موسكو يراجع : منتهى صبري مولى، قمة موسكو ١٩٧٢ واثرها في العلاقات الامريكية - السوفيتية، دار امجد - الاردن، ٢٠١٩

(1)- Darian Worden., Diplomacy, Dissidents, and Democracy; The Cold War , Human Diplomacy, Dissidents, and Democracy; The Cold War , Human Rights, and the Conference on Security and Cooperation in Rights, and the Conference on Security and Cooperation in Europe, 1968-1939, Submitted in partial fulfillment of the requirements for the degree of Master of Arts of the City College of the City University of New York. CUNY City College., 2014, P.46.

للمزيد حول قمة واشنطن يراجع : منتهى صبري مولى، قمة واشنطن ١٨-٢٥ حزيران ١٩٧٣، بحث منشور في مجلة واسط ، العدد الرابع والثلاثون، شياط ٢٠١٩.

(2) Protocol to The Treaty Between The United States of America and The Union of Soviet Socialit Republics on The Imtation Of Anti-Ballsit Missile System, 3july . <https://fas.org/nuke/control/abmt/text/abmprot.1.htm> .;Roger . P.Pranger, Salt Handbook: Key documents and Issues 1972-1979, University of California, 2008, P. 241

(3) -The Vladivostok Summit Meeting on Arms Control Section 5: Negotiating with Brezhnev - Day Two (November 24, 1974, (Meeting on the second day of the summit ,Meeting on the second day, From President Gerald R. Ford's memoir A Time to Heal (New York: Harper

مستشار ألمانيا الغربية هيلموت شميدت **Helmut Schmidt** والرئيس الفرنسي فاليري جيسكار **Valery Giscard** وناقش معهم قضايا مؤتمر الأمن والتعاون في أوروبا على الرغم من دورهم الأقل في مفاوضات مؤتمر الأمن والتعاون في أوروبا، فإن هذا الوعد يعيد التأكيد على تفاني الولايات المتحدة لتحقيق الانفراج الشامل ومؤتمر الأمن والتعاون في أوروبا كجزء من عملية الاسترخاء في العلاقات بين الشرق والغرب^(١)، بعد كل تلك النجاحات بين الدولتين تقرر عقد قمة هلسنكي في تموز - آب ١٩٧٥ وبدأ الطرفان الاعداد لها . ترجع اهمية البحث الى سياسة الوفاق الدولي التي اتبعتها الدولتان الامريكية والسوفيتية منذ عام ١٩٦٩ وما حققته من نتائج ايجابية ليس للجانبين فقد انما للعالم اجمع . وتؤكد فرضية البحث أن وجود قادة في الدولتين هدفهم انهاء الحرب الباردة التي بدأت منذ نهاية الحرب العالمية الثانية قد ساهم في ابعاد العالم من خطر حرب نووية ثالثة وشبكة هيكلية البحث ك قسم البحث الى عدة محاور ضم المقدمة وكان المحور الاول يتضمن تحضررات القمة قبل وبعد تسلم جيرالد فورد للحكم، في حين كان المحور الثاني يشمل رحلة فورد الى بولندا والاجتماع باعضاء حلف الناتو لطرح قضايا القمة قبل التوجه الى هلسنكي، وكان المحور الثالث حول عقد قمة هلسنكي للمدة ٣٠ تموز - ٢ اب ١٩٧٥ وما جرى من مفاوضات بين جميع الدول المشاركة وخاصة الدولتان الامريكية والسوفيتية، وجاء المحور الرابع حول ما بعد القمة من نقاشات واعلان مبادئ هلسنكي واخيرا الخاتمة .

تحضيرات عقد قمة هلسنكي ١٩٧٥

كانت أولى بدايات التحضير لمؤتمر الأمن والتعاون في أوروبا هلسنكي ترجع الى الثاني والعشرين من تشرين الثاني ١٩٧٢. اي بعد نجاح قمة موسكو الاولى في عام ١٩٧٢، كان الهدف من المفاوضات هو الأمن في أوروبا، مما يعني أنه لا حاجة إلى مزيد من التبرير بمشاركة الولايات المتحدة وكندا. كما وافق الاتحاد السوفيتي على المطلب الغربي الثاني - وهو التحضير للمفاوضات في وقت واحد بشأن تخفيض القوات التقليدية في أوروبا الوسطى (التخفيضات المتبادلة والمتوازنة للقوة MBFR)، وهكذا بدأت مناقشات منفصلة حول هذا الأمر في فيينا في أواخر كانون الثاني ١٩٧٣. أبدت دول الناتو أيضًا استعدادها للدخول في مشاورات مؤتمر الأمن والتعاون في أوروبا اعتمادًا على التقدم المحرز. في المنتديات الأخرى لمفاوضات الشرق والغرب. في غضون ذلك، لاسيما بعد إن تم التوقيع على اتفاقيات ألمانيا

& Row, 1979), pages 218-219: The Gerald R. Ford Presidential Digital Library.

(1) Galen Jackson, "The Showdown That Wasn't: U.S.-Israeli Relations and American Domestic Politics," International Security, Vol. 39, No. 4 (2015), PP. 137-140.

الغربية مع الإتحاد السوفيتي ويولندا في الثالث والعشرين من أيار ١٩٧٢، أي في أثناء انعقاد القمة الأمريكية -السوفيتية في موسكو التي شملت تعهد جميع الأطراف بعدم استخدام القوة في العلاقات الدولية، الأمر الذي خفف من حدة التوتر في قارة أوروبا حققت المحادثات التي عقدت في هلسنكي الشرط الغربي، ألا وهو عدم بدء المؤتمر فوراً، بل التحضير للمحادثات بشكل موضوعي وإجرائي مقدماً. كان الهدف من ذلك هو تجنب الانطلاق في مثل هذه المكانة المرموقة دون إشارة إلى ما إذا كانت ستجرح ام لا (١).

لم يكن الهدف من عقد مؤتمر الأمن والتعاون في أوروبا أن يحل محل المنظمات الدولية مثل الأمم المتحدة والوكالات المتخصصة (مثل اليونسكو والعمل الدولي منظمة أو اللجنة الاقتصادية لأوروبا) أو المنظمات الإقليمية مثل مجلس أوروبا والجماعة الأوروبية، أو التحالفات والمنظمات العسكرية وإنما الهدف منه متابعة الأوضاع الأوروبية خلال الحرب الباردة (٢). وكانت اللغات الرسمية لمؤتمر الأمن والتعاون في أوروبا هي الإنجليزية والفرنسية والألمانية الإسبانية والإيطالية والروسية، ومؤتمر الأمن والتعاون في أوروبا هو عملية سياسية فريدة على عكس مؤسسات الأمم المتحدة ومجلس أوروبا و المجتمعات الأوروبية، لا يقوم المؤتمر على ميثاق أو المعاهدة التي وقعتها وصدقت عليها الدول. أي أنها ليست ملزمة قانوناً أو يحكمه قانون دولي، فإن المبادئ التي توجه العلاقات بين الدول المشاركة تحتوي على أحكام ملزمة كمبادئ قانون دولي وليس كمعاهدة كما يتم اتخاذ قرارات مؤتمر الأمن

(1) Cf. Reinhard Mutz (ed.), Die Wiener Verhandlungen über Truppenreduzierungen in Mitteleuropa (MBFR) – Chronik, Glossar, Dokumentation, Bibliographie 1973-1982 [The Vienna Negotiations on Force Reductions in Central Europe (MBFR) – Chronology, Glossary, Documents, Bibliography 1973-1982], Baden-Baden 1983, [https:// int. search. myway. com/web?](https://int.search.myway.com/web?) ; Cf. Reinhard Mutz (ed.), Die Wiener Verhandlungen über Truppenreduzierungen in Mitteleuropa (MBFR) – Chronik, Glossar, Dokumentation, Bibliographie 1973-1982 [The Vienna Negotiations on Force Reductions in Central Europe (MBFR) – Chronology, Glossary, Documents, Bibliography 1973-1982], Baden-Baden 1983, <https://int.search.myway.com/web?>

(2) Urban Gibson, The CSCE and the protection of the rights of migrants, refugees and minorities, Brussels, 1993, P.3

والتعاون في أوروبا بتوافق الآراء مما يعكس مبدأ المساواة بين جميع الدول المشاركة. إي لا يمكن اتخاذ أي قرار دون موافقة جميع تلك الدول المشاركة^(١).

ومن أجل توفير الدعم الإداري لمشاورات مؤتمر الأمن والتعاون في أوروبا، تم إنشاء أمانة عامة تأسست في العاصمة التشيكية براغ . كما تم إنشاء مركز منع نشوب النزاعات في فيينا والذي ينبغي أن يساعد المجلس في الحد من مخاطر الصراعات في أوروبا، وأيضاً إنشاء مكتب ثالث هو مكتب المؤسسات الديمقراطية والإنسانية الذي كان من المقرر أن يساعد الدول المشاركة على الإنشاء والتطوير المؤسسات الديمقراطية وتنفيذ التزامات مؤتمر الأمن والتعاون في أوروبا في مجال حقوق الإنسان. وهناك منصب الأمين العام الذي سيكون بمثابة الرئيس وسوف يدعم المؤتمر في جميع الأنشطة التي يهدف إلى تحقيقها . ستشمل مهامه أيضاً إدارة هياكل مؤتمر الأمن والتعاون في أوروبا، للمساعدة في التحضير لاجتماعات مؤتمر الأمن والتعاون في أوروبا وضمان تنفيذ قراراته. كما يشرف على عمل أمانة مؤتمر الأمن والتعاون في أوروبا^(٢).

بدأت المفاوضات بشأن وثيقة هلسنكي النهائية اثناء إدارة نيكسون واختتمت تحت إدارة جيرالد فورد **Gerald Ford**^(٣). الذي كان مدفوعاً بإيمانه المشترك في السلام ومن مؤيدي سياسة الوفاق الدولي. دخل جيرالد فورد المكتب البيضاوي في عام ١٩٧٤ عازماً على إعطاء الأولوية بشكل قوي ومرئي للسياسة الخارجية. على الرغم من مواجهة التحديات الداخلية الرهيبة، خاصة مع معارضة حرب فيتنام، والاقتصاد المتعثر، ساهم في تصميم فورد على إعادة قيادة أمريكا للعالم^(٤).

لم يكن فورد بعيداً عن قيادة السياسة الخارجية لبلاده فعندما كان عضو في الكونجرس صرح في عام ١٩٧٠، أن من مصلحة بلاده تجنب حرب عالمية ثالثة ويمكن تحقيق ذلك من خلال الاعتراف من قبل العالم بأسره من حقيقة أن الولايات المتحدة ستستخدم قوتها لردع

(1) Arie Bloed in his introduction to From Helsinki to Vienna. Basic Documents of the Helsinki Process (Utrecht, 1990).

(2) Urban Gibson, Op.Cit. P.3

(٣) جيرالد فورد: الرئيس الثامن والثلاثون للولايات المتحدة الأمريكية، ولد عام ١٩١٣. تخرج من جامعة ميشغان، أنتخب عضواً في مجلس النواب الأمريكي للمدة (١٩٤٩-١٩٧٣). تولى الرئاسة الأمريكية في ٩/ آب ١٩٧٤ بعد أن قدم نيكسون استقالته بسبب فضيحة ووترغيت :

Douglas Brinkey, Gerald Ford: The American Presidents Series :The 38th President 1974-1977, Macmillan, 2007, P.175

(4) Cannon, Time and Chance, 236. ; Qtd., Michael V Doyle,., ed., Gerald R. Ford Selected Speeches. Arlington: R.W. Beatty, Ltd., 1973., P.179

العنوان، كما قام بزيارة للصين بعد أربعة أشهر فقط من قيام نيكسون بزيارته التاريخية التي فتحت الولايات المتحدة العلاقات مع الصين في عام ١٩٧٢، سعى من خلالها لمناقشة التبادلات الثقافية والتجارية والأمن الدولي، وكان لقاء وجهاً لوجه مع تشو إن لاي Chou En-lai رئيس الوزراء الصيني^(١). وعندما تولى منصب نائب الرئيس، واصل فورد إعلانه، "القوة تجلب السلام" لذلك من الضروري أن نحافظ على قوتنا العسكرية "حتى يعرف الآخرون أمريكا قوية ليس فقط في القدرة ولكن في الإرادة"^(٢) تم تطوير هذا الاعتقاد من خلال سلسلة تعليمية وتكوينية من الخبرات الدولية التي سعى إليها فورد طوال حياته المهنية في مجلس النواب. تضمنت هذه التجارب موقفاً نشطاً عبر رحلات عديدة في جميع أنحاء جنوب شرق آسيا إذ واجه التهديد الشيوعي بشكل مباشر^(٣).

جرت عدة مفاوضات بين الجانبين حول مؤتمر الامن الاوربي ففي العشرين من ايلول ١٩٧٤ ابلغ اندريه غروميكو Andrey Gromyko^(٤)، وزير الخارجية السوفيتي الرئيس الامريكي جيرالد فورد وهنري كيسنجر أن الدولتين حققتا انتصارات كبيرة في الانفراج الدولي منذ عام ١٩٧٢ ولا بد من اكمال هذا الانفراج بعقد مؤتمر الامن الاوربي في هلسنكي الذي سيعزز العلاقات الدولية بشكل عام، وواضح أن حكومته تعلق امال كبيرة على هذا المؤتمر، وافق كيسنجر على اراء غروميكو موضعاً رغبته في التوصل لنتائج ايجابية مع الاشارة الى أن حكومته لا بد لها من مناقشة حلفائها الاوربيين فكل دولة تحاول أن تنتزع شيئاً من الاتحاد السوفيتي، إلا أننا وضحنا لهم صعوبة الحصول على تنازلات من الجانب السوفيتي لذا علينا دراسة كافة المشاريع التي ستطرح في المؤتمر، كان رأي غروميكو هو ضرورة الوصول لحل ثلاث قضايا مهمة وهي مسألة الحدود ومسألة التحركات العسكرية من خلال مراقبة تحرك القوات المتواجدة في اوربا عبر نشر المراقبين الدوليين، وثالثاً محادثات تحديد الاسلحة الاستراتيجية في فيينا، كما أوضح غروميكو رفض حكومته لطلب الحلفاء الغربيين بتقليص

(1) Ford, A Time to Heal, 98.; Cannon, Time and Chance, 122.

(2) Qtd., "Gerald Ford: The Man and His Record," Congressional Quarterly, 70-71.

(3) Qtd., DeFrank, Write it When I'm Gone, 12.

(٤) سياسي سوفيتي، ولد عام ١٩٠٩، درس الزراعة وتخرج منها عام ١٩٣٦، دخل في وزارة الخارجية السوفيتية عام ١٩٣٩. عين سفيراً لبلاده في الولايات المتحدة عام ١٩٤٣، في عام ١٩٥٧ شغل منصب وزير الخارجية لبلاده حتى عام ١٩٨٦، نُحي عن منصبه بعد مجيء غورباتشوف لأرائه المحافظة: عبد الوهاب الكيالي، السياسة الدولية، ج٣، ١٩٩٣، بيروت، ص٣٣٨.

القوات السوفيتية مرتين في شرق اوربا بينما القوات الجوية والاسلحة النووية والقواعد الامريكية وحلفائها تتواجد في غرب اوربا، لذا يجب أن يكون هناك تساوي في تخفيض القوات لكلا الجانبين ولقوات جميع الدول الغربية والشرقية في وسط اوربا من خلال مناقشتها في اجتماعات اخرى^(١)

ابلق كيسنجر من خلال رسالة بعثها الى الرئيس فورد في الرابع والعشرين من كانون الاول ١٩٧٤ أن الزعيم بريجينيف كان قد اوضح أن الولايات المتحدة فشلت الوفاء بالتزامها بإنهاء التمييز التجاري "غير المشروط في اتفاقيات عام ١٩٧٢، وبذلك يُعفى الاتحاد السوفياتي من التزاماته في "مجموعة شاملة من الاتفاقيات المتعلقة بمسائل التجارة والائتمان" (يشير، أولاً وقبل كل شيء، إلى اتفاقية عقد الإيجار، التي كانت مشروطة بمنح الدولة الأولى بالرعاية كما اثار بريجينيف تساؤلات حول الإجراءات الأمريكية وصحة الاتفاقيات الأخرى ومع ذلك، يعتزم الاتحاد السوفياتي المضي قدما في العلاقات الثنائية والقضايا الدولية في ضوء المصالح المشتركة، ولن "يتراجع". يلتمس بريجينيف وجهة نظرك حول كيفية تحسين "الوضع الحالي"، ويعرب عن أمله في أن تشاركه نيته في عدم الشعور بالإحباط والقيام "بجهود مشتركة"، فضلاً عن ذلك اوضح كيسنجر في رسالته للرئيس فورد أن بريجينيف بسبب وضعه السياسي الداخلي مطالب باتخاذ موقف قوي بشأن مسألة الهجرة. ومع ذلك، لم يصل إلى حد رفض الاتفاق السابق بالكامل، وترك المجال مفتوحاً لمسألة كيفية المضي قدماً . فهو من خلال رسالته ارد تزويدك بالطمأنينة بأنه لا ينوي ترك قضية الدولة الأولى بالرعاية - الهجرة تتصاعد إلى تحول كبير في السياسة السوفيتية إنه حريص بشكل خاص على السؤال عن آرائك، ويؤكد عزمه على الاستمرار على طول الخطوط البناءة. لقد ناقشت بالفعل رسالة بريجينيف مع السفير دوبرينين الذي أكد لي أنه لا داعي للرد فوري^(٢) .

ومع سفر دوبرينين الى بلاده بعث فورد رسالة الى بريجينيف مُشيراً الى رغبته في مواصلة مسار تحسين العلاقات بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي على النحو المبين في اجتماعات القمة التاريخية على مدى الثلاث سنوات الماضية، كذلك اكد فورد على تعزيز التعاون في المجالات الاقتصادية وغيرها من العلاقات الثنائية، والتعاون المستمر في المجال السياسي الدولي.الذي لا شك في أن بلدنا، كواقع سياسي، يتقاسمان مسؤولية خاصة من أجل

(1) Cannon, Time and Chance, 122.

(2) Memorandum From Secretary of State Kissinger to President Ford, Washington, December 26, 1974, Foreign Relations of the United States, 1969-1976, Volume XVI, Soviet Union, August 1974-December 1976, <https://history.state.gov/historicaldocuments/frus1969-76v16/d105> Department of State ,(Hereafter will be Cited in F.R.U.S). ,NO.105,P.409 .

السلام العالمي، كما تطرق في رسالته إلى قضية الشرق الأوسط مُشيراً إلى انه لا يمكن تحقيق أي تسوية نهائية في الشرق الأوسط بدون دعم وتعاون الاتحاد السوفيتي فإن الخطر من اندلاع الأعمال العدائية لا يزال قائماً ولا يمكن تجاهله. لذلك تحاول الولايات المتحدة حالياً معرفة ما إذا كان هناك هي أي خطوات أولية يمكن اتخاذها لتخفيف التوترات في المنطقة^(١).
بعث كيسنجر مذكرة الى الرئيس فورد في الثالث والعشرين من كانون الثاني ١٩٧٥ تطرق إلى السياسة السوفيتية تجاه الشرق الأوسط، طرح فيها عدة قضايا منها ان دوبرنين ابلغه عن تاجيل زيارة بريجينيف للشرق الأوسط اي مصر وذلك بسبب سوء حالته الصحية، كما اشار إلى أن دوبرنين ابلغه أن العلاقات السوفيتية -المصرية ليست سيئة كما تنشر الصحف المعادية لهم، كما تضمنت المذكرة سعي الاتحاد السوفيتي لتوسيع التبادل التجاري بين البلدين دون ربطه بالهجرة اليهودية، وايضاً التنسيق لزيارة بريجينيف الى الولايات المتحدة^(٢).

بدأت الادارة الامريكية دراسة مؤتمر القمة قبل انعقاده وفي الثالث والعشرين من كانون الثاني ١٩٧٥ اجتمع الرئيس فورد مع هنري كيسنجر والجنرال برينت سكوكروفت Brent Scowcroft نائب مساعد الرئيس لشؤون الامن القومي وناقش كيسنجر ضرورة مناقشة جميع اعضاء حلف الناتو قبل انعقاد قمة هلسنكي واتخاذ اسلوب المرونة في المفاوضات، كما رأى ضرورة البدء بالتخفيضات المتساوية لقوات كلا الجانبين في اوربا مع تخفيض للأسلحة الاستراتيجية انظم الجنرال جورج براون George Brown مدير السيطرة على الاسلحة ووليام كولبي William Colby مدير الاستخبارات المركزية للاجتماع ووضح المجتمعون ضرورة ان تكون التخفيضات لقوات الدولتين في وسط اوربا حيث تتمركز اقوى عناصر القوة العسكرية للدولتين، لاسيما أن عدد الجند لكلا الدولتين زاد بقدر مائة الف رجل خلال السنوات الثماني الاخيرة . كما ابدى المجتمعون ضرورة انسحاب الجيش السوفيتي من وسط اوربا لتقليل القدرة الهجومية السوفيتية على الناتو . كما اوضحوا ان نوعية الطائرات الامريكية في وسط اوربا تفوق الطائرات السوفيتية . بينما قام السوفيت بتعديل الصواريخ الاستراتيجية في السنوات الاخيرة . لذا من الضروري تخفيض قوات كلا الدولتين في وسط اوربا على مرحلتين المرحلة الاولى يخف كلا الجانبين النسب المتوية المتساوية لعدد القوات

(1) Letter From President Ford to Soviet General Secretary Brezhnev, Washington, January 21, 1975, Volume XVI, , Cited is F.R.U.S. NO.123 , PP.448-449. .

(2) Memorandum From the President's Assistant for National Security Affairs (Kissinger) to President Ford, Washington, January 23, 1975., Volume XVI, Cited is F.R.U.S. NO.124 , PP.450-451.

الارضية حيث يكون شكل التخفيض كل جانب ١٥% من عدد رجاله و ٨٦٠٠٠٠ للدبابات لكلا الجانبين في حال وافق الجانب السوفيتي^(١).

جرت محادثات اخرى في جنيف ضمت الجانبين الامريكى والسوفيتي في السابع عشر من شباط ١٩٧٥ ناقش الجانبان قضايا مؤتمر الامن الاوربي ومسألة التجارة بين البلدين والشرق الاوسط وتخفيض قوات الجانبين في وسط اوربا وتقرر ان يكون موعد عقد مؤتمر الامن الاوربي في تموز - اب ١٩٧٥، اما فيما يتعلق بقضية الشرق الاوسط فقد أكد غروميكو على اهمية الحل النهائي للقضية وليس بالاتفاقات الجزئية اي بوجود كافة الاطراف العربية وتقرر مناقشته خلال مؤتمر الامن الاوربي، فيما يتعلق بمفاوضات فيينا بشأن خفض القوة، فأوجز كيسنجر رأيه بأن حكومته تدرس الآن بعض التخفيضات في الأسلحة النووية الجديدة والطائرات، كما ستقوم حكومته بابلاغ حلفائها الغربيين، اما ما يخص العلاقات الثنائية للبلدين فتقرر توسيع تلك العلاقات من جميع النواحي^(٢).

بعث بريجينف في العاشر من نيسان ١٩٧٥ رسالة الى الرئيس فورد تضمنت الجدول الزمني التقريبي للاجتماعات المهمة بين البلدين هذا العام يمكن أن يكون على النحو التالي:

(1) تجديد مؤتمر جنيف للسلام حول الشرق الأوسط في حزيران مقبول من حيث المبدأ بالنسبة لنا ولكن بالطبع هذا السؤال يجب أن يتم الاتفاق عليه من قبل جميع الأطراف المعنية.

(2) المرحلة النهائية لمؤتمر الأمن والتعاون في أوروبا في تموز ١٩٧٥، ونعتبر هذه المرة متفق عليها مع الجانب الأمريكي (3). زيارة الأمين العام للجنة المركزية للحزب الشيوعي ليوينيد بريجينف للولايات المتحدة. تكون بعد شهرين بعد اختتام أعمال مؤتمر الأمن والتعاون في أوروبا. يمكن الاتفاق على تواريخ أكثر دقة للزيارة في وقت لاحق بالنسبة للقاء الجديد بين أندريه جروميكو وهنري كيسنجر لتبادل الآراء حول مشكلة الشرق الأوسط وغيرها من المسائل التي تهم الجانبين، يمكن أن يعقد هذا الاجتماع في موسكو، لنقل في ٢٠-٢١ ايار. وغني عن البيان أنه عند الحاجة، سيستمر التبادل الثنائي للآراء بشأن جميع الأسئلة الناشئة كما كان من قبل على أساس منتظم من خلال القنوات القائمة^(٣).

وعلى اثر تطور الحرب الفيتنامية بعث الرئيس فورد برسالة الى بريجينف في الثامن عشر من نيسان طالبا بشكل عاجل من حكومة الاتحاد السوفياتي استخدام مساعيها الحميدة

(1) Memorandum of Conversation, Washington, 23 , 1975 January, 9, 35-11:35-a.m., Volume XVI, , Cited is F.R.U.S. NO.354 , PP.11-20 .

(2) Memorandum of Conversation, Geneva, February 17, 1975, 3:07-3:55 p.m, NO.130 ., Volume XVI, , PP.5 12-514.

(3) Oral Message From Soviet General Secretary Brezhnev to President Ford, Moscow, April 10, 1975, Cited is F.R.U.S. , Volume XVI NO.140, P.545.

لتحقيق وقف مؤقت للقتال. موضعاً في هذا الصدد، نحن على استعداد لمناقشة الظروف السياسية الخاصة التي يمكن أن تجعل ذلك ممكناً. مؤكداً عدم توجه حكومته للوساطة الصينية انما تسعى حكومته للحصول على التدخل السوفيتي لانتهاء تلك الحرب التي ستؤثر على علاقات البلدين وان كان هناك وقف مؤقت لإطلاق النار، فسنكون مستعدين لعقد مؤتمر باريس على الفور، أو يمكننا التفكير في البدائل التي قد يعمل عليها الاتحاد السوفيتي مع هانوي خلال فترة وقف إطلاق النار المؤقت، سنكون على استعداد لوقف الإمدادات العسكرية -لكننا قلقون من وقوع هجمات على المطارات، مما سيجعل من المستحيل الاستمرار في تقليص عدد المواطنين الأمريكيين بشكل منظم. -علاوة على ذلك، اكتشفنا صواريخ أرض - جو سوفيتية في نطاق ٥٠ ميلاً من سايبون ؛ أي هجوم على طائرة ركاب من شأنه أن يخلق وضعاً خطيراً. -في ظل تطور الوضع العسكري، نحتاج الآن إلى معرفة ما إذا كانت هناك فرصة لوقف مؤقت للقتال قد يسمح ببدء عملية سياسية وفي نهاية الرسالة طلب بضرورة الرد السوفيتي^(١).

جاء الرد السوفيتي من خلال مكالمة هاتفية من السفير اناتولي دوبرينين الى هنري كيسنجر في الرابع والعشرين من نيسان اكد ان حكومته اتخذت الخطوات المناسبة للتواصل مع الجانب الفيتنامي في هذا الصدد . نتيجة لهذه الاتصالات الآن يمكننا إبلاغ الرئيس بما يلي. إن موقف الجانب الفيتنامي من مسألة إجلاء المواطنين الأمريكيين من جنوب فيتنام إيجابي بالتأكيد. صرح الفيتناميون أنهم لا يعترضون وضع أي عقبات في سياق العمليات العسكرية لإجلاء المواطنين الأمريكيين من جنوب فيتنام وأنه تم الآن في الواقع تهيئة الظروف المواتية لمثل هذا الإجلاء. في الوقت نفسه لا توجد عقبة إطلاقاً أمام إجلاء مواطني الولايات المتحدة. لا شيء على الإطلاق وقد وضعوا شروطاً لهذه العملية بالذات وموقفهم تجاه ذلك إيجابي، تم التأكيد على أنه في النضال من أجل تحقيق تسوية سياسية، سينطلق الجانب الفيتنامي من اتفاق باريس. قيل لنا أيضاً أن الفيتناميين لا ينوون الإضرار بهيبة الولايات المتحدة يعرب بريجنيف عن أمله في أن يقدر الرئيس على النحو الواجب مثل هذا الموقف من الجانب الفيتنامي ولن يسمح بأي عمل من جانب الولايات المتحدة قد يكون محفوفاً بتفاهت

(1) Oral Note From President Ford to Soviet General Secretary Brezhnev, Washington, April 18, 1975, Cited is F.R.U.S, Volume XVI , NO.143, P.553.

جديد للوضع في الهند الصينية، وبذلك انهى الجانبان مناقشاتهما حول الهند الصينية اي حرب فيتنام^(١).

وقبل توجه الرئيس فورد الى هلسنكي عاصمة فنلندا بدأ موظفو مجلس الامن الامريكي ووزارة الدفاع بالاستعداد مع الرئيس فورد وهنري كيسنجر للقمة ففي الحادي والعشرين من تموز ١٩٧٥ ارسل مجلس الامن مذكرة الى كيسنجر يؤكد فيها أنه من الضروري على الرئيس فورد أن يوضح الى بريجينيف أنه سيتم ارسال خطاب الى الامين العام للامم المتحدة للتأكيد على أن اتفاق هلسنكي ليس معاهدة وانما اتفاق دولي وأنه من الضروري على الامم المتحدة تعميمه للدول المشاركة في القمة اي أنها ليست التزاماً قانونياً دولياً فهي التزامات سياسية لا كونها لن تسجل في الامم المتحدة، لذا سيتم توزيع الوثيقة على الدول الاعضاء دون تسجيلها في الامم المتحدة ويكون في نهاية الوثيقة توقيع للمشاركين في المؤتمر فقط^(٢). لم يقتصر الامر على ذلك، انما جرت محادثات اخيرة بين فورد ودوبرينبين الذي طلب من الرئيس فورد توسيع العلاقات التجارية بين البلدين من خلال زيادة تصدير الحبوب للاتحاد السوفيتي الذي اصبح بحاجة متزايدة له، وافق فورد على أن يتم مناقشته خلال قمة هلسنكي المرتقبة^(٣).

رحلة فورد الى بولندا وتحضيرات لقاء القمة

كانت أولى تحضيرات فورد لقمة هلسنكي التوجه الى بولندا للقاء ممثلي دول البلطيق وطرح لقاء هلسنكي المرتقب عليهم، وفي الخامس والعشرين من تموز ١٩٧٥ اجتمع فورد مع ادارته لمناقشة القمة قبل التوجه الى بولندا، وكان التحالف البولندي اعد مذكرة تدعم الرئيس فورد للقاء هلسنكي مؤكدين رغبتهم في أن يشمل اللقاء بياناً حول حرية تقرير المصير والعفو عن المنشقين السوفيت مذكرين فورد بمهمته في مناقشة هجرة اليهود من الاتحاد السوفيتي في

(1) Transcript of Telephone Conversation Between Secretary of State Kissinger and the Soviet Ambassador (Dobrynin, Washington, April 24, 1975, 4 p.m, Volume XVI , NO.144, P.555.

(2) Memorandum From Denis Clift of the National Security Council Staff to Secretary of State Kissinger, Washington, July 21, 1975, Douglas E. Selvage , General Editor: Edward C. Keefer Foreign Relations, 1969-1976, Volume XXXIX, , United States Government Printing Office ,Washington,2008, state.gov/r/pa/ho/frus/nixon/xxxix/index.htm. (Hereafter will be Cited in F.R.U.S). PP.923-924

(3) Memorandum of Conversation, Washington, July 23, 1975, 4:41-4:57 p.m, Cited is F.R.U.S, Volume XVI , NO.168, P.677.

قمة فلاديفستوك، كما تمت مناقشة قضية حرية تقرير المصير وقضايا التسلح وتخفيض القوات في اوربا وغيرها من القضايا الدولية والقضايا الثنائية^(١).

وخلال تواجد فورد في بولندا تلقى مذكرة من كيسنجر في تموز ١٩٧٥ تضمنت مشاركة الولايات المتحدة وكندا مع ثلاث وثلاثين دولة اوربية في مؤتمر هلسنكي ووضح له كيسنجر ان عليه كرئيس للبلاد أن يظهر أن الولايات المتحدة تحتفظ بمصالح حيوية في اوربا وأن أمنها مرتبط بمشاركتنا بحلف الناتو الذي يهدف الى تأمين أوربا واستقرارها وحدد اهداف بلاده من القمة بما يأتي :-تقييم نتائج مؤتمر الأمن والتعاون في أوروبا بالقول إن تصريحات المؤتمر في هلسنكي ليست ملزمة قانوناً وإنما تمثل التزامات سياسية وأخلاقية لتخفيف التوترات بين الشرق والغرب وزيادة الاتصالات والتأكيد على أنه في حين أن مؤتمر الأمن والتعاون في أوروبا هو خطوة إلى الأمام، فإنه ليس ذروة عملية الانفراج، حيث لا تزال الجيوش الدائمة الكبيرة تعارض بعضنا البعض وأن الاختلافات الرئيسية بين الشرق والغرب لا تزال قائمة لإيجاد الحل - السماح لحكومات اوربا الغربية الاعضاء في حلف الناتو اوالمحايدين المشاركة في سياسة الانفراج الدولي، والتأكيد على حقوق الانسان وحرية المصير، لذا اكد على فورد عدم فسح المجال امام السوفيت لجعل الاتفاق التزام قانوني)، وشملت المحادثات المطالب البولندية لتعويض البولنديين من الهجمات النازية وضرورة السماح لهم بالهجرة وتوسيع العلاقات مع الالمان لمنح البولنديين حرية التنقل^(٢).

بعدها التقى الرئيس فورد مع ادورد جيريك **Edward Gierak** السكرتير الاول للجنة المركزية لحزب العمال البولندي المتحد الذي رحب بالرئيس فورد مشدداً على ضرورة توسيع العلاقات بين البلدين، بعدها اوضح جيريك موجزاً للخطة الاقتصادية الخمسية لبلادة للمدة ١٩٧٧- ١٩٨٠ والتي تتطلب زيادة الصادرات البولندية للغرب والولايات المتحدة الامريكية خاصة أن بولندا بلد اشتراكي لا ينفصل عن الاتحاد السوفيتي، لذا طلب جيريك من فورد ضرورة توسيع التعاون الاوربي بين الغرب والشرق ليحقق الانفراج الاقتصادي لبلاده

(1) Memorandum of Conversation, Washington, July 25, 1975, 11:10-11:55 a.m., Cited is F.R.U.S. , Volume XXXIX, NO.320, PP.927-930.; Stefan A. Halper , James B. Shuman, The Ford Presidency A Portrait the first tow years, August, 1976., P.78 .

(2) Memorandum From the President's Assistant for National Security Affairs (Kissinger) to President Ford, Washington, undated, Cited is F.R.U.S. Volume XXXIX , PP.931-933.; Memorandum of Conversation ,Warsaw, July 28, 1975, 4:30-5:15 p.m, Cited is F.R.U.S. , Volume XXXIX , NO.324, PP.938-940.

ويوسع الاتصالات الثقافية والسياسية والاقتصادية بين بولندا والولايات المتحدة خاصة التعاون الاقتصادي والثقافي لنقل الافراد بين الشعوب لمعرفة انجاز الشعوب الاخرى، كما اكد ضرورة تخفيض قوات الدولتين في وسط اوربا^(١).

استمرت تحضيرات كيسنجر وفورد لقمة هلسنكي، فقد ارسل كيسنجر مذكرة للرئيس فورد في التاسع والعشرين من تموز ١٩٧٥ اي قبل القمة بيوم اكد له ضرورة أن يكون الانفراج الدولي متساوياً للطرفين، خاصة في مسألة الحد من التسلح في اوربا بشكل عام وأن تكون نتائج قمة هلسنكي ايجابية كقمتي موسكو ١٩٧٢ وواشنطن ١٩٧٣، كما ركز على امور منها ان ينعكس مسار الانفراج الامريكي السوفيتي على جميع القضايا الدولية، مناقشة قضايا التسلح واهمها صواريخ كروز Cruise، صاروخ كروز الجوي الذي يطلق من الجو هو صاروخ يتم اطلاقه من الطائرات العسكرية وتستخدم لمهاجمة اهداف ارضية وهناك صاروخ كروز الارضي يطلق من الارض، مع التأكيد على ضرورة قيام الامين العام للحزب الشيوعي بريجينيف بزيارة إلى الولايات المتحدة الامريكية لتأكيد سياسة الانفراج ويجب تذكير بريجينيف بأنه ليس لدينا قضايا إقليمية في الخلاف، وستوضح أن مؤتمر الأمن والتعاون في أوروبا يجب أن يكون دليلاً لمستقبل العلاقات، وتكن اهمية لقاء هلسنكي للنظر بشأن التخفيضات المتبادلة والمتوازنة في قوات الدولتين في اوربا ان الغرب يدرك الدوافع السوفيتية لعدم المضي قدماً في محادثات اكمال مؤتمر الامن، لذا يجب إجراء التخفيضات أولاً في المرحلة الأولى اي الانفراج العسكري وشدد على توسيع العلاقات الثنائية للبلدين مع عدم ابلاغ السوفيت بأن بعض الاعضاء في الكونغرس الامريكي مرتابون من توسيع العلاقات الثنائية انما يجب أن نوضح لهم عدم معرفة ما سيحدث بعد المؤتمر من ردود افعال لكلا الدولتين، كما اشار كيسنجر في مذكرته إلى أن موقف بريجينيف سيكون ايجابياً لتحقيق بعض الانجازات كونه سيواجه انتصاره في الحزب الشيوعي وعليه أن يدافع عن سجل سياسته الخارجية وهو ما نسعى لتحقيقه في المؤتمر^(٢).

(1) Memorandum Of Conversation , Warsaw, July 28, 1975, 5:15-6,15 p.m, Cited is F.R.U.S. , Volume XXXIX , NO.326, PP.940-950 .

(2) Memorandum From the President's Assistant for National Security Affairs (Kissinger) to President Ford Warsaw, July 29, 1975. Cited is F.R.U.S., Volume XXXIX , NO.327., PP.952-955.; Memorandum From the President's Assistant for National Security Affairs (Kissinger) to President Ford, Washington, July 29, 1975., Volume XVI , NO.170, PP.682-684.

عقد قمة هلسنكي ٣٠ تموز - ٢ آب ١٩٧٥

كان مؤتمر الأمن والتعاون في أوروبا في الأصل فكرة سوفيتية، وقد راهن بريجنيف على نجاحها. حتى مع معاناته من مرض السكتة الدماغية التي استمرت بضعة أشهر إذ اصر على الرحلة رغم أن طبيبه الشخصي كان قلقاً من هذه الرحلة على صحته، لكنه أصر على أن يأخذ مكانه إلى جانب أربعة وثلاثين من القادة الآخرين من أوروبا وأمريكا الذين كانوا يجتمعون من أجل هذه القمة، كان السوفييت يضغطون من أجل عقد مؤتمر الأمن الأوروبي منذ عام ١٩٥٤ ويأملون في الاستفادة من مثل هذا العملية لتأمين الاعتراف الغربي بديمومة الحدود التي أنشأها الاتحاد السوفياتي في أوروبا الشرقية في نهاية الحرب العالمية الثانية. نزل ليونيد بريجنيف في مساء التاسع والعشرون من تموز ١٩٧٥، من متن قطار المحطة المركزية في هلسنكي، وأحضر معه مجموعة من كبار المسؤولين السوفيت دوبرينين وغروميكو وغيرهم إلى المؤتمر، وكان في استقبالهم رئيس فنلندا، أورهو كيكونن Urho Kekkonen، الذي احتضن بريجنيف، كما تم استقبال بريجنيف من قبل وفد من الشيوعيين الفنلنديين الشباب الذين يرتدون الأوشحة الحمراء، وانطلق في سيارة ليموزين سوداء متجهة إلى السفارة السوفيتية في فنلندا للاقامة فيها لمدة لمدّة ثلاثة أيام^(١).

وصلت الوفود المشاركة في القمة لى فنلندا في الثلاثين من تموز ١٩٧٥ وبحضور الرئيس فورد وهنري كيسنجر والمترجم هاري أوبست Harry Obst و السفير الامريكي في الاتحاد السوفيتي والتر جيه ستوسل Walter J. Stoessel، واللفتنانت جنرال برنت سكوكروفت Lt. Gen. Brent Scowcroft، نائب مساعد الرئيس الوطني الشؤون الأمنية وهيلموت سونينفيلدت، Helmut Sonnenfeldt مستشار وزارة الخارجية، ويليام جي هايلاند William G. Hyland مدير مكتب الاستخبارات والبحوث، الكسندر اكالوفسكي Alexander Akalovsky، مكتب الشؤون السياسية والعسكرية، وبيتر دبليو رودمان Peter W. Rodman، طاقم مجلس الامن القومي NSC ، بينما حضر عن الجانب السوفيتي ليونيد بريجنيف، الأمين العام للجنة المركزية . للحزب الشيوعي للاتحاد السوفيتي

(1) Donald J. Raleigh, Man of Peace: Leonid Ilich Brezhnev and His Diaries,(N.P),PP.9-10; Gill Bennett and Keith A. Hamilton (eds), Documents on British Policy Overseas (DBPO), Series III, Volume II, The Conference on Security and Co-operation in Europe, 1972-75(London: The Stationery Office, 1998), No.141.; Memorandum for NIC -Mr.William Martin , October 26, 1985,Ford and Brezhnev AT , Helsinki July 30-, August 2, 1975 Hereafter will be Cited in; CIA, ,<https://www.cia.gov/library/readingroom/document/cia-rdp87m00539r001101460011-4>, P.4

أندريه أ. جروميكو Andrei A. Gromyko،، عضو المكتب السياسي للجنة المركزية للحزب الشيوعي ووزير خارجية اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية، وجورجي م. كورنينكو Georgi M. Kornienko، مدير إدارة الولايات المتحدة الأمريكية وعضو في كوليجيوم، وزارة الخارجية الاجتماع وبمشاركة بريطانيا ممثلاً عنها رئيس الوزراء ويلسون Wilson ووزيرة الدولة للشؤون الخارجية كالاها Callaghan وعن فرنسا الرئيس جيسكار ديستان Giscard d'Estaing ووزير الشؤون الخارجية Sauvagnargues وعن ألمانيا الغربية مستشار شميت Schmidt والمترجم جيزيلا أندرس Gisela Anders، مع بقية الوفود الأخرى، بدأت المناقشات بسؤال من الرئيس الفرنسي للرئيس فورد حول الخطاب الذي القاه بريجينيف الترحيبي ومن جانبه اشاد فورد بالخطاب كما اشاد بالخطاب الذي القاه كل من شميدت ورئيس وزراء بريطانيا ويلسون مؤكدين أن الخطاب أكثر اعتدالاً من السابق، خاصةً ان كيسنجر اوضح مخاوف بلاده من الضغط على ألمانيا الغربية بعد مؤتمر الامن الاوربي إلا أن خطاب بريجينيف كان أكثر التزاماً من قبل . اذ اكد في خطابه عن التزام بلاده باتفاقية منع الحرب النووية. مشيراً الى انه لقد تعهد كلانا بالعمل بطريقة تمنع نشوب حرب نووية بيننا. وأنا متأكد من أننا نتفق على أنه لا ينبغي فعل أي شيء لإضعاف هذا الهدف. في، جميع الجوانب مهمة - الاقتصادية، والسياسية، والتقنية، وكذلك الأخلاقية والنفسية (١)

افتتح مؤتمر الامن الاوربي في الثلاثين من تموز ١٩٧٥ بحضور قادة خمس وثلاثين دولة وبخطاب من بريجينيف اكد فيه رغبة جميع المشاركين في الوصول لتسوية حول جميع القضايا واهمها تخفيض قوات المعسكرين في اوربا وكانت المواضيع الاولى للنقاش تخص العلاقات الأمريكية السوفيتية وتعزيز التعاون بين القوى العظمى -إبرام اتفاقية SALT1؛ الشرق الأوسط؛ هجرة اليهود من الاتحاد السوفيتي الى فلسطين؛ حرب نووية، مع بداية اللقاء رحب الطرفان ببعضهما واكدا على اهمية المضي بما حققته الدولتان في القمم السابقة واهمها قمة فلاديفستوك ١٩٧٤ الاخيرة، ومن جانبه اكد فورد على الرغم من وجود معارضة من بعض اعضاء مجلس الشيوخ لسياسة الانفراج الا أنه ماضٍ بها . رحب بريجينيف بسياسة فورد مؤكداً ضرورة احرار تقدم في قضايا مؤتمر الامن الاوربي واهمها خفض القوات والتوترات في اوربا(٢)

(1) Memorandum Of Conversation Wednesday, July 30, 1975 9: 35 a. m., Brezhnev Memcons· Volume XXXIX, . PP.12-16.; Memorandum of Conversation, Helsinki, July 30, 1975, 9:35 a.m, Volume XVI , NO.171, PP.691-699.

(2) Memorandum Of Conversation Wednesday, July 30, 1975 9: 35 a. m., Brezhnev Memcons., Box 1 - July 30-August 2, 1975 - Ford/Brezhnev Meetings in Helsinki (Conference on Security and

كانت قضية الشرق الاوسط من ضمن مناقشات اليوم الأول للمؤتمر وأوضح فورد أنه ماضٍ بمناقشة القضية من خلال التواصل مع الجامعة العربية، ومن جانبه أكد بريجينيف ضرورة الانسحاب الاسرائيلي من الاراضي العربية المحتلة . أكد فورد أنه التقى مع الرئيس المصري انور السادات وبعدها سيكون هناك مؤتمر جنيف لمناقشة السلام في الشرق الاوسط . بعدها أنتقل الجانبان لقضية الامن الاوربي وتخفيض القوات في اوربا وان يشمل الانفراج جميع دول العالم لا اوربا فقط. كرر الجانبان رغبتهما من خلال قمة هلسنكي في منع اي حرب نووية جديدة، فحسب وخلال المناقشات اشار بريجينيف الى ضرورة تعديل سياسة الولايات المتحدة لأمريكية التجارية تجاه السوفيت، ويقصد بها رفض عضو مجلس الامريكي هنري جاكسون Henry Jackson منح بلاده حق الدولة الاولى في الرعاية مشتركاً على السوفيت منح ستة الاف يهودي حق الهجرة سنويا الى فلسطين، اذ اوضح بريجينيف أنه منذ أن بدأت الهجرة في عام ١٩٤٥ حتى الاول من اذار ١٩٧٤، غادر اربعة وتسعون الف يهودي سوفيتي مع (أطفال حتى سن ١٦ عاماً من العمر) الى إسرائيل . وتم منع احدى وتسعون شخص مع عائلاتهم من الهجرة كونهم مطلعين على اسرار الدولة وادعى أن الاتحاد السوفيتي التقى ٩٨,٤ في المائة من جميع طلبات الهجرة المقدمة منذ عام ١٩٤٥ و أن تلك الحالات التي تم رفض السماح لها بالهجرة تنطوي على مسائل أمنية^(١) . استمرت المناقشات في الساعة الثانية عشر بعد ظهر يوم الاربعاء الثلاثين من تموز اي بعد الجلسة العامة الصباحية، وخلال الجلسة الثانية أكد بريجينيف دعمه للرئيس فورد في حال اعادة انتخابه مرة ثانية للحكم، في حين أشار فورد أنه مستعد للاستمرار في سياسة الوفاق الدولي بين الدولتين في حال اعادة انتخابه^(٢).

Cooperation in Europe)) at the Gerald R. Ford Presidential Librar, Helsinki, 1975, PP.3-5 .; Memorandum of Conversation, Helsinki, July 30, 1975, noon, Volume XVI , NO.172, PP.704-705.

(1) Memorandum of Conversation, Helsinki, July 30, 1975, 9:35 a.m., Cited is F.R.U.S. Volume XXXIX , PP.959-966. .; Memorandum of Conversation, Wednesday, July 30, 1975 U. S. -Soviet Relations ؛ American Ambassador's Residence Middle East; Emigration ؛9:35 a. m. - 12:00 noon, Volume XXXIX , Helsinki, 1975, <https://www.fordlibrarymuseum.gov/library/document/0331/1554002.pdf>, PP.2-13.

(2) Memorandum Of Conversation Wednesday, July 30, 1975, 12:00 Noon (after plenary meeting), Brezhnev Memcons· Cited is F.R.U.S. , Volume XXXIX , PP.1-2.

تضمنت مناقشات اليوم الحادي والثلاثين من تموز حضور ممثلي الصحف الأمريكية والأوروبية واقترح بريجينيف الا يكون هناك اي تصريح رسمي وان وافقت الدول المشاركة على اعلان تصريحات يجب أن لا تسند لأي مسؤول أمريكي او سوفيتي باعتبار المؤتمر يضم جميع الدول الأوروبية وليس الدولتين فقط، كما تم التطرق لقضية قبرص وتقرر ترك ٢٥% من الاراضي للاتراك بعد الاتفاق على الاعلان الرسمي، اوضح كيسنجر رغبة المانيا الغربية في ابقاء القوات الأمريكية على اراضيها وهذا ما سبب اعتراض المشاركين باعتبار ان المؤتمر يهدف الى خفض جميع القوات في اوربا^(١) .

استمرت المحادثات في اليوم الاول من آب ١٩٧٥ وكانت المشاركة السوفيتية معتدلة فقد هيمن فورد على المؤتمر باسلوبه السياسي المعتدل، فقد كان الدور الرئيسي لفورد في حين كان بريجينيف دوره ثانوي وتقرر ربط سحب القوات من اوربا بهذا المؤتمر بشكل اساسي ومتساوي للطرفين^(٢) .

خُصص اليوم الثاني من آب للاستمرار في مناقشة قضايا خفض القوات لكلا الدولتين في اوربا ومشكلة الخلافات بين تركيا واليونان حول جزيرة قبرص، ففي ما يخص خفض القوات في اوربا اقترح الجانبان أن يكون هناك اتفاق لمدة عامين اي حتى عام ١٩٧٧ ليطمأن العالم من سياسة الوفاق الدولي، كما اقترح عدم ادخال إي اسلحة متطورة او متقدمة الصنع الى اوربا، وخاصة مسألة عدد الغواصات ووزنها وفرض حظر على بناء صوامع الصواريخ النووية . يجب حساب جميع الصواريخ التي تم اختبارها مجهزة بقاذافات اطلاق MIRVs ، وهي مركبة عائدة متعددة قابلة للاستهداف بشكل مستقل فقد تم تطوير مركبات إعادة الدخول

(1) Memorandum of Conversation, Helsinki, July 31, 1975, 1:25-3:25 p.m., Cited is F.R.U.S. Volume XXXIX , PP.967-969; Memorandum of Conversation, Helsinki, July 31, 1975, 9:50-11:25 p.m, Cited is F.R.U.S. PP.970-972. ; Date And Time : July 31, 1975, 8 a.m ., Place:

The Ambassador's Residence ، Helsinki, Finland, File scanned from the National Security Adviser's Memoranda of Conversation Collection at the Gerald R. Ford Presidential Library, <https://www.fordlibrarymuseum.gov/library/document/0314/1553191.pdf>, PP.2-15

(2) Memorandum of Conversation, Helsinki, August 1, 1975., Cited is F.R.U.S. Volume XXXIX , PP.971-972.; Peter Slezkine, From Helsinki to Human Rights Watch:How an American Cold War Monitoring Group Became an International Human Rights Institution,(D.P) ,P.347.; Memorandum for NIC –Mr.William Martin , October 26, 1985,Ford and Brezhnev AT , Helsinki July 30-, August 2, 1975 Hereafter will be Cited is; CIA, P.6

المتعددة القابلة للاستهداف بشكل مستقل (MIRVs) في الأصل في أوائل الستينيات للسماح للصواريخ بإيصال رؤوس حربية نووية متعددة إلى أهداف مختلفة. على عكس الصاروخ التقليدي، الذي يحمل رأساً حربيًا واحدًا، يمكن للصواريخ MIRV أن تحمل رؤوسًا حربية متعددة. على سبيل المثال، قد يكون صاروخ MIRV الروسي قيد التطوير قادرًا على حمل ما يصل إلى ١٦ رأسًا حربيًا، كل منها في مركبة إعادة دخول منفصلة. يمكن إطلاق الرؤوس الحربية على صواريخ MIRV من الصواريخ بسرعات مختلفة وفي اتجاهات مختلفة. يمكن لبعض صواريخ MIRV أن تصيب أهدافًا تفصل بينها مسافة ١٥٠٠ كيلومتر. على الرغم من أن MIRVs لم يكن الغرض منها في البداية هزيمة دفاعات الصواريخ الباليستية، إلا أنها أكثر صعوبة في الدفاع عنها من الصواريخ التقليدية وتعتبر تدابير مضادة فعالة للدفاع الصاروخي الباليستي، وقد توصلنا سابقاً إلى تحديد بناء قاذفات B-1، وعدم بناء ملف ترايدنت القاذفات البعيدة المدى، المشكلة حالياً هي صواريخ كروز التي يمكن إطلاقها من الأرض والجو. وأشار بريجينيف إلى أن هذه المسألة معقدة وحساسة من الصعب جداً التعامل معها يجب حظر صواريخ كروز ذات المدى العابر للقارات. لكن يجب أن نعطي البعض التوجيه الأساسي لممثلينا في جنيف حتى نتمكن من ذلك التوقيع على وثيقة هلسنكي، لذا نتفق على حظر الرحلات البحرية البرية للصواريخ ذات المدى العابر للقارات. والحد من صواريخ كروز البحرية إلى مدى ١٥٠٠ كيلومتر ولا بد من الاتفاق على حظر صواريخ كروز على طائرات النقل. اقترح غروميكو فرض حظر على صواريخ كروز على جميع الطائرات بخلاف قاذفات القنابل الثقيلة، وإن جميع الصواريخ الباليستية ذات المدى يزيد عن ٦٠٠ كيلومتر محظور على جميع الطائرات الأخرى من القاذفات الثقيلة، ويجب ألا تكون هناك صواريخ أثقل من الصواريخ الخفيفة وهي SS-19 أي يجب ألا تكون هناك صواريخ ذات وزن رمي أكبر سنتبع هذه المعايير لكل صاروخ وليس بشكل عام، وقرر الجانبان نقطتين أساسيتين الأولى يتم إرسال البنود المتفق عليها إلى جنيف ثانياً، فيما يتعلق بصواريخ كروز البحرية، فإن معظمها يبلغ مدى صواريخ كروز البحرية الخاصة من ٣٠٠ إلى ٥٠٠ كيلومترات طن^(١)، كما اقترح السوفييت أن جميع الصواريخ التي كانت تمتلكها تم اختبارها باستخدام إعادة دخول قابلة للاستهداف بشكل مستقل ويجب احتساب المركبات (MIRV) على أنها MIRV وإدراجها في سقف ١٣٢٠ صاروخاً تم إنشاؤه بواسطة SALT I السوفيت اقترح أيضاً أن يكون لكل جانب الحق في استبدال أنظمة MIRV الحالية في وقت لاحق مع تشغيل أنظمة

(1) Memorandum of Conversation, August 2, 1975, 9:05 a.m., Soviet Embassy, Helsinki, Brezhnev Memcons· Volume XXXIX, . PP.1-16.;

MIRV الجديدة أساس واحد لواحد وصواريخ ذات رأس حربي واحد مع صواريخ واحدة جديدة صواريخ الرؤوس الحربية^(١)

نصح كيسنجر الرئيس فورد بأن المقترحات السوفيتية يمثل خطوة مهمة نحو اتفاق بشأن SALT II من خلال لقاء بين الرئيس الأمريكي والزعيم السوفيتي قد يسرع نحو اتفاقية انتهى اجتماع الثاني من اب بالاتفاق التالي

أ- حظر الصواريخ الباليستية ABM ذات مدى أكثر من ٦٠٠ كيلومتر على السفن السطحية.
ب- حظر الصواريخ الباليستية وصواريخ كروز في قاع البحر، بما في ذلك في المياه الإقليمية .

(ج) حظر الأسلحة النووية في المدار .

(د) حظر تطوير واختبار نشر صواريخ كروز التي يصل مداها إلى أكثر من ٦٠٠ كيلو أمتار على الطائرات بخلاف القاذفات.

(هـ) منع تطوير صواريخ كروز الأرضية العابرة للقارات لذلك يجب الإشارة إلى كل هذه العناصر في جنيف^(٢) .

استمر الاجتماع حتى الثانية عشرة والنصف مساء وناقش الجانبان قضية التبادل التجاري وأشار بريجنيف الى رغبة بلاده في شراء خمسة ملايين طن من الحبوب الأمريكي سنوياً بدل من العشر ملايين طن المتفق عليها سابقاً، وافق كيسنجر على ابقاء التبادل التجاري بين الدولتين دون رفع الاسعار، ثم انتقلا لاسعار النفط وقررا خفض الاسعار بينهما بنسبة ٢٠-٢٥% . وأخيرا في نهاية الاجتماع تقرر اصدار بيان يتضمن (في ٢ آب / ٩٧٥، عن مشاركة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي ليوينيد بريجنيف والرئيس الأمريكي جيرالد فورد ووزير الخارجية أندريه جروميكو ووزير الخارجية هنري كيسنجر في عقد في هلسنكي. تم التأكيد عليه أن الفصل الأخير من المؤتمر الذي يجسد الإرادة السياسية الجماعية للمشاركين، تخلق أساساً جيداً لتحويل أوروبا إلى قارة السلام . وأعرب ليوينيد بريجنيف وجيرالد فورد عن ارتياحهما مع تبادل الآراء الذي جرى، والذي كان ذا طابع بناء، وأعاد التأكيد على أهمية الاتصالات الشخصية بين قادة الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة^(٣) .

(1) Memorandum of Conversation, Helsinki, August 2, 1975, 9:05 a.m., Volume XVI, NO.173, PP.706-710 .

(2) Memorandum of Conversation, August 2, 1975, 9:05 a.m., Soviet Embassy, Helsinki, Brezhnev Memcons· Volume XXXIX, . PP.1-16.;

(3) Memorandum of Conversation, August 2, 1975, 12:15pm - 12:35 pm, Soviet Embassy, Helsinki, Brezhnev Memcons· Volume XXXIX, . PP.1-16; Memorandum of Conversation, August 2, 1975, 9:05 a.m., Soviet Embassy, Helsinki, Brezhnev Memcons· Volume XXXIX, .

أرسل كيسنجر برقية في الثاني من آب الى إدارة مقاطعة هلسنكي تضمنت ارسال ما جاء في مؤتمر الامن الاوربي الى جميع عواصم الدول المشاركة في المؤتمر اهم ما توصل اليه المجتمعون والتي انتهت بخطاب فورد في الثاني من آب ١٩٧٢، الذي اعتبره كثيرون أنه أقوى بيان يتم سماعه من وجهة النظر الغربية حول مؤتمر الأمن والتعاون في أوروبا خلال مرحلة الوفاق الدولي، فقد شدد على أن كلا الجانبين يجب أن يستفيد من الانفراج، وستكون نتائج مؤتمر الأمن والتعاون في أوروبا مقياساً يتم من خلاله قياس الأداء. وشدد الرئيس فورد على الإخلاص العميق للشعب الأمريكي وحكومته لحقوق الإنسان والحريات الأساسية وقال إن الولايات المتحدة تعترم المشاركة الكاملة في تحويل نتائج مؤتمر في واقع حي. أشار إلى أن نتائج مؤتمر الأمن والتعاون في أوروبا تنطبق أيضاً على برلين. واختتم بالقول إن التاريخ سيحكم على المؤتمر لا بما هو عليه ولكن ما يتم عمله لتنفيذ وعود مؤتمر، كما جاء في البرقية أن الرئيس البرتغالي الذي اعتذر عن الحضور لاسباب قاهرة يؤكد ان بلاده تحترم سيادة الدول وعدم التدخل في شؤونها الداخلية وحرية التصرف، وأن رئيس وزراء مالطا بوتيجيج Buttigieg ركز على دور مؤتمر الامن الاوربي ومالطا في ضمان الاهتمام بالبحر المتوسط ، في حين كان رئيس الوزراء الهولندي فان دين أويل Van Den Uyl متحفظاً إلى حد ما، لكنه أعرب عن أمله في أن تؤدي نتائج "السلة قم ٣" إلى تعزيز التفاهم بين الشعوب، وأقر بأن "بعض التفاوض" قد يكون له ما يبرره. وشدد على أن نتائج مؤتمر الأمن والتعاون في أوروبا يجب أن تكون كذلك يتم تنفيذها إذا كان للمؤتمر أن يكون له أي معنى ودعا للتقدم في مفاوضات خفض القوات في اوربا، وشدد وزير الدولة في سان ملو Saint-Mleux موناكو Monaco على الحاجة لحماية البيئة في البحر الأبيض المتوسط، واعرب رئيس الوزراء النرويجي براتيلي Bratteli عن أمله في أن يتم تنفيذها، وتطلع إلى ذلك استمرار العملية المتعددة الأطراف التي بدأها مؤتمر الأمن والتعاون في اوربا^(١).

واكد كيسنجر في البرقية أن خطاب رئيس رومانيا نيكولاي تشاوشيسكو Nicolae Ceausescu تضمن الحقوق والسيادة المتساوية لجميع الدول، ونبذ العدوان أو التدخل في شؤون الدول الأخرى، ونبذ التهديد بالقوة أو استخدامها، والتسوية السلمية. من النزاعات. ودعا إلى اتخاذ مزيد من الخطوات نحو نزع السلاح والتعاون، لكنه مشروط بتأييده لنتائج السلة

PP.1-2; Memorandum of Conversation, Helsinki, August 2, 1975, 12:15-12:35 p.m, Volume XVI , NO.174, PP.718-719

(1) -Telegram From Secretary of State Kissinger to the Department of State,Helsinki, August 2, 1975, 0640Z, ., Cited is F.R.U.S. Volume XXXIX, PP.974-976.

الثالثة، مشيرًا إلى ذلك يجب أن تخدم هذه المعلومات قضية الصداقة بين الشعوب. اعتقد تشاوشيسكو أن نتائج مؤتمر الأمن والتعاون في أوروبا ستؤدي إلى القضاء على حلف الناتو وحلف وارسو اما ليختنتشتاين Liechtenstein، وسان مارينو San Marino أعطت هذه البلدان مراجعة قياسية لنتائج المؤتمرات، مؤكدة على دور الدول الصغيرة في مؤتمر الأمن والتعاون في أوروبا. بينما شدد رئيس وزراء لوكسمبورغ Luxembourg ثورن Thorn على دور الدول الأصغر في مؤتمر الأمن والتعاون في أوروبا، وأشار إلى أن تنفيذ النتائج سيكون اختبارًا حقيقيًا لنجاح المؤتمر، وكان يمثل الكرسي الرسولي البابوي : رئيس الأساقفة كازارولي Casaroli الذي قدم قراءة الرسالة الشخصية الموجهة إلى المؤتمر من قبل البابا بولس السادس Pope Paul VI والتي تعبر عن الأمل في نجاح مشروع مؤتمر الأمن والتعاون في أوروبا^(١).

احتوت الوثائق الأساسية الموقعة في هلسنكي على الالتزامات في ثلاثة مجالات رئيسية، أو "ثلاث سلال" كما أطلق عليها بلغة هلسنكي:

السلة الأولى: الأمن في أوروبا

تتكون هذه السلة من جزأين. الجزء الأول هو

أولاً: إعلان مبادئ توجيه العلاقات بين المشاركين تنص على المبادئ الآتية :

- ٢- المساواة في السيادة واحترام الحقوق الملازمة لها .
- ٣- الامتناع عن التهديد بالقوة أو استخدامها.
- ٤- حرمة الحدود ووحدة أراضي الدول.
- ٥- تسوية المنازعات بالوسائل السلمية وعدم التدخل في الشؤون الداخلية.
- ٦- احترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية بما في ذلك حرية الفكر أو الضمير أو الدين أو المعتقد.
- ٧- المساواة في الحقوق وتقرير المصير للشعوب -التعاون بين الدول.
- ٨- الوفاء بحسن نية بالالتزامات بموجب القانون الدولي.

(1) -Telegram From Secretary of State Kissinger to the Department of State,Helsinki, August 2, 1975, 0640Z, .. Cited is F.R.U.S. , Volume XXXIX , PP.974-976.; Edward N. Luttwak, Strategic Power: Military Capabilities and Political Utility, The Center for Strategic and International Studies, Georgetown University, (Beverly Hills , Calif: Sage Publications, 1976), p.15.

الجزء الثاني من السلة الأولى هو وثيقة تدابير بناء الثقة وجوانب معينة من الأمن ونزع السلاح^(١).

السلة الثانية: التعاون في مجالات الاقتصاد والعلوم، التكنولوجيا والبيئة تتناول هذه السلة التعاون الصناعي ومشاريع الاهتمام المشترك؛ التبادلات التجارية والتجارة؛ العلم وتقنية البيئة والتعاون في مجالات مثل النقل والسياحة والعمالة المهاجرة وتدريب العاملين. وهناك فقرة فرعية مكرسة للجوانب الاقتصادية والاجتماعية. يأخذ في الاعتبار الواجب للأنتشطة في هذا مجال المنظمات الدولية المختصة، ولا سيما منظمة العمل الدولية. من بين أمور أخرى، المساواة في الحقوق بينها العمال المهاجرين والمواطنين فيما يتعلق بظروف التوظيف والعمل والضمان الاجتماعي. الجهود التي يتعين بذلها لتوفير السكن والتعليم المُرضي بلغتهم الخاصة لأطفال العمال المهاجرين. كما يطلب من الدول تشجيع جهود دول الأصل لزيادة فرص العمل لهم المواطنين في بلدانهم^(٢).

السلة الثالثة: التعاون في المجالات الإنسانية وغيرها تحتوي هذه السلة على أربعة مجالات: الاتصالات البشرية والمعلومات والتعاون والتبادل في مجال الثقافة والتعاون والتبادلات في مجال التعليم. الفقرة الخاصة بالاتصالات البشرية وثيقة الصلة بهذا الإحاطة ورقة وتحتوي على أحكام بشأن لم شمل الأسرة والسفر الوثائق وتصاريح الخروج والدخول والمسائل ذات الصلة. اعتبارًا من أواخر الثمانينيات يتحدث المرء عن البعد الإنساني لمؤتمر الأمن والتعاون في أوروبا، ويشمل جميع التزامات الدول المشاركة فيما يتعلق بتعزيز حقوق الإنسان واحترامها والحريات الأساسية^(٣).

كانت لجنة منفصلة تم إنشاؤها بمسؤولية عن كل من السلال الثلاثة جنبًا إلى جنب مع مختلف اللجان الفرعية. لأن التنازلات تحتاج إلى التفاوض ليس فقط في داخل السلال الثلاث

(1) Pieter van Dijk, The Implementation of the Final Act of Helsinki: The Creation of The Implementation of the Final Act of Helsinki: The Creation of New Structures or the Involvement of Existing Ones, Utrecht University of Warsaw, 1989 , P.112-123.

(2) A. H. Robertson, Helsinki Agreement and Human Rights., Notre Dame,1977, P.34.; Michael D. Kandiah and Gillian Staerck, The Helsinki Negotiations:The Accords and Their Impact, London,2006 , P.18 .

(3) Ceneerence on Securiy and Co-Operatrion In Europeeinal Act, Vienna , Helsinki 1975, P.5-6; Boris Meissner, The Right of Self-Determination after H elsinki and I ts Significance for the Baltic N ations 3 Case W . Res. J . Int' l L. 375(1981), PP.475-380 .

ولكن أيضًا فيما بينها، لجنة التنسيق، والذي كانت لديه مهمة إدارة العملية برمتها، وكان عليه أيضًا الانخراط في العملية مفاوضات. وتألقت من رؤساء الوفود وجميعهم من السفراء. وكانت نتيجة هذه الجهود الوثيقة الختامية للمؤتمر الأمن والتعاون في أوروبا. تم التوقيع عليه من قبل رؤساء الدول أو حكومة الدول المشاركة البالغ عددها ٣٥ دولة في حفل أقيم في هلسنكي بعد أن استغرق الأمر خمس جولات من المفاوضات على مدى ٢٢ شهرًا محادثات وما مجموعه ٢٣٤١ جلسة رسمية^(١).

ملحق بفهرس المبادئ وثيقة تشمل: تدابير بناء الثقة. وتشمل هذه المناورات العسكرية الكبرى وتبادل المراقبين لمراقبة هذه المناورات، سواء على أساس طوعي أو قانوني، وتحتوي على بعض العبارات العامة حول الأمن والتعاون في البحر الأبيض المتوسط. وكان القصد منها إرضاء الدول الأوروبية الجنوبية المشاركة، التي ضغطت من أجل إشراك البلدان المتوسطية الأفريقية في عملية مؤتمر الأمن والتعاون في أوروبا. أخيرًا، القسم الختامي من يحتوي على جملة غير واضحة ولكنها مهمة للغاية: "سينشر نص هذه الوثيقة الختامية في كل دولة مشاركة في المؤتمر"^(٢).

ما بعد قمة هلسنكي

دافع فورد مرارًا عن قرار الولايات المتحدة بالتوقيع على الوثيقة الختامية والمشاركة في اجتماعات هلسنكي، لكنه اعترف بأن الرأي العام الأمريكي قد توصل إلى أن السوفييت قد اكتسبوا ميزة على الولايات المتحدة، وتأمين الاعتراف الغربي القائمة الحدود الأوروبية، الاعتراف بشرعية الشرقية الحكومات الشيوعية الأوروبية، بعد توقيع اتفاقيات هلسنكي بدأ الجانب السوفيتي بتطبيق مواد السلة الثالثة عبر تخفيض رسوم التبادلات التجارية، وتأثيرات

(1) Elke cherstjanoi, „Die sowjetische Deutschlandpolitik nach Stalins Tod“ in Vierteljahrshefte für Zeitgeschichte Jahrgang 1998 Heft 3, Institut für Zeitgeschichte München-Berlin, Oldenburg,(1998),PP. 549-497.;Ford, Washington Review: A Report from Your Congressman, 21 June 1951

(2) Final Act of Helsinki, cited above (Note 1), P. 210; cf. Klaus Blech, Die Prinzipienklärung der KSZE-Schlussakte [The Declaration on Principles of the Helsinki Final Act], in: Europa-Archiv8/1976, PP. 257-270; Cf. Hanns-D. Jacobsen/Heinrich Machowski/Klaus Schröder, Perspektiven der Ost-WestWirtschaftsbeziehungen [Perspectives on East-West Economic Relations], in: Hanns-D. Jacobsen/Heinrich Machowski/Dirk Sager (eds), Perspektiven für Sicherheit und Zusammenarbeit in Europa[Perspectives on Security and Co-operation in Europe], Bonn 1988 , PP. 321-333

الدخول والخروج الأمريكي من والى الاتحاد السوفيتي، كما تقدم السوفيت بشكوى للجانب الأمريكي لما ينشر في الصحف الأمريكية من مقالات ضد الانفراج الدولي وتعهدها بالرد على الجماعات السوفيتية المعارضة للانفراد الدولي، وفي الولايات المتحدة الأمريكية أعرب الكونجرس عن عدم رضاه واتهموا الإدارة بأنها "خانعة للغاية للروس" هناك. ألقى الليبراليون باللوم على الإدارة لكونها ضعيفة للغاية في الدفاع القضايا الإنسانية وخاصة الهجرة اليهودية ومحنة السوفيات المنشقين^(١).

لم يقتصر الامر على ذلك، فقد عُقد اجتماع في بوخارست في رومانيا في الثاني من آب بحضور الرئيس الروماني نيكولاي تشاوشيسكو وحكومته والرئيس فورد وكيسنجر والوفد المرافق له، وتساءل تشاوشيسكو عما ستفعله كل دولة لتنفيذ ما تم الإعلان عنه والتوقيع عليه. أجابه فورد: لدي انطباع، على الرغم من أنني قد أكون مفرطاً في التفاؤل، أنه ستكون هناك جهود صادقة للوفاء بهذه الكلمات، في غضون عامين ستكون هناك محاسبة دورية. الرئيس تشاوشيسكو: أنا بطبيعتي متفائل ولكن هذه المرة أنا متفائل ليس كل هذا التفاؤل حقاً. فالمشاكل التي تحتاج إلى حل هي خطيرة للغاية وتتطلب حلاً، بعضها يذهب إلى أبعد من ذلك بكثير فبعد ثلاثين عاماً من الحرب العالمية الثانية، لا تزال أوروبا تعيش في ظروف هدنة. الوثيقة التي وقعناها في بوتسدام، كما لليوم كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي يسيطران على الجيش بما في ذلك الأسلحة النووية، من أجل حل هذه المشكلة، يجب تحقيق معاهدة سلام، يتطلب وضع كل دولة معنية على قدم المساواة بما في ذلك ألمانيا. كونها إحدى المشكلات التي سيكون من الضروري حلها لمستقبل أوروبا رد الرئيس فورد: هل تقترح حل هذه المشاكل على أساس ثنائي أو أوسع؟ الرئيس تشاوشيسكو: يتم حلها من قبل القوى الأربع والألمان أنفسهم لأن أولاً وقبل كل شيء، ترتبط القوى الأربع بموجب معاهدة بوتسدام مع الوضع في ألمانيا المناسبة^(٢). لذا تطرق الرئيس تشاوشيسكو الى قضية برلين مؤكداً ان

(1) Gerald L. Steibel, Detente: Promises and Pitfalls, National Strategy Information Center, (New York: Crane , Russak & Co., 1975), p.34. ; Final Act of Helsinki, cited above (Note 1), P. 210; cf. Klaus Blech, Die Prinzipienklärung der KSZE-Schlussakte [The Declaration on Principles of the Helsinki Final Act], in: Europa-Archiv8/1976, PP. 257-270.

(2) R. Spencer Oliver, The History of the OSCE From Its Founding to the Present Day, 2015, PP.4-5. Cf. Karl E. Birnbaum, Die Konferenz über Sicherheit und Zusammenarbeit in Europa- Eine Zwischenbilanz der Genfer Kommissionsphase [The Conference on Security and

الدول لا تزال تنتهج سياسة مؤتمر بوتسدام في ألمانيا وأن هذا من شأنه أن يؤدي إلى خطر آخر في أوروبا، لذا وجد من الضرورة إنهاء تلك السياسة التي تخص ألمانيا وتوحيد شطرها من خلال رفع الرقابة والسيطرة الغربية على برلين الغربية والسيطرة الشرقية من قبل الاتحاد السوفيتي على برلين الشرقية، وافق كيسنجر على رأيه وأكد رغبة بلاده في تسوية القضية الألمانية بشكل نهائي^(١).

وافقت جميع الدول الخمس والثلاثين الموقعة على الاجتماع مرة أخرى بعد عامين لمراجعة التقدم المحرز في جدول أعمال مؤتمر الأمن والتعاون في أوروبا. كان الإجماع العام على أن الاتحاد السوفياتي قد حقق انتصارًا دبلوماسيًا كبيرًا. وقد حققت هدفها المتمثل في إضفاء الشرعية على سيطرتها الفعلية على أوروبا الشرقية، في حين تقديم تنازلات في مجال حقوق الإنسان لم يتوقع أحد أن تحترمها. أعلن المكتب السياسي بانتصار، "المؤتمر الأوروبي كله هو نتيج لكل شيء الإيجابي الذي تم القيام به حتى الآن في قارتنا لإحداث التغيير من "الحرب الباردة" إلى الانفراج والتنفيذ الحقيقي لمبادئ التعايش السلمي^(٢).

بيان المؤتمر

أولاً: الإخطار بالمناورات العسكرية الكبرى

ستقوم جميع الدول المشاركة في المؤتمر بإخطار بعضها البعض في حال القيام بمناوراتهم العسكرية الرئيسية عبر القنوات الدبلوماسية المعتادة وفقاً للأحكام التالية: سيتم تقديم إخطار بالمناورات العسكرية الكبرى التي تتجاوز إجمالي ٢٥٠٠٠ جندي، بشكل مستقل أو مدمج مع أي مكونات جوية أو بحرية محتملة (في هذا السياق كلمة "القوات" تشمل القوات البرمائية والمحمولة جواً). في حالة المستقل مناورات القوات البرمائية أو المحمولة جواً، أو المناورات المشتركة التي تشارك فيها، سيتم تضمين هذه القوات في هذا المجموع. علاوة على ذلك، في حالة المناورات المشتركة التي لا تصل إلى المجموع أعلاه ولكنها تتطوي على قوات برية مع عدد كبير كما يمكن إخطار أعداد القوات البرمائية أو المحمولة جواً أو كليهما. كما

Cooperation in Europe – Interim Results of the Geneva Commission Phase], Bonn , P. 24.

(1) Memorandum of Conversation., Bucharest, August 2, 1975, 7–8:10 p.m., Cited is F.R.U.S. Volume XXXIX, PP.977-978.; Anatoly Dobrynin, In Confidence Moscow's Ambassador to America Six Cold War Presidents (1962 - 1986), 1995, 1995, PP.50-52.; Constance Coughlin, Monitoring of the Helsinki Accords: Belgrade 1977, 1978, PP.512-522

(2) Sarah Snyder, Human Rights Activism and the End of the Cold War: A Transnational History of the Helsinki Network (New York: Cambridge University Press, 2011), PP.32-33.

سيتم تقديم الإخطار بالمناورات العسكرية الرئيسية التي تحدث على الأراضي، في أوروبا، في أي دولة مشاركة وكذلك، إذا كان ذلك ممكناً، في البحر المجاور المنطقة والمجال الجوي. في حالة الدولة المشاركة التي تمتد أراضيها إلى ما وراء أوروبا، يجب تقديم الإخطار المسبق فقط بالمناورات التي تحدث في منطقة ضمن ٢٥٠ كيلومترات من حدودها المواجهة أو المشتركة مع أي دولة أوروبية أخرى مشاركة، فإن لا تحتاج الدولة المشاركة، مع ذلك، إلى تقديم إخطار في الحالات التي تكون فيها هذه المنطقة أيضاً متاخمة لحدود الدولة المشاركة المواجهة أو المشتركة مع دولة غير أوروبية غير مشاركة سيتم إرسال الإخطار قبل ٢١ يوماً أو أكثر من بدء المناورة أو في حالة إجراء مناورة يتم ترتيبها بإشعار أقصر في أقرب فرصة ممكنة مسبقاً إلى تاريخ بدايته سيتضمن الإخطار معلومات عن التعيين، إن وجد، وإرسال مراقبين لحضور المناورات العسكرية. يستحدد الدولة الداعية في كل حالة عدد المراقبين، وإجراءات وشروط مشاركتهم، وستتولى الدول المشاركة في مؤتمر الأمن والتعاون مزيداً من النظر في مسألة الإخطار المسبق بالحركات العسكرية الكبرى، مع الأخذ في الاعتبار، على وجه الخصوص، الخبرة المكتسبة من قبل تنفيذ التدابير المنصوص عليها في هذه الوثيقة. أما الأسئلة المتعلقة بنزع السلاح فتعترف الدول المشاركة باهتمامها جميعاً بالجهود الرامية إلى تقليل المواجهة العسكرية وتعزيز نزع السلاح التي تهدف إلى ذلك استكمال الانفراج السياسي في أوروبا وتعزيز أمنها^(١).

ثانياً: التبادل التجاري الأحكام العامة الدول المشاركة،

تدرك الدول المشاركة في المؤتمر أهمية النمو الاقتصادي والتقدم الاجتماعي، الاعتراف بأن التجارة تمثل قطاعاً أساسياً من تعاونهم بما تحمله من اعتبار أن الأحكام الواردة في الديباجة أعلاه تنطبق بشكل خاص على هذا القطاع، مع الأخذ بنظر الاعتبار أن حجم وهيكلا التجارة بين الدول المشاركة لا يتوافق في جميع الحالات مع الاحتمالات التي أوجدها المستوى الحالي لاقتصادهم، التطور العلمي والتكنولوجي، فهم عازمون على تعزيز، أساليب التعاون الاقتصادي، وتوسيع التجارة المتبادلة في السلع والخدمات، وضمان ظروف مواتية لمثل هذا التطور وتشجيع توسيع التجارة على أوسع قاعدة متعددة الأطراف قدر الإمكان "وبالتالي السعي للاستفادة من مختلف الإمكانيات الاقتصادية والتجارية؛ الاعتراف بأهمية

(1) Document on confidence-building measures and certain aspects of security and disarmament, Conference on Security and Co-Operation In Europe Final Act, Helsinki 1975 , P.10; Ulrich Kühn, Structuring Security – Dialogue and Arms Control in the OSCE Area, 2018, P.6-15.

الاتفاقات الثنائية والمتعددة الأطراف الحكومية الدولية وغيرها من الاتفاقات لتنمية التجارة على المدى الطويل^(١).

ثالثاً: الاتصالات والمرافق التجارية للدول المشاركة،

أكد البيان على أهمية المساهمة في تحسين الاتصالات، وما يصاحبها من نمو للثقة في العلاقات التجارية، الذي يساهم في تنمية العلاقات التجارية والاقتصادية، ستتخذ تدابير إضافية لتحسين الظروف لتوسيع الاتصالات بين ممثلي الهيئات الرسمية والمنظمات والمؤسسات والشركات المختلفة والبنوك المعنية بالتجارة الخارجية؛ ستشجع المنظمات والمؤسسات والشركات المعنية بالتجارة الخارجية على اتخاذ تدابير لتسريع إجراء مفاوضات الأعمال؛ ستتخذ كذلك تدابير تهدف إلى تحسين ظروف العمل لممثلي المنظمات والمؤسسات والشركات والمصارف الأجنبية المعنية بالتجارة الخارجية، خاصة على النحو التالي - : عبر توفير المعلومات اللازمة، بما في ذلك المعلومات عن التشريعات الإجراءات المتعلقة بإنشاء وتشغيل التمثيل الدائم من قبل الهيئات المذكورة أعلاه من خلال دراسة طلبات الحصول على أفضل النتائج الممكنة لإنشاء مؤسسة دائمة التمثيل والمكاتب لهذا الغرض، بما في ذلك، افتتاح مكاتب مشتركة من قبل شركتين أو أكثر. - من خلال تشجيع الحكم، بشروط مواتية بقدر الإمكان ومتساوية لجميع ممثلي الهيئات المذكورة أعلاه، والإقامة الفندقية، ووسائل الاتصالات، والمرافق الأخرى التي تتطلبها عادة، وكذلك مناسبة المباني التجارية والسكنية لأغراض التمثيل الدائم؛ الاعتراف بأهمية هذه التدابير لتشجيع زيادة مشاركة الشركات الصغيرة والمتوسطة الحجم في التجارة بين الدول المشاركة^(٢).

لم يقتصر الأمر على ذلك، إنما ستشجع على نشر المعلومات الاقتصادية والتجارية على فترات منتظمة وبأسرع وقت ممكن، على وجه الخصوص: الإحصاءات المتعلقة بالإنتاج والدخل القومي والميزانية والاستهلاك والإنتاجية، إحصاءات التجارة الخارجية المعدة على أساس التصنيف المقارن بما في ذلك حسب المنتج مع الإشارة إلى الحجم والقيمة، وكذلك بلد المنشأ أو وجهة؛ - القوانين والأنظمة المتعلقة بالتجارة الخارجية؛ معلومات تسمح بتنبؤات تطور الاقتصاد للمساعدة في التجارة الترويج، على سبيل المثال، معلومات عن التوجه العام للخطط الاقتصادية الوطنية والبرامج - معلومات أخرى لمساعدة رجال الأعمال في الاتصالات التجارية؛ ستشجع، فضلاً عما سبق، تطوير تبادل المعلومات الاقتصادية والتجارية من خلال اللجان المشتركة للشؤون الاقتصادية، عند الاقتضاء، التعاون العلمي والفني، والغرف التجارية الوطنية والمشاركة، وغيرها الهيئات المناسبة ستدعم إجراء دراسة، في إطار لجنة الأمم المتحدة

(1) Pieter van Dijk , Op.Cit. ,PP. 6-18.

(2) Memorandum of Conversation, Bucharest, August 2, 1975, Cited in F.R.U.S., Volume XXXIX P.-978

الاقتصادية لأوروبا، لإمكانيات إنشاء نظام متعدد الأطراف للإخطار بالقوانين و اللوائح المتعلقة بالتجارة الخارجية والتغييرات فيها ؛ ستشجع العمل الدولي على تنسيق التسميات الإحصائية، ولاسيما في لجنة الأمم المتحدة الاقتصادية لأوروبا^(١).

(1) Pieter van Dijk ,Op.Cit. P.18.

الخاتمة

تكمّن أهمية وثيقة هلسنكي النهائية في إدخال مفهوم جديد كون الاتفاق يتضمن الجانبين العسكري والسياسي وعلى بعدين البعد الاقتصادي والبشري رأى بريجنيف نفسه المستفيد من اتفاقيات هلسنكي لأنه كان قادراً على تأسيس الإقليمية والأيدولوجية السوفيتية الهيمنة على أوروبا الشرقية. ومع ذلك، فإن بريجنيف والقيادة السوفيتية بوضوح قللوا من شأن تأثير الحركات المنشقة المتزايدة في جميع أنحاء الاتحاد السوفيتي، الذي كان لديه بوضوح أجندة لزعزعة استقرار الإمبراطورية السوفيتية قدر الإمكان. تلك كانت الجماعات المعارضة بالكاد قادرة على تنظيم نفسها بدون هلسنكي .

اتضح من خلال اتفاقية هلسنكي النهائي القيادة البارزة للرئيس فورد والتي أصبحت نموذجاً قيماً للروؤساء الامريكان فيما بعد، كون الوثيقة شملت وعود قادة الدولتين الامريكية والسوفيتية والمساواة في السيادة بين دول اوربا مثل أوكرانيا، مع الاعتراف بحق الدول في تقرير مصيرها، دون التدخل في شؤونها الداخلية. علاوة على ذلك، وافقت الدول المشاركة في المؤتمر وبالاخص الامريكية والسوفيتية على أن النزاعات الحدودية سيتم حلها سلمياً وبدون استخدام القوة أو التهديد . سيكون قادة اليوم كذلك من الحكمة أن تحذو حذو الرئيس فورد في القيادة وستكون مناقشاتهم مثمرة للغاية إذا تم إجراؤها بروح التسوية التعاونية والشجاعة والنزاهة. بشكل حاسم .

ساهمت قمة هلسنكي في تخفيف حدة التوترات في الشرق والغرب كما كان لها دور كبير في تنظيم الدول الاوربية . فضلاً عن انها ساهمت في توسيع العلاقات الامريكية - السوفيتية نحو سياسة الوفاق الدولي وعقد قمم اخرى.

ثبت المصادر

أولاً: الوثائق الاجنبية المنشورة

- ❖ FRUS X - Foreign Relations of the United States 1961-1963 Volume X Cuba, 1961-1962. US Department of State <http://www.fas.org/irp/ops/policy/docs/frusX/index.html>
- ❖ The Vladivostok Summit Meeting on Arms Control Section 5: Negotiating with Brezhnev - Day Two (November 24, 1974,(Meeting on the second day of the summit ,Meeting on the second day, From President Gerald R. Ford's memoir A Time to Heal (New York: Harper & Row, 1979), The Gerald R. Ford Presidential Digital Library
- ❖ Cf. Reinhard Mutz (ed.), Die Wiener Verhandlungen über Truppenreduzierungen in Mitteleuropa (MBFR) – Chronik, Glossar,Dokumentation, Bibliographie 1973-1982[The Vienna Negotiations on Force Reductions in Central Europe (MBFR) – Chronology , Glossary, Documents, Bibliography 1973-1982], Baden-Baden 1983, [https:// int. search. myway.com/web?](https://int.search.myway.com/web?) ; Cf. Reinhard Mutz (ed.), Die Wiener Verhandlungen über Truppenreduzierungen in Mitteleuropa (MBFR) – Chronik, Glossar,Dokumentation, Bibliographie 1973-1982[The Vienna Negotiations on Force Reductions in Central Europe (MBFR) – Chronology , Glossary, Documents, Bibliography 1973-1982], Baden-Baden 1983, <https://int.search.myway.com/web?>
- ❖ Memorandum for NIC –Mr.William Martin , October 26, 1985,Ford and Brezhnev AT , Helsinki July 30-, August 2, 1975 Hereafter will be Cited in; CIA, ,<https://www.cia.gov/library/readingroom/document/cia-rdp87m00539r001101460011>

ثانياً: الرسائل والاطاريح الاجنبية

- ❖ Darian Worden., Diplomacy, Dissidents, and Democracy; The Cold War , Human Diplomacy, Dissidents, and Democracy; The Cold War , Human Rights, and the Conference on Security and Cooperation in Rights, and the Conference on Security and Cooperation in Europe, 1968-1939, Submitted in partial fulfillment of the requirements for the degree of Master of Arts of the City College of the City University of New York. CUNY City College., 2014, _

ثالثاً: المصادر الاجنبية

- ❖ Alexander Zhebit, : “Looking back at Helsinki –forty years later” in Revista Estudios Políticos, Vol. 6 / N.2,2013 ,
- ❖ Arie Bloed in his introduction to From Helsinki to Vienna. Basic Documents of the Helsinki Process (Utrecht, 1990).
- ❖ A.H. Robertson, Helsinki Agreement and Human Rights., Notre Dame,1977
- ❖ Anatoly Dobrynin,In Confidence Moscws Ambassador to Americas Six Cold War Presidents ,(1962 - 1986), 1995,
- ❖ Elke cherstjanoi, „Die sowjetische Deutschlandpolitik nach Stalins Tod“ in Vierteljahrshefte für Zeitgeschichte Jahrgang 1998 Heft 3, Institut für Zeitgeschichte München-Berlin, Oldenburg,(1998
- ❖ Douglas BRINKEY, Gerald Ford: The American Presidents Series :The 38th President 1974-1977, Macmillan, 2007
- ❖ Donald J. Raleigh, Man of Peace: Leonid Ilich Brezhnev and His Diaries,(N.P
- ❖ Michael V Doyle,., ed., Gerald R. Ford Selected Speeches. Arlington: R.W. Beatty, Ltd., 1973.,
- ❖ Michael D. Kandiah and Gillian Staerck, The Helsinki Negotiations:The Accords and Their Impact, London,2006
- ❖ Kissinger, “Détente with the Soviet Union,” Speech, Senate Foreign Relations Committee, Washington, D.C ,19 September 1974
- ❖ Kissinger, “Moral Foundation of Foreign Policy,” Speech, Upper Midwest Council, Minneapolis, Minnesota, 15 July 1975
- ❖ Kissinger, “Détente with the Soviet Union,” Speech, Senate Foreign Relations Committee, Washington, D.C19 September 1974,
- ❖ Leonid Brezhnev,Leonid Brezhnev,Pages from His Life, Elsevier, 2014,
- ❖ Roger . P.Pranger, Salt Handbook: Key documents and Issues 1972-1979, University of California, 2008
- ❖ Stefan A. Halper ,14- James B. Shuman, The Ford Presidency A Portrait the first tow years, August, 1976
- ❖ Urban Gibson, The CSCE and the protection of the rights of migrants, refugees and minorities, Brussels , 1993,
- ❖ Thomas, The Helsinki Effect, 45; Mieczkowski, Gerald Ford and the Challenges of the 1970s
- ❖ Pieter van Dijk, The Implementation of the Final Act of Helsinki: The Creation of The Implementation of the Final Act of Helsinki: The Creation of New Structures or the Involvement of Existing Ones, Utrecht University of Warsaw, 1989

- ❖ Sarah Snyder, Human Rights Activism and the End of the Cold War: A Transnational History of the Helsinki Network(New York: Cambridge University Press,2011)
- ❖ R. Spencer Oliver, The History of the OSCE From Its Founding to the Present Day, 2015.
- ❖ Whitcomb John, Real Live at the White House ,New York,2000.

رابعاً: المصادر العربية

- ❖ إبراهيم سعد الدين، كيسنجر والصراع في الشرق الأوسط،بيروت،١٩٧٥.
- ❖ منتهى صبري مولى، قمة موسكو ١٩٧٢ واثرها في العلاقات الامريكية - السوفيتية، دار امجد - الاردن، ٢٠١٩.

خامساً: الموسوعات العربية

- ❖ روجرز باركنسن، موسوعة الحرب الحديثة، ج١، ت. سمير عبد الرحيم الجلي، بغداد، ١٩٩٠.

سادساً: البحوث الاجنبية المنشورة

- ❖ Galen Jackson, “The Showdown That Wasn’t: U.S.-Israeli Relations and American Domestic Politics,” International Security, Vol. 39, No. 4 (2015)
- ❖ Gill Bennett and Keith A. Hamilton (eds), Documents on British Policy Overseas (DBPO), Series III, Volume II, The Conference on Security and Co-operation in Europe, 1972-75(London: The Stationery Office, 1998), No.141
- ❖ Boris Meissner, The Right of Self-Determination after Helsinki and Its Significance for the Baltic Nations 3 Case W . Res. J . Int' l L. 375(1981)

سابعاً: البحوث العربية المنشورة

- ❖ منتهى صبري مولى، قمة واشنطن ١٨-٢٥ حزيران ١٩٧٣، بحث منشور في مجلة واسط ، العدد الرابع والثلاثون، شباط ٢٠١٩.

ثامناً: مواقع شبكة الانترنت

- ❖ Protocol to The Treaty Between The United States of America and The Union of Soviet Socialit Republics on The Imtation Of Anti-BALLSITC Missile System, 3july . <https://fas.org/nuke/control/abmt/text/abmprot1.htm>
- ❖ <http://en.wikipedia.org> : Wikipedia, the free encyclopedia , Cited in.

آراء ابن مسعود الفقهية من خلال كتاب مختصر ابن خالويه

في القراءات الشاذة جمعاً ودراسة

Ibn Masoud's jurisprudential opinions through Ibn Khalawayh's
Mukhtasar book Abnormal readings in collection and study

Dr. Khaled Mohammad Sofi

Assistant Professor

University of Mosul- College
of Education for Human
Sciences

د. خالد محمد صوفي

أستاذ مساعد

جامعة الموصل - كلية التربية للعلوم
الإنسانية

khalid.mohammed.sofi@uomosul.edu.iq

تاريخ القبول

٢٠٢٢/١/٢٥

تاريخ الاستلام

٢٠٢٢/١/٩

الكلمات المفتاحية: القراءات - الشاذة - خالويه - الفقهية - الصحابة.

Keywords: Readings- abnormal- empty- jurisprudence- companions.

الملخص

كثرت آراء العلماء واختلفت وجهات نظرهم؛ وذلك حسب توجهاتهم الفقهية والنحوية، والتفسيرية غير أنني طرقت هذا الموضوع من زاوية القراءات الشاذة التي يترتب عليها آثار فقهية؛ إذ كانت رافداً من روافد الشريعة الغراء، ومن أجل الإحاطة بجوانب هذا الموضوع وتحقيق نتائجه، اقتضت طبيعته أن أوزع مادته العلمية فاشتملت على مقدمة وتمهيد ومباحث وخاتمة: فأما التمهيد: جعلته في ستة عناصر: الأول: ترجمة ابن مسعود (رضي الله عنه) ترجمة مختصرة والثاني: ترجمة ابن خالويه، والثالث: نبذة عن كتاب مختصر ابن خالويه، والرابع: التعريف بالشاذ، والخامس والسادس: التعريف بالقراءات وبيان نسبة القراءات الشاذة للصحابة، وثلاثة مباحث، وأخيراً ختمت بخاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصلت إليها.

Abstract

The opinions of scholars abounded and their points of view differed; This is according to their jurisprudential, grammatical, and explanatory directives, but I approached this topic from the angle of abnormal readings that have jurisprudential effects, as it was one of the tributaries of the glorious Sharia, and in order to understand the aspects of this topic and achieve its results, its nature required me to distribute its scientific material, which included an introduction, a preamble and investigations. And a conclusion: As for the preface: I made it into six elements: the first: Ibn Masoud's translation, may God be pleased with him, a brief translation, the second: Ibn Khalawiya's translation, the third: an overview of Ibn Khalawayh's brief book, the fourth: Defining the abnormal, and the fifth and sixth: introducing the readings and showing the percentage of abnormal readings of the Companions And three sections, and finally, it ended with a conclusion that included the most important findings.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة، وأتم التسليم على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا ونبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) وعلى آله وصحبه أجمعين ويعد فإن أعظم ما أشتغل به العبد في هذه الحياة كتاب الله تعالى، فيه الهدى والشفاء والرحمة والبيان والعطف والموعظة الحسنة والتبيان، فقد بين رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فضل تعلمه وتعليمه فقال: (خيركم من تعلم القرآن وعلمه). وقد تفرع لهذا العلم قوم فاعتنوا بضبطه، حتى صاروا أئمة يقتدى بهم، وتصدوا للقراءة ومنهم الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) الذي تميز في هذا الجانب دون غيره من الصحابة؛ لذا فإنني سأحاول في هذه الورقات أن أدمج بين علمين جليلين هما الفقه والقراءات القرآنية، كوني مجازاً منذ صغري بالقراءات وأدرسها، ومنذ فترة ليست بالقصيرة وأنا أحاول أن أدمج بينها، فكلما أردت ذلك بحثت وجدت غيري قد دخل هذا المدخل حتى قدح الله في فكرة الكتابة عن القراءات الشاذة، والتي لها أثر فقهي قرأ بها ابن مسعود رضي الله عنه. إن القراءات القرآنية التي وردت إلينا متعددة، فمنها ما هو متفق على تواترها التي أوصلها العلماء إلى عشر قراءات، ومنها ما فقدت خاصية التواتر؛ لأنها نقلت إلينا بطريق الأحاد، وهي التي يسميها علماءنا بالقراءة الشاذة، أما المتواتر فقد حوته صدور قراء الأمة وتناوله الدارسون في جل أوجهه، أما الشاذ فإن حظه من التلاوة قد قل بمر الزمان واعتماد المصاحف، غير أنه ظل مجالاً خصبا للدارسين يجلون غامضه، وكان أولهم في هذا النهج بعد تسبيح ابن مجاهد، كتاب "مختصر في شواذ القراءات من كتاب البديع"، ومؤلف هذا الكتاب هو ابن خالويه، إمام اللغة العربية وغيرها من العلوم، وهو كتاب ثمين عرف قيمته أولو العلم، والذي يعد العمدة في دراسة القراءات الشاذة كما سيأتي الكلام عليه مفصلاً بحول الله، وقد كثرت آراء العلماء فيها واختلفت وجهات نظرهم؛ وذلك حسب توجيهاتهم الفقهية، والنحوية، والتفسيرية غير أنني طرقت هذا الموضوع من زاوية القراءات الشاذة التي يترتب عليها آثار فقهية؛ إذ كانت رافداً من روافد الشريعة الغراء.

أهمية الموضوع:

يتناول هذا البحث مسائل فقهية متعلقة بقراءة ابن مسعود (رضي الله عنه) الشاذة، وذلك من خلال كتاب مختصر ابن خالويه، وما يترتب على هذه القراءة من آثار فقهية.

أسباب اختيار الموضوع :

- كان لاختيار هذا العنوان أسباب منها.
- إبراز القيمة العلمية للقراءات الشاذة.
- بيان القراءات المختلفة لابن مسعود رضي الله عنه.
- بيان أثرها في الفقه.
- الدمج بين علمين مختلفين كوني مشتغلاً بعلم القراءات، وتخصصي بالفقه الإسلامي تخصصاً أكاديمياً وأحاول في هذه الوريقات أن أوظف هذين العلمين أعني : الفقه وعلم القراءات .

أما عن الصعوبات التي واجهتني أثناء البحث فهي:

قلة المصادر والمراجع المتعلقة بعلم القراءات الشاذة بالقياس على غيرها من المسائل ثم توظيفها توظيفاً فقهياً.

ومن أجل الإحاطة بجوانب هذا الموضوع وتحقيق نتائجه، اقتضت طبيعته أن أوزع مادته العلمية فاشتملت على مقدمة وتمهيد ومباحث وخاتمة:

فأما التمهيد: جعلته في ستة عناصر: الأول: ترجمة ابن مسعود ترجمة مختصرة والثاني: ترجمة ابن خالويه، والثالث: نبذة عن كتاب مختصر ابن خالويه، والرابع: التعريف بالشاذ، والخامس والسادس: التعريف بالقراءات وبيان نسبة القراءات الشاذة للصحابة.

وأما الخاتمة: ففيها أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

والله أسأل أن أرزق الصواب قولاً وعملاً إنه ولي ذلك والقادر عليه وصلى الله وسلم وبارك وأنعم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

التمهيد

فيما يأتي بيان لمفردات العنوان جعلته في ست فقرات:

الأولى: ترجمة ابن مسعود : هو أبو عبد الرحمن: عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) بن غافل بن حبيب الهذلي، صحابي جليل، من أكابر الصحابة، فضلا وعقلا، وقربا من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهو من أهل مكة، ومن السابقين إلى الإسلام، وأول من جهر بقراءة القرآن بمكة، وكان خادما رسول الله الأمين وصاحب سره، يدخل عليه كل وقت ويمشي معه، نظر إليه عمر (رضي الله عنه) يوما وقال: وعاء ملئ علما، له ٨٤٨ حديثا، وكان قصيرا جدا، يكاد الجلوس يوارونه، يحب الإكثار من التطيب فإذا خرج من بيته عرف جيران الطريق أنه مر، ولي بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وسلم) بيت مال الكوفة، ثم قدم المدينة في خلافة عثمان، فتوفي فيها عن نحو ستين عاما (سنة: ٣٢هـ)^(١).

الثانية: ترجمة ابن خالويه:

هو أبو عبدالله: الحسين بن أحمد بن خالويه، لغوي، من كبار النحاة، أصله من همدان، زار اليمن وأقام بزمان مدة، دخل بغداد، فلقي فيها أكابر العلماء وأخذ عنهم فقرا القرآن على ابن مجاهد، والنحو والأدب على الإمام أبي بكر ابن دريد، وأبي بكر ابن الأنباري ونفطويه، وأخذ اللغة عن أبي عمر الزاهد، وانتقل إلى الشام فاستوطن حلب، وعظمت بها شهرته، فأحله بنو حمدان منزلة رفيعة، وكانت له مع المتنبّي مجالس ومباحث عند سيف الدولة، وعهد إليه سيف الدولة بتأديب أولاده توفي في حلب (سنة: ٣٧٠هـ)، له مصنفات كثيرة نافعة، منها: "البدیع في القرآن الكريم" وحواشيه التي سماها: "مختصر في شواذ القرآن"^(٢).

الثالثة: ترجمة مختصر ابن خالويه:

مادة هذا الكتاب وأصله هي عبارة عن حواش سجلها ابن خالويه على متن كتابه "البدیع في القراءات الثمان" السابق لكتاب المختصر في التأليف، ثم جمعها وأفردها ابن خالويه في مؤلف سماه "مختصر في شواذ القرآن أو في شواذ القراءات من كتاب البدیع"، والجدير بالذكر أن كتاب البدیع في القراءات الصحيحة المتواترة وكتاب المختصر هذا في القراءات الشاذة جمع فيه مصنفه جميع ما يتعلق بالقراءات الشاذة منذ نشأتها من لدن عهد النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته والتابعين حتى عصره الذي كان حيا فيه، فقد جعله مستودعا للقراءات الشاذة على أي وجه كان لون شذوذها، كما أن القارئ يجد فيه كما كبيرا من القراءات الشاذة التي وردت عن كثير من الصحابة كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وابن عباس وأبي بن كعب

(١) ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة ٢ / ٣٦٨.

(٢) ينظر: معجم الأدباء: ٣/ ١٠٣٠-١٠٣٧، الوافي بالوفيات: ١٢/ ٢٠٠-٢٠١، البلقة في تراجم أئمة النحو واللغة: ١٢١.

ومعاذ بن جبل وعائشة رضي الله عنهم جميعا، وغيرهم من الصحابة والتابعين^(١). ومن ناحية أخرى: إن الناظر والباحث في مختصر ابن خالويه يرى فيه كثيرا من الفوائد، سواء تعلقت تلك الفوائد بالقراءات وأوجهها وتوجيهها، أم في مسائل أخرى غيرها، وخاصة فيها يتعلق بالنحو والصرف وغيرهما من الفوائد التي يراها الباحث والقارئ مبنوثة في ثنايا هذا الكتاب، وهذا كله يرجع لسببين اثنين:

أحدهما: ما كان يتمتع به ابن خالويه من ملكة لغوية ومكنة في علوم العربية، وقد ذكرنا سابقا في ترجمته أنه طاف وزار بعض المدن، ومنها بغداد التي حظي فيها بابن الأنباري وغيرها من جهابذة اللغة العربية.

الثاني: أننا لو رجعنا إلى ترجمة ابن خالويه أيضا لوجدنا بأنه كان صاحب ابن مجاهد شيخ الصنعة ومسبح السبعة انتهت إليه رئاسة القراءة والإقراء فقد أخذ عنه ابن خالويه علم القراءات، وتعرف منه على صحيحها وسقيمها، كما أن بعض مؤلفات ابن خالويه قد أودع فيها شيئا من كتب ابن مجاهد وخاصة "كتاب السبعة في القراءات"^(٢)، فالكتاب في جملته يعد مرجعا مهما فيما يتعلق بالقراءات الشاذة الواردة عن الصحابة أو عن غيرهم ولا غنى عنه لمن رام البحث عن القراءات الشاذة أو طلب جمعها.

الرابعة: التعريف بالقراءات:

القراءات في اللغة: جمع قراءة، وهي تعني الجمع والضم، وهي مصدر قرأ، يقال: قرأ فلان قراءة^(٣).

وفي الاصطلاح: قال ابن الجزري: "علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقل"^(٤).

وقال الدمياطي: "هي علم يعلم منه اتفاق الناقلين لكتاب الله تعالى، واختلافهم في الحذف والإثبات والتحريك والفصل والوصل، وغير ذلك من هيئات النطق والإبدال وغيره من حيث السماع"^(٥).

(١) ينظر: البديع في القراءات لابن خالويه: ٢٥-٢٦.

(٢) ينظر: المختصر في شواذ القراءات: ٨.

(٣) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ٦٥/١، مختار الصحاح: ٢٤٩: مادة (قرأ).

(٤) المرشد الوجيز: ١٨٤، البرهان للزركشي: ٣٣٢/١.

(٥) النشر في القراءات العشر: ٩/١.

وقال بعض العلماء: بأن القراءات علم بكيفية أداء كلمات "القرآن الكريم" من تخفيف وتشديد، واختلاف ألفاظ الوحي في الحروف^(١).

الخامسة: تعريف القراءات الشاذة:

الشذوذ في اللغة: مصدر شذ، يشذ، شذوذاً، أي انفرد عن الجمهور، وندر، فهو شاذ، وشذ الرجل: إذا انفرد عن أصحابه، وكل شيء منفرد فهو شاذ^(٢).

وأما تعريف القراءات الشاذة في الاصطلاح: فقال أبو شامة: "هي ما نقل قرانا غير متواتر"^(٣).

وقال ابن الجزري: "كل قراءة اختلف فيها ركن أو أكثر من أركان القراءة المقبولة"^(٤).

وتعريف ابن الجزري يقتضي ان كل قراءة فقدت أحد أركان القبول فهي شاذة، لا فرق في ذلك بين القراءات السبعة، والعشرة، أو غيرهم.

وقال السيوطي: "هي ما لم يصح سنده"^(٥).

وقال زكريا الأنصاري: "هي ما وراء القراءات العشرة"^(٦).

فالقراءة الشاذة بناء على التعريفات السابقة هي التي خالفت أحد أركان القراءة الصحيحة المعتمدة عند العلماء.

السادسة: بيان معنى نسبة القراءة الشاذة إلى الصحابة:

جمهور القراء يعتبرون الشاذ ما كان غير متواتر، فالآحاد عندهم في حكم الشاذ، وهي القراءة التي اختلف فيها ركنها الركين وهو التواتر، وهذا الركن يعد الركن الأهم، والمعول عليه في اعتبارات قرآنية الرواية، ويمكن أن يضاف إلى هذا الركن ركنان آخران، أحدهما متعلق بالرسم، والآخر متعلق بالعربية كما ذكر وحقق ذلك ابن الجزري وهما: موافقة أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً، وموافقة العربية ولو بوجه من وجوهها سواء كان فصيحاً أم أفصح، فصيحاً أم أفصح، ومتى فقدت الرواية أحد هذه الشروط تكون شاذة، ويحكم بعدم قرآنيته، ولا تعتبر قرآناً^(٧).

(١) الإتيان في علوم القرآن: ١/٢١٦.

(٢) غاية الوصول: ٣٥.

(٣) الإتيان في علوم القرآن: ١/٢١٦، القراءات في بلاد الشام: ٦٣.

(٤) ينظر: مقدمات علم القراءات: ٧٢.

(٥) النشر في القراءات العشر: ٩/١.

(٦) ينظر: القراءات وأحكامها ومصدرها: ١٢٨، مقدمات علم القراءات: ٧٢.

(٧) ينظر: غيث النفع في القراءات السبع: ١٤.

قال ابن الجزري: "كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً وصح سندها، فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها ولا يحل إنكارها...ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة، سواء كانت عن السبعة أم عن هو أكبر منهم، وهذا هو الصحيح عند أئمة التحقيق والسلف والخلف" (١).

وبناء على ما سبق فإن رواية القراءة الشاذة ينقسمون إلى قسمين:

القسم الأول: الذين رووا القراءات الشاذة بصورة عامة، ولم تجمع في كتب مستقلة وإنما وجدت على شكل أقوال متناثرة في كتب التفسير وعلوم القرآن والفقهاء والحديث وغيرها، ولم تشتهر قراءتهم كاشتهار قراءة القسم الثاني الآتي، وهم كثير حتى روي عن بعض الأئمة العشرة رواية بعض القراءات الشاذة، منهم بعض الصحابة كابن مسعود (ت ٣٢ هـ)، ومسروق بن الأجدع بن مالك (ت ٦٢ هـ)، وعبد الله بن عباس (ت ٦٨ هـ)، وعبد الله بن الزبير (ت ٧٣ هـ)، رضي الله عنهم، ومن التابعين كنصر ابن عاصم الليثي البصري (ت ٩٩ هـ)، ومجاهد بن جبر (ت ١٠٣ هـ)، وأبان ابن عثمان بن عفان (ت ١٠٥ هـ)، وقتادة بن دعامة أبي الخطاب السدوسي (ت ١١٧ هـ) وغيرهم.

القسم الثاني: وهم أشهر أصحاب القراءات الشاذة، وهم أربعة: الحسن البصري، (ت: ١١٠ هـ)، وابن محيصن (ت: ١٢٣ هـ)، والأعمش (ت: ١٤٨ هـ)، واليزيدي، (ت: ٢٠٢ هـ) ذكرهم الدمياطي في كتابه: إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر وغيره (٢).

وعلى هذا: فالشاذ هو ما خالف أحد ضوابط القراءات الصحيحة في عرف المحققين من القراء، اشتهر أم لم يشتهر، فقد اتفق القراء على أن ما وراء القراءات العشر وهم نافع المدني وابن كثير المكي وأبو عمرو البصري وابن عامر الشامي وعاصم الكوفي وحمره الكوفي والكسائي الكوفي وأبو جعفر المدني ويعقوب البصري وخلف، يعد من قبيل الشاذ لا تصح القراءة به، ولا يجوز اعتقاد قرآنيته والله أعلم.

(١) النشر في القراءات العشر: ١/ ٩ .

(٢) ينظر: إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر: ٦ .

المبحث الأول

السعي بين الصفا والمروة

قرأ ابن مسعود - رضي الله عنه - (فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما)^(١).
قبل أن أبين قراءة ابن مسعود فيها والأثر الفقهي المترتب على هذه القراءة، أود أن أبين أن المراد بالصفا والمروة، أنهما من أفعال الحج والعمرة، وهو قطع المسافة بينهما سبع مرات، بعد أن يكون طاف بالبيت على خلاف كما سيأتي، وذكر الطاهر بن عاشور في تفسيره أن (الصفا والمروة اسمان لجبيلين متقابلين، فأما الصفا فهو: رأس نهاية جبل أبي قبيس، وأما المروة فهو منتهى جبل قعيقعان، وسمي الصفا؛ لأن حجارته من الصفا وهو الحجر الأملس الصلب، وسميت المروة مروة؛ لأن حجارها من المرو وهي الحجارة البيضاء اللينة)^(٢).

بعد بيان هذا أعود لأبين ما عَدَّ البابُ لأجله فأقول:

صورة المسألة هي: "إذا أراد المسلمُ الحجَّ هل يُعَدُّ السعي في حقه فرضاً؟ بمعنى أنه ركن من أركان الحج يبطل الحج بتركه، أو هو واجب وحينها لو تركه يوجب الدم ولا يبطل به الحج، أو هو تطوع لا يجب بتركه شيء".

أقول الفقهاء في المسألة:

اختلف الفقهاء في حكم السعي بين الصفا والمروة على أربعة أقوال:

القول الأول:

إن السعي بين الصفا والمروة ركن من أركان الحج، فمن تركه بطل حجه، وهو مذهب المالكية^(٣) والشافعي^(٤) ورواية عن أحمد^(٥).

قال في البيان: ثم يسعى بين الصفا والمروة، وهو ركن من أركان الحج والعمرة، إذا تركه.. لم يحل من إحرامه، ولم ينجر بالدم، وبه قال من الصحابة ابن عمر وجابر وعائشة رضي الله عنهم، ومن الفقهاء: مالك وأحمد^(٦).

(١) مختصر ابن خالويه : ١٨ .

(٢) التحرير والتنوير : ٦٠ / ٢ .

(٣) ينظر: بداية المجتهد: (٢ / ١١٠)، الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني: (٢ / ٨٠٦).

(٤) البيان في مذهب الإمام الشافعي: (٤ / ٣٠٢).

(٥) ينظر: الكافي في فقه الإمام أحمد: (١ / ٥١٧).

(٦) ينظر: البيان في مذهب الإمام الشافعي: (٤ / ٣٠٢).

أدلة القول الأول ووجه الاستدلال بها:

أن صفيّة بنت شيبّة أن امرأة أخبرتها أنها سمعت النبي (صلى الله عليه وسلم) بين الصفا والمروة يقول: "كتب عليكم السعي فاسعوا" (١).
 أن النبي (صلى الله عليه وسلم) على راحلته يوم النحر، قال: "لتأخذوا مناسككم" (٢).
 بحديث عائشة (رضي الله عنها) قالت: "طاف رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وطاف المسلمون - يعني: بين الصفا والمروة - فكانت سنّة. فلعمري ما أتم الله حج من لم يطف بين الصفا والمروة" (٣).
 وجه الدلالة من الأحاديث أن السعي نسك في الحج والعمرة، فكان ركنا فيهما، كالطواف بالبيت (٤).

القول الثاني:

قال الحنفية: إن السعي بين الصفا والمروة ليس بركن، وإنما هو واجب، وإذا تركه المسلم وجب عليه دم، وعليه نص أبو حنيفة (٥)، قال في المبسوط: "وإن ترك السعي فيما بين الصفا والمروة رأسا في حج أو عمرة فعليه دم عندنا وهذا لأن السعي واجب وليس بركن عندنا الحج والعمرة في ذلك سواء وترك الواجب بوجوب الدم" (٦).
 وهو قول ابن عباس (رضي الله عنهما) وعبد الله بن الزبير وأنس وعروة بن الزبير والحسن البصري، وعطاء ومحمد بن سيرين ومجاهد، واختار القاضي من الحنابلة أنه واجب فيجبر بالدم كقول الحنفية (٧).

-
- (١) مسند الإمام أحمد: ٤٥ / ٤٥٥ بالرقم: ٢٧٤٦٣ ونقل ابن حجر اضطرابه في الدراية ينظر: الدراية في تخريج أحاديث الهداية: ٢ / ١٨.
 (٢) صحيح مسلم: ٢ / ٩٤٣ بالرقم: ١٢٩٧.
 (٣) صحيح مسلم: ٢ / ٩٢٨ بالرقم: ١٢٧٧.
 (٤) ينظر: معونة أولى النهي شرح المنتهى: (٤ / ٢٥٥).
 (٥) ينظر: المبسوط للسرخسي: (٤ / ٨٨)، بدائع الصنائع: (٢ / ١٣٣)، البناية شرح الهداية: (٤ / ٢٠٧).
 (٦) المبسوط للسرخسي: (٤ / ٨٨).
 (٧) ينظر: البناية شرح الهداية: (٤ / ٢٠٧)، الكافي في فقه الإمام أحمد: (١ / ٥١٨).

أدلة القول الثاني ووجه الاستدلال فيها:

استدلوا بأن الآية "فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا" ، رفعت الإثم عن تطوف بهما، ورفع الجناح يدل على الإباحة لا على أنه ركن ولكن فعل النبي (صلى الله عليه وسلم) جعله واجبا، فصار كالوقوف بالمزدلفة يجزئ عنه دم إذا تركه، ولأن الركنية لا تثبت إلا بدليل مقطوع به ولم يوجد^(١).

عن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت: "ما تم حج امرئ قط إلا بالسعي"، قالوا: وفيه إشارة إلى أنه، واجب، وليس بفرض؛ لأنها، وصفت الحج بدونه بالنقصان لا بالفساد، وفوت الواجب هو الذي يوجب النقصان، فأما فوت الفرض فيوجب الفساد، والبطلان، ولأن الفرضية إنما تثبت بدليل مقطوع به، ولا يوجد ذلك في محل الاجتهاد إذا كان الخلاف بين أهل الديانة^(٢).

بما روى الشعبي عن عروة بن مضر الطائي قال: "أتيت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بالمزدلفة فقلت يا رسول الله: جئت من جبل طي، ما تركتُ جبلاً إلا وقفت عليه، فهل لي من حج؟ فقال عليه الصلاة والسلام: "من صلى معنا هذه الصلاة، ووقف معنا هذا الموقف، فأفاض قبل ذلك من عرفات ليلاً أو نهاراً فقد تم حجه وقضى تفته"^(٣).

وجه الدلالة فيه: أن النبي (صلى الله عليه وسلم) أخبره بتمام الحج وليس فيه السعي بين الصفا والمروة، ولو كان السعي من الأركان أو الفروض لبيّنه للسائل لعلمه بجهل السائل بالحكم.

القول الثالث:

أنه تطوع ليس بركن ولا واجب، ولا يجب بتركه شيء وهو قول ابن مسعود رضي الله عنه، ورواية عن أحمد^(٤).

(١) ينظر: بدائع الصنائع: (٢/ ١٣٣)، البناية شرح الهداية: (٤/ ٢٠٨-٢٠٩).

(٢) ينظر: بدائع الصنائع: (٢/ ١٣٣)، شرح العمدة في الفقه: (٣/ ٦٣٥-٦٣٦).

(٣) صحيح ابن خزيمة: ٤ / ٢٥٦ بالرقم: ٢٨٢١.

(٤) الكافي في فقه الإمام أحمد: (١/ ٥١٨)، العدة شرح العمدة: (ص: ٢٢٧).

أدلة القول الثالث ووجه الاستدلال فيها:

واستدلوا على ذلك:

بقوله تعالى: "إِنَّ الصَّغَا وَالْمَرَوَّةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾" فأخبر أنهما من شعائر الله، وهذا يقتضي أن الطواف بهما مشروع مسنون دون زيادة على ذلك إذ لو أراد زيادة لأمر بالطواف بهما كما قال: "فاذكروا الله عند المشعر الحرام"، ثم قال: فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا"، ورفع الجناح وإن كان لإزالة الشبهة التي عرضت لهم في الطواف بهما فإن هذه الصيغة تقتضي إباحة الطواف بهما وكونهما من شعائر الله يقتضي استحباب ذلك فعلم أن الكلام خرج مخرج النذب إلى الطواف بهما وإمالة الشبهة العارضة، فأما زيادة على ذلك فلا ثم قال تعالى: "وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ" وإذا نذب الله إلى أمر وحسنه ثم ختم ذلك بالترغيب في التطوع كان دليلاً على أنه تطوع وإلا لم يكن بين فاتحة الآية وخاتمتها نسبة^(١).

وعن أنس (رضي الله عنه) قال: "كانت الأنصار يكرهون أن يطوفوا بين الصفا والمروة حتى نزلت: إِنَّ الصَّغَا وَالْمَرَوَّةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ" متفق عليه لفظ مسلم ولفظ البخاري عن عاصم بن سليمان قال سألت أنس بن مالك عن الصفا والمروة قال: كنا نرى من أمر الجاهلية، فلما كان الإسلام أمسكنا عنهما فأنزل الله إِنَّ الصَّغَا وَالْمَرَوَّةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فذكر إلى: بِهِمَا" فهذا أنس بن مالك (رضي الله عنه) قد علم سبب نزول الآية وقد كان يقول إنه تطوع فعلم أنه فهم من الآية أنها خرجت مخرج النذب والترغيب في التطوع^(٢).

وروي أن مصحف أبي وابن مسعود (رضي الله عنهما): "فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما" وهذا إن لم يكن قرآناً فلا ينحط عن رتبة الخبر؛ لأنهما يرويانه عن النبي (صلى الله عليه وسلم)^(٣).

(١) ينظر: شرح العمدة في الفقه: ٣ / ٦٢٤-٦٣٥.

(٢) صحيح البخاري ٦ / ٢٣ بالرقم ٤٤٩٥ ، صحيح مسلم ٢ / ٩٣٠ بالرقم : ١٢٧٨

ينظر: شرح العمدة في الفقه: ٣ / ٦٢٤-٦٣٥.

(٣) العدة شرح العمدة: ٢٢٧.

القول الرابع:

قال الإمام أحمد: إنه سنة فمن نسى السعي بين الصفا والمروة أو تركه عامداً، فلا ينبغي له أن يتركه، وأرجو أن لا يكون عليه شيء، وهو رواية عن الإمام أحمد^(١). وأدلتهم كأدلة القول الثالث.

الترجيح:

بعد عرض الأدلة والنظر فيها يظهر لنا رجحان أصحاب القول الأول ويمكن أن نعبر عنه برأي جمهور الفقهاء القائلين بركنية الحج أو فرضيته؛ وذلك لقوة أدلتهم وصراحتها، ولأمره (صلى الله عليه وسلم) بأخذ المناسك عنه في الحج وهو أمر للوجوب إذ لا توجد قرينة تصرفه عن غير الوجوب، ودعوى من قال: إنه تطوع أخذاً بالآية غير ظاهر؛ لأن معناها كما قال الطبري: أن يتطوع بالحج والعمرة مرة أخرى^(٢).

(١) شرح العمدة في الفقه: ٣ / ٦٢٤.

(٢) ينظر: جامع البيان: ٣ / ٢٤٧.

المبحث الثاني

اشتراط التتابع في كفارة اليمين أو التفريق بينهما

قرأ ابن مسعود (رضي الله عنه) "فصيامُ ثلاثة أيام متتابعات"^(١).

قبل البدء ببيان الأثر الفقهي في قراءة ابن مسعود (رضي الله عنه) أود أن أعرف بمعنى التتابع:

التعريف بالتتابع لغة واصطلاحاً:

إن من معاني التتابع في اللغة: الموالاة، يقال: تابع فلان بين الصلاة وبين القراءة: إذا والى بينهما، ففعل هذا على أثر هذا بلا مهلة بينهما، وتتابعت الأشياء: تبع بعضها بعضاً، وتابع بين الأمور متتابعة وتباعاً: واتر ووالى^(٢).

وأما التتابع في الاصطلاح، فلم يخرج عن المعنى اللغوي ومعناه حينئذٍ يكون كمن نذر أن يصوم أياماً، أو شهراً، أو سنة، ولم يعين لزمه التتابع اتفاقاً، وكذا لو نذر أن يصوم شهراً معيناً كرجب، أو سنة معينة، لزمه التتابع في صيامها كذلك^(٣).

صورة المسألة: "إذا عجز العبد عن الإطعام في الكفارة فإنه ينتقل إلى الصيام، ولكن هل يشترط بعد الانتقال إلى الصيام التتابع بأن يصوم ثلاثة أيام متوالية دون تفريق، أو إنه يجوز التفريق في الصيام بأن يصوم ثلاثة أيام منقطعة دون متابعة".

اختلف الفقهاء في هذه المسألة على قولين:

القول الأول:

قالوا: بوجود التتابع، وأنه شرط في إجزاء كفارة اليمين، وهو قول ابن مسعود رضي الله عنه، وقال به الحنفية^(٤) والشافعية في أحد قوليهما^(٥) والحنابلة في الأظهر عندهم، وبه قال إبراهيم النخعي، والثوري، وإسحاق، وأبو عبيد، وأبو ثور، وأصحاب الرأي، وروي نحو ذلك عن علي - (رضي الله عنه)-، وبه قال عطاء، ومجاهد، وعكرمة^(٦).

(١) مختصر ابن خالويه : ٤٠.

(٢) ينظر: لسان العرب: (٢٩ / ٨)، مادة (تبع).

(٣) ينظر: المغني لابن قدامة: ٩ / ٢٧.

(٤) ينظر: بدائع الصنائع: (١١١ / ٥)، البناية شرح الهداية: (١٣٥ / ٦).

(٥) ينظر: الحاوي الكبير: (١٥ / ٧٤٥)، البيان في مذهب الإمام الشافعي: (١٠ / ٥٩١).

(٦) ينظر: المغني لابن قدامة: (٩ / ٥٥٤)، الشرح الكبير على متن المقنع: (١١ / ١٩٨) عمدة

القاري شرح صحيح البخاري: ٢٣ / ٢٠٩.

دليل القول الأول:

استدلوا على ذلك بقراءة أبيّ وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما: "قصيام ثلاثة أيام متتابعات".

وجه الدلالة:

أن هذه الآية إن كانت قرآناً فهي حجة، وإن لم تكن قرآناً فهي رواية عن النبي (صلى الله عليه وسلم) فهي إذاً خبر واحد، وخبر الواحد حجة؛ إذ يحتمل أن يكونا سماعاً من النبي (صلى الله عليه وسلم) تفسيراً فظناه قرآناً فثبتت له رتبة الخبر، ولا ينقص عن درجة تفسير النبي (صلى الله عليه وسلم) للآية، وتجاوز الزيادة في الجملة على الكتاب بخبر الواحد، فهي كالمشهور من حيث الرواية^(١).

القول الثاني:

لم يشترطوا التتابع في الكفارة بل قالوا بجواز تفريقها، إلا أنه يستحب التتابع عندهم، وبه قال مالك^(٢)، والشافعي في أظهر قوليه^(٣)، وأحمد في رواية عنه^(٤).

دليل القول الثاني:

استدل أصحاب القول الثاني بظاهر قوله تعالى "قصيام ثلاثة أيام".

وجه الدلالة:

أن الأمر بالصوم ورد مطلقاً، ولم يفرق بين أن تكون الأيام متتابعة أو متفرقة، فلا يجوز تقييده إلا بدليل؛ ولأنه صام الأيام الثلاثة، فلم يجب التتابع فيه، كصيام المتمتع ثلاثة أيام في الحج، أو كصوم فدية الأذى^(٥).

(١) ينظر: إرشاد الفحول: ١/ ٣٨٧، بدائع الصنائع: (٥ / ١١١)، والبنية شرح الهداية:

(١٣٥/٦)، والمغني لابن قدامة: (٩ / ٥٥٥)، المجموع شرح المذهب: (١٨ / ١٢٢).

(٢) ينظر: التهذيب في اختصار المدونة: (٢ / ١٠٦)، بداية المجتهد ونهاية المقتصد:

(١٨٠/٢).

(٣) ينظر: الحاوي الكبير: (١٥ / ٧٤٥)، البيان في مذهب الإمام الشافعي: (١٠ / ٥٩٢)، مغني

المحتاج: (٦ / ١٩٢).

(٤) ينظر: المغني لابن قدامة: (٩ / ٥٥٥)، الشرح الكبير على متن المقنع: (١١ / ١٩٨).

(٥) ينظر: بدائع الصنائع: (٥ / ١١١)، البنية شرح الهداية: (٦ / ١٣٥) المغني لابن قدامة:

(٩ / ٥٥٥)، البيان في مذهب الإمام الشافعي: (١٠ / ٥٩٢).

ثم إنه صوم يتردد موجب بين إباحتها وحظرها، فوجب أن لا يستحق فيه التتابع قياساً على قضاء رمضان^(١).

الترجيح:

بعد عرض الأقوال والنظر في الأدلة يظهر لنا رجحان المذهب الثاني؛ لقوة أدلتهم وصراحتها لفظاً ودلالة، وذلك لما يأتي:

- عموم القرآن أولى من قراءة ابن مسعود (رضي الله عنه)؛ لأنها شاذة، وعموم القرآن المستدل به على التفريق صحيح، والصحيح مقدم على الشاذ.
 - أن الآية التي استدل بها على جواز التتابع باقٍ تلاوتها وحكمها، أما قراءة ابن مسعود (رضي الله عنه) فهي باقٍ حكمها - على القول بصحته - دون تلاوتها، وما بقي تلاوته وحكمه مقدم على من فقد أحدهما.
 - أن آية اليمين نسخت متتابعات تلاوة وحكما، فلا يستدل بها^(٢).
 - كما أن قراءة ابن مسعود (رضي الله عنه) خارجة عن مصحف عثمان رضي الله عنه، ولا تصح الصلاة بقراءة خارجة عن مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه^(٣).
- ثم إننا إذا قلنا: يجب فيها التتابع، فصامتها المرأة وحاضتها في أثناءها.. انقطع تتابعها، فبالتالي يجوز التفريق^(٤).

(١) ينظر: الحاوي الكبير : (١٥ / ٧٤٦).

(٢) ينظر: مغني المحتاج: (٦ / ١٩٣)، حاشية إعانة الطالبين: (٤ / ٣٦٧).

(٣) ينظر: حاشية الروض المربع: (٢ / ٣٧).

(٤) ينظر: البيان في مذهب الإمام الشافعي: (١٠ / ٥٩٢).

المبحث الثالث

محل القطع لمن سرق مرة ولمن تكررت منه السرقة

قرأ ابن مسعود رضي الله عنه: " وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْمَانَهُمَا "(١).

السارق: هو من يأخذ الشيء علي وجه الاستخفاء (٢).

صورة المسألة: "إذا أقدم السارق على سرق شيء محرر وتوفرت فيه شروط القطع قطعت يده اليمنى، فإن عاد ثانية فمن أين يكون محل القطع".

أقوال الفقهاء في المسألتين:

أود أن أبين اتفاق الفقهاء في هذه المسألة أولاً ثم اختلافهم فأقول:

أولاً: اتفق الأئمة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الفقهاء رحمهم الله تعالى، على أن السارق إذا سرق، وكان ذلك اول سرقة له، وأول حد يقام عليه بالسرقة، وكان صحيح الأطراف، وجب عليه القطع، فبيدأ بقطع يده اليمنى، مع مفصل الكف، ثم تحسم بالزيت المغلي؛ لأن السرقة تقع بالكف مباشرة، والساعد والعضد يحملان الكف كما يحملها معها البدن، والعقاب إنما يقع على العضو المباشر للجريمة، وإنما تقطع اليمنى أولاً؛ لأن التناول يكون بها في غالب الأحوال، إلا ما شذ عند بعض الأفراد؛ ولأن الرسول صلوات الله وسلامه عليه فعل ذلك حينما قطع يد المخزومية وغيرها ممن أقام عليهم حد السرقة (٣)، وقراءة عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه تبيين الإجمال في آية السرقة، وتوضح المراد من الأيدي، وهو قطع اليد اليمنى، فإنه قرأ، "فاقطعوا أيمانها"، وهي قراءة مشهورة عنه، ولم يجمع على أنها قرآن لمخالفتها للمصحف الإمام، فكانت خيراً مشهوراً، فيقيد إطلاق النص (٤).

ولو كان الإطلاق مراداً، والامتنال للأمر في الآية يحصل بقطع اليمين أو الشمال، لما قطع

(١) مختصر ابن خالويه: ٣٩.

(٢) ينظر: البيان في مذهب الإمام الشافعي: (١٢ / ٤٣٣).

(٣) أول سارق قطع في الإسلام: الخيار بن عدي بن نوفل بن عبد مناف " تفسير القرطبي: ١٦٠ / ٦ " و قطع المخزومية التي شفع فيها أسامة بن زيد فأغضب بشفاعته النبي صلى الله عليه وسلم " البخاري ومسلم " و قطع سارق رداء صفوان بن أمية " رواه الخمسة إلا الترمذي ".

(٤) ينظر: بدائع الصنائع: ٧ / ٨٦، فتح القدير: ٤ / ٢٤٧، الخرشبي على خليل: ٨ / ٩٢، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير: ٤ / ٣٣٢، المهذب: ٢ / ٣٠٠، مغني المحتاج: ٤ / ١٧٧، نهاية المحتاج: ٧ / ٤٤٣، كشاف القناع: ٦ / ١١٨، المغني والشرح الكبير: ١٠ / ٢٦٤، الجامع لأحكام القرآن: ٦ / ١٦٠، تفسير الطبري: ٦ / ٢٢٨.

النبي (صلى الله عليه وسلم) إلا اليسار على عادته من طلب الأيسر لهم ما أمكن جريا على عادته (صلى الله عليه وسلم) في: "أنه ما خير بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثما"^(١)، فدل ذلك على أن قطع اليمين أولا ثابت بإجماع الأئمة من غير خلاف منهم. ثانياً: اختلف الفقهاء فيما إذا قطعت يمينه ثم عاد للسرقة على أقوال:

القول الأول:

ذهب عطاء بن أبي رباح إلى أن: من قطعت يمينه في السرقة الأولى، ثم سرق بعد ذلك، فإنه يضرب ويحبس، إذ لا قطع إلا في السرقة الأولى، وحكي عنه أنه تقطع يده اليسرى^(٢).

دليل القول الأول:

لقول الله تبارك وتعالى: "فَأَقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا"^(٣) أي اليد اليمنى، وكما جاء في قراءة ابن مسعود رضي الله عنه: " فاقطعوا أيمنهما" ولو شاء الله لأمر بقطع الرجل "وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا"^(٤).

وجه الدلالة:

أن الآية خصصت الأيدي بالقطع وعلى وجه الخصوص اليمنى منهما لمن سرق أولاً ولو كان المراد قطع الرجل لذكرها ولكنه لم يذكرها فدل ذلك على أن الرجل غير مرادة أو مقصودة بالقطع.

القول الثاني:

وذهب ربيعة وبعض الفقهاء إلى أن: من قطعت يمينه في السرقة الأولى، ثم سرق مرة ثانية، تقطع يده اليسرى، فإن عاد إلى السرقة بعد ذلك، فليس عليه قطع، بل يعزر^(٥).

(١) مسند أبي يعلى: ٣ / ٣٤٥ بالرقم ٣٤٥ قال البوصيري: رواه ثقات وفيه انقطاع. إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة: ٧ / ٢٩٥.

(٢) ينظر: البيان في مذهب الإمام الشافعي: (١٢ / ٤٩٢)، المغني لابن قدامة: (٩ / ١٢١) الشرح الكبير على متن المقنع: (١٠ / ٢٩١-٢٩٢).

(٣) سورة المائدة: الآية: ٣٨.

(٤) سورة مريم: الآية: ٦٤.

(٥) ينظر: المغني لابن قدامة: (٩ / ١٢١)، الشرح الكبير على متن المقنع: (١٠ / ٢٩٢)،

أحكام القرآن لابن العربي: ٢ / ٦١٣، المحلى: ١١ / ٣٥٤، فتح الباري: ١٥ / ١٠٥ -

دليل القول الثاني:

استدل ربيعة ومن وافقه من الفقهاء من المعقول، وذلك لأن الله تعالى أمر بقطع الأيدي، وهي تشمل اليمنى واليسرى، وإدخال الأرجل في القطع زيادة على النص^(١).

القول الثالث:

وذهب الحنفية، والحنابلة في إحدى الروايتين وهي المذهب إلى أن من سرق بعد أن قطعت يده اليمنى، تقطع رجله اليسرى، فإن عاد بعد ذلك فليس عليه قطع، بل يحبس ويضرب حتى تظهر توبته أو يموت، ونقل هذا عن عمر وعلي رضي الله عنهما والشعبي والثوري والزهري والنخعي والأوزاعي وحامد^(٢).

دليل القول الثالث:

استدل أصحاب القول الثالث بما روي من قول علي كرم الله وجهه: إذا سرق الرجل قطعت يده اليمنى، فإن عاد قطعت رجله اليسرى، فإن عاد ضمنته السجن حتى يحدث خيرا، إني لأستحيي من الله أن أدعه ليس له يد يأكل بها ويستنجي بها، ورجل يمشي عليها^(٣).

القول الرابع:

وذهب المالكية والشافعية والحنابلة في الرواية الأخرى: إلى أن من سرق، بعد أن قطعت يده اليمنى في السرقة الأولى، تقطع رجله اليسرى، فإن عاد للمرة الثالثة قطعت يده اليسرى، فإن سرق مرة رابعة قطعت رجله اليمنى، فإن عاد بعد ذلك حبس حتى تظهر توبته أو يموت، وقد فعل ذلك أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، وقال به إسحاق وقتادة وأبو ثور^(٤).

دليل القول الرابع:

لما رواه أبو هريرة (رضي الله عنه) من أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: "إذا سرق

(١) ينظر: أحكام القرآن لابن العربي: ٢ / ٦١٣، المحلى ١١ / ٣٥٤، المغني لابن قدامة: ١٠ / ٢٦٥، فتح الباري: ١٥ / ١٠٥ - ١٠٦.

(٢) ينظر: المبسوط: ٩ / ١٦٦، بدائع الصنائع: ٧ / ٨٦، كشاف القناع: ٦ / ١١٩، المغني والشرح الكبير: ١٠ / ٢٧١، فتح الباري: ١٥ / ١٠٥ - ١٠٦، المحلى: ١١ / ٣٥٤.

(٣) سنن البيهقي: ٨ / ٢٧٣، سنن الدارقطني: ٣ / ١٠٣.

(٤) ينظر: الذخيرة للقرافي: (١٢ / ١٨٢)، حاشية الخرشبي على خليل: ٨ / ٩٣، القوانين

الفقهية: ٣٦١، أسنى المطالب: ٤ / ١٥٢، المهذب: ٢ / ٣٠٠، القليوبي وعميرة: ٤ / ١٩٨،

شرح الزرقاني على الموطأ: ٨ / ٩٢ - ٩٣، فتح الباري: ١٥ / ١٠٦، الجامع لأحكام

القرآن: ١٦٠ / ٢، بداية المجتهد: ٢ / ٤١٣ - ٤١٤،

المحلى: ١١ / ٣٥٦، الأحكام السلطانية لأبي يعلى: ٢٦٦.

السارق فاقطعوا يده، فإن عاد فاقطعوا رجله، فإن عاد فاقطعوا يده، فإن عاد فاقطعوا رجله^(١).
وجه الدلالة:

أن النبي (صلى الله عليه وسلم) أمر بقطع أطراف السارق بالترتيب الذي نقله إلينا أكثر الصحابة، وهذا الترتيب يوجب العمل به اقتداء بقوله وفعله (صلى الله عليه وسلم)، كما أن عليه العمل من أكثر الصحابة وعلى رأسهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما.

الترجيح:

بعد النظر في الأقوال ومدارسة الأدلة والتفكر في فحواها يظهر لنا رجحان المذهب الرابع، لما يأتي:

١. لأنه في المحاربة الموجبة قطع عضوين، إنما تقطع يده ورجله، ولا تقطع يده، فهي جناية أوجب قطع عضوين، فكانا رجلا ويديا، كالمحاربة؛ ولأن قطع يديه يفوت منفعة الجنس، فلا تبقى له يد يأكل بها، ولا يتوضأ، ولا يستطيب، ولا يدفع عن نفسه، فيصير كالهالك، فكان قطع الرجل الذي لا يشتمل على هذه المفسدة أولى^(٢).
٢. وأما الآية فالمراد بها قطع يد كل واحد منهما بدليل أنه لا تقطع اليدين في المرة الأولى، وفي قراءة عبد الله (رضي الله عنه) "فاقطعوا أيماهما" وإنما ذكر بلفظ الجمع؛ لأن المثني إذا أضيف إلى المثني ذكر بلفظ الجمع كقوله تعالى: "فقد صغت لوبكما"^(٣)، وإذا ثبت هذا فإنه تقطع رجله اليسرى لقول الله تعالى "أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف"^(٤) ولأن قطع اليسرى أرفق به لأنه يمكنه المشي على خشبة ولو قطعت رجله اليمنى لم يمكنه المشي بحال^(٥).
٣. أن هذا القول عليه جماعة فقهاء الأمصار من أهل الفقه والأثر، من الصحابة والتابعين، ومن بعدهم، وهو قول أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما، كما قال ابن قدامة^(٦).

-
- (١) حديث: " إذا سرق السارق فاقطعوا يده، فإن عاد فاقطعوا رجله ". أخرجه الدارقطني(٣) ١٨١/ وضعف إسناده ابن حجر وأورد له ما يقويه . التلخيص : ٤ / ٦٨ - .
 - (٢) ينظر: المغني لابن قدامة:(٩/ ١٢١)، الشرح الكبير على متن المقنع:(١٠/ ٢٩١)، الذخيرة للقرافي:(١٢/ ١٨٢) .
 - (٣) سورة التحريم، الآية : ٤ .
 - (٤) سورة المائدة، الآية : ٣٣ .
 - (٥) ينظر: المغني لابن قدامة:(٩/ ١٢١)، الشرح الكبير على متن المقنع:(١٠/ ٢٩١)، الذخيرة للقرافي:(١٢/ ١٨٢) .
 - (٦) ينظر: المغني لابن قدامة:(٩/ ١٢١) .

الخاتمة

جعلت الخاتمة قسمين: نتائج عامة ونتائج خاصة لكن أود قبل ذكرهما أن أشير إلى أن الفقهاء احتجوا بالقراءات الشاذة وعدوها مصدرًا من مصادرهم التي بنوا عليها بعض الأحكام الفقهية ومنها لا على سبيل الحصر: بعض الآيات القرآنية التي وردت فيها قراءات شاذة وترتب عليها أحكام فقهية: كقوله تعالى: "حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ" (سورة البقرة: ٢٣) في قراءة عائشة وابن عباس رضي الله عنهم. وبناء على هذا الاختلاف في القراءة الشاذة اختلف الفقهاء في المعنى المراد بالصلاة الوسطى، فذهب الجمهور كالأحناف والشافعية إلى أنها صلاة العصر مستندين إلى القراءة الشاذة وذهب البعض الآخر منهم كذلك إلى أنها صلاة العصر إلا أنه لم يستند إلى القراءة بل استند إلى الأحاديث الصحيحة التي جاءت ببيان ذلك كقوله عليه الصلاة والسلام "شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملاً الله بيوتهم وقبورهم ناراً"، وذهب المالكية إلى أنها صلاة الصبح واحتجوا بما جاء بعدها من نهاية الآية "وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ" فقالوا: كونها قرئت بالقنوت ولم يثبت إلا لصلاة الفجر فدل على أن المراد بها صلاة الصبح، ولم يحتجوا بالقراءة الشاذة فدل هذا على أن للقراءة الشاذة أثراً على الأحكام الفقهية.

بعد بيان هذا أعود لأبين أهم النتائج التي توصل إليها الباحث في خاتمته وتتمثل في النتائج التي توصلت إليها وجعلتها على قسمين:

نتائج عامة ونتائج خاصة:

أما النتائج العامة فتتمثل في الآتي:

- أن السبب في تسمية القراءة بالشاذ يعود للطريق الذي نقل به القرآن وهو التواتر وهي قد وردت بطريق الأحاد.
- أميل إلى أن القراءات الشاذة يستنبط منها الأحكام الشرعية الفرعية كما ذهب إليه جمهور العلماء.

وقفت على اختلافهم في القراءة بالشاذ خارج الصلاة بين المجيز والمانع والمتوسط - وأنا في هذا مع الأكثر وهو المنع من القراءة بالشاذ في الصلاة، وخلصت إلى جواز تعلم القراءة الشاذة وتعليمها وتدوينها للإفادة منها في مجال الأحكام الشرعية شأنها في هذا شأن المشتغلين باللغة والإعراب والتفسير.

- من آثار القراءة الشاذة في التفسير أنها تبين معنى الآية أو توسع مدلولها، أو تزيل بعض الإشكالات الواردة فيها وهي ذاتها المراد منها في الأحكام الفقهية.

بينت أن اختلاف العلماء في استنباط الأحكام منها أدى إلى ظهور آثار عظيمة في الفقه ترتب عليه أحكام فقهية كثيرة لكن في غير قراءة ابن مسعود، مثل: ميراث الأخوة لأم، وعدد الرضعات المثبتة للتحريم وغيرها.

وختاماً: إن القراءة بالشاذ وإن لم تقبل على أنها قرآن فقد قبلت على أساس أنها أخبار أو تفسير للقرآن وأن القراءات الشاذة لا يجوز القراءة بها مطلقاً لكن يستفاد منها في التفسير وبيان القراءات المتواترة، وكذلك في بيان الأحكام الشرعية واللغوية وأنه لا يوجد تناقض بين الأمرين بين تحريم القراءة بالشاذ وبين الاستفادة منها في مجال الأحكام.

النتائج الخاصة:

- ظهر لنا رجحان رأي جمهور الفقهاء القائلين بركنية الحج أو فرضيته؛ وذلك لقوة أدلتهم وصراحتها، ولأمره (صلى الله عليه وسلم) بأخذ المناسك عنه في الحج وهو أمر للوجوب إذ لا توجد قرينة تصرفه عن غير الوجوب، ودعوى من قال: إنه تطوع أخذاً بالآية غير ظاهر.
- تبين لي بعد عرض الأقوال والنظر في الأدلة في مسألة التتابع في الصيام رجحان عموم القرآن أولى من قراءة ابن مسعود رضي الله عنه؛ إذ عموم القرآن المستدل به على التفريق صحيح، والصحيح مقدم على الشاذ من القراءات، ثم إننا إذا قلنا: يجب فيها التتابع، فصامتها المرأة وحاضت في أثنائها... انقطع تتابعها، فبالتالي يجوز التفريق وهو الراجح والله أعلم.
- تبين لي بعد النظر في الأقوال ومدارسة الأدلة والتفكير في فحواها إذا أقدم السارق على سرقة شيء محرز وتوافرت فيه شروط القطع قطعت يده اليمنى، فإن عاد ثانية فمن أين يكون محل القطع ظهر لي رجحان المذهب الرابع القائل: أن من سرق، بعد أن قطعت يده اليمنى في السرقة الأولى، تقطع رجله اليسرى، فإن عاد للمرة الثالثة قطعت يده اليسرى، فإن سرق مرة رابعة قطعت رجله اليمنى، فإن عاد بعد ذلك حبس حتى تظهر توبته أو يموت؛ لأن الآية في قراءة ابن مسعود " فاقطعوا أيماهما" المراد بها قطع يد كل واحد منهما بدليل أنه لا تقطع اليدين في المرة الأولى، أن هذا القول عليه جماعة فقهاء الأمصار من أهل الفقه والأثر، من الصحابة والتابعين، ومن بعدهم، وهو قول أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما والله أعلم .
- والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

ثبت المصادر

- ❖ إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة: أبو العباس شهاب الدين أحمد ابن أبي بكر ابن إسماعيل بن سليم بن قايماز بن عثمان البوصيري الكنايني الشافعي (المتوفى: ٨٤٠هـ)
- ❖ المحقق: دار المشكاة للبحث العلمي بإشراف أبو تميم ياسر بن إبراهيم دون ط ودون ت.
- ❖ إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني الدمياطي، شهاب الدين الشهير بالبناء "المتوفى: ١١١٧هـ"، المحقق: أنس مهرة دون ط ودون ت.
- ❖ الإتيقان في علوم القرآن عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب دون ط ودون ت.
- ❖ الاحكام السلطانية أبو يعلى القاضي ، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ابن الفراء (المتوفى : ٤٥٨هـ) صححه وعلق عليه : محمد حامد الفقي، الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت ، لبنان، الطبعة : الثانية ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
- ❖ أحكام القرآن ابن العربي القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشيلي المالكي (المتوفى: ٥٤٣هـ)، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
- ❖ إرشاد الفحول محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، المحقق: الشيخ أحمد عزو عناية، دمشق - كفر بطنا، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
- ❖ أسنى المطالب زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنكي (المتوفى: ٩٢٦هـ)، دون ط دون ت.
- ❖ الإصابة في تمييز الصحابة أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ) تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض دون ط ودون ت.
- ❖ إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين (هو حاشية على فتح المعين بشرح قرّة العين بمهمات الدين"، المؤلف: أبو بكر (المشهور بالبكري" عثمان بن محمد شطا الدمياطي الشافعي (المتوفى: ١٣١٠هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع دون ت.

- ❖ بداية المجتهد ونهاية المقتصد أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الشهير بابن رشد الحفيد (المتوفى: ٥٩٥هـ)، دون ط تاريخ النشر: ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.
- ❖ بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع علاء الدين، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي (المتوفى: ٥٨٧هـ)، دار الكتب العلمية، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
- ❖ البرهان في علوم القرآن أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي.
- ❖ البناية شرح الهداية أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني (المتوفى: ٨٥٥هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان دون ط ودون ت.
- ❖ البيان في مذهب الإمام الشافعي أبو الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليمني الشافعي (المتوفى: ٥٥٨هـ)، المحقق: قاسم محمد النوري، دار المنهاج - جدة دون ط ودون ت.
- ❖ التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير أبو الفضل أحمد بن علي ابن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، دار الكتب العلمية، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ. ١٩٨٩ م.
- ❖ التهذيب في اختصار المدونة خلف بن أبي القاسم محمد، الأزدي القيرواني، أبو سعيد ابن البراذعي المالكي (المتوفى: ٣٧٢هـ)، دراسة وتحقيق: الدكتور محمد الأمين ولد محمد سالم بن الشيخ، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي دون ط ودون ت.
- ❖ جامع البيان محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
- ❖ الجامع لأحكام القرآن أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١ هـ)، المحقق: هشام سمير البخاري دون ط ودون ت.
- ❖ حاشية أحمد سلامة القليوبي (١٠٦٩ هـ) وحاشية أحمد البرلسي عميرة (٩٥٧هـ)، دون ط ودون ت.
- ❖ حاشية الدسوقي على الشرح الكبير المؤلف: محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي المالكي (المتوفى: ١٢٣٠هـ)، دار الفكر، دون ط ودون ت.

- ❖ الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي وهو شرح مختصر المزني، أبو الحسن علي ابن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، المحقق: الشيخ علي محمد معوض - الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م.
- ❖ الذخيرة للقرافي أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي (المتوفى: ٦٨٤هـ) المحقق: محمد بو خبزة، دار الغرب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩٤ م.
- ❖ شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني المصري الأزهرى تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
- ❖ الشرح الكبير على متن المقتع عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي الجماعلي الحنبلي، أبو الفرج، شمس الدين (المتوفى: ٦٨٢هـ)، دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع دون ط دون ت.
- ❖ عمدة القاري شرح صحيح البخاري عمدة القاري شرح صحيح البخاري أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العيني (المتوفى: ٨٥٥هـ) دار إحياء التراث العربي - بيروت دون ط دون ت.
- ❖ غاية الوصول غاية الوصول في شرح لب الأصول زكريا بن محمد بن أحمد ابن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي (المتوفى: ٩٢٦هـ) دار الكتب العربية الكبرى دون ط دون ت.
- ❖ غيث النفع في القراءات السبع غيث النفع في القراءات السبع علي بن محمد ابن سالم، أبو الحسن النوري الصفاقسي المقرئ المالكي (المتوفى: ١١١٨هـ) دار الكتب العلمية - بيروت المحقق: أحمد محمود عبد السميع الشافعي الحفيان.
- ❖ فتح الباري فتح الباري شرح صحيح البخاري أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩، المحقق محمد فؤاد عبد الباقي دون ط.
- ❖ فتح القدير كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي المعروف بابن الهمام (المتوفى: ٨٦١هـ)، دار الفكر، دون ت.
- ❖ الكافي في فقه الإمام أحمد أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد ابن قدامة المقدسي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ)، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.

- ❖ كشف القناع عن متن الإقناع منصور بن يونس بن صلاح الدين ابن حسن ابن إدريس البهوتي الحنبلي (المتوفى: ١٠٥١هـ)، دار الكتب العلمية دون ط دون ت.
- ❖ لسان العرب محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة - ١٤١٤هـ.
- ❖ المجموع شرح المهذب مع تكملة السبكي والمطيعي أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، دار الفكر، (طبعة كاملة معها تكملة السبكي والمطيعي) دون ط دون ت.
- ❖ المغني أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ) دون ط ودون ت.
- ❖ مغني المحتاج مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج شمس الدين، محمد ابن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (المتوفى: ٩٧٧هـ) دار الكتب العلمية الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
- ❖ مقدمات علم القراءات محمد أحمد مفلح القضاة، أحمد خالد شكرى، محمد خالد منصور دار عمار - عمان (الأردن) الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- ❖ النشر في القراءات العشر النشر في القراءات العشر شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: ٨٣٣هـ) المحقق: علي محمد الضباع (المتوفى ١٣٨٠هـ) المطبعة التجارية الكبرى دون ت.
- ❖ نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج شمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة شهاب الدين الرملي (المتوفى: ١٠٠٤هـ) دار الفكر، بيروت، الطبعة - ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
- ❖ الوافي بالوفيات صلاح الدين خليل بن عبد الله الصفدي (المتوفى: ٧٦٤هـ) المحقق: أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث - بيروت دون ت.

طلبة أبي بكر بن العربي (ت: ٥٤٣هـ/١١٤٨م) ... رقية جاسم و د. علياء هاشم

طلبة أبي بكر بن العربي (ت: ٥٤٣هـ/١١٤٨م) أثناء تنقله بين مدن الأندلس

(١١٠٢هـ/١١٠٢م - ١١٢٧هـ/١١٢٧م)

Student of Abi Bakr bin al- Arabi (D.543 A.H./ 1148 A.D.) during his travels between the cities of Andalusia (D.495 A.H./ 1102 A.D.- D.521 A.H./ 1127 A.D.)

Ruqia Jassim Mohammed Al-Hayani

رقية جاسم محمد الحياتي

Dr. Alyaa Hashem thanoon al-Mashhadani

د. علياء هاشم ذنون المشهداني

Assistant Professor

أستاذ مساعد

University of Mosul - College of Education for Human Sciences - Department of History

جامعة الموصل - كلية التربية للعلوم

الانسانية - قسم التاريخ

ruqaya jasim mohammed@gmail.com

تاريخ القبول

تاريخ الاستلام

٢٠٢٢/١/٢٦

٢٠٢٢/١/٤

الكلمات المفتاحية: طلبة- ابن العربي- أثناء- تنقله- الأندلس

Keywords: students -Ibn al-Arabi – during- move it- Andals

الملخص

يعد أبو بكر بن العربي الإشبيلي من مشاهير وأعلام الأندلس، وكان له الأثر البالغ في خدمة الحركة العلمية في الأندلس، ونحاول في هذا البحث الذي توسم عنوان: طلبة أبي بكر بن العربي (ت: ٥٤٣هـ/١١٤٨م) أثناء تنقله بين مدن الأندلس، تسليط الضوء على أحد إسهاماته العلمية والتي تمثلت في طلبة العلم الذين التفوا حوله من شتى المدن الأندلسية، حيث حاولنا في هذا البحث بيان انتشار طلبة أبي بكر بن العربي على مدن الأندلس أثناء تنقله فيها، وفق العملية الإحصائية التي قمنا بيها لتعيين الطلبة المؤكد لقاءهم بابن العربي وفق كتب التراجم التي تحدثت عنهم فضلاً عن الطلبة المرجح لقاءهم بابن العربي ومن خلال ذلك رصدنا اهم المدن الأندلسية التي تنقل بها ابن العربي وكان له فيها مجالس علمية.

Abstract

Abu Bakr bin al-Arabi al-Ishbili is considered one of the most famous and prominent figures of Andalusia, and he had a great impact on the service of the scientific movement in Andalusia. On one of his scientific contributions, which was represented in the students of knowledge who gathered around him from various Andalusian cities, where we tried in this research to show the spread of the students of Abi Bakr Ibn Al-Arabi on the cities of Andalusia while he was traveling there, according to the statistical process that we carried out to identify the students who confirmed their meeting with Ibn Al-Arabi according to books The translations that I talked about, in addition to the students likely to meet Ibn al-Arabi, and through this we monitored the most important Andalusian cities in which Ibn al-Arabi traveled and had scientific councils there.

المقدمة

يعد أبا بكر بن العربي المعافري الإشبيلي من أعلام الأندلس البارزين الذين افنوا أعمارهم في طلب العلم، وكان له الاثر البالغ في خدمة العلم والعمل به، بلغت شهرته الآفاق، وأصبح مركز استقطاب لكثير من طلبة العلم الأندلسيين، بحيث رُحل اليه في مدينة اشبيلية لطلب العلم عنه، وآخرون انتهزوا فرصة وجوده في مدن أخرى دخلها لأسباب معينة فطلبوا العلم لديه فيها، سواء كانوا من أهل تلك المدن ام رحلوا إليها للقاء ابن العربي كونها اقرب اليهم من مدينة إشبيلية، وكان ذلك بطبيعة الحال جزءا من الحركة العلمية والتعليمية السائدة في الأندلس آنذاك.

وتم ذلك من خلال رصد طلبة أبي بكر بن العربي الذين ورد ذكرهم في كتب التراجم الأندلسية المعاصرة والقريبة لزمن ابن العربي، وتحديد مدتهم الاصلية والمدن التي التقوا بها بأبي بكر بن العربي لأخذ العلم عنه، مع محاولة التمييز بين الطلبة المؤكد لقاءهم بأبي بكر بن العربي والمرجح لقاءهم به في عدد من مدن الأندلس، وذلك من خلال شواهد أكدت في النصوص التاريخية او قرائن دلت على ذلك، واعتمدنا للوصول الى تلك النتيجة على إعداد إحصائيات عدة ومن خلال تحليل بياناتها توصلنا الى نتائج مهمة عن تنقلات أبي بكر بن العربي في مدن الأندلس وأثر ذلك على النشاط العلمي.

اما عن أهمية الدراسة في هذا البحث فأنها تتجلى في الكشف عن اهم مجالات الفكر الاسلامي المشرقي والأندلسي على حد سواء وقد تجلى ذلك في القاضي ابي بكر بن العربي المعافري (ت: ٥٤٣هـ/١١٤٨م)، الذي بلغ درجة علمية رفيعة أصبح بموجبها محط انظار طلاب العلم فصار الكثير منهم يتوق الى لقائه في سبيل الاغتراف من علمه والاستماع في مجالسه، وقد تمكنا من خلال هذا البحث تحديد طلبة ابن العربي في المدن الأندلسية التي دخلها بعد عودة من الرحلة المشرقية وتصنيفهم ضمن مجموعات معينة منهم من كان لقاءهم بابن العربي مؤكداً ومنهم من كان لقاءهم به مرجحاً.

وقد اتبعنا في دراستنا هذه المنهج الاحصائي في تعداد طلبة ابن العربي في المدن الأندلسية فضلاً عن المنهج التقليدي القائم على جمع النصوص وتحليلها ومن ثم عرض المادة العلمية وحاولنا الخروج بنتائج مفيدة لم يكن بالإمكان التوصل اليها لولا العمل الإحصائي الذي قمنا به في هذا البحث.

تخلل البحث صعوبات من أهمها تغافل بعض كتب التراجم التي تحدثت عن طلبة أبي بكر بن العربي عن ذكر مكان لقائهم به بصورة صريحة وشحة المعلومات المتوفرة للكثير منهم.

اعتمد البحث كما تقتضي طبيعة المادة العلمية التي يبحث فيها على العديد من المصادر ولكن كان لكتب التراجم الأفضلية، في مقدمتها كتاب الصلة لابن بشكوال والذي كان من طلبة أبي بكر بن العربي، وكتابي ابن الأبار التكملة لكتاب الصلة والمعجم في اصحاب القاضي ابي علي الصدفي الذي عاش قريبا من عصر أبي بكر بن العربي وكان عدد من شيوخه من طلبة ابن العربي.

تضمن البحث مقدمة وتمهيداً وقد احتوى متن البحث انتشار تلاميذ ابن العربي في ثلاث مدن أندلسية (إشبيلية- بلنسية- قرطبة) وتم تناول التلاميذ المؤكد لقاءهم بابن العربي والمرجح ايضاً في كل منها.

التمهيد

عاد أبو بكر بن العربي الى الأندلس بعد رحلته المشرقية الطويلة والتي استغرقت ما يقارب العشر سنوات " وقد تجولت في تلك الأقطار الكريمة ، ودخلت تلك الامصار العظيمة، وجبت الاقطار القاصية نيفا على عشرة أعوام"^(١)، وذلك في سنة (٤٩٥هـ/١١٠٢م) وتوجه مباشرة الى إشبيلية^(٢)، التي غادرها سنة (٤٨٥ هـ/١٠٩٢م) برفقة والده الى المشرق، وكرس كل وقته خلال ذلك لطلب العلم والدراسة^(٣).

ويبدو ان مشوار طلبه للعلم في المشرق كان له أصداء طيبة في الأندلس، اذ تلهف اهل الأندلس لعودة أبي بكر بن العربي وعبر عن ذلك ابلغ تعبير المقرئ^(٤) في كتابه **نفتح الطيب** بقوله: فعاد ابن العربي الى الأندلس سنة(٤٩٥هـ/١١٠٢م) بعد رحلة دامت نيفا على عشرة اعوام، فكر الى الأندلس فحلها والنفوس اليه متطلعة ولأنبائه متمسعة ، فناهيك من حظوة لقي ومن رفعة سما اليها ورقي، وحسبك في مفاخر قلدها ومحاسن انس اثبتها وخلدها"، لاسيما انه التقى في رحلته المشرقية بعدد كبير من الشيوخ الذين كانوا على مستوى عالٍ من العلم والمعرفة فاكتسب من معارفهم حتى أصبح على مستوى رفيع من العلم فوصلت اخباره الى الأندلسيين ، فأصبح الجميع متشوقين الى عودته ومتطلعين الى لقائه، لذلك عند وصوله الأندلس جلس مباشرة مجالس العلم وبدأ بتقديم ما لديه من علوم ومعرفة ومحاملا بعلم لم يدخله احدٌ قبله ممن كانت له رحلة الى المشرق^(٥).

وحرص المهتمون وطلبة العلم على الأخذ عنه ولم تحدد لنا المصادر الوسائل التي وصلت عن طريقها اخبار ابن العربي الى الأندلس قبل رجوعه اليها، وفي ذلك دلالة على

(١) العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي(صلى الله عليه وسلم)، ابن العربي، ابو بكر محمد بن عبدالله بن محمد بن عبدالله بن احمد بن محمد بن عبدالله (وزارة الشؤون الاسلامية والدعوة والارشاد، المملكة العربية السعودية، ط١٩٩١، ١هـ): ٨٢.

(٢) الغنية فهرست شيوخ القاضي عياض، القاضي عياض بن موسى بن عمرو اليحصبي السبتي، (دار الغرب الاسلامي ، د. م، ط١، ١٤٠٢هـ): ٦٨.

(٣) الصلة في تاريخ ائمة الاسلام، ابن بشكوال، ابو القاسم خلف بن عبد الملك ، (مكتبة الخانجي، د. م، ط٢، ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م)، ص ٨٥٦؛ الديباج الذهب في معرفة اعيان المذهب، ابن فرحون، ابراهيم علي بن محمد برهان الدين اليعربي، (دار التراث للطباعة والنشر، القاهرة، د. ط، د.ت): ٢/٢٥٤ .

(٤) نفتح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، المقرئ، شهاب الدين احمد بن محمد،(دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٧م): ٢/٣٤.

(٥) الصلة، ابن بشكوال: ٨٥٦.

متابعة الأندلسيين لطلبتهم الموجودين في المشرق، فهل يا ترى كان ذلك خاصاً بابن العربي فقط؟ أم هو ديدن الأندلسيين بالتطلع الى المشرق وما ينتج عنه من علم ورغبتهم بالاطلاع عليه، والوسيلة الرئيسة في ذلك كانت عن طريق طلبتهم الراحلين الى المشرق ومنهم بطبيعة الحال ابن العربي، لذا كانوا يترقبون عودتهم ويسألون مسبقاً عن العلم الذي تلقوه في المشرق وفي ذلك دلالة على حرص الأندلسيين على ديمومة تلقي الجديد من العلم.

ولتقديم صورة واضحة عن طلبه ابن العربي قمنا بالتعريف بهم وفق المدن التي التقوا فيها بابن العربي وحسب التوقيتات الزمنية ان توفرت لدينا، اذ قسمنا المدن الأندلسية التي دخلها ابن العربي بعد رحلته تبعاً، مع ذكر مفصل للطلبة الذين التقوا به بشكل مؤكد في هذه المدن وحسب التسلسل الزمني المتوفر لدينا.

المبحث الأول

مدينة إشبيلية

كانت إشبيلية أولى المدن التي دخلها ابن العربي بعد عودته المشرقية سنة (٤٩٥هـ/١٠٢٠م)، وهذا طبيعي ومتوقع لأنها مدينته ومستقرة وفعلا حظ رحاله بها ومكث فيها يقدم العلم لطلبته، وبلغ عددهم فيها حوالي تسعة وثلاثين طالباً، حسب الإحصائية التي قمنا فيها بأهم كتب التراجم القريبة من الحدث، وتوصلنا الى أن أربعة عشر من أولئك الطلبة تأكد لقاءهم بأبي بكر بن العربي في مدينة إشبيلية، وسنقوم بذكرهم تباعاً حسب التسلسل الزمني بلقائهم بأبن العربي أما الطلبة الآخرون فهناك قرائن دلت على لقائهم بابن العربي في إشبيلية، وستوضح في مكانها لاحقاً أي ان لقائهم به كان مرجحاً. وأن هذا الامر لم يبين لنا طلبة ابن العربي فقط وإنما بين لنا حركة ابن العربي داخل الأندلس والمدن التي انتقل اليها ضمن التسلسل الزمني كما توصلنا إليه وفي ذلك جزء من الحراك العلمي في الأندلس في وقت ابن العربي وتبيان لعدد من العوامل التي تحكمت به منها دخول مادة علمية جديدة عن طريق شيوخ رحلوا الى الخارج وعادوا بحصيلة علمية مميزة فأصبحوا نقطة استقطاب لطلبة العلم حيث ان حركة طلبة العلم ارتهنت بحركة الشيخ الذي سعوا للقائه.

أولاً: الطلبة المؤكد لقاءهم في إشبيلية

- ١- محمد بن عبد الملك بن علي بن نصير الغافقي: (د. ت): من أهل مرسية لقي ابا بكر بن العربي بإشبيلية وسمع منه في سنة (٤٩٦هـ/١٠٠١م).^(١)
- ٢- ابراهيم بن حارث الكلاعي (ت: ٥٦٠هـ/١١٦٥م): كان من خارج الأندلس قدم الى إشبيلية للسمع من ابن العربي، كان من أهل اليريس^(٢)، من شمال افريقيا دخل الأندلس وسمع

(١) التكملة لكتاب الصلة، ابن الأبار، ابي بكر محمد بن عبدالله القضاعي البننسي، التكملة لكتاب الصلة، (دار الفكر، لبنان، د. ط، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م) : ١ / ٣٢٩ ؛ الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، المراكشي، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي، (دار الغرب الإسلامي، تونس، ط ١، ٢٠١٢): مج ٤/٤٤٢.

(٢) مدينة تقع في قلب منطقة الاوراس وهي مهد ثورة التحرير الجزائرية مدينة عريقة في التاريخ يعني اسمها بالأمازيغية الاسد والحصان (ار: اسد، ايس: الحصان) ، وذلك لان يوغرطة كان يصطاد منها الاسود ويضعها على حصانه وهناك معنى اخر هو التراب الابيض المعروف في آريس المتواجد بكثرة في وادي عريق يعبر على اريس اسمه الواد الابيض. org/wiki/%D8%A2%D8%B1%D9%8A%D8%B3

بإشبيلية من ابي بكر بن العربي كتاب الشهاب للقضاعي وبعض تواليفه سنة (١١١٥/هـ) (١).

٣- خلف بن عبد الملك بن مسعود بن بشكوال (ت: ٥٧٨/هـ ١١٨٢م)، فقد كان اصله من شرق الأندلس لكنه سكن قرطبة ولقي أبا بكر بن العربي بإشبيلية سنة (٥١٦/هـ ١١٢٢م)، وسمع عنه فيها كما ذكر ذلك في كتابه الصلة: "لقيته بمدينة إشبيلية، حرسها الله، ضحوة يوم الاثنين لليلتين خلتا من جمادي الأخرى في سنة ستة عشر وخمسمائة...." (٢) كان متسع الرواية شديد العناية بها حجة فيما يرويه ويسنده، حافظاً حافلاً اخبارياً مفيداً (٣).

٤- عبدالعزيز بن عبدالعزيز بن محمد بن شداد المعافري (ت: ٥٦٠/هـ ١١٦٥م)، كان من أهل شوذر من جيان، قرأ عليه ابن العربي في إشبيلية جامع الترمذي سنة (٥٢٥/هـ ١١٣١م) وكان شاعراً ادبياً (٤).

أما الطلبة الذين سيتم ذكرهم فيما يلي فقد جاء ترتيبهم حسب تسلسل تاريخ وفاتهم، التقوا أيضاً بأبي بكر بن العربي لكن المصادر لم تذكر سنة لقائهم به وهم:

- ١- يحيى بن عبدالجبار بن يحيى بن يوسف الانصاري (ت: ٥٩٠/هـ ١١٩٤م): من أهل قرطبة يكنى أبا بكر، لكنه سمع بإشبيلية من أبي بكر بن العربي (٥).
- ٢- محمد بن عبدالله بن أحمد بن صنعون (ت: ٥٦١/هـ ١١٦٦م)، يكنى أبا القاسم، كان من مدينة شلب الواقعة جنوب الأندلس، قدم الى إشبيلية للسمع من أبي بكر بن العربي (٦).
- ٣- عبدالله بن أحمد بن سعيد بن عبدالرحمن العبدري (ت: ٥٦٦/هـ ١١٧١م): عرف بأبن موجوال، يكنى أبا محمد كان من أهل بلنسية رحل الى إشبيلية واستقر بها، وسمع فيها من أبي بكر بن العربي، وتحقق به ودرس في مجلسه وكان ابن العربي يثني عليه (٧).

(١) التكملة، ابن الابار: ١ / ١٤٩ .

(٢) الصلة، ابن بشكوال: ٣ / ٨٥٦ .

(٣) التكملة، ابن الابار: ١ / ٢٤٨؛ الديباج، ابن فرحون: ١ / ٣٥٣ .

(٤) المصدر نفسه: ٣ / ٩٥ .

(٥) المصدر نفسه: ٤ / ١٨٤؛ صلة الصلة، الغرناطي، ابي جعفر احمد بن ابراهيم

الغرناطي، (مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ١٤٢٩/هـ ٢٠٠٨م): ٤٠٧ .

(٦) التكملة، ابن الابار: ٢ / ٢٩-٣٠ .

(٧) التكملة، ابن الابار: ٢ / ٢٦٨-٢٦٩؛ المعجم في أصحاب القاضي الصدفي ابي علي

حسين بن محمد، ابن الابار، (دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت،

ط١، ١٤١٠/هـ ١٩٨٩م): ٢٣٠-٢٣١ .

٤- محمد بن ابراهيم بن خير المواعيني (ت: ٥٧٠هـ/١١٧٥م): يكنى أبو القاسم، كان من أهل قرطبة لكنه اتى الى إشبيلية بعد أن ذاع صيت ابن العربي وعلمه وسكن فيه وسمع فيها من أبي بكر بن العربي (١).

٥- عبدالرحيم بن عمر بن عبدالرحيم الحضرمي (ت: ٥٨٠هـ/١١٨٤م): يكنى ابا القاسم، كان من خارج الأندلس من مدينة فاس دخل الأندلس وسمع بقرطبة وإشبيلية من أبي بكر بن العربي أي انه حرص على التنقل في المدن الأندلسية لحضور مجالس ابن العربي والسماع فيها (٢).

ثانياً: الطلبة المرجح لقاءهم في إشبيلية

سنعرف فيما يأتي عدد من الطلبة المرجح لقائهم بابي بكر بن العربي حسب القرائن التي دلت على ذلك ، وحسب تسلسل تاريخ وفاتهم وعلى النحو الآتي:

١- محمد بن محمد بن عبدالله اللخمي (ت: ٥٥٣هـ/١١٥٨م): من اهل إشبيلية يعرف بالفلقني، يكنى ابا بكر وابا عبدالله أخذ القراءات عن عدة شيوخ منهم أبو بكر بن العربي، نزح من بلده إشبيلية واستوطن مدينة فاس وتصدر للإقراء في مسجد الحوراء (٣). القرينة في هذه الترجمة التي دلت على أن محمد اللخمي أخذ القراءات عن ابن العربي في إشبيلية ما ذكر في الترجمة أنه أخذ القراءات من عدة شيوخ ومنهم ابن العربي ومن ثم ذكر أنه رحل الى قلعة (حماد) ثم خرج من إشبيلية بلده الى مدينة فاس واستقر بها، هذا كان حسب تفسيره الشخصي لان المصادر سكنت عن ذلك.

٢- علي بن أحمد بن محمد الكلبي (ت: ٥٦٥هـ/١١٧٠م): من أهل شليطيش من عمل إشبيلية، يكنى أبا الحسن ويعرف بأن القابلة روى عن أبي الحسن شريح بن محمد وأبي بكر بن العربي، رحل حاجاً فأدى الفريضة وكتب الحديث وعاد الى الاندلس، فقصده قرطبة بعد انصرافه من الحج سنة (٥٣٩هـ/١١٤٤م) ثم خرج منها الى ميرتلة ثم الى بلده شليطيش ثم صار الى مراكش فأستوطنها حتى وفاته (٤)، وفي هذا النص نجد أن علي بن احمد الكلبي تجول في عدة مدن أندلسية، لكني رجحت أنه أخذ من ابن العربي في إشبيلية لأنه ورد في

(١) التكملة، ابن الابار: ٢ / ٤٣ .

(٢) التكملة، ابن الابار: ٣ / ٦٣ .

(٣) التكملة، ابن الابار: ٢ / ٢٠-٢١؛ غاية النهاية في طبقات القراء، ابن الجزري، شمس الدين محمد بن محمد، (مكتبة بن تيمية، د . م ، د . ط ، ١٣٥١هـ): ٢ / ٢١٣ ؛ جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الاعلام بمدينة فاس، المكناسي، احمد بن القاضي، (دار المنصور، الرباط، د . ط، ١٩٧٣م): ١ / ٢٦٤ .

(٤) التكملة، ابن الابار: ٣ / ٢٠٤ ، ؛ الذيل، المراكشي: ٣ / ١٤٦ .

النص اعلاه أنه كان في شليطيش عمل إشبيلية وجاء بعد هذا الذكر انه روى عن شريح بن محمد وأبي بكر بن العربي ثم ذكر أنه رحل حاجاً ثم انصرف الى قرطبة وميرتلة وغيرها ولم يذكر في النص انه أخذ في هذه المدن عن ابن العربي ولا عن أي شيخ آخر .

٣- أحمد بن عبد الملك بن عبدالعزيز اللخمي الباجي (ت: ٥٧٤هـ/١١٧٨م): يكنى ابا عمر وهو من أهل إشبيلية روى عن ابيه وأبي بكر بن العربي سمع منه برنامجا و اجاز له (١). في ترجمته لم تذكر مدينة غير إشبيلية لذلك رجحنا أنه ربما اخذ عن ابن العربي فيها .

٤- محمد بن أحمد بن عبدالله الانصاري (ت: ٥٧٤هـ/١١٧٨م): من أهل إشبيلية ويكنى ابا عبدالله ويعرف بأبن المجاهد لأن اياه أحمد كان كثير الجهاد والغزو في السرايا والجيوش، تفقه بعدة شيوخ منهم ابي بكر بن العربي حيث أنه لازم مجلسه مدة ثلاثة اشهر ثم تخلف عنه (٢). ايضا في ترجمته لم تذكر سوى إشبيلية.

٥- محمد بن خير بن عمر بن خليفة (ت: ٥٧٥هـ/١١٧٩م): من أهل إشبيلية يكنى ابا بكر، أخذ القراءات عن أبي الحسن شريح بن محمد ولازمه واختص به وسمع منه ومن الباجي ومن ابي بكر بن العربي وغيرهم، كما وسمع بقرطبة من عدة شيوخ (٣). اذن ذكر أنه سمع من ابي بكر بن العربي ثم جاء ذكر قرطبة ومن سمع فيها من الشيوخ، تقديم إشبيلية على قرطبة جعلنا نرجح أنه سمع من ابن العربي في إشبيلية لاسيما انه من أهلها وكان مستقرا فيها .

(١) التكملة، ابن الابار: ١ / ٧١ ، الذيل، المراكشي: ١ / ٤٤٢ .

(٢) التكملة، ابن الابار : ٢ / ٤٨-٤٩؛ الذيل، المراكشي ، الذيل: ٣ / ٥٦١ .

(٣) التكملة، ابن الابار: ٢ / ٤٩-٥٠ ؛ بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس، الضبي

، احمد بن يحيى بن احمد بن عميرة،(دار الكتاب العربي، القاهرة، د. ط، ١٩٦٧م) :

المبحث الثاني

مدينة بلنسية

كانت بلنسية المدينة الثانية التي حل بها أبو بكر بن العربي التي تقع في شرق الأندلس قرب ساحل البحر المتوسط، وتحدها طليطلة من الغرب، وطرطوشة من الشمال، ومرسية من الجنوب، وهي شرقي قرطبة، كما وتعدّ قاعدة من قواعد الأندلس، تواجد ابن العربي في مدينة بلنسية كان لغرض الجهاد، وخاصة بعد أن ازداد خطر الاسبان وانتشر نفوذهم في مناطق واسعة من بلاد شرق الأندلس لاسيما طليطلة، انبرى أبي بكر بن العربي يدعو الناس الى الجهاد في سبيل الله ونجدة اخوتهم، وطلب من الوالي أن يجعل الجند في استنفار، ويعلن الجهاد في سائر الأقطار حتى لا يبقى أحد، كما جاء في قوله: "... فقلت للوالي والمولى عليه: هذا عدو الله قد حصل في الشرك والشبكة، فلتكن منكم الى نصره الدين حركة، ولنجرد اليه جميع الناس حتى لا يبقى أحد في جميع الأقطار فيحاط به، فإنه هالك لا محالة - أن يسركم الله، فغلب الذنوب، ورجفت بالمعاصي القلوب؛ وصار كل أحد من الناس ثعلباً يأوي الى وجاره، وأن رأى المكيدة بجاره؛ فانا لله وانا اليه راجعون، وحسبنا الله ونعم الوكيل (١)".

وبذلك خرج ابن العربي بقصد الجهاد والغزو سنة (٥٢٢هـ/١١٢٨م) الى الثغور الشرقية ومنها بلنسية حيث تردد غازياً عليها سنة (٥٢٥هـ/١١٣١م) (٢)، وكان يجمع بين الجهاد والعلم، حيث التف حوله عدداً من طلبة العلم في هذه المدينة بلغ عددهم حوالي ستة عشر طالباً.

أولاً: الطلبة المؤكّد لقائهم في بلنسية

التقى لقاء خمسة من الطلبة بأبي بكر بن العربي. وهم على النحو الآتي جاء ترتيبهم حسب تسلسل سنة وفاتهم:

١- أحمد بن معد بن عيسى بن وكيل التجيبي (ت: ٥١٥هـ/١٢١١م): يكنى أبا العباس، ويعرف بابن الاقليشي سكن دائية ورحل الى بلنسية، سمع الحديث بها من ابي بكر بن العربي وغيره (٣).

-
- (١) احكام القرآن ، ابن العربي، (دار الفكر، بيروت، ط ٢، ١٩٦٧م): ٩٥٥/٢ .
- (٢) مع القاضي ابي بكر بن العربي، اعراب، سعيد احمد (دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م): ٨١-٨٢.
- (٣) التكملة، ابن الابار : ١/ ٥٦-٥٧؛ الذيل، المراكشي: ١/ ٧١٩؛ نفح الطيب المقري، نفح الطيب: ٢/ ٥٩٨-٥٩٩؛ معجم البلدان، الحموي، شهاب الدين ابو عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي البغدادي، (دار صادر، بيروت، ط ٢، ١٩٩٥م): (مادة اقليش) ١/ ٢٣٧؛

- ٢- محمد بن يحيى بن محمد الانصاري (ت: ٥٤٧/١١٥٢م): يكنى أبا عبدالله وهو من أهل لرية من عمل بلنسية اخذ العلم والقراءات من مشيخة بلده، وأخذ أيضا فيها عن أبي بكر بن العربي وأجاز له في سنة (٥٢٢/١١٢٨م) (١).
- ٣- عبدالوهاب بن محمد بن أحمد التجيبي (ت: ٥٥٢/١١٥٧م): يعرف بالبقساني، ويكنى أبا العرب، سمع ابو بكر بن العربي في بلده بلنسية، خرج مع ابيه بعد سيطرت الروم على بلنسية فتجول في بلاد الأندلس ولقي في مدنها العديد من الشيوخ وسمع منهم (٢).
- ٤- طارق بن موسى بن طارق المعافري (ت: ٥٦٦/١١٧١م): من اهل بلنسية، يكنى أبا جعفر، اخذ القراءات من عدة شيوخ في بلده بعد سنة (٥٢٠/١١٢٦م)، كما وسمع من القاضي أبي بكر بن العربي في ترده غازياً على بلنسية سنة (٥٢٢/١١٢٨م) (٣).
- ٥- علي بن عبدالله بن خلف الانصاري (ت: ٥٦٧/١١٧٢م): يعرف بأبن النعمة ويكنى أبا الحسن، سمع من ابي بكر بن العربي اثناء مقدمة على بلنسية سنة (٥٢٢هـ) (٤).

ثانياً: الطلبة المرجح لقائهم في بلنسية

أما الطلبة الذين رُجِح لقائهم بأبي بكر بن العربي، فقد اعتمدنا على قرائن وردت في تراجمهم دلت على ذلك، وترتيب ورود اولئك الطلبة البالغ عددهم تقريباً حوالي أحد عشر طالباً جاء على فئتين هما:

اولاً: الطلبة الذين لم تذكر المصادر انهم غادروا بلنسية، وهم من سكنتها ولهم لقاء بابن العربي وجاء ترتيبهم حسب تسلسل تاريخ وفاتهم.

ثانياً: الفئة الثانية من الطلبة هم بالأصل من مدينة بلنسية ومن سكنتها، لكنهم تنقلوا الى مدن أندلسية اخرى ولهم لقاء بابن العربي، لذلك رجحنا لقائهم بابن العربي فيها.

شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ابن مخلوف، محمد بن محمد، (المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، د. ط، د.ت): ١ / ١٤٢.

- (١) التكملة، ابن الابار : ٢ / ١٢-١٣؛ غاية النهاية، ابن الجزري: ٢ / ٢٤٣.
- (٢) التكملة، ابن الابار: ٣ / ١٠٧-١٠٩؛ الذيل، المراكشي: ٣ / ٧٧.
- (٣) التكملة، ابن الابار: ١ / ٢٧٥-٢٧٦؛ الذيل، المراكشي: ٢ / ١٣٧؛ شجرة النور الزكية، ابن مخلوف: ١٤٨.
- (٤) المعجم، ابن الابار : ٢٨٦.

وبالنسبة لطلبة الفئة الأولى هم :

١- محمد بن عبدالرحمن بن خلسة اللخمي النحوي (ت: ٥٢٠/هـ ١٢٦٦م): من أهل بلنسية وأصله من شريون من اعمالها يكنى أبا عبدالله سمع أبو علي الصدفي أبا بكر بن العربي وصحبه، وكان ابن العربي يجله ويثني عليه بعلمه وتقدمه في علوم اللغة العربية وآدابها وربما زاره في منزله. اقرأ محمد اللخمي بدانية وبلنسية ثم الى المرية بأخره من عمره واقرأ هناك وبقي فيها حتى وفاته^(١). رجحنا أنه سمع ابن العربي ببلنسية لأنه من سكنتها ومنزله فيها وزاره ابن العربي.

٢- جعفر بن الحسن بن ابي البقاء الأموي (ت: ٥٤٠/هـ ١٤٥٥م): من أهل انده عمل بلنسية يكنى أبا بكر، سمع الحديث من أبي بكر بن العربي وغيره، وطلبه القاضي مروان بن عبدالعزيز لما بويع له بلنسية عند انقراض الدولة الممتونية للشهادة في بيعته فقال: "والله لا أفعل وبيعة تاشفين في عنقي ثم قال: اللهم اقبضني اليك فتوفي من ليلته ودفن من الغد"^(٢).

٣- محمد بن مروان بن يونس (ت: ٥٤٢/هـ ١٤٧٧م): من أهل لرية سكن بلنسية يعرف بأبن الأديب، يكنى أبا عبدالله سمع من أبي بكر بن العربي وطارق بن يعيش وغيرهما ، وولاه القاضي مروان بن عبدالعزيز خطة السوق اخذ عنه ابن عياد وكتب اشعاراً لابي بكر بن العربي^(٣).

أما الفئة الثانية من الطلبة فكان أصلهم من بلنسية لكنهم تنقلوا الى مدن أخرى وكان لهم لقاء بابن العربي وهم:

١- أحمد بن عبدالله بن خميس الأزدي (ت: ١٤٨٨/هـ ٧٦٥م): يكنى ابا جعفر، من أهل بلنسية، سمع أبو بكر بن العربي وأبو محمد القلني أبو مروان الصقيل وغيرهم، وفاته كانت بالجزائر عمل بجاية مما جعلنا نرجح انه ربما التقى بابن العربي في غير بلنسية^(٤).

(١) التكملة، ابن الابار : ١ / ٣٤٧-٣٤٨ ؛ المعجم، ابن الابار: ١٠٧ ؛ الذيل، المراكشي:

٣٣٧ / ٦ ؛ الوافي بالوفيات، الصفدي، صلاح الدين خليل بن ايبك، (دار إحياء التراث،

بيروت، د. ط، ١٤٢٠/هـ ٢٠٠٠م): ٣ / ١٩٢.

(٢) التكملة، ابن الابار: ١ / ١٩٥.

(٣) التكملة، ابن الابار: ٢ / ٤.

(٤) التكملة، ابن الابار: ١ / ٥٤ ؛ الذيل، المراكشي: ١ / ٣٢٧ ؛ الديباج المذهب، ابن

فرحون، ابراهيم بن علي بن محمد، (دار التراث للطباعة والنشر، القاهرة، د ط، د. ت):

١ / ٢٠٥.

٢- محمد بن الحسين بن أبي البقاء الأموي (ت: ٥٣٥هـ/١١٤١م): من أهل أندة عمل بلنسية يكنى أبا عبدالله، ويقال انهم من ولد عثمان بن عفان (رضي الله عنه) روى عن أبي بكر بن العربي وغيره، توفي بـ أندة (١).

المبحث الثالث

مدينة قرطبة

وهي المدينة الثالثة التي دخلها أبو بكر بن العربي بعد عودته من الرحلة المشرقية، زارها بعد المحنة التي تعرض لها في إشبيلية وانصرافه عن القضاء الذي تولاه بعد عودته من المشرق والذي أظهر فيه كفاءة نادرة دلت على تضلعه الواسع في علوم الشريعة، وغيره ملتبهة على حقوق الضعفاء والوقوف الى جانب المظلومين. الا أن الغوغاء ثارت في وجهه ونكب، فانصرف عن القضاء أو صرف عنه بعد سنة وبضعة أشهر^(١)، وبسبب ذلك التحق بقرطبة وبها كثير ممن يريد الاخذ عنه، فانقطع فيها للعلم والبحث واستراح من أعباء القضاء^(٢). وفي قرطبة التف حول ابن العربي العديد من الطلبة حتى زاد عددهم بها وبلغ تقريبا كما ورد ذكرهم في كتاب التكملة لكتاب الصلة لابن الابار حوالي ثلاثين طالب .

اولا: الطلبة المؤكد لقاءهم في قرطبة

يبلغ عددهم ثلاثة عشر منهم أؤكد لقاءهم بأبي بكر بن العربي، وتقسيم هؤلاء التلاميذ جاء على فئتين:

الاولى : الطلبة الذين كان أصلهم من قرطبة.

الثانية : الطلبة الذين رحلوا الى قرطبة وسمعوا فيها من أبي بكر بن العربي .

طلبة الفئة الاولى المؤكد لقاءهم بابن العربي والذين كانوا من قرطبة نفسها فهم:

١- ابراهيم بن يحيى بن ابراهيم بن يحيى بن سعيد(ت: ٥٤٤هـ/١١٤٠م) من اهل قرطبة سمع فيها من أبي بكر بن العربي، يكنى أبا اسحاق ويعرف بابن الأمين، نجى من القتل في الفتنة القرطبية^(٣) .

٢- محمد بن عبد الرحمن بن احمد بن مخلوف (د.ت) من اهل قرطبة يكنى ابا الوليد سمع ابا بكر بن العربي واكثر عنه ، كما وسمع غيره من الشيوخ واجاز له آخرون^(٤) .

(١) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ابن عذاري، ابو عبدالله محمد بن محمد المراكشي، (دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط٣، ١٩٨٣م): ٩٣/٤ .

(٢) بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس، الضبي، ابو جعفر احمد بن يحيى بن احمد بن عميرة، (دار الكتاب العربي، القاهرة، د. ط، ١٩٦٧م) : ٩٤ .

(٣) المعجم، ابن الابار: ٦٣ .

(٤) التكملة، ابن الابار: ٣٠/٢؛ الذيل، المراكشي: ٣٧٠/٤

- طلبة الفئة الثانية تراجمهم وتسلسلهم حسب تاريخ وفاتهم وعلى النحو الآتي:
- ١- ادريس بن يحيى بن يوسف الواعظ (د. ت): كان من اهل اشبيلية، سمع بالمريّة سنة (٥٠٦هـ/١١٢م) من أبي علي. وسمع قبل ذلك بإشبيلية جامع الترمذي من أبي القاسم الحسن بن عمر الهوزني سنة (٤٩٦هـ/١٠٣م)، وتأخرت وفاته فسمع بقرطبة من ابي بكر بن العربي سنة (٥٣١هـ/١١٣٧م)^(١).
 - ٢- سليمان بن عبدالمك بن رويبل العبدي (ت: ٥٣٠هـ/١١٣٦م): يعرف بأبن مهريال يكنى أبا الوليد، من أهل بلنسية واصله من ثغورها، رحل الى قرطبة فسمع بها من أبي محمد بن عتاب وأبي بكر بن العربي وطبقتهما. توفي بإشبيلية^(٢).
 - ٣- عبدالرحمن بن عبدالمك بن عبدالرحمن الانصاري السرقسطي (ت: ٥٤١هـ/١١٤٦م): من أهل قرطبة يكنى أبا الحكم ويعرف بابن غشليان، لقي أبا بكر بن العربي بقرطبة سنة (٥١٨هـ/١٢٤م)، فأجاز له هو وأبو محمد بن عتاب حدث وأخذ عنه الناس^(٣).
 - ٤- عبدالله بن أحمد بن عمرو (ت: ٥٤٦هـ/١١٦٩م): يكنى أبا محمد، من أهل شلب لقي بإشبيلية سنة (٥٣١هـ/١١٣٧م)، ولقي بقرطبة أبا بكر بن العربي فسمع منه. كما قرأ التلقين لعبد الوهاب على ابن العربي في مجلس واحد وبقرعته سمع أبو بكر بن خير. وذلك كان في سنة (٥٣٢هـ/١١٣٨م)^(٤).
 - ٥- محمد بن يوسف بن عميرة الانصاري (ت: ٥٤٩هـ/١١٥٤م): يكنى أبا عبدالله من أهل اوريوالة اخذ بقرطبة عن أبي بكر بن العربي وغيره. توفي بأريولة^(٥).

ثانيا: الطلبة المرجح لقاءهم في قرطبة

بعد أن تكلمنا عن الطلبة الذي كان لقاءهم بابن العربي مؤكداً وذكرنا تراجمهم وتسلسلهم حسب تاريخ وفاتهم سوف نقوم بذكر الطلبة المرجح لقاءهم بابن العربي، حيث قمنا

(١) المعجم، ابن الابار: ٦٨/١.

(٢) التكملة، ابن الابار: ٩٢-٩٣/٤؛ الذيل، المراكشي: ٧٢/٢؛ الصلة، ابن بشكوال: ٢٠١/١.

(٣) المعجم، ابن الابار: ٢٣٥.

(٤) التكملة، ابن الابار: ٢/٢٦٠-٢٦١؛ المعجم، ابن الابار: ٢٣٣؛ فهرسة ابن خير، ابن خير، ابو بكر محمد بن خليفة اللمتوني الاموي الاشبيلي، (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٩هـ)، ص ٢١٠.

(٥) التكملة، ابن الابار: ١٥/٢؛ المعجم، ابن الابار: ١٦٣.

بتقسيمهم الى مجموعتين ، المجموعة الأولى: الطلبة الذين كانوا من أهل قرطبة نفسها، وكان لهم لقاء بأبن العربي، ترتيبهم جاء حسب تسلسل تاريخ وفاتهم كما ورد في المصادر القريبة من الحدث، المجموعة الثانية: الطلبة الذين كانوا من أهل قرطبة لكنهم رحلوا الى مدن أندلسية أخرى سمعوا من ابن العربي وكان لهم روايات عنه.

وفيما يلي ذكر لتراجم طلبة المجموعة الأولى وعلى النحو الآتي:

١- يحيى بن محمد بن أحمد الانصاري (ت: ٥٠٧هـ/١١١٣م): من أهل قرطبة يعرف بالأركشي ويكنى أبا بكر، روى عن أبي بكر بن العربي وغيره، كان قد توفي مقتولاً في داره بقرطبة (١).

٢- سعد بن خلف المقرئ (ت: ٥٤٢هـ/١١٤٧م): من أهل قرطبة يكنى أبا الحسن، سمع من أبي بكر بن العربي وغيره (٢).

٣- أحمد بن عبدالرحمن بن ربيع الأشعري (ت: ٥٤٩هـ/١١٥٤م): يكنى أبا عامر وهو من أهل قرطبة، وصحب أبا بكر بن العربي وأكثر عنه (٣).

٤- مغيث بن يونس بن محمد الانصاري (ت: ٥٥٢هـ/١١٥٧م): يكنى أبا يونس بن الصفار، من أهل قرطبة، له رواية عن أبي بكر بن العربي وغيره (٤).

٥- يزيد بن عبدالجبار بن عبدالله المرواني (ت: ٥٦٢هـ/١١٦٧م): من أهل قرطبة، يكنى ابا خالد. له رواية عن أبي بكر بن العربي وغيره، انتقل الى الزهراء ثم رجع الى قرطبة (٥).

أما طلبة المجموعة الثانية الذين كانوا من أهل قرطبة، وكان لقاؤهم مرجحاً بابن العربي لكنهم رحلوا الى مدن أندلسية أخرى جاء تسلسلهم حسب تاريخ وفاتهم، وعلى النحو الآتي:

١- علي بن محمد بن أحمد بن فيد الفارسي (ت: ٥٦٧هـ/١١٧٢م): يكنى أبا الحسن، روى عن أبي بكر بن العربي وغيره الكثير من الشيوخ رجل حاجاً سنة (٥٣٠هـ/١١٣٦م)،

(١) التكملة، ابن الأبار: ٤ / ١٨٢ ؛ .

(٢) التكملة، ابن الأبار: ٤ / ١٠٦ ؛ غاية النهاية، ابن الجزري: ١ / ٢٧٥ ؛ بغية الوعاة في

طبقات اللغويين والنحاة، السيوطي، عبد الرحمن بن ابي بكر جلال الدين، بغية الوعاة في

طبقات اللغويين والنحاة، (المكتبة العصرية، لبنان، صيدا، د. ط، د.ت): ١ / ٥٧٨ .

(٣) المعجم، ابن الأبار: ٣٧ .

(٤) المعجم، ابن الأبار: ١٩٦ .

(٥) التكملة، ابن الأبار: ٤ / ٢٣٣ .

- خرج من قرطبة في الفتنة بعد سنة (٥٤٠هـ/١١٤٥م)، فنزل كورة الش من اعمال مرسيه وولي الصلاة والخطبة بجامعها مدة كان الناس يقصدونه للسمع منه^(١).
- ٢- محمد بن محمد بن أحمد بن بيطير التحبيبي (ت: ٥٧١هـ/١١٧٥م): من أهل قرطبة، يكنى أبا القاسم ويعرف بابن الحاج سمع من أبي بكر بن العربي وغيره. ولي قضاء الجماعة ببلده قرطبة ثم خرج منها في الفتنة وتجول ببلاد الأندلس واستقر بمرسيه ثم سار الى ميورقة سنة (٥٦٧هـ/١١٧٢م) توفي في إشبيلية^(٢).
- ٣- محمد بن عبدالملك مسعود بن بشكوال الانصاري (ت: ٥٧٩هـ/١١٨٣م): من أهل قرطبة يكنى أبا عبدالله روى عن وأبي بكر بن العربي وأجاز له أبو محمد بن عتاب وأبو علي بن سكرة^(٣).
- ٤- محمد بن عبدالعزيز بن علي بن عيسى بن مختار الغافقي (ت: ٥٧٩هـ/١١٨٣م): من أهل قرطبة، يكنى أبا الحسن ويعرف بالشقوري لأن أصله منها، سمع من أبي بكر بن العربي وغيره، كان يرحل في المدن الأندلسية من أجل سماع الحديث وسمع من ابن العربي ربما في قرطبة لأنه من أهل قرطبة او من غير مدينة قرطبة لأنه رحاله^(٤).
- ٦- عبدالرحمن بن محمد بن محمد بن مسلمة (ت: ٥٨٥هـ/١١٨٩م): من أهل قرطبة، يكنى أبا الحسن، روي عن أبي بكر بن العربي وغيره، نزل إشبيلية وولي الصلاة والخطبة بجامعها^(٥).

(١) التكملة، ابن الابار: ٣ / ٢٠٨-٢٠٩ ؛ الذيل، المراكشي: ٣ / ٢٣٣ ؛ بغية الملتمس، الضبي: ٤١٤.

(٢) التكملة، ابن الابار: ٢ / ٤٥ ؛ المعجم، ابن الابار: ١٨٤ .

(٣) التكملة، ابن الابار: ٢ / ٥١-٥٢ ؛ المعجم، ابن الابار ، ص: ١٨٥ ؛ الذيل، المراكشي: ٤ / ٤٤٥ .

(٤) التكملة، ابن الابار: ٢ / ٥٣-٥٤ ؛ الذيل، المراكشي: ٤ / ٤٢٢ .

(٥) التكملة، ابن الابار: ٣ / ٣٧ ؛ صلة الصلة، الغرناطي: ١٣٨ .

المبحث الرابع

مدينة غرناطة

أما غرناطة فقد كانت المدينة الرابعة التي دخلها أبو بكر بن العربي وأخذ عنه فيها عددٌ من الطلبة وحسب التسلسل الزمني الذي ورد في المصادر المعاصرة للحدث الغنيمة لمؤلفه القاضي عياض، والصلة لابن بشكوال والتكملة لابن الأبار وغيرها. وقد رحل إلى غرناطة عدد من العلماء الذين كان من بينهم القاضي الفقيه أبو بكر بن العربي وربما كانت من ضمن خط سير رحلته حيث كانت في طريق ذهابه إلى وجهة أخرى على الأرجح مراكز التي دخلها في الآونة الأخيرة من حياته، وفي غرناطة انف حول أبي بكر بن العربي عددٌ من الطلبة الذين أخذوا من علمه واستمعوا له بلغ عددهم فيها حوالي ثلاثة وعشرين طالباً، اثنان منهم كان لقاؤهم بابن العربي مؤكداً وهما:

- ١- محمد بن جابر بن يحيى بن ذي النون الثعلبي، (٦٠٥ هـ/١٢٠٨م): من أهل غرناطة يكنى أبا الحسن ويعرف بابن الرمالية سمع ببلده أبي بكر بن العربي وغيره^(١).
- ٢- محمد بن علي بن خلف المحاربي، (د.ت): من أهل غرناطة يكنى أبا عبدالله كان من أهل العناية بالرواية، أخذ الخط النميري معه عن أبي بكر بن العربي في اجتيازه بغرناطة^(٢).

أما الطلبة المرجح لقائهم بابن العربي في غرناطة يمكن تقسيمهم إلى مجموعتين، المجموعة الأولى الطلبة الذين كانوا من أهل غرناطة نفسها، ولم يذكر في تراجمهم أنهم رحلوا إلى مدن أندلسية أخرى، وكان لهؤلاء الطلبة لقاء بابن العربي والسماع منه، وترتيبهم جاء حسب تسلسل وفاتهم كما ذكر في المصادر وعلى النحو الآتي:

- ١- يحيى بن محمد بن يوسف الانتصاري، (ت: ٥٧٠هـ/١١٧٥م): الذي كان من أهل غرناطة، يكنى أبا بكر، ويعرف بابن الصيرفي، أخذ العلم عن العالم الحافظ أبي بكر بن العربي وغيره^(٣).

(١) التكملة، ابن الأبار : ٩٢-٩٣ ؛ الذيل، المراكشي: ٤ / ١٦٢ ؛ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، الذهبي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد، تحقيق، (دار الغرب الإسلامي، د. م، ط١، ٢٠٠٣ م) : ١٣ / ١٢٢ .

(٢) التكملة، ابن الأبار : ٧ / ٢ ؛ الذيل، المراكشي: ٤ / ٤٨٧ .

(٣) الاحاطة في اخبار غرناطة، ابن الخطيب، أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن سعيد السليمانى، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ): ٤ / ٣٤٨ .

- ٢- محمد بن عبدالرحمن بن عبدالعزيز الازدي، (ت: ٥٨٤هـ/١١٨٨م): من أهل غرناطة، يكنى أبا بكر ويعرف بالفتندي لأن أصله منها، روى عن أبي بكر بن العربي وغيره^(١).
- ٣- يزيد بن محمد بن يزيد بن رفاعة اللخمي، (ت: ٥٨٨هـ/١١٩٢م): من أهل غرناطة، يكنى ابا خالد ويعرف بأبن الصفار، سمع من ابي بكر بن العربي وغيره^(٢).
- ٤- محمد بن أحمد بن محمد السلمي، (ت: ٥٩٠هـ/١١٩٤م): من أهل غرناطة، يكنى أبا عبدالله ويعرف بابن عروس سمع من أبي بكر بن العربي^(٣).
- ٥- أحمد بن علي بن حكم القيسي العطار، (ت: ٥٩٨هـ/١٢٠٢م): من أهل غرناطة، يعرف بالحصار، ويكنى أبا جعفر اجاز له أبا بكر بن العربي وغيره توفي ببلده غرناطة^(٤).
- ٦- محمد بن الحسن بن ابراهيم الانصاري، (د. ت): من أهل غرناطة، يعرف بابن بداوة، ويكنى أبا عبدالله سمع من أبي بكر بن العربي المسلسلات^(٥) من جمعه^(٦).
- ٧- عبدالحق بن محمد بن عبدالعزيز الجمحي، (د. ت): أصله من مرسية وسكن غرناطة، يكنى ابا محمد، روى عن ابي بكر بن العربي وغيره^(٧).
- ٨- يوسف بن عبدالرحمن بن جزى الكلبي، (د. ت): من أهل غرناطة، يكنى أبا الحكم، روى عن أبي بكر بن العربي وغيره^(٨).

أما عن المجموعة الثانية من الطلبة فكانوا من أهل غرناطة لكنهم رحلوا وتجولوا في مدن أندلسية أخرى ولهم رواية وسماع من أبي بكر بن العربي وهم على النحو الآتي:

١- محمد بن ابراهيم بن خيرة (ت: ٥٦٤هـ/١١٦٩م): يكنى أبا القاسم ، ويعرف بابن المواعيني حرفة أبيه، من أهل قرطبة روى عن أبي بكر بن العربي^(٩).

(١) التكملة، ابن الابار: ٥٩ / ٢ ؛ الذيل، المراكشي: ٣٨١ / ٤ .

(٢) التكملة، ابن الابار: ٢٣٤ / ٤ .

(٣) التكملة، ابن الابار: ٦٨ / ٢ ؛ الذيل، المراكشي: ٣٦ / ٤ ؛ غاية النهاية، ابن الجزري:

٧٣_ ٧٤ ؛ بغية الوعاة، السيوطي: ٣٨ / ١ .

(٤) التكملة، ابن الابار: ٨٢ / ١ ؛ الذيل، المراكشي: ٤٧٩ / ١ ؛ غاية النهاية، غاية النهاية

: ٨٠ / ١ .

(٥) من مؤلفات أبي بكر بن العربي.

(٦) التكملة، ابن الابار: ٧٩ / ٢ ؛ الذيل، المراكشي: ١٧٤ / ٤ .

(٧) التكملة، ابن الابار: ١٢٣ / ٣ ؛ غاية النهاية، ابن الجزري: ٣٢٦ / ١ .

(٨) التكملة، ابن الابار: ٢١٥ / ٤ .

(٩) الاحاطة، ابن الخطيب: ٢٢٣ / ٢ .

- ٢- يحيى بن محمد بن هاني التغلبي، (ت: ٥٦٧هـ/١١٧٢م): من أهل غرناطة ويعرف بابن الرمالية ويكنى أبا بكر، سمع من أبي بكر بن العربي، رحل حاجاً سنة (٥٣٠هـ/١١٣٦م) فأدى الفريضة وسمع بمكة والإسكندرية ثم قفل راجعاً الى بلده ثم خرج منها في الفتنة بعد سنة (٥٤٠هـ/١١٤٥م) الى المرية ثم الى اوربولة وتوفي فيها^(١).
- ٣- عبدالله بن محمد بن سهل الضرير، (ت: ٥٧١هـ/١١٧٥م): من أهل غرناطة، كتب اليه أبو بكر بن العربي وغيره، توفي بمرسية^(٢).
- ٤- عبدالرحمن بن أحمد بن أحمد الازدي، (ت: ٥٧٦هـ/١١٨٠م): من أهل غرناطة يعرف بابن القصير، ويكنى أبا جعفر، روى عن أبي بكر بن العربي وغيره، امتحن بالتجول في البلاد ورحل عن الأندلس بنية الحج فاستقضى ببعض بلاد افريقيا وحدث بتونس سنة (٥٧٤هـ/١١٧٨م) ثم ركب البحر لأداء الفريضة فاستشهد بمرسى تونس^(٣).
- ٥- يوسف بن ابراهيم بن عثمان العبدري، (ت: ٥٧٩هـ/١١٨٣م): من أهل غرناطة، يكنى أبا الحجاج ويعرف بالثعري لأن أصل أبيه من بلغى من ثغور لاردة ومنها انتقل الى غرناطة، لقي أبي بكر بن العربي وغيره، خرج من وطنه في الفتنة فنزل نواحي مرسية في قليوشة فأقام بها يقرأ القرآن ويتولى الصلاة والخطبة بجامعة حياته كلها^(٤).
- ٦- عبدالمنعم بن محمد بن عبدالرحيم الخزرجي (ت: ٥٩٧هـ/١٢٠١م): من أهل غرناطة ويعرف بابن الفرس يكنى أبا محمد، اجاز له طائفة كثيرة منهم أبو بكر بن العربي^(٥).
- ٧- أحمد بن عبدالله بن أحمد بن شراحيل الهمداني، (ت: ٦٠٦هـ/١٢٠٩م): من أهل غرناطة يكنى أبا جعفر وأبا العباس وَاجاز له أبي بكر بن العربي وغيره^(٦).
- ٨- محمد بن عبدالله بن محمد المقرئ، (د. ت): من أهل غرناطة يعرف بابن الغاسل ويكنى أبا عبدالله سمع أبا عبدالله النميري وصحبه طويلاً وهو علمه وأفاده وتنبه الى لقاء الشيوخ والأخذ عنهم ورحل به للسمع منهم ولقي جلة من المحدثين منهم أبو بكر بن العربي^(٧).

(١) التكملة، ابن الأبار : ١٧٥-١٧٦.

(٢) المعجم، ابن الأبار : ٢٢٨.

(٣) التكملة، ابن الأبار : ٣٠ / ٣ .

(٤) التكملة، ابن الأبار : ٢١٣- ٢١٤ ؛ المعجم، ابن الأبار : ٣١٩ .

(٥) شجرة النور الزكية، ابن مخلوف، ص: ١٥٠؛ التكملة، ابن الأبار : ١٢٧-١٢٨

وما بعدها ؛ بغية الوعاة، السيوطي : ١١٦ / ٢ ؛ نفح الطيب، المقرئ : ١٦٤ .

(٦) التكملة، ابن الأبار : ٨٧-٨٨ ؛ الذيل، المراكشي : ٣١٩ .

(٧) التكملة، ابن الأبار : ٤٤-٤٥ ؛ الذيل، المراكشي : ٣٣٧ / ٤ .

المبحث الخامس

مدينة المرية

مدينة تقع جنوب شرق الأندلس على البحر المتوسط، منها يركب التجار وفيها تحل مراكبهم، كما يوجد فيها مرفأ للسفن والمراكب، دخلها الإفرنج سنة (٥٤٢هـ/١١٤٧م) ثم استردها العرب المسلمون سنة (٥٥٢هـ/١١٥٧م)^(١).

كانت المرية خامس المدن الأندلسية التي رحل اليها ابن العربي وحسب التسلسل التاريخي ويبدو ان سبب دخوله اليها نفسه سبب دخوله غرناطة اي ضمن خط سير رحلته الى مراكش ، والمرية حالها حال بقية المدن الأندلسية التي رحل اليها ابن العربي فأخذ ابن العربي يبيث علمه فيها فالتفت حوله الطلبة ممن يريد السماع منه والأخذ عنه لكن عددهم كان قليل مقارنة مع بقية المدن سالفة الذكر حيث لا يتجاوز عدد تلاميذه بها اثني عشر تلميذاً، جميعهم لقاؤهم بابن العربي مرجح ربما كان سبب مكوثه قصير جدا حيث كانت اخر محطة له قبل عبوره الى مراكش. ما عدا واحد من الطلاب وهو محمد بن جعفر بن أحمد بن خلف بن حميد الانصاري،(ت: ٥٨٦هـ/١١٩٠م) الذي كان لقاؤه بابن العربي مؤكداً، وكان من أهل بلنسية، رحل الى غرناطة فأخذ القراءات بها عن أبي الحسن بن ثابت وغيره، ثم دخل المرية في سنة (٥٣٩هـ/١١٤٤م)، فلقى بها القاضي أبا محمد بن عطية وسمع منه كما وأجاز له عدد من الشيوخ منهم القاضي الفقيه أبو بكر بن العربي(ربما كانت الإجازة عن طريق المراسلة لكن الذي جعلنا نستنتج انه لقي ابن العربي في المرية لم يرد في الترجمة انه غادر المرية في هذه السنة) ، ثم قفل الى بلده بعلم جم ورواية عالية فأقرأ وحدث وعلم بالعربية وأخذ عنه الناس، ولي قضاء بلنسية أعواماً عديدة كان عدلاً في أحكامه جزلاً في رأيه صلباً في الحق سمع منه ابو عبدالله بن حميد^(٢).

أما الطلبة المرجح لقاؤهم بأبن العربي، تم تقسيمهم الى مجموعتين، المجموعة الأولى الطلاب الذين كانوا من أهل المرية او من سكنتها ويقوا فيها ولهم رواية أو سماع عن ابن العربي. والمجموعة الثانية من الطلاب فكانوا من أهل المرية لكنهم رحلوا وتجولوا في مدن أندلسية أخرى ولهم رواية أو سماع عن أبي بكر بن العربي.

(١) معجم البلدان، الحموي: ١١٩/٥.

(٢) التكملة، ابن الأبار: ٦٢/٢ ؛ الذيل، المراكشي: ٤/ ص ١٦٣ ؛ سير اعلام النبلاء، الذهبي،(مؤسسة الرسالة، د. م، ط٣، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م): ٢١/٢٦٧؛ الاحاطة، ابن الخطيب: ٤٩/٣ .

وفيما يلي ذكر لتراجم طلبة المجموعة الأولى وتسلسلهم حسب تاريخ وفاتهم:

- ١- محمد بن يحيى بن سميدع، (ت: ٥٤٠هـ/١٤٥٠م): من أهل برشانة عمل المرية يكنى أبا القاسم ويكنى أبوه أبا بكر سمع من أبي علي الصدفي بالمرية سنة (٥٠٥هـ/١١١١م) وله أيضاً رواية عن أبي بكر بن العربي وكان من بيت نباهة وعناية بالعلم^(١).
- ٢- عبدالله بن علي بن عبدالله اللخمي، (ت: ٥٤٢هـ/١١٤٧م): من أهل اوربولة، سكن المرية، نقل إليها ابن ستة أعوام، نشأ بها، وطلب العلم فيها حتى عد من أهلها، أجاز له أبي بكر بن العربي وسمع منه سبعاياته^(٢)، استشهد في المرية عند تغلب الروم عليها^(٣).
- ٣- محمد بن عبدالرحمن بن احمد الفهمي، (ت: ٥٤٤هـ/١١٤٩م): من أهل المرية وأصله من قرطبة انتقل أبوه إليها يعرف بابن أبي يزيد ويكنى أبا عبدالله، سمع من أبي بكر بن العربي^(٤).
- ٤- أحمد بن محمد بن عبدالله الانصاري، (ت: ٥٨١هـ/١١٨٥م): من بادية بلنسية سكن المرية ونشأ بها يكنى أبا العباس ويعرف بابن اليتيم أخذ القراءات عن العديد من الشيوخ وسمع من أبي بكر بن العربي وغيره، اقرأ بجامع المرية وأخذ عنه الناس وسمعوا منه^(٥).
- ٥- محمد بن أحمد بن سعيد الغساني، (٥٤١هـ/١١٤٦م): من أهل المرية، يكنى أبا عبدالله سمع أبا بكر بن العربي وغيره، وولي الصلاة والخطبة ببلده وحدث وأخذ عنه^(٦).
- ٦- محمد بن أحمد بن خلف اليجصبي (د.ت): من أهل المرية وأصله من دانية انتقل أبوه إليها يكنى أبا القاسم روى عن أبي بكر بن العربي^(٧).

(١) التكملة، ابن الأبار : ١ / ٣٦٦ .

(٢) من مؤلفات أبي بكر بن العربي.

(٣) المعجم، ابن الأبار ، المعجم: ٢١٧ .

(٤) بغية الملتمس، الضبي: ١٠١؛ التكملة، ابن الأبار: ٢ / ٧ ؛ المعجم، ابن الأبار، ص:

١٥٨ ؛ المراكشي، الذيل: ٤ / ٣٧١؛ بغية الوعاة، السيوطي: ١ / ١٥٣ .

(٥) التكملة، ابن الأبار: ١ / ٧٥-٧٦ ؛ المعجم، ابن الأبار: ٥٣ ؛ الذيل، المراكشي:

١ / ٦٠٧ ؛ بغية الدعاة ، السيوطي: ١ / ٣٦٧ .

(٦) التكملة، ابن الأبار : ١ / ٣٦٦-٣٦٧ ؛ المعجم، ابن الأبار: ١٥٠ - ١٥١ ؛ الذيل،

المراكشي: ٣ / ٥٤٣.

(٧) التكملة، ابن الأبار : ٢ / ٤٢ .

أما طلبة المجموعة الثانية الذين كانوا من أهل المرية لكنهم تحولوا في مدن أندلسية أخرى ولهم رواية او سماع من ابن العربي وهؤلاء الطلبة:

- ❖ محمد بن عبدالرحمن بن أحمد اللخمي النحوي،(ت: ٥٢١هـ/١١٢٧م): يكنى أبو عبدالله من أهل بلنسية وأصله من شريون عملها، سكن دانية والمرية له رواية عن أبي بكر بن العربي وكثيرا ما كان يخالطه بالصاحب، وهو أحد من روى عنه، وتوفي قبله بمدة^(١).
- ❖ ابراهيم بن صالح بن ابراهيم المرادي،(ت: ٥٤٧هـ/١١٥٢م): من أهل المرية يكنى أبا اسحاق ويعرف بابن السّامد، سمع من أبي بكر بن العربي وغيره، ولما تغلب العدو على المرية نزل مدينة لورقا وولي القضاء بها، وتوفي بلورقة^(٢).
- ❖ محمد بن أبي بكر بن أبي الخليل التميمي،(ت: ٥٥٧هـ/١١٦٢م): من أهل المرية ويعرف بابن ولم ، يكنى أبا بكر روى عن أبي بكر بن العربي وغيره، خرج من وطنه ونزل بعض نواحي بلنسية وخطب هنالك توفي ببعض جهات شاطبة^(٣).
- ❖ ابراهيم بن يوسف بن ابراهيم الوهراني،(ت: ٥٦٩هـ/١١٧٤م): وشهر بالحمزي لأن أصله من حمزة موضع بناحية المسيلة عمل بجاية يكنى أبا اسحاق ويعرف بابن قرقول ولد بالمرية ونشأ بها، روى عن جماعة كبيرة وطائفة جليلة من بينهم أبي بكر بن العربي، ولم يزل بمالقة الى أن انتقل منها الى سبتة سنة(٥٤٦هـ/١١٥١م)، ثم سلا، وتوفي بمدينة فاس^(٤).
- ❖ منصور بن خميس بن محمد اللخمي،(د.ت): من أهل المرية يكنى أبا القاسم وأبا علي روى عن أبي بكر بن العربي وغيره. رحل حاجاً فنزل الاسكندرية وسمع منه أبو عبدالله بن عطية الداني سنة (٥٩٦هـ/١٢٠٠م)، وحدث عنه في الإجازة أبو العباس العزفي وغيره^(٥).

(١) المعجم، ابن الابار : ١١٧.

(٢) التكملة، ابن الابار : ١ / ١٢٧ ؛ المعجم، ابن الأبار، ص: ٦٥.

(٣) التكملة، ابن الابار : ٢ / ٢٤ ؛ الذيل، المراكشي: ٤ / ١٥٣.

(٤) التكملة، ابن الابار: ١ / ١٣٠-١٣١؛ وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن أحمد،(دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٤م) : ١ / ٦٢-٦٣ ؛ سير اعلام النبلاء، الذهبي: ٢٠/٥٢٠؛شذرات الذهب في أخبار من ذهب، الحنبلي، عبد الحي بن أحمد بن محمد،(دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م) : ٣٨٢/٦.

(٥) التكملة، ابن الأبار: ٢ / ١٩٣؛ غاية النهاية، ابن الجزري : ٢ / ٢٧٢.

طلبة أبي بكر بن العربي (ت: ٥٤٣هـ/١١٤٨م) ... رقية جاسم و د. علياء هاشم

❖ يوسف بن فتوح بن محمد القرشي، (د. ت): يكنى أبا الحجاج ويعرف بالعشّاب من أهل المريّة له رواية عن أبي بكر بن العربي وغيره، ورحل حاجاً، فأدى الفريضة وانصرف الى المغرب ونزل بمدينة فاس، وحدث بها سنة (٥٦١هـ/١١٦٦م) او (٥٦٢هـ/١١٦٧م)^(١).

(١) المعجم، ابن الابار : ٣١٩.

الخاتمة

ذاع صيت أبي بكر بن العربي في الأندلس ، وصل بجده واجتهاداته وطلبه للعلم درجة علمية رفيعة اصبح بموجبها محط انظار طلاب العلم وصار الكثيرون يتوافدون اليه في سبيل الاعتراف من علمه والاستماع في مجالسه ، فوفدوا اليه جماعات وافرادا متحدين الصعاب كي يتعلموا منه، وبذلك كثر طلبته حتى اصبح رؤوس العلم منهم ، وكان لدخوله أكثر من مدينة أندلسية دور مهم في ذلك. ونستنتج مما سبق ذكره من تنقلات أبي بكر بن العربي في المدن الأندلسية :

- ١- ان مدينة إشبيلية الواقعة جنوب غرب شبه الجزيرة الايبيرية على ضفاف نهر الوادي الكبير ، هي اول مدينة دخلها ابن العربي بعد عودته من الرحلة المشرقية وكان ذلك في سنة (٤٩٥هـ/١١٠٢م) وهذا امر طبيعي لأنها مدينته التي نشأ بها ومستقرة فحط رحاله بها.
- ٢- اما مدينة بلنسية في شرق الأندلس شرقي مدينة تدمير وقرطبة فكانت المدينة الثانية التي دخلها ابن العربي وحسب التوقيينات الزمنية التي توفرت لدينا فدخلها ابن العربي غازيا في سنة (٥٢٥هـ/١١٣١م)، حيث شارك ابن العربي في هذه السنة بمعركة قنتدة التي حدثت فيها.
- ٣- اما بالنسية لمدينة قرطبة فلم توضح المصادر بشكل صريح عن سنة دخول ابن العربي اليها غير أنها ذكرت انه دخلها بعد النكبة التي تعرض لها وأدت باعتزاله القضاء بعد سنة وبضعة أشهر من توليه له سنة (٥٢٨هـ/١١٣٨م)، لذلك رجحنا انه دخلها ربما في سنة (٥٣٠هـ/١١٣٦م) او في سنة (٥٣١هـ/١١٣٧م)، وفيما يخص المدينتين الأندلسيتين غرناطة والمرية الواقعتين جنوب شرق الأندلس فلم تذكر المصادر سنة دخول ابن العربي اليها فربما كانت من ضمن خط سيره الى مراكش في الاونه الاخيرة من حياته سنة (٥٤٣هـ/١١٤٨م).

ثبت المصادر

أولاً: المصادر الاولية

- ❖ احكام القرآن، ابن العربي، ابو بكر، محمد بن عبدالله بن محمد الاشيلي ، (ت: ٥٤٣هـ/ ١١٤٨م)، (دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٩٦٧م).
- ❖ بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ،الضبي، احمد بن يحيى بن احمد بن عميرة، ابو جعفر الضبي، (ت: ٥٩٩هـ/ ١٢٠٣م)، (دار الكتاب العربي، القاهرة، د. ط، ١٩٦٧م).
- ❖ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، السيوطي، عبد الرحمن بن ابي بكر، جلال الدين السيوطي ،(ت: ٩١١هـ/ ١٥٠٥م)، (المكتبة العصرية، لبنان، صيدا، د. ط، د.ت).
- ❖ البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ابن عذاري، ابو عبدالله محمد بن محمد بن عذاري المراكشي، (ت: ٦٩٥هـ/ ١٢٩٦م)، (بيروت، لبنان، ط٣، ١٩٨٣م) .
- ❖ تذكرة الحفاظ، الذهبي ، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن احمد،(ت: ٧٤٨هـ/١٣٤٧م)، (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١٤١٩، ١٩٩٨م).
- ❖ التكملة لكتاب الصلة، ابن الابار، محمد بن عبدالله بن ابي بكر القضاعي البلنسي، (ت: ٦٥٩هـ/١٢٦٠م)،(دار الفكر، لبنان، د. ط، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م).
- ❖ الديباج المذهب في معرفة اعيان علماء المذهب، ابن فرحون، ابراهيم بن علي بن محمد برهان الدين اليعربي،(ت: ٧٩٩هـ/ ١٣٩٧م)،(القاهرة، دار التراث للطباعة والنشر، القاهرة، د. ط، د.ت).
- ❖ الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، المراكشي، ابو عبدالله محمد بن محمد بن عبد الملك الانتصاري الاوسي المراكشي، (ت: ٧٠٣هـ/١٣٠٤م)،(دار الغرب الاسلامي، تونس، د. ط، ٢٠١٢م).
- ❖ سير اعلام النبلاء، الذهبي، شمس الدين ابو عبدالله محمد بن احمد،(ت: ٧٤٨هـ/١٣٤٧م)،(مؤسسة الرسالة، د. م، ط٣، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م).
- ❖ صلة الصلة، الغرناطي، ابي جعفر، احمد بن ابراهيم الغرناطي، (ت: ٧٠٨هـ/ ١٣٠٨م)،(مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م) .
- ❖ الصلة في تاريخ ائمة الأندلس، ابن بشكوال، ابو القاسم خلف بن عبد الملك ب بشكوال ،(ت: ٥٧٨هـ/١١٨٢م) ،(مكتبة الخانجي، د. م، ط٢، ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م).
- ❖ العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وسلم)، (وزارة الشؤون الاسلامية والدعوة والارشاد، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٩هـ).

- ❖ غاية النهاية في طبقات القراء، ابن الجزري، شمس الدين ابو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف، (ت: ٨٣٣هـ/٤٣٠م)، (مكتبة ابن تيمية، د. م، د. ط، د. ت).
- ❖ الغنية فهرست شيوخ القاضي عياض، عياض، عياض بن موسى السبتي، (ت: ٥٤٤هـ/١٤٩م)، (دار الغرب الاسلامي، د. م، ط، ١، ٤٠٢هـ).
- ❖ فهرسة ابن خير الأشبيلي، ابن خير، ابو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة اللمتوني الاموي الاشبيلي، (ت: ٥٧٥هـ/١٧٩م)، (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ٤١٩هـ).
- ❖ معجم البلدان، ياقوت الحموي، شهاب الدين ابو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي، (ت: ٦٢٦هـ/١٢٢٩م)، (دار صادر، بيروت، ط ٢، ١٩٩٥م).
- ❖ المعجم في اصحاب القاضي أبي علي الصفدي، ابن الأبار، (دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، القاهرة، بيروت، ط ١، ٤١٠هـ/١٩٨٩م).
- ❖ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، المقرئ، شهاب الدين احمد بن محمد المقرئ التلمساني، (ت: ١٠٤١هـ/١٦٣١م)، (دار صادر، بيروت، ط ١، ١٩٩٧م).

ثانيا: المراجع الثانوية

- ❖ الحلل السندسية في الاخبار والآثار الأندلسية، ارسلان، شكيب، (جمهورية مصر العربية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، جمهورية مصر العربية، د. ط، د. ت).
- ❖ سعيد احمد اعراب. مع القاضي ابي بكر بن العربي، اعراب، سعيد، (دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، ط ١، ٤٠٧هـ/١٩٨٧م).

كربلاء في الشّعر العربي الحديث

Karbala in Modern Arabic Poetry

Dr. Khalid Sindawi

د. خالد سنداوي

Professor

أستاذ

Al-Qasimi Academy, Western

أكاديمية القاسمي، باقة الغربية-

Baqa - Palestine

فلسطين

Sindawe@017.net.il

تاريخ القبول

تاريخ الاستلام

٢٠٢٢/٣/٢٨

٢٠٢٢/٢/١٣

الكلمات المفتاحية: كربلاء- الحسين بن علي- الشعر المعاصر- مقتل الحسين- مراثي الحسين- الشهيد

Keywords: Karbala'- Al-Husayn ibn 'Ali- Modern Poetry- killing of Hussein Ibn Ali-Lamentations of Hussein- Martyr.

المخلص

تعالج هذه الدراسة انعكاس معركة كربلاء ومقتل الحسين بن علي في الشعر العربي الحديث خاصة عند رواد الإحياء والنهضة الأدبية الحديثة، وبشكل خاص في العراق عند السيّاب والجواهري. وقد بيّنت الدراسة أنّ واقعة كربلاء قد شكّلت مصدرا مهماً لدى شعراء العرب المعاصرين، حيث ربطوا بين حياتهم وحياة أمّتهم وبين مقتل الحسين بن علي في كربلاء، وأشاروا إلى أنّ الظلم الذي أصابهم وأصاب شعوبهم ما هو إلا امتداد للظلم الذي وقع على الحسين بن علي في كربلاء. كما بيّنت الدراسة أنّ الشعر العربي الحديث اكتفى أحيانا بجانب الحزن والمأساة من رمز كربلاء، كما وتبيّن أن بعض الشعراء قد وظّف الرمز الكربلائي للقضية الفلسطينية، وأصبحت كربلاء لدى عدد من الشعراء رمزا للثورة والإباء والشهادة، والخليفة الأمويّ يزيد بن معاوية رمزا للطغيان والظلم واغتصاب الحقّ من أهله، وأصبح الرمز الكربلائي في الشعر العربي المعاصر أنشودة للحرية ترددها الشعوب المتعطّشة إلى الحرية وأصبح الحسين موقفاً خالداً لا يتوقّف عند فترة زمنيّة عابرة.

Abstract

The present study discusses how the Battle of Karbala and the killing of Hussein b. Ali are reflected in modern Arabic poetry, especially among the pioneers of the modern Arabic literary renaissance in Iraq, al-Sayyab and al-Jawahiri. The study shows that the aforementioned battle is a significant theme in contemporary Arabic poetry, and that poets linked their own lives and the life of their nation with the killing of Hussein in Karbala, perceiving the wrongs which they themselves experienced and which were committed against their peoples as a continuation of the wrongs committed against Hussein at the time. Karbala became a symbol of grief and tragedy, which some poets applied to the Palestinian issue. For others Karbala was a symbol of rebellion and martyrdom while the Umayyad caliph Yazid b. Mu'awiya served as a symbol of oppression and denial of rights. In fact, Karbala in contemporary Arabic poetry can be said to have become a hymn to freedom, recited by nations that thirst for freedom, and Hussein has taken on a timeless character.

أصل اسم كربلاء ومعناه

لقد تضاربت الأقوال في معنى كلمة كربلاء^(١) وفي أصل اشتقاقها، ويتضح الخلاف من خلال عرض الآراء التالية^(٢):

١. يشير ياقوت الحموي في معجمه إلى لفظة كربلاء فيعرّفها بقوله: " كربلاء بالمدّ وهو الموضع الذي قُتل فيه الحسين بن علي في طرف البرية عند الكوفة"^(٣). وتوزع هذه اللفظة عنده إلى ثلاثة أوجه:

أ. الكربة: رخاوة في القدمين، يقال جاء يمشي مكربلا فيجوز على هذا أن تكون أرض هذا الموضع رخوة فسُميت بذلك.

ب. والكربة تعني تهذيب الحنطة وتنقيتها قال كربلتُ الحنطة إذا هزرتها ونقيتها، ويُشدد في صفة الحنطة:

يحملن حمراء رسوبًا للثقل قد عُربلت وكُربلت من القصل

فيجوز على هذا أن تكون هذه الأرض منقاة من الحصى والدغل فسُميت بذلك.

ج. والكربل اسم نبت الحمّاض، فيجوز أن يكون هذا الصنف من النبات يكثر وجوده هناك فسُمي به. قال الشاعر يصف عهون اليهودج:

وتأمرُ كربِلَ وعميمُ دِفلِي عليها والنّدى سَبَطَ يَمُورُ

٢. وبعد أن يطرح جورج قنّاز في مقاله آراء بعض الباحثين المعاصرين لأصل هذه التسمية، والذين لم يقصروا مجهوداتهم على اللغة العربية، يتوصّل إلى أن "لفظة كربلاء من أصل غير عربيّ على الأغلب"^(٤)، أطلقت على منطقة واسعة متّصلة ببابل القديمة، ضمّت عدّة قرى

(١) لما أحاطت بكربلاء عدّة قرى، اختلفت أسماء تلك القرى على كربلاء وما يلحظ أن ستة عشر اسمًا وردت لها في كتب التاريخ وهي: كربلاء، نينوى، الغاضرية، شاطئ الفرات، الطّف، طّف الفرات، قبة الإسلام، عموراء، مارية، مكانًا قصيًا، البقعة المباركة صفوراء، شفيه وموضع الابتلاء، محلّ الوفاء، فيوضات ربّ العالمين، النواويس، مشهد الحسين، وحائر الحسين. أنظر: الكليدار، د.ت، ص ١١؛ المصري، ٢٠٠٠، ص ٣١.

(٢) حاولت هنا تلخيص أهم الآراء دون التعمّق بكلّ رأي على حدّة لأنّه ليس موضوعنا. للاستزادة حول معنى كلمة كربلاء وحول أصل التسمية والمنشأ راجع: الخليلي، ١٩٨٧، ج.٨، ص ٩ وما بعدها.

(٣) الحموي، ١٩٥٧، ٤/٤٤٥، مادة كربلاء.

(٤) كالأشورية والآرامية. ويرى مصطفى جواد الخليلي في موسوعته أنّ لفظ "الكرب" تطوّر معناه في اللغة العبريّة، حيث تعني كلمة كراب- קרב المعركة. أنظر: الخليلي، ١٩٨٧، ص ١٤-١٥.

صغيرة، ولم تكن ذات شأن في فترة ظهور الإسلام. من هذه القرى كَشْفِيَه والغاضريّات ونيوى وماريّة والعقر، وهي آخر أثر للبابليين لا يزال قائماً^(١).

٣. وربط بعض الكتاب بين الاسم والفاجعة التي قدّر لها أن تصبغ أرض المدينة بالدم، فهي مركبة من كلمتين هما كرب وبلاء، وإلى هذا أشار الشريف الرضيّ في قوله: "كربلا ما زلت كرتيا وبلا"^(٢).

"وقد روي أنّ الحسين لما انتهى إلى هذه الأرض قال لبعض أصحابه ما تسمّى هذه القرية وأشار إلى العقر فقال اسمها العقر فقال الحسين نعوذ بالله من العقر، ثمّ قال فما اسم هذه الأرض التي نحن فيها؟ قالوا كربلاء فقال أرض كرب وبلاء. وأراد الخروج منها فمنع كما هو مذكور في مقتله حتّى كان منه ما كان.

مكانة مدينة كربلاء

تُعتبر كربلاء من المدن العراقية القديمة التي يعود تاريخها إلى العهد البابلي، وهي تشتهر بقدسيّتها، فقد أريق على تربتها دم حفيد النبي الحسين بن علي وأهل بيته في واقعة الطّف^(٣) المشهورة سنة ٦١ هـ/٦٨٠م.

(١) قناع، ١٩٩٢، ص ١٨١. وهو برأيه هذا يُعارض رأي "الحَمَوِي" الذي يردّ كربلاء إلى أصول عربيّة، ويتفق مع رأي "الخليلي" الذي يرى أن "ردّ الكلمة على الأصول العربيّة هي محاولة غير مجدية، ولا يصحّ الاعتماد عليها، لأنّها من باب الظنّ والتخمين، والرغبة الجامحة العامرة في إرادة جعل العربيّة مصدرًا لسائر أسماء الأمكنة والبقاع"، الخليلي، ١٩٨٧، ١٠/٨-١٣.

(٢) عبد الحميد، ١٩٤٩، ص ٦٩.

(٣) الطّفّ اسم مرادف لكربلاء وهي من نواحي الكوفة على طريق البريّة كان فيها مقتل الحسين بن علي، فيها عدّ عيون جارية منها: الصيد، والقَطْقَاطِيّة، والرّهيمّة، وعين الجمل، وغيرها، وسُمّي بهذا لأنّه يُشرف على العراق. ومن أطفّ على الشئ بمعنى أطلّ. وكانت أرض الطّفّ للموكلين بالمسالح التي وضعها ملك الفُرس سابور الأوّل (حكّم ٢٤١-٢٧٢م) وراء الخندق الذي حفره بينه وبين العرب. وقد ورد في مراثي الحسين بن علي ذكر "أرض الطّفّ"، و"يوم الطّفّ"، "قتلى الطّفّ"، و"الطّفوف" بصورة كثيرة جدًا وهو تعبير عن كربلاء. لمزيد من للتفاصيل انظر: مُحدّثي، ١٩٩٧، ٢٨١-٢٨٢.

إنّ تأكيد "هونجمان" في دائرة المعارف الإسلاميّة أنّه "لم يرد ذكر لكربلاء في التراث العربي قبل الاسلام"^(١)، وتعريف "الحموي" لكربلاء بأنّها "الموضع الذي قُتل فيه الحسين بن علي"، إنّما يشير بشكل واضح إلى أنّ مصرع الحسين في كربلاء شكل نقطة تحوّل بالنسبة لهذه البقعة من الأرض، حيث أكسبتها هذه الواقعة مكانة خاصّة دينيّة وفكريّة. وأنا لا أنفي بهذا وجود تلك المكانة المرموقة لكربلاء قبل الواقعة والموجودة منذ القدم، بحيث "تحدّثنا المراجع التاريخيّة أنّ كربلاء هي أمّ لقرى عديدة تقع بين بادية الشام وشاطئ الفرات، وأنها كانت من أمّهات مدن بين النهرين الواقعة على ضفاف نهر بالاكوباس -الفرات القديم- وعلى أرضها معبد للعبادة والصلاة كما يستدلّ من الأسماء التي عُرفت بها قديما. وقد كُثرت حولها المقابر كما عثر على جُثث الموتى داخل أواني خزفيّة يعود تاريخها إلى قبل العهد المسيحي. أما الأقوام التي سكنتها فكانت تعوّل على الزراعة لخصوبة تربتها وغزارة مائها؛ ومن كلّ ما تقدم تتجسّد لنا المكانة الرفيعة التي مُنيت بها هذه البقعة المقدّسة والمنزلة السامية التي حظيت بها بين بلدان العالم"^(٢).

ويبدو أنّه قبل مقتل الحسين بن علي يوم عاشوراء، كانت كربلاء اسمًا لمدينة صغيرة، أمّا بعد عاشوراء فقد أصبحت عنوانًا لحضارة شاملة.

أحداث واقعة كربلاء (٣)

لا بدّ لنا من وقفة قصيرة على أحداث واقعة كربلاء، من خلال رحلة عاجلة عبر التاريخ إلى قرون مضت، حيث أنّه في العاشر من محرّم سنة ٦١ للهجرة (١٠ أكتوبر ٦٨٠ م) وقعت معركة كربلاء بين الحسين بن علي بن أبي طالب^(٤) ومجموعة من أهل بيته لا يتجاوز عددهم التسعين رجلا، وقوات من الأمويين بقيادة عمر بن سعد (ت. ٦٨٦ م) .

(١) هونجمان، ١٩٧٨، ص ٦٣٧.

(٢) الطعمة، ١٩٨٨، ص ١٢-١٣.

(٣) استقيت معلوماتي حول الواقعة من مراجع عدة أهمها: ابن كثير، ١٩٦٦، ١٤٦/٣؛ الحيدري، ١٩٩٩، ص ٨٧؛ الخليلي، ١٩٨٧، ص ٤٥؛ السيوطي، ٢٠٠٣، ص ٤٦٥.

(٤) الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب، وكنيته أبو عبد الله، حفيد محمد رسول الله عليه السلام ومن أهل بيته، أبوه علي بن أبي طالب رابع الخلفاء الراشدين في الاسلام وأوّل أئمّة الشيعة لدى المذهب الشيعي الإمامي، أمّه فاطمة الملقّبة بالزهراء بنت محمّد بن عبد الله عليه السلام.

تتقل لنا كتب التاريخ أنّ الخلافة استقرت لمعاوية بن أبي سفيان سنة (٤١هـ/٦٦١م)، بعد أن تنازل له الحسن بن علي بن أبي طالب عن الخلافة، وبإيعه هو وأخوه الحسين وتبعهما الناس؛ وذلك حرصاً من الحسن على حقن الدماء وتوحيد الكلمة والصف، وقد أثنى الناس كثيراً على صنع الحسن، وأطلقوا على العام الذي سعى فيه بالصلح "عام الجماعة". فاجأ معاوية بن أبي سفيان الأمة الإسلامية بترشيح ابنه يزيد للخلافة من بعده، وبدأ في أخذ البيعة له في حياته، في سائر الأقطار الإسلامية، بالترغيب تارة وبالترهيب تارة أخرى، ولم يعارضه سوى أهل الحجاز، وتركزت المعارضة في الحسين بن علي، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير.

توفي معاوية بن أبي سفيان سنة ٦٠ هـ/٦٧٩ م، وخلفه ابنه يزيد؛ فبعث إلى واليه بالمدينة لأخذ البيعة من الحسين الذي رفض أن يبايع يزيد، كما رفض - من قبل - تعيينه ولياً للعهد في خلافة أبيه معاوية، وغادر المدينة سراً إلى مكة واعتصم بها، منتظراً ما تسفر عنه الأحداث.

وُلد في المدينة المنورة في ٣ شعبان سنة ٤ هجرية. وقد استبشر رسول الله صلى الله عليه وسلم بولادته، وانطلق إلى بيت ابنته فاطمة الزهراء ليبارك لها الوليد. وأذن عليه السلام في أذنه اليمنى، وأقام في أذنه اليسرى، فلما كان اليوم السابع سمّاه "حسيناً". في عهد أبيه (علي بن أبي طالب) مضى الحسين ستّة أعوام في أحضان جدّه النبي عليه السلام، تعلّم فيها الكثير من أخلاق جدّه وأدبه العظيم. وعندما توفي النبي صلى الله عليه وسلم أمضى ٣٠ سنة من عمره في عهد أبيه. شارك في معارك "الجمل" و "صفين" و "النهروان". وعندما قُتل علي بابح الحسين أخاه الحسن بالخلافة، ووقف إلى جانبه. عاصر الحسين خلافة معاوية بن أبي سفيان وقد قام ضدّ يزيد بن معاوية فيما يسمّى بواقعة الطف.

لقّب الحسين بألقاب كثيرة: الرشيد والطيب والوفي والسيد والزكي والمبارك والتابع لمرضاة الله والسبط وسيد شباب أهل الجنة والشهيد والمظلوم الشهيد. وقد استشهد الحسين هو وأهل بيته وأصحابه في معركة كربلاء يوم العاشر من محرّم سنة ٦١ هجري المسمّى عاشوراء. أنظر: نقاحة، ١٩٩٠، ص ٤٩؛ شبر، ١٩٨٨، ص ٤٢.

رأى أهل الشيعة في الكوفة أنّ الفرصة قد حانت لأن يتولّى الخلافة الحسين بن علي، واتّفقوا على أن يكتبوا للحسين يحثّونه على القدوم إليهم، ليبايعوه بالخلافة، وتتابع رسائل أشرف الكوفة إلى الحسين، كلّها ترغّبه في الحضور.

وأمام هذه الرسائل المتلاحقة، ووعود أهل الكوفة الخلافة بالنصرة والتأييد، استجاب الحسين لدعوتهم، وعزم قبل أن يرحل إليهم أن يستطلع الأمر، ويتحقّق من صدق وعودهم؛ فأرسل ابن عمّه "مُسلم بن عقيل بن أبي طالب (ت ٦٨٠ م)" لهذا الغرض، والذي لم يكن أمامه وهو يرى الحشود الضخمة التي أعلنت بيعتها للحسين إلا أن يكتب للحسين يطمّنه ويطلب منه القدوم، ويقول له: "بايعني من أهل الكوفة ثمانية عشر ألف رجل فأقدم، فإنّ جميع الناس معك، ولا رأي لهم في آل أبي سفيان".

ولما علم "يزيد بن معاوية" بما يحدث في الكوفة، عزل واليها "النعمان بن بشير الأنصاري" لتساهله مع "مُسلم" وتغاضيه عما يفعله، وولّى مكانه "عبيد الله بن زياد (ت ٦٨٦ م)" فحضر على الفور، واتّبع مع أهل الكوفة سياسة الشدّة والترهيب، واشترى ولاء بعضهم ببذل الأموال، فانفضّت الآلاف من حول "مُسلم" وتركوه يلقي مصرعه وحده، بعد أن قبض عليه "عبيد الله بن زياد" وألقى به من أعلى قصر الإمارة فمات، ثمّ صلبه؛ فكان أوّل قتيل صُلبت جثته من بني هاشم.

خرج الحسين من مكّة إلى الكوفة^(١)، وعندما علم بمقتل "مُسلم" وتخاذل الكوفيّين عن حمايته ونصرته، قرّر العودة إلى مكّة، لكن إخوة "مُسلم" أصروا على المضي قدماً للأخذ بثأره، فلم يجد الحسين بداً من مطاوعتهم، وواصل السير حتى بلغ كربلاء على مقربة من الكوفة ووجد جيشاً كبيراً في انتظاره يقوده "عمر بن سعد بن أبي وقاص" في حين كان مع الحسين نحو تسعين نفساً، بعدما تفرّق عنه الناس، ولم يبقَ معه إلا أهل بيته وقليل ممّن تبعوه في الطريق، وتمّت المواجهة العسكريّة غير المتكافئة التي كان من نتائجها استشهاد الحسين وعدد من كان معه في العاشر من محرّم سنة ٦١ هـ/ ٦٨٠ م في كربلاء.

وبهذا، ولدت هذه الواقعة مأساة مروعة أدمت قلوب المسلمين وهزّت مشاعرهم وحركت عواطفهم نحو أهل البيت، وكانت سبباً في قيام ثورات عديدة ضدّ الأمويّين، حتى انتهى الأمر بسقوطهم، وقيام الدولة العباسيّة على أنقاضها. كما وحولت كربلاء إلى بقعة مقدّسة، وأكسبتها مكانة خاصّة في الفكر الإسلامي عامّة والشيعي خاصّة، وفي الأدب الذي كُتب على مرّ العصور في رثاء الحسين منذ مقتله وحتى اليوم.

وقد أصبحت هذه المعركة وتفصيلها ونتائجها تمثّل قيمة روحانيّة ذات معان كبيرة لدى الشيعة الذين يعتبرون معركة كربلاء ثورة سياسيّة ضدّ الظلم. بينما أصبح مدفن الحسين في

(١) في ٨ من ذي الحجة ٦٠ هـ.

كربلاء مكاناً مقدساً لدى الشيعة يزوره مؤمنوهم، مع ما يرافق ذلك من ترديد لأدعية خاصة أثناء كل زيارة لقبره.

وهكذا يمكن القول: إن واقعة الطفّ تُعتبر من أكثر المعارك جدلاً في التاريخ الإسلامي فقد كان لنتائج وتفصيل المعركة آثار سياسية ونفسية وعقائدية لا تزال موضع جدل إلى يومنا هذا حيث تعتبر هذه المعركة أبرز حادثة من بين سلسلة من الوقائع التي كان لها دور محوري في صياغة طبيعة العلاقة بين السنة والشيعة عبر التاريخ وأصبحت معركة كربلاء وتفصيلها الدقيقة رمزاً للشيعة ومن أهم مرتكزاتهم الثقافية.

"إذا نظرنا إلى مأساة كربلاء على أنها حادث من أحداث التاريخ كحرب البسوس أو كيوم ذي قار أو كمعركة القادسية أو كحصار القسطنطينية، فإننا لا نعدو بمأساة كربلاء أن تكون حادثة من ألوف الحوادث التي مرّت في التاريخ، ويكون الحسين بن علي، حينئذ - بهذا النظر القاصر - قائد حملة لم يكتب لها النجاح. أما إذا نظرنا إلى مأساة كربلاء على أنها كلمة حقّ في وجه حاكم جائر، ثمّ عزمنا على أن نجعل من تلك الكلمة من الحقّ معلماً في تاريخنا وقدوة في حياتنا، نقف في كلّ قضية لنا كما وقف الحسين قبل كربلاء ويوم كربلاء، فإننا نكون قد وضعنا يوم كربلاء في إطاره الصحيح من تاريخ الإسلام ونكون قد جعلنا من عمل الحسين أسوة لنا ننتفع بها في سلوكنا اليومي وفي معالجة قضايانا".

بهذه الكلمات اختتم الدكتور عمر فروخ^(١) كلمته بعنوان "المأساة والتأسي"^(٢). وهو ما حصل فعلاذ، فقد نظر الشعراء العرب المعاصرين إلى المعاني المستخلصة من يوم كربلاء، وهي كثيرة ومتجددة، من أجل فهم الواقع المعاصر ومعالجة مشكلاته.

القصيدة الكربلائية

مسيرة البحث عن القصيدة الكربلائية مصاحبة لها الظاهرة الحسينية في الشعر الحديث. وملاحظتنا الأولى الجديرة بالذكر هي أنّ تناول الشعراء المعاصرين لواقعة كربلاء والثورة الحسينية قد اختلف قليلاً أو كثيراً عن تناول القدماء، من حيث تتوّع الدلالات السياسية والاجتماعية والايحاءات الرمزية التي تختزنها واقعة كربلاء.

(١) ولد عمر فروخ في بيروت سنة ١٩٠٦، حصل على الدكتوراه في الفلسفة من ألمانيا عام ١٩٣٧، كان عضواً في مجتمع القاهرة ودمشق وبومباي، نال ستّة أوسمة من أقطار عربية وأجنبية، له مؤلفات كثيرة، وتوفي سنة ١٩٨٧.

(٢) كتبت هذه المحاضرة في ١٢/٩/١٩٧٧م وألقيت في احتفالات العشر الأوائل من المحرم (في الكويت) لمناسبة عاشوراء المحرم من سنة ١٣٩٨هـ.

ققد تخطت واقعة الطفّ، منذ وقت مبكر، دلالاتها الذاتية المباشرة المتعلّقة بتفاصيل ما حدث يوم العاشر من محرم الذي استشهد فيه الحسين وأبناؤه وإخوانه وأصحابه، لتصبح رمزاً لكل تائر ضدّ الظلم وطامح إلى العدل ورافض للباطل ومرّوجه، وكلّ تلك عناوين إسلامية حمل لواءها الثائرون والمصلحون على مرّ العصور حتّى قال أحدهم:

فإنّ الأولى بالطّف من آل هاشمٍ وسنّوا للكرام التأسّيًا^(١)

لا بل إنّ تلك الأهداف النبيلة، هي في جوهرها أهداف إنسانية يسعى لها كلّ إنسان يعي ذاته ويحاول استرداد حريته المسلوبة. وبذا يتّسع الرمز الكربلائي ليتجاوز حدود الزمان والمكان ويستوعب قضايا الإنسان المعاصر.

إنّ الثورة التي هزّت البنيان الشعري للقصيدة العربية في أواسط القرن العشرين، لم تكن مقتصرة على تحوّل جذري في الشكل وإنّ بدا كذلك في بداياته- بل صاحبه تحوّل في المضامين أيضاً. ومن ضمن التغييرات التي طرأت على مضمون القصيدة الحديثة استعانة الشاعر بركائز عديدة من ضمنها الاعتماد على الرمز^(٢) والأسطورة^(٣) والقناع^(٤) ومزجها لخلق رؤيا جديدة في النصّ الشعري.

(١) يُسبب هذا القول لمُصعّب بن الزبير، قاله لما توجّه إلى عبد الملك بن مروان لقتاله ، فلما بلغ الحيرة دخل فوقف على قبر أبي عبد الله، ثمّ قال : يا أبا عبد الله، أما والله لئن كنت غصبت نفسك ما غصبت دينك، ثمّ انصرف وهو يردّد البيت السابق.

(٢) والرمز يُعدّ إحدى أهم سمات (قصيدة الرؤيا) التي غطت مرحلتي الخمسينيات والستينيات. ومن أجل تحديد الدلالة الاصطلاحية للرمز نقول: إن الرمز كلمة، أو عبارة، أو صورة، أو شخصية، أو اسم مكان يحتوي في داخله على أكثر من دلالة، يربط بينها قطبان رئيسيان. يتمثّل الأوّل بالبعد الظاهر للرمز، وهو ما تتلقّاه الحواس منه مباشرة، ويتمثّل الثاني بالبعد الباطن أو البعد المراد إيصاله من خلال الرمز. وهناك علاقة وطيدة بين ظاهر الرمز وباطنه.

(٣) إنّ توظيف الأسطورة في النصّ الشعري العربي المعاصر مسألة في غاية الأهمية، إنّها تشكل نظاماً خاصاً داخل بنية الخطاب الشعري العربي المعاصر. وعندما نستحضر الأسطورة، فإننا نستحضر التاريخ نفسه والذي قد يكون متداخلاً مع الميثولوجيا والخرافة أحياناً.

(٤) قصيدة القناع هي وسيلة فنية لجأ إليها الشعراء للتعبير عن تجاربهم بصورة غير مباشرة، أو تقنية مستحدثة في الشعر العربي المعاصر شاع استخدامه منذ ستينيات القرن العشرين بتأثير الشعر الغربي وتقنياته المستحدثة، للتخفيف من حدّة الغنائية والمباشرة في الشعر، وذلك للحديث من خلال شخصية تراثية، عن تجربة معاصرة، بضمير المتكلم. وهكذا يندمج في

هذا، وبالرغم من وجود هذه العناصر في القصيدة التقليدية، إلا أنها وُظفت في القصيدة الحديثة بتوظيف مختلف ومنحى جديد. وقد انتبه الشاعر الحديث إلى ضرورة تواشج الرمز والأسطورة مع البناء الداخلي للنص شكلا ومضمونًا، بحيث لا يشعر القارئ بأن ذلك الرمز وهذه الأسطورة قد أُقحما إقحامًا على البناء الشعري.

القصيدة صوتان: صوت الشاعر، من خلال صوت الشخصية التي يعبر الشاعر من خلالها. أنظر: عزام، ٢٠٠٥، ص ٣٤.

ومن أفضة الصحابة نجد أن أكثر ما تقنع شعراؤنا المعاصرون بشخصية (الحسين بن علي) شهيد كربلاء الذي استشهد وأصبح رمزًا أعلى في الشهادة من أجل الأفضل، ومن هنا اتخذته قناعًا من قبل بعض الشعراء المعاصرين للثورة على القيم الفاسدة في هذا العصر الجبان. ولعل "أونيس" يفوق غيره من الشعراء في الإفادة من معطيات شخصية الحسين، حيث يبدو مرتاحًا إلى هذا الرمز، وجود شعره فيه، وذلك في مقطع (مرآة الشاهد) من قصيدته (مرايا وأحلام حول الزمن المكسور) حيث يعادل فيه بين رمز الحسين ورمز المسيح، وحيث تشارك الطبيعة في كل مظاهرها بالحزن على الحسين:

وحيثما استقرت الرماحُ في حُشاشة الحسين، وأزيّنت بجسد الحسين
وداست الخيولُ كلَّ نقطة في جسد الحسين، واستلبتْ وقُسمتْ ملابسُ الحسين

رأيتُ كل حجر يحنو على الحسين

رأيتُ كلَّ زهرة تنام عند كتف الحسين

رأيتُ كلَّ نهر يسير في جنازة الحسين.

وكذلك تقنع الشاعر "قايز خضور" بالحسين، وذلك في قصيدته (اعترافات علي بن الحسين) عبّر فيها عن مأساة المناضل العربي في الواقع الراهن، وأدان الواقع، من خلال شخصية الحسين، متماهيًا بالحسين:

كنتُ أدعو لمصير عربي

يمنح الكون سلامة

لا لعرش دموي.

وكذلك تقنع "خالد محيي الدين البرادعي" بشخصية الحسين، فاتخذه قناعاً في قصيدته (الحسين مقتول في كل مكان). روى فيها قصة خروج الحسين من الحجاز إلى العراق، لإنقاذ المسلمين من السلطة القائمة آنذاك، وتماهى معه، فهو أيضاً يريد أن ينقذ الوطن من المفسدين الذي ولغوا فيه، فما شبعوا.

لقد كانت واقعة كربلاء حدثاً تاريخياً ذا أبعاد زمنية ومكانية، ولكن ذلك الحدث قد فاض عن واقعه المحدد إلى آفاق جديدة أكثر اتساعاً. وسنعرض في الصفحات المقبلة نماذج من التوظيف الكربلائي في الشعر العربي الحديث.

القصيدة الكربلائية وشعراء الحداثة: "بدر شاكر السيّاب"^(١) نموذجاً:

من التمرد على المطلق الطللي، إلى أبي نواس وجديد أبي تمام والمتنبي والمعري.. ثمة تجارب إبداعية تشكل حالة مغايرة من التفرد والتمايز، لكن الثورة الحقيقية في الشعر العربي. كما يرى معظم النقاد^(٢). بدأت في مطلع خمسينات القرن الماضي، في ظلّ توافر مجموعة من العوامل الاجتماعية والسياسية والفكرية والثقافية.

إنّ الحركة الشعرية التي لاحت بوادرها في الأفق العربي في أعقاب الحرب العالمية الثانية كانت حركة شعرية جديدة، والأسماء المطروحة لهذه الحركة كثيرة: "الشعر الحديث"، "الشعر الحر"، "شعر التفعيلة"... إلخ.

ومن المعروف أنّ هذه الحركة- والتي يرجع تأسيسها إلى الشاعرَيْن العراقيَيْن نازك الملائكة، وبدر شاكر السيّاب^(٣)- أحدثت انقلاباً في شكل القصيدة العربية، وكذلك في مضامينها وموضوعاتها، غير أنّ من المهمّ أن نشير إلى أنّ هذا الانقلاب وهذه التغييرات لم تقلل من وقاء هذه الحركة لواقعة كربلاء ولثورة الحسين، انطلاقاً من كونها رمزا إنسانياً يُلامس عواطف النفوس المرهفة.

لذا، وتضامناً مع الباحثين العرب الذين اعتادوا الدخول إلى عالم الشعر الحديث من بوابة جيل الرواد: السيّاب، نازك، والبياتي، فقد نقبتُ عن قصائد لهؤلاء الشعراء، تحمل عبق كربلاء. وقد أثرتُ أن أستهلّ هذا الفصل بالقصيدة العمودية التي أفردها السيّاب لواقعة الطفّ، والتي احتفى بها بثورة الحسين، وصورَ فيها مأساة كربلاء تصويراً عاطفياً سكب عليه من روحه. تلك التي اختار لها عنواناً مميزاً: "الدمعة الخرساء" ونشرها في ديوانه "أساطير"، يقول فيها مخاطباً يزيد بن معاوية:

(١) بدر شاكر السيّاب (١٩٢٦-١٩٦٤م) شاعر عراقي، تخرّج من دار المعلمين العالية في بغداد، والتحق بفرع اللغة العربية، ثمّ الإنكليزية. ومن خلال تلك الدراسة أتاحت له الفرصة للإطلاع على الأدب الإنكليزي بكلّ تفرعاته. توفّي بالمستشفى الأميري في الكويت، ونُقِل جثمانه إلى البصرة. من دواوينه: أزهار ذابلة، أساطير، حفار القبور، المعبد الغريق، شناسيل ابنة الجليبي. أنظر: الجدع، ١٩٨٦؛ حداد، ١٩٩٨.

(٢) أنظر: جيوسي، ٢٠٠١؛ خفاجي، ١٩٨٢.

(٣) مع وجود خلاف بين النقاد حول رواد هذه الحركة الشعرية.

ارم السماءَ بنظرة استهزاءٍ واجعل شرابك من دم الأشلاءِ
واسحقْ بظلكَ كلَّ عرضِ ناصعٍ وأبح لنعلكَ أعظمَ الضعفاءِ
واملاً سراجك إن تقضى زيثه ممّا تدرُ نواظبُ الأثداءِ
واسدر بغيك يا يزيدُ فقد ثوى عنك الحسينُ ممزقَ الأحشاءِ^(١)

وبالرغم من أنّ قصيدتنا هذه تبدو لأوّل وهلة بعيدة عن ذكر كربلاء الواقعة أو حتى شخصيّة بطلها الحسين، إلا أنّ تجسيدها لحوارٍ بين الشاعر وبين "يزيد بن معاوية" يجعلها تصبّ في القالب نفسه، وتطرح إمعان الشاعر في تقصّي أبعاد صورة القاتل في أبيات هذه القصيدة، وكأته يبغي من وراء ذلك التشديد على أنّ واقعة كربلاء بتفاصيلها هذه كانت ثورة عظيمة، حتّى دون أن يكون هناك داعٍ لربطها بالبعد الديني. وهذا يؤكّد أنّ السيّاب تعامل مع الواقعة تعاملًا دنيويًا لا دينيًّا.

تشكّل هذه القصيدة لوحة ظلم إنساني هيّجتها ذكرى يوم عاشوراء لدى الشاعر، الذي يعمد إلى تصوير شهوة الدم التي استبدّت بيزيد، واستهتاره بدماء الأحرار والمستضعفين، وبخاصة حينما أمر بقتل الحسين بتلك الصورة الوحشيّة (برأي الشاعر). لكن للتاريخ حكمه وللآخرة حسابها، حيث يُبصر الشاعر فيرى القاتل في درك الجحيم مكلّلاً بالعار ويدها موثقتان بالسوط الذي كان يعذب به ضحاياه، يقول:

أبصرتُ ظلك يا يزيدُ يربّجه موجُ اللهبِ وعاصفِ الأنواءِ
رأسٌ تكلّل بالخنا، واعتاضَ عن ذلك النصارِ بحيةٍ رقطاءِ
ويدان موثقتان بالسوطِ الذي قد كان بعبثِ أمسٍ بالأحياءِ^(٢)

ثمّ يعرج من "يزيد" إلى الحسين الذي يعتبره شهيدًا صاحب رسالة في هذه الحياة، وهي لن تنتهي بموت صاحبها بل تستمر حياة خالدة تفعل فعلها في الأجيال. مشدّدًا على النتيجة التي يحصدها "يزيد" في آخر الأمر، وهي تبخّر سلطانه ونفوذه، وبقاء اسمه سبّة التاريخ، بينما في المقابل تبقى الأجيال لاهجةً بمناقب الشهداء:

فمُ واسمع اسمك وهو يغدو سبّةً وانظر لمجدك وهو محضُ هباءِ

وانظر إلى الأجيال يأخذ مُقبِلٌ عن ذاهبٍ ذكرى أبي الشهداء^(٣)

(١) من: <http://www.annabaa.org/nba44/damaa.html>

(٢) الموقع السابق.

(٣) م.س.

استمرارية الرؤية الكربلائية الجديدة: "عبد الوهاب البيّاتي" (١):

في محاولة منه لرسم صورة فنية للعراق يتداخل فيها التراث الاسلامي بالبعد الإنساني، وتتسم بروح التجديد، يمزج البياتي دم الحسين بطبيعة العراق، في قصيدة له ضمن ديوانه "الموت في الحياة" (٢):

أرضٌ تدور في الفراغ ودم يُراق

ويُحي على العراق

تحت سماء صيفه الحمراء

من قبل ألف سنة يرتفع البكاء

حزناً على شهيد كربلاء

ولم يزل على الفرات دمه المُراق

يصبغ وجه الماء والنخيل في المساء

من الأبيات السابقة نلمس سعي الشاعر للمزج بين دم الحسين بطبيعة العراق، وكأنّ القدر المأساوي يفرض نفسه على كليهما وينتظرهما في دوامة متصلة تتكرر دائماً ومنذ ألف عام. وتتشابك كلّ معالم الحياة معاً للتضامن مع الحدث، وتتفعل كلّ أجزاء المشهد الحياتي للمجتمع العراقي، فينشر الحزن والبكاء عباتهما على الأجواء، يرافقهما دوران الأرض

(١) عبد الوهاب البيّاتي (١٩٢٦ - ١٩٩٩) شاعر عراقي ولد في بغداد. تخرج بشهادة اللغة العربية وآدابها ١٩٥٠ م، واشتغل مدرساً من عام ١٩٥٠-١٩٥٣ م. مارس الصحافة، واعتقل بسبب مواقفه الوطنية. فسافر إلى سورية ثم بيروت ثم القاهرة. وزار الاتحاد السوفيتي واشتغل أستاذاً في جامعة موسكو، ثم باحثاً علمياً في معهد شعوب آسيا، وزار معظم أقطار أوروبا الشرقية والغربية. وفي سنة ١٩٦٣ م أسقطت عنه الجنسية العراقية، ورجع إلى القاهرة وأقام فيها. وفي الفترة (١٩٧٠-١٩٨٠)م أقام الشاعر في إسبانيا، وهذه الفترة يمكن تسميتها المرحلة الإسبانية في شعره، صار وكأنه أحد الأدباء الإسبان البارزين، إذ أصبح معروفاً على مستوى رسمي وشعبي واسع، وترجمت دواوينه إلى الإسبانية، ثم أقام في دمشق حتى وفاته عام ١٩٩٩ م. من أعماله: ديوان ملائكة وشياطين، أباريق مُهشمة، أشعار في المنفى، الموت في الحياة، يوميات سياسي محترف. حول حياته يُنظر: جبران، ١٩٨٩؛ شرف، ١٩٩١.

(٢) البيّاتي، ١٩٩٥، ص ١٣٥.

المتّصل بالدم الفُراق الذي يسدل الستارة على المسرح صابغا الفرات والنخيل في المساء^(١).
القصيدة الكربلائية بعد حركة التجديد: "محمد مهدي الجواهري" (٢) نموذجاً:
 لقد أدت حركة التجديد في الشعر العربي المعاصر إلى بلورة مفاهيم جديدة، فصارت واقعة كربلاء تأخذ أبعاداً أرحب ولم تعد استنكاراً للإمام الحسين بن علي، أو رغبة في تجديد مناسبة دينية، فقد صار الشعراء يميّزون بين الحسين الثائر بعده مثالا لكلّ مظلوم يجب أن لا ترهبه القوة، وبين الحسين الإمام ذي الحق الإرثي في الخلافة كما يُنظر إلى ذلك عقائدياً.
 ولعلّ الشاعر العراقي محمّد مهدي الجواهري هو من أفضل من يعكس هذا التجديد، وليمثّل ثورة في عالم القصيدة الكربلائية، فكما عهدناه في معظم قصائده نائراً سياسياً واجتماعياً،

(١) يجدر الذكر هنا لمدى الشبه الظاهري بين أبيات البياتي وقول أبي العلاء المعري في نونيته الشهيرة دامجاً قتل الحسين مع حمرة السماء :

وعلى الأفق من دماء الشهيدين علي ونجمله شاهدان

فهما في أواخر الليل فجران وفي أولياته شفقان

ثبتا في قميصه ليجيء الحشر مستعدياً إلى الرحمن

وحول هذا الربط جاء في "التبصرة": " لما كان الغضبان يحمّر وجهه عند الغضب، فيستدلّ بذلك على غضبه وأنه إمارة السخط، والحقّ سبحانه ليس بجسم فأظهر تأثير غضبه على من قتل الحسين بحُمرة الأفق، وذلك دليل على عظم الجناية". أنظر: ابن الجوزي، ١٩٧٠، ص ٢٢٧.

(٢) محمّد مهدي الجواهري (١٨٩٩ - ١٩٩٧) شاعر من العراق وُلد في النجف، من أسرة عريقة في العلم والأدب. تلقّى دراسته في النجف ولما أنهى الدراسة عمل في التعليم فترة من الزمن، كان أبوه عبد الحسين عالماً من علماء النجف، أراد لابنه أن يكون عالماً دينياً، لذلك ألبسه عباءة العلماء وعمامتهم وهو في سنّ العاشرة.

نظم الشعر في سنّ مبكرة وأظهر ميلاً منذ الطفولة إلى الأدب فأخذ يقرأ أمّهات الكتب كتاب ودواوين الشعر؛ اشترك في ثورة العشرين عام ١٩٢٠ ضدّ السلطات البريطانية، ثمّ اشتغل مدّة قصيرة في بلاط الملك فيصل الأوّل عندما تُوج ملكاً على العراق وكان لا يزال يرتدي العمامة، ثمّ ترك العمامة كما ترك الاشتغال في البلاط الفيصلي وراح يعمل بالصحافة بعد أن غادر النجف إلى بغداد، فأصدر مجموعة من الصُحف منها جريدة (الفرات) وجريدة (الانقلاب) ثمّ جريدة (الرأي العام) وانتُخب عدّة مرّات رئيساً لاتحاد الأدباء العراقيين.

للاستزادة حول حياة الجواهري يُنظر: جبران، ٢٠٠٣؛ جواهري، ١٩٩١؛ عطية، ١٩٩٨.

كذلك نجد لديه تجديداً جذرياً في قصائده الكربلائية الحسينية، وربما لهذه الأسباب يستحق الجواهري منا وقفة لا يُستهان بها عند أشعاره.

كان الجواهري من كبار شعراء العربية الذين طرّقوا كلّ فنون الشعر وأبدعوا فيه أيما إبداع. وكان التقجّع والرثاء واحداً من فنون الشعر المتصلة بأعماق الشاعر ووجدانه الحساس حيث ترك عدداً من القصائد المتميّزة في هذا الباب. ففي اثنتين من غرّ قصائده، رثى الجواهري الإمام الحسين بن علي وهما:

(أ) القصيدة الأولى: قصيدة "عاشوراء" نظمها يوم عاشوراء ذكرى مقتل الحسين في العاشر (١٠ محرم ١٣٥٤هـ / ١٣ أبريل ١٩٣٥م):

تري الموت من صبرٍ على الذلّ أيسرا	هي النفس تأبى أن تذلّ وتقهرا
على العيشِ مذموم المغيبة منكرا	وتختار محموداً من الذكر خالداً
تحدّته في الغابِ الذئابُ فأصْحرا	مشى ابنُ عليّ مشيةً الليثِ مخدراً
على حين عضّ القيد أن يتحرّرا	وما كان كالمعطي قياداً محاولاً
لأذياله عن أن ثلاث مشمّرا	ولكنّ أئوفاً أبصر الذلّ فاثننى
على رغبة الأدينين أن تتحدّرا	تسامى سموّ النجم يأبى لنفسه
وسمّر القنا الخطي أن تنكسرا ^(١)	وقد حلفت بيض الظبا أن تنوشه

ويستعرض الشاعر في هذه القصيدة مأساة الحسين الشهيد منذ مغادرته بلاد الحجاز حتّى دخوله الكوفة واستشهاده في يوم الطّفّ الذي قال فيه:

مشى قبلها ذا صولةٍ متبخترا	ونكس (يوم الطّفّ) ^(٢) تاريخُ أمةً
على عربيّ أن يقول فيعدّرا ^(٣)	فما كان سهلاً قبلها أخذ موثقٍ

وقد يعترض البعض على هذه القصيدة كنموذج للتجديد، في الوقت الذي تسير فيه هذه القصيدة سير المداخل القديمة، فلا تختلف عن المرثي الحسينية الأخرى^(٤) (التي رأينا نماذج منها في الصفحات السابقة).

(١) الجواهري، ١٩٨٢، ٨٧/٢.

(٢) تشكّل قضية إيراد ألفاظ "مقوسة" ظاهرة أسلوبية لدى الجواهري. حول هذه الظاهرة ودوافعها ودلالاتها لدى الشاعر يُنظر: جبران، ٢٠٠٦، ص ١١٧-١١٨.

(٣) الجواهري، ١٩٨٢، ٨٩/٢.

(٤) وأقصد بالشبه والاختلاف ها هنا قضية طرح الموضوع وتناوله، ولا أقصد الأسلوب، لأنّ الفرق الأسلوبي يبرز في موهبة الجواهري وحسن سبكه للمفردات والمعاني.

والإجابة لمثل هذا الاعتراض مستقاة من الدكتور زاهد محمد زهدي الذي يرى أنّ "أكثر ما يلفت الانتباه في هذه القصيدة هو الأبيات الثلاثة الأخيرة التي يدعو فيها الشاعر إلى الامتناع عن تحريف التاريخ وتزويره، مما يستخدمه أعداء الأمة لتقريب صفوفها، وبثّ دواعي الضغينة والتمزّق بين شبابها، بدعاوى جاهليّة وأخبار زائفة تعمّد ايرادها المرجفون دون أن يكون لها سند من الواقع التاريخي"^(١) يقول:

أقول لأقوامٍ مضوا في مصابه^(٢) يسومونه التحريف حتّى تغيّرا
دعوا روعة التاريخ تأخذ محلّها ولا تُجهدوا آياته أن تحوِّرا
وخلّوا لسان الدهر ينطقُ فإنّه بليغٌ إذا ما حاولَ النطقَ عبّرا^(٣)

وبذا، فإنّ التجديد في الموضوعة الكربلائيّة يكمن في هذه الأبيات على وجه الخصوص، والتي تشفّ عن رؤية جديدة للشاعر تختلف عن سابقه في تناول واقعة كربلاء، من خلال تصريحه عن احتجاجه على المحرّفين لثورة الحسين، وينادي بإبقاء واقعة كربلاء على روعتها الأولى دون تحويرها لتلائم أهواء الحكام أو العامّة من الجهلة.

(ب) القصيدة الثانية: قصيدة "آمنتُ بالحسين"^(٤)، نظمها في يوم عاشوراء ذكرى مقتل الحسين (١٠ محرم ١٣٦٧هـ / ٢٣ نوفمبر ١٩٤٧م):

في هذه السنة، وفي المناسبة ذاتها^(٥)، وقف الجواهري في كربلاء مقابلاً مرقد الحسين مخاطباً إياه، ونظم قصيدته المشهورة باسم: " آمنتُ بالحسين " بعد مرور اثني عشر عاماً على القصيدة السابقة. وفي هذه القصيدة تتجلى الرؤية الجواهريّة الكربلائيّة بشكل أوضح وأكثر اكتمالاً ونضوجاً. ومطلع القصيدة:

فداءً لمثواك من مضجِعِ تنورٍ بالأبلج الأروع

(١) زهدي، ١٩٩٩، ص ٣٤١.

(٢) مصاب الحسين.

(٣) الجواهري، ١٩٨٢، ٨٧/٢ - ٩٠.

(٤) تجدر الإشارة إلى أنّ خمسة عشر بيتاً منها قد كُتبت بالذهب على الباب الرئيسي الذي يؤدّي إلى " الرواق الحسيني"، حيث مدخل الروضة الحسينيّة المطهّرة في مدينة كربلاء.

(٥) نقصد ذكرى عاشوراء.

ورعيًا ليومك يوم (الطُفوف)^(١) وسُقيا لأرضك من مصرع
وحزنًا عليك بحبسِ النفوسِ على نهجك النيرِ المهيع

وقد يقول قائل: ما وجه التغيير الجذري الذي خلقه الجواهري وابتدعه، وغيرَ فيه عن النهج المتبع قبله؟

أقول: صحيح أنّ الجواهري يرسم في أبيات قصيدته المذكورة صورة مفاجئة لواقعة كربلاء، ولموقف الناس منها، بطريقة يشعر معها القارئ بمدى اختلاج قلب الشاعر بحبّ الحسين وآل البيت، مثله في ذلك مثل كثير من الشعراء السابقين؛ إلا أنّ هناك فرقاً جوهرياً بين الجواهري ومن سبقه من شعراء جعلوا كربلاء غاية أشعارهم وفي رأس قائمتها.

ويكمن التجديد في الباعث على كتابة مثل هذه الأشعار، حيث نكاد نلمس أنّ تقديس الجواهري للحسين - والذي يطلّ جلياً عبر أبيات القصيدة - لا ينبع عن عقيدة دينية، بل إنّه ناتج - برأيي - عن رؤية جواهرية عميقة لإنسان نائرٍ مضجّ من أجل مبادئه، أيّا كانت تلك المبادئ وأيّاً كان ذلك التأثير.^(٢)

وهذا يعني أنّ التاريخ ورواته والشعراء والمؤلفين والناشرين ومواكب العزاء المتواصلة منذ ألف عام، والظلم السياسي الذي حاق بالحسين وآله، وطبيعة الجواهري (ذي الطبع الشجي) التي تميل لكلّ ما يتسم بالحزن ويمتلئ بالوشائج، كلّ هذه المؤثرات لم تكن الباعث الحقيقي والسبب المحرّك لعلاقة شاعرنا بالحسين، بل إنّ صورة الحسين الخالدة وهو صريع مبادئه، وطبيعة الحدث نفسه التي تتسم بالدم والثورة، يشكلان المحرّك الرئيسي لتعظيم الحسين وتقديسه.

هذه الرؤية لم نألفها لدى شعراء الرثاء الحسيني وشعراء كربلاء من قبل، فقد اعتدنا من معظم الشعراء الذين احتلّت كربلاء عرش قصائدهم، أن ينظروا إلى الحسين كسيط للرسول في المقام الأول، ويشكّل حبّهم له بالتالي جزءاً من العقيدة الإسلامية.

(١) الطُفوف: جمع (طفّ) وهو اسم الموضع الذي جرت فيه واقعة كربلاء. وكلمة الطُفّ تُطلق على ما أشرف من أرض العرب على ريف العراق. أنظر في ذلك: ابن منظور، ٢٠٠٣، ج.٩، ص ١٢٥.

(٢) وقد يُبزر هذا التغيير في التوجه للموضوع إلى تزامن هذه القصيدة مع رؤى جديدة ظهرت في الأوساط العربية، ومع تبلور الأفكار القومية والوطنية وظهور الأحزاب اليسارية كظلال للمعسكر الاشتراكي.

وجاء الجواهري الناثر^(١) يعظم الحسين وواقعة كربلاء من وجهة نظر ثورية، فأبرز حبه لثورة الحسين، لأنه يرى أنّ الثورة هدف بحدّ ذاتها. ولم يغفل الجواهري أن يعرض في قصيدته بالمزيقين والرواة الكاذبين، فنجدّه يعطف على تحزّي الحقيقة في مأساة الحسين الشهيد، دحضاً لما حرّف المحرّفون، ورجّف المرجّفون، وما لعبت فيه المصالح السياسيّة بهدف تفريق صفوف الأمة، باستغلال الطبيعة المأساويّة لمقتل الحسين:

ومحصّت أمرك لم "أرتهب"	بنقل "الرواة" ولم أُدع
وقلت لعلّ دويّ السنين	بأصداء حادثك المُفجّع
وما رتلّ المخلصون الدعاة	من "مرسلين" ومن "سجّع"
ومن "تاثرات" عليك المساء	والصبح بالشعر والأدمع
لعلّ السياسيّة فيما جنث	على لاصق بك أو مدعي
لعلّ لذاك و "كون" الشجي	ولوعاً بكلّ شجّ مولع
يداً في اصطباغ حديث "الحس	ين" بلون أريد له مُمتع
ولما أزحت طلاء "القرون"	وسترّ الخداع عن المخدع
أريدُ الحقيقة في ذاتها	بغير الطبيعة لم تُطبّع
وجدتك في صورة لم أَرع	بأعظم منها ولا أروع
وقدستُ نكرارك لم أنتحلّ	ثياب النقاة ولم أدع ^(٢)

موجة الانكسارات العربيّة واسترجاع حادثة كربلاء: "نزار قباني"^(٣) نموذجاً:

(١) ولا ننسى أننا نتحدّث عن إنسان أهمّ ما يتّسم به هو العنف والغضب والتمرد والثورة. للقراءة حول شخصية الجواهري الناثر والتمردية يراجع: علوان، د.ت، ص ٢٩٤ وما بعدها.

(٢) الجواهري، ١٩٨٢، ص ٢٦٦-٢٦٩.

(٣) نزار توفيق القباني (١٩٢٣-١٩٩٨)، من رواد الشعر الحديث في العالم العربي. وُلد في دمشق، ودرس فيها، وتخرّج من كليّة الحقوق بالجامعة السورية عام ١٩٤٥. شغل عدداً من المناصب الدبلوماسية في القاهرة وبيروت وغيرها. أسّس داراً للنشر باسمه، متفرّغاً بذلك للشعر وحده. وكانت ثمرة مسيرته الشعرية إحدى وأربعين مجموعة شعرية ونثرية، كانت أولها " قالت لي السمراء " ١٩٤٤. حول حياته يُنظر: نضال، ٢٠٠٣؛ هوراي، ٢٠٠٤.

نقلت هزيمة ١٩٦٧ شعر نزار قباني نقلة نوعيّة: من شعر الحبّ إلى شعر السياسة والرفض والمقاومة؛ فكانت قصيدته " وامش على دفتر النكسة " ١٩٦٧ التي كانت نقداً سياسياً جارحاً للتقصير العربي، ممّا أثار عليه غضب اليمين واليسار معاً.

ما من ثورة إنسانية نبيلة قامت في التاريخ إلا وكان هدفها تغيير الواقع الفاسد إلى ما هو أفضل منه. لكن طريق الثائرين ليس مفروشاً بالورود، بل محاطاً بالمآسي والانتكاسات في أحيان كثيرة، ومع ذلك فالنصر حليفهم في النهاية، إن لم يكن في حياتهم فبعد مماتهم. فما أن سقط بطل كربلاء صريعاً حتى بدأت الثورات التي دكت عروش الظالمين، وما هي إلا عقود حتى دالت دولة الظلم والطغيان.

وقد تكاملت في واقعة كربلاء عناصر البطولة والمأساة، فمن بين الدماء والدموع، وذلّ السبي والأسر واجتراء القتل وتناولهم، تورق شجرة المقاومة وتفتّح أزهار الحرية، ويستبين طريق الخلاص.

وقد استلهم الشعراء المحدثون الرمز الكربلائي والحسيني وهم يعالجون مجريات القضية الفلسطينية وما أحاط بها من مآسٍ ونكبات، وما رافقها من غدر ومؤامرات أدت إلى مقتل العديد من أبناء الشعب الفلسطيني، وتشريد ملايين آخرين عن وطنهم، وتوزّعهم في مخيمات بأرض الشتات، لأنّ هناك الكثير من الصور المقارنة بين ما حصل في يوم كربلاء الدامي والمجازر التي حصلت للشعب الفلسطيني.

لقد وظّف أكثر من شاعر واقعة كربلاء في قصائدهم، كنموذج ثوري حاولوا أن يطرحوها بديلاً لحالة الاستكانة التي أنكروها لدى الشارع العربي. وسعى العديد من الشعراء لبناء مقاربة جراحية بين كربلاء وفلسطين، وهم يجدون في الواقعتين انهزاماً للقيم العليا والحق التاريخي أمام قوى البغي والطغيان والجور، وكأنّ الدماء التي سالت في كربلاء كانت مقدّمة للدماء الزكية التي سالت في فلسطين.

ولا يخفى على أحدٍ ممّا أنّ الموجة التي طغت على أجواء الشعر العربي منذ خمسينات القرن العشرين هي حرب فلسطين والأحداث التي تلتها حتى اجتياح بيروت ١٩٨٢، ومن ضمنها موجة الانتكاسات العربية، مروراً بنكسة عام ١٩٦٧.

وتعبيراً عن هذه الانتكاسات يصرخ الشاعر السوري "نزار قباني" عام ١٩٦٩ في بغداد:

فجراح الحسين... بعض جراحي

وبصدري من الأسي كربلاء^(١)

وكأنّه بصرخته تلك يعبر عن ألمه العميق من نكسة ١٩٦٧، فنلمس من بينته الشعري كون صاحبه يعدّ هذه النكسة أكبر كارثة في تاريخ العرب الحديث، وأكثر إبلاماً حتى من واقعة كربلاء.

(١) قباني، د.ت، ص ٤١. وهي قصيدة بعنوان "إفادة في محكمة الشعر" وألقيت في مهرجان الشعر التاسع ببغداد في نيسان عام ١٩٦٩.

موجة الانكسارات العربيّة هذه جعلت الشعراء العرب يلتفتون إلى واقعة كربلاء من جديد، ويجعلونها سيّدة أشعارهم، وذلك لوجود أكثر من وشيجة قرى بينها وبين حاضرهم؛ منطلقهم في ذلك أنّ الطريق الوحيد لهذه الأمة يكمن في الطريق الذي سلكه الحسين، وهو طريق الثورة.

نزار قباني لا يقاوم مزج كربلاء مع فلسطين، حين يعبر في بعض أشعاره عن اللواعج التي تحتلّ كيانه في مقاومة العدوان والاحتلال، فيقول في قصيدته "السمفونيّة الجنوبيّة الخامسة":

سَمَيْتُكَ الْجَنُوب

يا لايسا عباءة الحسين

وشمس كربلاء

يا شجر الورد الذي يحترف الفداء

يا ثورة الأرض التقت بثورة السماء

يا جسدا يطلّع من ترابه

قمح.. وأنبياء^(١)

فكما يبدو فإنّ شاعرنا وجد في أفعال المقاومة بجنوب لبنان صورة مجسّدة للحسين وثورته، فرسم خطابه الثوري المباشر بلغة فنيّة معبّراً عن القيم المعنويّة بصور ماديّة، فجعل الجنوب رجلاً يرتدي عباءة الحسين، والتي تجسّد الثورة. وشمس كربلاء كانت بمثابة الشهادة والتضحية التي جعلت شجر الورد يحترف البكاء.

وتتكرّر موضوعة كربلاء مع ارتباطها بأحداث جنوب لبنان مرّة أخرى لدى شاعرنا، حين يكتب عن مجزرة قانا عام ١٩٩٦^(٢) فيقول في قصيدته "راشيل وأخواتها":

وجه قانا..

شاحب اللون كما وجه يسوع.

وهوأة البحر في نيسان..

أمطار دماء، ودموع...

(١) قباني، ١٩٨٣، ج.٦، ص ٦٠.

(٢) مجزرة ارتكبتها قوات البحرية الإسرائيليّة في جنوب لبنان في النصف الأوّل من عام ١٩٩٦، حيث قصفت القوات الجويّة الإسرائيليّة بلدة قانا في جنوب لبنان، وقتلت ١٠٦ مدنيّين لبنانيّين وإصابة أكثر من ١١٠ مدنيّين، أكثرهم من النساء والأطفال والعجائز، الذين لجأوا إلى ملجأ منظمة الأمم المتحدة.

دخلوا قانا .. كأفواج ذئاب جائعة..

يشعلون النار في بيت المسيح..

ويدوسون على ثوب الحسين..

وعلى أرض الجنوب الغالية..

...ورأينا الدمع في جفن علي..

وسمعنا صوته وهو يصلي

تحت أمطار سماء دامية...

كلّ من يكتب عن تاريخ (قانا)

سيسمّيها على أوراقه:

(كربلاء الثانية) .^(١) !!

لقد وضع قباني طرفي المعادلة: مذبحه قانا موازية لمذبحه كربلاء، مستفيداً من الولاء العقائدي الحسيني الذي آمن به هؤلاء الشهداء فشبههم بأحبّ شيء إليهم وهو كربلاء. ويبدو أنّ الشاعر أراد أن يشدّد على أنّ الانتصار المعنوي التاريخي الذي حقّقه الحسين والذي تزيده السنوات رسوخاً هو ما سيحصل لشهداء قانا كلما مرّ الزمن.

وتبرز موضوعه كربلاء جلية في قصيدته " لماذا يسقط مُتعب بن تعبان في امتحان حقوق الانسان؟"

مواطنون .. دونما وطن

مطاردون كالعصافير على خرائط الزمن

مسافرون دون أوراق

وموتى دونما كفن

نحن بغايا العصر.. كلّ حاكم يبيعنا، ويقبض الثمن^(٢) !!

ويقول في موقع آخر في نفس القصيدة:

مواطنون نحن في مدائن البكاء

قهوتنا مصنوعة من دم كربلاء

(١) أنظر الموقع: <http://www.servant13.net/zagal/zagal18.htm>

(٢) قباني، ١٩٨٣، ج.٦، ص ١٠٠.

حنظتنا معجونة بلحم كربلاء

طعامنا، شراينا

عادتنا، راياتنا

صيامنا، صلاتنا

زهورنا، قيورنا

جلودنا مختومة بختم كربلاء^(١).

فنراه يلج إلى بوابة كربلاء جاعلا من الحزن والبكاء الأبدي لوحة أساسية في قصيدته، مستشهدا بمأساة كربلاء التي شكّلت النسيج الأساسي في حياتنا فغرق كل شيء فيها بالدموع والأسى.

القصيدة الكربلائية/الفلستينية: "أحمد دحبور"^(٢) نموذجاً:

يوظف الشاعر الفلستيني أحمد دحبور في قصيدته "العودة إلى كربلاء"^(٣) موضوعه كربلاء، المستندة إلى آلية مقتل الحسين في كربلاء، فيستطرق دواخله على أعتاب كربلاء (المدينة) وهي تلبس الواقعة التاريخية في ذاكرة مشرد فلستيني يستعيد من خلالها كل ما لقيه شعبه من عنت الاحتلال وخذلان الأخوة، يقول في مستهل القصيدة:

آت، ويسبقني هواي^(٤)

(١) قبّاني، ١٩٨٣، ج.٦، ص ١٠٣. وكأنّ دائرة كربلاء في هذه الأبيات اتسعت لتبسط

ظلالها على العرب جميعاً في عصرنا الراهن، جراء تشتتهم وتباعدها.

(٢) شاعر فلسطيني ولد في حيفا ١٩٤٦. هاجرت عائلته إلى لبنان عام ١٩٤٨ ثم إلى سورية، يقيم حالياً في غزة. حاز على جائزة توفيق زياد في الشعر عام ١٩٩٨ عن ديوانه "من هنا وهناك" الذي وصف أنه صورة جديدة ولكنها غير بعيدة عن الواقع وغير مغدقة في التجريد. صدر للشاعر دواوين عديدة منها حكاية "الولد الفلستيني"، "اختلاط الليل والنهار"، "طائر الوحدات"، "واحد وعشرون بحراً". يُنظر: الآغا، ١٩٩٨.

(٣) نلاحظ أن العنوان (العودة إلى كربلاء) يوطد علاقة قديمة بين الشاعر وبين كربلاء، فهو

قد اختار عنواناً يوحي بعلاقة ماضية يعاود الشاعر خلقها من خلال تعبيره "العودة على.."

(٤) يستهل الشاعر قصيدته بمدخل مكاني، حيث يصرّح أنه قادم إلى كربلاء يسبقه حبه إليها.

آت، وتسبقتني يداي^(١)

آت على عطشي، وفي زوادي، ثمر النخيل

فليخرج الماء الدفين إليّ، وليكن الدليل^(٢)

يا كربلاء تلمسي وجهي بمائك، تكشفني عطش القتيل^(٣)

وتري على جرح الجبين أمانة تملي خطاي^(٤)

إنّ هذا الفلسطيني الذي أثنخته الجراح وأضناه العطش لا يجد من يروي ظمأه ويداوي جراحه إلا الشهداء الذين قضاوا عطاشي، ودمائهم الطاهرة التي سفحت في أرض كربلاء، فيعود إليها كالعاشق الولهان يحث الخطى وهواه يسبقه في محاولة للتوحد مع من يحب. أعوام من القهر يطويها للوصول إلى نبع الشهادة بعد أن كان ذلك الوصول ضرباً من المعجزات.

يستحضر الشاعر في الأبيات السابقة مأساة الحسين وينادي كربلاء الروح، وبهاء الموت الذي هواه وأحبه، فجاء إليه رغبة في التطهر والفداء للاقتراب من لحظة الحقيقة التي تملي عليه خطاه، وهذه المأساة تشكل معادلاً دلاليّاً للإنسان الفلسطيني " الذي ووجه بالخذلان، وأدخل إلى نار المذبحة، وفار دمه ودم أهله، كما فار دم الحسين وأهله في كربلاء. إنّ الرمز هنا لكربلاء الفلسطينيّين: الأسى والعطش والحصار والغضب والمأساة.. إنّه البحث عن ماء في زمن العطش، لقد وصل إلى كربلاء رغم الطرق المغلقة، ورغم مشقّة الطريق أملاً أن تكون

(١) وتفسيرها عندي أنّ شاعرنا يعلن أنّ أفعاله مُطابقة لنهج كربلاء بعد أن طابقه هواه؛ فهو عطش أيضاً -كما كان الحسين ومن معه- لكنّه يحمل تمرّاً، والذي يرمز برأبي لمفهوم التقشّف والقناعة بأقلّ القليل من متاع الدنيا.

(٢) نلاحظ من هذا البيت أنّ الشاعر كأنّه يتعمّد أن يتجاهل وجود الفرات لشرب الماء، ويطلب من أرض كربلاء ماءً دفيناً في جوفها يكون دليلاً إلى سدّ عطشه الروحي قبل عطشه الجسماني. وربما نفسّر تجاهله للفرات كونه استعصى على الحسين في واقعة كربلاء حتّى قضى عطشاً، ولم يرد الشاعر أن يأخذ ما لم يأخذه الحسين.

(٣) نلمس في هذا البيت الصورة الفنية الاستعارية التي يرسمها الشاعر حين يطلب من كربلاء أن تتلمس وجهه بمائها، فجعل الماء بمثابة يد المدينة أو الواقعة نفسها، والتي تكشف عن عطش الشاعر الشبيه بعطش القتيل، ولتبصر جرحاً على جبينه والذي يعكس أمانة تقود حُطى الشاعر إلى رؤيته. وربما يقصد بـ"جرح الجبين" تلك الجروح التي يُحدثها من يحيي ذكرى الحسين في عاشوراء تعبيراً عن مشاركته للحسين في آلامه، وتعبيراً عن انتمائه إلى ثورته.

(٤) دحيور، ١٩٨٣، ص ٢٥٧.

البداية، ووجد الحسين نفسه وحيداً في المواجهة، بينما تقاسم الآخرون أسرارهم وثمر النخيل. إنهم الذين خذلوا الفلسطيني المعاصر^(١).

ويرى الدكتور خالد الكركي أنّ "حضور الرمز هنا استدعاء مباشر ليقول من خلاله ما يريد، وهو رمز لا يحتاج إلى بناء مركب في مثل هذا النصّ المباشر أيضاً، أي الذي يريد صاحبه الاحتجاج من خلاله على القتل، ويريد أيضاً أن يتحوّل الدم . كما تحوّل دم الحسين . إلى محرّض، ودعوة لثورة مستمرة، لخروج الماء من أرض كربلاء لتروي عطش الحسين"^(٢):

آتٍ على عطش وفي زواتي ثمر النخيل

فليخرج الماء الدفين إليّ.. وليكن الدليل..

بذلك تكون الذاكرة البشريّة قادرة على استعادة مآسي التاريخ الجارحة، وجعلها صورة من صور العصر الذي تطبّق فيه شريعة الغاب، حيث الفلسطيني الذي فُرِضَ عليه الموت ليحيا، كما فُرِضَ الموت على الحسين ليحيا، ويتحوّل إلى "بطل التراجيديا"، وليس مجرد "بطل التاريخ"، كما أصبح موته علامة وجوده المستمرّ.

وبذلك يصبح الحسين فاعلاً في الزمان والمكان، ويمتلك ديمومة الحضور، وصيرورة الوجود، وخاصّة بعد رفضه الاستسلام رغم تحلّي أشياعه عنه، ورفضه مبايعة يزيد بن معاوية مقابل شربة من الماء تحييه، فاختار الموت بنفس راضية، وهذا ما يوحي إليه الشاعر في البيتين الثالث والخامس.

ثم ينظر الشاعر في مرآة كربلاء فيرى تاريخ وطنه السليب ومآسيه، فيقول:

لا تسألني وجهي الجديد عن الأحبة

كانوا رعاة بالثياب وكانت الأسرار ذنبة

كنّا تبايعنا على موت يقيلك من عذاب الموت

في الأسر الطويل

فتقاسموا ثمر النخيل، ولم يمت أحد سواي

(١) الكركي، ١٩٨٩، ص ١٨٩.

(٢) المصدر السابق، ص ١٩٠.

شاهدتهم، ومعني شهودي:

أنتِ، والماء الذي يغدو دماً

ودم لديهم صار ماءً

والنخيل

شاهدتهم . عين المخيم فيّ لا تخطئ . وكانوا:

تاجرًا، ومقامرًا، ومقتعًا، كانوا دنائير النخيل^(١)!

ثمّ يعترف الشاعر أنّه بقي وحيداً يصارع الموت والمذابح والغربة والتشتت:

ودخلت في موتي وحيداً أستحيل

وطناً، فمذبحة، فغربة..

يا كربلاء، تفور فيّ النار،

أذكر كيف تنقلب الوجوه..^(٢)

وبعدها ينتقل الشاعر إلى تلمس أوجه التشابه في الظروف التي أحاطت بالحسين وأصحابه المخلصين، وكيف أن من بايعوه على الموت دونه قد غدروا به لقاء ثمن بخس ووعود لم يتحقق منها شيء، وهو نفس ما حدث للشعب الفلسطيني الذي تعرّض لمؤامرات داخلية وخارجية لقاء أثمان معلومة، يشخصها ويعرفها أبناء المخيمات (كانوا دنائير الدخيل)! فكان ما كان من ضياع الوطن، وقيام المذابح، والاعتراب والنفي في شتّى أقطار الأرض، فلا يجد الشاعر بداً من العودة إلى نهر الدم الجاري في كربلاء ليبيئه همومه وأحزانه:

يا كربلاء تغز فيّ النار،

أذكر كيف تنقلب الوجوه

عرفوا الغريم وأمسكوه

ويقال: كان يخب في لحمي ويشرب من دماي

غصبوا عليه طوال ساعات احتضاري

ثمّ مت فتّوجوه

وتبادلوا رأسي، فلم يركب على عنقي،

(١) دحبور، ١٩٨٣، ص ٢٥٨-٢٥٩. يبدو جلياً من خلال هذه الأبيات تداخل كربلاء بفلسطين عند الشاعر، الذي يستشهد بالماء الذي اصطبغ بدم الشهداء، ودم الحكام الذي صار ماءً وتتكروا له، والنخيل رمز بقاء الأمّ، كلّهم كانوا مع الشاعر يرون بعين المخيم عين المعاناة والقهر والحرمان التي لا تخطئ الحكام وقد تحوّلوا إلى تاجر ومقامرين ومزيفين.

(٢) دحبور، ١٩٨٣، ص ٢٥٩.

وعاد إلي بالجرح النبيلُ
وأعود،
لن يتصدّروا باسمي،
فجرحي جاء ينكرهم،
وتنكر ما استباحوا مقلّتي
وإذا حسبت حسبتهم في صفّ غاصبك
الدخيلُ
يا كربلاء الذبح، والفرح المبيّت،
والمخيم، والمحبة
كلّ الوجوه تكشّفت كلّ الوجوه،
ورأيت: كأنّ السيفَ في كفي،
وكنت لنظرة الفقراء كعبة
ورأيت من باعوك، باعونا معا
وتقاسمونا في المزداد فما انقسمنا،
كنت فيك النهر،
والتحمت بعشبيك ضفتاي
وقتلّت فيك - كما رأيت - أنا هو النهر القتيلُ
فليخرج الماء الدفينُ إلي وليكن الدليل! (١)

يلتحم الشاعر بالرمز الحسيني ويجعله مفتاحاً لفهم مجريات الواقع الفلسطيني والعربي المعاصر. فرأس الحسين هو رأس الثورة الجديدة التي بيعت في مزاد المصالح والمؤامرات الدولية، والذين تاجروا باسم الشعب وتواطئوا مع الغاصب المحتل يرفضهم الشاعر وجراحه النازفة، وترفضهم كربلاء مخيمات اللاجئين التي تتكشف أمامها الوجوه وتسقط أفنعة الزيف، وتبقى كربلاء كعبة للفقراء، تلتحم الضفتان بعشبيها، وتتوحدان في المصير، ولذا يمتاح الشاعر من مائها المشرب بالحمرة ليكون دليله في سفره الطويل، ثم يستمر:

يا كربلاء وأنت جارحة وصعبة
آتيك بالفرح الجريء،
وما حسبت الحرب لعبة
آت ولو كره السعاة إلى الخيول،

(١) دحيور، ١٩٨٣، ص ٢٦٠.

بلا فوارس،
 والسيوف بلا صليل
 أودعتهم موتي وأرخت الحياة لكلّ جيل
 هذا زمان يكبر الفقراء فيه فيقتلون ويُقتلون
 هذا زمان للبطولة،
 أو -لمن شاء- الجنون
 هذا زمامي، فاشهدي -
 جسدي يردّ إليك حربة
 ولديك ذاكرتي افتحها تغلقي زمن العويل:
 ليس الوصول إليك معجزة،
 وكنت خطوت فأنهدم الجدار المستحيل
 وظهرت فاتسعت خطاي
 وأنا هنا فرحي معي، ومعى الهدايا والشجون
 آتٍ ويسبقني هواي
 آتٍ وتسبقني يداي
 آتٍ على عطشي وفي زوادتي ثمر النخيل
 فليخرج الماء الدفين إليّ، وليكن الدليلُ

نخلص للقول إنّ أبيات القصيدة السابقة تُظهر محاولة جادة للدخول في رحمة التجربة الكربلائية. وعلى الرغم من أنّ دحبور لم يدخل لموضوعة كربلاء من بوابة الجانب الإسلامي والديني (كما اعتدنا) بل تناول جانب كربلاء النائرة وتجليات الواقعة في قلوب وضمائر الناس، وارتباط الثوار بها وبالحسين على مرّ العصور والأزمان، إلا أنّ هذا التناول لا يلغي توظيفه لموضوعة كربلاء في قصيدة متماسكة تطرح رؤية قديمة-مُعاصرة لا تُبلى، رؤية أراد الشاعر كما يبدو إعادة إحيائها وتجليتها وإزالة الغبار عنها لحاجة العرب الماسّة إليها في زمن هزيمتهم الراهن. وأقصد بها رؤية الثوار الشهداء.

القصيدة الكربلائية الداعية للثورة والمتمسمة ببراعم التمرد: "مظفر النواب" (١) نموذجاً:
يُعتبر الشاعر العراقي "مظفر النواب" أحد مجددي الشعر الشعبي العراقي، لكتفه برع في الشعر
الفصيح أيضاً، واشتهر بنقده الشديد للأوضاع السياسية في العراق والعالم العربي فحقق
حضوراً جماهيرياً عربياً واسعاً، رغم أنّ أشعاره ممنوعة في أكثر الأقطار العربية.
نراه في إحدى قصائده وهو يستلهم وقفة الحسين البطولية في كربلاء ليحوّلها إلى قيمة مطلقة
للشهادة في سبيل الحقّ، وذلك من خلال حوار ذاتي ومناجاة مع رأس الحسين الذي رفعه
القتلة فوق الرماح، وطافوا به في البلدان إمعاناً في الجريمة، وتحدياً سافراً لمشاعر المسلمين:
وكم أنت تشبه رأس الحسين
الذي فوق رمح
ولا يستريح
تأبى الذنائب
مذ ثبتتها الدماء على غرة
أن تزيح
ومن ثبتته الدماء
محال يزيح (٢)

(١) مظفر عبد المجيد النواب شاعر عراقي معاصر، ولد في بغداد عام ١٩٣٤ من أسرة ثرية
مهتمة بالفنّ والأدب ولكن والده تعرض إلى هزة مالية أفقدته ثروته. تابع دراسته في كلية
الآداب ببغداد وبعد انهيار النظام الملكي في العراق عام ١٩٥٨ تمّ تعيينه مفتشاً فنياً بوزارة
التربية في بغداد.

في عام ١٩٦٣ اضطر لمغادرة العراق، بعد اشتداد التنافس بين القوميّين والشيوعيّين الذين
تعرّضوا إلى الملاحقة والمراقبة الشديدة من قبل النظام الحاكم، ثمّ تمّ القبض عليه وحُكِمَ
بالسجن المؤبد. في هذا السجن قام مظفر النواب ومجموعة من السجناء بحفر نفق من الزنزانة
يوّدي إلى خارج أسوار السجن، وبعد هروبه المثير من السجن توارى عن الأنظار في بغداد،
وظلّ مختفياً فيها ثمّ توجه إلى الجنوب، وعاش مع الفلاحين والبسطاء حوالي سنة. وفي عام
١٩٦٩ صدر عفو عن المعارضين فرجع إلى سلك التعليم مرّة ثانية. راح ينتقل بين العواصم
العربية والأوروبية، واستقر به المقام أخيراً في دمشق. أنظر: الأسطة، ١٩٩٩؛ الحصني،
١٩٩٦.

(٢) النواب، ٢٠٠١، ص ٢٥٢.

كما ونلمس إصرار مظفر على أنه ما من سبيل للأمة العربية إلا الثورة، وان الحسين لا يعني إلا الثورة^(١). بل نجده يذهب في إحدى قصائده إلى أبعد من ذلك حين يفترض أن الحسين إذا ما رأى نتائج الهزائم العربية على جسد المجتمع العربي، ولا سيما أطفاله، فإنه سيُنكر مأساته لوجود مأسٍ أخرى شبيهة وقد يثور مرّة أخرى. يقول:

وامقُت... أمقُت من يُشهبون الحسين

لغير الوصول إلى ثورة

مثلما جوهر الأمر فيه وإلا جنوح

لعلّ الحسين إذا ما رأى طفلة في شوارع بيروت

تنهش من لحمها الشهوات

وثمّ شظايا من القصف فيها

سيُنكر مأساته والجروح على رنتيه تقيح

يقولون من أمّها وأبوها؟

فقلّك الجنوب وتاريخه والبيوت الصفيح^(٢)!

لقد عمد شاعرنا -وبشكل بارز- إلى توظيف شخصيات تحمل عبق التراث في نصوصه الشعرية، والتي تتسم بكونها نماذج نائرة تحمل براعم التمرد ورفض الواقع^(٣)، مُحاولاً -كما يبدو لي- أن يخلق أو يطرح بديلاً لحالة الاستكانة التي تُغرق الشارع العربي وتغزو قاطنيه. فنجدته مثلاً يوظف رمز شخصية "علي" مستفيداً من الصورة التاريخية لأحداث كربلاء وشخصها بأبيات شعرية تفوح منها رائحة الغضب العنيف "يزيد" في قصيدته "وتريات ليلية/الحركة الاولى":

ماذا يقدر في الغيب؟

أسيفُ علي!!

قتلتنا الردة يا مولاي كما قتلتك بجرح في الغرة

هذا رأس الثورة، يحمل في طبق في قصر "يزيد"

وهذه "البقعة" أكثر من يوم سبائك

فيا لله وللحكام ورأس الثورة

هل عرب أنتم!!؟

(١) وهو يقترب بنظرته هذه إلى نظرة نزار قبّاني كما ذكرنا من قبل.

(٢) النّوَاب، ٢٠٠١، ص ٢٢١.

(٣) من هذه الشخصيات: الحسين، علي، أبو ذرّ الغفاري، الحسين الأهوازي.

و"يزيد" على الشرفه يستعرض أراض عراياكم
ويوزعهن كحلم الضأن، لجيش الردة!!
هل عرب أنتم...
والله أنا في شك من بغداد إلى جدّة^(١)!

وفي مكان آخر بصور النوب مأساة اللاجئين الفلسطينيين مستعيناً بالرمز الكربلائي، مقارناً بين رحلة سبايا البيت النبوي الذين ساقهم الجلاذون من الكوفة إلى الشام يتقدمهم رأس الحسين وبقية الشهداء، ورحلة لجنازة طفل فلسطيني من اللاجئين فيقول في قصيدة "عروس السفائن":
لقد كنت أحلم وعياً

وعلى حلم بالذي سوف يأتي وفاء
ومرت جنازة طفل.. على حلمي بالعشي
يراد بها ظاهر الشام
قلت: أثنائية كربلاء؟
فقالوا: من اللاجئين!^(٢)

هذه النصوص لشاعرنا تحمل بين طياتها انهيار وتداعي الواقع العربي، معتمدة على اشتعال ايقاعها غضباً، مستعينةً برموز الرفض والتمرد والثورة، التي تستلهمها من تراثنا العربي الإسلامي، الناثرين الغاضبين الطامحين للتغيير.

القصيدة الكربلائية من منظور فلسفي: "مصطفى جمال الدين"^(٣) نموذجاً:

(١) النوب، ٢٠٠١، ص ٢٤٦-٢٤٧.

(٢) النوب، ٢٠٠١، ص ٤٣١.

(٣) هو شاعر عراقي ولد لأسرة من الأسر العلمية الدينية المعروفة التي تخرّج منها الكثير من العلماء سنة ١٩٢٧م/١٣٤٦هـ في إحدى القرى التابعة لمدينة الناصرية جنوب العراق. ثم هاجر إلى النجف لدراسة العلوم الدينية، وعرف بين زملائه بالنبوغ المبكر والذكاء الحاد، وعُين معيداً في كلية الفقه في النجف. حاز على الماجستير في الشريعة الإسلامية. وعُين أستاذاً في كلية الآداب بجامعة بغداد. وبعد ذلك حاز على شهادة الدكتوراه من قسم اللغة العربية. كان جمال الدين شاعراً مطبوعاً، كتب شعره مبكراً. وقد دفع به شغفه بالشعر للتعرف على شعراء العراق المعاصرين، أمثال: السيّاب، والبياتي، والجواهري، لكنّه كان للجواهري أقرب.

في قصيدته "أبا الشهداء" يفلسف الشاعر الشيعي مصطفى جمال الدين عقيدته وتشيعه للحسين، فهما نبعاً في أعماقه، لا لأنه قد ورث محبة الحسين عن أبيه وأجداده، بل لأنه طريق رحب لدعاة الكبرياء والحرية والاعتناق. يقول:

أنا لستُ شيعياً، لأنّ علىّ فمي	ذكر الحسين أعيدي فيه وأظنّب
ولأنّ في قلبي عصارة لوعة	لأساة تذكرها العيون فتسكّب
ولأنّ أمي أرضعتني حبه	ولأنّ لأبي وجدّي مذهب
لكنني أهوى الحسين لأنّه	للسالكين طريق خير أرحب
وأحبه لعقيدة يفنى لها	إنّ ديس جانبها.. ودين يغضب
ودم يريق لأنّه يغذو به	جوع الضمائر إذ تجف فتجذب
أكون شيعته وقد أخذ الهوى	قلبي بغير طريقه يتنكب
أكون شيعته إذا لاقيته	وأنا لروح (يزيد) منه أقرب ^(١)

وتتمثل النظرة الجديدة لدى شاعرنا بتأكيد على الانتماء للحسين من خلال تتبّع خطاه والسير على هداه ودربه، وليس من خلال الولاء السلبي له، والبقاء عليه في الوقت التي تكون الأفعال فيها أقرب إلى يزيد منها إلى الحسين.

وهكذا، نستشفّ من الأبيات السابقة دعوة الشاعر لجعل روح الحسين ومبادئه هي التي تخلق الانتماء إليه، لا لوعة المحبّ غير المقرونة بالعمل الجهادي المماثل.

إنّ الرمز الحسيني يمتد فوق الزمان بنبضاته الخلاقة، فهو تجسيد لصراع الحق مع الباطل، هذا الصراع الذي لا ينتهي ولا يحسم إلا بنهاية انتظارنا بمقدم وارث الخطّ الإلهي. ولأنّ المسألة الحسينية لم تشف غليلها بعد، فلا بدّ للانفعالات والعواطف والمحبة الموالية أن ترفد الجانب الوجداني للولاء، بنتائجها التي تستوحي من الملحمة العظيمة كلّ محرّك للضمائر، ومهيّج للهمم ومدرة للدموع العاشقة كما في قصيدة شاعرنا:

ذِكْرَاكَ تَنْطَفِئُ السَّنِينُ وَتَغْرُبُ	وَلَهَا عَلَى كَفِّ الْخُلُودِ تَلْهَبُ
لَا الظُّلَمُ يَلْوِي مِنْ طِمَاحِ ضَرَامِهَا	أَبْدَاً وَلَا حَقْدُ الضَّمَائِرِ يَحْجُبُ
ذِكْرِي الْبَطُولَةِ لَيْلَهَا كَنَهَارِهَا	ضَاحٍ تَوُجُّ بِهِ الدَّمَاءُ وَتَلْهَبُ

يمتاز شعره بالمزج بين الشعور الوطني والغزل. توفي عام ١٤١٦هـ إثر مرض عضال ألمّ به، ودُفن في دمشق.

(١) جمال الدين، ١٩٩٥، ص ٥٠٧-٥٠٨.

ذَكَرَى الْعَقِيدَةَ لَمْ يَنْوُ مَتْنٌ لَهَا
ذَكَرَى الْإِبَاءَ يَرَى الْمَنِيَّةَ مَاؤُهَا
ذِكْرَاكَ مَدْرَسَةُ الَّذِينَ تَعَرَّضُوا
وَمَحَبَّةَ الشُّهَدَاءِ يَخْشَاهُمْ - وَهُمْ
مَوْلَايَ دَرَبُ الْخَالِدِينَ مُنَوَّرٌ
تَهْفُو لِرُوعَتِهِ الْمُنَى لَكِنَّهُ
بِالْحَادِثَاتِ وَلَمْ يَخُنْهَا مِنْكَبٌ
أَصْفَى مِنَ النَّبَعِ الدَّلِيلِ وَأَعَدَبُ
لِلْسُوطِ يَحْكُمُ فِي الشُّعُوبِ فَأَرْعَبُوا
صَرَعى بِهِ - السَّيْفُ اللَّئِيمُ وَيَرْهَبُ
بِالذِّكْرِيَّاتِ الْغَرَّ سَمَحٌ مُخْصَبٌ
مِمَّا يُحِيطُ بِهِ الْفَجَائِعُ مُتَعَبٌ^(١)

(١) جمال الدين، ١٩٩٥، ص ٥١١-٥١٢.

الخاتمة

لم تكن كربلاء معركة عسكرية انتهت فصولها يوم العاشر من المحرم عام ٦١ للهجرة فحسب، بل كانت منعطفًا خطيرًا حرك الكثير من الأحداث التالية في حياة المسلمين وما زال، لذلك بقيت الذاكرة المسلمة، والشيعية بشكل خاص، تستحضر هذا اليوم بمزيد الحزن والألم والحسرة، وبقيت كربلاء جارحة وصعبة.

تقصى البحث أثر معركة كربلاء في الشعر العربي الحديث، بالدرس والتحليل عند رواد الإحياء والنهضة الأدبية الحديثة -وبخاصة في العراق- كالسياب والجواهري.

وقدم البحث نماذج متنوعة لقصائد وظفت كربلاء ومأساة الحسين وأهله في محاولات من الشعراء للتعبير بها عن أبعاد مأساة العربي المحاصر: بين حدّي الظمأ إلى الحرية والتقدم، وقيّد السلطة وظلم الحكّام.

إنّ كربلاء وشعرها يشكّلان رافدًا كبيرًا في الأدب العربي، ولا يمكن التقليل من أهميتهما إلا إذا ألغينا عشرات من شعرائنا الكبار وأهمنا أجزاء رئيسة من نصوص ديوان الشعر العربي، ومن هنا كانت دراسة هذا الأدب لأهداف علمية بحثية.

ولذا حاولت هذه الدراسة تحريّ مكانم القوة والضعف في النصوص التي طرحتها كنماذج بعيدًا عن شخصيات أصحابها ومكانتهم الدينية أو الدنيوية.

ويمكن القول إنّ هذه الدراسة اجتهدت في قراءة النصوص وأصحابها وقدمت تحليلًا منهجيًا لها آخذة بعين الاعتبار خصوصية الموضوع وظروف الشعراء، وفضاء الحرية المتاحة للتعبير عنه في بعض الأقطار العربية.

ولا بدّ من القول إنّ الدراسة قادتنا إلى التسليم بأنّ الكثير من الشعراء وجدوا وشائج متينة بين حياتهم وحياة أمتهم وبين الحسين وثورته، فكأنّ الظلم الذي وقع عليهم امتداد للظلم الذي وقع عليه، ولذا فإنّهم يستعيدون واقعة كربلاء وكأنّها زادهم اليومي، فلا يطوون صفحاتها ولا يملّون من التذكير بما جرى فيها.

كما وتوصل البحث في أنماط التوظيف الكربلائي إلى عدّة نتائج أهمها:

١. أنّ القصائد الكربلائية والمراثي الحسينية لم تقتصر على شعراء الشيعة وحدهم، فثمة مراتب لشعراء من المذاهب الإسلامية المختلفة وحتّى من شعراء غير مسلمين، الذين يروون في الحسين إرثًا إنسانيًا عامًا، يُقصد لذاته وتتجلّى فيه صفات التقديس والطهارة.

٢. إنّ مجمل النصوص التي اطّلت عليها الدراسة تنتمي إلى إحدى الرؤى التالية:

الأولى: رؤية تكتفي بالجانب الظاهر من رمز كربلاء، وهو جانب الحزن والمأساة دون أن تسبر أغوار الواقعة وشحناتها الداخلية، وهذا التوظيف لا يشعر المتلقّي بتداخل الرمز

الكريلائي مع النصّ، بل هو مُعطى جديد يجاور النصّ دون أن يمنحه نفسه بل يحافظ كل فيه على استقلاله.

الثانية: رؤية تتأرجح بين التوظيف التقليدي ومحاولة الاستفادة من الأبعاد الداخليّة للرمز الكريلائي. وبرزت هذه الرؤية بشكل خاصّ عند الشعراء الذين دخلوا للموضوعة الكريلائيّة من بوابة القضية الفلسطينية، خصوصاً تلك النصوص التي كتبت بعد هزيمة حرب حزيران عام ١٩٦٧.

الثالثة: رؤية تتساق مع الموضوعة الكريلائيّة بكلّ مؤثراتها، وامتازت نصوصها بالاعتماد على عمق الإحساس الذي تمنحه كربلاء للمتلقّي، مع محاولة دمجها بالمقومات الجمالية الأخرى، للابتعاد عن الترهّل في المبنى الشعري.

٣. إن محاولة تقصّي الحضور الكريلائي في مجمل الشعر العربي الحديث تبدو محاولة شاقّة أمام العدد الهائل والمتعدّد البيئات والأهواء للشعراء. إلا أنّ المشترك لجميع هؤلاء سعيهم لترميز الواقعة وشخصياتها، فصاروا يقرنون (الحسين) بالثورة والإباء والشهادة، كما وصاروا يقرنون (يزيد) بالطغيان واغتصاب الحقّ من أهله.

٤. في الشعر العربي المعاصر أصبح توظيف كربلاء والشخصيّة الحسينيّة التراثيّة يأخذ منحىً جديداً، وهو المنحى التعبيري الذي يحمل بُعداً من أبعاد تجربة الشعر المعاصر. بمعنى أنّ تلك الشخصيّة تصبح وسيلة تعبير وإيماء في يد الشاعر يعبر من خلالها أو بها عن رؤياه المعاصرة. وهذا التوظيف للشخصيّة التراثيّة هو آخر الوشائج في علاقة الشاعر المعاصر بموروثه، وأصبحت ظاهرة التوظيف هذه شائعة في شعرنا المعاصر وسمة بارزة فيه.

٥. لا يقف الشاعر الكريلائي الحديث عند تصوير الواقعة التاريخيّة وأحداثها المأساويّة فحسب، لكنّه يتجاوز ذلك إلى بثّ مضامين معاصرة، ويتناول واقعة كربلاء بروى حدائوية وأسلوب حواريّ، تجعل المتلقّي يقف أمام حقيقة الصراع بين معسكر الحقّ والباطل.

ولذلك تحضر (فلسطين) لتجسيد هذا الموقف النفسي الفاجع الذي يدين العصر وشخصيّاته، ويؤكد رفض قتامة الحياة العربيّة المعاصرة وتلاشي حدّتها. فالشاعر الحديث يستضيء بيوم كربلاء لتشخيص يومه الحاضر، فيرى وجه تشابه بين الاثنين من حيث اشتداد الظلم والقهر، وغياب العدل والإنصاف، ثمّ ينطلق بعد ذلك لتناول الواقع السياسي الراهن.

وبما أنّ (الحسين) كان صاحب قضيتين: سياسيّة، وأخلاقيّة ضدّ الفساد الذي استشرى في المجتمع الأمويّ، فقد تسابق الشعراء، ومنهم الشعراء الفلسطينيون، في تصوير هذه الشخصيّة باعتبارها صاحبة قضية إنسانيّة كبرى تتسم بالأخلاق النبيلة، وترفض الواقع، وتقف وحيدة في أرض المعركة بعد أن تقاعس أشياعها عن نصرتها والدفاع عن مبادئها النبيلة، وهي صورة تاريخية يمكن اعتبارها معادلاً لداليا لسليبيّة الأمة، وتخاذلها عن نصره الحقّ والخير في

العصر الحاضر. حيث تبرز كربلاء في القصائد الحديثة باعتبارها رمزاً من رموز الدم العربي النازف في جسد العراق حتى اليوم.

وقد وجدنا أنّ عملية الربط التاريخي والإبداعية بين كربلاء وبين الانكسارات العربية كنعسة ١٩٦٧، ونكبة فلسطين، يعكس ارتباطاً داخلياً لدى الشاعر بين الحوادث الجسام التي شهدتها الأمة عبر تاريخها، وهي في الوقت نفسه عملية استنهاض لعزائم الناس لمحاربة اليهودي المحتلّ اقتداءً بسيرة الحسين.

ويعدّ الشاعر أعداء الحسين في كربلاء هم أعداء فلسطين اليوم، وإن كان الانتماء مختلفاً بينهما لكنهما في الحالين مغتصبان للحقوق ومعتديان على أهل الفضل وأصحاب المبادئ. وقد تبين لنا أنّ زمن القصّ لواقعة كربلاء قد تجلّى للشعراء متأقلاً من خلال أبعاده التكوينية ودلالاته القيمة ليضارع الحدث الماضي باعتباره شهادة الحاضر على الغائب، في أرضية يستحضر فيها جملة من العوامل والمؤثرات السببية لثورة ناصعة في سماء الدهر وأفق التاريخ مرسخة في الضمير الجمعي فاعلية القيم السماوية التي أريد طمسها والتجاوز عليها عبر موارثها تحت سلطنة التزييف والتحريف.

٦. لقد استلهم الأدباء والشعراء العظات الكثيرة من هذه الثورة الكربلائية. وهدفوا إلى تبيان حقيقة واحدة هي: إمّا العيش بحرية وكرامة وسط مجتمع يسوده العدل ويتمسك بمبادئ الإسلام وقيمه. وإمّا التضحية بالنفس من أجل الحرية والكرامة والعدل والتمسك بمبادئ الإسلام وقيمه. وهذه الحقيقة برزت بشكل واضح بين ثنايا أشعارهم.

نخلص ممّا سبق، أنّ الرمز الكربلائي قد أصبح في الزمن المعاصر أنشودة ثورية ترددها الشعوب الضامنة إلى لون الحرية والعقيدة الإسلامية، فالحسين لم يقف فترة زمنية عابرة، وإمّا موقفاً خالدًا.

وقد اتضح لنا أن الرمز الحسيني الكربلائي ببيكائيته الحادة يشكّل همّاً بارزاً من هموم الشعر العربي القديم والمعاصر، السنّي والشيعي. ممّا جعل الشعراء والأدباء يتناولون كربلاء كرمز تاريخي في أغلب نتاجاتهم.

ثبت المصادر

- ❖ ابن الجوزي، ١٩٧٠- أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، التبصرة، القاهرة: عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٩٧٠.
- ❖ ابن كثير، ١٩٦٦- عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، البداية والنهاية، بيروت: مكتبة المعارف، ١٩٦٦.
- ❖ ابن كثير، ١٩٧٦- إسماعيل بن عمر ابن كثير، استشهاد الحسين، القاهرة: مطبعة المدني، ١٩٧٦.
- ❖ ابن منظور، ٢٠٠٣- جمال الدين محمد بن مُكْرَم بن منظور الأنصاري، لسان العرب، بيروت: دار صادر، ٢٠٠٣.
- ❖ الأسطة، ١٩٩٩- عادل الأسطة، الصوت والصدى: مظفر النَوَّاب وحضوره في فلسطين، فلسطين: النصر، ١٩٩٩.
- ❖ الآغا، ١٩٩٨- الآغا، يحيى زكريا، إضاءات في الشعر الفلسطيني المعاصر، فلسطين: دار الحكمة، ١٩٩٨.
- ❖ البصير، ١٩٤٣- محمّد مهدي البصير، نهضة العراق الأدبية في القرن التاسع عشر، بغداد: مطبعة المعارف، ١٩٤٣.
- ❖ البياتي، ١٩٩٥- عبد الوهاب البياتي، الأعمال الشعرية الكاملة، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات، ١٩٩٥.
- ❖ تفاحة، ١٩٩٠- أحمد زكي تفاحة، في رحاب ثورة الحسين، بيروت: الشركة العالمية للكتاب، ١٩٩٠.
- ❖ جبران، ١٩٨٩- سليمان جبران، المبنى واللغة في شعر عبد الوهاب البياتي: دراسة أسلوبيّة، عكا: دار الأسوار، ١٩٨٩.
- ❖ جبران، ٢٠٠٣- سليمان جبران، مجمع الأضداد: دراسة في سيرة الجواهري وشعره، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٣.
- ❖ الجدع، ١٩٨٦- أحمد عبد اللطيف الجدع، بدر شاكر السيّاب: شاعر من العراق، الأردن: دار الضياء، ١٩٨٦.
- ❖ جمال الدين، ١٩٩٥- مصطفى جمال الدين، الديوان، بيروت: دار المؤرّخ العربي، ١٩٩٥.
- ❖ الجواهري، ١٩٩١- محمّد مهدي الجواهري، ذكرياتي، دمشق: دار الرافدين، ١٩٩١.
- ❖ جيوسي، ٢٠٠١- سلمى الخضراء الجيوسي، الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠١.
- ❖ حداد، ١٩٩٨- علي حداد، بدر شاكر السيّاب: قراءة أخرى، عمّان: دار أسامة، ١٩٩٨.

- ❖ الحصري، ١٩٩٦- عبد القادر الحصري، مظفر النواب: شاعر المعارضة السياسية قراءة في تجربته الشعرية، دمشق: المنارة، ١٩٩٦.
- ❖ الحلبي، ١٩٨٤- حيدر الحلبي، ديوان السيد حيدر الحلبي، بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٩٨٤.
- ❖ الحموي، ١٩٥٧- شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، بيروت: دار صادر للطباعة والنشر، ١٩٥٧.
- ❖ الحيدري، ١٩٩٩- إبراهيم الحيدري، تراجميا كربلاء: سوسيلوجيا الخطاب الشيعي، بيروت: دار الساقى، ١٩٩٩.
- ❖ خفاجي، ١٩٨٢- عبد المنعم خفاجي، الأصالة والتجديد في روائع الشعر العربي، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٢.
- ❖ الخليلي، ١٩٨٧- جعفر الخليلي، موسوعة العنبتات المقدسة، بيروت: مؤسسة الأعلمي، ١٩٨٧.
- ❖ دحبور، ١٩٨٣- أحمد دحبور، ديوان أحمد دحبور، بيروت: دار العودة، ١٩٨٣.
- ❖ زهدي، ١٩٩٩- زاهد محمد زهدي، الجواهري: صنّاعة الشعر العربي في القرن العشرين، بيروت: دار القلم، ١٩٩٩.
- ❖ سعيد الحميد، ١٩٤٩- محمد محيي الدين عبد الحميد، شرح ديوان الشريف الرضي، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٩٤٩.
- ❖ سلوم، ١٩٧١- داود سلوم، مقالات عن الجواهري وآخرين، النجف: مطابع دار النعمان، ١٩٧١.
- ❖ السيوطي، ٢٠٠٣- جلال الدين السيوطي، تاريخ الخلفاء، بيروت: دار الجيل، ٢٠٠٣.
- ❖ شُبْر، ١٩٨٨- جواد شُبْر، أدب الطّفّ أو شعراء الحسين، بيروت: دار المرتضى، ١٩٨٨.
- ❖ شرف، ١٩٩١- عبد العزيز شرف، الرؤيا الإبداعية: في شعر عبد الوهاب البياتي، بيروت: دار الجيل، ١٩٩١.
- ❖ الطعمة، ١٩٨٨- سلمان هادي الطعمة، كربلاء في الذاكرة، بغداد: مطبعة العاني، ١٩٨٨.
- ❖ عزام، ٢٠٠٥- محمد عزام، "قصيدة القناع في الشعر السوري المعاصر". الموقف الأدبي، دمشق: اتحاد الكتاب العرب، ٤١٢، ٢٠٠٥.
- ❖ علوان، د.ت- علي عباس علوان، تطوّر الشعر العربي الحديث في العراق، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، د.ت.
- ❖ الفيروزبادي، ١٩٦٣- مرتضى الحسن الفيروزبادي، فضائل الخمسة من الصّاح السنّة، العراق: دار الكتب الإسلامية، ١٩٦٣.

- ❖ قباني، ١٩٨٣-نزار قبّاني، الأعمال الشعرية الكاملة، بيروت: منشورات نزار قبّاني، ١٩٨٣.
- ❖ قباني، د.ت-نزار قبّاني، الأعمال السياسية، بيروت: منشورات نزار قبّاني، د.ت.
- ❖ قناز، ١٩٩٢-جورج قناز، "كربلاء في الأدب الشعبي"، الكرمل، ١٣، ١٩٩٢، ١٧٩-١٩٤.
- ❖ الكاظمي، ١٩٦٤-جابر الكاظمي، ديوان الشيخ جابر الكاظمي، بغداد: منشورات المكتبة العلمية، ١٩٦٤.
- ❖ الكرّكي، ١٩٨٩-خالد الكرّكي، الرموز التراثية العربية في الشعر العربي الحديث، بيروت: دار الجيل، ١٩٨٩.
- ❖ الكليدار، د.ت-عبد الجواد الكليدار، تاريخ كربلاء وحائتر الحسين رضي الله عنه، القاهرة: مدبولي الصغير، د.ت.
- ❖ المجلسي، ٢٠٠١-محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار: الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، بيروت: دار التعارف للمطبوعات، ٢٠٠١.
- ❖ محدّثي، ١٩٩٧-جواد محدّثي، موسوعة عاشوراء. ترجمه عن الفارسية خليل زامل العصامي. بيروت: دار الرسول الأكرم ودار المحجة البيضاء، ١٩٩٧.
- ❖ المصري، ٢٠٠٠-حسين مجيب المصري، كربلاء بين شعراء الشعوب الإسلامية، القاهرة: الدار الثقافية للنشر، ٢٠٠٠.
- ❖ نصر الله، ٢٠٠٣-نضال نصر الله، نزار قبّاني وقصائد كانت ممنوعة: في السياسة والدين والجنس، سوريا: الأوائل، ٢٠٠٣.
- ❖ النوّاب، ١٩٧٧-مظفر النوّاب، وتريات ليلية، القدس: منشورات صلاح الدين، ١٩٧٧.
- ❖ النوّاب، ٢٠٠١-مظفر النوّاب، الأعمال الشعرية الكاملة، القاهرة: دار الكتاب الحديث، ٢٠٠١.
- ❖ هوّاري، ٢٠٠٤-صلاح الدين هوّاري، المرأة في شعر نزار قبّاني، بيروت، دار البحار، ٢٠٠٤.
- ❖ هونجمان، ١٩٧٨- E.Honigmann: "Karbala", Encyclopaedia of Islam, Leiden 1978, Vol.IV p.637
- ❖ الهيثمي، ١٩٦٥-ابن حجر الهيتمي، الصواعق المحرقة: في الردّ على أهل البدع والزندقة، مصر: مكتبة القاهرة، ١٩٦٥.

دراسة صوتية عن استخدام متعلمي اللغة الانجليزية... أحباب لازم و زياد قاسم

دراسة صوتية عن استخدام متعلمي اللغة الإنجليزية كلغة أجنبية لطموح اللغة الإنجليزية

An Acoustic Study of Iraqi EFL Learners' Utilization of English Aspiration

Ahbab Lazim Mahran Al-

أحباب لازم مهراڤ البڤوي

Badawi

زياد راکان قاسم

Ziyad Rakan Kasim

أستاذ مساعد

Assistant professor

جامعة الموصل - كلية التربية للعلوم

University of Mosul - College

الإنسانية - قسم اللغة الانكليزية

of Education for Humanities-

Department of English

ahbab.eh55@student.uomosul.edu.iq

تاريخ القبول

تاريخ الاستلام

2021/11/22

2021/11/12

الكلمات المفتاحية: الصوتيات- اللغة الإنجليزية كلغة أجنبية - الطموح

Keywords: Acoustics- EFL- Aspiration

المخلص

تتاولت العديد من الأبحاث زمن الجهر بالصوت (VOT) Voice Onset Time في اللغتين الإنكليزية والعربية. لكن وعلى وجه التحديد لم تبحث أي من هذه الدراسات كيفية استخدام المتعلم العراقي لظاهرة النَّفَس (aspiration) الخاصة باللغة الإنكليزية. يهدف هذا البحث الى إقامة صلة بين الجانب النظري لظاهرة النَّفَس (عن طريق التحليل الصوتي لقيم زمن الجهر بالصوت للأصوات الانفجارية النَّفَسِيَّة الإنكليزية فيما يخص بعض المتغيرات التي تؤثر على زمن الجهر بالصوت) وتعلم ظاهرة النفس في اللغة الإنكليزية. شارك في هذه الدراسة ثمانية عشر طالبا عراقيا متعلماً للغة الإنكليزية بحيث تم اختيارهم بصورة عشوائية من طلاب المرحلة الرابعة في قسم اللغة الإنكليزية في كلية التربية للعلوم الإنسانية في جامعة الموصل. تم قياس قيم زمن الجهر بالصوت للأصوات الانفجارية النَّفَسِيَّة الإنكليزية والمتبوعة بثلاث أصوات متحركة طويلة في بداية ووسط ونهاية الكلمات الموجودة في داخل العبارة " قل---مرة ثانية". أظهرت النتائج ما يلي: تزداد قيم زمن الجهر بالصوت للأصوات [p^h, t^h, k^h] بصورة تدريجية ويبدو ان قيم زمن الجهر بالصوت متساوية في كل المواقع. بالإضافة الى ذلك فقد كان لفظ المتعلمين بنفس اقل من المتحدثين الاصليين للغة الإنكليزية وذلك لان قيم زمن الجهر بالصوت لهذه الاصوات اقل من قيم زمن الجهر بالصوت

الإنكليزية. والأكثر من ذلك، فإن لفظهم للأصوات الانفجارية النَّفْسِيَّة الإنكليزية كان بنفس حالة اللفظ للأصوات الانفجارية العربية. وبذلك فإن أخطاء اللفظ للأصوات النَّفْسِيَّة للمتعلم العراقي للغة الإنكليزية مشابهة لأخطاء اللفظ للأصوات النَّفْسِيَّة للمتعلم العربي ذو اللهجات العربية المختلفة، وبالتالي يحتاج المتعلم العراقي الى المزيد من التدريب للأصوات الانفجارية النَّفْسِيَّة الإنكليزية لتحسين اللفظ مما يؤدي الى لفظ متقن ومن ثم استخداما ناجحا للأصوات الإنكليزية النَّفْسِيَّة.

Abstract

Many researches have dealt with Voice Onset Time (VOT) in English and Arabic. However, none of these researches have investigated the utilization of the phenomenon of aspiration in English language related to Iraqi EFL learners. This study aims to make a connection between the theoretical aspects of aspiration (acoustic analysis of VOT of English aspirated plosives in relation to certain variables affecting VOT values) and learning English aspiration. Eighteen Iraqi EFL learners who are randomly selected from fourth year students, English Department, College of Education for Humanities, University of Mosul have participated in this study. VOT values of the English voiceless plosives are measured as far as aspiration is concerned followed by the three long vowels /i:, u:, a:/, in initial, intervocalic and final positions in the carrier phrase " *say---again*". Results show the following: VOT averages of [p^h, t^h, k^h] in carrier phrase increase gradually and their VOT values seem to be equal in all positions. In addition, they display less aspiration than English native speakers do. This is due to VOT values that are lower than the the English VOT values. Moreover, they produce English voiceless aspirated plosives in the same manner of producing Arabic voiceless plosives. Iraqi EFL learners' mispronunciation is similar to the mispronunciation of other Arab EFL learners of different mother tongue accents. Thus, Iraqi EFL learners need further training of the voiceless plosives to enhance intelligibility and hence successful utilization of plosives as far as English aspiration is concerned.

1.Introduction

English is regarded as a foreign language in Iraq. Due to the interests of the Iraqi government in teaching English language as a pedagogical process in schools and universities, learning of such language attracts the attention of many researchers. Thus, the present study aims to investigate how Iraqi EFL learners produce English aspirated voiceless plosives via a particular phonetic feature of plosives known as Voice Onset Time (VOT). Many researches have tackled VOT of plosives in their studies, since it correlates with aspiration, and tried to give such term its appropriate definition. One of these studies, which is regarded as a pioneer study, is Lisker and Abramson (1964). Other studies have adopted and analyzed the VOT of English plosives (Klatt, 1975; Docherty, 1992; Ladefoged and Johnson, 2015). As to Arabic, several studies analyzed the VOT of Arabic plosives (Al-Ani 1970, Al-Ghamdi, 1990; Mitleb, 2009; Rahim and Kasim, 2009; Al-Tai and Kasim, 2021). Thus, the study is going to tackle an acoustic description of the English voiceless aspirated plosives related to Iraqi EFL learners and learning of English aspiration to see how Iraqi EFL learners utilize English aspiration that they had attained in their academic study and examine whether it is sufficient or they need special training.

1.1 Statement of the Problem

English is an Indo- European language and Arabic is a Semitic language, hence the two languages belong to two different families (Na'ama, 2011). VOT is language specific and it occurs in languages like English and Arabic (Odisho,1976: 103). Thus, there are differences between the VOT values of voiceless aspirated plosives in English and in Arabic. The present study deals with the production of the plosives problem which investigates whether English voiceless plosives produced by Iraqi EFL learners will display less aspiration or more aspiration than the ones produced by the English speakers. In other words, whether Iraqi EFL learners whose first language is Arabic are going to produce English voiceless aspirated plosives correctly or not. Another problem is related to the pedagogical aspect of aspiration; since there are differences between the sound systems of the two languages (Carter and Nunan, 2001), it is expected that some Arab learners will face certain problems in learning English language. By comparing Iraqi EFL learners' VOT values with other VOT values related to the two languages, we can see whether students are making aspirated plosives similar to the Arabic ones or to the English ones; i.e. whether their pronunciation is correct or incorrect.

1.2 Aims of the Study

Firstly, the study aims at analyzing the English voiceless plosives produced by Iraqi EFL learners as far aspiration is concerned. This will be accomplished by performing an acoustic analysis of VOT and identifying factors that have effects on production of Iraqi EFL learners such as: place of articulation, position of the sound in a word, vowel context and the context in the carrier phrase.

Secondly, another aim is related to learning aspiration; this study aims to find out how Iraqi EFL learners are going to utilize aspiration of English voiceless plosives that they had attained in their academic as well as practical study. Either there will be a successful utilization of aspiration or they need further awareness of aspirated plosives. This can be achieved by comparing the VOT of voiceless aspirated plosives of the present study with all previous studies.

1.3 Limits of the Study

There are certain prosodic and temporal factors that might affect VOT as far as aspiration is concerned such as: number of syllables in the word, speech rate, speech task, fundamental frequency, stress, intonation and phonemic environment (Clark and Yallop, 1990). In addition, there are the physiological differences which include the form of the glottis, the size of the vocal tract, the thickness of the vocal folds, as well as other differences like speaking styles (Shue and Iseli, 2008), and pathological status such as: hearing impairment and depression (Listiana, 2019). All these factors are excluded.

There are also other factors affecting learning English as far as aspiration is concerned such as: students positive and negative attitude towards the target language (Elliot, 1995), experience and positive orientation to language (Moyer, 2007), exposure to the target language day-to-day as well as effective oral communication in daily life (Gilakjani, 2012) and finally, instructions provided to students in order to speak English language in and outside classroom fluently (Elliot, 1995). All such factors are also excluded.

Finally, another type of limits of this study is the curfew as a result of (Covid -19) and (Covid-20), hence students 'adaption of the electronic study (e-learning). Thus, there was certain difficulty in finding sufficient number of students to take part in the present study.

1.4 Procedures and Data Collection

1. The subjects of this study are 18 (9 males/ 9 females), fourth-year students, English Department, College of Education for Humanities, University of Mosul. All of them are native speakers of Mosuli Iraqi Arabic.

2. The test of this study examines twenty one tokens containing the three English voiceless aspirated plosives [p^h, t^h, k^h], followed by the three long vowels /i:/, /u:/ and /a:/ in initial, intervocalic as well as final positions in a carrier phrase (see Table 1). Table 2 illustrates the different positions and contexts (where C plosive represents one of the plosive consonants). Each token is put in the carrier phrase "sayagain".

Table (1)
The words of the test in different positions and vowel context with their transcriptions.

sounds		Vowel contexts					
Voiceless plosives	positions	/i:/	Trans.	/u:/	Trans.	/a:/	Trans.
/p/	initial	peace	/pi:s/	pool	/pu:l/	pass	/pa:s/
	intervocalic	repeat	/ri'pi:t/	harpoon	/ha:'pu:n/	depart	/di'pa:t/
	final	weep	/wi:p/	-----	-----	-----	-----
/t/	initial	teen	/ti:n/	tool	/tu:l/	tars	/ta:z/
	intervocalic	fourteen	/fɔ:'ti:n/	cartoon	/ka:'tu:n/	guitars	/gi'ta:z/
	final	feet	/fi:t/	-----	-----	-----	-----
/k/	initial	keen	/ki:n/	cool	/ku:l/	card	/ka:d/
	intervocalic	zookeeper	/zu:'ki:pə/	raccoon	/rə'ku:n/	becalm	/bi'ka:m/
	final	week	/wi:k/	-----	-----	-----	-----

Table (2)
The different patterns of test data.

Contexts	Initial	Intervocalic	Final
Carrier phrase “say...again”	CV 'CplosiveVC VCVC	CV CV'plosiveVC VCVC	CV CV'plosive VCVC

- The tokens are printed on flash cards (8cm x 12cm) with a font size of “100” by using English script printed in “Times New Romans”. All words are read by all the participants in a carrier phrase.
- The recording sessions take place in the “Multi-Media Language Lab, within the Korean Gift” which belongs to the Computer-Center in the Students-Center, University of Mosul.
- The elicitation method or as Lisker and Abramson’s (1964:389) call it “elicitation procedure” is adopted in which aspiration is measured from the release of the plosive to the beginning of the voicing of the following vowel or sonorant.

6. There is no difference in the way of analyzing as well as measuring initial and intervocalic aspirated plosives in the carrier phrase (see Figure 1).

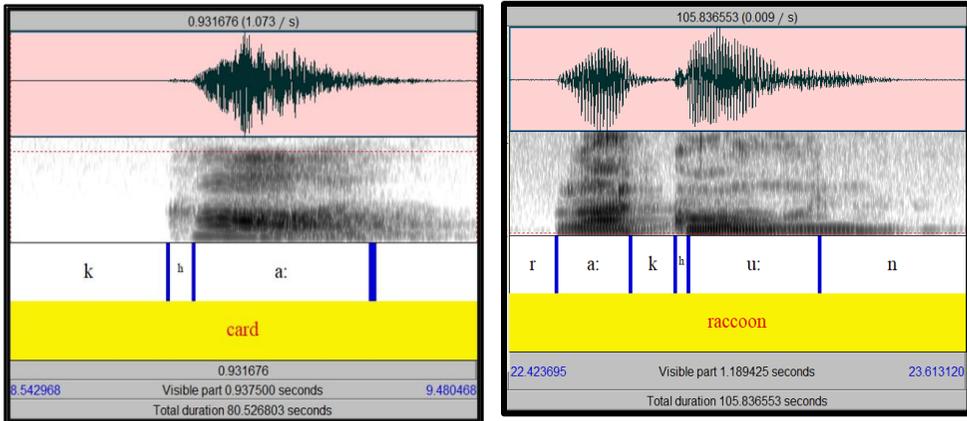


Figure (1)

Waveforms of initial /k/ of card and intervocalic /k/ of ‘raccoon’.

7. In final position in carrier phrase, the plosives are followed by a vowel, e.g. ‘say week again’ /seɪ wi:k əˈgen/. It is noticed that there would be a kind of an obvious aspiration after the release of /k/ sound as it is clearly presented in Figure 2 which shows the highlighted waveform of the final /k/ in a carrier phrase ‘say week again’.

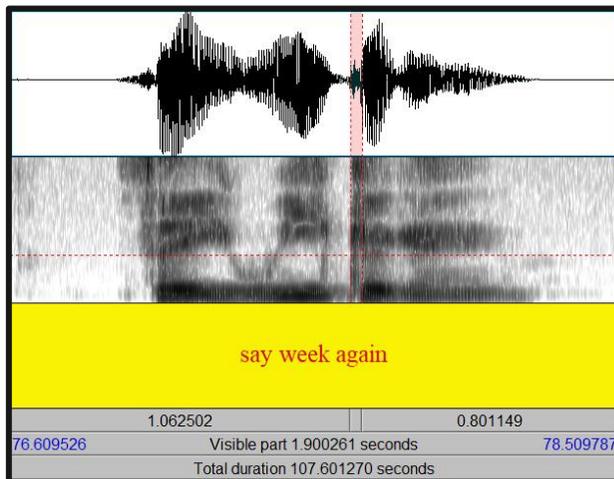


Figure (2)

The waveform of final aspirated /k/ in the carrier phrase ‘say week again’.

1.5 The Model Adopted

The easiest way to visualize VOT is by reference to the waveform of a sound. Phoneticians starting with Lisker and Abramson's (1964) classic study have described VOT as a continuum. Since aspiration is connected with VOT, the model adopted in the present study for describing and analyzing aspiration of Iraqi EFL learners will be Lisker and Abramson's (1964) study using the three criteria of VOT: voicing lead, short lag and long lag.

2. Theoretical Part

2.1 Background

This section presents some definitions of VOT as well as some variables affecting VOT such as: place of articulation, vowel context and in carrier phrase. Besides, various previous studies of aspiration, viz., English previous studies of aspiration, Arabic previous studies of aspiration and Arab EFL learners' previous studies of aspiration are also presented in subsequent sections.

2.2 Voice Onset Time

Voice Onset Time (VOT) has been used mainly as a distinction between plosive consonants (Khattab, 2002: 1 and Al Shareef, 2015: 1). It is regarded as a temporal acoustic parameter which was first defined by Lisker and Abramson (1964) as the time between the release of the oral constriction for plosive production and the onset of vocal fold vibrations. If voicing starts before the release, i.e., during the closure, VOT has a negative value, -VOT, and it is called "voicing lead". "Short lag" refers to VOT when the voicing starts up to 25ms after the release. "Long lag" is when voicing starts after more than 25ms of the release. Alanazi (2017:10) adds that Arabic is a language which has voicing lead in addition to short/long lag plosives, while English has only short and long-lag plosives. Thus, languages of the world are divided into 'voicing' and 'aspiration' languages where Arabic is a voicing language and English is an aspiration language. If the VOT value is greater than 30 ms, there will be a period of h-like sound and the stop is regarded as aspirated; thus, the duration of the burst of noise may be more than 50ms (Ashby and Maidment, 2005: 92).

2.3 Factors Affecting on the Voice Onset Time

There are many factors that may have their effects on the value of VOT. Some of them are related to inherent properties of sounds as the following:

2.3.1 Place of Articulation

Lisker and Abramson (1964) and Port and Mitleb (1983) assert that VOT is to be longer in velars than in alveolars and bilabials. Thus, English initial aspirated bilabial plosive [p^h] has a VOT value of 28 ms, while initial aspirated alveolar plosive [t^h] has VOT value of 39 ms and 43 ms for aspirated velar plosive [k^h] in carrier phrase (Lisker and Abramson, 1964: 410).

2.3.2 Vowel Context

Some studies, including Lisker and Abramson (1967), state that the following vowel has no influence on the VOT values. But others, like Klatt (1975) and Weismer (1979), conclude that a voiceless plosive has a longer VOT when it is followed by tense high vowels /i:/, /eɪ/ and /u:/ than tense low and mid vowels /ɪ/, /æ/ and /ɛ/. Further, Rochet and Yanmei (1991) who tackles Mandarin plosives, have the same results in the sense that vowels affect the VOT values of the preceding plosive.

2.4 Previous Studies of VOT of English Plosives

The first study that has tackled VOT of plosives in different languages is Lisker and Abramson's (1964) classic study. They measure the VOT of the plosives of eleven languages including English in a carrier sentence. The VOT values of English voiceless plosives in carrier sentence are (28, 39, 43) ms. Another important study on American English plosives is Klatt's (1975). The VOT values of word-initial plosives [p^h t^h k^h] in carrier sentence are (47, 65, 70) ms. Another and more comprehensive study on British English is Docherty's (1992) study. He measures the VOT of plosives belonging to five adult males' speech in carrier phrase. VOT results of word-initial English plosives [p^h, t^h, k^h] in carrier phrase are (42, 65, 62) ms. Khattab (2002) conducts an auditory as well as acoustic study of six British native speakers producing English plosives in initial position. Her VOT results for English word-initial plosives [p^h, t^h and k^h] in carrier sentences are (63,

70, 80) ms. Table 3 gives a summary of the VOT values found in the studies reviewed above.

Table (3)

Summary of English VOT values, in ms., for word-initial voiceless plosives in carrier phrase found in different studies.

English plosives in carrier phrase	[p ^h]	[t ^h]	[k ^h]
Lisker and Abramson (1964)	28	39	43
Klatt (1975)	47	65	70
Docherty (1992)	42	65	62
Khattab (2002)	63	70	80

2.5 Previous Studies of VOT of Arabic plosives

Yeni-Komshian et al (1977) investigate plosives in Modern Standard Arabic (MSA) which is used in some religious ceremonies, in media and in education. The VOT values for word initial plosives [t^h, k^h] in sentences are (25, 28) ms. Flege and Port (1981) make three experiments to examine the voicing contrast of plosives in Arabic and American English. VOT values of Saudi Arabic plosives in initial position in carrier sentences of /t, k/ are (37, 52) ms. Alghamdi (1990) gives the VOT values of Saudi Arabic dialect. VOT values of initial /t/ in sentences show slight aspiration (32ms) and slightly greater (42ms) for /k/ in the same context. In addition, Jesry (1996) adopts a cognitive approach to voicing by seeing VOT values of three Syrian adult speakers reading in Modern Standard Arabic in carrier sentence. The VOT values for the Arabic word initial plosives /t, k/ in sentences are (28, 32) ms. Khattab (2002) investigates VOT values of initial voiceless plosives of 23 Arab adults. VOT values for Arabic word-initial plosives in carrier sentences for / t, k / are (28) ms. Tamim (2017) measures the VOT values of plosives in the Palestinian Arabic dialect. VOT values of initial /t, k/ followed by /i:, u:, a:/ in carrier phrase are (25, 41) ms, while VOT values of medial /t, k / followed by the same vowels are (17, 28) ms. In the same context, Al-Tai and Kasim (2021), make an acoustic study by describing Iraqi Arabic plosives acoustically and link the utility of this description with language teaching. The subjects of their study are Mosuli Arabic

educated native speakers. The VOT values of the same plosives with carrier phrase in initial position are (20, 44, 51) ms. and their VOT values in a carrier phrase in medial position are (15, 44, 28) ms. Table 4 gives a summary of the VOT values found in the studies reviewed above.

Table (4)

Summary of Arabic VOT values, in ms., for the voiceless plosives in different positions in carrier phrase found in different studies.

Ar. Previous Studies	Position	[p ^h]	[t ^h]	[k ^h]
Yeni- Komshian et al (1977)	Initial	-----	25	28
Flege and Port (1981)	Initial	-----	37	52
Algamdi (1990)	Initial	-----	32	42
Jesry (1996)	Initial	-----	28	32
Khattab (2002)	Initial	-----	28	31
Tamim (2017)	Initial	-----	25	41
	Medial	-----	17	28
Al-Tai and Kasim (2021)	Initial	20	44	51
	Medial	15	44	28

2.6 Previous Arab EFL learners Studies

Flege and Port (1981) examine VOT values of Saudi students in English and Arabic. The subjects of this study consist of two groups; six Saudi subjects who stayed for 39 months in America and six American ones who stayed for 8 months in America. VOT results for word-initial English plosives [p^h, t^h, k^h] in carrier sentences for Saudi subject are (14, 35, 41). In addition, Khattab (2002) concludes that Lebanese EFL learners produce Arabic VOT pattern, in the sense that they produce short lag VOT with slight aspiration for voiceless aspirated English plosives. VOT results for word-initial English plosives in carrier sentences are (28, 34, 38). Al Shareef (2015) measures VOT values of nine native English speakers and eleven Saudi Arabic speakers. The VOT results of their production of the English

plosives /t, k/ in initial position are (35, 47) ms. and in intervocalic position are (34, 45) ms., and in final position are (30, 32) ms. Abdalaal (2017) investigates VOT values of ten Arabs in university of Putra Malaysia. The VOT values of plosives initially in carrier phrase are (52, 45, 59) ms. Alanazi (2017) measures the VOT values of the voiceless plosives related to thirty one adult advanced Saudi learners of English followed by three different vowels in sentence. VOT result of English word initial voiceless plosives in sentence are (41, 63, 70) ms. (see Table 5).

Table (5)

Summary of VOT values related to Arab EFL learners for [p^h t^h k^h] found in different studies.

Previous Ar. EFL studies	Position	[p ^h]	[t ^h]	[k ^h]
Flege and port (1981)	Initial	14	35	41
Khattab (2002)	Initial	28	34	38
Al Shareef (2015)	Initial		35	47
	Intervocalic		34	45
	Final		30	32
Addelaal (2017)	Initial	52	45	59
Alanazi (2017)	Initial	41	63	70

3. Data Analysis and Discussion

3.1 Data Analysis

Appendix 1 presents details of VOT values of the three voiceless aspirated plosives [p^h, t^h, k^h] with essential reference to the effects of vowel context; high, low, front and back vowels; /i:, u:, a:/, and position of the sounds in a word; initial, intervocalic and final positions in carrier phrase. Table 6 below, which is extracted from Appendix 1, can be used as a co-reference from time to time in the following sections.

Table (6)
The averages of VOT values of voiceless aspirated plosives in carrier phrase

Position	[p ^h i:]	[p ^h u:]	[p ^h a:]	[t ^h i:]	[t ^h u:]	[t ^h a:]	[k ^h i:]	[k ^h u:]	[k ^h a:]
Initial	14	25	12	44	35	19	55	47	40
Intervocalic	16	33	14	42	36	17	43	42	35
Final	16	-----	-----	26	-----	-----	40	-----	---

3.1.1 Initially followed by Vowels

The VOT average of initial aspirated [p^h] followed by /i:, u:, a:/ are (14, 25, 12) ms. respectively. The VOT average of initial aspirated [t^h] followed by /i:, u:, a:/ are (44, 35, 19) ms. respectively. While the VOT average of initial aspirated [k^h] followed by /i:, u:, a:/ are (55, 47, 40) ms. respectively. Figure 3 below presents the numerical results of EFL learners initial voiceless aspirated plosives [p^h, t^h, k^h] in a carrier phrase.

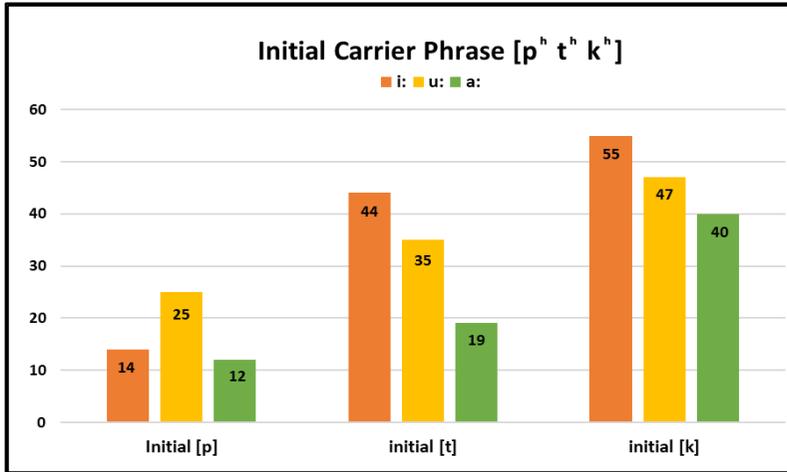


Figure (3)

Results of initial [p^h t^h k^h] followed by /i:/, u:/, a:/ in carrier phrase.

3.1.2 Intervocally

The VOT average of intervocalic aspirated [p^h] followed by /i:/, u:/, a:/ are (16, 33, 14) ms. respectively. The VOT average of intervocalic aspirated [t^h] followed by /i:/, u:/, a:/ are (48, 36, 19) ms. respectively. While the VOT average of intervocalic aspirated [k^h] followed by /i:/, u:/, a:/ are (43, 42, 35) ms. respectively. Figure 4 below presents the numerical results of EFL learners intervocalic voiceless aspirated plosives [p^h t^h k^h]. in carrier phrase.

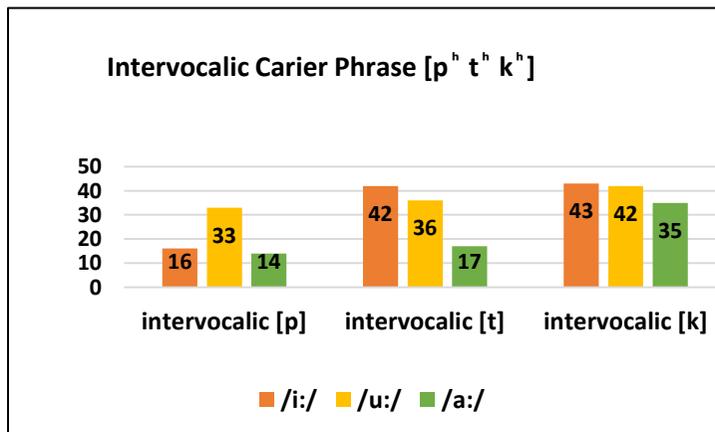


Figure (4)

VOT results of intervocalic [p^h t^h k^h] followed by /i:/, u:/, a:/

3.1.3 Finally followed by Vowels

In final position, the three aspirated plosives [p^h, t^h, k^h] are followed by /ə/ in the phrase “say---again”. Accordingly, most participants’ final results in carrier phrase have obvious VOT values of released voiceless aspirated plosives and few individual cases have unreleased voiceless plosives, hence there is no VOT values (see Appendix 1). Thus, the VOT average of final aspirated [p^h] is 16 ms. and the number of final unreleased [p^ʔ] is 6 out of 18 tokens. And, the VOT average of aspirated [t^h] in final position is 26 ms. and the number of final unreleased [t^ʔ] is 2 out of 18 tokens. While the VOT average of final aspirated [k^h] is 40 ms. in which obvious VOT values of aspirated plosive [k^h] related to all participants are noticed in this study. Figure 5 below shows the VOT results of plosives in final position in carrier phrase, while Figure 6 shows the number of the unreleased voiceless plosives in a carrier phrase.

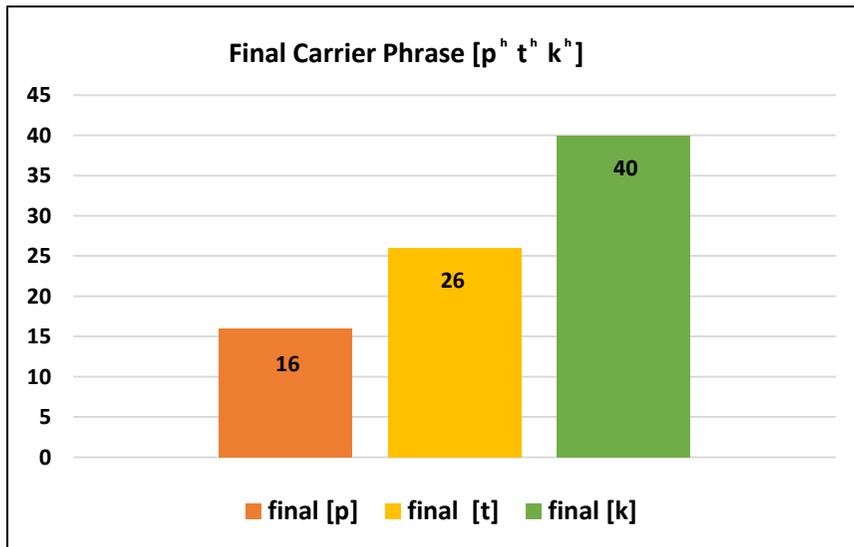


Figure (5)

VOT results of final [p^h t^h k^h] in a carrier phrase.

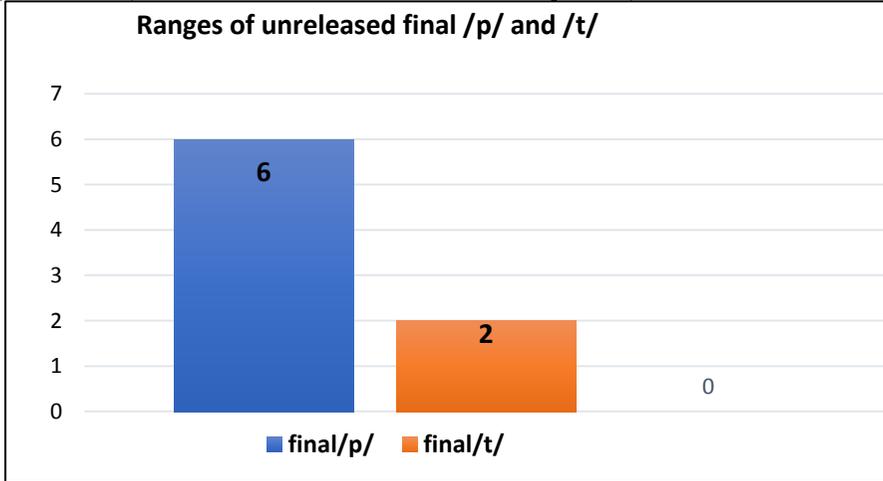


Figure (6)

Number of final unreleased [p^h, t^h, k^h] in carrier phrase.

3.2 Discussion

VOT can be considered a cue that may be affected by certain factors namely, place of articulation, position of the sound in a word, and vowel context in carrier phrase.

3.2.1 VOT Results and Place of Articulation

Results of the averages of VOT values concerning the participants' production of the voiceless plosives [p^h, t^h, k^h] in carrier phrase as far as aspiration is concerned show that [p^h] has the lowest results, [t^h] has the next higher results and voice [k^h] has the highest results (see Appendix 1 and Table 6). Accordingly, VOT averages of the plosives [p^h, t^h, k^h] in carrier phrase increase gradually in the order labial < alveolar < velar (see Figure 7). And, if we compare these results with previous studies such as: Lisker and Abramson (1964), Port and Mitelb (1983), Cho and Ladefoged (1999) which state that VOT values of voiceless aspirated plosives gradually increase, we find a kind of compatibility of the present study and other studies which asserts the relationship between VOT values and place of articulation.

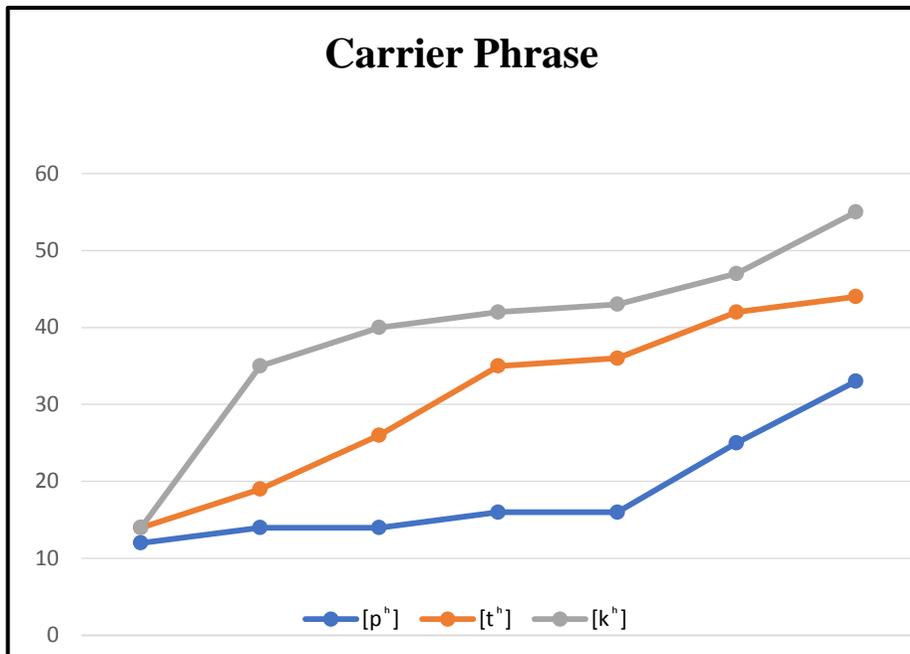


Figure (7)

Gradual increase of VOT averages of [p^h, t^h, k^h] in carrier phrase.

3.2.2 VOT Results and Position of [p^h, t^h, k^h] in a Word

Results of the present study notice that the position of the sound in a word does not play a significant role in the results of the present study as far as aspiration is concerned in the sense that VOT results of [p^h, t^h, k^h] related to Iraqi EFL learners equal in all positions, viz. initially, intervocalically as well as finally. In other words, VOT values of [p^h, t^h, k^h] initially in carrier phrase seem to be equal to VOT values of [p^h, t^h, k^h] in intervocalic position and VOT values of [p^h, t^h, k^h] in final position in the same context (see Table 6). Thus, we can say that there is a kind of compatibility between equal results in all positions of the present study and other previous studies such as Tamim's (2017), in which results of her study showed equal values of [t^h] initially and intervocalically in carrier phrase.

3.2.3 VOT Results and Vowel Context

VOT averages of initial and intervocalic [p^h, t^h, k^h] after the three long vowels /i:, u:, a:/ in carrier phrase show the following: [p^h] has the lowest VOT values when it is followed by /a:/, higher VOT values when it is followed by /i:/ and the highest VOT when it is followed by /u:/. While [t^h, k^h] have the lowest VOT values when they are followed by /a:/, higher VOT values when they are followed by /u:/ and the highest VOT values when they are followed by /i:/ (see Table 6). We can say that all VOT results of the present study follow the pattern /i:/> /u:/>/a:/ when they are preceded by /t/ and /k/ and /u:/>/i:/>/a:/ when they are preceded by /p/ in carrier phrase. Lisker and Abramsons (1964) state that the following vowels had no influence on VOT values, but results of the present study show an obvious influence of the following vowel on VOT values of voiceless aspirated plosive in initial and intervocalic positions in carrier phrase. On the other hand, the results of the present study may be compatible with other previous studies such as Klatt (1975) and Weismer (1979) who insist on the following vowel having an obvious influence on VOT values (see 2.3.2).

3.2.4 Iraqi EFL Learners' Production of Aspirated Plosives in Carrier Phrase

Results show that only [t^h] after /i:/ may display equal results and that is compatible with our model; i.e, Lisker and Abramson (1964). And all other participants' averages of all aspirated voiceless plosives are lower than all the results of previous English aspiration studies such as: Lisker and Abramson (1964), Klatt (1975), Docherty (1992) and Khattab (2002). Accordingly, the present study concludes that academic and practical studies are not sufficient for successful utilization of English aspiration. The first problem is related to Iraqi EFL learners who do not have problem in producing such sounds, but they have problem with producing voiceless plosives with appropriate English aspiration.

By comparing VOT results of Iraqi EFL learners with previous VOT results of Arabic aspiration studies, results show that VOT values

of Iraqi EFL learners' production of English voiceless plosives initially followed by /a:/ in carrier phrase are equal with Alghamdi (1990) production of English voiceless plosives. VOT values of Jesry (1996) and Khattab (2002) display equal VOT values with initial [t^h] related to Iraqi EFL learners in carrier phrase. Al-Tai and Kasim (2021) VOT results of initial [p^h, t^h, k^h] are equal to VOT results of Iraqi EFL learners of the present study, viz. medial [p^h, t^h]. Accordingly, the present study concludes that Iraqi EFL learners pronounce English voiceless plosives with aspiration nearer to the Arabic one than that of English. In other words, Iraqi EFL learners lack equivalent, intelligible and comprehensive pronunciation to be compared to the pronunciation of native speakers of English. The second problem is related to Arabic mother tongue effect, viz., 'Mosuli Arabic' which affects learning English aspiration. The first effect is positive (positive transfer: existence of Arabic aspiration which may ease learning of English aspiration), and the second effect is negative (negative transfer: applying Arabic rules in learning English language as far as aspiration is concerned). Table 7 below presents equal VOT values of previous Arabic studies and Iraqi EFL learners of the present study.

Table (7)

Equal VOT results of the present study with previous Arabic VOT studies. AR=Arabic, AV= Averages

Previous Ar. Studies AV.					Present study AV.		
Studies	Context	[p ^h]	[t ^h]	[k ^h]	[p ^h]	[t ^h]	[k ^h]
Alghamdi (1990),	Initial, 3vowels, carrier phrase	----	---	42	---	---	40
Jesry (1996),	Initial,3 vowels, carrier phrase	----	29	----	---	33	----
Khattab (2002)	Initial, 3 vowels, carrier phrase	----	28	----	---	33	----
Al-Tai and Kasim	Initial, /i:/, carrier phrase	20	44	51	14	44	55

Previous Ar. Studies AV.					Present study AV.		
Studies	Context	[p ^h]	[t ^h]	[k ^h]	[p ^h]	[t ^h]	[k ^h]
(2021)	Medial, /i:/, carrier phrase	15	44	----	16	42	----

The VOT results of previous Arab EFL learners studies and VOT results of the present study show the following: initial [p^h, k^h] after /a:/ in carrier phrase related to the Iraqi EFL learners of the present study are equal to VOT values of Flege and Port (1981) in the same context. VOT results of initial [t^h] in carrier phrase related to the Iraqi EFL learners of the present study are equal to VOT values of Khattab (2002). VOT results of initial, medial [t^h and k^h] in carrier phrase related to Iraqi EFL learners are equal to VOT values of Al Shareef (2015) for [t^h, k^h] as well as final [t^h] which is also equal in the same context. Accordingly, the present study concludes that it is not only Iraqi EFL learners that have certain problems concerning the accurate pronunciation of English voiceless aspirated plosives; i.e. problem with appropriate aspiration. So, Iraqi EFL learners' mispronunciation problems are added to mispronunciation problems of other Arab EFL learners of different Arabic mother tongue accents. Such a conclusion leads to infer that all Arab learners have certain problems as far as aspiration is concerned. This is due to the negative transfer of their mother tongue language, in addition to other reasons, which include the non-linguistics factors such as syllabus, methods of teaching, and learners' attitude towards learning English language. Table 8 below presents the equal VOT results.

Table (8)
Equal VOT results of the present study and previous Arabic EFL learners' studies.

Previous Arabic EFL Learners Studies AV.				Present Study AV.			
Studies	Contexts	[p ^h]	[t ^h]	[k ^h]	[p ^h]	[t ^h]	[k ^h]
Flege and Port (1981)	initial, /a:/, carrier phrase	14	----	41	12	----	40
Khatab (2002)	initial, three vowels, carrier phrase	----	34	----	----	33	----
Al Shareef (2015)	initial, medial, final,	----	35	47	----	33	47
	three vowels	----	34	45	----	32	40
	carrier phrase	----	30	----	----	26	----

4. Conclusion

This study concludes the following: VOT averages of the English plosives [p^h, t^h, k^h] produced by Iraqi EFL learners in carrier phrase increase gradually in the order labial < alveolar < velar. The position of the sound in a word does not seem to play a significant role in the results of the present study as far as aspiration is concerned, in the sense that VOT results of [p^h, t^h, k^h] related to Iraqi EFL learners are equal in all positions, viz. initially, intervocalically as well as finally. As to the vowel context, VOT results of the present study follow the pattern /i:/ < /u:/ < /a:/ when they are preceded by /t/ and /k/ and /u:/ < /i:/ < /a:/ when they are preceded by /p/. As for the production of aspirated plosives, results show that only [t^h] after /i:/ may display equal results and that is compatible with our model; i.e. Lisker and Abramson (1964). Accordingly, Iraqi EFL learners may display less aspiration than native speakers of English, hence their VOT values do not match or in other words are lower than English VOT values. According to all these detailed discussions, the present study concludes that Iraqi EFL learners produce English voiceless aspirated plosives in the same manner of producing Arabic voiceless plosives. This study concludes that academic and practical studies are not sufficient for successful utilization of English aspiration and they need further training of aspirated plosives in order to gain comprehensive, equivalent and intelligible pronunciation.

References

- ❖ Abdelaal, N.M. (2017). “Instrumental Analysis of the English Stops Produced by Arabic Speakers of English”. *International Journal of Education & Literacy Studies*, 5(3) 8-15.
- ❖ Alanazi, S.M. (2017). *The Acquisition of English Stops by Saudi L2 Learners*. (Ph. D. Thesis), University of Essex.
- ❖ Al Ani, S. H. (1970). *Arabic Phonology: An Acoustical and Physiological Investigation*. The Hague: Mouton.
- ❖ Alghamdi, M. (1990). *Analysis, Synthesis and Perception of Voicing in Arabic*. (Ph.D. Thesis), University of Reading.
- ❖ Al Shareef, S. (2015). *Cross-Language Analysis of Stop Closure Duration and Aspiration in English and Arabic*. California State University.
- ❖ Al-Tai, S. M. and Kasim, Z. R. (2021). An Acoustic Study of the Production of Iraqi Arabic Stops Consonants. *Adab al-Rafidayn*, 86, 67-98.
- ❖ Ashby, M. and Maidment, J. (2005). *Introducing Phonetic Science*. Cambridge: Cambridge University Press.
- ❖ Carter, R. and Nunan, D. (2001). *The Cambridge Guide to Teaching English to Speakers of Other Languages*. Cambridge: Cambridge University Press.
<http://dx.doi.org/10.1017/CBO9780511667206>
- ❖ Chao, K.-y., Khattab, G. and Chen, L.-m. (2006). Comparison of VOT Patterns in Mandarin Chinese and in English. Paper presented at the Proceedings of the 4th Annual Hawaii International Conference on Arts and Humanities.
- ❖ Cho, T. and Ladefoged, P. (1999). “Variation and Universals in VOT: Evidence from 18 Languages”. *Journal of Phonetics*, 27(2), 207-229.

- ❖ Clark, J. and Yallop, C. (1990). *An Introduction to Phonetics and Phonology*. Oxford: Basil Blackwell.
- ❖ Docherty, G. (1992). *The Timing of Voicing in British English Obstruents*. Berlin: Walter de Gruyter.
- ❖ Elliot, A. R. (1995). "Foreign Language Phonology: Field Independence, Attitude, and the Success of Formal Instruction in Spanish Pronunciation". *The Modern Language Journal*, 79(iv), 530-542.
- ❖ Flege, J. E. and Port, R. (1981). "Cross-Language Phonetic Interference: Arabic to English". *Language and Speech*, 24(2), 125-146.
- ❖ Gilakjani, A. P. (2012). *A Study of Factors Affecting EFL Learners' English Pronunciation Learning and the Strategies for Instruction*. *International Journal of Humanities and Social Science*. 2(3), (110-128).
- ❖ Jesry, M. (1996). *Some Cognitively Controlled Coarticulatory Effects in Arabic and English, with Particular Reference to Voice Onset Time*. (Ph. D. Thesis), University of Essex.
- ❖ Khattab, G. (2002). *Sociolinguistic Competence and the Bilingual's Adoption of Phonetic Variants: Auditory and Instrumental Data from English-Arabic Bilinguals*. (Ph. D. Thesis), University of Leeds.
- ❖ Klatt, D. H. (1975). "Voice Onset Time, Frication, and Aspiration in Word-Initial Consonant Clusters". *Journal of Speech and Hearing Research*, 18,686-706.
- ❖ Ladefoged, P., and Johnson, K. (2015). *A Course in Phonetics* (7th ed.). London: Cengage Learning.
- ❖ Lisker, L. and Abramson, A. S. (1964). "A Cross-Language Study of Voicing in Initial stops: Acoustical Measurements". *International Linguistic Association*, 20(3), 384-422.

- ❖ Listiana, N. (2019). An Error Analysis on Adult Students' Mastery in Producing English Voiceless Plosives in Initial Stressed Syllables. (Ph.D. Thesis, UNNES).
- ❖ Mitleb, F. M. (2009). Voice Onset Time of Jordanian Arabic Stops. 3rd International Conference On Arabic Language Processing (CITALA'09), May 4-5, 2009, Rabat, Morocco.
- ❖ Moyer, A. (2007). "Do Language Attitudes Determine Accent? A Study of Bilinguals in the USA". Journal of Multilingual and Multicultural Development, 28(6), 502-518.
- ❖ Na'ama, A. (2011). "An analysis of Errors Made by Yemeni University Students in the English Consonant-Clusters System". Damascus University Journal, 27(3), 145-161. Retrieved from <https://goo.gl/uLgb6v>.
- ❖ Odisho, E.Y. (1976). "Thahiratun Nafxi wa Dawruha fil 'Anthimatis Sawtiyya" (Aspiration role in sound systems). Afaq Arabiyya, vol.1: 102-104.
- ❖ Port, R. F. and Mitleb, F. M. (1983). "Segmental Features and Implementation in Acquisition of English by Arabic Speakers". Journal of Phonetics, 11(3), 219-229.
- ❖ Rahim, A. J. and Kasim, Z. R. (2009). "A spectrographic Study of Voice Onset Time in Arabic". Journal of Education and Science, 16(36), 28-41.
- ❖ Rochet, B. L. and Yanmei, F. (1991). "Effect of Consonant and Vowel Context on Mandarin Chinese VOT: Production and Perception". Canadian Acoustics, 19(4), 105-106.
- ❖ Shue, Y. and M. Iseli (2008). The Role of Voice Source Measures on Automatic Gender Classification. Proceedings of ICASSP, 4493-4496.

- ❖ Tamim, N. (2017). Voicing Contrast of Stops in the Palestinian Arabic Dialect. (MA Thesis, Universiteit Van Amsterdam).
- ❖ Weismer, G. (1979). Sensitivity of Voice-Onset Time (VOT) Measures to Certain Segmental Features in Speech Production. *Journal of Phonetics*, 7(2), 197-20.
- ❖ Yeni-Komshian, G. H., Caramazza, A. and Preston, M. S. (1977). "A Study of Voicing in Lebanese Arabic". *Journal of Phonetics*, 5(1), 35-48.

Appendix 1. VOT values and their averages of English voiceless aspirated stops after vowels produced by Iraqi EFL learners in carrier phrase in initial, medial and final positions. All VOT values are in millisecond (ms.); AV. = average, R= released, U= unreleased, S=subject

Sound	Position	Tokens	S1	S2	S3	S4	S5	S6	S7	S8	S9	S10	S11	S12	S13	S14	S15	S16	S17	S18	AV.
/p/	Initial	Pease	15	13	29	18	16	15	13	12	11	15	15	28	14	10	07	12	06	10	14
	Intervocalic	Repeat	19	31	16	18	13	12	17	16	10	16	21	18	20	12	10	10	12	08	16
	Initial	Pool	22	33	20	22	12	20	29	36	25	48	17	23	38	24	07	20	20	26	25
	Intervocalic	Harpoon	40	41	34	43	45	42	37	27	18	46	14	43	32	41	24	30	17	20	33
	Initial	Pass	16	11	16	09	12	16	13	10	10	15	19	11	15	11	08	15	11	09	12
	Intervocalic	Depart	09	16	15	25	16	18	07	11	09	16	15	19	11	14	11	09	20	10	14
	Final	Weep	R26	U	U	R12	U	U	R12	R11	U	R18	R17	R19	R07	U	R20	R14	22	R13	16
/t/	Initial	Teen	58	56	61	23	37	38	38	29	39	48	30	44	47	58	25	44	60	60	44
	Intervocalic	Fourteen	38	85	34	42	31	18	40	17	41	62	30	33	51	51	44	50	55	38	42
	Initial	Tool	12	99	40	26	34	30	37	41	28	53	31	40	14	33	17	34	36	23	35
	Intervocalic	Cartoon	28	43	21	33	25	23	28	29	52	48	47	41	48	24	22	40	52	48	36
	Initial	Tars	12	41	21	20	17	21	21	14	08	32	23	31	15	21	10	07	14	16	19
	Intervocalic	Guitars	16	26	18	17	15	17	16	18	09	28	14	28	14	14	10	12	16	13	17
	Final	Feet	R22	R30	R20	R76	U	R37	R34	R21	R13	R21	R26	R24	R11	R17	R18	R19	U	R19	26
/k/	Initial	Keen	70	67	72	56	66	55	70	66	57	65	30	66	51	49	32	61	73	57	55
	Intervocalic	Zookeeper	48	55	38	43	37	39	49	34	44	49	56	40	41	42	35	51	25	42	43
	Initial	Cool	31	67	58	26	30	55	38	43	53	60	25	66	51	61	22	44	44	77	47
	Intervocalic	Raccoon	33	61	38	22	65	30	41	47	44	51	37	52	31	40	39	37	35	44	42
	Initial	Card	26	66	44	28	28	30	41	40	43	53	19	50	53	39	23	50	45	34	40
	Intervocalic	Becalm	23	52	48	34	34	40	40	25	28	50	57	51	38	21	29	36	29	32	35
	Final	Week	R36	R32	R24	R64	R60	R83	R37	R44	R20	R38	R37	R34	R22	R35	R41	R43	R42	R32	40

التحقق من قدرة متعلمي اللغة الانكليزية كلغة أجنبية على إتقان الجنس اللفظي

Investigating Iraqi EFL Learners' Command of Homonymy

Rafat Dhiyaa Rashaad

Assistant Lecturer

The General Directorate of

Education of Nineveh

رأفت ضياء رشاد

مدرس مساعد

مديرية تربية محافظة نينوى

rafat.dhiyaa@gmail.com

تاريخ القبول

2022/1/11

تاريخ الاستلام

2021/12/21

الكلمات المفتاحية: الجنس اللفظي - إتقان - إدراك - إنتاج

Keywords: Homonymy- Command- Recognition- Production

المخلص

تهدف هذه الدراسة الى التحقيق في قدرة متعلمي اللغة الإنجليزية كلغة أجنبية العراقيين ، على المستوى الجامعي على إتقان الجنس اللفظي في اللغة الإنكليزية. حيث تهدف هذه الدراسة إلى التحقيق في قدرة المتعلمين في التعرف على الفهم الإملائي الصحيح واستخدام ألفاظ متجانسة متنوعة باستخدام كلمة مناسبة حيث تكون متداخلة صوتيا وهجائيا. بالإضافة إلى ذلك ، يحاول تقييم قدرة المتعلمين وأدائهم على مستوى الإنتاج.

من أجل تحقيق أهداف البحث ، تم إجراء اختبار تشخيصي من قبل الباحث وتم توزيعه على 100 طالب من طلاب السنة الرابعة لقسم اللغة الإنجليزية في كلية التربية للعلوم الإنسانية في جامعة الموصل. يتم اختيار الطلاب بشكل عشوائي من العام الدراسي 2019-2020. و قد خضع الاختبار لأعضاء هيئة المحلفين من أجل تحديد صلاحيته. كان معامل الدقة للاختبار 0,81. تشير النتائج إلى أن كلا من أسئلة الإدراك والإنتاج لها اختلافات إحصائية : يوضح الاختبار أن المتعلمين حققوا مستوى في الإدراك أفضل من مستوى الإنتاج .

Abstract

This study attempts to investigate the Iraqi EFL learners', at the university level, ability to command homonymy in English. The study aims to investigate the learners' ability to recognize the correct spelling comprehension and usage of diverse homonyms by using suitable lexeme that is phonologically and orthographically overlapped. In addition, it tries to assess the learners' ability and performance at the production level.

In order to achieve the aims of the research, a diagnostic test has been conducted and it is distributed on **100** students from the 4th year students in the English department of the College of Education for Humanities at the University of Mosul. The students are chosen randomly from the academic year **2019-2020**. The test is exposed to jury members in order to determine its validity. The reliability coefficient of the test was **0.81**. The results indicate that both the recognition and the production questions have statistical differences: the test demonstrates that the learners have achieved better at the recognition level than that of the production one.

1. Sense Relations

According to Kreidler (1998:86), sense relation is "an approach to the description of lexical relations attempting to classify lexemes according to shared and differentiating features. Its task is to account for the meaning relations between different expressions in a language".

Yule (2010 : 116-117) states that lexical items have relationships among each other as well as being containers of meaning. Consequently, the sense of every lexeme is not described according to its component properties, but in terms of its relationship with another lexeme.

Individual meanings of lexical items might have a variety of relationships with other meanings of a lexeme (Jeffries,2006: 168). Sense relations are the interrelations of word senses as a whole. Depending on the relationships among lexemes, there are a range of different sense relations in which a lexeme's meaning might go into. These various sense relationships have more in common than their convention names suggest.

Lexical relations then can be defined as the semantic relationships that appear in sets of lexemes from which an option has to be made by a speaker or writer. The choice constitutes the relations of meaning depending on the intended meaning and other factors (Greenbaum, 1996:424). According to Kreidler (1998: 86), sense relation is "an approach to the description of lexical relations which attempt to classify lexical items according to different or common features".

In this regard, Riemer (2010:136) recognizes that understanding the sense of a term entails more than merely knowing its description. A good speaker understands how a word relates to other words in addition to its definitional meaning. Clearly, lexical relations are those that decide one lexical item is chosen over another in the formulation of any speech. He goes on to say that describing and accounting for these relationships is one of the main tasks of lexical semantics (ibid:136). These relations observe the relationships between senses of the lexical items, in terms of similarity (synonymy), differences (antonymy), a

part- whole relation (meronymy), class inclusion (hyponymy) and so on. This study concentrates on the lexical relation of homonymy.

To sum up, words can reveal features about how we perceive the world, they cannot be treated as containers only or as fulfilling "roles", but they can also be treated as relationships. Lexical relations are divided into many types as: **Synonymy, Antonymy, Hyponymy, Monosemy, Polysemy, Homonymy, Meronymy, Metonymy** ,etc.

1.1 Synonymy

According to Crystal (2003: 450), synonymy is "a sense relation between lexical items which have the same meanings, such items are termed as synonyms". As for Larson (1998: 78), synonyms are lexical items that they are similar in their meanings. According to Parker and Riley (2005: 35), if two words have the same meaning, they are said to be synonyms, i.e. if the values of the words are similar in relation to their semantic features. For instance, the lexical items "big" and "large" have the same semantic features. So, they are treated as synonyms. (Bell, 1993: 92; and Crystal, 2003: 450) all agree that all languages do not have exact or absolute synonyms. In other words, the previous examples "big" and "large" in phrases like: (my big brother) and (my large brother) are absolutely not similar in meaning.

1.2 Antonymy (Oppositeness)

Antonymy is defined by Crystal (2003: 27) as "a term that is used in semantics as part of the study of oppositeness of meaning". Lobner (2002: 88) states that when two words indicate two contradictory boundaries, they are said to be antonyms. As for Parker and Riley (2005: 37) when the meanings of two words differ only in a single semantic feature, they are said to be antonyms. For instance, (hot and cold) and (dead and alive). The meanings of the previous pairs of words have an opposite in the semantic features of these lexical items. Thus, (dead) is said to have [- living] while (alive) is [+ living]. Finch (2000: 151) states that there are three types of antonymy, namely, gradable, complementary and relational. Gradable antonymy is a term where there is a gradable degree of opposition between lexical items. For instance, (hot and cold), (tall and short), etc. there are degrees of

temperature, height, and width. Consequently, to say that the water is not hot this does not mean that it is cold and vice versa. Complementary or (non-gradable) antonyms are different from gradable ones in that the opposition is absolute between lexical items. For example, (male and female), (open, shut) and (single and married).

The meanings of the previous examples indicate that if the man is not single, this means that he is absolutely married and vice versa. Thus, words do not have a degree in between. Relational antonyms mean one member of the pair which refers to the converse relation referred to by the other member. For instance, (husband and wife), (father and son) and (over and under). So, if there is not a husband, there will not be a wife.

1.3 Hyponymy

Finch (2005: 158) defines hyponymy as "a hierarchical sense relation that exists between two terms in which the sense of one is included in the other". According to Bell (1993: 92), the words rose, tulip and orchid all include the sense of flower. Therefore, the meaning of one lexical item is included in the other, for instance, a tiger is included in animal. As for (Larson, 1998: 71; and Crystal, 2003: 222) hyponymy is "a relationship between specific and general lexical items". Larson states that lexical items have generic and specific relations. For example, he provides the example of "sheep" in words like "ram", "ewe" and "lamb". Here, "sheep" is a generic lexical item since it includes the meanings of "ram", "ewe" and "lamb" in which they are more specific.

1.4 Meronymy

Lyons (1977: 311-314), Halliday (1985: 312), Saeed (1997: 70) and Murphy (2003: 218) define meronymy as "a structural sense/semantic relation holding between lexical items denoting parts (meronyms) and that denoting their corresponding wholes (holonyms)". For example, (finger) is a meronym of (hand), another example (eye) is a meronym of (face). Therefore, meronymy is said to be a part-whole relationship between the word senses.

1.5 Member-collection

According to Saeed (1997:71), member-collection is a relationship between the lexical item of a unit and the usual lexeme for a collection of the units. For instance, **employee** is a member of (committee); **book** is a member of (library); and **ship**-(fleet).

1.6 Portion mass

According to Winston et al.,(1987), the portion mass relationship indicates that the part is similar to all other parts and to the whole such as, slice part of pie. Each portion of the pie is a "pie" and it is similar to the other slices of the pie and to the whole pie. In the present research, the focal point is homonymy.

2. Homonymy

Liddell, et al (1982: 480) state that the word "homonym" is traced back to the Greek form consisting of the prefix "homo-", meaning "same", and suffix "ónymos", meaning "name". Homonyms are therefore lexical items having the same pronunciation but distinct meanings. Homonymy is "the case where different unrelated meanings are shared under same surface form of words"(Fellbaum, 2000: 52).

2.1 Definitions of Homonymy

Homonymy is a type of lexical relation and it is always classified under paradigmatic relations. Homonymy is defined differently. However, they all agree that there are differences of meaning of the same orthography or the same pronunciation.

Jackson (1988: 4) states that homonymy is " the case in which words are spelt and pronounced the same, but have clearly different meanings". Moore (2000: 9) defines homonymy as "different words with the same form". As for Pustejovsky (1995: 29) homonymy is" the case where a lexical item carries two distinct and unrelated meanings". According to Finch (2005: 157), homonymy is "a lexical relation that exists between words which have the same form but unrelated senses". Gramley (1992:13) also defines homonymy as "different words with the same pronunciation (homophones, e.g. meat-meet), or the same spelling (homographs, e.g. lead - lead) but distinct meaning". According to Cruse (2006:80), homonymy is "a lexical relation that describes cases where unrelated meanings are conveyed by similar linguistic items such as "bank 1" and "bank 2" (n.) which have the same spelling and pronunciation but different, unrelated meanings.

To sum up, homonymy is one or two lexical items that have the same pronunciation or the same orthography, but their senses are unrelated and they are sorted in dictionaries separately through different lexical entries for the lexeme, for instance, meet, meat; sea, see; you, ewe, etc.

Some authors state (homophones and homographs) when talking about homonymy. According to Palta (2007: 3), the homophone words "are spelled differently but pronounced the same way". For instance, week-weak, meat-meet ,etc. On the other hand, homograph "is one of two or more words spelled alike

but different in origin or meaning or pronunciation". That is to say, these lexical items are similar in spelling, but they differ in the pronunciation and meaning (ibid: 13).

Francu (2003: 13) states that "homophones are two or more words which are identical in the phonic medium and different in written medium and meaning". As for Parent (2009: 22), "the words that have the same written form but differ in their pronunciation are called homographs". For instance, the word "bank" (financial institution), and (side of the river).

2.2 Types of Homonymy

According to Lobner (2002: 43), homonyms are divided into four types:

- 1- Two lexical items having the same spelling and the same grammatical category. For example, the word "bank" (n.) (financial institution), and "bank" (side of the river).
- 2- Two lexical items having the same spelling and different grammatical category. For example, the word "present" (n.) (a gift), and "present" (v.) (to give or to show something).
- 3- Two lexical items having the same grammatical category with different spelling. For example, the word "rain" (n.) (the water that falls from the sky), and "reign" (n.) (the period of time that a king or queen rules a country).
- 4- Two lexical items having different spelling with different grammatical category. For example, the word "meat" (n.) (the flesh of animals), and "meet" (v.) (to come together with someone).

2.3 Homonymy VS Polysemy

Regardless of the fact that polysemy and homonymy are sorted as distinct phenomena, the boundary between them may be fuzzy. Yule (2010: 120) and Wadsworth (2008: 187-188) indicate two criteria to distinguish between these two phenomena. The first criterion is the historical origin of the word, or the etymology of the word. The meaning of the word "bank" as (financial institution) has a French origin, while the other sense which is (slope of the river) is borrowed from Scandinavian origin (ibid: 187). The second criterion is the different synonyms and antonyms of the word. For example, the word "plain" has two senses: (1) 'clear, easy' and (2) 'undecorated' ; these two

senses have a synonym of being "simple" and an antonym of being "complex" and both the two senses can be said to be "devoid of complex". The previous criteria appear to be workable although not always infallible. The most widely used criteria among linguists to distinguish polysemy and homonymy are the etymological information and relatedness/ unrelatedness of meanings. This criterion is unfortunately criticized by Finch (2000: 165) as there are some problematic lexemes like "pupil" which are originally polysemic , but have so unrelated senses that people label them as homonyms.

The difference between homonymy and polysemy is better shown in dictionaries: polysemous use of a lexeme is listed under one entry , whereas homonymous words have separate entries. For instance, the word "bark" has three distinct entries with three different meanings (sound of dog, cover of tree, and kind of a boat). If found, polysemous use is presented in terms of aspects of meaning and reflect syntactic information where necessary.

Speaker intuition about lexical relations is also made use of as a factor in differentiating polysemy and homonymy. Depending on this factor, two lexemes are polysemous if they are viewed by the native speakers as related, homonymous words if they are not related . The problem of this criterion is the subjective judgment and the relatedness is a matter of degree. Some speakers would see some words related while others would not (Lyons, 1977: 552). Moreover, speakers intuitions may not have any bearing on the way in which speakers comprehend and use words. This is possibly because speaker intuitions about lexical relations are arrived at by thinking about language, i.e. not directly reflected as they are stored in mind, metalinguistic.

According to (Fromkin et al. 2003:180), words such as: 'neck', 'guard', 'music', and 'bachelor' are considered as polysemous because each one of them is seen as a single lexeme with many discernible senses in standard English dictionaries, however they have one entry, while homonymous words usually have separate entries in standard English dictionaries and often distinguished from each one by giving them numbers (1, 2).

3-Data Collection and Analysis

This section is devoted to presenting a clear description of the work and the procedures followed to fulfill the aims of the research and confirm its hypotheses. In order to achieve the objectives of this research, the researcher designed a test to examine the students' command of homonymy in English.

3.1 The Sample of the study

The population of the research covers all the undergraduate Iraqi EFL learners at the fourth year in the English Department, College of Education for Humanities at the University of Mosul. The overall number of the population is **209** students. The sample of this research is chosen randomly. One hundred students are chosen randomly from the 4th year students in the English department of the College of Education for Humanities at the University of Mosul. The samples of the research are from the academic year 2019-2020.

3.2 Test Construction

In order to measure the students' command of homonyms, the researcher designed a test taking into consideration that fourth year students of the College of Education have studied lexical relations in linguistics. The researcher drew up two questions to be answered by students of the 4th year. The test was composed of (30) homonymous words , it is worthy to mention that all the (30) items were chosen from the Oxford Wordpower Dictionary (2003) and New Oxford Advanced Learner's Dictionary (1995)

3.2.1 Validity of the Test

According to Chastain (1988:393), validity has to provide an authentic measure of a precise skill that is intended to be measured. Validity is "the degree to which a test measures what is supposed to measure , or can be used successfully for the purpose for which it is intended" (Richards and Schmidt, 2002: 575). To ensure the validity of the test used in the present study , two kinds of validity are used : face and content validity.

3.2.1.1 Face Validity

Face validity is "the extent to which a test meets the expectations of those involved in its use", viz test makers, administrators, teachers and candidates (McNamara, 2000: 138). Accordingly, in order to apply face validity of the present research, the researcher submitted a form of the test to jury members who were specialists in linguistics, teaching EFL and methodology to give their approval of the test items. They agreed that the test items were suitable for the purpose of the research adding some modifications which were taken into consideration.

3.2.1.2 Content Validity

According to Hughes (1989: 23), " the test would have content validity only if it included a proper sample of the relevant structures". Content validity then takes place when the test gives adequate coverage of the subject being studied, i.e. how far the test reflects the content of the syllabus and whether it really measures what is supposed to measure or it can successfully be used for the purpose aimed at (Al-Juboury, 2000: 22).

3.3 The Pilot Study

Cohen et al., (2004: 324) indicate that "Conducting a pilot test is necessary to refine the test reliability and presentation of the items, to judge item discrimination power, item difficulty, and to address validity and reliability". In the present research, the test was performed on **50** students from the population of the College of Education for Humanities , other than the original sample. The pilot study was performed so as to help the researcher to check the clarity of the items in the given test.

3.4 Item analysis

According to Oliva (1988: 15), the procedure for testing item analysis refers to "checking responses constructed by all students for each item included in the test". The outcomes of the item analysis are used to give details about the items' difficulty in addition to the items' ability to discriminate between the best and the weakest students. The test papers of the pilot study are scored and after that the students' overall scores are ranked from the highest to the lowest so as to put the

highest scores into the upper group and to put the lowest scores into the lower group. Item analysis is made in order to get the items difficulty "P" and items discrimination "D".

3.4.1 Items Difficulty "P"

According to Cohen et al., (2007: 337), the construction of the test must tackle item analysis, item discrimination and item difficulty. Item difficulty "P" is a measure of the proportion of the testees who answered the item correctly. As for Brown (2004: 58), both the very easy items and the very difficult items are impracticable to divide the testees' high-ability and low-ability and he indicates that the range of the item difficulty is between **0.15** and **0.85**. Nonetheless, the best rate of "P" is from **0.222** to **0.574** (see table 1).

3.4.2 Items Discrimination "D"

According to Brown (2004: 68), Item discrimination "D" is "a statistic that indicates the degree to which an item separates the students who performed in a good way from those who did poorly on the test as a whole". The higher the item discrimination coefficient, the more effective is the item. Item discrimination is calculated by dividing the testees into two groups based on high and low scores on the test, then subtracting the proportion of correct answers in the upper group (Whiston, 2009: 84). All the test items are acceptable since the items discrimination of the items ranges from **0.333** to **0.777** after applying the item discrimination formula (see table 1).

Table (1)

The Discrimination Index of the Recognition and Production Test

NO.	Level of difficulty	Power discrimination	NO.	Level of difficulty	Power discrimination
1	0.222	0.444	17	0.547	0.333
2	0.370	0.666	18	0.481	0.666
3	0.296	0.518	19	0.407	0.370
4	0.518	0.518	20	0.222	0.444
5	0.481	0.740	21	0.518	0.518
6	0.462	0.777	22	0.425	0.333
7	0.425	0.333	23	0.370	0.666
8	0.259	0.518	24	0.481	0.740
9	0.518	0.592	25	0.296	0.518
10	0.481	0.666	26	0.462	0.777
11	0.259	0.444	27	0.370	0.666
13	0.407	0.370	28	0.481	0.740
14	0.462	0.629	29	0.518	0.592
15	0.388	0.481	30	0.296	0.518
16	0.259	0.518			

3.4.3 Reliability of the Test

Ary et al., (2010: 649) indicate that reliability is the extent to which scores are free of random errors. In the present study, Alpha-Cronbach is used as a tool to calculate the reliability of the test. One of the characteristics given by Lado (1961: 330) is to re-score the test after ten days after the first scoring. Reliability coefficient was obtained by comparing the scores of the first rating (i.e., the rater's first rating) to the scores of the second rating (i.e., rater's second rating). The researcher has found that the correlation coefficient of the test is (**0.81**) by applying the Alpha-Cronbach formula.

3.5 The Scoring Scheme of the Test

The scoring scheme of a test illustrates the scheme adopted in scoring the test items. The test consists of two questions. The first question comprises 15 items. On the other hand, the second question also consists of 15 items. Thus, it will be scored out of 30 marks, (1)

score is given for each correct item and (0) score for each wrong item. Table (2) illustrates the scoring scheme of the test:

Table(2)
Distribution of the Test's Scores

Question Form	Question Number	The Scores
Multiple choice items	1,2,3,4,5,6,7,8,9,10,11,12,13,14,15	(0-1)
Blank filling	1,2,3,4,5,6,7,8,9,10,11,12,13,14,15	

3.6 Statistical Methods

In order to fulfill the aims of this research, five statistical methods have been used. The first method is the Pearson formula which has been used to compute the reliability of the test. The second method is the Essay Item Difficulty level formula which has been used to compute **P** for the recognition and production test. The third method is the Objectives Item Discrimination Formula which has been used to compute the **D** for the items in the recognition and production test. The fourth and fifth statistical methods are the percentages formula and the T test formula. The percentage formula has been used to find the percentage of the right and wrong answers for all items in the test and also the T-test value has been used for the test.

RESULTS AND DISCUSSION

4.1 Analysis of the Results

In order to achieve the aims of the present research, the following outcomes are conducted when the data is statistically manipulated. Firstly, as far as the first recognition test is concerned, the analysis of the results is made in order to discover if the mean score of the sample of the research for the two questions have statistically significant differences. The mean score of the sample of the research is (9.80) with a standard deviation of (2.06). On the other hand, at the production level, The mean score of the sample of the research is (3.24) with a standard deviation of (2.33). The two questions are at (0.05) level of significance and under (99) degree of freedom. It has been found that the T-test value of the test is (20.65). Secondly, these results show that there are statistically significant differences since the level of significance (0.000) is lesser than (0.05). Table (3) summarizes the subjects' results concerning the recognition as well as the production test:

Table (3)

The test results for the recognition and production test

NO.	T-test value				d.f	(t)	Significance
	Recognition		Production				
	Mean	Std.v	Mean	Std.v			
100	9.80	2.06	3.24	2.33	99	20.65	0.000

4.2 The Test Items

The recognition test aims to investigate the ability of the learners to recognize the correct spelling comprehension and usage of diverse homonyms by using suitable lexeme that is phonologically and orthographically overlapped. The first question comprises (15) items and the learners are asked to fill in the blanks with the right and suitable word. The statistical analysis yields the results shown in the following table:

Table (5)

Analysis of the items in the recognition question:

Items No.	Overall answers	Correct answers	Incorrect answers	Percentage of correct answers	Percentage of incorrect answers
1	100	70	30	70%	30%
2	100	92	8	92%	8%
3	100	21	79	21%	79%
4	100	97	3	97%	3%
5	100	91	9	91%	9%
6	100	90	10	90%	10%
7	100	36	64	36%	64%
8	100	88	12	88%	12%
9	100	96	4	96%	4%
10	100	84	16	84%	16%
11	100	76	24	76%	24%
12	100	65	35	65%	35%
13	100	10	90	10%	90%
14	100	25	75	25%	75%
15	100	78	22	78%	22%
Total	1500	979	521	65.26%	34.73%

The second question also consists of (15) items and the learners are asked to write down an appropriate homonym (homophone or homograph) similar to the example given in the question. The following table summarizes the results yield at:

Table (6)

Analysis of the items in the production question

Items No.	Overall answers	Correct answers	Incorrect answers	Percentage of correct answers	Percentage of incorrect answers
1	100	19	81	19%	81%
2	100	51	49	51%	49%
3	100	8	92	8%	92%
4	100	38	62	38%	62%
5	100	28	72	28%	72%
6	100	22	78	22%	78%
7	100	5	95	5%	95%
8	100	21	79	21%	79%
9	100	18	81	19%	81%
10	100	12	88	12%	88%
11	100	16	84	16%	84%
12	100	18	82	18%	82%
13	100	5	95	5%	95%
14	100	16	84	16%	84%
15	100	46	54	46%	54%
Total	1500	324	1176	21.6%	78.4%

4.3 Findings

The analysis of the recognition as well as the production test shows that the learners have achieved better recognition level at the test than that of the production. This supports the stipulation of Corder (1973: 202) that "there is a general belief amongst teachers that a learner's receptive ability normally exceeds his productive abilities, and that recognition of an item is easier than its retrieval in production".

As far as the recognition question is concerned, all the students have answered the items. The correct answers are (979) with the percentage of (65.26%), while the incorrect responses are (521) with the percentage of (34.73%). Whereas, at the production question, the correct answers are (324) with the percentage of (21.6%) while the incorrect ones are (1176) with the percentage of (78.4%).

5. Conclusions

The investigation of the Iraqi EFL learners' command of homonyms has yielded the following conclusions:

- 1- Students of English have problems in understanding and producing homonymy. However, they seem to be better in recognizing homonyms than of producing them.
- 2- Iraqi advanced learners are significantly better in recognition than production. This supports the commonly accepted assumption that the ability of the students' recognition is higher than that of production also the results of this research shows that there are individual differences in the ability of word recognition caused by the difference in orthographical processing abilities which are partly decided by differences in exposure .
- 3- Students of English cannot understand the context of the sentences and they find some problems to differentiate between two words relations in a correct way.
- 4- The students' infelicitous answers are probably due to their limited acquaintance of the other senses of the same lexical item (i.e., homonymous word).

References

- ❖ Al-Juboury, A.N. (2000). A Language Teacher's Guide to Assessment. University of Baghdad.
- ❖ Ary, D.; Jacobs, L.; Sorensen, C. and Razavieh, A. (2010). Introduction to Research in Education. (8th ed.). Belmont: Cengage Learning.
- ❖ Bell, K. (1993) . Translation and Translating. London: Longman.
- ❖ Brown, D. (2004). Language Assessment: Principles and Classroom Practices. San Francisco State University: Longman.
- ❖ Chastain, K. (1988). Developing Second-Language Skills: Theory and Practice. London. Harcourt Brace Jovanovic.
- ❖ Cohen, J., Partnca , C., Stephen G., Leona, S. (2004). Applied Multiple Regression/ Correlation Analysis for the Behavioral Sciences (3rd ed.). University of Tennessee USA
- ❖ Cohen, L.; Manion , L. and Morrison , K. (2007). Research Methods in Education. (6th ed.). New York: Routledge Madison Avenue.
- ❖ Corder, Jim W.(1973) “Asking for a Writing and Listening to Learn them in Production and Recognition.” Encountering Student Texts. Lawson, Bruce, Susan Sterr Ryan and W. Ross Winterowd, eds. Urbana: NCTE,.
- ❖ Cruse, A. (2006). A Glossary of Semantics and Pragmatics. Edinburgh: Edinburgh University Press, Ltd.
- ❖ Crystal , D. (2003) . A Dictionary of Linguistics and Phonetics (5th ed.). Oxford: Blackwell Publishing.
- ❖ Fellbaum, A. (2000). "autotroponymy". In, Yael Ravin and Claudia Leacock (eds.). Polysemy: Theoretical and Computational Approaches,
- ❖ Finch, G. (2000). Linguistic Terms and Concepts. London: Macmillan Press Ltd.
- ❖ _____. (2005). Key Concepts in Language and Linguistics (2nd ed.).
- ❖ Francu, V. (2003). Multilingual access to information using an intermediate language. Belgium, Antwerp city: University of Antwerp.

- ❖ Fromkin, V.; Rodman, R. and Hyams, N. (2003). An Introduction to Language. (7th ed.). USA: Heinle, a part of Thomson Corporation.
- ❖ Gramley, S. and Patzold, K. (1992). A Survey of Modern English. London: Routledge.
- ❖ Greenbaum , S. (1996). The Oxford English Grammar. Oxford: Oxford University Press.
- ❖ Halliday, M. A. K. (1985) . Functional Grammar. Hong Kong: Hodder and Staughton.
- ❖ Hughes, A. (1989). Testing for Language Teachers. New York: Cambridge University Press.
- ❖ Jackson, H. (1988). Words and Their Meaning. London & New York Longman Group Ltd.
- ❖ Jeffries, L. (2006) Discovering Language: The Structure of Modern English. Palgrave Macmillan.
- ❖ Kreidler, C. W. (1998). Introducing English Semantics. London: Routledge Press Ltd.
- ❖ Lado, R. (1961). Language Testing: The Construction and Use of Foreign Language Tests. London. Longman group Ltd.
- ❖ Larson, M. L. (1998). Meaning Based-Translation . A guide to Cross Language Equivalence. University Press of America. Inc.
- ❖ Liddell, G. H. and Scott, R. (1982). A Greek-English Lexicon.(8th ed.). Perseus Digital Library.
- ❖ Lobner, S. (2002). Understanding Semantics. London: Arnold Education Press.
- ❖ Lyons, J. (1977). Semantics. (Vol.1). Cambridge: Cambridge University Press.
- ❖ _____. (1977). Semantics. (Vol.2). Cambridge: Cambridge University Press. London: Macmillan.
- ❖ McNamara, Tim (2000). Language Testing. Oxford: OUP.
- ❖ Moore, A. (2000). Semantics-Meaning: Etymology and the Lexicon. In: ar-Moore 1995@ bigfoot.com.
- ❖ Murphy , L. (2003) . Semantic Relations and the Lexicon. Cambridge: Cambridge University Press.

- ❖ Oliva, P. (1988). Developing The Curriculum. (2nd ed.) New York: Scott, Foresmand.
- ❖ Palta, E. (2007). Word Sense Disambiguation. Bombay: Indian institute of technology.
- ❖ Parent, K. (2009). Polysemy A Second Language Pedagogical Concern. Victoria University of Wellington.
- ❖ Parker, F. and Riley, K. (2005). Linguistics For Non- linguists. New York: Pearson.
- ❖ Pustejovsky, J. (2001). The Generative Lexicon. (4th ed.). The MIT Press, London, England.
- ❖ Richards, J. C. and Schmidt, Richard (2002). Longman Dictionary of Language Testing and Applied Linguistics. (3rd ed.). London: Longman.
- ❖ Riemer , N. (2010). Introducing Semantics. Cambridge: Cambridge University Press.
- ❖ Saeed, J. I. (1997). Semantics. London Blackwell Published, Ltd.
- ❖ Wadsworth, T. (2008). Language its Structure and Use. (5th ed.). Edward Finegan: USA.
- ❖ Whiston, S. C. (2009). Principles & Applications of Assessment in Counseling. Belmont: Cengage Learning.
- ❖ Winston, M., Chaffin, R., and Hermann, D. J. (1987). A Taxonomy of Part-Whole Relations. Cognitive science, 11, 417-444.
- ❖ Yule, G. (2010). The Study of Language. (4th ed.) Cambridge: Cambridge University Press.

Appendix 1

Dear participants

This study aims to investigate Iraqi EFL learners' command of homonymy in English at the university level. It would be highly appreciated if you could answer the following questions in as much detail as possible. Your answers will only be used for research purposes.

Background Information

Gender: -----

College: -----

Year at the college: -----

The Recognition Question:

Q1/ Choose the correct words among (A, B, C) to fill the blanks:

- 1- Can you ----- a letter in English?
A- rite B- write C- right
- 2- The ----- of blood made her excited.
A- sight B- cite C- site
- 3- The ----- is nursing the piglets.
A- sew B- sow C- so
- 4- Please, get me a shampoo ----- dry hair.
A- fore B- for C- four
- 5- He hung an old, wooden ----- on his wall as a decoration.
A- ore B- or C- oar
- 6- Barking dogs seldom -----.
A- bite B- bight C- byte
- 7- The oldest ----- of the Thespians was a rude stone.
A- idyll B- idle C- idol
- 8- Jane expects her second baby to be ----- in February.
A- born B- bourn C- borne
- 9- You must ----- the dough till it is ready to be baked.
A- need B- knead C- kneed
- 10- I took a ----- at the list.
A- peek B- peak C- pique
- 11- Can I ----- you a coffee?
A- by B- bye C- buy
- 12- The ----- of flowers came in at the window.
A- scent B- sent C- cent
- 13- How much does a dentist -----?
A- urn B- erne C- earn
- 14- I got my first ----- of glasses when I was eight.
A- pear B- pair C- pare
- 15- The family was too ----- to buy proper food.
A- poor B- pour C- pore

The Production Question:

Q 2/ Write a homonymous word for the following lexical items:

A- Week ----- weak

B- Meet ----- meat

1- See -----

2- Root -----

3- Waste -----

4- Ring -----

5- Mussel -----

6- Die -----

7- Loan -----

8- Some -----

9- Mail -----

10- Hart -----

11- Pause -----

12- Pain -----

13- Rain -----

14- Ewe -----

15- Seas -----

Republic of Iraq
Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Mosul
College of Education for Humanities



Journal of Education for Humanities

**A Quarterly Refereed Academic Journal
Issued by the College of Education for
Humanities
University of Mosul**

Volume (3)

March

No. (10)

2023

Section One

**Deposit number in the National Library and
Documentation House In Baghdad
2425 for the year 2020 A.D.**

Editor-in-Chief

Prof.Dr. Ibrahim Mohammed Mahmood AL-Hamdani

Managing Editor

Prof. Dr. AbdulMalik Salim Othman Al-Jubouri

Editorial Board

Prof. Dr. Kamal Hazem Hussein

Prof. Dr. Yasser Abdel-Gawad Hamed

Prof. Dr. Saddam Muhammad Hamid

Assistant Professor Dr. Ahmed Hamed Ali Abdullah

Assistant Professor Dr. Asim Ahmed Khalil

Assistant Professor Dr. Jasim Muhammed Hussain

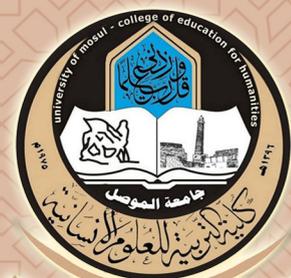
Language Evaluators

Assistant Professor Dr. Saleh Ali Al-Sheikh

Assistant Professor Dr. Ismail Fathi Hussein

Journal of Education for Humanities

A Refereed Scientific Quarterly Journal



Journal of Education
for Humanities

Volume 3 No. 10 2023 / 1444

ISSN:2710-124X

Month: March

Section One

Issued by the College of Education for Humanities
At the University of Mosul



رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد
٢٤٢٥ لسنة ٢٠٢٠ م